٣٧٩٣

جامعة الملك سعود
King Saud University 1957

Copyright © King Saud University

٢١٢
س. خ

السراج المنير في الاعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، اربعة اجزاء منه، تأليف محمد بن أحمد الشربيني، شمس الدين - ٩٧٧هـ، كتبه محمد احمد الصاوى سنة ١٢٦٨هـ.

٤ مج (٥١٠+٤٩٠+٦٢٩+٥٥٠ق)، مختلف المسطره مختلف المقاس.

٢٧٩٣

نسخة جيده، جزء منها ناقص الاخر، خطها نسخ معتاد (طبع).

١- الاعلام ٦: ٢٣٤، معجم المطبوعات ١: ١١٠٨

١- التفسير، القرآن وعلومه ا- الخطيب الشربيني، محمد ابن احمد سنة ٩٧٧هـ. ب- اسم الناسخ جـ- تاريخ النسخ د- تفسير الخطيب الشربيني.

Copyright © King Saud University

٤٦

مكتبة جامعة الرياض - قسم المخطوطات

الرقم ٣٧٩٣

العنوان السراج المنير في الإعانة على معرفة كلام ربنا الحكيم الخبير

المؤلف محمد بن احمد الشربيني

تاريخ النسخ ١٢٦٨هـ

اسم الناسخ محمد احمد الصاوي

عدد الأوراق ٥٥٠ ق

ملاحظات ٢ج

ت. ع

ف٧٧٤ حتى ٧٧٨

١٤١٠-١٤١٢هـ

King Saud University 1957

Copyright © King Saud University

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

تفسير سورة المجادلة مدنية

في قول الجميع الا رواية عن عطا ان العشر الاول منها مدني
وباقيها مكي وقال الكلبي نزل جميعها بالمدينة غير قوله
تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم نزلت بمكة
وهي ثنتان وعشرون اية واربعمائة وثلاث وسبعون
كلمة والف وسبعمائة واثنان وسبعون حرفا بسم الله
الذي تمت قدرته وكملت جميع صفاته الرحمن الذي شمل
الخلائق جودا بالايجاد وارسال الهداية الرحيم الذي
خص اصفياءه فنعمت عليهم نعمة مرضاته ونزل في خولة
بنت ثعلبة وكانت تحت اوس بن الصامت وكان قد ظاهر
منها قد سمع الله اي اجاب بنظيم فضله الذي
احاط بجميع صفات الكمال فوسع سمعه الاصوات قول
التي تجادلك اي تراجعك ايها النبي في زوجها
المظاهر منها روي ان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى
عنه مر بها في خلافته وهي على حمار والناس معه
فاستوقفته طويلا ووعظته وقالت يا عمر قد كنت
تدعى عميرا ثم قيل لك عمر ثم قيل لك امير المومنين
فاتق الله يا عمر فانه من ايقن بالموت خاف الفوت ومن
ايقن بالحساب خاف العذاب وهو واقف يسمع كلامها
فقيل له يا امير المومنين اتقف لهذه العجوز هذا الموقف

فقال

فقال ولو حبستني من اول النهار الى اخره لازلت الا
للصلاة المكتوبة اتدرون من هذه العجوز هي خولة بنت
ثعلبة سمع الله تعالى قولها من فوق سبع سموات ايسمع
رب العالمين قولها ولا يسمعه عمر وعن عائشة تبارك
الذي وسع سمعه كل شي اني لاسمع كلام خولة بنت ثعلبة
ويخفى علي بعضه وهي تشتكي زوجها الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهي تقول يا رسول الله اكل شبابي ونثرت
له بطني حتى اذا كبر سني وانقطع ولدي ظاهر مني
اللهم اني اشكو اليك فما برحت حتى نزل بهذه
الايات قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها الاية
وروي انها كانت تجادلك في زوجها الاية وروي
انها كانت حسنة الجسم فراها زوجها ساجدة
فنظر عجيزتها فاعجبه امرها فلما انصرفت ارادها فابت
فغضب عليها قال عروة وكان امرا به لمم فاصابه
بعض لممه فقال لها انت علي كظهر امي وكان الايلا
والظهار من الطلاق في الجاهلية فاتت النبي صلى
الله عليه وسلم فقالت ان اوسا تزوجني وانا شابة
مرغوب في فلما علا سني ونثرت بطني اي كثر ولدي
جعلني عليه كامه فقال لها النبي صلى الله عليه
وسلم حرمت عليه فقالت والله ما ذكر طلاقا وانه
ابو ولدي واحب الناس الي فقال رسول الله صلى

Copyright © King Saud University

الله عليه وسلم حرمت عليه فقالت اشكو الى الله فاقتي
ووحدتي فقد طالت صحبتي ونفضت له بطني فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اراك الا حرمت عليه
ولم اومر في شانك بشي فجعلت تراجع رسول الله صلى
الله عليه وسلم واذا قال لها رسول الله صلى الله عليه
وسلم حرمت عليه هتفت وقالت اشكو الى الله فاقتي
وشدة حالي وان لي صبية صغارا ان ضممتهم الي جاعوا
وان ضممتهم اليه ضاعوا وجعلت ترفع راسها الى السما
وتقول اللهم اني اشكو اليك فانزل على لسان نبيك
وكان هذا اول ظهار في الاسلام فانزل الله تعالى
قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها الاية فارسل
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى زوجها وقال
ما حملك على ما صنعت فقال الشيطان فهل من
رخصة فقال نعم وقرا عليه الاربع ايات فقال له
هل تستطيع العتق فقال لا والله فقال هل تستطيع
الصوم فقال لا والله اني ان اخطاني ان اكل في اليوم
مرة او مرتين لكل بصري ولظننت اني اموت قال
فاطعم ستين مسكينا قال ما اجد الا ان تعينني
منك بعون وصلة فاعانه رسول الله صلى الله
عليه وسلم بخمسة عشر صاعا واخرج اوس من
عنده مثله فتصدق به على ستين مسكينا وروي

انه

انه صلى الله عليه وسلم قال لها مريه ان يعتق رقبة فقالت
اي رقبة والله ما يجد رقبة وما له خادم غيري فقال
مريه ان يصوم شهرين فقالت والله ما يقدر على ذلك
انه يشرب في اليوم كذا كذا مرة فقال مريه فليطعم
ستين مسكينا فقالت اني له ذلك وتشتكي اي وتمد
تلك المجادلة الشكوى منتهية الى الله اي سوال
الملك الاعظم الرحمة الذي احاط بكل شي علما فان
قيل ما معنى قد في قوله تعالى قد سمع اجيب
بان معناها التوقع لان رسول الله صلى الله عليه
وسلم والمجادلة كانا يتوقعان ان يسمع الله تعالى مجا
دلتهما وشكواها وينزل في ذلك ما يفرج عنها لجهد
في شكواها وقطع رجاها في كشف ما بها من غير
الله ان الله تعالى يكشف كربها والله اي والحال
ان الذي وسعت رحمته كل شي لان له الامر كله يسمع
تحاوركما اي تراجعكما الكلام وهو على تغليب الخطاب
ان الله اي الذي احاط بجميع صفات الكمال ان الله اي
بالغ السمع لكل مسموع سميع اي بالغ البصر لكل ما يبصر
فهما صفتان كالعلم والقدرة والحياة والارادة وهما
من صفات الذات لم يزل الخالق سبحانه متصفا
بهما ولما انهى تعالى الخبر عن احاطة العلم استانف
الاخبار عن حكم الامر المجادل بسببه فقال تعالى

قبلها

Copyright © King Saud University

الذين يظاهرون اي يوجدون الظهار من اي زمان كان
وقوله تعالى منكم اي ايها العرب المسلمون توبيخ لهم
وتهجين لعادتهم لان الظهار كان خاصا بالعرب دون
ساير الامم فنبه تعالى على ان اللايق بهم ان يكونوا ابعد
الناس عن هذا الكلام لان الكذب لم يزل مستهجنا
عندهم في الجاهلية ثم زاده الاسلام استهجانا من
نسائهم اي يحرمون نساءهم على انفسهم تحريم الله
تعالى عليهم ظهور امهاتهم والظهار لغة ماخوذ من
الظهر لان صورته الاصلية ان يقول لزوجته انت
علي كظهر امي وخص الظهر دون البطن والفخذ وغيرهما
لانه موضع الركوب والمراة مركوب الزوج وقيل
من العلو قال تعالى فما اسطاعوا ان يظهروه اي
يعلوه وكان طلاقا في الجاهلية وقيل في اول الاسلام
ويقال كان في الجاهلية اذا كره احدهم امراته ولم
يرد ان تتزوج بغيره آلى منها او ظاهر فتبقى لا ذات
زوج ولا خلية تنكح غيره فغير الشارع حكمه اي تحريمها
بعد العود ولزوم الكفارة كما سياتي وحقيقته
الشرعية تشبيه الزوج غير البائن بانثى لم تكن
حلا له وسمي بهذا المعنى ظهارا لتشبيه الزوجة
بظهر الام وله اركان اربعة مظاهر ومظاهر منها وصيغة
ومشبه به وشرط في المظاهر كونه زوجا يصح طلاقه

وشرط

وشرط في المشبه بها كونه انثى محرما او جزء انثى محرم لم تكن
حلا له كبنته واخته وشرط في الصيغة لفظ يشعر بالظهار
صريح كانت او راسك او بدنك كظهر امي او كجسمها او بدنها
او كناية كانت كامي او كعينها او غيرها مما يذكر للكرامة
كراسها او روحها ويصح تانيثه وتعليقه واصل يظهرون
ادغمت التاء في الظاء وقرا الذين يظهرون والذين يظاهرون
عاصم بضم الياء وتخفيف وبعدها الف وتخفيف الهاء
مكسورة وقراءة ابن عامر وحمزة والكسائي بفتح اليا
وتشديد الظاء وتخفيف الهاء مع فتحها وبين الظاء
والهاء الف والباقون بفتح الياء وتشديد الظاء
والهاء ولا الف بينهما ما هن اي نساؤهم امهاتهم اي
على الحقيقة ان اي ما امهاتهم اي حقيقة الا اللاي
ولدنهم ونساؤهم لم يلدنهم فلا يحرمن عليهم
حرمة مؤبدة للاكرام والاحترام ولا ينافي ما الحق
بالامهات بوجه يصح كازواج النبي صلى الله عليه وسلم
فانهن امهات لما لهن من حق الاكرام والاحترام
والاعظام لان النبي صلى الله عليه وسلم اعظم في
ابوة الدين من اب النسب وكذا المرضعات لما لهن
من حق الرضاع الذي هو وظيفة الام بالاصالة
واما الزوجة فمباينة لجميع ذلك وقرا قالون وقنبل
بالهمزة المكسورة ولا ياء بعدها وقرا ورش والبزي وابو

Copyright © King Saud University

عمرو بتسهيل الهمزة مع المد والقصر وللبزي وابي عمرو
ايضا موضع الهمزة يا ساكنة مع المد والباقون بهمزة
مكسورة وبعدها يا وهم على مراتبهم في المد وانهم
اي المظاهرون ليقولون اي في هذا التظاهر على كل حالة
منكرا من القول اذ الشرع انكره وهو حرام اتفاقا
كما نقل عن الرافعي في باب الشهادات وزورا اي قولا
مايلا عن الحق منحرفا عن القصد لان الزوجة
معدة للاستمتاع الذي هو في الغاية من الامتهان
والام في غاية البعد عن ذلك فان قيل المظاهر
انما قال انت علي كظهر امي فجعل بامر ولم يقل انها
امه فما معنى انه منكر من القول وزورا والزور الكذب
وليس هذا بكذب اجيب بان قوله هذا ان كان
خبرا فهو كذب وان كان انشا فكذلك لانه جعله سببا
للتحريم والشرع لم يجعله سببا لذلك وايضا فانما وصف
بذلك لان الام مؤبدة التحريم والزوجة لا يتابد
تحريمها بالظهار فهو زور محض فان قيل قوله تعالى
الا اللائي ولدنهم يقتضي ان لا ام الا الوالدة وهذا
مشكل بقوله تعالى وامهاتكم اللاتي ارضعنكم وقوله
تعالى وازواجه امهاتهم اجيب بان الشارع الحقهن
بالوالدة لما مر وان الله اي الملك الاعظم الذي
لا امر لاحد معه في شرع ولا غيره لعفو اي من

صفاته ان يترك عقاب من شاء غفور اي من صفاته
ان يمحو عين الذنب واثره ثم بين احكام الظهار بقوله
تعالى والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا
والعود في ظهار غير موقت من غير رجعية ان يمسكها
بعد ظهاره مع علمه بوجود الصفة في المعلق زمن امكان
فرقة ولم يفارق لان العود للقول مخالفته يقال قال
فلان قولا ثم عاد له وعاد فيه اي خالفه ونقضه
وهو قريب من قولهم عاد في هبته ومقصود الظهار
وصف المراة بالتحريم وامساكها يخالفه فلو اتصل
بظهاره جنون او اغماؤه او فرقة بموت او فسخ من احدهما
بمقتضيه كعيب باحدهما او بطلاق باين او رجعي ولم
يراجع فلا عود والعود في ظهار غير موقت من رجعية
ثم اطلقها عقب الظهار او قبله ان يراجع ولو ارتد
متصلا بالظهار بعد الدخول ثم اسلم في العدة فلا
عود بالاسلام بل بعده والفرق ان الرجعة امساك في
ذلك النكاح والاسلام بعد الردة تبديل للدين الباطل
بالحق والحل تابع له فلا يحصل به امساك وانما يحصل
بعيب حقيقة او قدرها من فاقد فاقد المدة ويجب
في العود به وان حل نزع لما عنده كما لو قال ان وطئتك
فانت طالق لحرمة الوطء قبل التكفير كما سياتي وانقضاء
المدة واستمرارا لوطء وطء ولما كان المبتدا الموصول

صفاته

يتضمن معنى الشرط ادخل الفا في خبره ليفيد السببية فيتكرر الوجوب بتكرر سببه فقال عز من قائل **فتحرير** اي فعليهم بسبب هذا الظهار والعود تحرير **رقبة** مؤمنة فلا يجزئ كافرة قال تعالى في كفارة القتل فتحرير رقبة مؤمنة والحق بها غيرها قياسا عليها بجامع حرمة سببيهما من القتل والظهار او حملا للمطلق على المقيد كما في حمل المطلق في قوله تعالى واستشهدوا شهيدين من رجالكم على المقيد في قوله تعالى واشهدوا ذوي عدل منكم بلا عوض وبلا عيب يخل بعمل فيجزئ صغير ولو ابن يوم واقرع واعرج يمكنه تتابع مشي بان يكون عرجه غير شديد واعور لم يضعف عوره بصر عينه السليمة ضعفا يخل بالعمل واصم واخرس يفهم الاشارة ويفهم عنه واخشم وفاقد انفه واذنيه واصابع رجليه لا فاقد رجل او خنصر وبنصر من يد او انملتين من كل منهما او فاقد انملتين من اصبع غيرهما او فاقد انملة ابهام لاخلال كل من الصفات المذكورة بالعمل ولا يجزئ مريض لا يرجى برؤه ولا يبرء كذا سل ونحوه بخلاف من يرجى برؤه ومن لا يرجى برؤه اذا برئ ولا مجنون الا فاقته اقل من جنونه تغليبا للاكثر ويجزئ معلق بصفة بان

يجزئ

يجز عتقه بنية الكفارة او يعلقه كذلك بصفة اخرى وتوجد قبل الاولى ويجزئ نصفا رقيقين اعتقهما عن كفارة باقيهما او في احدهما كما استظهره بعضهم ويجزئ اعتاق رقيقيه عن كفارتيه لاجل العتق المعلق بكفارة عند وجود الصفة ولا مستحق عتق كام ولد ومكاتب كتابة صحيحة **من قبل ان يتماسا** اي يتحد بينهما مس روى ابو داود وغيره انه صلى الله عليه وسلم قال لرجل ظاهر من امراته وواقعها لا تقربها حتى تكفر وكالتكفير مدة مضي الموقت لانتهائه بها وحمل التماس هنا لشبه الظهار بالحيض على التمتع بما بين السرة والركبة ومن حمله على الوطء الحق به التمتع بغيره فيما بينهما ولو ظاهر من اربع بكلمة كانتن كظهر امي فان امسكهن فاربع كفارات لوجود سببها او ظاهر منهن باربع كلمات ولو متوالية فعائد من غير اخيرة ولو كرر في امراة متصلا بعدد الظهارات قصد استئنافا وتصير المظاهر بالاستئناف عائدا **ذلكم** اي ذلك الحكم بالكفارة **توعظون به** اي ان غلظ الكفارة وعظ لكم حتى تتركوا الظهار ولا تعاودوه **والله** اي الذي له الاحاطة بالكمال **بما تعملون** اي بحد دون فعله **خبير** اي عالم بظاهره وباطنه فهو عالم بما يكفره فافعلوا ما امرتم به وقفوا عند حدوده واما يلزم

Copyright © King Saud University

الاعتاق عن الكفارة من ملك رقيقا او ثمنه فاضلا
عن كفاية ممونه من نفقة وغيره قال الرافعي وسكتوا
عن تقدير مدة ذلك ويجوز ان تقدر بالعمر الغالب
وان تقدر بسنة اه والذي عليه الجمهور هو الاول وله
يلزمه بيع عقار ورأس تجارة وماشية له يفضل
دخلها من غلة العقار وربح مال التجارة وفوائد
الماشية من نتاج وغيره عن كفاية ممونه وله بيع
مسكن ورقيق نفيسين الفهما ولا يلزمه شرا بغبن
فمن لم يجد اي الرقبة بان عجز المكفر عن اعتاق حسا
او شرعا وقت اداء الكفارة فصيام اي فعليه صيام
شهرين متتابعين عن كفارته فالرقيق لا يكفر الا
بالصوم لانه معسر اذ لا يملك شيئا وليس لسيده منعه
من الصوم ان ضره وانما اعتبر العجز وقت الاداء لا وقت
الوجوب قياسا على سائر العبادات ولو ابتدا الصيام
ثم وجد الرقبة لم يلزمه الانتقال عنه لانه امر
به حيث دخل فيه وقال ابو حنيفة يلزمه قياسا
على الصغيرة المعتدة بالشهور اذا رأت الدم قبل
انقضاء عدتها فانها تنتقل الى الحيض اجماعا ويكفيه
نية صوم الكفارة وان لم ينو الولاء فان انكسر الشهر
الاول اتمه من الثالث ثلاثين لتعذر الرجوع فيه الى
الهلال وينقطع التتابع بفوات يوم ولو بعذر كمرض او

سفر

سفر فيجب الاستئناف ولو كان الفائت اليوم الاخير
او اليوم الذي نسيت النية له بخلاف ما اذا فات بجنون
او اغماء مستغرق لمنافاة ذلك الصوم من قبل ان
يتماسا كامر في العتق فان جامع ليلا عصى ولم ينقطع
التتابع لانه ليس محلا للصوم بخلافه نهارا وقال
ابو حنيفة ومالك يبطل بكل حال ويجب عليه ابتداء
الكفارة لقوله تعالى من قبل ان يتماسا فمن لم يستطع
بان عجز عن صوم او ولاء لمرض يدوم شهرين بالظن
المستفاد من العادة في مثله او من قول الاطبا او لمشقة
شديدة تلحقه بالصوم او بولائه ولو كانت المشقة
لشدة شهوة الوطء او خوف زيادة مرض فاطعام
اي فعليه اطعام ستين مسكينا اي من قبل ان
يتماسا حملا للمطلق على المقيد بان يملك كل مسكين
من اهل الزكاة مدا من جنس الفطرة كبر وشعير
واقط ولبن فلا يجزئ خبز ودقيق وسويق وخرج
باهل الزكاة غيره فلا يجزئ دفعها لكافر ولا لهاشمي
ومطلبي ولا لمواليهما ولا لمن تلزمه مؤنته ولا لرقيق
لانها حق الله تعالى فاعتبر فيها صفات الكمال ذلك
اي الترخيص العظيم لكم والرفق بكم والبيان
الثاني من امر الله الذي هو موافق للحنيفية السمحة
ملة ابيكم عليه السلام لتؤمنوا اي لتحقق ايمانكم

Copyright © King Saud University

بالله اي الملك الذي لا امر لاحد معه فتطيعوا بان
تدعوا من امر الجاهلية **ورسوله** اي الذي تعظيمه من
تعظيمه وطارعن في هذا الحكم رهب في الهتاوت
بر بقوله تعالى **وتلك** اي هذه الاحكام العظيمة المذكورة
حدود الله اي اوامر الملك الاعظم ونواهيه التي
يجب امتثالها والتعبد بها لترعى حق رعايتها
فالتزموها وقفوا عندها ولا تعتدوها فانه لا يطاق
انتقامه اذا تعدى نقضه وابرامه **وللكافرين** اي
الغريقين في الكفر بها او بشي من شرايعه **عذاب اليم**
بما الموا المومنين به من الاعتداء فان عجز عن جميع
خصال الكفارة لم تسقط الكفارة عنه بل تبقى باقية
في ذمته الى ان يقدر على شي منها فاذا قدر على
خصلة من خصالها فعلها ولا يتبعض العتق
ولا الصوم بخلاف الاطعام حتى لو وجد بعض مد
اخرجه لانه بدل له وبقي الباقي في ذمته قال الزمخشري
فان قلت فاذا امتنع المظاهر من الكفارة هل
للمراة ان ترافعه قلت لها ذلك وعلى القاضي ان
يجبره على ان يكفر وان يحبسه ولا شي من الكفارات
يجبر عليه ويحبس الا كفارة الظهار وحدها لانه
يضر بها في ترك التكفير وان امتناع بحق الاستمتاع
فيلزم ابدا بحقها فان قيل عليه ان يستغفر ولا يعود

حتى

حتى يكفر لما روي ان سلمة بن صخر البياضي قال لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ظاهرت من امراتي ثم
ابصرت خلخالها في ليلة قمراء فواقعتها فقال عليه الصلاة
والسلام استغفر ربك ولا تعد حتى تكفر انتهى والمراد
بالاستغفار هنا التوبة ولما ذكر تعالى المومنين الواقفين
عند حدوده ذكر المحادين المخالفين لها بقوله تعالى
ان الذين يحادون الله اي يغالبون الملك الاعلى على
حدوده ليجعلوا حدودا غيرها وذلك صورته
صورة العداوة لان المحادة المعاداة والمخالفة في
الحدود وهو كقوله تعالى ومن يشاقق الله **ورسوله** اي
الذي عزه من عزه وقيل يحادون الله اي اولياء
الله كما في الخبر من اهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة
والضمير في قوله تعالى ان الذين يحادون الله يحتمل
ان يرجع الى المنافقين فانهم كانوا يوادون الكافرين
ويظاهرونهم على النبي صلى الله عليه وسلم فاذلهم
الله تعالى بنبيه صلى الله عليه وسلم انهم **كبتوا**
اي اذلوا وقال ابو عبيدة والاخفش اهلكوا وقال
قتادة اخذوا وقال ابو زيد عذبوا وقال السدي لعنوا
وقال الفرا غيظوا يوم الخندق وقيل يوم بدر **كما كبت**
الذين من قبلهم اي المحادين المخالفين رسلهم
كقوم نوح ومن بعدهم ممن اصر على العصيان قال

Copyright © King Saud University

القيامة ومن ضيع لرسول الله صلى الله عليه وسلم او احدث
في دينه بدعة اعرض في هذا السلك وقد انزلنا اي
بما لنا من العظمة عليكم وعلى من قبلكم ايات بينات
اي دلالات عظيمة هي في غاية البيان لذلك ولكل ما يتوقف
عليه الايمان كترك المحادة وتحصيل الازعان وللكا
فرين الراسخين في الكفر بالايات او بغيرها من امر
الله تعالى عذاب مهين بما تكبروا واعتروا على اوليا
الله تعالى وترابعد لهتهم ذلك العذاب ويذهب
عزهم وشماختهم ويتركون به محادتهم وقوله
تعالى يوم منصوب باذكر كما قاله الزمخشري قال
تعظيما لليوم او بلهم اي بالاستقرار الذي تضمنه
لوقوعه خبرا او بفعل مقدر قدره ابو البقا يهانون
او يعذبون او استقر ذلك يوم يبعثهم الله اي الملك
الاعظم جميعا اي حال كونهم مجتمعين الكافرين المصرح
بهم والمومنين المشار اليهم الرجال والنسا احيا كما
كانوا لا يترك منهم احد او قبل مجتمعين في حال واحد
فينبئهم اي يخبرهم اخبارا عظيما مستقصى بما
عملوا تخجيلا وتوبيخا وتشهيرا لحالهم احصاه الله
اي احاط به عددا كما وكيفا وزمانا ومكانا بما له من
صفات الجلال ونسوه لانهم لم يعتقدوا ثوابه حين
ارتكبوه ولم يبالوا به لغرورهم بالمعاصي ولم يلتفتوا

معظمات

٦

معظمات الامور او لخروجه عن الحد في الكثرة فكيف كل
واحد على انفراده والله اي بما له من القدرة الشاملة
والعلم المحيط على كل شي على الاطلاق شهيد اي
حفيظ حاضر لا يغيب ورقيب لا يغفل ثم انه تعالى
اكد بيان كونه عالما بكل المعلومات فقال جل ذكره
الم تر اي تعلم علما هو في وضوحه كالروية بالعين
ت ان الله اي الذي له صفات الكمال كلها يعلم ما في السموا
كلها وما في الارض كذلك كلياته ذلك وجزئياته
لا يغيب عنه شي منه بدليل ان تدبيره محيط بذلك
يد على اتم ما يكون وهو يخبر من شا من انبيائه واصفيا
بما شا من اخبار ذلك القاصية والدانية الما
ضية والاتية فيكون كذا خبر وقوله تعالى ما يكون
من نجوى يكون فيه من كان التامة ومن نجوى فاعلها
ومن مزيدة فيه اي ما يقع من تناجي ثلاثة ويجوز
ان يقدر مضاف اي اهل نجوى فيكون ثلاثة صفة
لاهل وان يحول نجوى بمتناجين جعلوا نجوى مبالغة
فتكون ثلاثة صفة للنجوى واشتقاقها من النجوة
وهي ما ارتفع من الارض فان السر يرتفع الى الذهن
لا يتيسر لكل احد ان يطلع عليه وقوله تعالى الا هو
رابعهم استثنا من اعم الاحوال اي ما توجد شي
من هذه الاشيا في حال من الاحوال الا وهو يعلم

نجواهم كانه حاضر معهم وشاهد لهم كما يكون نجواهم
عند الرابع الذي يكون معهم ولا خمسة اي من نجواهم
كما مر فان قيل ما الداعي الى تخصيص الثلاثة والخمسة
اجيب بوجهين احدهما ان قوما من المنافقين
تخلفوا للتناجي فيما بينهم دون المومنين وينظرون
الى المومنين ويتغامزون باعينهم مغايظة للمومنين
على هذين العددين ثلاثة وخمسة فقيل ما يتناجى
منهم ثلاثة ولا خمسة كما تروهم يتناجون ولا ادنى
من ذلك اي من عددهم ولا اكثر اي من ذلك
الا هو معهم يسمع ما يقولون اينما اي في اي مكان
كانوا فانه لا مسافة بينه وبين شيء فقد روي
عن ابن عباس انها نزلت في ربيعة وحبيب
بن عمرو وصفوان ابن امية كانوا يتحدثون فقال
احدهم اترى ان الله يعلم ما نقول فقال الاخر
يعلم بعضا ولا يعلم بعضا وقال الثالث ان كان يعلم
بعضا فهو يعلم كله وصدق لان من علم بعض الاشيا
بغير سبب فقد علمها كلها لان كونه عالما بغير سبب
ثابت له مع كل معلوم والوجه الثاني انه قصد ان
يذكر ما جرت عليه العادة من اعداد اهل النجوى
والمتخالفين للشورى والمندوبين لذلك ليسوا بكل
احد وانما هم طائفة مجتباة من اولي النهى والاحلام

ورهطا

ورهطا من اهل الراي والتجارب واول عددهم اثنان
فصاعدا الى خمسة الى ستة الى ما اقتضته الحال وحكم
به الاستصواب الا ترى الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه
كيف ترك الامر شورى بين ستة ولم يتجاوز بها الى سابع
فذكر عز وجل الثلاثة والخمسة وقال ولا ادنى من ذلك
فدل على الاثنين والاربعة وقال ولا اكثر فدل على ما يلي
هذا العدد ويقاربه وروي انه صلى الله عليه وسلم
قال في خطبته الكبرى اخرجها الحارث ابن ابي سلمة
اسامة رقا المنبر وقال يا ايها الناس ادنوا واسمعوا
لمن خلفكم ثلاث مرات فدنى الناس وانضم بعضهم
الى بعض والتفتوا فلم يروا احدا فقال رجل منهم
الثالثة لمن نسمع يا رسول الله الملائكة فقال لا انهم
اذا كانوا معكم لم يكونوا بين ايديكم ولا خلفكم ولكن
عن ايمانكم وعن شمائلكم وعلى ذلك فليسوا في
مكان الايمان هنا والشمائل بل في المكانة من ذلك
فالله جل جلاله اعلا واجل وانزه مكانة واستوا
ثم ينبئهم اي يخبر اصحاب النجوى اخبارا عظيما بما
عملوا دقيقه وجليله يوم القيامة الذي هو المراد
الاعظم من الوجود لاظهار الصفات العلى فيه اتم
اظهار ان الله الذي له الكمال كله بكل شيء اي مما ذكر
وغيره عليم اي بالغ العلم فهو على كل شيء شهيد

اكرم

Copyright © King Saud University

وهذا تحذير من المعاصي وترغيب في الطاعات واختلف
في سبب نزول قوله تعالى الم تر انه تعلم علما هو كالروية
الى الذين نهوا عن النجوى فقيل في اليهود وقيل في
المنافقين وقيل في فريق من الكفار وقيل في فريق
من المسلمين لما روي ابو سعيد الخدري قال كنا ذات
ليلة نتحدث اذ خرج علينا رسول الله عليه وسلم
فقال صلى الله عليه وسلم ما هذه النجوى فقلنا تبنا
الى الله تعالى يا رسول الله انا كنا في ذكر المسيح يعني الدجال
فرقا منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا اخبركم بما هو اخوف عندي منه قلنا بلى يا رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال الشرك الخفي ان يقوم
الرجل يعمل لمكان رجل ذكره الماوردي وقال ابن
عباس نزلت في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون
فيما بينهم وينظرون للمومنين ويتغامزون باعينهم
يوهمون المومنين انهم يتناجون فيما يسوءهم
فيحزنون لذلك ويقولون ما نراهم الا وقد بلغهم
من اخواننا الذين خرجوا في السرايا قتل او موت
او هزيمة فيقع ذلك في قلوبهم ويحزنهم فلما طال
ذلك عليهم واشتكوا الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فامرهم ان لا يتناجوا دون المسلمين
فلم ينتهوا عن ذلك وعادوا الى مناجاتهم فانزل

صلى

الله

11

الله تعالى الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون
اي على سبيل الاستمرار لانه وقع مرة وبادروا الى
التوبة منها او فلته معفوا عنه لما نهوا عنه اي من
غير ان يعيدوا لما يتوقع من جهة الناهي من الضرر
عنده ويتناجون اي يقبل بعضهم على المناجاة
اقباله واحدا فيفعل كل منهم منها ما يفعله الاخر
مرة بعد اخرى على سبيل الاستمرار وقرا حمزة بعد اليا
نون ساكنة وبعدها تا فوقية مفتوحة وبعد النون
الف وفتح الجيم بالاثم اي بالشي الذي لا يثبت علمهم
به الذنب وبالكذب وبما لا يحل والعدوان اي العدوان
الذي هو نهاية في قصر الشر بالافراط في مجازاة
الحدود ومعصية الرسول اي مخالفة الذي جا
اليهم من الملك الاعلى وهو كامل في الرسالة لكونه
مرسلا الى جميع الخلق وفي كل الازمان فلا نبي بعده
فهو لذلك مستحق غاية الاكرام فائدة رسمت
معصيت في الموضعين بالتا المجرورة واذا وقف
عليها ابو عمرو وابن كثير والكسائي بالها في الوقف
والكسائي بالامالة في الوقف على اصله ووقف
الباقون بالتا على الرسم واتفقوا في الوصل على
التاء واذا جاءوك اي يا اشرف الخلق حيوك اي
واجهوك بما يعدونه تحية بما لم يحيك به الله

Copyright © King Saud University

اي الملك الاعلى الذي لا امر لاحد معه وذلك ان اليهود
كانوا يدخلون على النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون
السام عليك والسام الموت ويوهمون انهم يقولون
السلام عليك وكان النبي صلى الله عليه وسلم يرد
عليهم فيقول وعليكم فقالت السيدة عائشة السام
عليكم ولعنة الله وغضبه عليكم فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم مهلا يا عائشة عليك بالرفق واياك
والعنف والفحش فقالت اولم تسمع ما قالوا يا رسول الله
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اولم تسمعي ما قلت
رددت عليهم فيستجاب لي فيهم ولا يستجاب لهم في
وقال النبي صلى الله عليه وسلم عند ذلك اذا سلم
عليكم اهل الكتاب فقولوا عليك ما قلت فانزل الله
تعالى واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله وروي
انس انه صلى الله عليه وسلم قال اذا سلم عليكم
اهل الكتاب فقولوا وعليكم بالواو فقال بعض العلما
ان الواو العاطفة تقتضي التشريك فيلزم منه
ان ندخل معهم فيما دعوا به علينا من الموت او من
سامة ديننا وهو السام وقال بعضهم الواو زائدة كما
زيدت في قول الشاعر ، فلما اجزنا ساحة الحي وانتحى
، اي لما اجزنا انتحى فزاد الواو وقال اخرون هي للاستيناف كانه قيل والسام عليكم وقال اخرون

وهو الملال يقال سائم
سام سامة وهو

هي

هي على بابها من العطف ولا يضرنا ذلك لانا نجاب عليهم ولا
يجابون علينا كما تقدم في قوله صلى الله عليه وسلم لعا
تنبيه اختلف العلما في رد السلام على اهل الذمة فقال
ابن عباس والشعبي وقتادة هو واجب لظاهر الامر بذلك
وقال مالك ليس بواجب فان رددت فقل عليك وعندنا
يجب ان يقول له وعليك لما مر في الحديث وقال بعضهم
يقول في الرد علاك السلام اي ارتفع عنك وقال بعض
المالكية يقول في الرد السلام عليك بكسر السين يعني
الحجارة ولما كانوا يخفون ذلك جهدهم ويظنون
بانه الله تعالى لم يعلمه صلى الله عليه وسلم
لا يطلع عليه وان اطلع عليه لم يقدر ان ينتقم
منهم عبر عن ذلك بقوله تعالى ويقولون في انفسهم
من عندان يطلع عليه احد لولا اي هلا ولم لا
يعذبنا الله اي الذي له الاحاطة بكل شي بما نقول
اي لو كان نبيا لعذبنا الله بما نقول وقيل قالوا انه
يرد علينا ويقول وعليكم السام فلو كان نبيا لاستجيب
له فينا ومتنا وهذا موضع تعجب منهم فانهم
كانوا اهل الكتاب وكانوا يعلمون ان الانبيا عليهم
الصلاة والسلام كانوا يغضبون فلا يعاجلون من
يغضبهم بالعذاب حسبهم اي كافيهم في الانتقام
جهنم اي الطبقة التي تلقاهم بالتجهم والعبوسة

بتة

Copyright © King Saud University

والمفاظة فان حصل لهم في الدنيا عذاب كان زيادة
على الكفاية فاستحقاقهم بالعذاب محض رعونة يصلونها
أي يقاسون عذابها دائما فانا قد اعددناها لهم
فبئس المصير أي مصيرهم يا أيها الذين آمنوا أي ادعوا
الايمان وحدوا هذه الحقيقة إذا تناجيتم أي اطلع كل
منكم الكلام من نفسه فرفعه وكشفه لصاحبه سرا
فلا تتناجوا أي توحدوا هذه الحقيقة بالاثم والعدوان
ومعصية الرسول أي الكامل في الرسالة كفعل المنا
فقين واليهود وقال مقاتل اراد تعالى بقوله امنوا
المنافقين امنوا بلسانهم وقال عطا يريد الذين
امنوا بزعمهم وقيل يا أيها الذين امنوا بموسى
وتناجوا بالبر والتقوى أي الطاعة والعفاف عما
نهى الله تعالى عنه واتقوا الله أي اقصدوا وا
قصدوا بتبعة العمل بان تجعلوا بينكم وبين سخط
الملك الاعظم وقاية الذي اليه خاصة تحشرون
أي تجمعون بايسر امر واسهله بقهره وكره وهو يوم
القيامة فيتجلى فيه سبحانه للحكم بين الخلق وان
نصاف بعضهم من بعض بالعدل ومحاسبتهم على النقير
والقطمير لا يخفى عليه خافية ولا تأتي منه واقية
انما النجوى أي المعهودة وهي المنهي عنها من الشيطان
أي مبتداة ومعدة من المحترق بطرده عن رحمة

الله

الله تعالى فانه الحامل عليها بتزيينها قفا عليها تابع
لاعدائه أي اعدائه المخالفين لاعظم اوليائه ليحزن أي
الشيطان الذين آمنوا أي ليوقعهم في الهم بسبب ما وقع
مما يوذيهم والحزن هو غيظ وتوجع يرق يقال حزنه
واحزنه بمعنى قال في القاموس او احزنه جعله حزينا
وقرا نافع بضم الياء وكسر الزاي من احزن والباقون
بفتح الياء وضم الزاي من حزن والقراءة الاولى اخذ
في المعنى على ما في القاموس وليس أي الشيطان او
ما حمل عليه من التناجي بضارهم أي الذين امنوا
شيئا من الضرر وان قل الا باذن الله أي بمشيئته
الملك المحيط علما وقدرة فان قيل كيف لا يضرهم
ذلك ولا يحزنهم الا باذن الله اجيب بانهم
كانوا يوهمون المؤمنين في نجواهم وتناجيهم ان
غزاتهم غلبوا وان اقاربهم قتلوا فقال تعالى
لا يضرهم الشيطان والحزن بذلك المؤمنين الا باذن
الله تعالى أي بمشيئته وهو ان يقضي الموت على
اقاربهم والغلبة على الغزاة وعلى الله أي الملك
الذي لا كفو له لا على احد غيره فليتوكل المؤمنون
أي الراسخون في الايمان في جميع امورهم فانه
القادر وحده على اصلاح خوفها وافسادها فلا يحزنوا
من احد ان يكيدهم بسره ولا بجهره فانه حسبهم

قون

Copyright © King Saud University

توكلوا عليه وفوضوا امورهم اليه وخص الراسخون
لامكان ذلك منهم في العادة واما اصحاب البدايات فلا
يكون ذلك منهم الا خرق عادة روي ابن عمر ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى
اثنان دون الثالث الا باذنه فان ذلك يحزنه وعن
عبد الله بن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال اذا كان ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون
الاخر حتى يختلطوا بالناس من اجل ان يحزنه فبين
في هذا الحديث غاية المنع وهو ان يجد الثالث من
يتحدث معه كما فعل ابن عمر وذلك انه كان يتحدث
مع رجل فجاء اخر يريد ان يناجيه فلم يناجه
حتى دعا رابعا فقال له وللاول تاخرا وناجى الرجل
الطالب للمناجاة خرجه في الموطا ونبه على العلة
بقوله من اجل ان يحزنه اي يقع في نفسه ما يحزن
لاجله وعلى هذا يستوي في ذلك كل الاعداد فلا
يتناجى اربعة دون واحد ولا عشرة ولا الف مثلا
لوجود ذلك المعنى في حقه بل وجوده في العدد
الكثير امكن واوقع فيكون بالمنع اولى وانما خص
الثلاثة بالذكر لانه اول عدد يتاتى ذلك فيه
قال القرطبي وظاهر الحديث يعم جميع الازمان
والاحوال وذهب اليه ابن عمر ومالك والجمهور

وسوا

وسواء كان التناجي في واجب او مندوب او مباح فان
الحزن ثابت به وقد ذهب بعض الناس الى ان ذلك في اول
الاسلام لان ذلك كان حال المنافقين فيتناجى المنا فقون
دون المومنين فلما فشى الاسلام سقط ذلك وقال
بعضهم ذلك خاص بالسفر وفي المواضع التي لا يامن الرجل
فيها صاحبه فاما في الحضر وبين العمارة فلا لانه
يجد من يغيثه بخلاف السفر فانه مظنة الاغتيال
وعدم المغيث ولما نهى المومنين عما يكون سببا للتباغض
والتنافر امرهم الان بما يصير سببا لزيادة المحبة
والمودة بقوله تعالى **يا ايها الذين امنوا اذا قيل** اي
الذين اتصفوا بهذا الوصف **اذا قيل لكم** من اي قايل
كان فان الخير يرغب فيه لذاته **تفسحوا** اي توسعوا
اي كلفوا انفسكم في اتساع المواضع **في المجلس** اي
الجلوس او مكانه لاجل من ياتي فلا يجد محلا يجلس
فيه قال قتادة ومجاهد كانوا يتنافسون في
مجلس النبي صلى الله عليه وسلم فامرهم ان يفسح
بعضهم لبعض وقال ابن عباس المراد بذلك مجالس
القتال اذا اصطفوا للحرب قال الحسن ويزيد ابن
حبيب كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا قاتل المشر كين
تشاح اصحابه على الصف الاول فلا يوسع بعضهم لبعض
رغبة في القتال والشهادة فنزلت فيكون كقوله

Copyright © King Saud University

تعالى مقاعد للقتال وقال مقاتل كان النبي صلى الله
عليه وسلم في الصفة وكان في المكان ضيق وكان يكرم
اهل بدر من المهاجرين والانصار فجاء ناس من اهل
بدر وقال سبقوا الى المجلس فقاموا قبل النبي
صلى الله عليه وسلم ثم ما يجلسهم على القيام وشق ذلك
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لمن حوله
من غير اهل بدر قم يا فلان بعدد القائمين منه من اهل
بدر فشق ذلك على من قام وعرف النبي صلى
الله عليه وسلم الكراهة في وجوههم فقال المنافقون
والله ما عدل على هولاء ان قوما اخذوا مجالسهم
واحبوا القرب منه فاقامهم واجلس من ابطأ
فنزلت الاية يوم الجمعة وروي عن ابن عباس
قال نزلت الاية في ثابت بن قيس بن شماس وذلك
انه دخل المسجد وقد اخذ القوم مجالسهم وكان
يريد القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم
للوقر اي الصمم الذي كان في اذنيه فوسعوا له حتى
قرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ضايقه
بعضهم وجرى بينه وبينهم كلام فنزلت وقد
تقدمت قصته في سورة الحجرات وقرأ عاصم بفتح
الجيم والف بعدها جمعا لان لكل جالس مجلسا اي
فليفسح كل واحد في مجلسه والباقون بسكون الجيم

ولا الفا افرادا قال البغوي لان المراد منه مجلس النبي
صلى الله عليه وسلم وقال القرطبي الصحيح في الاية
انها عامة في كل مجلس اجتمع المسلمون فيه للخير والاجر
سواء كان واحد احق بمكانه الذي سبق اليه قال صلى
الله عليه وسلم من سبق الى ما لم يسبق اليه فهو احق به
ولكن يوسع لاخيه ما لم يتأذ بذلك فيخرجه الضيق
من موضعه فيكون المراد بالمجلس الجنس ويؤيده
قراءة الجمع **فافسحوا** اي وسعوا فيه عن سعة صدر **يفسح**
الله اي الذي له الامر كله **لكم** في كل ما تكرهون ضيقه
من الدارين وقال الرازي هذا مطلق في ما يطلب الناس
الفسحة فيه من المكان والرزق والصدر والقبر
والجنة قال ولا ينبغي للعاقل ان يقيد الاية بالتفسح
في المجلس بل المراد منه ايصال الخير الى المسلم
وادخال السرور في قلبه **واذا قيل** اي من اي قائل
كان لمعنى اذا كان يريد الاصلاح والخير **انشزوا**
اي ارتفعوا وانهضوا الى الموضع الذي تؤمرون به
او تقتضيه الحال للتوسعة او غيرها من الاوامر
كالصلاة والجهاد **فانشزوا** اي ارتفعوا وانهضوا
يرفع الله اي الذي له جميع صفات الكمال **الذين امنوا**
وان كانوا غير علماء **منكم** ايها المامورون بالتفسح
السامعون للاوامر المتبادرون اليها بطاعتهم

Copyright © King Saud University

لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفيا مهم في مجا
لسهم وتوسعهم لاخوانهم والذين اوتوا العلم درجات
يجوز ان يكون معطوفا على الذين امنوا فهو من عطف الخاص
على العام لان الذين اوتوا العلم بعض المومنين منهم
ويجوز ان يكون والذين اوتوا من عطف الصفات لذات
واحدة كانه قيل يرفع الله المومنين العلما ودرجات
مفعول ثان وقال ابن عباس تم الكلام عند قوله
تعالى منكم وينتصب الذين اوتوا بفعل مضمر اي
ويخص الذين اوتوا العلم درجات او ويرفع درجات
قال المفسرون في هذه الاية ان الله تعالى رفع
المومن على من ليس بمومن والعالم على من ليس بعالم
قال ابن مسعود مدح الله تعالى العلما في هذه
الاية والمعنى ان الله تعالى يرفع الذين اوتوا العلم
على الذين امنوا ولم يوتوا العلم درجات في دينهم
اذا فعلوا ما امروا به وقال تعالى وقل رب زدني
علما وقال تعالى انما يخشى الله من عباده العلما
والايات في ذلك كثيرة معلومة واما الاحاديث
فكثيرة مشهورة منها من يرد الله به خيرا يفقهه
في الدين وروي ان عمر رضي الله تعالى عنه كان يقدم
عبد الله بن عباس على الصحابة رضي الله تعالى عنهم
فكلموه في ذلك فدعاهم ودعاه فسالهم عن تفسير

اذا جاء نصر الله والفتح فسكتوا فقال ابن عباس هو اجل
رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلمه الله اياه فقال
عمر ما اعلم منها الا ما تعلم ومنها انه صلى الله
عليه وسلم قال لا حسد الا في اثنتين رجل اتاه الله
مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل اتاه الحكمة
فهو يقضي بها ويعلمها والمراد بالحسد الغبطة وهي ان
تتمنى مثله ومنها انه صلى الله عليه وسلم قال لعلي
كرم الله وجهه لان يهدي الله بك رجلا واحدا خير
لك من حمر النعم ومنها انه صلى الله عليه وسلم
قال من جاءه اجله وهو يطلب العلم ليحيي به الاسلام
لم يفضله النبيون الا بدرجة واحدة ومنها انه
صلى الله عليه وسلم قال بين العالم والعابد مائة
درجة بين كل درجتين حضر الجواد المضمر سبعين
سنة ومنها انه صلى الله عليه وسلم قال فضل العالم
على العابد كفضل القمر ليلة البدر على ساير الكواكب
وفي رواية كفضلي على ادناكم ومنها انه صلى الله
عليه وسلم قال ان الله اوحى الى ابراهيم عليه
السلام اني عليم احب كل عليم ومنها انه صلى الله
عليه وسلم قال يشفع يوم القيامة ثلاثة الانبيا
ثم العلما ثم الشهدا فاعظم منزلة هي واسطة بين
النبوة والشهادة بشهادة رسول الله صلى الله عليه

ومنها انه صلى الله عليه وسلم مر بمجلس في مسجده احد
المجلسين يدعون الله تعالى ويرغبون اليه والاخر
يتعلمون الفقه ويعلمونه فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم كلا المجلسين على خير واحدا افضل من صاحبه
اما هولاء فيدعون الله عز وجل ويرغبون اليه
واما هولاء فيتعلمون الفقه ويعلمون الجاهل فهولاء
افضل وانما بعثت معلما ثم جلس فيهم والاحاديث
في ذلك كثيرة جدا واما اقوال السلف فلا تحصر فمنها
ما قاله ابن عباس ان سليمان عليه السلام خير بين
العلم والمال والملك فاختار العلم فاعطي المال
والملك معه وما قاله بعض العلماء ليت شعري اي شي
ادرك من فاته العلم واي شي فات من ادرك
العلم وما قاله الاحنف كاد العلماء يكونون اربابا
وكل عز لم يوكد بعلم فالى ذل ما يصير وما قاله
الزهري العلم ذكر فلا يحبه الا ذكور الرجال وما قاله
ابو مسلم الخولاني مثل العلماء في الارض مثل النجوم
في السما اذا بدت للناس اهتدوا بها واذا خفيت
عنهم تحيروا وما قاله معاذ تعلموا العلم
فان تعلمه لك حسنة وطلبه عبادة ومذاكرته
تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه من لا يعلمه
صدقة وبذله لاهله قربة وما قاله علي العلم

خير

خير من المال العلم يحرسك وانت تحرس المال والمال
تنقصه النفقة والعلم يزكو بالانفاق وما قاله
ابن عمر مجلس فقه خير من عبادة ستين سنة وما
قاله الشافعي من ان طلب العلم افضل من صلاة النا فلة
وقال ليس بعد الفرائض افضل من طلب العلم وقال من
اراد الدنيا فعليه بالعلم ومن اراد الاخرة فعليه
بالعلم فانه يحتاج اليه في كل منهما وقد ذكرت في اول
شرح المنهاج من الاحاديث ومن اقوال السلف
ما يسر الخاطر الراغب في الخير وفيما ذكرته هنا كفاية
لاولي الابصار والله اي والحال ان المحيط بكل شي
قدرة وعلما بما تعملون اي بحال الامر وغيره خبير
اي عالم بظاهره وباطنه فان كان العلم مزينا
بالعمل بامتثال الاوامر واجتناب المناهي وتصفية
الباطن كانت الرفعة على حسبه وان كان على غير
ذلك فكذلك واختلفوا في سبب نزول قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا اي ادعوا الهما وجدوا هذه
الحقيقة اغنيا كانوا وفقرا اذا ناجيتم الرسول
اي اردتم مناجاته الذي لا اكمل منه في الرسالة
الاية فقال ابن عباس ان المسلمين كانوا يكثرون
المسايل على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
شقوا عليه فانزل الله تعالى هذه الاية فكف كثير من

Copyright © King Saud University

الناس وقال الحسن ان قوما من المسلمين كانوا يستخلون
بالنبي صلى الله عليه وسلم يناجونه فظن بهم
قوم من المسلمين انهم ينتقصونهم في النجوى فشق
عليهم ذلك فامرهم الله تعالى بالصدقة عند
النجوى ليقطعهم عن استخلائه وقال زيد بن اسلم
ان المنافقين واليهود كانوا يناجون النبي صلى الله
عليه وسلم ويقولون انه اذن يسمع كلما قيل له وكان
لا يمنع احدا من مناجاته فكان ذلك يشق على
المسلمين لان الشيطان كان يلقي في انفسهم انهم
يناجونه ان جموعا اجتمعت لقتاله فنزلت يا ايها
الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول اي اردتم مناجاته
فقدموا اي قبيل نفاذ الارادة وقوله تعالى
بين يدي نجواكم استعارة ممن له يدان والمعنى
قبل نجواكم التي هي سركم الذي تريدونه ان ترفعوا
صدقة لقول عمر من افضل ما اوتيت العرب
الشعر يقدمه الرجل امام حاجته فيستمطر به
الكريم ويستنزل به اللئيم يريد قبل حاجته
والصدقة تكون لكم برهانا على اخلاصكم كما ورد
ان الصدقة برهان فهي مصدقة لكم في دعوى
الايمان بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم
وبكل ما جاء به من عند الله تعالى تنبيه

ظاهر

ظاهر الاية يدل على ان تقديم الصدقة كان واجبا لان
الامر للوجوب ويؤكد ذلك قوله تعالى بعده فان لم
تجدوا فان الله غفور رحيم وقيل كان مندوبا
لقوله تعالى ذلك اي التصدق خير لكم واطهر اي
لانفسكم من الريبة وحب المال وهذا انما يستعمل
في التطوع لا في الواجب ولانه لو كان واجبا لما ازيل
وجوبه والكلام متصل به وهو قوله تعالى فان لم
تجدوا الاية واجيب عن الاول بان المندوب
كما يوصف بانه خير واطهر فكذلك ايضا يوصف بانه
الواجب وعن الثاني بانه لا يلزم من اتصال الايتين
في التلاوة كونهما متصلتين في النزول كما قيل في
الاية الدالة على وجوب ان يعتد اربعة اشهر
وعشرا انها ناسخة للاعتداد بحول وان كان
الناسخ متقدما في التلاوة وعن علي انه قال لما
نزلت دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
ما تقول في دينار صلى الله عليه وسلم فقال ما تقول
في دينار قلت لا يطيقونه قال كم قلت حبة او
شعيرة قال انك لزهيد فلما راوا ذلك اشتد عليهم
فارتدعوا اما الفقير فلعسرته واما الغني فلشحه
واختلف في مقدار تاخر الناسخ عن المنسوخ في هذه
الاية فقال الكلبي ما بقي ذلك التكليف عشرة ايام ثم

Copyright © King Saud University

ثم نسخ لما روي عن علي انه قال ان في كتاب الله تعالى اية
ما عمل بها احد قبلي ولا يعمل بها احد بعدي كان لي دينار
فصرفته فكنت اذا ناجيته تصدقت بدرهم وفي
رواية عنه فاشتريت به عشرة دراهم وكلما فاجيت
النبي صلى الله عليه وسلم قدمت بين يدي نجواي
درهما ثم نسخت فلم يعمل بها احد وعن ابن عباس
انهم نهوا عن المناجاة حتى يتصدقوا فلم يناج
احد الا علي تصدق بدينار وعدم عمل غيره لا يقدح
فيه لاحتمال ان يكون لم يجد عند المناجاة شيئا
او لا يكون احتاج الى المناجاة ثم نزلت الرخصة
وعن ابن عمر كان لعلي ثلاث لو كان لي واحدة
منهن كانت احب الي من حمر النعم تزويجه فاطمة
واعطاوه الراية يوم خيبر واية النجوى واختلفوا في
الناسخ لذلك فقيل هي منسوخة بالزكاة والاكثر
المفسرين انها منسوخة بالاية التي بعدها وهي أأشفقتم
كما سياتي وكان علي يقول وخفف بي عن هذه الامة
فان لم تجدوا اي ما تقدمونه فان الله اي الذي له
جميع صفات الكمال غفور رحيم اي له صفتا البر
للمساوي والاكرام باظهار المحاسن على الدوام فهو
يغفر ويرحم تارة بعدم العقاب للعاصي وتارة
بالتوسعة للضيق بان ينسخ ما شق اي ما يحرج وقوله

تعالى

تعالى أأشفقتم خشيتم العيلة لما يعدكم به الشيطان
من الفقر خوفا كادت ينفطر قلوبكم ان تقدموا اي
باعطا الفقرا وهم اخوانكم بين يدي نجواكم اي للنبي
صلى الله عليه وسلم صدقات وجمع لانه اكثر توبيخا
من حيث انه يدل على ان النجوى تتكرر استفهاما ترد
معناه التقرير وهو الناسخ عند الاكثر كما مر وقرأ
نافع وابن كثير وابو عمرو وهشام بتسهيل الثانية
بخلاف عن هشام وادخل بينهما الالف قالون وابو عمرو
وهشام والباقون بتحقيقهما ولا ادخال وان وكي
محققة بلا خلاف فاذ اي حين لم تفعلوا اي ما ا
مرتم به من الصدقة للنجوى بهذا الاشفاق وتاب مرتكم
الله اي الملك الاعلى عليكم اي رجع بكم عنها
اي نسخها عنكم تخفيفا عليكم فاقيموا اي بسبب
العفو عنكم شكرا اي على هذا الكرم والحلم الصلاة
التي هي طهرة الارواح وصلة لكم بربكم واتوا
الزكاة التي هي براءة الابدان وتطهير ونماء لاموالكم
وصلة لكم باخوانكم ولا تفرطوا في شيء من ذلك
فتهملوه فالصلاة نور يهدي الى المقاصد الدنيوية
والاخروية وتعين على نوائب الدارين والصدقة
برهان على صحة القصد في الصلاة ثم عمم بعد ان
خصص اشرف العبادات البدنية واعلا المناسك

Copyright © King Saud University

المالية بقوله تعالى واطيعوا الله اي الذي له الكمال كله
ورسوله اي الذي عظمته من عظمته في سائر
ما يامركم به فانه تعالى ما امركم لاجل اكرام رسولكم
صلى الله عليه وسلم الا بالحنيفية السمحة والله
اي الذي احاط بكل شي قدرة وعلما خبير بما تعملون
اي يعلم بواطنكم كما يعلم ظواهركم لا يخفى عليه خافية
المرتر اي تنظر يا اشرف الخلق الى الذين تولوا
اي تكلفوا بغاية جهدهم وهم المنافقون اي جعلوا
اولياءهم الذين يتولون لهم امورهم قوما وهم
اليهود ابتغوا عندهم العزة اغترارا بما يظهر لهم
منهم من القوة غضب الله اي الملك الاعلى الذي
لا بد له عليهم اي المتولي والمتولى لهم ما هم
اي المنافقون منكم اي المومنين ولا منهم
اي اليهود بل هم مذبذبون وزاد في الشناعة
عليهم باقبح الاشياء بقوله تعالى ويحلفون اي
المنافقون يجددون الحلف على الاستمرار ودل
باداة الاستعلاء على انهم في غاية الجراة على استمرارهم
على الايمان الكاذبة باب التعمد بحيث يبنون على الكذب
في دعوى الاسلام وغير ذلك مما يعقبون فيه من
غطايا الانام فاذا عوتبوا عليه بادروا الى الايمان
وهم يعلمون انهم كاذبون متعمدون روي ان عبد

الله

الله بن نبتل كان يجالس رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم يرفع حديثه الى اليهود فبينا رسول الله صلى
الله عليه وسلم في حجرة من حجره اذ قال لاصحابه يدخل
عليكم الان رجل قلبه قلب جبار وينظر بعيني شيطان
فدخل ابن نبتل وكان ازرق العينين اسمر قصير
خفيف اللحية فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
فعلت فانطلق فجاء باصحابه فحلفوا بالله ما سبوه فنزلت
اعد الله اي الذي له العظمة الباهرة فلا كفوء له
لهم عذابا اي امرا قاطعا لكل عذوبة شديدا
اي لا طاقة لهم به ثم علل عذابهم بما دل على
انه واقع في اتم مواقعه بقوله تعالى موكدا تقبيحا على
من كان يحسن فعالهم انهم ساء اي بلغ الغاية
مما يسوء ودل على ان ذلك لهم كالجبلة بقوله تعالى
ما كانوا يعملون اي يجددون عمله مستمرين عليه
لا ينفكون عنه قال الزمخشري او هي حكاية ما يقال
لهم في الاخرة اتخذوا ايمانهم اي الكاذبة التي
لا يقدرون على من في قلبه مثقال حبة من خردل
من ايمان جنة وقاية وسترة من كل ما يفضحهم
من النفاق كالبناء من ما كان فصدوا اي قبول ذلك
منهم وتاخر عقابهم سببا لانهم عرضهم الصد
عن سبيل الله اي شرع الملك الاعلى الذي هو طريق

كان

اي رضوانه الذي هو سبب الفوز الاعظم فانهم كانوا
يثبطون من لقوا عن الدخول في الاسلام ويضعفون
امره ويحقرونه ومن راهم قد خلصوا من المكاره
بايمانهم الخائنة ووردت عليهم الارزاق استدراجا
وحصلت لهم الرفعة عند الناس بما يرضونه من
اقوالهم المؤكدة بالايمان ونحو ذلك فاتبع سنتهم في
اقوالهم وافعالهم ونسج على منوالهم غرورا انتهى
بطالو امرهم معرضا عما توعدهم الله تعالى عليه
من جزا خداعهم وامرهم واجرى الامر على
اسلوب التهكم باللام التي تكون في المحبوب فقال
تعالى فلهم اي فتسبب عن صدهم انه كان
لهم عذاب مهين جزاء لما طلبوا بذلك الصدا
عزاز انفسهم واهانة اهل الاسلام لن تغني
اي بوجه من الوجوه عنهم اموالهم اي في الدنيا
ولا في الاخرة بالافتدا ولا بغيره ولا اولادهم
اي بالنصرة والمدافعة من الله اي عذابا مبتدا من
الملك الاعلى شيا ولو قل جدا فنفي ارادتهم سبحانه
كان وتغني بمعنى لا يدفعه شي تكذيبا لمن قال
منهم لان كان يوم القيامة لنكونن اسعد فيه
منكم كما نحن الان ولنحمين بانفسنا واموالنا
واولادنا اولئك اي البعدا من كل خير اصحاب النار

هم

هم اي خاصة فيها خالدون اي دائمون لازمون
الى غير نهاية وقوله تعالى يوم منصوب باذكر اي
واذكر يوم يبعثهم الله اي الذي له جميع صفات
الكمال جميعا فلا يترك احدا منهم ولا من غيرهم
الا اعاده الى ما كان قبل موته فيحلفون اي فيتسبب
عن ظهور القدرة التامة لهم ومعاينة ما كانوا يكذبون
به انهم يحلفون له اي الله في الاخرة انهم مسلمون
فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين ونحو ذلك كما
يحلفون لكم في الدنيا انهم منكم وقال ابن عباس
يحلفون لله تعالى يوم القيامة كذبا كما حلفوا لاوليا يد
في الدنيا وهو قولهم والله ربنا ما كنا مشركين
ويحسبون اي في القيامة بايمانهم الكاذبة انهم على
شي اي يحصل لهم به نفع بانكارهم وحلفهم
وقيل يحسبون في الدنيا انهم على شي لانهم في الاخرة
يعلمون الحق باضطرار والاول اظهر والمعنى انهم
لشدة توغلهم في النفاق ظنوا يوم القيامة انهم
يمكنهم ترويج كذبهم بالايمان الكاذبة على علام
الغيوب والبيد الاشارة بقوله تعالى ولو ردوا لعادوا
لما نهوا عنه وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ينادي مناد يوم القيامة اين خصما
الله تعالى فتقوم القدرية مسودة وجوههم

Copyright © King Saud University

منزرقة اعينهم بهايل سد قهم بشكل لعابهم فيقولون
والله ما عبدنا من دونك شمسا ولا قمرا ولا صنما ولا
اتخذنا من دونك الها قال ابن عباس صدقوا والله
اتاهم الله من حيث لا يعلمون ثم تلا ويحسبون انهم
على شئ وقرا ابن عامر وعاصم وحمزة بفتح السين
والباقون بكسرها الا انهم هم الكاذبون اي المحكوم
بكذبهم في حسبانهم هو والله القدرية ثلاثا استحوذ
اي استولى عليهم الشيطان مع انه طريد ومحترق
ووصل منهم الى ما يريده وملكهم ملكا لم يبق
لهم معه اختيار فصاروا رعيته وصار هو
محيطا بهم من كل جهة غالبا عليهم ظاهرا وباطنا
من قولهم حاذت الابل وحزتها اذا استوليت عليها
والحوذ السوق السريع ومنه الاحوذي المنشمر في
الشئ لحذقه واستحوذ مما جاء على الاصل بظهور
ثبوت الواو دون قلبها الفا فانساهم اي فتسبب
عن استحواذه عليهم ان انساهم ذكر الله اي الذي
له الاسماء الحسنى والصفات العلى اولئك اي البعداء
البغضاء حزب الشيطان اي اتباعه وجنوده وطائفته
واصحابه الا ان حزب الشيطان اي الطريد المحترق
هم الخاسرون اي العريقون في هذا الوصف لانهم
لم يظفروا بغير الطرد والاحتراق ان الذين يحادون

الله اي يفعلون مع الملك الاعظم الذي لا كفو له فعل من
ينازع اخر في الارض فيغلب على طائفة فيجعل لها حدا
لا يتعداه خصمه ورسوله اي الذي عظمته من
عظمته اولئك اي البعداء البغضاء في الاذلين
اي في جملة من هو اذل خلق الله تعالى واختلف في معنى
قوله تعالى كتب الله اي الملك الذي لا كفو له فقال
اكثر المفسرين اي قضى الله عز وجل لاغلبن وقال
قتادة كتب في اللوح المحفوظ وقال الفرا كتب بمعنى
قال وقوله تعالى انا تاكيد ورسلي من بعث منهم
بالحرب ومن بعث منهم بالحجة فاذا انضم الى الغلبة
بالحجة الغلبة بالحرب كان اغلب واقوى وقال مقاتل قال
المومنون لئن فتح الله لنا مكة والطائف وخيبر وما
حولهن رجونا ان يظهرنا الله تعالى على فارس والروم
فقال عبد الله بن ابي ابن سلول اتظنون الروم وفارس
كبعض القرى التي غلبتم عليها والله انهم لاكثر
عددا واشد بطشا من ان تظنوا فيهم فنزلت
لاغلبن انا ورسلي ونظيره قوله تعالى ولقد سبقت
كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون
وان جندنا لهم الغالبون وقرا نافع وابن عامر
بفتح الياء والباقون بالسكون ان الله اي الذي له
الامر كله قوي اي على نصر اوليائه عزيز اي لا يغلب

Copyright © King Saud University

عليه في مراده ثم نهى تعالى عن موالاة اعداء الله بقوله
سبحانه **لا تجد** اي بعد هذا البيان **قوما** اي ناسا
لهم قوة على ما يريدون **يؤمنون** اي يجددون الايمان
ويديمونه **بالله** اي الذي له صفات الكمال **واليوم**
الاخر الذي هو موضع الجزاء لكل عامل بكل ما عمل الذي
هو محط الحكمة **يوادون** اي يحصل منهم وداد ظاهرا
ولا باطنا **من حاد الله** اي عادى بالمناصبة في حدود
الملك الاعلى **ورسوله** فان من عاداه فقد عادى
الذي ارسله بل لا تجدهم الا يحادونهم لانهم
لو وادوهم وزاد ذلك تاكيدا بقوله **ولو كانوا اباءهم**
اي الذين اوجب الله تعالى على الابناء طاعتهم في
المعروف وذلك كما فعل ابو عبيدة بن الجراح رض
حيث قتل اباه عبد الله بن الجراح يوم احد **او**
ابناءهم الذين جبلوا على محبتهم ورحمتهم كما فعل
ابو بكر فانه دعى ابنه يوم بدر الى المبارزة وقال دعني
يا رسول الله اكن في الرعلة الاولى فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم متعنا بنفسك يا ابا بكر
اما تعلم انك عندي بمنزلة سمعي وبصري **او اخوانهم**
اي الذين هم اعضادهم كما فعل مصعب ابن عمير
يوم احد وقرن سعد ابن ابي وقاص غير مرة فراغ
عنه روغان الثعلب فنهاه النبي صلى الله

عليه وسلم عنه وقال اتريد ان تقتل نفسك وقتل
محمد ابن سلمة الانصاري اخاه من الرضاع كعب بن
الاشرف اليهودي راس بني النضير **او عشيرتهم** اي
الذين هم انصارهم وامدادهم كما قتل عمر
خاله العاصي بن هشام ابن المغيرة يوم بدر وعلي وحمزة
وعبيدة بن الحارث قتلوا يوم بدر بني عمهم عتبة
وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة وعن الثوري
ان السلف كانوا يرون ان الاية نزلت فيمن يصحب
السلطان انتهى ومدار ذلك على ان الانسان يقطع
رجاءه من غير الله تعالى وان لم يكن كذلك لم يكن
مخلصا في ايمانه تنبيه قدم الاباء لانهم
تجب طاعتهم على ابنائهم ثم ثنى بالابناء لانهم اعلق
بالقلوب وهم حباتها ثم ثلث بالاخوان لانهم
هم الناصرون بمنزلة العضد من الذراع قال الشاعر

اخاك اخاك ان من لا اخا له
كساع الى الهيجا بغير سلاح
وان ابن المرء فاعلم جناحه
وهل ينهض البازي بغير جناح

تدرج بالعشيرة لان بها يستغاث وعليها يعتمد
والمعنى ان الميل الى هؤلاء اعظم انواع المحبة ومع
هذا فيجب ان يكون هذا الميل مطرحا بسبب الدين

Copyright © King Saud University

قال ابن عباس نزلت هذه الآية في ابي عبيدة ابن الجراح
لما قتل اباه وعمر ابن الخطاب لما قتل خاله العاصي
بن هشام يوم بدر وروي انها نزلت في ابي بكر
وذلك ان ابا قحافة سب النبي صلى الله عليه وسلم
فصكه صكة سقطت منها اسنانه ثم اتى النبي صلى
الله عليه وسلم فذكر له ذلك فقال او فعلت قال
نعم قال لا تعد اليه فقال والذي بعثك بالحق نبيا
السيف مني قريبا لقتلته فهؤلاء لم يوادوا اقاربهم
قال القرطبي استدل مالك بهذه الآية على معاداة
القدرية وترك مجالستهم قال القرطبي وفي معنى
اهل القدر جميع اهل الظلم وعن عبد العزيز ابن ابي
رواد انه لقي المنصور في الطواف فلما عرفه هرب
منه وتلا الآية وقال صلى الله عليه وسلم اللهم
لا تجعل لفاجر عندي نعمة فاني وجدت فيما اوحيت
الي لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر **اولئك**
اي العالون الهمة **كتب** اي اثبت قال الربيع بن انس
وقيل خلق وقيل جعل كقوله تعالى واكتبنا مع
الشاهدين اي اجعلنا وقوله تعالى فساكتبها
للذين يتقون وقيل كتب **في قلوبهم الايمان**
بما وفقهم فيه وشرح له صدورهم اي على
قلوبهم كقوله تعالى في جذوع النخل وخص القلوب

بالذكر

بالذكر لانها موضع الايمان قال البيضاوي وهو
دليل على خروج العمل من مفهوم الايمان فان جزء
الثابت في القلب يكون ثابتا فيه واعمال الجوارح
لا تثبت فيه **وايدهم** اي قواهم وشددهم
وشرفهم **بروح** اي نور شريف مجد يفهمون به
ما اودع في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم
من نور العلم والعمل **منه** اي من الله تعالى احياهم
به فلا انفكاك لذلك عنهم في وقت من الاوقات
فاثمر لهم استقامة المناهج ظاهرا وباطنا فعملوا
الاعمال الصالحة فكانوا للدين كالسرج فلا تجد
شيئا ادخل في الاخلاص من موالاة اولياء الله
تعالى ومعاداة اعدائه بل هو عين الاخلاص
ومن جنح الى منحرف عن دينه او داهن مبتدعا
في عقيدته نزع الله تعالى نور التوحيد من قلبه
قال الزمخشري ويجوز ان يكون الضمير للايمان اي
بروح من الايمان على انه في نفسه روح لحياة
القلوب به وقال ابن عباس نصرهم على عدوهم وسمى
تلك النصرة روحا لان به يحيى امرهم وقال
الربيع ابن انس بالقرآن وحججه وقال ابن جريج
بنور وبرهان وهدى وقيل برحمة وقيل ايدهم
بجبريل عليه السلام **ويدخلهم جنات** اي بساتين

Copyright © King Saud University

تتردد اخلها من كثرة اشجارها واخبر عن ريها بقوله
تعالى تجري من تحتها اي قصورها الانهار فهي بذلك
كثيرة الرياض والاشجار وقال تعالى خالدين فيها لابد
ذلك لا يلذ الا بالدوام وقال تعالى رضي الله اي الملك
الاعظم عنهم لان ذلك لا يتم الا برضى مالكها الذي
له الملك كله ورضوا عنه اي لانه اعطاهم فوق ما
يا ملون ذلك اي الذين هم في الدرجات العلى
من العظمة لكونهم قصروا ودهم على الله تعالى
علما منهم بانه بيده الضر والنفع لا بيد غيره حزب الله
اي جند الملك الذي احاط بجميع صفات الكمال الا ان
حزب الله اي جند الملك الاعلى وهم هؤلاء المو
صوفون ومن والاهم هم المفلحون اي الذين حازوا
الظفر بكل ما يؤملون في الدارين وقد علم من
الرضا من الجانبين والحزبية ان فلاح عدم الانفكا
ك عن السعادة فاغنى ذلك عن تقييد الخلود بالتا
بيد فائدة هذه السورة نصف القرآن عددا
وليس فيها آية الا وفيها ذكر الجلالة الكريمة مرة او
مرتين او ثلاث وما رواه البيضاوي تبعا للزمخشري
عن النبي صلى الله عليه وسلم ان من قرأ سورة
المجادلة كتب من حزب الله يوم القيامة حديث
موضوع ، سورة الحشر مدنية

في قول الجميع وهي اربع وعشرون آية واربعمائة وخمس
واربعون كلمة والف وتسعمائة وثلاثة عشر حرفا بسم
الله الملك الاعظم الذي لا خلق لسعادة الرحمن
الذي عمت نعمته ايجاده الرحيم الذي خص اهل وده
بالتوفيق فهم اهل السعادة ولما ختمت المجادلة بانه
يعز اهل طاعته ويذل اهل معصيته تنزه عن النقا
تاييد الوعد بنصرهم فقال تعالى سبح اي اوقع يعني
التنزيه الاعظم عن كل شائبة نقص لله الملك الذي
احاط بجميع صفات الكمال ما في السموات اي كلها وما
في الارض اي كذلك وقيل ان اللام مزيدة اي
نزهه واتى بما تغليبا للاكثر وجمع السموات لانها اجناس
قيل بعضها من فضة وبعضها من غير ذلك وافرد
الارض لانها جنس واحد وهو اي والحال انه
وحده العزيز الذي لا يغلب كل شيء ولا يمتنع عليه
شيء الحكيم اي الذي نفذ علمه في الظواهر والبواطن
واحاط بكل شيء فاتقن ما اراد فكل ما خلقه جعله
على وجه اتقنه دليله واي بيان ماله من العزة
والحكمة بينه وقرأ قالون وابو عمرو والكسائي
بسكون الهاء والباقون بضمها قال المفسرون نزلت
هذه السورة في بني النضير وذلك ان النبي صلى
الله عليه وسلم لما دخل المدينة صالحه اهل بني

في

Copyright © King Saud University

النضير على ان لا يكونوا عليه ولا له فلما غزا بدرا و
ظهر على المشركين قالوا هو النبي صلى الله عليه وسلم الذي
نعته في التوراة لا ترد له راية فلما غزا احدا وهزم
المسلمون ارتابوا واظهروا العداوة لرسول الله صلى
الله عليه وسلم والمومنين ونقضوا العهد الذي كان
بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب
كعب ابن الاشرف في اربعين راكبا من اليهود الى مكة
فاتوا قريشا فحالفوهم وعاقدوهم على ان تكون كلمتهم
واحدة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل
ابو سفيان في اربعين وكعب في اربعين من اليهود
المسجد واخذ بعضهم على بعض الميثاق بين استار
الكعبة ثم رجع كعب واصحابه الى المدينة فنزل
جبريل عليه السلام واخبر النبي صلى الله عليه
وسلم بقتل كعب بن الاشرف فقتله محمد بن مسلمة
فلما قتل كعب بن الاشرف اصبح رسول الله صلى
الله عليه وسلم وامر الناس بالسير الى بني النضير
وكانوا بقرية يقال لها زهرة فلما سار اليهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم وجدهم ينوحون على
كعب وقالوا يا محمد واعية على اثر واعية وباكية
على اثر باكية قال نعم قالوا ذرنا نبكي شجونا ثم نأتمر
امرك فقال النبي صلى الله عليه وسلم اخرجوا من المدينة

فقالوا

فقالوا الموت اقرب الينا من ذلك ثم تنادوا بالحرب واذنوا
بالقتال ودس المنافقون عبد الله ابن ابي واصحابه
اليهم ان لا تخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم
ولا نخذلكم ولننصرنكم ولئن خرجتم معكم فدربوا
على الازقة وحصنوها ثم انهم اجمعوا الغدر برسول
الله صلى الله عليه وسلم فارسلوا اليه ان اخرج
في ثلاثين رجلا من اصحابك ويخرج منا ثلاثون
حتى نلتقي بمكان نصف بيننا وبينك فيسمعوا منك
فان صدقوك وامنوا بك امنا كلنا فخرج النبي صلى
الله عليه وسلم في ثلاثين من اصحابه وخرج اليه
ثلاثون حبرا من اليهود حتى اذا كانوا ببراز من الارض
قال بعض اليهود لبعض كيف تخلصون اليه ومعه
ثلاثون من رجال اصحابه كلهم يحب الموت قبله
ولكن ارسلوا كيف نفهم ونحن ستون رجلا اخرج
في ثلاثة من اصحابك ونخرج اليك في ثلاثة من
علمائنا فيسمعوا منك فان امنوا بك امنا كلنا بك
وصدقناك فخرج النبي صلى الله عليه وسلم في
ثلاثة من اصحابه واشتملوا على الخناجر وارادوا
الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم فارسلت
امراة ناصحة من بني النضير الى اخيها وهو رجل
مسلم من الانصار فاخبرته بما اراد بنو النضير

Copyright © King Saud University

من القدر برسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل اخوها
سريعا حتى ادرك النبي صلى الله عليه وسلم فساره
بخبرهم فلما كان الغد غزا عليهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالكتائب فحاصرهم احدى وعشرين ليلة
فقذف الله تعالى في قلوبهم الرعب وايسوا من نصر
المنافقين فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح
فابى عليهم الا ان يخرجوا من المدينة على ما يامرهم
به النبي صلى الله عليه وسلم فقبلوا ذلك فصالحهم
على الجلاء وعلى ان لهم ما اقلت الابل من اموالهم
الا الحلقة وهي السلاح وعلى ان يخلوا لهم ديارهم
وعقارهم وساير اموالهم قال ابن عباس على ان
يحمل كل اهل بيت على بعير ما شاؤا من متاعهم وللنبي
صلى الله عليه وسلم ما بقي وقال الضحاك على كل ثلاثة
نفر بعيرا ووسقا من طعام ففعلوا ذلك وخرجوا
من المدينة الى الشام الى اذرعات واريحا الا اهل
بيتين من آل بني الحقيق وآل حيي بن اخطب
فانهم لحقوا بخيبر ولحقت طايفة بالحيرة فذلك
قوله تعالى **هو** اي وحده من غير ايجاف خيل
ولا ركاب **الذي اخرج** اي على وجه القهر **الذين
كفروا** اي ستروا ما في كتبهم من الشواهد لمحمد صلى
الله عليه وسلم بانه النبي الخاتم وما في فطرهم

الاولى

الاولى من اتباع الحق **من اهل الكتاب** اي الذي انزله الله
تعالى على رسوله موسى صلى الله عليه وسلم وهم
بنو النضير وفي التعبير بكفروا اشعار بانهم الذين
ازالوا بالتبديل والاخفا ما قدروا عليه مما بقي من
التوراة **من ديارهم** اي مساكنهم بالمدينة عقو
بهم لان الوطن عديل الروح والبلد كالبدن للروح
فكان الخروج منه في غاية العسر قال ابن اسحاق كان
اجلاء بني النضير مرجع النبي صلى الله عليه وسلم
من احد وفتح قريظة عند مرجعه من الاحزاب
وبينهما سنتان **لاول الحشر** هو حشرهم الى الشام
واخره ان اجلاهم عمر في خلافته الى خيبر وقال
مرة الهمداني كان اول الحشر من المدينة والحشر
الثاني من خيبر وجميع العرب الى اذرعات واريحا من
الشام في ايام عمر وقال القرطبي الحشر الجمع وهو
على اربعة اضرب حشران في الدنيا وحشران في
الاخرة اما الذي في الدنيا فقوله تعالى هو الذي
اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم
لاول الحشر كانوا من سبط لم يصبهم جلاء وكان
الله تعالى قد كتب عليهم الجلاء فلولا ذلك لعذبهم
في الدنيا وكان اول حشروا في الدنيا الى الشام قال
ابن عباس وعكرمة من شك ان المحشر في الشام فليقرا

Copyright © King Saud University

هذه الآية ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم
اخرجوا قالوا الى اين قال الى ارض المحشر قال قتادة هذا
اول الحشر قال ابن عباس هم اول من حشر من اهل
الكتاب واخرج من داره واما الحشر الثاني فحشرهم
قرب القيامة قال قتادة تاتي نار تحشر الناس من المشرق
الى المغرب تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث
قالوا وتاكل من تخلف منهم وهذا ثابت في الصحيح
وذكروا ان تلك النار ترى بالليل ولا ترى بالنهار
وقال ابن العربي للحشر اول ووسط واخر فالاول اجلاء
بني النضير والاوسط اجلاء خيبر والاخر حشر
يوم القيامة وعن الحسن هم بنو قريظة ما حشروا
ولكنهم قتلوا حكاه الثعلبي **ما ظننتم** ايها المؤمنون
ان يخرجوا اي يوقعوا الخروج من شيء اوريتموه
منهم لما كان لكم من الضعف ولهم من القوة لكثرتهم
وشدة باسهم وقرب بني قريظة منهم واهل خيبر
ايضا غير بعيدين عنهم وكلهم اهل ملتهم والمنا
فقون من انصارهم فخابت ظنونهم في جميع ذلك
وظنوا انهم وقوله تعالى **مانعتهم حصونهم**
فيه وجهان احدهما ان تكون حصونهم مبتدا
ومانعتهم خبر مقدم والجملة خبر انهم الثاني ان
تكون مانعتهم خبر انهم وحصونهم فاعل به

٢٨

نحو ان زيدا قائم ابوه وان عمرا قائمة جاريته وجعله
ابو حيان اولى لان في نحو قائم زيد على ان يكون خبرا
مقدما ومبتدا موخرا خلافا والكوفيون يمنعونه
فحمل الوفاق اولى وقال الزمخشري فان قلت
اي فرق بين قولك وظنوا ان حصونهم تمنعهم او مانعتهم
وبين النظم الذي جاء عليه قلت في تقديم الخبر
على المبتدا دليل على فرط وثوقهم ومنعها اياهم
وفي تصيير ضميرهم اسما لان واسناد الجملة اليه
دليل على اعتقادهم في انفسهم انهم في عزة ومنعة
لا يبالى معها باحد يتعرض لهم وليس ذلك في قولهم
حصونهم تمنعهم انتهى وهذا الذي ذكره انما
يتاتى على الاعراب الاول وقد تقدم انه مرجوح ودل
على ضعف عقولهم بان عبر عن جنده باسمه الاعظم
بقوله تعالى **من الله** اي الملك الاعظم الذي لا سرا
لا له **فاتاهم الله** اي جاءهم الملك الاعظم الذي لا يحملون
تحميله **من حيث لم يحتسبوا** مما صور لهم من حقارة
انفسهم على حسبها وهي خذلان المنافقين رعبا رعبهم
وقرا حمزة والكسائي بالامالة محضة وورش بالفتح
وبين اللفظين والباقون بفتحها **وقذف** اي انزل
انزالا كانه قذف بحجارة فثبتت **في قلوبهم الرعب** اي
الخوف الذي سكنها بعد ان كان الشيطان زين لهم

Copyright © King Saud University

غير ذلك وملا قلوبهم من الاطماع الفارغة وقرا في
قلوبهم الرعب وعليهم الجلاء ولاخوانهم الذين حمزة
والكسائي في الوصل بضم الهاء والميم وابو عمرو بكسرهما
والباقون بكسر الها وضم الميم وحرك الميم بالضم
ابن عامر والكسائي والباقون بالسكون ثم بين تعالى
حالهم عند ذلك وفرقهم في الرعب بقوله **يخربون**
بيوتهم اي ينقلوا ما استحسنوه منها من خشب
وغيره وقرا ابو عمرو بفتح الخاء وتشديد الراء والبا
قون بسكون الخاء وتخفيف الراء وهما بمعنى لان خرب
عداه ابو عمرو بالتضعيف وهم بالهمزة وعن ابي
عمرو انه فرق بمعنى اخر فقال خرب بالتشديد هدم
وافسد واخرب بالهمز ترك الموضع خرابا وذهب عنه
وهو قول الفرا قال المبرد ولا اعلم لهذا وجها وزعم
سيبويه انهما متعاقبان في بعض الكلام فيجري
كل واحد مجرى الاخر نحو فرحته وافرحته وقرا ورش
وابو عمرو وحفص بيوتهم بضم البا الموحدة والبا
قون بكسرها **بايديهم وايدي المومنين** قال الزهري
وذلك ان النبي لما صالحهم على ان لهم ما اقلت الابل
كانوا ينظرون الى الخشبة في منازلهم فيهدمونها وينز
عون ما استحسنوه منها فيحملونه على ابلهم ويخرب
المومنون باقيها وقال قتادة والضحاك كان المومنون

يخربون

يخربون من خارج ليدخلوا واليهود من داخل ليبنوا ما خرب
من حصنهم وقال مقاتل ان المنافقين ارسلوا اليهم ان لا
تخرجوا ودربوا عليهم الازقة وكان المسلمون سائر
الجوانب فان قيل ما معنى تخريبها لهم بايدي المومنين
اجيب بانهم لما عرضوهم لذلك وكانوا السبب
فيه فكانهم امروهم به وكلفوهم اياه وقال
ابو عمرو بن العلاء بايديهم في تركهم لها وبايدي
المومنين في اجلائهم عنها ولما كان في غاية الغرابة
ان يعمل الانسان في نفسه كما يفعل فيه عدوه سبب
عن ذلك قوله **فاعتبروا** اي احملوا انفسكم بالامعان
في التامل في عظيم قدرة الله تعالى والاعتبار
ماخوذ من العبور والمجاوزة من شي الى شي ولهذا
سميت العبرة عبرة لانها تنتقل من العين الى الخد
وسمي علم التعبير لان صاحبه ينتقل من المتخيل
الى المعقول وسميت الالفاظ عبارات لانها تنقل المعا ني
عن لسان القايل الى عقل المستمع ويقال السعيد
من اعتبر بغيره لانه ينقل عقله من حال ذلك الغير
الى حال نفسه ومن ثم لم يعتبر بغيره اعتبر به غيره
ولهذا قال القشيري الاعتبار هو النظر في حقايق
الاشيا وجهات دلالتها ليعرف بالنظر فيها شي
اخر من جنسها ثم بين ان الاعتبار لا يحصل الا

Copyright © King Saud University

للكامل بقوله تعالى يا اولي الابصار بالنظر بابصارهم
وبصائرهم في غريب هذا الصنع ليتحققوا به ما وعدكم
على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من اظهار دينه
واعزاز نبيه ولا تعتمدوا على غير الله تعالى كما اعتمد هؤلاء
ولا على المنافقين فان من اعتمد على مخلوق اسلمه
ذلك اي صغاره ومذلته ولولا ان كتب الله اي
فرض فرضا حتما الملك الذي له الامر كله عليهم
الجلاء اي الخروج من ديارهم والجولان في الارض
فاما معظمهم فاجلاهم بخت نصر من بلاد الشام الى
العراق واما هؤلاء فحماهم الله تعالى لمهاجرة رسول
الله صلى الله عليه وسلم من ذلك الجلاء وجعله
على يده صلى الله عليه وسلم فاجلاهم فذهب بعضهم
الى خيبر وبعضهم الى الشام مرة بعد مرة تنبيه
قال الماوردي الجلاء اخص من الخروج لانه لا يقال
الا للجماعة والاخراج يكون للجماعة والواحد وقال
غيره الفرق بينهما ان الجلاء ما كان مع الاهل والولد
بخلاف الاخراج فانه لا يستلزم ذلك لعذبهم
اي بالقتل والسبي في الدنيا كما فعل بقريظة من
اليهود ولهم اي على كل حال اجلوا وتركوا في الاخرة
التي هي دار البقاء عذاب النار وهو العذاب الاكبر
ذلك اي الامر العظيم الذي فعله بهم من الجلاء ومقد

ماية

ومقدماته في الدنيا وبفعله بهم في الاخرة بانهم
شاقوا الله اي الملك الاعلى الذي له الاحاطة التامة
فكانوا في شق غير شقه بان صاروا في شق الاعداء المحار
بعد ما كانوا الموادعين وشاقوا رسوله اي الذي اجله
لمن اجله له ومن يشاق الله اي يوقع في الباطن شيئا
مشاقة الملك الاعلى الذي لا كفوء له في الماضي
والحال والاستقبال فان الله اي المحيط بجميع العظمة
شديد العقاب وذلك كما فعل ببني قريظة بعد هذا حيث
نقضوا عهدهم واظهروا المشاقة في غزوة الاحزاب
وكما فعل باهل خيبر وقوله تعالى ما شرطية في موضع
نصب بقوله تعالى قطعتم وقوله تعالى من لينة
بيان له واختلفوا في معنى قوله تعالى من لينة والاكثر
المفسرين على انها هي النخلة مطلقا كانوا يشتقونها
من اللين قال ذو الرمة
كأن قتودي فوقها عش طائر
على لينة سوقاء تهفو جنوبها
وقال الزهري هي النخلة ما لم تكن عجوة ولا برنية وقال
جعفر بن محمد هي العجوة خاصة وذكر ان العتيق والعجوة
كانتا مع نوح عليه الصلاة والسلام في السفينة
والعتيق الفحل وكانت العجوة اصل الاناث كلها فلذلك
شق على اليهود قطعها حكاه الماوردي وقال سفيان

بني

Copyright © King Saud University

هي ضرب من النخل يقال لثمرها اللون وهو شديد الصفرة
يرى نواه من خارجه ويغيب فيه الضرس النخلة منها
احب اليهم من وصيف وقيل هي النخلة الكريمة اي
القريبة من الارض وقيل هي الاشجار كلها للينها
بالحياة وقال الاصمعي هي الدقل قال ابن الجوزي والصحيح
ما قاله الازهري ومالك وجمع اللينة لين لانه من
باب اسم الجنس كتمرة وتمر وقد كسر على ليان وهو
شاذ لان تكسير ما يفرق بتاء التانيث شاذ كرطبة
ورطب وارطاب والضمير في قوله تعالى او تركتموها
عايد على معنى ما ولما كان الترك يصدق ببقائها
مغروسة او مقطوعة قال تعالى قائمة على اصولها
فباذن الله اي قطعها بتمكين الملك الاعظم روي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل ببني
النضير وتحصنوا بحصونهم امر بقطع نخيلهم
واحراقها فجزع اعداء الله تعالى عند ذلك وقالوا
يا محمد زعمت انك تريد الصلاح افمن الصلاح عقر
الشجر وقطع النخل وهل وجدت فيما زعمت انه
انزل عليك الفساد في الارض فوجد المسلمون في انفسهم
من قولهم وخشوا ان يكون ذلك فسادا واختلفوا
في ذلك فقال بعضهم لا تقطعوا فانه مما افاء الله
علينا وقال بعضهم بل نغيظهم بقطعه فانزل الله

تعالى

تعالى هذه الاية بتصديق من نهى عن قطعه وتحليل
من قطعه من الاثم وان ذلك كان باذن الله وعن ابن
عمر قال حرق رسول الله صلى الله عليه وسلم نخل بني
النضير وقطع الامر في قوله تعالى وليخزي الفا (سقين)
متعلقة بمحذوف اي واذن في قطعها ليخزي اليهود
في اعتراضهم بان قطع الشجر المثمر فساد وليسر
المؤمنين ويعزهم وليخزي فان قيل لم خص اللينة
بالقطع اجيب بانها ان كانت من الالوان فليستبقوا
لانفسهم العجوة والبرنية وان كانت من كرام النخل
فليكون غيظ اليهود اشد واحتجوا بهذه الاية
على ان حصون الكفرة وديارهم يجوز هدمها
وتحريقها وتغريقها وان ترمى بالمجانيق وكذا اشجا (رهم)
وعن ابن مسعود انهم قطعوا منها ما كان موضعا
للقتال وروي ان رجلين كانا يقطعان احدهما العجوة
والاخر اللون فسالهما رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال هذا تركتها لرسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال هذا قطعتها غيظا للكفار وقد استدل
به على جواز الاجتهاد وعلى جوازه بحضور النبي صلى
الله عليه وسلم لانهما بالاجتهاد فعلا ذلك واحتج
به من يقول كل مجتهد مصيب وقال الكيا الطبري
قال وان كان الاجتهاد يبعد في مثله مع وجود

Copyright © King Saud University

النبي صلى الله عليه وسلم بين اظهرهم ولا شك ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ذلك وسكت
فتلقوا الحكم من تقريره فقط وقال ابن العربي وهذا
باطل لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان معهم
ولا اجتهاد مع حضوره صلى الله عليه وسلم وانما
يدل على اجتهاد النبي صلى الله عليه وسلم فيما لم
ينزل عليه اخذه بعموم الادلة للكفار ودخوله للاذن
في الكل مما يقضي عليهم بالبوار وذلك قوله تعالى
وليخزي الفاسقين وما افاء الله اي رد الله الملك
الذي لا زوال له ردا سهلا بعد ان كان في غاية
العز والصعوبة على رسوله صيره في يده بعد ان
كان خرج عنها بوضع الذي الكفرة عليه ظلما
وعدوانا كما دل عليه التعبير بالفيء الذي هو عود
الظل الى الناحية التي كان ابتدا منها منهم اي
ردا مبتدأ من الفاسقين فبين تعالى ان هذا في لا
غنيمة ويدخل في الفيء اموال من مات منهم بلا وارث
وكذا الفاضل عن وارث له غير حائز وكذا الجزية
وعشر تجاراتهم وما جلوا تفرقوا عنه ولو لغير
خوف كضر اصابهم واما الغنيمة فهي ما حصل
لنا من الحربيين مما هو لهم بايجاف حتى ما حصل
بسرقة او التقاط وكذا ما انهزموا عنه عند التقا

الصفين

الصفين ولو قبل شهر السلاح او اهداه الكافر لنا والحرب
قائمة ولم تحل الغنائم لاحد قبل الاسلام بل كانت
الانبيا اذا غنموا مالا جمعوه فتأتي نار من السماء تأخذه
ثم احلت للنبي صلى الله عليه وسلم وكانت في صدر
الاسلام له خاصة لانه كالمقاتلين كلهم نصرة
وشجاعة بل اعظم ثم نسخ ذلك واستقر الامر
على ما هو في سورة الانفال في قوله تعالى واعلموا انما
غنمتم من شيء الاية واما الفيء فهو من ذكر هنا بقوله
تعالى فما اوجفتم اي اسرعتم يا مسلمين عليه
ومن في قوله تعالى من خيل مزيدة اي عليه
واكد باعادة النافي دفعا لظن من ظن انه غنيمة
لاحاطتهم به بقوله تعالى ولا ركاب والركاب الابل
غلب ذلك عليها من بين المركوبات واحدها راحلة
ولا واحد لها من لفظها وقال الرازي العرب
لا يطلقون لفظ الراكب الا على راكب البعير ويسمون
راكب الفرس فارسا والمعنى لم تقطعوا اليها شقة
ولا لقيتم بها حربا ولا مشقة فانها كانت من المدينة
على ميلين قاله الفراء فمشوا اليها مشيا ولم يركبوا خيلا
ولا ابلا الا النبي صلى الله عليه وسلم ركب جملا وقيل
حمارا مخطوما بليف فافتتحها صلحا قال الرازي ان
الصحابة طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم ان يقسم

Copyright © King Saud University

النفي بينهم كما قسم الغنيمة بينهم فذكر الله تعالى الفرق بين
الأمرين وان الغنيمة هي التي اتعبتم انفسكم في تحصيلها
واما الفيء فلم توجفوا عليه بخيل ولا ركاب فكان الامر
مفوضا فيه الى النبي صلى الله عليه وسلم يضعه
حيث يشا ولكن الله اي الذي له العز كله فلا كفوء له
يسلط رسله اي له عادة السنة في كل زمن على من
يشا بجعل ما آتاهم سبحانه من الهيبة رعبا
في قلوب اعدائه والله اي الملك الذي له الكمال
على كل شيء يصح ان تتعلق المشية به وهو كل ممكن
من التسليط وغيره قدير اي بالغ القدرة الى اقصى
الغايات فلا حق لكم فيه ويختص به النبي صلى
الله عليه وسلم ومن ذكر معه في الاية الثانية
من الاصناف الاربعة على ما كان يقسم من ان
لكل منهم خمس الخمس وله صلى الله عليه وسلم الباقي
يفعل فيه ما شاء ثم بين تعالى مصرف الفيء بقوله
تعالى ما افاء الله اي الذي اختص بالعزة والقدرة
والحكمة على رسوله من اهل القرى اي قرية بني
النضير وغيرها من وادي القرى والصفراء وينبع
وما هنالك من قرى العرب التي تسمى قرى عربية
تخمس ذلك خمسة اخماس وان لم يكن في الاية تخميس
فانه مذكور في اية الغنيمة فحمل المطلق على

المقيد

المقيد وكان صلى الله عليه وسلم يقسم له اربعة
اخماسه وخمس خمسه ولكل من الاربعة المذكورين
معه خمس خمس وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي بالامالة
محضة وورش بين اللفظين والباقون بالفتح فقوله
تعالى فلله اي الملك الاعلى الذي كله بيده ذكر ذلك
للتبرك فان كل امر لا يبدا فيه فهو اجذم وللرسول
اي الذي عظمته من عظمته تعالى وقد تقدم ان
ما كان له صلى الله عليه وسلم وان ما بعده صلى
الله عليه وسلم فيصرف ما كان له من خمس الخمس
لمصالح المسلمين وسد ثغور وقضاة وعلماء بعلوم
تتعلق بمصالح المسلمين كتفسير وقراءة والمراد ان
بالقضاة غير قضاة العسكر اما قضاته وهم الذين
يحكمون لاهل الفيء في مغزاهم فيرزقون من الاخماس
الاربعة لا من خمس الخمس تقدم وجوبا لانهم
عاملون لهم واما الاربعة المذكورة معه صلى الله عليه
وسلم في قوله تعالى ولذي القربى اي منه وهم مؤمنو
بني هاشم وبني المطلب لاقتصاره صلى الله عليه
وسلم في القسم عليهم مع سؤال غيرهم من بني عميهم
نوفل وعبد شمس له ولقوله صلى الله عليه وسلم
اما بنو هاشم وبنو المطلب فشيء واحد وشبك
بين اصابعه فيعطون ولو اغنياء لانه صلى الله

Copyright © King Saud University

عليه وسلم اعطى العاصي وكان غنيا ويفضل الذكر
على الانثى كالارث فله سهمان ولها سهم لانه عطية
من الله تعالى يستحق بقرابة الاب كالارث سوا الكبير
والصغير والعبرة بالانتساب الى الابا فلا يعطى اولاد
البنات من بني هاشم والمطلب شيئا لانه صلى الله
عليه وسلم لم يعط الزبير وعثمان مع ان ام كل منهما كانت
هاشمية وقرا حمزة والكسائي بالامالة محضة
وورش بالفتح وبين اللفظين وابو عمرو وبين بين والبا
قون بالفتح خالفهم ابو عمرو في واليتامى ثالثها
المذكور في قوله تعالى **واليتامى** اي الفقرا منا لان
لفظ اليتيم يشعر بالحاجة لانه مال او نحوه اخذ
من الكفار فاختص كسهم المصالح واليتيم
صغير ولو انثى لخبر لا يتم بعد احتلام رواه ابو داود
وحسنه النووي وان ضعفه غيره لا اب له وان كان
له ام وجد اليتيم في البهائم من فقد امه وفي
الطير من فقد اباه وامه ومن فقد امه فقط من
الادميين يقال له منقطع رابعها المذكور في قوله
تعالى **والمساكين** الصادقين بالفقرا وهم اهل
الحاجة منا وتقدم تعريفهما في سورة الانفال وكذا
تعريف الرابع المذكور في قوله تعالى **وابن السبيل** اي
الطريق الفقير منا ذكورا كانوا او اناثا ولو اجتمع في احد

من هذه الاصناف يتم ومسكنة اعطي باليتم
فقط لانه وصف لازم والمسكنة زائلة وللامام
التسوية والتفضيل بحسب الحاجة ويعم على الامام
ولو بنائبه الاصناف الاربعة الاخيرة بالاعطاء
وجوبا لعموم الاية فلا يخص الحاضر موضع حصول
الفي ولا من في كل ناحية منهم بالحاصل فيها نعم
لو كان الحاصل لا يسد مسدا بالتعميم قدم الا
فالاحوج ولا يعم للضرورة ومن فقد من الاربعة حوج
صرف نصيبه للباقين منهم واما الاخماس الاربعة
فهي للمرتزقة وهم المرصدون للجهاد بتعيين
الامام لهم لعمل الاولين به بخلاف المتطوعة
فلا يعطون من الفي بل من الزكاة عكس المرتزقة
ويشرك المرتزقة قضاتهم كامرائهم وائمتهم ومؤذنو هم
وعمالهم ويجب على الامام ان يعطي كلا من المرتزقة
بقدر حاجة ممونه من نفسه وغيره كزوجاته
ليتفرغ للجهاد ويراعى في الحاجة الزمان والمكان
والرخص والغلا وعادة الشخص مروة وضدها
ويزاد ان زادت حاجته بزيادة ولد او حدوث زوجة
فاكثر ومن لا عبد له يعطى مونته ومن يقاتل فارسا
ولا فرس له يعطى من الخيل ما يحتاجه للقتال
ويعطى مونته والزوجات يعطى لهن مطلقا

لا يختص بهن في اربع تم ما يدفعه اليه لزوجته وولده
الملك فيه لهما حاصل من الفي وقيل يملكه هو ويصير
اليهما من جهته فان مات اعطي الامام امولده وزوجها
ته وبناته اي ان يستغنوا وسن ان يضع الامام ديوانا
وهو الدفتر الذي يثبت فيه اسما المرتزقة واول من
وضعه عمر رضي الله عنه وان ينصب لكل جمع عريفا
وان يقدم في اسمهم واعطاء قريش الشرفهم بالنبي
صلي الله عليه وسلم والخبر قدموا قريشا وان يقدم
منهم بني هاشم وبني المطلب فبني عبد شمس فبني
عبد العزى فسائر بطون العرب الاقرب فالاقرب
الي النبي صلي الله عليه وسلم فسائر العرب فالعجم
وله وان لم يرج برؤه وثلج اسم كل من لم يرج وما
فضل عنهم وزع عليهم بقدر مؤنتهم وللامام
صرف بعضه في ثغور وسلاح وخيل ونحوها وله
وقف عقار في او بيعه وقسم غلته او ثمنه كقسم
المنقول اربعة اخماسه للمرتزقة وخمسه للمصالح
وله ايضا قسمه كالمنقول لكن خمس الخمس الذي
للمصالح لا سبيل الي قسمته ولما حكم سبحانه بهذا
الحكم في الفي المخالف لما كانوا عليه في الجاهلية من
اختصاص الاغنياء به بين علة المظهرة لعظمته
بقوله تعالي **كيلا يكون** اي الفي الذي يسره الله تعالي

بقوته

٢٥

بقوته من قذف الرعب في قلوب اعدايه ومن حقه ان
يعطاه الفقرا **دولة** اي متداولة **بين الاغنيا منكم**
اي يتداوله الاغنيا ويدورونه بينهم كما كان في الجاهلية
فانهم كانوا يقولون من عزيز ومنه قول الحسن اتخذ
عباد الله خولا ومال الله دولا يريد من غلب منهم
اخذه واستاثر به وقرا هشام بخلاف عنه تكون
بالتانيث دولة بالرفع والباقون بالتذكير والنصب
واما الرفع فعلي ان كان تامة واما التانيث والتذكير
فصحان لانه تانيث مجازي واما النصب فعلي انها
الناقصة واسمها ضمير عايد علي الفي والتذكير
واجب لتذكير المرفوع ودولة خبرها وقيل دولة
علي ما اعتبار لفظها وكي لا هنا مقطوعة في الرسم
وما اتاكم الرسول اي وكل شي احضره لكم الكامل
في الرسالة من الغنيمة او مال الفي الفي او غيره **فخذوه**
اي فاقبلوه لانه حلال لكم وتمسكوا انه فانه
واجب الطاعة **وما نهاكم عنه** اي من جميع الاشيا
فانتهوا لانه لا ينطق عن الهوى ولا يفعل الا ما امر
به ربه عز وجل تنبيه هذه الاية تدل علي
ان كل ما امر به النبي صلي الله عليه وسلم امر من
الله تعالي لان الاية وان كانت في الغنايم فجميع اوامره
صلي الله عليه وسلم ونواهيه داخل فيها قال عبد

Copyright © King Saud University

الرحمن بن زيد لقي ابن مسعود رجلا محرما وعليه ثيابه
فقال انزع عنك هذا فقال الرجل تقرا علي بهذا آية
من كتاب الله تعالى قال نعم وما آتاكم الرسول فخذوه
وما نهاكم عنه فانتهوا وقال عبد الله بن محمد
بن هارون الفريابي سمعت الشافعي رضي الله تعالى
عنه يقول سلوني عما شئتم اخبركم من كتاب الله
تعالى وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم قال فقلت له
اصلحك الله ما تقول في المحرم يقتل الزنبور قال
فقال بسم الله الرحمن الرحيم قال الله تعالى وما آتاكم
الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وحدثنا
سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن عمير عن ربعي
بن حراش عن حذيفة بن اليمان قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اقتدوا بالذين من بعدي ابي
بكر وعمر حدثنا سفيان بن عيينة عن مسعر بن كدام
عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب عن عمر بن
الخطاب انه امر بقتل الزنبور وهذا الجواب
في غاية الحسن افتى بقتل الزنبور في الاحرام وبين انه
يقتدى فيه بعمر وان النبي صلى الله عليه وسلم
امر بالاقتداء به وان الله تعالى امر بقبول ما يقوله
صلى الله عليه وسلم فجواز قتله من الكتاب والسنة
وسئل عكرمة عن امهات الاولاد فقال هن احرار

فقال

فقال في سورة النساء في قوله تعالى اطيعوا الله واطيعوا
الرسول واولي الامر منكم وفي صحيح مسلم وغيره عن
علقمة عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات
والمتفلجات للحسن المغيرات لخلق الله تعالى فبلغ ذلك
امراة من بني اسد يقال لها ام يعقوب فجاءت فقالت
بلغني انك لعنت كيت وكيت فقال وما لي لا العن من
لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في كتاب الله
تعالى فقالت لقد قرات ما بين اللوحين فما وجدت فيه
ما تقول فقال لئن كنت قراتيه فقد وجدتيه اما
قرات وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه
فانتهوا قالت بلى قال فانه قد نهى عنه الحديث
فائدة الوشم هو غرز العضو من الانسان بالابرة
ثم حشي بالكحل والمستوشمة هي التي تطلب ان
يفعل بها ذلك والنامصة هي التي تنتف الشعر
من الوجه والمتفلجة هي التي تتكلف تفريج ما بين
ثناياها بصناعة وقيل تتفلج في مشيها في كل
شيء منهي عنه وقرا حمزة والكسائي بالامالة محضة
وورش بالفتح والهمزة ممدودة بلا خلاف لا يهمل
معنى الامال واتقوا الله اي واجعلوا لكم بطاعة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاية من عذاب

Copyright © King Saud University

الملك الاعظم المحيط علماً وقدرة وعلل ذلك بقوله
تعالى ان الله اي الذي له الجلال والاكرام على الاطلاق
شديد العقاب اي العذاب الواقع بعد الذنب قال البقا
عي ومن زعم ان شيئاً في هذه السورة نسخ شيئاً
مما في سورة الانفال فقد اخطأ لان الانفال نزلت في
بدر وهي قبل هذه بمدة وقوله تعالى للفقراء اي
الذين كان الانسان منهم يعصب الحجر على بطنه
من الجوع ويتخذ الحفرة في الشتا لتقيه البرد
ماله دثار غيرها بدل من لذي القربى وما عطف
عليه قاله الزمخشري والذي منع الابدال من
لله وللرسول والمعطوف عليهما وان كان المعنى
لرسول الله صلى الله عليه وسلم لان الله تعالى اخرج
رسوله صلى الله عليه وسلم من الفقراء في قوله تعالى
وينصرون الله ورسوله ولانه تعالى يترفع برسوله
صلى الله عليه وسلم عن تسميته بالفقير وقال غيره
انه خبر لمبتدأ محذوف اي ولكن الفي للفقرا وقيل
تقديره ولكن يكون للفقرا وقيل تقديره اعجبوا
للفقرا واقتصر على هذا التقدير الجلال المحلي وانما
جعله الزمخشري بدلا من لذي القربى لانه حنفي
والحنفية يشترطون الفقر في اعطا ذوي القربى
من الفي ولذا قال البيضاوي ومن اعطا اغنيا ذوي

القربى

القربى اي كالشافعي خصص الابدال بما بعده او الفي ب
بني النضير انتهى او انهم كانوا عند نزول الاية كذلك
ثم خصصهم بالوصف بقوله تعالى المهاجرين وقيد
ذلك بقوله تعالى الذين اخرجوا من ديارهم لان الهجرة
قد تطلق على من هجر اهل الكفر من غير مفارقة الوطن وقوله
تعالى واموالهم اشارة الى ان المال لما كان سترة الا
كان كانه ظرف له ولما كان طلب الدنيا من النقائص
بين انه اذا كان من الله لم يكن كذلك وانه لا يكون
قادحاً في الاخلاص فقال تعالى يبتغون اي اخرجوا
حال كونهم يطلبون على وجه الاجتهاد وبين انه
لا يجب عليه سبحانه لاحد شي بقوله تعالى فضلا
من الله اي الملك الاعظم الذي لا كفو له لانه
المختص بجميع صفات الكمال فيغنيهم بفضله
عمن سواه ورضوانا بان يوفقهم لما يرضيه
عنهم ولا يجعل رغبتهم في العوض منه قادحا
في الاخلاص فيوصلهم الى دار كرامته وقرأ شعبة
بضم الراء والباقون بكسرها وينصرون اي على
سبيل التجديد والاستمرار الله اي دين الملك
الاعظم ورسوله الذي عظمته من عظمته بانفسهم
واموالهم لبغضهم حزب الشيطان اولئك اي العالو
الرتبة في الاخلاص الفاضلة هم الصادقون

لسان

Copyright @ King Saud University

اي الغريقون في هذا الوصف لان مهاجريتهم لما ذكر وتركهم
لما وصف دل على كمال صدقهم فيما ادعوه من الايمان
بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم حيث نابذوا من
عاداهما ووالوا من والاهما وان بعدت دارهم وشط
مزارهم ثم اتبع ذكر المهاجرين بذكر الانصار الذين
كانوا في كل حال معه صلى الله عليه وسلم كالميت بين
يدي الغاسل مهما شا فعل ومهما اراد منهم صاروا
اليه بقوله تعالى والذين تبوءوا اي جعلوا بغاية جهدهم
الدار اي الكاملة في الدور التي جعلها الله تعالى
في الازل للهجرة وهياها للنصرة وجعلها محل سر
اقى منهم وفي قوله تعالى والايمان اوجه احدها
انه ضمن تبوءوا معنى لزموا فيصح عطف الايمان عليه
اذ الايمان لا يتبوا ثانيها انه منصوب بمقدر اي
واعتقدوا او والفوا او واحبوا او واخلصوا كقول
القائل علفتها تبنا وماء باردا وقول الاخر
ومتقلدا سيفا ورمحا ثالثها انه يتجوز في الايمان
فيجعل لاختلاطه بهم وثباتهم عليه كالمكان
المحيط بهم فكانهم نزلوه وعلى هذا فيكون جمعا
بين الحقيقة والمجاز في كلمة واحدة وفيه خلاف
مشهور رابعها ان يكون الاصل دار خلاف مشهور
رابعها ان يكون الاصل دار الهجرة ودار الايمان فاقام

لام التعريف في الدار مقام المضاف اليه وحذف المضاف
من دار الايمان ووضع المضاف اليه مقامه خامسها
ان يكون سمى المدينة بدار لانها دار الهجرة ومكان
ظهور الايمان قال هذا في الوجه يعني الزمخشري وليس
فيه الا اقامة ال مقام المضاف اليه وهو محل خلاف
وهو ان ال هل تقوم مقام الضمير المضاف اليه فالكوفيون
يجوزونه كقوله تعالى فان الجنة هي المأوى اي مأواه
والبصريون يمنعونه ويقولون الضمير محذوف اي
المأوى له وانما كونها عوضا عن المضاف اليه قال
ابن عادل لا نعرف فيه خلافا سادسها انه منصوب على
المفعول معه اي مع الايمان قال وهب سمعت
مالكا يذكر فضل المدينة على غيرها من الافاق
فقال ان المدينة تبوات بالايمان والهجرة وان
غيرها من القرى افتتحت بالسيف ثم قرا والذين
تبوءوا الدار والايمان من قبلهم اي وهم الانصار
يحبون اي على سبيل التجديد والتكرار من هاجر
وزاد في محبتهم بقوله تعالى اليهم لان القصد
الى الانسان يوجب حنوه عليه لانه لولا كمال محبته
له ما حضه بالقصد اليه ولا يجدون في صدورهم
اي التي هي مساكن قلوبهم فضلا عن ان تتعلق الشهم
حاجة قال الحسن حسدا وحرارة وغيظا مما اوتوا

اي الي النبي المهاجرين من اموال بني النضير وغيرهم
واطلق لفظ الحاجة علي الحسد والغيظ والحزازة لان
هذه الاشيا لا تنفك عن الحاجة فاطلق اسم اللازم
علي الملزوم علي سبيل الكناية فعلي هذا يكون الضمير
الاول للحاجة بعد المهاجرين وفي اوتوا للمهاجرين
وقيل ان الحاجة هنا علي بابها من الاحتياج
الا انها واقعة موقع المحتاج اليه والمعني ولا يجدون
طلب محتاج اليه مما اوتي المهاجرون من الفي وغيره
والمحتاج اليه يسمى حاجة تقول خذ منه حاجتك
واعطاه من ماله حاجته قال الزمخشري والضمير
ان علي ما تقدم وقال ابو البقا من الحاجة اي انه
حذف المضاف للعلم به وعلي هذا فالضمير اي ان
للذين تبوؤا الدار والايمان قال القرطبي كان المهاجرون
في دور الانصار فلما غنم صلى الله عليه وسلم اموال
بني النضير دعا الانصار وشكرهم فيما صنعوا مع
المهاجرين في انزالهم اياهم منازلهم واشراكهم
في الاموال ثم قال صلى الله عليه وسلم ان احببتم
قسمت ما افا الله علي من بني النضير بينكم وبينهم
وكان المهاجرون علي ما هم عليه من السكنى
في مساكنكم واموالكم وان احببتم اعطيتهم
وخرجوا من داركم فقال سعد بن عبادة وسعد

ابن

ابن معاذ بل نقسمه بين المهاجرين ويكونون في دورنا كما
كانوا ونادت الانصار رضينا وسلمنا يا رسول الله فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم الانصار
وابنا الانصار واعطى رسول الله صلى الله عليه
وسلم المهاجرين ولم يعط الانصار الا ثلاثة نفر
محتاجين ابا دجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف
والحارث بن الصمت ولما اخبر تعالى عن تخليهم عن الرذايل
اتبعه الاخبار بتحليهم بالفضايل فقال عز من قائل ويؤثرون يؤثرون
على انفسهم فيبذلون لغيرهم كائنا من كان ما في
ايديهم فان الايثار تقديم الغير علي النفس وحظوظها
الدنيوية رغبة في الحظوظ الاخروية وذلك ينشا
عن قوة اليقين وتوكيد المحبة والصبر علي المشقة
وذكر النفس دليل علي انهم في غاية النزاهة من الرذا بل
فان النفس اذا طهرت مكان القلب اطهر واكد ذلك
بقوله تعالى ولو كان اي كونا نفوق غاية المكنة
بهم اي خاصة لا بالمؤثر خصاصة اي فقر وحاجة
الي ما يؤثرون به روي عن ابي هريرة ان رجلا بات به
ضيف ولم يكن عنده الا قوته وقوت صبيانه فقال
لامرأته نومي الصبية واطفي السراج وقربي للضيف
ما عندك فنزلت هذه الاية وعنه ايضا قال جا رجل
الي النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني مجهود فارسل

Copyright © King Saud University

الى بعض نسايه فقالت والذي بعثك بالحق ما عندي
الا ماء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
يضيف هذه الليلة رحمه الله فقام رجل من الانصار
فقال انا يا رسول الله فانطلق به الى رحله فقال لامراته
هل عندك شي قالت لا الا قوت صبياني قال فعليلهم
بشي فاذا ضيفنا فاطفي السراج وذكر نحو الحديث
الاول وفي رواية فقام رجل من الانصار يقال له
ابو طلحة فانطلق به الى رحله وذكر المهدوي ان الاية
نزلت في ثابت بن قيس ورجل من الانصار يقال له
ابو المتوكل ولم يكن عنده الا قوته وذكر القشيري
قال اهدي لرجل من اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم راس شاة فقال ان اخي فلانا وعياله
احوج الى هذا منا فبعثها اليهم فلم يزل يبعث
بها واحد الى اخر حتى تداولتها سبعة ابيات حتى
رجعت الى الاول فنزلت الاية وذكر القرطبي عن
انس قال اهدي لرجل من الصحابة راس شاة
وكان مجهودا فوجه بها الى جار له فتداولتها سبعة
انفس في سبعة ابيات ثم عادت الى الاول فنزلت
فان قيل قد صح في الخبر النهي عن التصدق بجميع
ما يملكه المرء واجيب بان محل النهي فيمن لا
لا يوثق منه بالصبر على الفقر وخاف ان يتعرض للسؤال

انا

اذا نفد ما ينفقه فاما الانصار الذين اثنى الله تعالى عليهم
بالايثار على انفسهم فكانوا كما قال تعالى والصابرين
في الباساء والضراء وحين الباس فكان الايثار فيهم
افضل من الامساك والامساك ممن لا يصبر ويتعرض
للمسالة اولى من الايثار كما روي ان رجلا جاء الى النبي
صلى الله عليه وسلم بمثل البيضة من الذهب
فقال هذه صدقة فرماه بها وقال ياتي احدكم
بجميع ما يملكه فيتصدق به ثم يقعد يتكفف الناس
والايثار بالنفس فوق الايثار بالمال وان عاد الى
النفس ومن الامثال والجود بالنفس اقصى غاية
الجود وافضل من الجود بالنفس الجود على حماية رسول
الله صلى الله عليه وسلم ففي الصحيح ان ابا طلحة
ترس على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد
وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتطلع ليرى
القوم فيقول له ابو طلحة لا تشرف يا رسول الله
لا يصيبونك نحري دون نحرك ووقى بيده رسول
الله صلى الله عليه وسلم فشلت وقال حذيفة العدوي
انطلقت يوم اليرموك اطلب ابن عم لي فاذا رجل يقول
اداه فاشار الي ابن عمي ان انطلق اليه فاذا هشام
ابن العاص ان انطلق اليه فاذا هو قد مات فرجعت
الى هشام فاذا هو قد مات فرجعت الى ابن عمي فاذا

Copyright © King Saud University

هو قد مات فرجعت الى ابي عمي فاذا هو قد مات وقال ابو
يزيد البسطامي ما غلبني احد ما غلبني شاب من اهل
بلخ قدم علينا حاجا فقال لي يا ابا يزيد ما حد الزهد
عندكم فقلت اذا وجدنا اكلنا واذا فقدنا صبرنا
فقال هكذا كلاب بلخ فقلت ـــــ وما حد الزهد
عندكم فقال اذا فقدنا شكرنا واذا وجدنا اثرنا
وسئل ذو النون ما حد الزهد قال ثلاث تفريق
المجموع وترك طلب المفقود والايثار عند القوت وحكي
عن ابي الحسن الانطاكي انه اجتمع عنده نيف وثلاثون
رجلا بقرية من قرى الري ومعهم ارغفة معدودة
لا تشبع جميعهم فكسروا الرغفان واطفوا السراج
وجلسوا للطعام فلما فرغوا فاذا الطعام بحاله لم
ياكل منهم احد شيئا ايثارا لصاحبه على نفسه **ومن يوق**
شح نفسه اي يحفظ بينه وبين اخلاقه الذميمة
المثار التهائج للنفس وقاية تحول بينه وبينها فلا
يكون مانعا لما عنده حريصا على ما عند غيره
حسدا قال ابن عمر الشح ان تطمع على الرجل فيما ليس
له قال صلى الله عليه وسلم اتقوا الشح فانه اهلك من
كان قبلكم حملهم على ان سفكوا دماءهم واستحلوا
محارمهم وقال القرطبي الشح والبخل سوا وجعل بعض
اهل اللغة الشح اشد من البخل وفي الصحاح الشح

البخل

البخل مع حرص والمراد بالشح في الاية الشح بالزكاة وما
ليس بفرض من صلة ذوي الارحام والضيافة وما
شاكل ذلك وليس بشحيح ولا بخيل من انفق في ذلك
وان امسك عن نفسه ومن وسع على نفسه ولم ينفق
فيما ذكر من الزكاة والطاعات فلم يوق شح نفسه روي
الاسود عن ابن مسعود ان رجلا اتاه فقال اني اخاف
ان اكون قد هلكت قال وما ذاك قال سمعت
الله يقول ومن يوق شح نفسه وانا رجل شحيح لا اكاد
اخرج من يدي شيئا فقال ابن مسعود ليس ذلك الذي
ذكر الله تعالى انما الشح ان تاكل مال اخيك ظلما ولكن
ذلك البخل وبئس الشيء البخل ففرق بين الشح والبخل
وقال طاوس البخل ان يبخل الانسان بما في يده
والشح ان يشح بما في ايدي الناس يحب ان يكون له
ما في ايديهم بالحل والحرام فلا يقنع وقال بعضهم
ليس الشح ان يمنع الرجل ماله انما الشح ان تطمع عين
الرجل فيما ليس له وقال ابن جبير الشح منع الزكاة
وادخار الحرام وقال ابن عيينة الشح الظلم وقال
الليث ترك الفرائض وانتهاك المحارم وقال ابن عباس
من اتبع هواه ولم يقبل الايمان فذلك الشحيح وقال
ابن زيد من لم ياخذ شيئا نهاه الله تعالى عنه
ولم يمنع شيئا امره الله تعالى باعطائه فقد وقاه الله

شح نفسه وعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
بري من الشح من ادى الزكاة واقرى الضيف واعطى في
النايبة وعنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعوا
اللهم اني اعوذ بك من شح نفسي واسرافها ووساوسها
وقال ابن الهياج الاسدي رايت رجلا في الطواف يدعوا
اللهم قني شح نفسي لا يزيد على ذلك فقلت له فقال
اذا وقيت شح نفسي لم اسرق ولم ازن ولم افعل فاذا
الرجل عبد الرحمن ابن عوف قال القرطبي ودل على هذا
قوله صلى الله عليه وسلم اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات
يوم القيامة واتقوا الشح فان الشح اهلك من كان
قبلكم حملهم على ان سفكوا دماءهم واستحلوا
محارمهم وعن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم
في جوف عبد ابدا وقال كسرى لاصحابه اي شي احس
يا ابن ادم قالوا الفقر فقال الشح اضر من الفقر لان
الفقير اذا وجد شبع والشحيح اذا وجد لم
يشبع ابدا **فاولئك** اي العالوا المنزلة **هم المفلحون**
الكاملون في الفوز بكل مراد قال القشيري وتجرد
القلب من الاعراض والاملاك صفة السادة والاكابر
لا من اسرته الاخطار ولما اثنى سبحانه على المهاجرين
والانصار بما هم اهله اتبعهم ذكر التابعين لهم

باحسان

نصار

باحسان اي يوم الدين فقال تعالى **والذين جاءوا** اي من
اي طايفة كانوا **من بعدهم** اي بعد المهاجرين والا
وهم من امن بعد انقطاع الهجرة بالفتح وبعد ايمان
الانصار الذين اسلموا مع النبي صلى الله عليه وسلم
الى يوم القيامة **يقولون** على سبيل التجديد والاستمرار
لقصد تقاله بما فهم بدعائهم **ربنا** اي ايها المحسن
الينا بايجادنا من مهد الذين قبلنا **اغفر لنا** اي اوقع
ستر النقايص اثارها واعيانها **ولاخواننا** اي في الدين
فانهم اعظم اخوة وبينوا العلة بقولهم **الذين سبقونا**
بالايمان قال ابن ابي ليلى الناس على ثلاثة منازل
المهاجرين والذين تبوءوا الدار والايمان والذين جاءوا
من بعدهم فاجتهد ان لا تخرج من هذه المنازل
وقال بعضهم كن مهاجرا فان قلت لا اجد
فكن انصاريا فان لم تجد فاعمل باعمالهم فان لم
تستطع فاحبهم واستغفر لهم كما امر الله تعالى
وقال مصعب ابن سعد الناس على ثلاث منازل
مضت منزلتان وبقيت منزلة فاحسن ما انتم عليه
ان تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت وعن جعفر بن محمد
عن ابيه عن جده انه جاءه رجل فقال له يا ابن اخي انت
من قوم قال الله تعالى فيهم والذين تبوءوا الدار والايمان
الاية قال لا قال فوالله ان لم تكن من اهل الاية

Copyright © King Saud University

الثالثة لم تخرج من الاسلام وهي قوله تعالى والذين جاؤا
من بعدهم الاية وروي ان نفرا من اهل العراق جاؤا
الى محمد ابن علي بن الحسين فسبوا ابا بكر وعمر ثم عثمان
واكثروا فقال لهم امن المهاجرين الاولين انتم فقالوا
لا قال امن الذين تبوؤا الدار والايمان قالوا لا قال
فقد تبرأتم من هذين الفريقين انا اشهد انكم لستم
من الذين قال الله تعالى والذين جاؤا من بعدهم
قوموا فعل الله بكم وفعل تنبيه هذه الاية
دليل على وجوب محبة الصحابة رضي الله تعالى عنهم
لانه جعل لمن بعدهم حظا في الفيء ما اقاموا على محبتهم
وموالاتهم والاستغفار لهم ومن ابغضهم او واحدا
منهم او اعتقد فيه شرا انه لا حق له في الفيء قال مالك
من كان يبغض احدا من اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم او كان في قلبه لهم غل فليس له حق في
المسلمين ثم قرا والذين جاؤا من بعدهم والاية
عامة في جميع التابعين الاتين بعدهم الى يوم الدين
يروى ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج الى المقبرة
فقال السلام عليكم دار قوم مؤمنين وانا ان شاء الله
بكم لاحقون وددت لو رايت اخواننا فقالوا يا رسول
الله السنا اخوانك فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم بل انتم اصحابي واخواننا الذين لم ياتوا بعد وانا

فرطهم

فرطهم على الحوض فبين صلى الله عليه وسلم ان اخوانه
كل من اتى بعدهم كما قال السدي والكلبي انهم الذين هاجروا
بعد ذلك وعن الحسن انهم الذين جاؤا من بعدهم
من قصد النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة
بعد انقطاع الهجرة وانما بدؤا في الدعا بانفسهم لقوله
صلى الله عليه وسلم ابدا بنفسك وقال الشعبي تفاضلت
اليهود والنصارى على الرافضة بخصلة سئلت
اليهود من خير اهل ملتكم فقالوا اصحاب موسى
وسئلت النصارى من خير اهل ملتكم فقالوا اصحاب
عيسى وسئلت الرافضة من شر اهل ملتكم فقالوا
اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم امروا بالاستغفار
فسبوهم وعن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول لا تذهب هذه الامة حتى
يلعن اخرها اولها اعاذنا الله تعالى وحمانا عن
هولاء المضلة **ولا تجعل في قلوبنا غلا** اي ضغنا
وحقدا وحسدا وهو حرارة وغليان توجب الانتقام
للذين امنوا اي اقروا بالايمان وان كانوا في ادنى
درجاته وقيدوا بالقلب لان رذايل النفس قل ان
تنفك وانما كانت مع صحة القلب او يترك ان
لا تؤثر **ربنا** اي ايها المحسن الينا بتعليمنا ما لم نكن نعلم
واكدوا اعلاما بانهم معتقدون ما يقولون بقولهم

Copyright © King Saud University

انك لروف اي راحم اشد الرحمة لمن كانت له ذلك وصلة
بفعل من افعال الخير رحيم مكرم غاية الاكرام لمن اردت
ولو لم يكن له وصلة فانت جدير بان تجيبنا لانا
نبغي ان يكون لنا وصلة فنكون من اهل الرافة اولا
فنكون من اهل الرحمة فقد افادت هذه الاية
ان من كان في قلبه غل علي احد من الصحابة فليس
ممن عنى الله تعالي بهذه الاية وقرا ابو عمرو و
وشعبة وحمزة والكسائي بقصر الهمزة والباقون
بمدها ولما ذكر حال المومنين اتبعهم بذكر حال المنا
فقين فقال تعالي الم تر اي تعلم علما هو في قوة الجزم
كالمشاهدة يا اعلي الخلق ومن بعدهم عن جناب العالي
ومنصبه الشريف العالي باداة الانتهاء فقال تعالي
الي الذين نافقوا اي اظهروا غير ما اضمروا وبالغوا
في اخفا عقايدهم وهم عبد الله بن ابي واصحابه
قالوا والنفاق لفظ اسلامي لم تكن العرب تعرفه
قبله وهو استعارة من الضب في نافقائه وقاصعائه
وصور حالهم بقوله تعالي يقولون لاخوانهم الذين
كفروا اي غطوا انوار المعارف التي دلتهم علي الحق
من اهل الكتاب وهم اليهود من بني قريظة والنضير
والاخوان هم الاخوة وهي هنا تحتمل وجوها احدها
الاخوة في الدين لان اليهود والمنافقين اشتركوا

في

في عموم الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وثانيها الاخوة
بسبب المصادقة والموالاة والمعاونة وثالثها
الاخوة بسبب اشتراكهم في عداوة محمد صلى الله
عليه وسلم فقالوا اليهود لئن اخرجتم اي من مخرج
ما من المدينة لنخرجن معكم اي منها ولا نطيع فيكم
اي في خذلانكم احدا اي يريد خذلانكم من الرسول
والمومنين واكدوا بقولهم ابدا اي مادمنا باقين
وبمثل هذا العزم استحق الكافر الخلود الابدي في
العذاب وان قوتلتم اي من اي مقاتل كان يقاتلهم
ولم يخرجوا لننصرنكم اي لنعينكم ولنقاتلن معكم
ولما كان قولهم هذا كلاما يقتضي عليه سامعه
بالصدق من حيث كونه مستندا من غير سوال فيه
بين حاله سبحانه بقوله تعالي والله اي يقولون ذلك
والحال ان المحيط بكل شي قدرة وعلما يشهد انهم
اي المنافقين لكاذبون اي فيما قالوا ووعدوا وهذا
من اعظم دلايل النبوة لانه اخبار بغيب بعيد عن
العادة ثم اخبر تعالي عن حال المنافقين بقوله
تعالي لين اخرجوا اي بنوا النضير من اي مخرج
كان لا يخرجون اي المنافقون معهم اي حمية لهم
لاسباب يعلمها الله تعالي ولين قوتلوا اي اليهود
من اي مقاتل كان فليس باشجع الخلق واعلمهم

Copyright © King Saud University

صلى الله عليه وسلم لا ينصرونهم اي المنافقون ولو صدق
الله تعالى وكذبوا في الامرين معا القتال والاخراج لا نصر
وهم ولا خرجوا معهم فكان ذلك من اعلام النبوة
وعلم به من كان شاكا فضلا عن الموقنين ولئن
نصروهم اي المنافقون في وقت من الاوقات ليولن
اي المنافقون ومن ينصرونه وحضرهم بتولية
الادبار اي ولو قدر وجود نصرهم لولوا الادبار سرعة
منهزمين ثم لا ينصرون اي لا يتجدد لهم نصر ولو
احد منهما نصرة في وقت من الاوقات ولم يزل المنا
فقون واليهود في الذل لانتم ايها المومنون اشد
رهبة اي خوفا في صدورهم اي اليهود ومن ينصرهم
من الله اي الله لتأخر عذابه واصل الرهبة
والرهب الخوف الشديد مع حزن واضطراب والمعنى
انهم يرهبونكم ويخافون منكم اشد الخوف واشد
من رهبتهم من الله لما مر ذلك اي الامر القريب
وهو خوفهم الثابت اللازم من مخلوق مثلهم ضعيف
لرؤيتهم له وعدم خوفهم من الخالق على ماله من
العظمة في ذاته ولكونه غيبا عنهم بانهم قوم اي
على ما لهم من القوة لا يفقهون اي لا يتجدد لهم
لسكرهم واعتمادهم على مكرهم في وقت من
الاوقات منهم شرح صدورهم ليدركوا به

ان الله هو الذي ينبغي ان يخشى لا غيره بل هم كانوا
لا نظر لهم الى الغيب انما هم مع المحسوسات والفقه
هو العلم بمفهوم الكلام ظاهره الجلي وغامضه
الخفي بسرعة فطنة وجودة قريحة لا يقاتلونكم
اي اليهود والمنافقون جميعا اي قتالا تقصدونه
مجاهرة وهم مجتمعون كلهم في وقت من الاوقا
ومكان من الاماكن الا في قرى محصنة اي ممتنعة
بحفظ الدروب وهي السكك الواسعة بالابواب
والخنادق ونحوها او من وراء جدار اي محيط بهم
سواكان بقرية ام بغيرها لشدة خوفهم وقد اخرج
هذا ما حصل من بعضهم عن ضرورة كاليسير
ومن كان ينزل من اهل خيبر من الحصن ليبارز ونحو
ذلك فانه لم يكن عن اجتماع او يكون هذا خاصا
ببني النضير في هذه الكرة وقرا ابن كثير وابو عمرو
بكسر الجيم وفتح الدال والف بعدها واما الالف ابو
عمرو والباقون بضم الجيم والدال بأسهم اي حربهم
بينهم شديد اي بعضهم فظ على بعض وعداوة
بعضهم بعضا شديدة وقيل بأسهم بينهم من
وراء الحيطان والحصون شديد فاذا خرجوا اليكم
فهم اجبن خلق الله تحسبهم اي اليهود والمنافقين
يا اعلى الخلق ويا ايها الناظر وقرأ نافع وابن كثير وابو

عمرو والكسائي بكسر السين والباقون بفتحها **جميعا** لما
هم فيه من اجتماع الاشباح **وقلوبهم شتى** اي متفرقة
اشد افتراق وموجب هذا الشتات اختلاف الاهوا
التي لا جامع لها من نظام العقل كالبهايم وان
اجتمعوا في عداوة اهل الحق كاجتماع البهايم في الهرب
من الذيب قال القشيري اجتماع النفوس مع تنافر
القلوب واختلافها اصل كل فساد وموجب كل
تخاذل ومقتضى لتجاسر العدو واتفاق القلوب
والاشتراك في الهمة والتساوي في القصد موجب
كل ظفر وكل سعادة وقرا شتى ولحمزة والكسائي
بالامالة محضة وورش بالفتح وبين اللفظين وابو
عمرو بين والباقون بالفتح وهو على وزن فعلى **ذلك**
اي الامر العجيب من الافتراق بعد الاتفاق الذي
يخيل الاجتماع **بانهم قوم** اي مع شدتهم **لا يعقلون**
فلا دين لهم مثل ترك الايمان **كمثل الذين من قبلهم**
قريبا اي بزمن قريب وهم كما قال ابن عباس بني
قينقاع من اهل دينهم اليهود اظهروا باسا شديدا
عند ما قصدهم النبي صلى الله عليه وسلم في اثر
غزوة بدر فوعظهم وحذرهم باس الله تعالى
فقالوا لا يغرنك يا محمد انك لقيت قوما اغمارا لا علم
لهم بالحرب فاصبت منهم اما والله لو قاتلتنا لعلمت

انا

٤٦ ها

انا نحن الناس ثم مكروا بامراة من المسلمين فراودوها على
كشف وجهها فابت فعمدوا لطرف ثوبها من تحت خمارها
فلما قامت انكشف سوقها فصاحت فقام لها شخص
من الصحابة فقتل اليهودي الذي عقد ثوبها فقتلوه
فانتقض عهدهم فانزل النبي صلى الله عليه وسلم
ساحتهم فاذلهم الله تعالى ونزلوا من حصنهم
على حكمه صلى الله عليه وسلم وقد كانوا حلفا ابن ابي
ولم يغن عنهم شيا غير انه سال النبي صلى الله عليه
وسلم في ان لا يقتلهم والح عليهم حتى كف عن قتلهم
فذهبوا عن المدينة الشريفة بانفسهم من غير شي
لهم بالالزام بالجلا **ذاقوا وبال امرهم** اي عقوبته
في الدنيا من القتل وغيره **ولهم عذاب اليم**
اي مولم في الاخرة ومثلهم ايضا في سماعهم من
المنافقين وتخلفهم عنهم **كمثل الشيطان** اي البعيد
من كل خير لبعده من الله تعالى المحترق بعد ابدا
والشيطان هو مثل المنافقين **اذ قال للانسان** وهو
هنا مثل اليهود **اكفر** اي بالله بما زين له ووسوس
اليه من اتباع الشهوات القايم مقام الامر **فلما**
كفر اي اوجد الانسان الكفر على اي وجه ودلت
الفاء على اسراعه في متابعة تزيينه **قال** اي الشيطان
الذي هو هنا عبارة عن المنافقين **اني بري منك** اي

Copyright © King Saud University

ليس بيني وبينك علاقة في شيء اصلا ظنا منه ان
هذه البراءة تنفعه شيئا مما استوجبه المامور بقبوله
لامره وذلك مثل ضربه الله تعالى للمنافقين واليهود
في اخذالهم وعدم الوفا في نصرتهم وحذف حرف
العطف ولم يقل وكمثل الشيطان لان حذف حرف
العطف كثير كقولك انت عاقل انت كريم انت عالم
وقوله كمثل الشيطان كالبيان لقوله تعالى كمثل الذين
من قبلهم روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
ان الانسان الذي قال الشيطان راهب نزلت عنده
امراة اصابها لمم ليدعو لها فزين له الشيطان
فوطيها فحملت ثم قتلها خوفا من ان يفتضح فدل
الشيطان قومها على موضعها فجاوا فاستنزلوا
الراهب ليقتلوه فجاءه الشيطان فوعده ان سجد له
انجاه منهم فسجد له فتبرا منه وروى عطا وغيره
عن ابن عباس قال كان راهب يقال له برصيصا يتعبد
في صومعة له سبعين سنة لم يعص الله تعالى فيها
طرفة عين وان ابليس اعياه في امره الحيل فجمع
ذات يوم مردة الشياطين فقال الا احد منكم
من يكفيني برصيصا فقال له الابيض وهو صاحب
الانبيا عليهم الصلاة والسلام وهو الذي تصدى
للنبي صلى الله عليه وسلم وجاءه في صورة جبريل

عليه

عليه السلام ليوسوس اليه على وجه الوحي فدفعه جبريل
عليه السلام الى اقصى ارض الهند فقال الابيض
لابليس انا اكفيك امره فانطلق فتزيا بزينة
الرهبان وحلق وسط راسه واتى صومعة برصيصا
فناداه فلم يجبه وكان لا ينفتل عن صلاته الا في
عشرة ايام مرة ولا يفطر في كل عشرة ايام الا مرة
فلما راه الابيض انه لا يجيبه اقبل على العبادة
في اصل صومعته فلما انفتل برصيصا اطلع من
صومعته فراى الابيض قايما يصلي في هيئة
حسنة من هيئة الرهبان فلما راى ذلك من حاله
ندم على نفسه حين لم يجبه فقال له انك حين
ناديتني كنت مشتغلا عنك فما حاجتك قال
حاجتي انني احببت ان اكون معك فاتادب بادبك
واقتبس من علمك ونجتمع على العبادة وتدعو لي
وادعو لك فقال برصيصا اني لفي شغل عنك فان
كنت مومنا فان الله سيجعل لك فيما ادعو للمومنين
نصيبا ان استجاب الله لي ثم اقبل على صلاته ثم
وترك الابيض فاقبل الابيض يصلي فلم يلتفت
برصيصا اربعين يوما فلما التفت بعدها راه قايما
يصلي فلما راى برصيصا شدة اجتهاد الابيض
قال له ما حاجتك قال حاجتي ان تاذن لي ان ارتفع

Copyright © King Saud University

اليك فاذن له فارتفع اليه في صومعة فاقام حوله
يتعبد فلا يفطر الا في كل اربعين يوما مرة ولا يفصل
من صلاته الا كذلك وربما مد الى التمازين فلما
راى برصيصا اجتهاده تقاصرت اليه نفسه واعجبه
شان الابيض فلما حال الحول قال الابيض لبرصيصا
اني صاحبا غيرك ظننت انك اشد اجتهادا
مما رايت وكان بلغنا عنك انك غير الذي رايت
فدخل من ذلك على برصيصا امر شديد وكره
مفارقته للذي راه من شدة اجتهاده فلما ودعه
الابيض قال له ان عندي دعوات اعلمها لك تدعو
بهن فهن خير مما انت فيه يشفي الله تعالى بهن
المريض ويعافي بها المبتلى والمجنون قال برصيصا
اني اكره هذه المنزلة لان في نفسي شغلا واني
اخاف ان علم به الناس شغلوني عن عبادة
ربي عز وجل فلم يزل به الابيض حتى علمه ثم انطلق
حتى اتى ابليس فقال والله قد اهلكت الرجل فانطلق
الابيض فتعرض لرجل فخنقه ثم جاءه في صورة رجل
مطبب فقال له ان بصاحبكم جنونا افاعالجه
قالوا نعم فقال اني لا اقوى على جنيته ولكن سار
شدكم الى من يدعو الله تعالى فيعافيه انطلقوا
الى برصيصا فان عنده الاسم الذي اذا دعي به

اجيب

٢٨

اجيب فانطلقوا اليه فسالوه فدعى بتلك الكلمات
فذهب عنه الشيطان فكان الابيض يفعل ذلك
بالناس ويرشدهم الى برصيصا فيدعو لهم
فيعافون فانطلق الابيض فتعرض لجارية من بنات
ملوك بني اسرائيل وكان لها ثلاثة اخوة وكان
ابوهم هو الملك فلما مات استخلف اخاه فكان عمها
بني اسرائيل فعذبها وخنقها ثم جاء اليهم في
صورة رجل مطبب فقال افاعالجها قالوا نعم
قال ان الذي عرض لها مارد لا يطاق ولكن سار
شدكم الى رجل تثقون به تدعونها عنده اذا
جاءها شيطانها دعا لها حتى تعلموا انها قد عوفيت
فتردونها صحيحة قالوا ومن هو قال برصيصا
قالوا كيف لنا ان يجيبها الى هذا وهو اعظم شانا
من ذلك قالوا ابنوا صومعة الى جنب صومعته
ولتكن لزيقة صومعته حتى تشرف عليه فان قبلها
والا فتضعونها في صومعتها ثم تقولوا له هي امانة
عندك فاحتسب امانتك فانطلقوا اليه فسالوه
ذلك فابى فبنوا صومعة على ما امرهم به الابيض
ووضعوا الجارية في صومعتها وقالوا يا برصيصا
هذه اختنا امانة عندك فاحتسب فيها ثم
انصرفوا فلما انفتل برصيصا من صلاته ثم عاين الجارية

Copyright © King Saud University

وما عليه من الجمال فوقعت في قلبه ودخل عليه امر
عظيم فجاءها الشيطان فخنقها فكانت تكنو عن
نفسها فتعرض لبرصيصا في الشيطان وقال له ويحك
واقعها فلم تجد مثلها وستتوب بعد ذلك وتتم
لك ما تريد من الامر فلم يزل به حتى واقعها
فلم يزل على ذلك يأتيها حتى حملت وظهر حملها
فقال له الشيطان ويحك يا برصيصا قد افتضحت
فهل لك ان تقتلها وتتوب فان سالوك فقل
ذهب بها شيطانها ولم اقو عليه فدخل فقتلها
ثم انطلق بها فدفنها الى جانب الجبل فجاء الشيطان
وهو يدفنها ليلا فاخذ بطرف ازارها فبقي خارجا
من التراب ثم رجع برصيصا الى صومعته واقبل
على صلاته اذ جاء اخوتها يتعهدون اختهم وكانوا
يجيئون في بعض الايام يسالون عنها ويوصونه
بها فلما لم يجدوها قالوا يا برصيصا ما فعلت اختنا
قال قد جاء شيطانها فذهب بها ولم اطقه فصدقوه
وانصرفوا فلما امسوا مكروبين جاء الشيطان
الى اكبرهم في منامه فقال ويحك ان برصيصا
فعل باختك كذا وكذا فقال الاخ هذا حلم
وهو من عمل الشيطان برصيصا خير من ذلك فتابع
عليه ثلاث ليال فلم يكترث فانطلق الى الاوسط

بمثل

بمثل ذلك فقال الاوسط له ما قال الاكبر ولم يخبر به
احدا فانطلق الى اصغرهم بمثل ذلك فقال الاصغر
لاخويه والله لقد رايت كذا وكذا فقال الاوسط
انا والله رايت مثله وقال الاكبر انا والله رايت
مثله فانطلقوا الى برصيصا وقالوا له ما فعلت
باختنا فقال اليس قد اعلمتكم بحالها فكانكم
اتهمتموني فقالوا والله لا نتهمك واستحيوا منه
وانصرفوا فجاءهم الشيطان وقال ويحكم انها مدفونة
في موضع كذا وان طرف ازارها خارج من التراب
فانطلقوا فراوا اختهم على ما راوا في النوم فمشوا
اليه ومعهم غلمانهم ومواليهم بالفؤوس والمساحي
فهدموا صومعة برصيصا وانزلوه منها
وكتفوه ثم قادوه الى الملك فاقر على نفسه وذلك
ان الشيطان اتاه فقال تقتلها ثم تكابر فيجتمع
عليك امران قتل ومكابرة اعترف فلما اعترف
امر الملك بقتله وصلبه على خشبة فلما وصلب
اتاه ابليس فقال يا برصيصا اتعرفني قال لا قال
انا صاحبك الذي علمتك الدعوات فاستجيب
لك ويحك اما اتقيت الله تعالى في الامانة خنت
اهلها وانك زعمت انك اعبد بني اسرائيل اما
استحييت فلم يزل يعيره ثم قال الم يكفيك

هبوا حي

Copyright © King Saud University

ما صنعت حتى اقررت على نفسك وفضحت نفسك بين
واشباهك من الناس فان مت على هذه الحالة
فلم يفلح احد من نظرائك قال فكيف اصنع قال تطيعني
في خصلة واحدة حتى انجيك مما انت فيه فاخذ
باعينهم واخرجك من مكانك قال وما هي قال
تسجد لي قال افعل فسجد له قال يا برصيصا
الذي اردت منك صارت عاقبة امرك الى ان
كفرت بربك اني بريء منك اني اخاف الله اي الملك
الذي له الامر لا احد معه وقرأ نافع وابن كثير
وابو عمرو بفتح اليا والباقون بسكونها رب
العالمين اي الذي اوجدهم من العدم ورباهم
بما يدل على جميع الاسما الحسنى والصفات العليا
فلا يغني احد من خلقه عن احد شيئا الا باذنه
فكان اي فتسبب عن قوله ذلك انه كان
عاقبتهما اي الغار والمغرور انهما في النار حال
كونهما خالدين فيها لانهما ظلما ظلما لا فلاح معه
وذلك اي العذاب الاكبر جزا الظالمين اي كل من
وضع العبادة في غير محلها وهم الكافرون لقوله
تعالى ان الشرك لظلم عظيم قال ابن عباس ضرب
الله تعالى هذا المثل ليهود بني النضير والمنا
فقين من اهل المدينة فذكر انهم غروا بهم

وقالوا

وقالوا لا تجيبوا محمدا الى ما دعاكم اليه ولا تخرجوا من
دياركم فان قاتلكم فانا معكم فاجابوهم فدربوا
على حصونهم و في ديارهم رجا نصر المنافقين
فخذلوهم وتبرءوا منهم كما تبرأ الشيطان من برصيصا
وخذله فكان عاقبة الفريقين في النار قال ابن عباس
وكانت الرهبان بعد ذلك في بني اسرائيل لا يمشون
الا بالتقية والكتمان وطمع اهل الفسوق في الاحبار
ورموهم بالبهتان حتى كان امر جريج الراهب
فلما براه الله تعالى مما رموه به انبسطت بعده الر لعبادة
وظهروا للناس وكانت قصة جريج ما روي عن
ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم عيسى
بن مريم وصاحب جريج وكان جريج رجلا عابدا
فاتخذ صومعة فكان فيها فاتته امه وهو يصلي
فقالت يا جريج فقال رب امي وصلاتي واقبل على
صلاته فانصرفت فلما كان من الغد اتته فقال
مثل مقالته الاولى فقالت اللهم لا تمته حتى
ينظر في وجوه المومسات فتذاكر بنو اسرائيل
جريجا وعبادته وكانت امراة بغي يتمثل بحسنها
فقالت ان شئتم لافتننه لكم قال فتعرضت
له فلم يلتفت اليها فاتت راعيا كان ياوي الى
صومعته فامكنته من نفسها فوقع عليها فحملت

Copyright © King Saud University

فلما ولدته قالت هو من جريج فاتوه فاستنزلوه وهدموا
صومعته وجعلوا يضربونه فقال ما شانكم فقالوا زنيت
بهذه البغي فحملت منك فقال اين الصبي فجاوا به فقال
دعوني حتى اصلي فلما انصرف من صلاته اتى الصبي
وطعن في بطنه وقال يا غلام من ابوك قال فلان
الراعي قال فاقبلوا على جريج يقبلونه ويتمسحون
به وقالوا نبني لك صومعتك من ذهب لا نعيدها
من طين كما كانت ففعلوا والثالث كلم امه وهي
ترضعه في قصة مشهورة يا ايها الذين امنوا
اي اقروا بالايمان باللسان اتقوا الله اي اجعلوا
لكم وقاية تقيكم سخط الملك الاعظم باتباع
اوامره واجتناب نواهيه واحذروا عقوبته
بسبب التقصير فيما حده لكم من امر ونهي
ولتنظر نفس ما قدمت لغد اي في يوم القيامة
لان هذه الدنيا كلها كيوم واحد يجي فيه ناس
ويذهب اخرون والموت اول اخرة لا بد من كل
وكل ما لا بد منه فهو في غاية القرب والعرب تكني
عن المستقبل بالغد وقيل ذكر الغد تنبيها على ان
الساعة قريبة كقول القائل

وان غدا لناظره قريب ... وقال الحسن
وقتادة قرب الساعة حتى جعلها كغد لان كل ات

قريب

قريب والموت لا محالة ات ومعنى ما قدمت اي من خير
او شر ونكر النفس لاستقلال الانفس التي تنظر فيما
قدمت للاخرة كانه قال فلتنظر نفس واحدة في ذلك
ونكر الغد لتعظيمه وابهام امره كانه قال الغد لا تعرف
لميته لعظمته وقوله تعالى واتقوا الله اي الجامع لجميع
صفات الكمال تاكيد وقيل كرر لتغاير متعلق التقويين
فمتعلق الاولى اداء الفرائض لاقترانه بالعمل والثانية
ترك المعاصي لاقترانه بالتهديد والوعيد قال
معناه الزمخشري ان الله اي الذي له الاسماء الحسنى
والصفات العليا خبير اي عظيم الاطلاع على
ظواهركم وبواطنكم والاحاطة بما تعملون فلا تعملون
عملا الا كان بمراى منه ومسمع فاستحيوا منه
ولا تكونوا ايها المحتاجون الى التحذير وهم الذين
امنوا كالذين نسوا الله اي اعرضوا عن اوامره ونواهي
الملك الاعظم وتركوها ترك الناسي لمن برزت
عنه مع ما له من صفات الجلال والاكرام فانساهم
اي فتسبب عن ذلك ان انساهم بما له من الاحاطة
بالظواهر والبواطن انفسهم اي فلم يقدموا لها
ما ينفعها وان قدموا شيا كان مشوبا بالمفسدات
من الرياء والعجب فكانوا ممن قال فيه تعالى وجوه
يومئذ خاشعة عاملة ناصبة الاية لانهم لم

Copyright © King Saud University

يدعوا بابا من ابواب الفسق فان راس الفسق الجهل بالله
وراس العلم ومفتاح الحكمة معرفة النفس فاعرف
الناس بنفسه اعرفهم بربه اوليك اي البعداء من
كل خير هم الفاسقون اي الغريقون في المروق من
دايرة الدين لا يستوي اي بوجه من الوجوه اصحاب
النار اي التي هي محل الشقا الاعظم واصحاب الجنة اي
التي هي دار النعيم الاكبر لا في الدنيا ولا في الاخرة
واستدل بهذه الاية على ان المسلم لا يقتل بالكافر
اصحاب الجنة هم الفايزون اي الناجون من كل مكروه
المدركون لكل محبوب واصحاب النار هم الهالكون في
الدارين كما وقع في هذه الغزوة لفريقي المومنين
وبني النضير ومن والاهم من المنافقين فشتان
ما بينهما لو انزلنا اي بعظمتنا التي ابانها هذا
الانزال هذا القران اي الجامع لجميع العلوم الفارق
بين كل ملتبس المبين لجميع الحكم على جبل اي جبل
كان وجعل فيه تمييز كالانسان لرايته يا اشرف
الخلق وان لم يتاهل غيرك لتلك الروية خاشعا
اي متذللا باكيا متصدعا اي متشققا غاية التشقق
من خشية الله اي من الخوف العظيم ممن له الكمال
كله وفي هذا حث على العظيم تامل مواعظ القران
وتدبر اياته وتلك الامثال اي التي لا يبلغها شيء

نضربها

نضربها للناس لعلهم يتفكرون فيومنون والمعنى
انا لو انزلنا هذا القران على الجبل لخشع لوعده وتصدع
لوعيده وانتم ايها المشهورون باعجازه لا تر
في وعده ولا ترهبون من وعيده والغرض من هذا
الكلام التنبيه على قساوة قلوب هولاء الكفار وغلظ
طباعهم ونظيره ثم قست قلوبكم من بعد ذلك
فهي كالحجارة او اشد قسوة وقيل الخطاب للنبي صلى
الله عليه وسلم اي لو انزلنا هذا القران يا محمد على جبل
لما ثبت وتصدع من نزوله عليه وقد انزلناه عليك
وثبتناك لم يتكون ذلك امتنانا عليه ان ثبته
لما لم تثبت عليه الجبال وقيل انه خطاب للامة والله
تعالى لو انزل هذا القران الجبال لتصدعت من خشية
الله تعالى والانسان اقل قوة واكثر ثباتا فهو يقوم بحقه
ان اطاع ويقدر على رده ان عصي لانه موعود بالثواب
ومزجور بالعقاب ولما وصف تعالى القران بالعظيم
ومعلوم ان عظم الصفة تابع لعظم الموصوف اتبع
ذلك بوصف عظمته تعالى فقال عز من قايل هو
اي الذي وجوده من ذاته فلا عدم له بوجه من الوجوه
فلا شي يستحق الوصف بهو غيره لانه الموجود دايما
ازلا وابدا فهو حاضر في كل ضمير غايب بعظمته
عن كل حس فلذلك تصدع الجبل من خشيته ولما

غبون

ولما عبر عنه باخص اسمائه اخبر عنه لطفا بنا وتنزلا
لنا باشهره الذي هو مسمى الاسماء كلها بقوله تعالى **الله**
اي المعبود الذي لا تنبغي العبادة والالهية الا له **الذي**
لا اله الا هو فانه لا مجانس له ولا يليق ولا يصح ولا يتصور
ان يكافئه او يدانيه شيء والا لما وقف اسم الله تعالى
فلذلك لا يكون احد مسلما الا بتوحيده فتوحيده
فرض وهو اس كل فريضة **عالم الغيب** اي الذي وجد والشهادة صح
فكان يخبئه ويطلع عليه بعض خلقه وقال ابن عباس
رضي الله عنهما معناه عالم السر والعلانية وقيل
ما كان وما يكون وقال سهل عالم بالآخرة والدنيا
وقيل استوى في علمه السر والعلانية والموجود والمعدوم
وقوله تعالى **هو الرحمن الرحيم** معناه ذو الرحمة
ورحمة الله تعالى ارادته الخير والنعمة والاحسان
الى خلقه وقيل الرحمن اشد مبالغة من رحيم
ولهذا قيل هو رحمن الدنيا ورحيم الآخرة لانه
تعالى باحسانه في الدنيا يعم المؤمن والكافر وفي
الآخرة يختص انعامه واحسانه بالمؤمنين **هو الله**
اي الذي لا يقدر على تعميم الرحمة لمن اراد وتخصيصها
لمن شاء الا هو **الذي لا اله** اي لا معبود بحق **الا هو**
الملك فلا مالك في الحقيقة الا هو لانه لا يحتاج الى
شيء لانه مهما اراد كان فهو متصرف بالامر

والنهي

٤٣

والنهي في جميع خلقه فهم تحت ملكه وقهره وارادته
القدوس اي البليغ في النزاهة عن كل وصم يدركه حس
او يتصوره خيال او يسبق اليه وهم او يختلج به ضمير
ونظيره السبوح وفي تسبيح الملائكة سبوح قدوس
رب الملائكة والروح **السلام** اي الذي سلم من النقا[ئص] يعني
وكل آفة تلحق الخلق فهو بمعنى السلامة ومنه دار
السلام وسلام عليكم وصف به مبالغة في وصف كونه
سليما من النقائص او في اعطائه السلامة **المؤمن**
قال ابن عباس هو الذي امن الناس من ظلمه وامن
من آمن به عذابه وقيل هو المصدق لرسله
باظهار المعجزات لهم والمصدق للمؤمنين بما وعدهم
من الثواب وبما اوعد الكافرين من العذاب وقال
مجاهد المؤمن الذي وحد نفسه لقوله تعالى شهد
الله انه لا اله الا هو وقال ابن عباس اذا كان يوم القيامة
اخرج اهل التوحيد من النار واول من يخرج من
وافق اسمه اسم نبي حتى اذا لم يبق فيها من وافق
اسمه اسم نبي قال الله تعالى لباقيهم انتم المسلمون
وانا السلام وانتم المؤمنون وانا المؤمن فيخرجهم
من النار ببركة هذين الاسمين **المهيمن** قال ابن عباس
اي الشهيد على عباده باعمالهم الذي لا يغيب عنه
شيء وقيل هو القائم على خلقه بقدرته وقيل هو

Copyright © King Saud University

الرقيب الحافظ لكل شيء مفيعل من امن قلبت همزته
هاء العزيز اي الذي لا يوجد له نظير وقيل هو الغالب
القاهر الجبار اي الذي جبر خلقه على ما اراده او جبر حالهم
بمعنى اصلحه والجبار في صفة الله صفة مدح وفي
صفة الناس صفة ذم وكذا قوله تعالى المتكبر اي الذي
تكبر على كل ما يوجب حاجته ونقصها وهو في حقه
تعالى صفة مدح لان له جميع صفة العلو والعظمة
وفي صفة الناس صفة ذم لان المتكبر وذلك نقص
في حقه لانه ليس له كبر ولا علو بل له الحقارة والذلة
فاذا اظهر الكبر كان كذابا في فعله سبحان الله اي تنزه
الملك الاعلى الذي اختص بجميع صفات الكمال تنزيها
لا تدركه العقول منه اكثر من انه علا عن اوصاف
الخلق فلا يدانيه شيء من نقص تعالى عما يشركون
اي من هذه المخلوقات من الاصنام وغيرها
مما في الارض وفي السماء من صغير وكبير وجليل
وحقير هو اي الذي لا شيء يستحق ان يطلق عليه
هذا الضمير غيره لان وجوده من ذاته ولا شيء
غيره الا وهو ممكن ولما ابتدا بهذا الغيب المحض
الذي لم يقع فيه شركة بوجه فقال تعالى الله اي الذي
ليس له سمي فلا كفو له فهو المعبود بالحق فلا شريك
له بوجه الخالق اي المقدر للاشياء على مقتضى حكمته

البارئ

البارئ اي المخترع المنشئ للاشياء من العدم الى الوجود بريا
من التفاوت وقوله تعالى المصور اي الذي يخلق صور الاشيا
على ما يريد بكسر الواو ورفع الراء اما صفة او خبر واحترز
بهذا الضبط عن قراءة امير المومنين علي بن ابي طالب
والحسن فانهما قرا بفتح الواو ونصب الراء وهي قراة
شاذة وانما تعرضت لها لابين وجهها وهو ان تخرج
هذه القراة على ان يكون المصور منصوبا بالبارئ
والمصور هو آدم اما ادم واما هو وبنوه وعلى
هذه القراة يحرم الوقف على المصور بل يجب الوصل
ليظهر النصب في الراء والا فقد يتوهم منه في الوقف
ما لا يجوز له اي خاصة الاسماء الحسنى التسعة
والتسعون الواردة فيها الحديث وقد ذكرها في سورة
الاسرا والحسنى تانيث الاحسن يسبح اي يكرر التنزيه
الاعظم من كل شائبة نقص على سبيل التجديد والا
له اي على وجه التخصيص ما في السموات اي السموات
ومن فيها والارض ومن فيها وهو اي والحال انه
وحده العزيز اي الذي يغلب كل شيء ولا يغلبه
شيء الحكيم اي الجامع للكمالات باسرها فانها راجعة
الى الكمال في القدرة والعلم عن معقل بن يسار ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يصبح ثلاث
مرات اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم

زبة

يد

ستمرار

Copyright © King Saud University

وقراة الثلاث ايات من سورة الحشر وكل الله به سبعين الف
ملك يصلون عليه حتى يمسي وان مات في ذلك اليوم
مات شهيدا ومن قالها حين يمسي كان كذلك اخرجه
الترمذي وقال حسن غريب وعن ابي هريرة انه قال
سالت خليلي ابا القاسم رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن اسم الله الاعظم فقال عليك باخر سورة الحشر
فاكثر قراتها فاعدت عليه فاعاد علي وقال جابر بن زيد
ان اسم الله الاعظم هو الله لمكان هذه الاية وما
رواه البيضاوي تبعا للزمخشري من انه صلى الله
عليه وسلم قال من قرا سورة الحشر غفر له ما تقدم
من ذنبه وما تاخر حديث موضوع

سورة الممتحنة مدنية

وهي ثلاث عشرة اية وثلثمايه وثمان واربعون كلمة
والف وخمسماية وعشرة احرف بسم الله الذي من
قوله الاعتناء على استواه الرحمن الذي شمل برحمة
الانسان بن حاطب بالعقل ورعاه الرحيم الذي
خص بالتوفيق من احبه وارتضاه ونزل في حاطب
بن ابي بلتعة يايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي
اي وانتم تدعون موالاته وعدوكم اي الغريق
في عداوتكم ما دمتم على مخالفته في الدين اوليا
وذلك ان سارة مولاة ابي عمرو بن صيفي

يقال

لها سارة اتت النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة
وهو يتجهز للفتح فقال لها امسلمة جيت قالت لا قال
افمهاجرة جيت قالت لا قال فما جا بك قالت كنتم
الاهل والموالي والعشيرة وقد ذهبت الموالي يعني
قتلوا يوم بدر فاحتجت حاجة شديدة فقدمت عليكم
لتعطوني وتكسوني فقال صلى الله عليه وسلم فاين
انت عن شباب اهل مكة وكانت مغنية نائحة قالت
ما طلب مني شي بعد وقعة بدر فحث رسول الله صلى
الله عليه وسلم بني عبد المطلب وبني المطلب على اعطائها
فكسوها وحملوها وزودوها فاتاها حاطب بن ابي
بلتعة واعطاها عشرة دنانير وكساها بردا واستحملها
كتابا لاهل مكة نسخته من حاطب بن ابي بلتعة الى
اهل مكة اعلموا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد
فخذوا حذركم وقد توجه اليكم بجيش كالليل واقسم
بالله لو لم يسر اليكم الا وحده لاظفره الله تعالى
بكم وانجز له موعده فيكم فالله وليه وناصره فخرجت
سارة ونزل جبريل عليه السلام بالخبر فبعث رسول
الله عليه وسلم عليا وعمارا وعمر وطلحة والزبير
والمقداد وابا مرثد وكانوا فرسانا وقال انطلقوا حتى
تاتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب
الى اهل مكة فخذوه منها وخلوها فان ابت فاضربوا

ها

كم

حبت

Copyright © King Saud University

عنقها فادركوها فجحدت وحلفت ما معها كتاب ففتشوا
امتعتها فلم يجدوا معها كتابا فهموا بالرجوع فقال علي
والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسل سيفه وقال اخرجي الكتاب والا والله لاجرد
ذلك ولاضربن عنقك فلما رات الجد اخرجته من عقاص
شعرها فخلوا سبيلها ورجعوا بالكتاب الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وروي ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم امن جميع الناس يوم الفتح الا اربعة هي احدهم
فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا وقال
له هل تعرف هذا الكتاب قال نعم فقال ما حملك عليه
فقال يا رسول الله ما كفرت منذ فارقتهم ولكني كنت
امرا ملصقا في قريش وروي عزيزا فيهم اي
غريبا ولم اكن من انفسها وكل من معك من المهاجرين
لهم قرابات بمكة يحمون اهاليهم واموالهم غيري
فخشيت على اهلي فاردت ان اتخذ عندهم يدا وقد
علمت ان الله تعالى ينزل عليهم باسه وان كتابي
لا يغني عنهم شيا فصدقه وقبل عذره فقال عمر
دعني يا رسول الله اضرب عنق هذا المنافق فقال
وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على اهل بدر فقال
لهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ففاضت عينا عمر
وقال الله ورسوله اعلم واضافة العدو الى الله تعالى

تغليظا

تغليظا في جرمهم وهذه السورة اصل في النهي عن
موالاة الكفار وتقدم نظيره في قوله تعالى لا يتخذ المومنون
الكافرين اولياء وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا
بطانة من دونكم روي ان حاطبا لما سمع يا ايها الذين
امنوا غشي عليه من الفرح بخطاب الايمان ثم انه تعالى
استانف بيان هذا الاتخاذ بقوله تعالى مشيرا الى غاية
الاسراع والمبادرة الى ذلك بالتعبير بقوله تعالى
تلقون اي جميع ما هو في حوزتكم مما لا تطمعون
فيه القاء الشي الثقيل من علو اليهم على بعدهم منكم
حسا ومعنى بالمودة اي بسببها قال القرطبي تلقون اليهم
بالمودة يعني بالظاهر لان قلب حاطب كان
سليما بدليل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اما
صاحبكم فقد صدق هذا نص في سلامة فواده
وخلوص اعتقاده وقرا حمزة بضم الهاء والباقون
بكسرها وقوله تعالى وقد كفروا اي غطوا جميع ما لكم
من الادلة بما اي بسبب ما جاءكم من الحق الكلام
الثابت الكامل في الثبات الذي لا شي اعظم ثباتا
منه فيه اوجه احدها الاستيناف ثانيها الحال من
فاعل تتخذوا ثالثها الحال من فاعل تلقون اي لا تتولوهم
ولا تتوادوهم وهذه حالهم وقوله تعالى يخرجون
الرسول يجوز ان يكون مستانفا وان يكون تفسيرا لكفرهم

Copyright © King Saud University

فلا محل له على هذا وان يكون حالا من فاعل كفروا
وقوله تعالى وإياكم عطف على الرسول وقدم عليهم تشريفا
له صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى ان تؤمنوا اي توقعوا
حقيقة الايمان مع التجدد والاستمرار بالله اي الذي
اختص بجميع صفات الكمال ربكم اي المحسن اليكم
تعليل ليخرجون والمعنى يخرجون الرسول ويخرجونكم
من مكة لان تؤمنوا بالله اي لاجل ايمانكم بالله قال
ابن عباس وكان حاطب ممن اخرج مع النبي صلى الله
وفي ذلك تغليب المخاطب والالتفات من التكلم
الى الغيبة للدلالة على ما يوجب الايمان ان
كنتم خرجتم اي عن اوطانكم وقوله تعالى جهادا
في سبيلي اي بسبب ارادتكم تسهيل طريقي التي شرعتها
لعبادي ان يسلكوها وابتغاء مرضاتي اي ولاجل طلبكم
اعظم الرغبة لرضاي علة للخروج وعمدة التعليق
وجواب الشرط محذوف دل عليه لا تتخذوا وقرأ
الكسائي باماله محضة والباقون بالفتح وقوله
تعالى تسرون اي توجدون جميع ما يدل على مناصحتهم
والتودد اليهم بالمودة اي بسببها بدل من تلقون
قاله ابن عطية قال ابن عادل وشبهه ان يكون
بدل اشتمال لان القاء المودة يكون سرا وجهرا
او استئناف واقتصر عليه الزمخشري وأنا اي

والحال

والحال اني اعلم اي من كل احد حتى من نفس الفاعل وقرأ
نافع بمد الالف بعد النون بما اخفيتم وما اعلنتم
قال ابن عباس بما اخفيتم في صدوركم وما اظهرتم
بالسنتكم اي فاي فائدة لاسراركم ان كنتم تعلمون
اني عالم به وان كنتم تتوهمون اني لا اعلمه فهي
القاصمة ومن يفعله اي يوجد اسرار خبر اليهم ويكاتبهم
منكم في وقت من الاوقات فقد ضل اي عمي ومال
واخطأ سواء السبيل اي قويم الطريق الواسع الموصل
الى القصد قوسطه وعدله قال القرطبي هذا كله
معاتبة لحاطب فهو يدل على فضله وكرامته ونصيحته
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وصدق ايمانه
فان المعاتبة لا تكون الا من محب لحبيب كما قال القائل بل
اذا ذهب العتاب فليس ود
ويبقى الود ما بقي العتاب
وقرأ قالون وابن كثير وعاصم باظهار الدال
عند الضاد والباقون بالادغام ان يثقفوكم
اي يظفروا بكم في وقت من الاوقات ومكان من
الاماكن يكونوا لكم اعداء اي ولا ينفعكم القاء
المودة اليهم ويبسطوا اليكم اي خاصة وان كان هناك
في ذلك الوقت من غيركم من قتال اعز الناس عليهم
ايديهم اي بالضرب ان استطاعوا والسنتهم اي بالشتم

Copyright © King Saud University

منصوبة الى فعل ابدلهم فعل مني ضاق صدره لما
تجرع من آخر من الغصص حتى او جب له غاية الجهد
بالسوء اي بكل ما من شانه ان يسوء **وودوا** اي تمنوا
قبل هذا **لو تكفرون** لان مصيبة الدين اعظم فلهم
اليها اسرع لان داب العدو القصد الى اعظم ضرر
يراه لعدوه وعبر بما يفهم التمني الذي يكون في المحالات
ليكون المعنى انهم احبوا ذلك غاية الحب وتمنوه
وفيه بشرى لانه من قبيل المحال وقدم الاول لانه
ابين في العداوة وان كان الثاني اكد ولما كانت عداوتهم
معروفة وانما اعطاها لحجة القرابات لا لشي
الحب لشي يعمي ويصم خطا رائهم في موالاتهم
بما اعلمهم به من حالهم فقال تعالى مستانفا علاما
بانها خطا على كل حال **لن تنفعكم** بوجه من الوجوه
ارحامكم اي قراباتكم الحاملة لكم على رحمتكم لهم
والعطف عليهم **ولا اولادكم** اي الذين هم اخص
ارحامكم ان والستم اعدا الله لان جعلهم ممن يتقي
الله تعدوا تجديد منكم بوجه اصلا ثم علل ذلك
وبينه بقوله تعالى **يوم القيامة** اي القيام الاعظم
يفصل اي يوقع الفصل وهو الفرقة العظيمة بانقطاع
جميع الاسباب وقرا عاصم بفتح اليا واسكان الفا
وكسر الصاد مخففة وقرا ابن عامر بضم اليا وفتح

الفا

الفا مشددة وحمزة والكسائي كذلك الا انهما بكسر
الصاد والباقون بضم اليا وسكون الفا **بينكم** اي
ايها الناس فيدخل من يشا من اهل طاعته الجنة
ومن يشا من اهل معصيته النار فلا ينفع احدا
منكم شي من ذلك شيا الا ان كان قد اتى الله تعالى
بقلب سليم فياذن الله تعالى في اكرامه بذلك **والله**
اي الذي له الاحاطة التامة **بما تعملون** اي من كل عمل
في كل وقت **بصير** فيجازيكم عليه في الدنيا والاخرة
ولما نهى تعالى عن موالاة الكفار ذكر قصة ابراهيم
عليه الصلاة والسلام وان من سيرته التبري من
الكفار بقوله تعالى **قد كانت** اي وجدت وجودا تاما
وكان تانيث الفعل اشارة الى الرضى بها ولو كانت
على ادنى الوجوه **لكم** اي ايها المومنون **اسوة** اي
موضع اقتدا وتاسية في ابراهيم وطريقة مرضية
وقرا اسوة في الموضعين عاصم بضم الهمزة والباقون
بكسرها **حسنة** اي يرغب فيها **في ابراهيم** اي في
قول اي الانبيا عليه السلام **والذين معه** اي ممن
كان قبله من الانبيا قاله الطبري وممن امن كان
قبله به في زمانه كابن اخيه لوط عليه السلام وهم
قدوة اهل الجهاد والهجرة وقيل المراد على الحق معه
اصحابه من المومنين وقرا هشام بفتح الهاء والباقون بكسرها

Copyright © King Saud University

والباقون بكسرها وبعدها ياء اي فاقتدوا به الا في
استغفاره لابيه قال القرطبي الاية نص في الامر
بالاقتداء بابراهيم عليه السلام في فعله وذلك
يدل على ان شرع من كان قبلنا شرع لنا فيما اخبر
الله ورسوله وقيل انه شرع لنا اذا ورد في شرعنا
ما يقرره وقيل ليس بشرع لنا مطلقا وهو الاصح عندنا
اذ اي حين قالوا وقد كان من امن به اقل منكم
واضعف لقومهم اي الكفرة وقد كانوا اكثر من عددكم
واقوى وكان لهم فيهم ارحام وقرابات ولهم فيهم
رجاء بالقيام والمحاولات انا برآء اي متبرئون براءة
عظيمة منكم وان كنتم اقرب الناس الينا ولا رجاء
ناصرنا منهم غيركم ومما تعبدون اي توجدون
عبادته في وقت من الاوقات من دون الله
اي الملك الاعظم كفرنا بكم اي جحدنا كلكم وانكرنا
دينكم وبدا اي ظهر ظهورا عظيما بيننا وبينكم العداوة
وهي المباينة في الافعال بان يعدو كل على الاخر والبغضا
وهي المباينة بالقلوب بالبغض العظيم ولما كان ذلك
قد يكون سريع الزوال قالوا ابدا اي على الدوام وقرأ
نافع وابن كثير وابو عمرو في الوصل بابدال الهمزة
الثانية المفتوحة بعد المضمومة واوا خالصة
والباقون بتحقيقها وهم على مراتبهم في المد

واذا

واذا

وقف حمزة وهشام ابدلا الهمزة الفا مع المد والتوسط
والقصر ولهما ايضا التسهيل مع المد والقصر والروم
معهما ولما كان ذلك معا ناشيا من صدق الحال وقد يكون
لحظ نفس بينوا غايته بقولهم حتى تؤمنوا بالله اي الملك
الذي له الكمال كله وحده اي تكونوا موحدين بكل ما يعبد
من دون الله تعالى الا قول ابراهيم لابيه فيه وجه
احدهما انه استثناء متصل من قوله تعالى في ابراهيم
ولكن لا بد من حذف مضاف ليصح الكلام تقديره في مقال
ابراهيم الا قوله كيت وكيت فانها انه مستثنى من
اسوة حسنة واقتصر على ذلك الجلال المحلي وجاز
ذلك لان القول ايضا من جملة الاسوة لان الاسوة
الاقتداء بالشخص في اقواله وافعاله فكانه قيل لكم
فيه اسوة في جميع احواله من قول وفعل الا قوله
وهذا واضح لانه غير محوج الى تقدير مضاف وغير
مخرج للاستثناء من الاتصال الذي هو اصله الى
الانقطاع ولذلك لم يذكر الزمخشري غيره الثاني
قال ابن عطية ويحتمل ان يكون الاستثناء من التبري
والقطيعة التي ذكرت اي لم يبق صلة الا كذا رابعها
انه استثناء منقطع اي لكن قول ابراهيم لابيه لاستغفرن
لك اي فلا تتاسوا به في الاستغفار فتستغفروا للمشركين
فانه كان عن موعدة وعدها اياه قال قتادة ومجاهد

Copyright © King Saud University

وغيرهما وقيل معنى الاستثناء ان ابراهيم هجر قومه وباعد
هم الا في الاستغفار لابيه ثم بين عذره في سورة
التوبة وفي هذا دلالة على تفضيل نبينا صلى الله
عليه وسلم على ساير الانبيا لانا حين امرنا بالاقتدا
به امرنا امرا مطلقا في قوله تعالى وما اتاكم الرسول
فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وحين امرنا بالاقتدا
بابراهيم استثنى بعض افعاله وهذا انما جرى لانه
ظن انه اسلم فلما بان انه لم يسلم تبرا منه وعلى هذا
فيجوز الاستغفار لمن يظن انه اسلم وانتم لم تجدوا
مثل هذا الظن فلم توالوهم وقوله وما املك
لك من الله اي من عذاب او ثواب الملك الاعلى
المحيط بنعوت الجلال من شيء من تمام قوله المستثنى
ولا يلزم من استثنا المجموع استثنا جميع احواله وقوله
ربنا ايها المحسن الينا عليك اي لا على غيرك توكلنا
اي فوضنا امرنا اليك يجوز ان يكون من مقول ابراهيم
عليه السلام والذين معه فهو من جملة الاسوة الحسنة
وفصل بينهما بالاستثنا ويجوز ان يكون منقطعا
عما قبله على اضمار قول وهو تعليم من الله تعالى
لعباده كانه قال لهم قولوا ربنا عليك توكلنا
واليك اي وحدك انبنا اي رجعنا بجميع ظواهرنا
وبواطننا واليك اي وحدك المصير اي الرجوع في

الاخرة

الاخرة ربنا اي ايها المربي لنا والمحسن الينا لا تجعلنا
فتنة للذين كفروا اي بان تسلطهم علينا فيفتنونا
بعذاب لا نحتمله او فيظنوا انهم على حق فيفتتنوا بذلك
وقيل لا تعذبنا بعذاب من عندك فيقولون لو كان
هولاء على الحق لما اصابهم ذلك وقيل لا تبسط
عليهم الرزق دوننا فان ذلك فتنة لهم واغفر
لنا اي استر ما وقع منا من الذنوب وامح عينه
واثره ربنا اي ايها المحسن الينا واكدوا علاما شدة
رغبتهم في حسن الثنا عليه فقالوا انك انت اي وحدك
لا غيرك العزيز اي الذي يغلب كل شيء ولا يغلبه
شيء الحكيم اي الذي يغلب كل شيء وله تغلبه شيء الحكيم
اي الذي يصنع الاشيا في اوفق محالها فلا يستطاع نقضها
ومن كان كذلك فهو حقيق بان يعطي من امله ما طلب
وقوله تعالى لقد كان لكم اي يا امة محمد جواب
قسم مقدر فيهم اي ابراهيم ومن معه من
الانبيا والاوليا اسوة حسنة اي في التبري من
الكفار وكرر للتاكيد وقيل نزل الثاني بعد الاول
بمدة قال القرطبي وما اكثر المكررات في القران
على هذا الوجه وقوله تعالى لمن كان يرجو الله
اي الملك المحيط بجميع صفات الكمال واليوم الاخر
اي الذي يحاسب فيه على النقير والقطمير بدل من

Copyright © King Saud University

الضمير في لكم بدل بعض من كل وفي ذلك بيان ان هذه
الاسوة لمن يخاف الله ويخاف عذاب الاخرة ومن
يتول اي يوقع الاعراض عن اوامر الله تعالى فيوالي
الكفار فان الله اي الذي له الاحاطة الكاملة هو
اي خاصة الغني اي عن كل شيء الحميد اي الذي له
الحمد المحيط لاحاطته باوصاف الكمال فهو حميد
في نفسه وصفاته او حميد الى اوليائه واهل طاعته
ولما نزلت الاية ولي عادى المسلمون اقرباءهم
من المشركين فعلم الله تعالى شدة وجد المسلمين
في ذلك فنزل عسى الله اي انتم جديرون بان
تطمعوا في الملك المحيط بكل شيء قدرة وعلما ان
يجعل اي باسباب لا تعلمونها بينكم وبين الذين عاديتم
منهم اي كفار مكة مودة اي بان يلهمهم للايمان
فيصيروا لكم اولياء وقد حصل ذلك عام الفتح تحقيقا
لما رجاه سبحانه لان عسى من الله تعالى وعد وهو
لا يخلف الميعاد والله اي الذي له كمال الاحاطة قدير
اي بالغ القدرة على كل ما يريده فهو يقدر على تقليب
القلوب وتيسير العسير والله اي الذي له جميع صفات
الكمال غفور اي محاء اعيان الذنوب واثارها
رحيم بكم الخاطئين اذا ارادوا التوبة ثم بالجزاء غاية
الاكرام فيغفر لما فرط منكم في موالاتهم من قبل وما

بقي

بقي في قلوبكم من ميل الرحم وقوله تعالى لا ينهاكم
الله اي المختص بالجلال والاكرام عن الذين لم يقاتلوكم
اي بالفعل في الدين الاية رخصة من الله تعالى في
صلة الذين لم يعادوا المؤمنين ولم يقاتلوهم قال
ابن زيد هذا كان في اول الاسلام عند الموادعة
وترك الامر بالقتال ثم نسخ قال قتادة نسختها
فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقال ابن عباس
نزلت في خزاعة وذلك انهم صالحوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم على ان لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه
احدا فرخص الله تعالى في برهم وقال اكثر اهل
التاويل انها محكمة واحتجوا بان اسماء بنت ابي
قدمت امها وهي مشركة عليها المدينة بهدايا فقالت
اسماء لا اقبل منك هدية ولا تدخلي علي بيتي حتى
استاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالته
فانزل الله تعالى هذه الاية فامرها رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان تدخل منزلها وان تقبل هديتها
وتكرمها وتحسن اليها وفي ذلك اشارة الى الاقتصاد
في العداوة والولاية كما قال صلى الله عليه وسلم
احبب حبيبك هونا ما فعسى ان يكون بغيضك
يوما ما وابغض بغيضك هونا ما فعسى ان يكون
حبيبك يوما ما وروى عامر بن عبد الله بن

الزبير عن ابيه ان ابا بكر الصديق طلق امراته قتيلة في
الجاهلية وهي ام اسما بنت ابي بكر فقدمت عليها في المدة
التي كانت فيها المهادنة بين رسول الله صلى الله عليه
وسلم وبين كفار قريش فاهدت الى اسماء بنت ابي بكر قرطا
واشيا فكرهت ان تقبل منها حتى اتت رسول الله صلى
الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فانزل الله تعالى لا ينهاكم
الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم
من دياركم ان اي لا ينهاكم عن ان تبروهم بنوع من
انواع البر الظاهرة فان ذلك غير ضائع في قصد الموادة
وتقسطوا اليهم اي تعطوهم قسطا من اموالكم على
وجه الصلة قال ابن العربي وليس يريد به من العدل
فان العدل واجب فيمن قاتل وفي من لم يقاتل
وحكي ان القاضي اسماعيل بن اسحاق دخل
عليه ذمي فاكرمه فاخذ عليه الحاضرون في
ذلك فتلى عليهم هذه الاية ان الله اي الذي
له الكمال كله يحب اي يثيب المقسطين اي الذين
يزيلون الجور ويفعلون العدل انما ينهاكم الله اي
الذي له الاحاطة الكاملة علما وقدرة عن الذين
قاتلوكم اي جاهدوكم متعمدين لقتالكم في الدين اي
عليه فلم يكن شي من ذلك خارجا عنه واخرجوكم من
دياركم اي بانفسهم لبغضكم وهم عتاة اهل مكة

وظاهروا

٦٢

وظاهروا اي عاونوا غيرهم على اخراجكم وهم مشركوا
مكة وقوله تعالى ان تولوهم بدل اشتمال من الذين اي
تتخذوهم اولياء وقراءة البزي بتشديد التاء والباقي
بالتخفيف ولما كان التقدير فمن اطاع فاوليك هم
المفلحون عطف عليه قوله تعالى ومن يتولهم اي يكلف
نفسه الحمل على غير ما تدعوا اليه الفطرة الاولى من
المنابذة واطلق ولم يقيد بمنكم ليعم المهاجرين
وغيرهم والمومنين وغيرهم فاوليك اي الذين
بعدوا عن العدل هم الظالمون اي الغريقون في
ايقاع الاشيا في غير مواضعها ولما امر المسلمين بترك
موالاة المشركين اقتضى ذلك مهاجرة المسلمين من
بلاد الشرك الى بلاد الاسلام وكان التناكح من اوكد
اسباب الموالاة فبين احكام مهاجرة النسا بقوله
تعالى يا ايها الذين امنوا اي اقروا بالايمان اذا جاءكم
المومنات اي بانفسهن مهاجرات اي من الكفار
بعد الصلح معهم والحديبية فامتحنوهن اي بالحلف
انهن ما هاجرن الا رغبة في الاسلام لا بغضا في ازواجهن
الكفار ولا عشقا لرجال من المسلمين كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يحلفهن فيقال ان سبب الامتحان انه كان
من ارادت منهن اضرار زوجها قالت سأهاجر
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بامتحانهن الله اي

Copyright © King Saud University

المحيط بكل شيء قدرة وعلما اعلم منكم ومن انفسهن
بايمانهن هل هو كائن ام لا على وجه الرسوخ امره فانه
المحيط بما غاب كاحاطته بما شوهد وانما وكل الامر
اليكم في ذلك ستر الناس فان علمتموهن مومنات اي
استعلمتم الممكن لكم وهو الظن الموكد بامارات الظاهرات
بالحلف وغيره فلا ترجعوهن اي بوجه من الوجوه الى
الكفار وان كانوا ازواجا قال ابن عباس لما جرى الصلح
مع مشركي قريش عام الحديبية على ان من اتاه من
اهل مكة رده اليهم جاءت سبيعة بنت الحارث الاسلمية
بعد الفراغ من الكتاب والنبي صلى الله عليه وسلم
بالحديبية بعد فاقبل زوجها وكان كافرا وكان
صيفي بن الراهب وقيل مسافر المخزومي فقال يا محمد
اردد علي امراتي فانك شرطت ذلك وهذه طينة
الكتاب لم تجف بعد فانزل الله تعالى هذه الاية
وروي ان ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط جاءت
للنبي صلى الله عليه وسلم فجاء اهلها يسالونه
ان يردها وقيل هربت من زوجها عمرو بن العاص
ومعها اخوها عمارة والوليد فرد رسول الله صلى الله
عليه وسلم اخويها وحبسها فقالوا للنبي صلى الله
عليه وسلم ردها علينا للشرط فقال صلى الله عليه
وسلم كان الشرط في الرجال لا في النساء فانزل الله

تعالى

تعالى هذه الاية وعن عروة قال كان مما اشترط سهل
بن عمرو على النبي صلى الله عليه وسلم في الحديبية
ان لا ياتيك منا احد وان كان على دينك الا رددته
الينا وخليت بيننا وبينه فكره المومنون ذلك وابى
سهيل الا ذلك فكاتبه النبي صلى الله عليه وسلم على
ذلك فرد يومئذ ابا جندل الى ابيه سهيل ابن عمرو
ولم ياته احد من الرجال الا رده في تلك المدة وان
كان مسلما حتى انزل الله تعالى في المومنات ما انزل
وهذا يومي الى ان الشرط في رد النساء نسخ السنة
بالقران وقال بعض طايفة لم يشترط ردهن في العقد
لفظا وانما اطلق العقد في رد من اسلم فكان ظاهرا
لعموم اشتماله عليهن مع الرجال فبين الله تعالى
خروجهن عن عمومه وفرق بينهن وبين الرجال لامرين
احدهما انهن ذوات الفروج فحرمن عليهم الثاني
انهن ارق قلوبا واسرع تقلبا منهم فاما المقيمة منهن
على شركها فمردودة عليهم لا هن اي المومنات
حل اي موضع حل ثابت لهم اي الكفار باستمتاع ولا
غيره وقوله تعالى ولا هم اي رجال الكفار يحلون
لهن اي المومنات تاكيد لما قبله لتلازمهما وقال
البيضاوي والتكرير للمطابقة والمبالغة والاولى
لحصول الفرقة والثانية للمنع عن الاستيناف وقيل

بي

Copyright © King Saud University

اراد استمرار الحكم بينهم فيما يستقبل كما هو في الحال ما داموا
مشركين وهن مومنات والمعنى لم يحل الله تعالى
مومنة لكافر في حال من الاحوال وهذا ادل دليل
على ان الذي اوجب الفرقة للمسلمة من زوجها
الكافر اسلامها لا هجرتها وقال ابو حنيفة الذي
فرق بينهما هو اختلاف الدارين والصحيح كما قال
ابن عادل الاول لان الله تعالى بين العلة وهو
عدم الحل بالاسلام لا باختلاف الدار ولما نهى
عن الرد وعلله امر بما قدم من الاقساط اليهم
فقال تعالى **وآتوهم** اي اعطوا الازواج **ما انفقوا**
اي عليهن من المهور فان المهر في نظير اصل
العشرة ودوامها وقد فوتتها المهاجرة فلا
يجمع عليها خسارتان الزوجية والمالية واما
الكسوة والنفقة فانهما لما يتجدد من الزمان تنبيه
امر الله تعالى برد ما انفقوا الى الازواج وان المخاطب
بهذا الامام وهل يجب ذلك او يندب ظاهر الاية
الوجوب ولكن رجح الندب وعليه الشافعي لان
البضع ليس بمال فلا يشمله الامان كما لا يشمل زوجته
والاية وان كان ظاهرها الوجوب محتملة للندب
الصادق بعدم الوجوب الموافق للاصل وقال
مقاتل يرد المهر الذي يتزوجها من المسلمين وليس

لزوجها

لزوجها الكافر شيء وقال قتادة الحكم في رد الصداق
انما هو في نساء اهل الذمة فاما من له عهد بينه
وبين المسلمين فلا يرد عليهم الصداق قال القرطبي
والامر كما قال **ولا جناح** اي حرج وميل **عليكم**
يا ايها المسلمون بالخطاب **ان تنكحوهن** اي تجددوا
زواجكم بهن بعد الاستبراء وان كان ازواجهن
من الكفار لم يطلقوا لزوال العلق منهن عنهن
لان الاسلام فرق بينهم قال الله تعالى ولن يجعل
الله للكافرين على المومنين سبيلا ولما كان قد
امر برد مهور الكفار فكان ربما ظن انه مغني
عن تجديد مهرهن اذا نكحهن المسلم نفى ذلك
بقوله **اذا آتيتموهن** اي لاجل النكاح **اجورهن**
اي مهورهن وفي شرط ايتاء المهر في نكاحهن ايذان
بان ما اعطي ازواجهن لا يقوم مقام المهر **ولا
تمسكوا بعصم الكوافر** جمع عصمة وهي هنا عقد
النكاح اي من كانت له امراة كافرة بمكة فلا يعتد
بها فقد انقطعت عصمتها فلا يكن بينكم وبينهن
عصمة ولا علقة زوجية والكوافر جمع كافرة
كضوارب في ضاربة قال النخعي المراد بالاية هي المراة
المسلمة تلحق بدار الحرب فتكفر وكان الكفار يتزوجون
المسلمات والمسلمون يتزوجون المشركات ثم نسخ ذلك

Copyright © King Saud University

بهذه الاية فطلق عمر ابن الخطاب حينئذ امراتين له
بمكة مشركتين قريبة بنت ابي امية فتزوجها
معاوية ابن ابي سفيان وهما على شركهما بمكة وام
كلثوم بنت عمرو الخزاعية ام عبد الله ابن المغيرة
فتزوجها ابو جهم بن حذافة وهما على شركهما
بمكة فلما ولي عمر قال ابو سفيان لمعاوية طلق قريبة
لئلا يرى عمر سلبه في بيتك فابى معاوية وكانت
عند طلحة ابن عبيد الله اروى بنت ربيعة
بن الحارث بن عبد المطلب ففرق الاسلام
بينهما ثم تزوجها في الاسلام خالد بن سعيد ابن
العاص وكانت ممن فر الى النبي صلى الله عليه وسلم
من نساء الكفار فحبسها وزوجها خالد بن سعيد
ابن العاص بن امية وقال الشعبي كانت زينب
بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم امراة ابي
العاص بن الربيع اسلمت ولحقت بالنبي صلى الله
عليه وسلم واقام ابو العاص بمكة مشركا ثم اتى المد
ينة واسلم فردها عليه رسول الله صلى الله عليه
وسلم روى ابو داود عن عكرمة عن ابن عباس رض
بالنكاح الاول ولم يحدث شيئا قال محمد بن عمرو في
حديثه بعد ست سنين وقال الحسن بن علي بعد
سنتين قال ابو عمر فان صح هذا فلا يخلو من وجهين

اما

اما انها لم تحض حتى اسلم زوجها واما ان الامر
فيها منسوخ بقوله تعالى وبعولتهن احق بردهن في
ذلك يعني في عدتهن وهذا ما لا خلاف فيه انه عنى
به العدة قال الزهري في قصة زينب هذه كانت
قبل ان تنزل الفرائض وقال قتادة كان هذا قبل
ان تنزل سورة براءة بقطع العهود بينهم وبين المشركين
تنبيه المراد بالكوافر هنا عبدة الاوثان
ومن لا يجوز ابتداء نكاحها وقيل هي عامة نسخ منها
نساء اهل الكتاب فعلى الاول اذا اسلم وثني او مجوسي
ولم تسلم امراته فرق بينهما وهو قول بعض اهل
العلم منهم مالك والحسن وطاووس وعطاء وعكرمة
وقتادة لقوله تعالى ولا تمسكوا بعصم الكوافر وقال
بعضهم ينتظر بها الى تمام العدة وهو قول الزهري
والشافعي واحمد واحتجوا بان ابا سفيان ابن الحارث
اسلم قبل هند بنت عتبة امراته وكان اسلامه
بمر الظهران ثم رجع الى مكة وهند بها كافرة مقيمة
على كفرها فاخذت بلحيته وقالت اقتلوا الشيخ الضال
ثم اسلمت بعده بايام فاستقرا على نكاحهما لان
عدتها لم تكن انقضت قالوا ومثله حكيم ابن حزام
اسلم قبل امراته ثم اسلمت بعده فكانا على
نكاحهما قال الشافعي ولا حجة لمن احتج بقوله تعالى

Copyright © King Saud University

بعصم الكوافر لان المؤمنين محرمات على الكفار
كما ان المسلمين لا تحل لهم الكوافر الوثنيات ولا المجوسيات
لقوله تعالى لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن ثم
بينت السنة ان مراد الله تعالى من قوله هذا انه
لا يحل بعضهم لبعض الا ان اسلم الثاني منهما في العدة
وقال ابو حنيفة واصحابه في الكافرين الذميين
اذا اسلمت المراة عرض على الزوج الاسلام فان
اسلم والا فرق بينهما قالوا ولو كانا حربيين فهي
امراته حتى تحيض ثلاث حيض اذا كانا جميعا في دار
الحرب او في دار الاسلام وان كان احدهما في دار الحرب
والاخر في دار الاسلام انقطعت العصمة بينهما
وقد تقدم ان اعتبار الدارين ليس بشيء وهذا الخلاف
انما هو في المدخول بها فاما غير المدخول بها فلا
نعلم خلافا في انقطاع العصمة بينهما اذ لا عدة
عليها وكذا يقول مالك في المراة ترتد وزوجها
مسلم تنقطع العصمة بينهما لقوله تعالى ولا تمسكوا
بعصم الكوافر وهو قول الحسن البصري والحسن بن
صالح وقال الشافعي واحمد ينتظر بها تمام العدة فان
كان الزوجان نصرانيين فاسلمت الزوجة فمذهب
مالك والشافعي واحمد الى تمام العدة وهو قول مجاهد
وكذا الوثني تسلم زوجته ان اسلم في عدتها فهو

احق

احق بها كما كان صفوان بن امية وعكرمة بن ابي جهل
احق بزوجتيهما لما اسلما في عدتهما لما ذكر مالك في
الموطا قال بعض العلما كان بين اسلام صفوان وبين
اسلام امراته نحو من شهر قال ولم يبلغنا ان امراة
هاجرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجها
كافر مقيم بدار الحرب الا فرقت هجرتها بينها وبين
زوجها الا ان يقدم زوجها مهاجرا قبل ان
تنقضي عدتها وقال بعضهم ينفسخ النكاح
بينهما لما روى يزيد بن علقمة قال اسلم جدي
ولم تسلم جدتي ففرق بينهما عمر وهو قول طاوس
وعطا والحكم وعكرمة قالوا لا سبيل له عليها
الا بخطبة واسالوا ما انفقتم اي من مهور نسا
وليسالوا اي الكفار ما انفقوا اي من مهور ازواجهم
اللاتي اسلمت قال المفسرون كان من ذهب من
المسلمات مرتدات الى الكفار من اهل العهد يقال
للكفار هاتوا مهرها ويقال للمسلمين اذا جا احد من
الكافرات مسلمة مهاجرة ردوا الى الكفار مهرها
وكان ذلك نصفا وعدلا بين الحالين ذلكم اي الحكم
الذي ذكر في هذه الايات البعيدة تعلق الرتبة
عن كل سفيه حكم الله اي الملك الذي له صفات
الكمال فلا تلحمه شائبة نقص يحكم اي الله اذ

حكمه على سبيل المبالغة بينكم اي في هذا الوقت
وفي غيره على هذا المنهاج البديع وذلك لاجل الهدنة
التي كانت وقعت بين النبي صلى الله عليه وسلم وبينهم
واما قبل الحديبية فكان النبي صلى الله عليه
وسلم يمسك النسا ولا يرد الصداق والله اي الذي
له الاحاطة التامة عليم اي بالغ العلم لا يخفى عليه
شي حكيم اي فهو لتمام علمه يحكم كل اموره غاية
الاحكام فلا يستطيع احد نقض شي منها روي
ان المسلمين قالوا رضينا بما حكم الله تعالى وكتبوا
الى المشركين فامتنعوا فنزل قوله تعالى وان
فاتكم شي من ازواجكم اي واحدة فاكثر منهن
او شي من مهورهن بالذهاب الى الكفار مرتدات
فعاقبتم فغزوتم وغنمتم من اموال الكفار
فجاءت نوبة ظفركم بادا المهر الى اخوانكم طاعة
وعدلا عقب نوبتهم التي اقتطعوا فيها ما انفقتم
ظلما فاتوا اي فاحضروا واعطوا من مهر المها
جرة الذين ذهبت ازواجهم اي منكم من
الغنيمة مثل ما انفقوا اي لفواته عليهم من
جهة الكفار روى الزهري عن عروة عن عائشة
انها قالت حكم الله تعالى بينهم فقال جل ثناوه
واسالوا ما انفقتم وليسالوا ما انفقوا فكتب

اليهم

اليهم المسلمون قد حكم الله تعالى بيننا بانه ان جاتكم
امراة منا ان توجهوا الينا صداقها وان جاتنا
امراة منكم وجهنا اليكم بصداقها فكتبوا اما نحن
فلا نعلم لكم عندنا شيا فان كان لنا عندكم
شي فوجهوا به فانزل الله تعالى وان فاتكم شي
من ازواجكم الاية وقال ابن عباس في قوله
تعالى ذلكم حكم الله اي بين المسلمين والكفار من اهل
العهد من اهل مكة يرد بعضهم على بعض قال الزهري
ولولا العهد لامسك النسا ولم يرد اليهم صداقا
وقال قتادة ومجاهد وانما امروا ان يعطوا الذين
ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا من الفي والغنيمة
وقالا هي فيمن بيننا وبينه عهد وقال معنى
وعاقبتم واقتصصتم فاتوا الذين ذهبت ازوا جهم
مثل ما انفقوا اي من المهور وقال ابن عباس معنى
الاية ان لحقت امراة مومنة بكفار اهل مكة وليس
بينكم وبينهم عهد ولها زوج مسلم قبلكم فغنمتم
فاعطوا هذا الزوج المسلم مهره من الغنيمة
قبل ان تخمس وقال الزهري يعطى من مال الفي وعنه
يعطى من صداق من لحق بها تتمة محصل
مذهب الشافعي في هذه الاية ان الهدنة لو
عقدت بشرط ان يردوا من جاءهم منا مرتدا صح

Copyright © King Saud University

ولزمهم الوفا به سواكان رجلا او امراة حرا او رقيقا فان
امتنعوا من رده فنا قضون للعهد لمخالفتهم الشرط
او عقدت على ان لا يرد وه جاز ولو كان المرتد امراة
فلا يلزمهم رده لانه صلى الله عليه وسلم شرط ذلك
في مهادنة قريش حيث قال لسهيل بن عمرو وقد
جا رسوله منهم من جانا منكم رددناه ومن جاكم
منا فسحقا سحقا ومثله بالو اطلق العقد كما فهم
بالاولى ويغرمون مهر المرتدة فان قيل
لم غرموا مهر المرتدة ولم نغرم نحن مهر المسلمة
على ما تقدم من الخلاف اجيب بانهم
قد فوتوا عليه الاستتابة الواجبة علينا وانه المانع
حا من جهتها والزوج غير متمكن منها بخلاف المسلمة
الزوج متمكن منها بالاسلام وكذا يغرمون قيمة
رقيق ارتد دون الحر فان عاد الرقيق المرتد الينا
بعد اخذنا قيمته رددناه عليهم بخلاف نظيره
في المهر لان الرقيق بدفع القيمة يصير ملكا لهم
والنسا لا يصرن زوجات فان قيل كونه يصير
ملكا لهم مبني على جواز بيع المرتد للكافر والصحيح
خلافه اجيب بان هذا ليس مبنيا عليه لان
هذا ليس بيعا حقيقة فاغتفر ذلك لاجل المصلحة
وان شرطنا عدم الرد فان قيل هل يغرم الامام

لزوج

لزوج المرتدة ما انفق من صداقها لانا بعقد الهدنة
حلنا بينه وبينها ولولاه لقاتلناهم حتى يردوها
اجيب بان هذا ينبني على ان الامام هل يغرم
لزوج المسلمة المهاجرة ما انفق وقد تقدم الكلام على
ذلك فايدة روي عن ابن عباس انه قال لحق بالمشركين
من نسا المؤمنين المهاجرين ست نسوة ام الحكم بنت
ابي سفيان وكانت تحت شداد بن عياض الفهري
وفاطمة بنت ابي امية بن المغيرة اخت ام سلمة
كانت تحت عمر بن الخطاب فلما اراد عمر ان يهاجر ابت
وارتدت وبروع بنت عقبة كانت تحت شماس بن عثمان
وعزة عبد بنت العزيز بن فضلة وزوجها عمرو
ابن عبد ود وهند بنت ابي جهل بن هشام كانت
تحت هشام بن العاص بن وايل وام كلثوم بنت جرول
كانت تحت عمر بن الخطاب رجعن عن الاسلام فاعطى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ازواجهن مهور
نسايهم من الغنيمة ولما كان التحري في مثل ذلك
عرفان المهور تتفاوت تارة وتتساوى اخرى قال
تعالى **واتقوا** اي في الاعطا والمنع وغير ذلك **الله** الذي
له صفات الكمال وقد امركم بالتخلق بصفاته على قدر
ما تطيقون **الذي انتم به مؤمنون** اي متمكنون
في رتبة الايمان ولما خاطب المؤمنين الذين هم موضع

Copyright © King Saud University

الخيانة والنصرة للدين امر النبي صلى الله عليه وسلم
بعد الختم بان يفي لمبايعتهن بقوله تعالى يا ايها النبي
مخاطبا بالوصف المقتضي للعلم اذا جاءك المؤ
منات جعل اقبالهن عليه صلى الله عليه وسلم لا سيما
مع الهجرة مصححا لاطلاق الهجرة عليهن يبايعنك
على ان لا يشركن اي كل واحدة منهن تبايعك على عدم
الاشراك في وقت من الاوقات بالله اي الملك الذي
لا كفو له شيئا اي من اشراك على الاطلاق ولا يسرقن
اي ياخذن مال الغير بغير استحقاق في خفية ولا
يزنين اي يمكن احدا من وطئهن بغير عقد صحيح
ولا يقتلن اولادهن اي بالوأد كما كان يفعل في
الجاهلية من وأد البنات اي دفنهن احياء خوف
العار والفقر ولا ياتين ببهتان اي بولد ملقوط
او شبهه بان يفترينه اي يتعمدن كذبه بان ينسبنه
للزوج ووصفه بصفة الولد الحقيقي بقوله تعالى
بين ايديهن اي بالحمل في البطون لان بطنها الذي
تحمل فيها الولد بين يديها وارجلهن اي بالوضع من
التزوج لان فرجها الذي تلد منه بين رجليها او
لان فرجها الذي تلد منه بين رجليها ولان الولد
اذا وضعته سقط بين يديها ورجليها وقيل بين ايد
يهن السنتهن بالنميمة ومعنى بين ارجلهن فروجهن

وقيل

وقيل ما بين ايديهن من قبلة او جسة وبين رجليها
الجماع وروي ان هندا لما سمعت ذلك قالت والله ان
البهتان لامر قبيح وما يامر الا بالارشاد ومكارم
الاخلاق ولا يعصينك اي على حال من الاحوال
في معروف وهو ما وافق طاعة الله تعالى كترك النياحة
وتمزيق الثياب وجز الشعر وشق الجيب وخمش الوجه
فبايعهن اي التزم لهن بما وعدن على ذلك من اعطاء
الثواب في نظير ما الزمن انفسهن من الطاعة فبايعهن
صلى الله عليه وسلم بالقول ولم يصافح واحدة
منهن قالت عائشة رضي الله عنها والله ما اخذ رسول
الله صلى الله عليه وسلم على النساء قط الا بما امر الله
تعالى عز وجل وما مست كف رسول الله صلى الله
عليه وسلم كف امراة قط وروي انها قالت كان النبي
صلى الله عليه وسلم يبايع النساء بالكلام بهذه
الاية ان لا يشركن بالله شيئا الى اخرها قالت وما مست
يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امراة الا امراة
يملكها وقالت اميمة بنت رقيقة بايعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يد امراة الا امراة يملكها وقا لت
اميمة بنت رقيقة بايعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم ارحم بنا من انفسنا فقلت يا رسول الله صافحنا
فقال اني لا اصافح النساء انما قولي لامراة كقولي لمائة

Copyright © King Saud University

امراة وروي انه صلى الله عليه وسلم بايع النسا وبين يديه
وايديهن ثوب وكان يشترط عليهن وقالت ام عطية
لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جمع نسا
الانصار في بيت ثم ارسل الينا عمر بن الخطاب فقام على
الباب فسلم فرددت عليه السلام فقال انا رسول رسول الله
صلى الله عليه وسلم اليكن ان لا تشركن بالله شيا الاية
فقلن نعم فمد يده من خارج البيت ثم قال اللهم
اشهد وروي عمرو ابن شعيب عن ابيه عن جده
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا بايع النسا دعا
بقدح من ما فغمس يده فيه فغمس ايديهن فيه
وروي انه صلى الله عليه وسلم لما فرغ من بيعة
الرجال يوم الفتح لمكة وهو على الصفا وعمر ابن
الخطاب اسفل منه وهو يبايع النسا بامر رسول الله
صلى الله عليه وسلم ويبلغهن عنه ان لا يشركن
بالله شيا وهند بنت عتبة امراة ابي سفيان متقنعة
متنكرة مع النسا خوفا من رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان لا يعرفها لما صنعت بحمزة يوم احد فقالت
والله انك لتاخذ علينا امرا ما رايتك اخذته
على الرجال وكان بايع الرجال يومئذ على الاسلام والجهاد
فقط فقال النبي صلى الله عليه وسلم ولا يسرقن
فقالت هند ان ابا سفيان رجل شحيح واني اصبت

من

من ماله قوتنا فلا ادري ايحل لي ام لا فقال ابو سفيان ما ا صبت
من شي فيما مضى وما غبر فهو لك حلال فضحك رسول
الله صلى الله عليه وسلم وعرفها فقال لها وانك لهند
بنت عتبة قالت نعم فاعف عما سلف عفى الله عنك
وروي انها قالت يا رسول الله ان ابا سفيان رجل مسيك
فهل علي حرج ان اخذت ما يكفيني وولدي قال الا بالمعروف
فخشيت هند ان تقتصر على ما يعطيها فتضيع او تاخذ
اكثر من ذلك فتكون سارقة ناكثة للبيعة المذكورة
فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم ذلك اي لا حرج
عليك فيما اخذت بالمعروف يعني من غير استطالة
الى اكثر من الحاجة ثم قال ولا يزنين فقالت هند وهل تزني
الحرة فقال ولا يقتلن اولادهن اي بالواد ولا يسقطن
الاجنة فقالت هند ربيناهم صغارا وقتلتهم يوم
بدر كبارا وانت وهم اعلم وكان ابنها حنظلة بن ابي
سفيان قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ولا ياتين
ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن فقالت
والله ان البهتان لامر قبيح وما تامرنا الا بالرشد
ومكارم الاخلاق فقال ولا يعصينك في معروف فقالت
والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفي انفسنا ان نعصيك
في شي قال اكثر المفسرين معناه لا يلحقن بازواجهن

Copyright © King Saud University

ولدا من غيرهن وكانت المراة تلتقط ولدا تلحقه بزوجها
وتقول هذا ولدي منك فكان هذا من البهتان والافترا
وهذا عام في الاتيان بولد والحاقه بالزوج وان سبق
النهي عن الزنا تنبيه ذكر تعالى في هذه الاية لرسول
الله صلى الله عليه وسلم في صفة البيعة خصالا ستا
صرح فيهن باركان النهي ولم يذكر اركان الامر وهي
ست ايضا الشهادة والصلاة والزكاة والصيام والحج
والاغتسال من الجنابة وذلك لان النهي دايم في
كل زمان وكل الاحوال فكان التنبيه على اشتراط
الدايم اكد وقيل ان هذه المناهي كان في النسا كثير
ممن يرتكبها ولا يحجزهن عنها شرف النسب فخصت
بالذكر لهذا ونحو هذا قوله صلى الله عليه وسلم
لوفد عبد القيس وانهاكم عن الدبا والحنتم
والنقير والمزفت فنبههم على ترك المعصية في
شرب الخمر دون سائر المعاصي لانها كانت شهوتهم
وعادتهم واذا ترك المرء شهوته لم يفعلها ولما كان
الانسان محل النقصان لاسيما النسوان رجاهن
سبحانه بقوله تعالى واستغفر اي اسال لهن
الله اي الملك الاعظم ذا الجلال والاكرام في الغفران
ان وقع منهن تقصير ونحوه فانه لا يقدر احد
ان يقدر الله تعالى حق قدره ان الله اي الذي له

صفات

صفات الكمال غفور اي بالغ الستر للذنوب عينا واثرا
رحيم اي بالغ الاكرام بعد الغفران تفضلا منه واحسانا
وروي ان ناسا من فقرا المسلمين كانوا يصلون اليهود
ليصيبوا من ثمارهم فنهاهم الله عن ذلك بقوله
تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتولوا اي لا تتعاطوا ان
تولوا قوما اي ناسا لهم قوة على ما يحاولونه فغيرهم
من باب اولى غضب الله اي اوقع الملك الاعلى الغضب
عليهم لاتيانهم على ما احاط بهم من الخطايا فهو
عام في كل الصفوف بذلك يتناول اليهود تناولا اوليا
قد يئسوا اي تحققوا عدم الرجا من الاخرة اي من
ثوابها مع ايقانهم بها لعنادهم النبي صلى الله
عليه وسلم مع علمهم انه الرسول المبعوث في التوراة
كما يئس الكفار من اصحاب القبور اي من موتاهم ان
يبعثوا ويرجعوا احيا وقيل من اصحاب القبور
بيان للكفار اي كما يئس الكفار الذين قبروا من خير
الاخرة اذ عرض عليهم مقاعدهم من الجنة
لو كانوا امنوا وما يصيرون اليه من النار فتبين
لهم قبح حالهم وسوء منقلبهم وما قاله البيضاوي
تبعا للزمخشري من انه صلى الله عليه وسلم قال
من قرا سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات
شفعا يوم القيمة حديث موضوع

Copyright © King Saud University

سورة الصف مدنية

في قول الاكثر وذكر النحاس عن ابن عباس انها مكية
وهي اربع عشرة اية ومايتان واحدي وعشرون كلمة
وتسعماية حرف بسم الله الملك الاعظم الذي لا كفو له
الرحمن الذي عم بفضله كل احد من خلقه الرحيم الذي
خص من شا من عباده فهداه لعبادته واهله سبح
الله اي اوقع التنزيه الاعظم للملك الاعظم ما في
السموات من جميع الاشيا من الملايكة وغيرها كالشمس والقمر
والنجوم وما في الارض كذلك من الادميين وغيرهم
كالشجر والثمار وقيل اللام مزيدة اي نزه الله وفي
ما دون من قول الجلال المحلي تغليبا للاكثر انتهي
فان قيل ما الحكمة في انه تعالي قال في بعض السور
سبح لله بلفظ الماضي وفي بعضها يسبح بلفظ المضا
رع وفي بعضها سبح بلفظ الامر اجيب بان
الحكمة في ذلك تعليم العبد ان يسبح الله تعالي علي
الدوام لان الماضي يدل عليه في الماضي من
الزمان والمستقبل يدل عليه في المستقبل من
الزمان والامر يدل عليه في الحال فان قيل
سبح لله السموات والارض وما فيهما وهو اكثر
مبالغة اجيب بان المراد بالسما جهة العلو
فيشمل السما وما فيها وبالارض جهة السفل فيشمل

الارض

الارض وما فيها وهو اي وحده العزيز اي الغالب علي
غيره اي شي كان لكان ذلك الغير ولا يمكن ان يغلب عليه
غيره الحكيم اي الذي يضع الاشيا في اتقن مواضعها
روي الدارمي في مسنده قال انبانا محمد بن كثير
عن الاوزاعي عن يحيي ابن ابي كثير عن ابن سلمة عن
عبد الله بن سلام قال قعدنا نفر من اصحاب رسول
الله صلي الله عليه وسلم فتذاكرنا فقلنا لو نعلم
اي الاعمال احب الي الله تعالي لعلمنا فانزل الله تعالي
سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز
الحكيم يا ايها الذين امنوا اي ادعوا الايمان لم تقولو ن
ما لا تفعلون حتي ختمها قال عبد الله فقراها علينا
رسول الله صلي الله عليه وسلم حتي ختمها قال ابو
سلمة فقراها علينا عبد الله بن سلام حتي ختمها
قال يحيي فقراها علينا ابو سلمة فقراها علينا ابو يحيي
فقراها علينا الاوزاعي فقراها علينا محمد فقراها
علينا الدارمي انتهي ولي بقراتها سند متصل
الي النبي صلي الله عليه وسلم وقال عبد الله بن
عباس قال عبد الله بن رواحة لو علمنا احب الاعمال
الي الله تعالي لعلمناه فلما نزل الجهاد كرهوه وقال
الكلبي قال المومنون يا رسول الله لو علمنا احب الا عمال
الي الله تعالي لسارعنا اليها فنزلت هل ادلكم علي

Copyright © King Saud University

تجارة تنجيكم من عذاب اليم فمكثوا زمانا يقولون لو نعلمها
لاشتريناها بالاموال والانفس والاهلين فدلهم
الله تعالى عليها بقوله تعالى تؤمنون بالله ورسوله
وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم الاية
فابتلوا يوم احد ففروا فنزلت هذه الاية تعييرا
لهم بترك الوفا وقال محمد بن كعب لما اخبر الله تعالى
نبيه صلى الله عليه وسلم بثواب شهدا بدر
قالت الصحابة اللهم اشهد لين لقينا قتالا لنفرغن
فيه وسعنا ففروا يوم احد فعيرهم الله تعالى بذلك
وقال قتادة والضحاك نزلت في قوم كانوا يقولون
نحن جاهدنا وابلينا ولم يفعلوا وقيل قد اذى المسلمين
رجل ونكى فيهم فقتله وانتحل قتله اخر فقال عمر
لصهيب اخبر النبي صلى الله عليه وسلم انك قتلته
فقال انما قتلته لله ولرسوله فقال عمر يا رسول الله
قتله صهيب قال كذلك يا ابا يحيى قال نعم فنزلت
في المنتحل وقال ابن زيد نزلت في المنافقين وندا
وهم بالايمان تهكما بهم وبايمانهم وكانوا يقولون
للنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ان خرجتم
وقاتلتم خرجنا معكم وقاتلنا فلما خرجوا نكصوا
عنهم وتخلفوا وقال القرطبي هذه الاية توجب على
كل من الزم نفسه عملا فيه طاعة ان يفي به وفي صحيح

مسلم

٧٣

مسلم عن ابي موسى انه بعث الى قرا اهل البصرة فدخل
عليه ثلثمائة رجل قد قرأوا القرآن فقال انتم خيار اهل
البصرة وقراؤهم فاتلوه ولا يطولن عليكم الامد
فتقسو قلوبكم كما قست قلوب من قبلكم وانا كنا
نقرا سورة نشبهها في الطول والشدة ببراءة فانسيتها
غير اني قد حفظت منها لو كان لابن ادم واديان
من مال لابتغى واديا ثالثا ولا يملأ جوف ابن ادم
التراب وكنا نقرا سورة نشبهها باحدى المسبحات
فانسيتها غير اني حفظت منها يا ايها الذين امنوا لم
تقولون ما لا تفعلون فتكتب شهادة في اعناقكم
فتسالون عنها يوم القيمة قال ابن العربي وهذا كله
ثابت في الدين لفظا ومعنى في هذه السورة واما قوله
شهادة في اعناقكم فتسالون عنها يوم القيامة
فمعنى ذلك ثابت في الدين فمن التزم شيئا لزمه
شرعا وقال القرطبي ثلاث ايات منعتني ان اقضي على
الناس اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وما
اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه يا ايها الذين امنوا لم
تقولون ما لا تفعلون وعن انس ابن مالك قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اتيت ليلة اسري بي على
قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار كلما قرضت عادت
قلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء خطباء امتك

Copyright © King Saud University

الذين يقولون ولا يفعلون ويقرؤون كتاب الله تعالى ولا
يعملون به تنبيه قوله تعالى لم تقولون ما لا
تفعلون استفهام على جهة الإنكار والتوبيخ على
أن يقول الإنسان عن نفسه من الخير ما لا يفعله أما
في الماضي فيكون كذبا وأما في المستقبل فيكون خلفا
وكلاهما مذموم قال الزمخشري لم هي لام الإضافة
داخلة على ما الاستفهامية كما دخل عليها غيرها
من حروف الجر في قولك بم وفيم ومم وعم وإلام
وإنما حذفت الألف لأن ما والحرف كشيء واحد ووقع
استعمالها كثيرا في كلام المستفهم وقد جاء استعمال
الأصل قليلا والوقف على زيادة هاء السكت والإسكان
ومن أسكن في الوصل فلإجرائه مجرى الوقف كما
سمع ثلاثة اربعة بالهاء وإلقاء حركة الهمزة عليها
محذوفة انتهى ووقف البزي لمه بهاء السكت بخلف عنه
كبر أي عظم وقوله تعالى مقتا تمييز والمقت أشد
البغض وزاد في تشنيعه زيادة في التنفير منه
بقوله تعالى عند الله أي الملك الأعظم الذي يحتقر
عنده كل متعاظم وقيل إن كبر من أمثلة التعجب
وقد عده ابن عصفور في التعجب المبوب له في النحو
فقال صيغته ما أفعله وأفعل به وفعل نحو كرم الرجل
وأشار إليها الزمخشري فقال هذا من أفصح الكلام وأبلغه

ج

معناه قصد في كبر التعجب من غير لفظه كقوله غلب
عاب ناب كليب بواؤها ومعنى التعجب تعظيم الأمر
في قلوب السامعين لأن التعجب لا يكون إلا من شيء
خارج عن نظائره وأشكاله وقوله تعالى أن تقولوا
أي عظم من تلك الجهة أن يقع في وقت من الأوقات
أو حال من الأحوال قولكم ما لا تفعلون فاعل كبر
قال الرازي وجه تعلق هذه السورة بما قبلها هو أن
في السورة التي قبلها بين الخروج إلى الجهاد في سبيل
الله وابتغاء مرضاته وفي هذه السورة بين ما يحمل
المؤمن ويحثه على الجهاد وقوله تعالى إن الله أي
الذي له جميع صفات الكمال يحب أي يفعل فعل المحب
مع الذين يقاتلون أي يوقعون القتال في سبيله أي
بسبب تسهيل طريقه الموصلة إلى رضاه وقوله
تعالى صفا حال أي مصطفين حتى كأنهم في اتحاد
المراد على قلب واحد كما كانوا في التساوي في آلة صطفا
كالبدن الواحد كأنهم من شدة التراص والملا واة
بالصدور والمناكب والثبات في المركز بنيان
وزاد في التأكيد بقوله تعالى مرصوص أي ملزق
بعضه إلى بعض ثابت كثبوت البناء وقال ابن
عباس يوضع الحجر على الحجر ثم يرص بأحجار صغار
ثم يوضع اللبن عليه فيسمونه أهل مكة المرصوص

وقال الرازي يجوز ان يكون المعنى على ان يستوي شأنهم
في حرب عدوهم حتى يكونوا في اجتماع الكلمة
وموالاة بعضهم بعضا كالبنيان المرصوص قال
القرطبي استدل بعضهم بهذه الاية على ان قتال
الراجل افضل من قتال الفارس لان الفرسان
لا يصطفون على هذه الصفة قال المهدوي وذلك
غير مستقيم لما جاء في فضل الفارس من الاجر
والغنيمة ولا يخرج الفرسان من معنى الاية لان
معناها الثبات ويحرم الخروج من الصف الا
قادحا عند الاستحراف لقتال كمن ينصرف ليكمن
في موضع ويهجم او ينصرف من مضيق ليتبعه
العدو الى متسع سهل للقتال او متحيزا الى فئة يستنجد
بها ولو بعيدة قليلة او كثيرة فيجوز انصرافه
لقوله تعالى الا متحرفا لقتال ويجوز المبارزة
لكافر لم يطلبها بلا كره وندبت لقوي اذن له
الامام او نائبه لاقراره صلى الله عليه وسلم
عليها وهي ظهور اثنين من الصفين للقتال من البروز
وهو الظهور فان طلبها كافر سنت للقوي المأذون
له للامر بها في خبر ابي داود ولان في تركها حينئذ
اضعافا لنا وتقوية لهم والا كرهت ولما ذكر تعالى
الجهاد ذكر قصة موسى وعيسى عليهما السلام تسلية

لنبيه

لنبيه صلى الله عليه وسلم ليصبر على اذى قومه
مبتدا بقصة موسى عليه السلام لتقدمه فقال تعالى
واذ اي واذكر يا اشرف الخلق اذ قال موسى لقومه
اي بني اسرائيل وقوله يا قوم استعطاف لهم واستنهاض في
الى رضى ربهم لم تؤذونني اي تجددون اذاي مع
الاستمرار وذلك حين رموه بالادرة كما مر في سورة
الاحزاب ومن الاذى ما ذكر في قصة قارون انه
دس الى امراة تدعي على موسى الفجور ومن الاذى
قولهم اجعل لنا الها كما لهم الهة وقولهم فاذهب
انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون وقولهم
انت قتلت هارون وغير ذلك وقوله تعالى وقد
تعلمون جملة حالية اي علمتم علما قطعيا مع تجدد
ذلكم كل وقت بتجدد اسباب بما اتيتكم به من المعجزات
والكتاب الحافظ لكم من الزيغ اني رسول الله الملك
الاعظم الذي لا كفوء له اليكم ورسوله يعظم ويحترم
لانه تنتهك جلالته بتحقيره وان لا اقول لكم
شيئا الا عنه ولا انطق عن الهوى فلما زاغوا اي عدلوا
عن الحق بمخالفة امر الله تعالى وبايذائه وقراءة
حمزة بالامالة والباقون بالفتح ازاغ الله اي الملك
الذي له الامر كله قلوبهم اي اما لها عن الهدى
على وفق ما قدره في الازل والله اي الذي له الحكمة

Copyright © King Saud University

البالغة لانه المستجمع لصفات الكمال لا يهدي اي بالتوفيق
بعد الهداية البيان القوم الفاسقين اي الخارجين في الفسق
الذين لهم قوة المجاوزة له فلم يحملهم على الفسق ضعف
فاحذروا ان تكونوا مثلهم في العزايم فتنا ووهم
في عقوبات الجرايم وهذا تنبيه على عظم ايذا
الرسل حتى ان اذاهم يودي الى الكفر وزيغ القلوب
عن الهدى ثم ذكر القصة الثانية بقوله تعالى واذ
اي واذكر يا اشرف المرسلين اذ قال عيسى ووصفه
بقوله تعالى ابن مريم ليعلم انه من غير اب وثبتت
نبوته بالمعجزات يا بني اسرايل فذكرهم بما كان
عليه ابوهم من الدين وما اوصى به بنيه من التمسك
بالاسلام ولم يقل يا قوم كما قال موسى عليه السلام
لانه لا اب له فيهم وان كانت امه فيهم فان النسب
انما هو من جهة الاب واكده لانكار بعضهم فقال
اني رسول الله اي الملك الاعظم اليكم اي لا الى غيركم
مصدقا لما بين يدي اي قبلي من التوراة التي
تعلمون ان الله تعالى انزلها على موسى عليه السلام
وهي اول الكتب التي نزلت بعد الصحف وحكم بها
النبيون فتصديقي لها مع تاييدي بما موجد لان
ما اقمته من الدلالة حق وبينت اتفاد دليلي فيما لم
انسخه منها كما استدل بما قدامه من الاعلام وبراعته

بمصره

بمصره وقرا ابو عمرو وابن ذكوان والكسائي بالامالة
محضة وقرا حمزة ونافع بين بين بخلاف عنه عن
قالون والباقون بالفتح ومبشرا اي حال تصديقي
للتوراة برسول اي الى كل من شملته الربوبية
ياتي من بعدي اي بعيد قربا للتوراة فكانه قيل ما اسمه
اسمه احمد والمعنى ارسلت اليكم في حال تصديقي
ما تقدمني من التوراة وفي حال تبشيري برسول ياتي من
بعدي يعني ان ديني التصديق بكتب الله تعالى وانبيا
جميعا ممن تقدم وتاخر فان قيل بم انتصب مصدقا
ومبشرا بما في الرسول من معنى الرسالة ام باليكم
اجيب بانه بمعنى الارسال لان اليكم صلة للرسول
فلا يجوز ان يعمل شيئا لان حروف الجر لا تعمل بانفسها
ولكن بما فيها من معنى الفعل فاذا وقعت صلات
لم تتضمن معنى فعل فمن اين تعمل وعن كعب ان الحواريين
قالوا لعيسى يا روح الله هل بعدنا من امة قال نعم
امة احمد حكماء علماء ابرار اتقياء كانهم من الفقه انبياء
يرضون من الله باليسير من العمل وعن جبير بن مطعم
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة
اسماء انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله
بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا
العاقب الذي ليس بعدي نبي وقد سماه الله تعالى رؤوف

Copyright © King Saud University

رحما وروي انه صلى الله عليه وسلم قال اسمي في التوراة
احيد لاني احيد امتي عن النار واسمي في الزبور الما
حي محى الله بي عبدة الاوثان واسمي في الانجيل احمد
وفي القرآن محمد لاني محمود في اهل السماء والارض بل
ذكر بعض العلما ان له الف اسم قال البغوي وان لغ في
احمد للمبالغة في الحمد وله وجهان احدهما انه مبالغة
من الفاعل اي ومعناه ان الانبيا حمادون لله
تعالى وهو اكثر حمدا من غيره والثاني انه مبالغة
من المفعول اي ومعناه ان الانبيا كلهم محمودون
لما فيهم من الخصال وهو اكثر مبالغة واجمع للفضايل
والمحاسن وان خلاق التي يحمد بها وعلى كلا الوجهين
منعه من الصرف للعلمية والوزن الغالب الا انه على
الاحتمال الاول يمتنع معرفة وينصرف نكرة وعلى
الثاني يمتنع تعريفا وتنكيرا لانه يخلف العلمية الصفة
واذا نكر بعد كونه علما جرى فيه خلاف سيبويه والا
خفش وهي مشهورة بين النحاة وانشد حسان يمدحه
وصرفه
صلى الاله ومن يحف بعرشه
والطيبون على المبارك احمد
احمد بدل او بيان للمبارك واما محمد فمنقول من صفة
ايضا وهو في معنى محمود ولكن في معنى المبالغة

والتكرار

والتكرار فاحمد هو الذي حمد مرة بعد مرة قال القرطبي كما ان
المكرم من المكرم مرة بعد مرة وكذلك الممدح ونحو
ذلك فاسم محمد مطابق لمعناه والله سبحانه وتعالى
سماه قبل ان يسمى به نفسه فهذا علم من اعلام نبوته
وكان اسمه صادقا عليه فهو محمود في الدنيا لما هدي
اليه ونفع به من العلم والحكمة وهو محمود في الاخرة
بالشفاعة فقد تكرر معنى الحمد كما يقتضي اللفظ ثم
انه لم يكن محمدا حتى كان احمد ربه فنباه وشرفه فلذلك
تقدم اسم احمد على الاسم الذي هو محمد فذكره عيسى فقال
اسمه احمد وذكره عليه السلام حين قال له ربه تلك امة
احمد فقال اللهم اجعلني من امة محمد فباحمد ذكره قبل
ان يذكره بمحمد لان حمده لربه كان قبل حمد الناس له فلما
وجد وبعث كان محمدا بالفعل وكذلك في الشفاعة يحمد
ربه بالمحامد التي يفتحها عليه فيكون احمد الناس
لربه ثم يشفع فيحمد على شفاعته فدل ذلك على انه صلى
الله عليه وسلم اشرف الانبيا فانه كالهم وخاتمهم
عليهم وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو وشعبة بفتح
اليا والباقون بالسكون وقوله تعالى فلما جاءهم يحتمل
ان يعود فيه الضمير له حمد اي جا الكفار واقتصر على
ذلك الجلال المحلي ويحتمل عوده لعيسى اي جا بني
اسرايل بالبينات اي من المعجزات الظاهرة التي

Copyright © King Saud University

لايسوغ لعاقل الا التسليم لها ومن الكتاب المبين قالوا
اي عند مجيئها من غير نظرة لتامل هذا اي المأتي
به من البيان اولا اي بها على المبالغة سحر فكانوا
اول كافر به لان هذا وصف لهم لازم شتوا لقبهم
ذلك امره مبين اي في غاية البيان في سحريته
وقرا حمزة والكسائي بفتح السين والف بعدها وكسر
الحاء وهذه القراءة مناسبة للتفسير الثاني والبا
قون بكسر السين وسكون الحاء وهذه مناسبة
للتفسير الاول ومن اي لا احد اظلم اي اشد
ظلما ممن افترى اي تعمد على الله اي الملك ذي
الاعلى الكذب اي بنسبة الشريك والولد اليه
ووصف انبيائه بالسحرة وهو اي والحال انه يدعى
اي من اي داع كان الى الاسلام اي الذي هو احسن
الاشياء فان له فيه سعادة الدارين فيجعل مكان
اجابته افتراء الكذب على الله تعالى والله اي الذي
له الامر كله فلا امر لاحد معه لا يهدي القوم
اي لا يخلق الهداية في قلوب من فيهم قوة المجادلة
للامور الصعاب الظالمين اي الذين يخبطون في
عقولهم خبط من هو في الظلام يريدون اي يوقعون
ارادة ردهم للرسالة بافترائهم ليطفئوا اي لاجل
ان يطفئوا نور الله اي الملك الذي له [illegible] كافة

بافواههم

بافواههم اي بما يقولون من كذب لا مثال له غير انه فواه
لا ينفذه اعتقاد في القلوب تنبيها على الاطفاء هو
الاخماد يستعملان في النار وما يجري مجراها من الضياء
والظهور ويفرق بين الاطفاء والاخماد من حيث ان
الاطفاء يستعمل في القليل فيقال اطفأت السراج ولا
يقال اخمدت السراج وفي هذه اللام وجه احدها
انها لام تعليله كما مر ما فيها انها مزيدة في مفعول
الارادة قال الزمخشري اصله يريدون ان يطفئوا
كما في سورة التوبة وكان هذه اللام زيدت مع فعل
الارادة توكيدا له لما فيها من معنى الارادة في قولك
جئت لاكرمك كما زيدت اللام في لا اباك توكيدا لمعنى
الاضافة في اباك قال الماوردي وسبب نزول هذه
الاية ما حكاه عطاء عن ابن عباس ان النبي صلى الله
عليه وسلم ابطأ عليه الوحي اربعين يوما فقال كعب
بن الاشرف يا معشر يهود ابشروا فقد اطفأ الله
نور محمد فيما كان ينزل عليه وما كان ليتم امره
فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله
تعالى هذه الاية فاتصل الوحي بعدها واختلف
في المراد بالنور فقال ابن عباس هو القران اي يريدون
ابطاله وتكذيبه بالقول وقال السدي الاسلام اي
يريدون دفعه بالكلام وقال الضحاك انه محمد صلى

في

Copyright © King Saud University

الله عليه وسلم اي يريدون تعليكه بالاراجيف وقال
ابن جريج نور الله تعالى ودلايله يريدون ابطالها بانكا
رهم وتكذيبهم وقيل الله مثل مضروب اي من اراد
اطفا نور الشمس بفيه فوجده مستحيلا ممتنعا كذلك
من اراد اطفا الحق والله اي الذي لا مدافع له لتمام
عظمته متم نوره فلا يضره ستر احد له بتكذيبه
ولا ارادة اطفايه وزاد ذلك بقوله تعالى ولو كره
اي المعاند له الكافرون اي الراسخون في جهة الكفر
المجتهدون في المحامات عنه هو اي الذي ثبت
انه جامع لصفات الكمال والجلال وحده من غير ان
يكون له شريك او وزير الذي ارسل رسوله اي المحقق
بان يعظمه كل من بلغه امره لان عظمته من عظمته
ولم يذكر حرف الغاية اشارة الى عموم الارسال الى كل
من شمله الملك كما مضى بالهدى اي البيان الشافي
بالقران او المعجزة ودين الحق اي والملة الحنيفية
ليظهره اي يعليه مع الشهرة واذلال المنازع على
الدين اي جنس الشريعة التي تجعل لمجازي من
سلكها ومن يزيغ عنها بما شرع فيها من الاحكام
كله فلا يبقى دين الا كان دونه ومحق به وذل
اهله له ذلا لا يقدر من يذل ولو كره اي اظهاره
المشركون المعاندون في كفرهم الراسخون في تلك

المعاندة

المعاندة فان قيل قال اولا ولو كره الكافرون وقال
ثانيا ولو كره المشركون فما الحكمة في ذلك اجيب
بانه تعالى ارسل رسوله وهو من نعم الله تعالى والكافرون
كلهم في كفران النعم سوا فلهذا قال ولو كره الكافرون
لان لفظ الكافر اعم من لفظ المشرك فالمراد من الكا
هنا اليهود والنصارى والمشركون فلفظ الكافر
اليق به واما قوله تعالى ولو كره المشركون فذلك
عند انكارهم التوحيد واصرارهم عليه لانه
صلى الله عليه وسلم في ابتدا الدعوة امر بالتوحيد
بلا اله الا الله فلم يقولوها فلهذا قال ولو كره
المشركون واختلف في سبب نزول قوله تعالى يا ايها
الذين امنوا اي اقروا بالايمان هل ادلكم اي وانا
المحيط علما وقدرة فهي الخطاب في المعنى بلفظ
الاستفهام تشريعا ليكون اوقع في النفس على تجارة
تنجيكم من عذاب اليم اي مولم فقال مقاتل نزلت
في عثمان بن مظعون قال يا رسول الله لو اذنت لي
طلقت خولة وترهبت واختصيت وحرمت اللحم
ولا انام بليل ابدا ولا افطر بنهار ابدا فقال صلى
الله عليه وسلم ان من سنتي النكاح ولا رهبانية في
الاسلام انما رهبانية امتي الجهاد في سبيل الله
وخصا امتي الصوم ولا تحرموا طيبات ما احل الله

Copyright © King Saud University

كلكم ومن سنتي انا مر وافوم وافطر واصوم فمن رغب عن
سنتي فليس مني فقال عثمان والله لوددت يا رسول
الله اي التجارات احب الى الله تعالى فانجر فيها فنزلت
وقيل ادلكم سادلكم والتجارة الجهاد قال الله تعالى
ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم الاية
وهذا خطاب لجميع المومنين وقيل نزل هذا حين
قالوا لو نعلم اي الاعمال احب الى الله تعالى لعملنا
به قال البغوي وجعل ذلك بمنزلة التجارة لانهم
يربحون بها رضى الله تعالى ونيل جنته والنجاة
من النار وقرا ابن عامر بفتح النون وتشديد
الجيم والباقون بسكون النون وتخفيف الجيم ثم
بين سبحانه وتعالى تلك التجارة بقوله تعالى تومنون
اي تدومون على الايمان بالله اي الذي له جميع
صفات الكمال وعلى هذا فلا ينافي ذلك قوله
تعالى يا ايها الذين امنوا وقيل المراد من هذه
الاية المنافقون وهم الذين امنوا في الظاهر
وقيل اهل الكتاب وهم اليهود والنصارى
فانهم امنوا بالكتب المتقدمة ورسوله الذي
تصديقه اية الاذعان للعبودية وتجاهدون عيانا
لصحة ايمانكم على سبيل التجديد والاستمرار في سبيل
الله اي الملك الاعظم الذي لا امر لغيره باموالكم

وانفسكم

وانفسكم وقدم الاموال لعزتها في ذلك الزمان ولانها
قوام الانفس فمن بذل ماله كله لم يبخل بنفسه لان
المال قوامها وقال القرطبي ذكر الاموال اولا لانها التي
يبدا بها في الانفاق ذلكم اي الامر العظيم من الا
يمان وتصديقه بالجهاد خير لكم اي اموالكم وانفسكم
ان كنتم تعلمون اي ان كان يمكن ان يتجدد لكم علم
في وقت فانتم تعلمون ان ذلك خير لكم فاذا علمتم
انه خير اقبلتم عليه فكان لكم به امر عظيم وان
كانت قلوبكم قد طمست طمسا لا رجا لصلاحه فصلوا
على انفسكم صلاة الموت وقوله تعالى يغفر لكم فيه
اوجه احدها انه مجزوم على جواب الخبر بمعنى
الامر اي امنوا وجاهدوا والثاني انه مجزوم على
جواب الاستفهام كما قاله الفرا والثالث انه مجزوم
بشرط مقدر اي ان تومنوا يغفر قال القرطبي وادغم
بعضهم فقرا يغفر لكم والاحسن ترك الادغام فان
الرا متكرر قوية فلا يحسن الادغام في اللام لان
الاقوى لا يدغم في الاضعف انتهى وتقدم في اخر
سورة البقرة مثل ذلك للزمخشري والبيضاوي و
ورد عليهما ذنوبكم اي يمحوا عيانها واثارها كلها
ويدخلكم اي بعد التزكية بالمغفرة رحمة لكم جنات
اي بساتين تجري من تحتها اي تحت اشجارها وغرفها

Copyright © King Saud University

وكل متنزه فيها الانهار فهي لا تزال فضة زهرا ولم يحتج
بهذا الاسلوب الى ذكر الخلود لاغنا ما بعده عنه ودل
على الكثرة المفرطة في الدور بقوله في صيغة منتهى
الجموع ومساكن طيبة روى الحسن قال سالت عمران
بن حصين وابا هريرة عن قوله تعالى ومساكن طيبة
فقالا على الخبير سقطت سالنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم عنها فقال قصر من لؤلؤة في الجنة في
ذلك القصر سبعون دارا من ياقوتة حمرا في كل دار
سبعون بيتا من زبرجدة خضرا في كل بيت سبعون
سريرا في كل سرير سبعون فراشا من كل لون على
كل فراش سبعون امراة من الحور العين في كل بيت
سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من
الطعام في كل بيت سبعون وصيفا ووصيفة
فيعطي الله تعالى المومن من القوة في غداة واحدة
ما ياتي على ذلك كله في جنات عدن اي بساتين هي اهل
لان قامة فيها لا يحتاج في اصلاحها الى شي خارج
يحتاج في تحصيله الى الخروج عنها له قال حمزة الكرماني
في كتابه جوامع التفسير هي اي جنات عدن قصبة
الجنان ومدينة الجنة اقربها الى العرش ذلك اي
الامر العظيم جدا الفوز العظيم اي السعادة الدائمة
الكثيرة واصل الفوز الظفر بالمطلوب ولما ذكر تعالى

ما انعم

٨١

ما انعم به عليهم في الاخرة بشرهم بنعمة في الدنيا
بقوله تعالى واخرى تحبونها اي ولكم الى هذه النعمة
نعمة اخرى عاجلة محبوبة وفي تحبونها تعريض بانهم
يوثرون العاجل على الاجل وقوله تعالى نصر من
الله اي الذي احاطت عظمته بكل شي خبر مبتدا
مضمر اي تلك النعمة او الخصلة الاخرى نصر من الله
وفتح قريب اي غنيمة في عاجل الدنيا قبل فتح مكة
قال الكلبي هو النصر على قريش وقال ابن عباس يريد
فتح فارس والروم وقوله تعالى وبشر المومنين
عطف على محذوف مثل قل يا ايها الذين امنوا وبشر او
على تومنون فانه في معنى الامر كانه قال امنوا
وجاهدوا ايها المومنون وبشرهم يا اشرف الرسل
بالنصر في الدنيا والجنة في الاخرة يا ايها الذين امنوا
اي اقروا بذلك كونوا اي بغاية جهدكم انصار
الله اي لدينه وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو
انصارا بالتنوين وجر اللام من الاسم الجليل وبتر
والباقون بغير تنوين وبخفض اللام كما اي كونوا
ان لاجل اني قد مكنكم انا بقولي من غير واسطة ولد
ذلكم خطابا مثل ما كان الحواريون انصار
الله حين قال عيسى ابن مريم حين ارسله الى بني
اسرائيل ناسخا لشريعة موسى عليه السلام للحواريين

فيقها

Copyright © King Saud University

اي خلص اصحابه وخاصته منهم من انصاري الى الله اي
المحيط بكل شيء اي انصروا دين الله مثل نصرة الحواريين
لما قال لهم عيسى عليه السلام من انصاري الى الله
اي من ينصرني مع الله تعالى قال الحواريون معلمين
انهم جادون في ذلك حدا لا مزيد عليه لعلمهم
ان اجابته اجابة لله تعالى لانه لا ينطق عن الهوى
فليس كلامه الا عن الله تعالى نحن اي باجمعنا
وكانوا اثني عشر رجلا وهم اول من امن بعيسى
انصار الله اي الملك الاعلى القادر على تمام نصرنا
ولو كان عدونا كل اهل الارض ولما كان التقدير ثم
دعوا من خالفهم من بني اسرايل وبارزوهم
تسبب عنه قوله تعالى فامنت اي به طايفة اي ناس
فيهم اهل الاستدارة لما لهم من الكثرة من بني
اسرايل قومه وكفرت طايفة اي منهم واصل
الطايفة القطعة من الشيء وذلك لانه لما رفع تفرق
قومه ثلاث فرق فرقة قالوا كان الله فارتفع وفرقة
قالوا كان ابن الله فرفعه اليه وفرقة قالوا كان عبد
الله ورسوله فرفعه اليه وهم المومنون واتبع كل فرقة
طايفة من الناس فاقتتلوا وظهرت الفرقتان الكا
فرتان حتى بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه
وسلم فظهرت الفرقة المومنة على الكافرة فذلك قوله

تعالى

تعالى فايدنا اي قوينا بعد رفع عيسى عليه السلام
الذين امنوا اي اقروا بالايمان المخلص على عدوهم
اي الذين عادوهم لاجل ايمانهم فاصبحوا اي
صاروا بعد ما كانوا فيه من الذل ظاهرين اي عالين
غالبين قاهرين في اقوالهم وافعالهم لا يخافون
احدا ولا يستخفون منه وروى المغيرة عن ابراهيم
قال فاصبحت حجة من امن بعيسى عليه السلام
ظاهرة بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم ان
عيسى عليه السلام كلمة الله وعبده ورسوله
وقول البيضاوي تبعا للزمخشري عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الصف كان
عيسى مصليا عليه مستغفرا له ما دام في الدنيا
وهو يوم القيامة رفيقه حديث موضوع

سورة الجمعة مدنية

وهي احدى عشرة اية ومائة وثمانون كلمة وسبعمائة
وعشرون حرفا روى مسلم عن ابي هريرة ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال خير يوم طلعت
فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق ادم وفيه ادخل
الجنة وفيه اخرج منها ولا تقوم الساعة الا في
يوم الجمعة وعنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم نحن الاخرون يوم القيامة ونحن اول من

Copyright © King Saud University

يدخل الجنة بيد انهم اوتوا الكتاب الاول من قبلنا واوتينا
نحن من بعدهم فاختلفوا فهدانا الله تعالى لما اختلفوا
فيه من الحق باذنه فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه هدانا
الله له وقال يوم الجمعة فاليوم لنا وغدا لليهود وبعد
غد للنصارى بسم الله الذي احاط علمه بكل
معلوم فتم بيانه الرحمن الذي عمت نعمة بيانه فهو
العظيم شانه الرحيم الذي خص حزبه بالتوفيق
فثبت عندهم حبه وايمانه يسبح اي يوقع التنزيه
الاعظم الاسنى الاكمل لله اي الملك المحيط بكل شيء
قدرة وعلما ما في السموات اي من جميع الاشيا من
الملائكة وغيرها كالافلاك والنجوم وما في الارض
كذلك من الادميين وغيرهم كالشجر والثمار وقيل
اللام مزيدة اي ينزه الله واتى بما دون من قاله
العلامة المحلي تغليبا للاكثر ويحتمل ان يكون المراد
بالسماء جهة العلو فتشمل السما وما فيها وبالارض
جهة السفل فتشمل الارض وما فيها الملك اي
الذي ثبت له جميع الكمالات فهو يتم من شا من
جنده ولو كان ذليلا فيصبح ظاهرا القدوس
اي المنزه عما لا يليق به وعن احاطة احد من الخلق
بعلمه وادراك كنه ذاته فليس في ايدي الخلق الا
التردد في شهود افعاله والتدبر لمعاني نعوته

وجلاله

٨٢

وجلاله واحقهم بالقرب والعداد في حزبه المتخلق
باوصافه على قدر اجتهاده فينبغي للمؤمن التنزه
عن ان يقول ما لا يفعل او ينهى شيئا من اموره على
غير احكام العزيز اي الذي يغلب كل شيء ولا يغلبه
شيء الحكيم اي الذي يوقع كلما اراد في احكم مواقعه
واتمها واتقنها هو اي وحده الذي بعث في الاميين
اي العرب لان اكثرهم لا يكتبون ولا يقرؤون والامي
من لا يقرا ولا يكتب رسولا منهم اي من جملتهم
اميا مثلهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم
وما من حي من العرب الا وله صلى الله عليه
وسلم فيهم قرابة وقد ولدوه قال ابن اسحاق
الا بني تغلب فان الله طهر نبيه صلى الله عليه
وسلم فلم يجعل لهم عليه ولادة وكان اميا لم يقرا
من كتاب ولا يتعلم صلى الله عليه وسلم علمه
الله ما لم يكن يعلم من غير تطلب فكانت اثار البشرية
عنده مندرسة وانوار الحقائق عليه لائحة
وذلك لئلا يتوهم الافتقار الى الاستعانة بالكتب
لان مشاكلته لحال من بعث فيهم اقرب الى مسا
له لو امكنهم فيكون معنى عدم امكان المساواة
ادل على الاعجاز وبعثه الى العرب لا ينفي بعثه الى
غيرهم لا سيما مع ما ورد ذلك فيه من صرائح

واتهم

Copyright © King Saud University

الدلايل القطعية فذكر موضع البعث وابتداه فتكون
الغاية مطلقة تقديرها الي عامة الخلق يتلوا اي يقرا
قراة يتبع بعضها بعضا على وجه الاكثر والعلو والرفعة
عليهم مع كونه اميا مثلهم اياته اي باتيهم على
سبيل التجدد والمواصلة وهي القران التي اعجز
الجن والانس ان ياتوا بسورة مثله ويزكيهم اي يطهرهم
من الشرك والاخلاق الرذيلة والعقايد الزايغة
فكانت تزكيته لهم مدة حياته بنظره الشريف
اليهم وتعليمه لهم وتلاوته عليهم فربما نظر
الي الانسان نظرة محبة فزكاه الله تعالى بها بحيث
التابليات والامور التي قضى الله تعالى ان
تكون مهيات فكان لداعي فكان لاتباعه الزم
فكان في كتاب الله وسنته ارسخ ويعلمهم الكتاب
اي القران المنزل عليه الجامع لكل خير ديني ودنيوي
في الاولى والاخرة والحكمة وهي غاية الحكم للكتاب
في قوة فهمه والعمل بمدلوله العمل المزين بالعلم المتقن
له وقال الحسن الكتاب القران والحكمة السنة وقال
ابن عباس الكتاب الخط بالقلم لان الخط انما فشى في
العرب بالشرع لما امروا بالتقييد بالخط وقال مالك
بن انس الحكمة الفقه في الدين وان اي والحال انهم
كانوا اي كونا هو كالجبلة لهم من قبل اي قبل ارساله

اليهم

اليهم لفي ضلال اي بعد عن المقصود مبين اي
ظاهر في نفسه مظهر لغيره انه ضلال باعتقادهم
الاباطيل الظاهرة وظنهم انهم على شيء وعموم
الجهل لهم ورضاهم به واختيارهم له وقوله
تعالى واخرين منهم فيه وجهان احدهما انه مجرور
عطفا على الاميين اي وبعث في اخرين من الاميين
اي الموجودين والاتين منهم بعدهم لما اي لم
يلحقوا بهم في السابقة والفضل والثاني انه
منصوب عطفا على الضمير المنصوب في يعلمهم
اي ويعلم اخرين لما يلحقوا بهم وسيلحقون وكل
من تعلم شريعة محمد صلى الله عليه وسلم الى
اخر الزمان فرسول الله صلى الله عليه وسلم معلمه
بالقوة لانه اصل ذلك الخير العظيم والفضل الجسيم
تنبيه الذين لم يلحقوا بهم هم الذين لم يكونوا
في زمنهم وسيجيئون بعدهم قال ابن عمر وسعيد
ابن جبير هم العجم وفي الصحيحين عن ابي هريرة
قال كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم
حتى سال مرة او مرتين او ثلاثا قال وفينا سلمان
الفارسي قال فوضع النبي صلى الله عليه وسلم
يده على سلمان ثم قال لو كان الايمان عند الثريا
لذهب به رجال من فارس او قال من ابنا فارس حتى

Copyright © King Saud University

تتناوله وقال عكرمة هم التابعون وقال مجاهد هم
الناس كلهم يعني من بعد العرب الذين بعث فيهم
محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن زيد ومقاتل ابن
حيان قال هم من دخل في الاسلام بعد النبي صلى
الله عليه وسلم الى يوم القيامة وروى سهل
بن سعيد الساعدي ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان في اصلاب امتي رجالا ونساء يدخلون الجنة
بغير حساب ثم تلا واخرين منهم لما يلحقوا بهم
قال ابن عادل والقول الاول اثبت وروى ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال رايتني اسقي غنما سودا
ثم اتبعتها غنما عفرا اولها يا ابا بكر قال اما السود
فالعرب واما العفر فالعجم تتبعك بعد العرب فقال
النبي صلى الله عليه وسلم كذلك اولها الملك يعني
جبريل عليه السلام رواه ابن ابي ليلى عن رجل من
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهو علي ابن ابي
طالب وهو اي والحال انه وحده العزيز اي الذي
يقدر على كل حال ما اراده ولا يغلبه شيء فهو يزكي
من يشا ويعلمه ما اراد من اي طايفة كان ولو كان
اجهل تلك الطايفة لان الاشيا كلها بيده الحكيم
فهو اذا اراد شيا موافقا لشرعه وامره جبله على
اتقن الوجوه واوثقها فلا يستطيع نقضه ومهما

ارادة

ارادة كيف كان فلا بد من انفاذه فلا يطاق رده بوجه
ولما كان هذا امرا باهرا عظيمه بقوله تعالى على وجه
الاستثمار من قدرته ذلك الامر العظيم الرتبة
من تفضيل الرسول وقومه وجعلهم متبوعين
بعد ان كان العرب اتباعا لا وزن لهم عند غيرهم
من الطوايف فضل الله اي الذي له جميع صفات الكمال
والفضل ما لم يكن مستحقا لاحد له في الغرض يؤتيه
من يشا قال ابن عباس حيث الحق العجم بقريش وقال
الكلبي يعني الاسلام فضل الله يؤتيه من يشا
وقال مقاتل يعني الوحي والنبوة وقيل انه المال
ينفق في الطاعة لما روى ابو صالح عن ابي هريرة
ان فقرا المهاجرين اتوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالوا ذهب اهل الدثور بالدرجات العلى
والنعيم المقيم فقال وما ذاك فقال يصلون
كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون ولا نتصدق
ويعتقون ولا نعتق فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم افلا اعلمكم شيا تدركون به من سبقكم وتسبقون
به من بعدكم ولا يكون احد افضل منكم الا من صنع
مثل ما صنعتم فقالوا بلى يا رسول الله قال تسبحون
وتكبرون وتحمدون دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين
مرة قال ابو صالح فرجع فقرا المهاجرين الى رسول

الله صلى الله عليه وسلم فقالوا سمع اخواننا من اهل الاموال بما فعلنا ففعلوا مثله فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فضل الله يوتيه من يشا وقيل انه انقياد الناس الى تصديق النبي صلى الله عليه وسلم ودخولهم في دينه ونصرته **والله** الملك المحيط بكل شي قدرة وعلما **ذو الفضل العظيم** ولما ترك اليهود العمل بالتوراة ولم يومنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ضرب الله تعالى لهم مثلا بقوله تعالى **مثل الذين حملوا التوراة** اي كلفوا والزموا حمل الكتاب الذي اتاه الله تعالى لبني اسرائيل على لسان موسى عليه السلام بان تحملهم اياها سبحانه وكلفهم حفظ الفاظها عن التغيير والنسيان وحفظ معانيها عن التحريف والتلبيس وحدودها واحكامها عن الاهمال والتضييع **ثم لم يحملوها** بان حملوا الفاظها ولم يحملوا ما فيها من الوصية باتباع عيسى عليه السلام اذا جاءهم ثم محمد صلى الله عليه وسلم اذا جاءهم فصارة لهم شاهدة توقف عليهم فاذنهم في النار من غير نفع اصلا **كمثل** اي مثل مثل **الحمار** اي الذي هو ابلد الحيوان فهو مثل في الغباوة حال كونه **يحمل اسفارا** اي كتبا كبارا من كتب العلم جمع سفر وهو الكتاب الكبير المسفر عما فيه

في

في عدم الانتفاع بها انه يمشي ولا يدري منها الا ما يمر بجنبه وظهره من الكد والتعب وكل من علم ولم يعمل بعلمه فهذا مثله ومثل ذلك قول الشاعر

زوامل للاشعار لا علم عندهم
بجيدها الا كعلم الاباعر

لعمرك ما يدري البعير اذا غدى
باحماله او راح ما في الغرائر

من انشاد الشيخ ابن الخباز **بئس مثل القوم** اي الذين لهم قوة شديدة على محاولة ما يريدون **الذين كذبوا** اي عمدا على علم **بايات الله** اي دلالات الملك الاعظم على رسله ولا سيما محمد صلى الله عليه وسلم والمخصوص بالذم محذوف تقديره هذا المثل **والله** اي الذي له جميع صفات الكمال **لا يهدي القوم** اي لا يخلق الهداية في قلوب الذين تعمدوا الزيغ **الظالمين** اي الذين تعمدوا الظلم بمنابذة الهدى الذي هو البيان الذي لم يدع لبسا حتى صار الظلم لهم صفة راسخة ولما ادعت اليهود الفضيلة وقالوا نحن ابناء الله واحباؤه نزل قوله تعالى **قل** اي يا اشرف الرسل **يا ايها الذين هادوا** اي تدينوا باليهودية **ان زعمتم** اي قلتم قولا هو معرض للتكذيب ولذلك اكذبتموه **انكم اولياء لله** اي الملك الاعلى الذي

لا امر لاحد معه خصكم بذلك خصوصية مبتداة من
دون اي ادنى رتبة من رتب الناس فلم تنفذ تلك
الولاية تلك الرتبة الدنيا الى احد منالكم غيركم بل خصكم
بذلك على كل من فيه اهلية الحركة لا سيما الاميين
فتمنوا الموت واخبروا عن انفسكم بذلك للنقلة من
دار البلاء الى محل الكرامة والادراك ان كنتم اي كونا راسخين
صادقين اي عريقين عند انفسكم في الصدق فان
من علامات المحبة الاستباق الى المحبوب ومن المقطوع
به ان من كان في كدر وكان له ولي قد وعده عند
الدخول اليه الراحة التي لا يشوبها ضرر يتمنى النقلة
الى وليه روي انه صلى الله عليه وسلم قال لهم والذي
نفسي بيده لا يقولها احد منكم الا غص بريقه فلم
يقلها منهم احد علما منهم بصدقه صلى الله عليه
وسلم فلم يقولوا ولم يؤمنوا عنادا منهم ثم اخبر الله
تعالى عنهم انهم لا يتمنوه في المستقبل ايضا بقوله
تعالى ولا يتمنونه اي في المستقبل ابدا بما قدمت
ايديهم اي بسبب ما قدموا من الكفر والمعاصي التي
احاطت بهم فلم تدع لهم حظا في الاخرة تنبيه
قال تعالى هنا ولا يتمنونه وفي البقرة ولن يتمنوه قال
الزمخشري لا فرق بين لا ولن في ان كلا منهما نفي للمستقبل
الا ان في لن تاكيدا وتشديدا ليس في لا فاتى مرة

بلفظ

بلفظ التاكيد ولن يتمنوه ومرة بغير لفظه ولا يتمنونه
قال ابو حيان وهذا رجوع منه عن مذهبه وهو ان
لن تقتضي النفي على التابيد اي مذهب الجماعة وهي
انها لا تقتضيه قال بعضهم وليس فيه رجوع غايته
ما فيه انه سكت عنه وتركيبه بين لا ولن في نفي المستقبل
لا ينفي اختصاصها اي لن بمعنى اخر ودعواهم الولاية
اي التوسل الى المحبة لا يلزم منها الاختصاص بالنعم
بدليل ان الدنيا ليست خالصة لله وليا تحقق لهم
الولاية بل البر والفاجر مشتركون فيها والله اي
الذي له الاحاطة بكل شيء قدرة وعلما عليم اي بالغ
العلم محيط بهم هكذا كان الاصل ولكنه تعالى
قال بالظالمين تعميما وتعليقا بالوصف لا بالذات فالمعنى
انه عالم باصحاب هذا الوصف الراسخين فيه منهم
ومن غيرهم فهو مجازيهم على ظلمهم قل اي لهم
ولا سيما اشرف الرسل ان الموت الذي تفرون منه بالكف
عن التمني فانه ملاقيكم اي لا تفوتونه لاحق بكم
تنبيه في هذه الفاء وجهان احدهما انها داخلة
لما تضمنه الاسم من معنى الشرط وحكم الموصوف بالموصول
حكم الموصول في ذلك قال الزجاج لا يقال ان زيدا فمنطلق
وها هنا قال فانه ملاقيكم ويكون مبالغة في الدلالة
على انه لا ينفع الفرار منه الثاني انها مزيدة محضة

لة

Copyright © King Saud University

لا للتضمن المذكور منه الثاني انها مزيدة محضة لا للتضمن
المذكور ولما كان في البرزخ امراً له بد منه مهول نبه
عليه وعلى طوله باداة التراخي فقال **ثم تردون الى عالم**
الغيب اي السر **والشهادة** اي العلانية اي كلما غاب عن
الخلق وكلما شوهد **فينبئكم** اي يخبركم اخبارا عظيما
مستقصى مستوفى **بما كنتم** اي بما هو لكم بالجبلة
تعملون اي بكل جزء منه مما برز الى الخارج وبما كان
في جبلاتكم ولو بقيتم لعملتموه لنجازيكم **يا ايها الذين امنوا**
اي اقروا بالسنتهم بالايمان **اذا نودي** اي من اي
منادٍ كان من اهل النداء **للصلاة** اي صلاة الجمعة
من اي في **يوم الجمعة** كقوله تعالى اروني ماذا خلقوا
من الارض اي في الارض والمراد بهذا النداء الاذان
عند قعود الامام على المنبر للخطبة لانه لم يكن في
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم نداء سواه كان
اذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر
اذن بلال وعن السايب بن يزيد قال كان النداء يوم
الجمعة اوله اذا جلس الامام على المنبر على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر
فلما كان عثمان وكثر الناس زاد النداء الثالث على
الدور زاد في رواية فثبت الامر على ذلك وعن
ابي داود قال كان يؤذن بين يدي رسول الله

صلى

٨٨
صلى الله عليه وسلم اذا جلس يوم الجمعة على المنبر على
باب المسجد روي انه كان لرسول الله صلى الله عليه
وسلم مؤذن واحد فكان اذا جلس على باب المنبر اذن
على باب المسجد فاذا نزل اقام الصلاة ثم كان
ابو بكر وعمر وعلي بالكوفة على ذلك حتى كان عثمان
وكثرت الناس وتباعدت المنازل زاد اذانا اخر
فامر بالتاذين الاول على داره التي تسمى زوراء فاذا
سمعوا اقبلوا حتى اذا جلس عثمان على المنبر اذن
الاذان الثاني الذي كان على زمن النبي صلى
الله عليه وسلم فاذا نزل اقام للصلاة فلم يعب
ذلك عليه لقوله صلى الله عليه وسلم عليكم بسنتي
وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي قال الماوردي ان
الاذان الاول محدث فعله عثمان بن عفان ليتاهب
الناس لسماع الخطبة عند اتساع المدينة وكثرة
اهلها وكان عمر امر ان يؤذن في السوق قبل المسجد
ليقوم الناس عن سوقهم فاذا اجتمعوا اذن في
المسجد فجعله عثمان اذانين في المسجد قال ابن الجوزي
وفي الحديث الصحيح ان الاذان على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم واحد فلما كان زمن عثمان
زاد النداء الثالث على الزوراء وسماه في الحديث
ثالثا لانه اضافه الى الاقامة كقوله صلى الله عليه

Copyright © King Saud University

وسلم بين كل اذانين صلاة لمن شا يعني الاذان والاقامة
وتوهم بعض الناس انه اذان اصلي فجعلوا المؤذنين
ثلاثة قال ابن عادل فكان وبها يؤذن جميعهم في وقت
واحد فكان وهما على بعضهم واختلفوا في تسمية هذا
اليوم جمعة فمنهم من قال لان الله تعالى جمع فيه خلق
ادم عليه السلام وروى مالك عن ابي هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال خير يوم طلعت فيه
الشمس يوم الجمعة فيه خلق ادم عليه السلام وفيه
اهبط وفيه مات وفيه تيب عليه وفيه تقوم الساعة
وهو عند الله يوم المزيد وروى انه صلى
الله عليه وسلم قال اتاني جبريل وفي كفه مرآة بيضاء
وقال هذه الجمعة يعرضها عليك ربك لتكون لك
عيدا ولامتك من بعدك وهو سيد الايام عندنا
ونحن ندعوه في الاخرة يوم المزيد ومنهم من قال
ان الله تعالى فرغ من خلق الاشيا فاجتمعت فيه
المخلوقات ومنهم من قال لاجتماع الجماعات للصلاة
وقيل اول من سمى هذا اليوم جمعة كعب بن لوى
قال ابو سلمة اول من قال اما بعد كعب بن لوى وكان
اول من سمى الجمعة جمعة وكان يقال له يوم العروبة
وعن ابن سيرين قال جمع اهل المدينة وقبل ان
تنزل الجمعة وهم الذين سموها الجمعة وقبل ان

الانصار

الانصار قالوا لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة ايام
وللنصارى مثل ذلك فهلموا نجعل لنا يوما نجتمع فيه
فنذكر الله تعالى فيه ونصلي فقال يوم السبت لليهود
ويوم الاحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا
الى اسعد بن زرارة فصلى بهم يومئذ ركعتين
وذكرهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه ثم انزل
الله تعالى اية الجمعة فهي اول جمعة كانت في الاسلام
وروى عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن
ابيه كعب انه كان اذا سمع النداء يوم الجمعة ترحم
لاسعد بن زرارة فقلت له اذا سمعت النداء
ترحمت لاسعد بن زرارة قال لانه اول من جمع بنا
في هزم النبيت من حرة بني بياضة في نقيع يقال
له نقيع الخضمات قلت له كم كنتم يومئذ قال اربعون
اخرجه ابو داود واما اول جمعة جمعها النبي صلى
الله عليه وسلم باصحابه فقال اهل السير لما قدم
النبي صلى الله عليه وسلم مهاجرا نزل قبا على
بني عمرو بن عوف يوم الاثنين لاثنتي عشر ليلة
خلت من شهر ربيع الاول حين اشتد الضحى ومن
تلك السنة بعد التاريخ فاقام بها الى يوم الخميس
واسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة عامدا
المدينة فادركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف

Copyright © King Saud University

في بطن واد لهم قد اتخذ القوم في ذلك الموضع مسجدا
فجمع بهم وخطب وهي اول خطبة خطبها بالمدينة وقال
فيها الحمد لله احمده واستعينه واستغفره واستهد
يه واومن به ولا اكفره واعادي من يكفره واشهد
ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان
محمدا عبده ورسوله ارسله بالهدى ودين الحق والنور
والموعظة والحكمة على فترة من الرسل وقلة من
العلم وضلال من الناس وانقطاع من الزمان
ودنو من الساعة وقرب من الاجل من يطع الله
ورسوله فقد رشد ومن يعص الله ورسوله فقد غوى
وفرط وضل ضلالا بعيدا اوصيكم بتقوى الله
فان خير ما اوصى به المسلم المسلم ان يحضه
على الاخرة وان يامره بتقوى الله واحذروا
ما حذركم الله نفسه فان تقوى الله لمن عمل به على
وجل ومخافة من ربه عون صدق ما تبغون من
الاخرة ومن يصلح الذي بينه وبين الله من امره
في السر والعلانية لا ينوي به الا وجه الله يكن له
ذكرا في عاجل امره وذخرا فيما بعد الموت حين يفتقر
المرء الى ما قدم وما كان مما سوى ذلك يود لو ان بينه
وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رؤف
بالعباد والذي صدق قوله وانجز وعده لا خلف

من

لذلك

لذلك فانه يقول ما يبدل القول لدي وما انا بظلام للعبيد
فاتقوا الله في عاجل امركم واجله في السر والعلانية
فانه من يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا ومن
يتق الله فقد فاز فوزا عظيما وان تقوى الله توقي مقته
وتوقي عقوبته وتوقي سخطه وان تقوى الله تبيض
الوجه وترضي الرب وترفع الدرجة خذوا بحظكم ولا
تفرطوا في جنب الله فقد علمكم في كتابه ونهج لكم سبيله
ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين واحسنوا كما احسن
الله اليكم وعادوا اعداءه وجاهدوا في الله حق جهاده حق
هو اجتباكم وسماكم المسلمين ليهلك من هلك عن
بينة ويحيى من حي عن بينة ولا حول ولا قوة الا بالله
فاكثروا ذكر الله تعالى واعملوا لما بعد الموت فانه من
يصلح ما بينه وبين الله يكفه ما بينه وبين الناس
ذلك بان الله يقضي على الناس ولا يقضون عليه
ويملك من الناس ولا يملكون منه الله اكبر ولا حول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم قال بعضهم قد ابطل
الله تعالى قول اليهود في ثلاث افتخروا بانهم اولياء
الله واحباؤه فكذبهم في قوله تعالى فتمنوا الموت
ان كنتم صادقين وبانهم اهل الكتاب والعرب لا كتاب
لهم فشبههم بالحمار يحمل اسفارا وبالسبت لهم وانه
ليس للمسلمين مثله فشرع الله تعالى لهم الجمعة تنبيه

سمى الله تعالى الخطبة ذكرا وقال ابو حنيفة ان اقتصر المحدث
الخطيب على مقدار يسمى ذكر الله كقوله الحمد لله سبحان الله
جاز وعن عثمان انه صعد المنبر فقال الحمد لله فارتج عليه
فقال ان ابا بكر وعمر كانا يعدان لهذا المقام مقالا وانكم
الى امام فعال احوج منكم الى امام قوال وستاتيكم الخطب
ثم نزل وكان ذلك بحضرة الصحابة فلم ينكر عليه احد
وعند صاحبيه والشافعي لابد من كلام يسمى خطبة
ولها اركان وشروط مذكورة في الفقه فان قيل
كيف يفسر ذكر الله بالخطبة وفيها ذكر غير الله اجيب
بان ما كان من رسوله والثنا عليه وعلى خلفائه الراشدين
واتقيا المومنين والموعظة والتذكير فهو في حكم
ذكر الله واما ما عدا ذلك من ذكر الظلمة والقابهم
والثنا عليهم والدعا لهم وهم احق بعكس ذلك فمن
ذكر الشيطان وهو من ذكر الله على مراحل فان المنصت
للخطبة اذا قال لصاحبه صه فقد لغا افلا يكون
الخطيب الغالي في ذلك لاغيا نعوذ بالله من غربة
الاسلام ونكد الايام وقد خاطب الله تعالى
المومنين بالجمعة دون الكافرين تشريفا لهم وتكريما
فقال يا ايها الذين امنوا ثم خصه بالندا وان كان
قد دخل في عموم قوله تعالى واذا ناديتم الى الصلاة
ليدل على وجوبه وفرضه وقال بعض العلما كون

الصلاة

الصلاة الجمعة ههنا معلوم بالاجماع لا من نفس اللفظ
وقال ابن العربي وعندي انه معلوم من نفس اللفظ
بنكتة وهي قوله تعالى من يوم الجمعة وذلك يفيده
لان الندا الذي يختص بذلك اليوم هو ندا تلك الصلاة
واما غيرها فهو عام في ساير الايام ولو لم يكن
المراد به ندا الجمعة لما كان لتخصيصه بها واضافته
اليها معنى ولا فايدة واختلف في معنى قوله تعالى
فاسعوا اي لتكونوا اوليا الله ولا تتهاونوا في ذلك فقال
الحسن والله ما هو سعي على الاقدام ولكنه سعي بالقلوب
والنية وقال الجمهور السعي العمل لقوله تعالى ومن
اراد الاخرة وسعى لها العمل لقوله تعالى ومن اراد
الاخرة وسعى لها سعيها وهو مومن وقوله تعالى
ان سعيكم لشتى وقوله تعالى وان ليس للانسان
الا ما سعى وعن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال اذا اقيمت الصلاة فلا تاتوها وانتم تسعون
ولكن ائتوها تمشون وعليكم السكينة فما ادركتم
فصلوا وما فاتكم فاتموا واختلفوا ايضا في معنى
قوله تعالى الى ذكر الله اي الملك الاعظم فقال
سعيد ابن المسيب هو موعظة الامام وقال غيره
الخطبة والصلاة المذكورة بالملك الاعظم الذي
من انقطع عن خدمته هلك وما امر بالمبادرة الى

Copyright © King Saud University

تجارة الآخرة قال تعالى ناهيا عن تجارة الدنيا التي تعوق
عن الجمعة وذروا البيع أي اتركوا البيع والشرا لأن اسم
البيع يتناولهما جميعا وإنما يحرم البيع والشرا عند
الأذان الثاني وقال الزهري عند خروج الإمام وقال
الضحاك إذا زالت الشمس حرم البيع والشرا وإنما خص
البيع من بين الأمور الشاغلة عن ذكر الله تعالى
لأن يوم الجمعة يوم يهبط الناس فيه من بواديهم
وقراهم وينصبون إلى المصر من كل أوب ووقت
هبوطهم واجتماعهم واغتصاص الأسواق بهم
إذا انتفخ النهار وتعالى الضحى ودنى وقت الظهيرة
وحينئذ تحتفي التجارة ويتكاثر البيع والشرا فلما
كان ذلك الوقت مظنة للذهول بالبيع عن ذكر الله
والمضي إلى المسجد قيل بادروا تجارة الآخرة
واتركوا تجارة الدنيا واسعوا إلى ذكر الله ذلكم
أي الأمر العالي الرتبة من فعل السعي وترك الا
شتغال بالدنيا خير لكم أي الأمر الذي أمرتكم
به الذي له الأمر كله وهو يريد تطهيركم في
أديانكم وأبدانكم وأموالكم وبلده أسعادكم
وإنقاذكم فإن قيل إذا كان البيع في هذا
الوقت محرما فهل هو فاسد أجيب بأن عامة
العلماء على أن ذلك لا يوجب فساد البيع قالوا لأن

البيع

البيع لا يحرم لعينه ولكن لما فيه من الذهول عن
الواجب فهو كالصلاة في الأرض المغصوبة والثوب
المغصوب والوضوء بماء مغصوب وعن بعض الناس
أنه فاسد وزاد في الحث على ذلك بقوله تعالى
إن كنتم أي بما هو لكم كالجبلة تعلمون أي تتجدد
لكم علم في يوم من الأيام فإنكم ترون ذلك خيرا
فإذا علمتموه خيرا فبلتم عليه فكان ذلك خيرا
لكم وصلاة الجمعة فرض عين تجب كل من جمع الإ[سلام]
والبلوغ والعقل والحرية والذكورة والإقامة إذا لم
يكن له عذر مما ذكره الفقها ومن تركها استحق
الوعيد قال صلى الله عليه وسلم لينتهين أقوام
عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله تعالى على قلوبهم
ثم ليكونن من الغافلين وروي أنه صلى
الله عليه وسلم قال من ترك الجمعة ثلاث مرات
تهاونا بها طبع الله تعالى على قلبه قال ابن عادل
ونقل عن بعض الشافعية أن الجمعة فرض على
الكفاية أما من به عذر يعذر به في ترك الجماعة
مما يتصور هنا فلا تجب عليه وتجب على أعمى وجد
قائدا وشيخا هرما وزمنا وجدا مركبا لا يشق
ركوبه عليهما واختلف أهل العلم في موضع إقامة
الجمعة وفي العدد الذي تنعقد بهم الجمعة وفي

على
سلام

Copyright © King Saud University

المسافة التي يجب ان يوتى منها فذهب قوم الى ان كل
قرية اجتمع فيها اربعون رجلا بالصفة المتقدمة
يجب عليهم اقامة الجمعة فيها وهو قول عبد الله بن
عمر وبن عبد العزيز وبه قال الشافعي واحمد واسحاق
قالوا لا تنعقد الجمعة باقل من اربعين ان يكون فيهم والى
وعن ابي حنيفة تنعقد باربعة والوالي شرط ولا
تقام عنده الا في مصر جامع وقال الاوزاعي وابو
يوسف تنعقد بثلثة ان كان فيهم وال وقال الحسن
وابو ثور تنعقد باثنين كساير الصلوات وقال شعبة
تنعقد باثني عشر رجلا ولا تجب الجمعة على اهل البوادي
الا اذا سمعوا النداء من موضع تقام فيه الجمعة
فيلزمهم الحضور وان لم يسمعوا فلا جمعة عليهم
وبه قال الشافعي واحمد واسحاق والشرط ان
يبلغهم نداء مؤذن جهوري الصوت في وقت
تكون الاصوات هادية والرياح ساكنة فكل قرية
تكون من موضع الجمعة في القرب على هذا القدر
يجب على اهلها حضور الجمعة وقال سعيد بن المسيب
تجب الجمعة على من اواه المبيت قال الزهري تجب
على من كان على ستة اميال وقال ربيعة على
اربعة اميال وقال مالك والليث على ثلثة اميال
وقال ابو حنيفة لا جمعة على اهل البوادي سوا كانت

القرية

القرية قريبة ام بعيدة دليل الشافعي ومن وافقه
ما روى البخاري عن ابن عباس ان اول جمعة جمعت
بعد جمعة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
في مسجد عبد القيس بجواثا من البحرين ولابي داود
نحوه وفيه بجواثا قرية من قرى البحرين تنبيه
فضل يوم الجمعة مشهور والحاديث كثيرة شهيرة
تقدم بعضها ومنها ان لله في كل جمعة ستماية عتيق
من النار وعن كعب ان الله تعالى فضل من البلد
ان مكة ومن الشهور رمضان ومن الايام الجمعة
وقال صلى الله عليه وسلم من مات يوم الجمعة كتب
الله له اجر شهيد ووقي فتنة القبر وفي الحديث
اذا كان يوم الجمعة قعدت الملايكة على ابواب المساجد
بايديهم صحف من فضة واقلام من ذهب يكتبون
الاول فالاول على مراتبهم قال الزمخشري وكانت
الطرقات في ايام السلف وقت السحر وبعد الفجر
مغتصة بالمبكرين الى الجمعة يمشون بالسرج
وقيل اول بدعة احدثت في الاسلام ترك البكور
الى الجمعة وعن ابن مسعود انه بكر فراى ثلاثة نفر
سبقوه فاغتم واخذ يعاتب نفسه ويقول اراك
رابع اربعة وما رابع اربعة سعيد وعن ابي هريرة
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من اغتسل يوم

Copyright © King Saud University

الجمعة غسل الجنابة اي مثل غسلها ثم راح في الساعة
الاولى كانما قرب بدنة ومن راح في الساعة الثانية
فكانما قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكانما
قرب كبشا اقرن ومن راح في الساعة الرابعة فكانما
قرب دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكانما
قرب بيضة فاذا خرج الامام حضرت الملائكة
يستمعون الذكر وروى النسائي في الخامسة كالذي
يهدي عصفورا وفي السادسة بيضة فمن جاء في
اول ساعة منها ومن جاء في اخرها مشتركان في
تحصيل البدنة مثلا لكن بدنة الاول اكمل من
بدنة الاخر وبدنة المتوسط متوسطة وهذا في حق
غير الامام اما هو فيسن له التاخير الى وقت الخطبة
اتباعا للنبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه ويسن
اكثار الدعا يومها وليلتها اما يومها فلرجاء ان
يصادف ساعة الاجابة وهي ساعة خفيفة وارجاؤ
ها من جلوس الخطيب الى اخر الصلاة كما في خبر
مسلم قال النووي واما خبر يوم الجمعة ثنتا عشرة
ساعة فيه ساعة لا يوجد مسلم يسال الله شيئا
الا اعطاه اياه فالتمسوها اخر منتقلة تكون يوما
في وقت ويوما في اخر كما هو المختار في ليلة القدر
واما ليلتها فبالقياس على يومها وقد قال الشافعي

بلغني

بلغني ان الدعا يستجاب في ليلة الجمعة ويسن اكثار
الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في يومها
وليلتها لخبر اكثروا علي من الصلاة ليلة الجمعة ويوم
الجمعة فمن صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا
واكثار قراءة سورة الكهف يومها وليلتها لخبر من قرا
سورة الكهف ليلة الجمعة اضاء له من النور ما بينه
وبين البيت العتيق وخبر من قراها يوم الجمعة اضاء له
من النور ما بين الجمعتين وفي هذا القدر كفاية ولما
حث على الصلاة وارشد الى ان وقتها لا ينبغي ان يطلب
شي غيرها بين لهم وقت المعاش بقوله بقوله
تعالى **فاذا قضيت الصلاة** اي وقع الفراغ منها
على اي وجه كان **فانتشروا** اي فدبوا وتفرقوا
مجتهدين في ذلك **في الارض** اي جميعها للتجارة
والتصرف في حوائجكم ان شئتم لا جناح عليكم ولا حرج
رخصة من الله تعالى لكم **وابتغوا** اي اطلبوا الرزق
من فضل الله اي الذي بيده كل شي ولا شي
لغيره وهذا امر اباحة كقوله تعالى واذا حللتم
فاصطادوا قال ابن عباس ان شئت فاخرج وان
شئت فاقعد وان شئت فصل الى العصر وقيل
فانتشروا في الارض ليس لطلب دنيا ولكن لعيادة
مريض وحضور جنازة وزيارة اخ في الله تعالى وقال

Copyright © King Saud University

الحسن وسعيد بن جبير ومكحول وابتغوا من فضله هو
طلب العلم واذكروا الله اي الذي لا اله مرمكلا كثيرا اي
بحيث لا تغفلون عنه بقلوبكم اصلا وله بالسنتكم حتى
عند الدخول الى الخلاء وعند اول الجماع واستثنى
من التلفظ وقت التلبس بالقذر كوقت قضاء الحاجة
والجماع لعلكم تفلحون اي تفوزون بالجنة والنظر
الى وجهه الكريم وعن جابر بن عبد الله ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان يخطب قائما يوم الجمعة
فجاءت عير من الشام فانفتل الناس اليها حتى لم
يبق الا اثنا عشر رجلا وفي رواية انا فيهم فانزل الله
تعالى واذا راوا تجارة اي حمولة في موضع للتجارة
او لهوا اي ما يلهي عن كل نافع انفضوا اي نفروا
متفرقين من المجلس اليها اي التجارة لانها مطلوبهم
دون اللهو وافرد العطف باو فافراد الضمير اولى
وقال الزمخشري تقديره اذا راوا تجارة انفضوا
اليها او لهوا انفضوا اليه فحذف احدهما لدلالة المذكور
عليه وذكر الكلبي وغيره ان الذي قدم بها دحية
بن خليفة الكلبي من الشام عن مجاعة وغلاء سعر
وكان معه جميع ما يحتاج اليه الناس من بر ودقيق
وغيره فنزل عند احجار الزيت وضرب الطبل ليؤذن
الناس بقدومه فخرج الناس الا اثني عشر رجلا

وقيل

وقيل احد عشر رجلا وقال ابن عباس في رواية الكلبي
لم يبق في المسجد الا ثمانية رهط وقال الحسن
وابو مالك اصاب اهل المدينة جوع وغلاء سعر فقدم
دحية بن خليفة بتجارة زيت من الشام والنبي صلى
الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة فلما راوه قاموا اليه
بالبقيع خشوا ان يسبقوا اليه فلم يبق مع النبي
صلى الله عليه وسلم الا رهط منهم ابو بكر وعمر
فنزلت هذه الاية فقال صلى الله عليه وسلم والذي
نفس محمد بيده لو تتابعتم حتى لم يبق منكم احد
لسال بكم الوادي نارا وقال مقاتل بن حيان ومقاتل
بن سليمان بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب
يوم الجمعة اذ قدم دحية ابن خليفة الكلبي من الشام
بالتجارة وكان اذا قدم المدينة لم يبق بالمدينة
عاتق الا اتته وكان يقدم اذا قدم بكل ما يحتاج اليه
من دقيق وغيره فينزل عند احجار الزيت وكان
في سوق المدينة ثم يضرب بالطبل ليؤذن الناس
بقدومه فيخرج اليه الناس ليتبايعوا منه فقدم
ذات جمعة وكان ذلك قبل ان يسلم رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو قائم على المنبر يخطب
فخرج اليه الناس ولم يبق في المسجد الا اثنا عشر
رجلا وامراة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لولا

بقوله لرميت عليهم الحجارة من السما وانزل الله تعالى
هذه الاية والمراد باللهو الطبل وقيل كانت هذه
الاية والمراد باللهو الطبل وقيل كانت العير اذا قدموا
المدينة استقبلوا بالطبل والتصفيق وقال علقمة
سُيل عبد الله اكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يخطب قايما او قاعدا قال اما تقرا وتركوك
قايما وعن جابر بن عبد الله قال كان النبي صلى
الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة خطبتين قايما يفصل
بينهما بجلوس وذكر ابو داود في مراسيله السبب الذي
ترخصوا لانفسهم في ترك سماع الخطبة وقد
كانوا خليقا لفضلهم ان لا يفعلوا فقال حدثنا
محمد بن خالد قال حدثنا الوليد قال اخبرني بكير
بن معروف انه سمع مقاتل بن حيان قال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يصلي الجمعة قبل الخطبة
كالعيدين حتى كان يوم جمعة والنبي صلى الله
عليه وسلم يخطب وقد صلى الجمعة فدخل رجل يقال
له دحية بن خليفة قدم بتجارة وكان دحية
اذا قدم تلقاه اهله بالدفوف فخرج الناس فلم
يظنوا انه ليس في ترك الخطبة شي فانزل الله تعالى
هذه الاية فقدم النبي صلى الله عليه وسلم الخطبة يوم
الجمعة واخر الصلاة فكان لا يخرج احد لرعاف

او

97

او احداث بعد النهي حتى يستاذن النبي صلى الله عليه
وسلم يشير اليه باصبعه التي تلي الابهام فياذن له
النبي صلى الله عليه وسلم يشير اليه بيده فكان
في المنافقين من تثقل عليه الخطبة والجلوس في المسجد
فكان اذا استاذن رجل من المسلمين قام المنافق الى
جنبه يستتر به حتى يخرج فانزل الله تعالى قد
يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا الاية قال
السهيلي وهذا الخبر وان لم ينقل من وجه
ثابت فالظن الجميل باصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم يوجب ان يكون صحيحا وقال قتادة وبلغنا
انهم فعلوه ثلاث مرات كل مرة عير تقدم من
الشام وكل ذلك يوافق يوم الجمعة وقيل ان خروجهم
لقدوم دحية بتجارته ونظرهم الى العير يمر لهو لا
فايدة فيه الا انه كان مما لا اثم فيه لو وقع على
ذلك الوجه ولكنه لما اتصل به الاعراض عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم وانفضاض عن حضرته
غلظ وكبر ونزل فيه من القران وتهجينه باسم
اللهو ما نزل وقوله تعالى وتركوك اي تخطب حتى
بقيت في اثني عشر رجلا قال جابر انا احدهم وقوله
تعالى قايما جملة حالية من فاعل انفضوا وقد
مقدرة عند بعضهم تنبيه في قوله تعالى قايما

تنبيه على شروعيته في الخطبتين وهو من الشروط
للقادر على القيام واما اركانهما فخمسة حمد الله تعالى
وصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بلفظهما ووصية
بتقوى الله وهذه الثلاثة في كل من الخطبتين وقراءة
اية مفهمة ولو في احديهما والاولى اولى ودعاء للمؤمنين
في ثانيته ومن الشروط كونهما عربيتين وكونهما في الو
قت وولاء وطهر وستر كالصلاة قل يا اشرف
الخلق للمؤمنين ما عند الله اي المحيط بجميع صفات
الكمال خير ما موصولة مبتدا وخبر خبرها من
اللهو ومن التجارة والمعنى ما عند الله تعالى من
ثواب صلاتكم خير من لذة لهوكم وفائدة تجارتكم
وقيل ما عند الله من رزقكم الذي قسمه لكم خير
مما قسمتموه من لهوكم وتجارتكم والله اي
ذو الجلال والاكرام وحده خير الرازقين اي خير
من رزق واعطى منه فاطلبوا واستعينوا بطاعته
على نيل ما عنده من خيري الدنيا والاخرة
وما قاله البيضاوي تبعا للزمخشري من انه صلى
الله عليه وسلم قال من قرا سورة الجمعة اعطي من
الاجر عشر حسنات بعدد من اتى الجمعة ومن لم
ياتها من امصار المسلمين حديث موضوع

سورة المنافقين مدنية

وهي

وهي احدى عشرة اية ومائة وثمانون كلمة وسبعمائة وستة
وسبعون حرفا بسم الله الذي له الاحاطة العظمى علما
وقدرة الرحمن الذي ستر بعموم رحمته من اراد من عباده
الرحيم الذي وفق اهل وده لما يحبه ويرضاه اذا جاءك
يا ايها الرسول المتبرك في التوراة والانجيل وقرا حمزة
وابن ذكوان بالامالة والباقون بالفتح واذا وقف حمزة
سهل الهمزة مع المد والقصر وله ايضا ابدالها الفا
مع المد والقصر المنافقون اي الذين يتصفون في وصف
النفاق وهم عبد الله بن ابي بن سلول واصحابه
قالوا مؤكدين لاجل استشعارهم لتكذيب من
يسمعهم لما عندهم من الارتياب نشهد قال الحسن
هو بمنزلة يحلف كانهم قالوا نقسم انك لرسول الله
اي الملك الذي له الاحاطة الكاملة فوافقوا الحق
بظاهر احوالهم وخالفوا بقلوبهم وافعالهم
وقوله تعالى والله يعلم اي وعلمه هو العلم في
الحقيقة واكد سبحانه بحسب انكار المنافقين فقال
تعالى انك لرسوله سواء شهد المنافقون بذلك
ام لا فالشهادة بذلك حق ممن يطابق لسانه قلبه
جملة معترضة بين قولهم نشهد انك رسول الله
وبين قوله تعالى والله يشهد لفائدة قال الزمخشري
لو قال قالوا نشهد انك لرسول الله والله يشهد انهم

Copyright © King Saud University

لكاذبون لكان يوهم ان قولهم هذا كذب فوسطهما
قوله والله يعلم انك لرسوله ليميط هذا الايهام
والله اي المحيط بجميع صفات الكمال **يشهد** شهادة
هي شهادة لانها محيطة بدقائق الظاهر والباطن
ان المنافقين اي الراسخين في وصف النفاق **لكاذبون**
اي في اخبارهم عن انفسهم انهم يشهدون لان
قلوبهم لا تطابق السنتهم فهم لا يعتقدون
ذلك ومن شرط قول الحق ان يتصل ظاهره
بباطنه وسره بعلانيته ومتى تخالف ذلك فهو
كذب الا ترى انهم كانوا يقولون بالسنتهم نشهد
انك لرسول الله وسماه الله تعالى كذبا لان
قولهم خالف اعتقادهم **اتخذوا ايمانهم**
اي كلها من شهادتهم وكل يمين سواها **جنة**
اي سترة عن اموالهم ودمائهم روى البخاري
عن زيد بن ارقم قال كنت مع عمي فسمعت عبد الله
بن ابي بن سلول يقول لا تنفقوا على من عند رسول
الله حتى ينفضوا وقال لئن رجعنا الى المدينة
ليخرجن الاعز منها الاذل فذكرت ذلك لعمي فذكره
عمي لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى عبد الله بن
ابي واصحابه فحلفوا ما قالوا فصدقهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكذبني فاصابني هم

ثم

لم يصبني مثله فجلست في بيتي فانزل الله عز وجل
اذا جاءك المنافقون الى قوله تعالى هم الذين
يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله وقوله
ليخرجن الاعز منها الاذل فارسل الي رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال ان الله قد صدقك وروى
الترمذي عن زيد بن ارقم صدقك وزيد قال غزونا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان معنا اناس
من الاعراب فكنا نبتدر الماء وكان الاعراب يسبقونا
فيسبق الاعرابي اصحابه فيملا الحوض ويجعل
حوله حجارة ويجعل النطع عليه حتى يجي اصحابه
قال فاتى رجل من الانصار اعرابيا فارخى زمام
ناقته لتشرب فابى ان يدعه فانتزع حجرا فغاض
الما فرفع الاعرابي حجرا فغاض الما فرفع الاعرابي
خشبة فضرب بها راس الانصاري فشجه فاتى
عبد الله بن ابي راس المنافقين فاخبره وكان من
اصحابه فغضب عبد الله بن ابي ثم قال لا تنفقوا
على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله
يعني الاعراب وكانوا يحضرون رسول الله صلى
الله عليه وسلم عند الطعام فقال عبد الله اذا انفضوا
من عند محمد فاتوا محمدا بالطعام فلياكل هو ومن
عنده ثم قال لاصحابه لئن رجعتم الى المدينة

Copyright © King Saud University

ليخرجن الاعز منكم الاذل قال زيد وانا ردف عمي فسمعت
عبد الله بن ابي فاخبرت عمي فانطلق واخبر رسول
الله صلى الله عليه وسلم فحلف وجحد قال فصدقه رسول
الله صلى الله عليه وسلم وكذبني قال فجا عمي الي فقال
ما اردت الى ان مقتك رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكذبك والمنافقون قال فوقع علي من جرابهم ما لم
يقع على احد قال فبينما انا اسير مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم في سفر قد خفقت راسي من الهم
اذ اتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرك اذني
وضحك في وجهي فكان سرني ان لي بها الخلد في
الدنيا ثم ان ابا بكر لحقني فقال ما قال لك رسول
الله صلى الله عليه وسلم قلت ما قال لي شيئا
الا انه عرك اذني وضحك في وجهي فقال ابشر ثم
لحقني عمر فقلت له مثل قولي لابي بكر فلما
اصبحنا قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة
المنافقين قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح
وروي انه صلى الله عليه وسلم حين لقي بني المصطلق
على المريسيع وهو ما لهم وهزمهم وقتل منهم
ازدحم على الماء جهجاه ابن اسعد اجير لعمر يقود فرسه
وسنان الجهني حليف لعبد الله بن ابي واقتتلا
فصرخ جهجاه يا للمهاجرين ولطم

سنانا

99

سنانا فقال عبد الله لجهجاه وانت هناك وقال ما صحبنا
محمدا الا لنلطم والله ما مثلنا ومثلهم
الا كما قال القائل سمن كلبك ياكلك اما والله لئن
رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل عني بالاعز
نفسه وبالاذل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم
قال لقومه ماذا فعلتم بانفسكم احللتموهم بلادكم
وقاسمتموهم اموالكم اما والله لو امسكتم عن
جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم ولاوشكوا ان يتحولوا عنكم فلا تنفقوا عليهم حتى
ينفضوا من حول محمد فسمع بذلك زيد بن ارقم
وهو حدث فقال انت والله الذليل القليل المبغض
في قومك ومحمد في عز من الرحمن وقوة من المسلمين
فقال عبد الله بن اسكت فانما كنت العب فاخبر
زيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر دعني
اضرب عنق المنافق يا رسول الله فقال اذن ترعد انوف كثيرة بيثرب قال فان كرهت ان يقتله مهاجري
فامر به انصاريا قال فكيف اذا تحدث الناس ان
محمدا يقتل اصحابه وقال صلى الله عليه وسلم
لعبد الله انت صاحب الكلام الذي بلغني قال
والله الذي انزل عليك الكتاب ما قلت شيئا
من ذلك وان زيدا لكاذب فهو قوله تعالى اتخذوا

كم

جرير

انهم حنثة فقال الحاضرون يا رسول الله شيخنا
وكبيرنا لا نصدق عليه كلام غلام عسى ان يكون
قد وهم فروي انه صلى الله عليه وسلم قال لعلك
غضبت عليه قال لا فلعله اخطأ سمعك قال لا قال
فلعله شبه عليك قال لا فلما نزلت لحق رسول الله
صلى الله عليه وسلم زيدا من خلفه فعرك اذنه
وقال وفت اذنك يا غلام ان الله قد صدقك وكذب
المنافقين تنبيه سئل حذيفة بن اليمان عن
المنافق فقال الذي يصف الايمان ولا يعمل به وروى
ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
اية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد
اخلف واذا ائتمن خان واذا حدث كذب واذا
عاهد غدر واذا خاصم فجر وروي عن
الحسن انه ذكر هذا الحديث فقال ان بني يعقوب
حدثوا فكذبوا ووعدوا فاخلفوا وائتمنوا فخانوا
انما هذا القول من النبي صلى الله عليه وسلم
على سبيل الانذار للمسلمين والتحذير لهم
ان يعتادوا هذه الخصال شفقا ان تفضي
بهم الى النفاق وليس المعنى من بدرت منه هذه
الخصال من غير اختيار واعتياد انه منافق
وقال صلى الله عليه وسلم المومن اذا حدث صدق

واذا

واذا وعد نجز واذا ائتمن وفا والمعنى المومن الكامل
فصدوا اي بسبب اتخاذهم هذا اي اعرضوا بانفسهم
مع سوء البواطن وحرارة ما في الصدور وحملوا غيرهم
على الاعراض عن سبيل الله اي عن طريق الملك الاعظم
الذي شرعه لعباده ليصلوا به الى محل رضوانه
ووصلوا الى ذلك بخداعهم وبحسن مكرهم بجراتهم
على الايمان الخائنة انهم ساء ما كانوا اي جبلة وطبعا
يعملون اي يجددون عمله مستمرين عليه بما هو كالجبلة
من جراتهم على الله ورسوله صلى الله عليه وسلم
وخلص عباده بالايمان الخائنة ولما كانت المعاصي
تعمي القلب فكيف باعظمها علله بقوله تعالى ذلك
اي سوء عملهم بانهم امنوا ثم كفروا فان قيل ان
المنافقين لم يكونوا الا على الكفر الثابت الدائم فما
ثلث معنى قوله تعالى امنوا ثم كفروا اجيب بثلثة
اوجه احدها امنوا اي نطقوا بكلمة الشهادة
وفعلوا كما يفعل من يدخل في الاسلام ثم كفروا ثم
ظهر كفرهم بعد ذلك وتبين بما اطلع عليهم من
قولهم ان كان ما يقول محمد حقا فنحن حمير وقولهم
في غزوة تبوك ايطمع هذا الرجل ان تفتح له قصور
كسرى وقيصر هيهات ونحوه قوله يحلفون بالله
ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم

Copyright © King Saud University

وظهر كفرهم بعد ان اسلموا ونحوه لا تعتذروا قد كفرتم بعد
ايمانكم والثاني امنوا اي نطقوا بالايمان عند المؤمنين
ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم استهزاء بالاسلام بقوله
واذا لقوا الذين امنوا الى قوله انما نحن مستهزءون وهذا
اعلام من الله تعالى بان المنافقين كفار الثالث ان يراد
ان ذلك في قوم امنوا ثم ارتدوا فطبع اي ختم
الطبع وهو الختم مع انه معلوم انه لا يقدر على ذلك
غيره سبحانه على قلوبهم اي لاجل اجترائهم على
ما هو اكبر الكبائر على وجه النفاق فهم اي فتسبب
عن ذلك انهم لا يفقهون اي لا يقع لهم تفقه في شيء
من الاشياء فهم لا يميزون صوابا من خطا ولا حقا
من باطل واذا رايتهم اي ايها الرسول على ما لك من
الفطنة ونفوذ الفراسة او ايها الرائي كائنا من كان
بعين البصر تعجبك اجسامهم لضخامتها وصباحتها
فان غاياتهم كلها بصلاح ظواهرهم وترفيه
انفسهم فهم اشباح وقوالب ليس وراءها الباب
وحقائق قال ابن عباس كان ابن ابي جسيما صبيحا
فصيحا ذلق اللسان وقوم من المنافقين في مثل صفته
وهم رؤساء المدينة وكانوا يحضرون مجلس النبي
صلى الله عليه وسلم ويستندون فيه ولهم
جهارة المناظر وفصاحة الالسن وكان النبي صلى

الله

الله عليه وسلم ومن حضر يعجبون بهياكلهم وان يقولوا
اي يوجد منهم قول في وقت من الاوقات تسمع لقولهم
اي لفصاحته فيلذ السمع ويروق الفكر كانهم اي
في حسن ظواهرهم وستر بواطنهم وفي عدم الانتفاع
بهم في شيء خشب جمع كثرة لخشبة وهو دليل على
كثرتهم مسندة اي قطعت مغارسها ممالة الى الجدار
وقرا ابو عمرو والكسائي بسكون الشين والباقون بضمها
يحسبون اي لضعف عقولهم وكثرة ارتيابهم لكثرة
ما يباشرون من سوء اعمالهم كل اي من نداء
منادي انشاد ضالة او انفلات دابة او نحو ذلك واقعة
كل صيحة وضارة لهم لجبنهم وهلعهم لما في قلوبهم
من الرعب انه ينزل فيهم ما يبيح دماءهم ومنه اخذ الا
خطل ما زلت تحسب كل شيء بعدهم
خيلا تكر عليهم ورجالا ومنه قول الشاعر
كان بلاد الله وهي عريضة
على الخائف المطلوب كفة حابل
يخال اليه ان كل ثنية
تيممها ترمي اليه بقاتل
هم العدو اي الكامل العداوة بما دل عليه الاخبار
بالمفرد الذي يقع على الجمع اشارة الى انهم في شدة عدا
للاسلام واهله وكمال قصدهم وشدة سعيهم

وتهم

Copyright © King Saud University

بعد على قلب واحد وان اظهروا التودد في الكلام والتقرب
الى اهل الاسلام فان السنتهم معكم اذا لقوكم
وقلوبهم عليكم مع اعدائكم فهم عيون لهم عليكم
فاحذرهم لان اعدى عدوك من يباشرك وتحت
ضلوعه الداء الذي يكون بلطف الله دائم الخذلان
منكوسا في اكثر تقلباته بيد القهر والحرمان لسر قوله
تعالى قاتلهم الله اي اهلكهم الملك المحيط قدرة
وعلما وجعل من يقاتله عدو قاهر لهم لا شك مقاتلة على
عادة الفعل الذي يكون بين اثنين وقال ابن عباس
اي لعنهم الله وقال ابو مالك هي كلمة ذم وتوبيخ وقد
تقول العرب قاتله الله ما اشعره فيضعون موضع
التعجب انى اي كيف ومن اي جهة يؤفكون اي
يصرفهم عن قبح ما هم عليه صارف ما كان ليرجعوا
عما هم عليه وقال ابن عباس انى يؤفكون اي يكذبون
وقال مقاتل اي يعدلون عن الحق وقال الحسن يصرفون
عن الرشد وقيل معناه كيف يضل عقولهم عن
هذا مع وضوح الدلائل وهو من الافك واذا قيل
لهم اي من اي قائل كان تعالوا اي ارفعوا انفسكم
مجتهدين في ذلك بالمجيء الى اشرف الخلق الذي لا تزال
مكانته عالية لعلو مكانته يستغفر لكم اي يطلب الغفران
لاجلكم خاصة من اجل هذا الكذب اي الذي انتم

مصرون

مصرون عليه رسول الله اي اقرب الخلق الى الملك
الاعظم الذي لا يستبد بجوده لووا رؤسهم اي فعلوا اللي
بغاية الشدة والكثرة وهو الصرف الى جهة اخرى اعراضا
وعتوا واظهارا للبغض والنفرة ورايتهم اي بعين البصيرة
يصدون اي يعرضون اعراضا قبيحا عما دعوا اليه مجددين
لذلك كلما دعوا اليه والجملة في موضع المفعول الثاني
لرايت وهم مستكبرون اي ثابتوا الكبر عما دعوا
اليه وعن احلال انفسهم في محل الاعتذار فهم
لشدة غلظهم لا يدركون قبح ما هم عليه ولا يهتدون
الى دوائه واذا ارشدهم غيرهم ونبههم لا ينتبهون
فقد روي انه لما نزل القران فيهم اتاهم عشائرهم من
المومنين وقالوا ويحكم افتضحتم واهلكتم انفسكم فاتوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوبوا اليه من النفاق
واسالوه ان يستغفر لكم فلووا رؤسهم اي حركوها
اعراضا وابا قاله ابن عباس وعنه انه كان لعبد الله
ابن ابي موقف في كل سبت يحض على طاعة الله وطاعة
رسوله فقيل له وما ينفعك ذلك ورسول الله صلى
الله عليه وسلم عليك غضبان فاته يستغفر لك فابى
وقال لا اذهب اليه وروي ان ابن ابي لوى
راسه وقال امرتموني بالايمان فامنت وامرتموني
بان اعطي زكاة مالي ففعلت ولم يبق الا ان تامروني

Copyright © King Saud University

بالسجود لمحمد فنزل واذا قيل لهم تعالوا ولم يلبث الا اياما
قلائل حتى اشتكى ومات ولما كان صلى الله عليه
وسلم يحب صلاحهم فهو يحب ان يستغفر لهم وربما
ندبه الى ذلك بعض اقاربهم قال تعالى منبها على انهم
ليسوا باهل الاستغفار لانهم لا يؤمنون سواء عليهم
استغفرت لهم استغنى بهمزة الاستفهام عن همزة
الوصل لن يغفر الله لهم لرسوخهم في الكفر ان الله اي
الذي له كمال الصفات لا يهدي القوم اي الناس الذين
لهم قوة في انفسهم على ما يريدونه الفاسقين
اي لانهم لا عذر لهم في الاصرار على الفسق وهو
المروق من حصن الاسلام بخرقه وهتكه مرة بعد
مرة والتمرن عليه حتى استحكم فهم راسخون في
النفاق والخروج عن مظنة الاصلاح هم اي
خاصة بخالص بواطنهم الذين يقولون اي اوجدوا هذا
القول للانصار ولا يزالون يجددونه لانهم كانوا
مرابطين بالاسباب محجوبون عن شهود التقدير
لا تنفقوا اي ايها المخلصون في النصرة على من
اي الذين عند رسول الله اي الملك المحيط بكل شي
وهم فقراء المهاجرين حتى ينفضوا اي يتفرقوا فيذهب
كل احد منهم الى اهله وشغله الذي كان له قبل ذلك
قال البقاعي وما دري الاجلاف انهم لو فعلوا ذلك اتاح

الله

الله تعالى غيرهم للانفاق او امر رسوله صلى الله عليه
وسلم فدعى في الشيء اليسير فصار كثيرا وكان بحيث
لا ينفد او اعطى كلا منهم من طعام على كيفية لا ينفد
معها كتمر ابي هريرة وشعير عائشة وعكة ام سليم
وغير ذلك كما روي غير مرة ولكن من يضلل الله فما له
من هاد ولذلك عبر في الرد عليهم بقوله تعالى
ولله اي قالوا ذلك واستمروا على تجديد قوله والحال
انه للملك الذي لا امر لغيره خزائن السموات اي كلها
والارض كذلك من الاشيا المعدومة الداخلة تحت
مقدوره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون ومن
الاشيا التي اوجدها فهو يعطي من يشاء منهما حتى
من من ابى نفعهم لا يقدر احد على منع شي من ذلك
لا مما في يده ولا مما في يد غيره وتنبيه على شهود غيبا و
وانهم تقيدوا بالوهم حتى سفلوا عن رتبة البهائم
كما قال بعضهم ان كان محمد صادقا فنحن شر من
البهائم بقوله تعالى ولكن المنافقين اي العريقين
في وصف النفاق لا يفقهون اي لا يتجدد لهم فهم
اصلا كالبهائم بل هم اضل لان البهائم اذا
رات شيئا ينفعها يوما في مكان طلبته مرة اخرى
وهولاء قد راوا غير مرة ما اخرج الله تعالى من خوارق
البركات على يد رسوله صلى الله عليه وسلم فلم ينفعهم

Copyright © King Saud University

ذلك ودل على عدم فقههم بقوله تعالى يقولون اي
يوجد منهم هذا القول ونجده مؤكدين لاستعلا
ئهم بان الاكثر قومهم ينكر لئن رجعنا اي ايتها العصا
بة المنافقة الى المدينة اي من غزاتنا هذه وهي غزوة
بني المصطلق حي من هذيل خرج اليهم حتى لقيهم على
ماء من مياههم يقال له المريسيع من ناحية قديد
الى الساحل ليخرجن الاعز يعنون انفسهم منها
اي المدينة الاذل يعنون النبي صلى الله عليه
وسلم واصحابه وهم كاذبون في هذا لكونهم يتصورون
ان الذلة عندهم وظنهم ان العزة لهم وانهم يقدرون
على اخراج المؤمنين ولله اي والحال ان كل من له
نوع بصيرة يعلم ان الملك الاعلى هو الذي وحده
العزة الغلبة كلها ولرسوله وان عزته من عزته
وللمؤمنين فعزة الله فهو من دونه وكل ما عداه
دونه وعزة رسوله اظهار دينه على الاديان كلها
وعزة المؤمنين نصر الله تعالى اياهم على
اعدائهم ولكن المنافقين اي الذين استحكم فيهم مرض
القلوب لا يعلمون اي لا يوجد لهم علم الان ولا
يتجدد في حين من الاحيان فلذلك هم يقولون
مثل هذه الخرافات روي انه لما نزلت هذه الاية
جاء عبد الله ولد عبد الله بن ابي بن سلول الذي

نزلت

نزلت هذه الايات بسببه الى ابيه وذلك في غزوة
المريسيع لبني المصطلق فاخذ بزمام ناقته وقال
انت والله الذليل ورسول الله صلى الله عليه
وسلم العزيز ولما اراد ان يدخل عبد الله بن ابي اعترضه
ابنه حباب وهو عبد الله غير رسول الله صلى الله
عليه وسلم اسمه وقال ان حبابا اسم شيطان وكان
مخلصا وقال وراءك والله لا تدخلها حتى يقول رسول
الله صلى الله عليه وسلم الاعز وانا الاذل فلم يزل
حبيسا في يده حتى امره رسول الله صلى الله
عليه وسلم بتخليته وروي انه قال لئن لم تقر
لله ولرسوله بالعزة لاضربن عنقك فقال ويحك
افاعل انت قال نعم فلما راى منه الجد قال اشهد
ان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال النبي
صلى الله عليه وسلم لابنه جزاك الله عن رسوله وعن
المؤمنين خيرا فان قيل ما الحكمة في انه تعالى ختم
الاية الاولى بقوله تعالى لا يفقهون وختم الثانية
بقوله تعالى لا يعلمون اجيب بانه ليعلم
بان في الاولى قلة كياستهم وفهمهم من فقه يفقه كعلم
يعلم علما ومن فقه يفقه كعظم يعظم فالاول الحصول
الفقه بالتكلف والثاني لا بالتكلف فالاول علاجي
والثاني مزاجي ثم نهى الله تعالى المؤمنين عن التشبه

فقال تعالى يا ايها الذين امنوا اي اقروا بالايمان وقلوبهم
مذبذبة كظواهرهم لا تلهكم اي لا تشغلكم اموالكم
ولا اولادكم سوا كان ذلك في اصلاحها او التمتع بها بحيث
تغفلون عن ذكر الله اي الملك الاعظم حذر المومنين
اخلاق المنافقين اي لا تشتغلوا باموالكم كما فعل
المنافقون اذ قالوا لاجل الشح باموالهم لا تنفقوا
على من عند رسول الله وقوله تعالى عن ذكر الله
قال الضحاك اي عن الصلوات الخمس نظيره قوله
تعالى تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وقال الحسن
عن جميع الفرائض كانه قال عن طاعة الله وقيل عن
الحج والزكاة وقيل عن قراة القران وقيل عن
ادامة الذكر وقيل هذا خطاب للمنافقين اي امنتم
بالقول فامنوا بالقلب ولما كان التقدير فمن انتهى
فهو من الفائزين عطف عليه قوله تعالى ومن
يفعل اي يوقع في زمن من الازمان على سبيل
التجديد والاستمرار فعل ذلك اي الامر
البعيد عن افعال ذوي الهمم من الانقطاع الى
الاشتغال بالفاني فاوليك البعدا عن الخير هم الخاسرون
اي العريقون في الخسارة في تجارتهم حيث باعوا العظيم
الباقي بالحقير الفاني كانهم مختصون بها دون الناس
وذلك بضد ما ارادوا وانفقوا اي ما امركم من

واجب

واجب او مندوب كلام البعض المفسرين وقال ابن عباس
يريد زكاة الاموال وهو ظاهر الامر ثم ان الله تعالى
زاد في الترغيب بالرضى معهم بالبسر بقوله تعالى
مما رزقناكم اي بعظمتنا قال الزمخشري من في رزقنا
للتبعيض والمراد الانفاق الواجب انتهى ثم قال
تعالى تحذيرا من الاغترار بالتسويف في اوقات السلامة
من قبل ان ياتي احدكم الموت اي ترى دلائله
واماراته وكل لحظة مرت فهي دلائله واماراته قال
القرطبي وهذا دليل على وجوب تعجيل اخراج الزكاة
ولا يجوز تاخيرها اصلا اي بلا عذر وكذا سائر
العبادات اذا دخل وقتها وقال الرازي وبالجملة
فقوله تعالى لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر
الله تنبيه على المحافظة على الذكر قبل الموت
وقوله تعالى وانفقوا مما رزقناكم تنبيه على
الشكر كذلك ولما كانت الشدة تقتضي الاقبال الى
الله تعالى سبب عن ذلك قوله تعالى فيقول اي
سائلا في الرجعة واشار الى ترقيقها للقلوب بقوله
رب لولا اي هلا وهلا اخرتني اي اخرت موتي
امهالا الى اجل اي زمان وقوله قريب يبين بان
مراده استدراك ما فات ليس الا وقيل لا زائدة
ولو للتمني اي لو اخرتني الى اجل قريب فاصدق اي

كد

اي للتزود في سفري هذا الطويل الذي انا مستقبله
وعن ابن عباس تصدقوا قبل ان ينزل عليكم سلطان
الموت فلا تقبل توبة ولا ينفع عمل وعنه ما يمنع احدكم
اذا كان له مال ان يزكي واذا طاق الحج ان يحج من قبل ان
ياتيه الموت فيسال ربه الكرة فلا يعطيها وعنه انها
نزلت في مانعي الزكاة ووالله لو راى خيرا ما سال الرجعة
فقيل له اما تتقي الله يسال المومنون الكرة قال نعم
انا اقرا عليكم قرانا يعني [انها نزلت في المومنين] وهم
المخاطبون بها وكذا عن الحسن ما من احد لم يزك
ولم يصم ولم يحج ولم يود الزكاة الموت الا وسال
الرجعة وعن عكرمة نزلت في اهل القبلة وقيل
هذه الاية تدل على ان القوم لم يكونوا من اهل
التوحيد لانه لا يتمنى الرجوع الى الدنيا والتاخير
فيها احد له عند الله تعالى خير في الاخرة اي اذا لم
يكن بالصفة المتقدمة قال القرطبي الا الشهيد فانه
يتمنى الرجوع حتى يقتل لما يرى من الكرامة وقرا
واكون من الصالحين اي العريقين في هذا الوصف
بالتدارك ابو عمرو بواو بعد الكاف ونصب النون
عطفا على فاصدق والباقون بحذف الواو لالتقاء
الساكنين وجزم النون واختلفت عبارات الناس
في ذلك فقال الزمخشري عطفا على محل فاصدق

كانه

كانه قيل ان اخرتني اصدق واكن وقال ابن عطية عطفا
على الموضع لان التقدير ان اخرتني اصدق واكن هذا
مذهب ابي علي الفارسي وقال القرطبي عطف على موضع
الفاء لان قوله فاصدق لو لم تكن الفاء لكان مجزوما
اي اصدق ثم زاد تعالى في الحث على المبادرة بالطاعات
قبل الفوات بقوله تعالى مؤكدا للاجل عظم الرجا من
هذا المختصر بالتاخير عطفا على ما تقديره فلا يوخره
الله فيفوته ما اراد **ولن يوخر الله** اي الملك الاعظم
الذي لا كفو له فلا اعتراض عليه **نفسا** اي نفس
كانت وحقق الاجل بقوله تعالى **اذا جاء اجلها**
اي وقت موتها الذي حده الله تعالى لها فلا يوخر الله
تعالى نفس هذا القايل لانها من جملة النفوس التي
شملها النفي وقرا قالون والبزي وابو عمرو
باسقاط الهمزة الاولى مع المد والقصر وقرا ورش
وقنبل بتسهيل الثانية بعد تحقيق الاولى ولهما
ايضا ابدالها الفا والباقون بتحقيقهما **والله** اي
الذي له الاحاطة الشاملة علما وقدرة **خبير** اي
بالغ الخبرة والعلم ظاهرا وباطنا **بما تعملون** اي توقعون
عمله في الماضي والحال والمال كله باطنه وظاهره
وقرا شعبة بالياء التحتية على الغيبة على الخبر عمن
مات وقال هذه المقالة والباقون بالفوقية على الخطاب

Copyright © King Saud University

لخطان وما قاله البيضاوي تبعا للزمخشري من انه صلى
الله عليه وسلم قال من قرا سورة المنافقين بري من النفاق
حديث موضوع

سورة التغابن مدنية

في قول الاكثرين وقال الضحاك مكية وقال الكلبي مدنية
ومكية وعن ابن عباس ان سورة التغابن نزلت بمكة الا
ايات من اخرها نزلت بالمدينة في عوف بن مالك الاشجعي
شكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم جفا اهله وولده
فانزل الله عز وجل يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم
واولادكم عدوا لكم الى اخرها وهي ثمان عشرة اية
ومائتان واحدى واربعون كلمة والف وسبعون حرفا
بسم الله مالك الملك فلا كفو له ولا مثيل الرحمن
الذي وسع لخلقه بعثرة الجليل الرحيم الذي خص عموا
عمد فوقهم للجهل يسبح اي يوقع التنزيه التام مع
التجديد والاستمرار لله اي الذي له الاحاطة باو
صاف الكمال ما في السموات اي كلها وما في الارض
كذلك وقيل اللام زايدة اي تنزه الله تعالى قال الجلال
المحلي واتى بما دون من تغليبا للاكثر له اي وحده
الملك اي كله مطلقا في الدنيا والاخرة وله اي وحده
الحمد اي الاحاطة باوصاف الكمال كلها فلذلك نزه
جميع مخلوقاته وقدم الظرفان ليدل بتقدمهما على

معنى

معنى اختصاص الملك والحمد بالله تعالى وذلك بان الملك
على الحقيقة له لانه مبدي كل شي ومبدعه والقايم به
والمهيمن عليه وكذا الحمد لان اصول النعم وفروعها
منه واما ملك غيره فتسلط منه واسترعاه وحمده
اعتداد بان نعمة الله جرت على يده وهو على كل شي
قدير هو اي وحده الذي خلقكم اي اتاكم على ما انتم
عليه فمنكم اي فتسبب عن خلقه لكم وتقديره كافر
اي عريق في صفة الكفر ومنكم مومن اي راسخ في الايمان
في حكم الله تعالى في الازل قال ابن عباس ان الله
خلق بني ادم مومن او كافر ويعيدهم في القيامة
مومنا وكافرا وروى ابو سعيد الخدري قال خطبنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية فذكر شيا مما
يكون فقال تولد الناس على طبقات شتى يولد الرجل
مومنا ويعيش مومنا ويموت مومنا ويولد الرجل
كافرا ويعيش كافرا ويموت مومنا اي وسكت عن القسم
الاخر وهو ان يولد الرجل مومنا ويعيش مومنا
ويموت كافرا اكتفا بالمقابل وقال ابن مسعود قال النبي
صلى الله عليه وسلم خلق الله تعالى فرعون في بطن
امه كافرا وخلق يحيى ابن زكريا عليهما السلام في بطن
امه مومنا وفي الصحيح من حديث ابن مسعود وان
احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها

الاذراع او باع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار
فيدخلها وان احدكم ليعمل بعمل اهل النار حتى ما يكون
بينه وبينها الا ذراع او باع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل
اهل الجنة فيدخلها وفي صحيح مسلم عن سهل بن
سعد الساعدي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان الرجل ليعمل عمل اهل الجنة فيما يبدو للناس
وهو من اهل النار وان الرجل ليعمل عمل اهل النار
فيما يبدو وهو من اهل الجنة قال القرطبي قال علماونا
والمعنى تعلق العلم الازلي بكل معلوم فيجري ما علم
واراد وحكم فقد يريد ايمان شخص على عموم الاحوال
وقد يريده الى وقت معلوم وكذلك الكفر وقيل
في الكلام محذوف تقديره فمنكم مومن ومنكم كافر
ومنكم فاسق فحذف لما في الحذف لان المقصود ذكر
الطرفين وقال انه خلق الخلق ثم كفروا وامنوا والتقدير
هو الذي خلقكم ثم وصفهم فقال فمنكم كافر ومنكم
مومن كقوله تعالى والله خلق كل دابة من ماء فمنهم
من يمشي على بطنه الاية قالوا فالله خلقهم والمشي
فعلهم وهذا اختيار الحسين بن الفضل قال لو
خلقهم مومنين وكافرين لما وصفهم بفعلهم في
قوله تعالى فمنكم كافر ومنكم مومن واحتجوا بقوله
صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة

فابوا

فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه قال البغوي روينا
عن ابن عباس عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان الغلام الذي قتله الخضر طبع على الكفر
وقال تعالى ولا يلدوا الا فاجرا كفارا وروي انس
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال وكل الله بالرحم
ملكا فيقول اي رب نطفة اي رب علقة اي رب مضغة
فاذا اراد الله ان يقضي خلقها قال يا رب ذكر ام انثى
شقي ام سعيد فما الرزق فما الاجل فيكتب ذلك في
بطن امه وقال الضحاك فمنكم كافر في السر مومن في
العلانية كعمار وزيد وقال عطاء بن ابي رباح فمنكم
كافر بالله مومن بالكواكب ومنكم مومن بالله كافر
بالكواكب يعني في شان الانوا كما جا في الحديث قال
القرطبي وقال الزجاج وهو احسن الاقوال والذي عليه
الايمة ان الله خلق الكافر وكفره فعل له وكسب واختيار
وكسبه واختياره بتقدير الله تعالى ومشيته فالمومن
بعد خلق الله تعالى اياه يختار الايمان لان الله تعالى
اراد ذلك منه وقدره عليه وعلمه منه ولا يجوز ان
يوجد من كل منهما غير الذي قدر عليه وعلمه منه
لان وجود خلاف المقدور عجز ووجود خلاف
المعلوم جهل فلا يليقان بالله تعالى قال البغوي وهذا
طريق اهل السنة من سلكه اصاب الحق وسلم من الجبر

Copyright © King Saud University

والقدر قال الرازي فان قيل انه تعالى حكيم وقد سبق
في علمه انه تعالى اذا خلقهم لم يفعلوا الا الكفر فاي حكمة
دعت الى خلقهم فالجواب اذا علمنا انه تعالى
حكيم علمنا ان افعاله كلها على وفق الحكمة فيكون خلقه
تعالى هذه الطائفة على وفق الحكمة ولا يلزم من عدم
علمنا بذلك ان لا يكون كذلك بل اللازم ان يكون خلقهم
على وفق الحكمة **والله** اي الذي له الاحاطة الكاملة
بما تعملون اي توقعون علمه كسبا **بصير** اي بالغ العلم
بذلك فهو الذي خلق جميع اعمالكم كما خلق الذوات
خلافا للقدرية لانه لا يتصور ان يخلق الخالق ما لا
يعلمه ولو سئل الانسان كم مشى في يومه من خطوة
لم يدر فكيف لو سئل الى موضع منه وهو غافل عنه
ومن جهل افعاله كما وكيفا واينا وغير ذلك لم يكن
خالقا لها بوجه ولما ذكر المظروف ذكر ظرفه دالا على
تمام احاطته بالبواطن والظواهر وقوله **خلق السموات**
اي على علوها وكبرها **والارض** على سعتها **بالحق** اي
بالامر الذي يطابقه الواقع لما اراد **وصوركم** اي ادم
عليه السلام خلقه بيده كرامة له قال مقاتل وقيل
جميع الخلائق صور له توافق شيئا من صور العلويات
و... السفليات ولا فيها صور توافق الاخرى من كل
وجه **فاحسن صوركم** فجعلها احسن الحيوانات

كلها

كلها كما هو مشاهد وبدليل ان الانسان لا يتمنى ان يكون
على خلاف ما يرى من سائر الصور ومن حسن صورته
ان خلقه منتصبا غير منكب كما قال تعالى لقد خلقنا
الانسان في احسن تقويم كما يأتي ان شاء الله تعالى فان
قيل قد يوجد في افراد هذا النوع من كل مشوه الخلقة
سمج الصورة اجيب بانه لا سماجة لان
الحسن في المعاني وهو على طبقات ومراتب فانحطاط بعض
الصور عن مراتب ما فوقه لا يمنع حسنه فهو داخل
في حيز الحسن غير خارج عن حده فقبح القبيح منه انما
هو بالنسبة الى احسن منه ولذا قال الحكماء شيئان
لا غاية لهما الجمال والبيان فقدرة الله تعالى لا تتناهى
قال البقاعي فاياك ان تصغي لما وقع في كتب الغزالي
انه ليس في الامكان ابدع مما كان فان ذلك يحل الى
انه سبحانه لا يقدر ان يخلق احسن من هذا العالم
وهذا لا يقوله احد انتهى وهو لا ينقص مقدار
الغزالي فان كل احد يؤخذ من كلامه ويرد عليه
كما قال الامام مالك وعزاه الغزالي نفسه الى ابن
عباس وقال الشافعي صنفت هذه الكتب وما الوت
فيها جهدا واني لاعلم ان فيها الخطأ لان الله
تعالى يقول ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه
اختلافا كثيرا ولما كان التقدير فكانه قيل انه سبحانه

المبدو وعطف عليه قوله سبحانه وتعالى واليه وحده
المصير اي المرجع بعد البعث فيجازي كلا بعمله يعلم
اي علمه حاصل في الماضي والحال والمآل ما الكائن
في السموات والارض كذلك ويعلم اي على سبيل
الاستمرار ما تسرون اي تخفون وما تعلنون اي
تظهرون من الكليات والجزئيات والله اي الذي له
الاحاطة التامة عليم اي بالغ العلم بذات اي
صاحبة الصدور من الاسرار والخواطر التي لم
تبرز في الخارج سواء كان صاحب الصدور قد علمها
او لا وعلمه لكل ذلك على حد سواء لا تفاوت فيه بين علم
الخفي وعلم الجلي نبه بعلمه ما في السموات والارض
ثم بعلمه ما تسره العباد ويعلنونه ثم بعلمه ذوات
الصدور ان شيئا من الجزئيات والكليات غير خاف عليه
ولا عازب عنه ولا يجترا على شيء مما يخالف رضاه
وتكرير العلم في معنى تكرير الوعيد على الكفر وانكار
ان يعصي الخالق ولا تشكر نعمته الم ياتكم ايها الناس
ولا سيما الكفار نبؤا اي خبر الذين كفروا من قبل
كقوم نوح وهود وصالح فذاقوا اي باشروا وبال
امرهم اي ضرر كفرهم في الدنيا واصله الثقل
ومنه الوبيل لطعام يثقل على المعدة والوابل المطر
الثقيل الكثير ولهم عذاب اليم اي مولم في البرزخ

ثم

١١٠

ثم يوم القيامة التي هي موضع الفصل الاعظم ذلك
اي الامر العظيم من الوبال الدال قطعا على ان الكفر
ابطل الباطل وانه مما يغضب الخالق بانه اي بسبب
ان الشان العظيم البالغ في الفظاعة كانت تاتيهم
على عادة مستمرة رسلهم اي رسل الله الذي ارسلهم
اليهم بالبينات اي الحجج الظاهرات على الايمان فقالوا
اي الكل لرسلهم منكرين غاية الانكار تكبرا وقولهم
ابشر يهدوننا يجوز ان يرتفع بشر على الفاعلية ويكون
من الاشتغال وهو الارجح لان الاداة تطلب الفعل
ويجوز ان يكون مبتدا وخبرا وجمع الضمير في يهدوننا
اذ البشر اسم جنس وقد ياتي الواحد بمعنى الجمع
فيكون اسما للجنس وقد ياتي الجمع بمعنى الواحد
كقوله تعالى ما هذا بشرا فانكروا على الملك الاعظم
را ارساله لهم فكفروا اي بهذا القول اذ قالوه استصغارا
ولم يعلموا ان الله يبعث من يشاء الى عباده وتولوا عن
الايمان فان قيل قوله تعالى فكفروا يفهم منه التولي
فما الحاجة الى ذكره اجيب بانهم كفروا وقالوا
ابشر يهدوننا وهذا في معنى الانكار والاعراض
بالكلية وهذا هو التولي فكانهم كفروا وقالوا قوله يدل
على التولي فلهذا قال فكفروا وتولوا وقيل كفروا
بالرسل وتولوا بالبرهان واعرضوا عن الايمان والمو

عظة

Copyright © King Saud University

ونبه بقوله تعالى واستغنى الله اي الملك الاعظم
الذي لا امر لاحد معه على ان هذا انما هو لمصالح الخلق
فهو غني عن كل شيء فان قيل قوله تعالى فتولوا واستغنى
الله يوهم وجود التولي والاستغنا معا والله تعالى لم
يزل غنيا اجيب بان معناه وظهر استغنا الله
حيث لم يلجئهم الى الايمان ولم يضطرهم اليه مع قدرته
على ذلك والله اي المستجمع لصفات الكمال غني عن
خلقه حميد اي محمود في افعاله زعم الذين كفروا اي
اوقعوا الستر لما دلت عليه العقول من وحدانية الله
تعالى ولو على ادنى الوجوب وزعم قال ابن عربي
كنية الكذب وقال الزمخشري الزعم ادعا العلم ومنه
قوله عليه الصلاة والسلام زعموا مطية الكذب وهو
شرح لكل شيء كنية وكنية الكذب زعموا وفي حديث
ابن مسعود عند ابي داود بيس مطية الرجل
زعموا ان لن يبعثوا اي من اي باعث ما يوجد من
الوجوه قل اي يا اشرف الرسل لهولاء البعدا
بلى اي لتبعثن ثم اكده بصريح القسم فقال
وربي اي المحسن الي بان ينتقم ممن كذبني لتبعثن
اي تاهون شي وانترامر ثم لتنبؤن اي تخبرن
اخبارا عظيما ممن يقيمه الله تعالى لاخباركم بما عملتم
اي باعمالكم لتجزون عليها وذلك اي الامر العظيم

عندكم

111

عندكم من البعث والحساب على الله اي المحيط بصفات
الكمال وحده يسير اذ الاعادة اسهل من الابتدا فان
قيل كيف يفيد القسم في اخباره عن البعث والكافرهم
قد انكروا الرسالة اجيب بانهم انكروا الرسالة
لكنهم انه يعتقد ربه اعتقادا جازما فيعلمون انه
لا يقدم على القسم بربه الا وان الاخبار عنده صدق
اظهر من الشمس في اعتقاده ثم انه اكد الخبر باللام
والنون فكانه قسم بعد قسم ثم انه تعالى لما اخبر عن
البعث والاعتراف بالبعث من لوازم الايمان قال
تعالى فامنوا بالله اي الملك الذي له الاحاطة الكاملة
بكل شيء ورسوله اي كل من ارسله ولا سيما محمد صلى
الله عليه وسلم والنور اي القران الذي انزلنا اي
بما لنا من العظمة لانه نور يهتدي به من ظلمة الضلالة له
كما يهتدي بالنور في الظلمات فان قيل هلا قيل
ونوره بالاضافة كما قال ورسوله اجيب بان الالف
واللام في النور بمعنى الاضافة فكانه قال ورسوله
ونوره والله اي المحيط علما وقدرة بما تعملون خبير
اي بالغ العلم بما تسرون وما تعلنون فراقبوه في السر
والعلانية وقوله تعالى يوم يجمعكم منصوب بقوله
تعالى لتنبؤن عند النحاس وبخبير عند الحوفي لما
فيه من معنى الوعيد كانه قال والله يعاقبكم يوم

Copyright © King Saud University

بجمعكم وبا ذكر مضمرا عند الزمخشري فيكون مفعولا به او
بما دل عليه الكلام اي تتفاوتون يوم يجمعكم قال ابو البقا
ليوم الجمع اي لاجل ما يقع في ذلك اليوم وهو يوم القيا
مة الذي يجمع الله تعالى فيه الاولين والاخرين من
الانس والجن وجميع اهل السما والارض وقيل يوم يجمع
الله بين كل عبد وعمله وقيل يجمع فيه بين الظالم
والمظلوم وقيل يجمع فيه بين كل نبي وامته وقيل يجمع
فيه ثواب اهل الطاعات وعقاب اهل المعاصي بل هو
جامع لجميع ما ذكر ذلك اي اليوم العظيم يوم التغابن
والتغابن مستعار من تغابن القوم في التجارة وهو ان
يغبن بعضهم بعضا لنزول السعدا منازل الاشقيا
التي كانوا ينزلونها لو كانوا سعدا ونزول الاشقياء
منازل السعدا التي كانوا ينزلونها لو كانوا اشقيا وفيه
تهكم بالاشقيا لان نزولهم ليس بغبن انتهى وفي
الحديث ما من عبد دخل الجنة الا اري مقعده
من النار لو اسا ليزداد شكرا وما من عبد يدخل
النار الا اري مقعده من الجنة لو احسن ليزداد
حسرة وهو معنى ذلك يوم التغابن وقد يتغابن
الناس في غير ذلك اليوم استعظاما له وان تغابنه
هو التغابن في الحقيقة لا التغابن في امور الدنيا
وان جلت وعظمت وذكر في بعض التفاسير ان

التغابن

التغابن هو ان يكتسب الرجل ماله من غير وجهه لويرثه
غيره فيعمل فيه بطاعة الله فيدخل الاول النار والثاني
الجنة بذلك المال فذلك هو الغبن البين والمغابن
ما انثنى من البدن نحو الابطين والفخذين والمغبون
من غبن في اهله ومنازله في الجنة ويظهر يومئذ
غبن كل كافر بترك الايمان وغبن كل مؤمن بتقصيره
في الاحسان وتضييعه الايام قال الزجاج ويغبن
من ارتفعت منزلته في الجنة بالنسبة الى من هو
اعلا منزلة منه فان قيل فلا مفاعلة وقعت
بينهما حتى يقع الغبن فيها اجيب بانه تمثيل
للغبن في الشرا والبيع كقوله تعالى اولئك الذين اشتروا
الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم فلما ذكر ان
الكفار اشتروا الضلالة بالهدى وما ربحوا في تجارتهم
بل خسروا ذكر انهم غبنوا وذلك ان اهل الجنة
اشتروا الاخرة بترك الدنيا واشترى اهل النار
الدنيا بترك الاخرة وهذا نوع مبادلة اتساعا ومجازا
وقد فرق الله تعالى الخلق فريقين فريقا للجنة وفريقا
للنار وقال الحسن وقتادة بلغنا ان التغابن على
ثلاثة اصناف رجل علم علما فضيعه ولم يعمل به
فشقي به ورجل علم علما وعمل به فنجا منه به ورجل
في
اكتسب مالا من وجوه يسال عنها وشح عليه وفرط

في طاعة ربه بسببه ولم يعمل فيه خيرا وتركه لوارث
لا حساب عليه فعمل ذلك العبد بطاعة ربه فسعد وعمل
السيد بمعصية ربه فشقي وروى القرطبي عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى يقيم الرجل
والمرأة يوم القيامة بين يديه فيقول الله تعالى لهما قولا
ما انتما قايلين فيقول الرجل يارب اوجبت نفقتها
علي فنفقتها من حرام ومن حلال وهؤلاء الخصوم
يطلبون ذلك ولم يبق لي ما اوفي فتقول المرأة يارب
وما عسى ان يقول اكتسبه حراما واكلته حلالا
وعصاك في مرضاتي ولم ارض له بذلك فبعدا له
وسحقا فيقول الله تعالى قد صدقت فيؤمر به الى
النار ويؤمر بها الى الجنة فتطلع من طبقات الجنة
فتقول له غبناك غبناك سعدنا بما شقيت انت به
فذلك يوم التغابن وقال بعض علما الصوفية ان
الله تعالى كتب الغبن على الخلق اجمعين فلا يلقى احد
ربه الا مغبونا لانه لا يمكنه الاستيفا للعمل حتى
يحصل له استيفا الثواب قال صلى الله عليه وسلم
لا يلقى الله احد الا نادما ان كان مسيا ان لم يحسن
وان كان محسنا ان لم يزد تنبيه استدل بعض
العلما بقوله تعالى ذلك يوم التغابن انه يجوز الغبن
في المعاملات الدنيوية لان الله تعالى خصص التغابن

يوم

١١٣

يوم القيامة فقال تعالى ذلك يوم التغابن وهذا
الاختصاص يفيد ان لا غبن في الدنيا فكل من اطلع
على غبن في مبيع فانه مردود اذا زاد على الثلث
واختاره البغداديون واحتجوا عليه بقوله صلى
الله عليه وسلم لحبان بن منقذ اذا بايعت فقل لا خلابة
ولك الخيار ثلاثا ولان الغبن في الدنيا ممنوع منه
بالاجماع في حكم الدين اذ هو من باب الخداع
المحرم شرعا في كل ملة لكن اليسير منه لا يمكن الاحتراز
عنه فمضى في البيوع اذ لو حكمنا برده ما نفذ بيع ابدا
لانه لا يخلو منه فاذا كان كثيرا امكن الاحتراز منه
فوجب الرد به والفرق بين القليل والكثير في الشريعة
غير معلوم فقدر بالثلث وهذا الحد اعتبره
الشارع في الوصية وغيرها ويكون معنى الآية على
هذا يوم التغابن الجائز مطلقا من غير تفصيل وذلك
يوم التغابن الذي لا يستدرك ابدا ومن يؤمن اي
يوقع الايمان ويجدده على سبيل الاستمرار بالله
اي الملك الاعظم الذي لا كفوء له ويعمل تصديقا
لايمانه صالحا اي عملا هو مما ينبغي الاهتمام بتحصيله
لانه مثل له في جلب المصالح ودفع المضار يكفر عنه
سيئاته التي غلبه عليها نقصان الطبع واتبع ذلك
الحامل الآخر وهو التوجيه بجلب المسارات

Copyright © King Saud University

الانسان يطير الى ربه سبحانه بجناحي الخوف والرجا والرهبة
والرغبة والنذارة والبشارة ويدخله اي رحمة له
واكراما وفضلا جنات اي بساتين ذات اشجار عظيمة
واغصان ظليلة تترداخلها ورياض مديدة متنوعة
الازاهير عطرة النشر يبهج زهرها واثمارها الى دوام ربها
بقوله تعالى تجري من تحتها اي من تحت قصورها
واشجارها الانهار وقرا بكر عنه ويدخله نافع وابن
عامر بالنون فيهما اي نحن بما لنا من العظمة والبا
قون بالبا التحتية اي الله الواحد القهار خالدين
اي مقدرين الخلود فيها واكده بقوله ابدا فلا خروج
لهم منها ذلك اي الامر العالي جدا من الغفران والاكرام
الفوز العظيم لانه جامع لجميع المصالح ودفع المضار
وجلب المسار ومن جملة ذلك النظر الى وجه الله
الكريم ولما ذكر تعالى الفائز بلزوم التقوى ترغيبا
اتبعه بضده ترهيبا فقال عز من قائل والذين كفروا
اي غطوا ادلة ذلك اليوم فكانوا في الظلام وكذبوا
اي اوقعوا جميع التغطية وجميع التكذيب باياتنا
اي بسببها مع ما لنا من العظمة باضافتها الينا وهي
القران فلم يعملوا بها اولئك اي البعدا البغضا اصحاب
النار خالدين اي مقدرين الخلود فيها وبئس المصير
هي قال الرازي فان قيل قال تعالى في حق المومن

ومن

ومن يومن بالله بلفظ المستقبل وفي الكفار قال والذين
كفروا بلفظ الماضي فالجواب ان تقدير الكلام
ومن لم يومن منهم اولئك اصحاب النار انتهى فان قيل
قال تعالى يومن بلفظ الوحدان وخالدين بلفظ الجمع
اجيب بان ذلك بحسب اللفظ وهذا بحسب
المعنى فان قيل ما الحكمة في قوله تعالى وبئس المصير
بعد قوله تعالى خالدين فيها وذلك بئس المصير اجيب
بان ذلك وان كان في معناه فهو تصريح بما يوكده
كما في قوله الله ما اصاب احدا من مصيبة اي
مصيبة كانت دينية او دنيوية في نفس او مال
او قول او فعل يقتضي هما اي يوجب عقابا اجلا او
عاجلا الا باذن الله اي بتقدير الملك الاعظم وقال
الفراء الا بامر الله وقيل الا بعلم الله وقيل
سبب نزول هذه الاية ان الكفار قالوا لو كان ما عليه
المسلمون حقا لصانهم الله تعالى عن المصايب في
الدنيا فبين الله تعالى ان ما اصاب من مصيبة الا
بقضايه وقدره فان قيل بم يتصل قوله تعالى ما اصاب
من مصيبة الا باذن الله اجيب بانه يتعلق
بقوله تعالى فامنوا بالله ورسوله كما من يومن بالله
يصدق بانه لا تصيبه مصيبة الا باذن الله ومن
يومن بالله اي يصدق بانه لا تصيبه مصيبة

ان

Copyright © King Saud University

الا بقضا الملك الاعظم وتقديره واذنه يهد قلبه قال
ابن عباس هو ان يجعل في قلبه اليقين حتى يعلم ان
ما اصابه لم يكن ليخطيه وما اخطاه لم يكن ليصيبه
اي فيسلم لقضا الله تعالى وتقديره وقال الكلبي هو
اذا ابتلي صبر واذا انعم عليه شكر واذا ظلم غفر
وقيل يهد قلبه الي نيل الثواب في الجنة وقيل يثبته
على الايمان وقال ابو عثمان الجيزي من صح ايمانه يهد
الله قلبه لاتباع السنة وقيل يهد قلبه عند المصيبة
فيقول انا لله وانا اليه راجعون قاله ابن جبير والله
اي الملك الذي له نظر له بكل شي مطلقا من غير
استثنا عليم فلا يخفى عليه تسليم من انقاد له مرة
فانه يحقق من هداية قلبه ذلك لاح عنده كل اعتقاد
باطل من كفر او بدعة او صفة خبيثة واطيعوا
الله اي الملك الاعلى الذي له الامر كله واطيعوا
الرسول اي هونوا على انفسكم المصايب واشتغلوا بطاعة
الله واعملوا بكتابه واطيعوا الرسول في العمل بسنته فان
توليتم اي عن الطاعة فانما على رسولنا اضافه اليه
على وجه العظمة تعظيما له وتهديدا لمن يتولى عنه
البلاغ المبين اي الظاهر في نفسه المظهر لكل احد
انه اوضح له غاية الايضاح ولم يدع لبسا وليس
اليه خلق الهداية في القلوب الله اي المحيط بجميع صفات

الكمال

الكمال لا اله الا هو فهو القادر على خلق الهداية في القلوب
والاقبال بها لا يقدر على ذلك غيره وعلى الله اي الذي
له الامر لا على غيره فليتوكل المومنون اي لان ايمانهم
بان الكل منه يقتضي ذلك وقال الزمخشري هذا بعث
لرسول الله صلى الله عليه وسلم على التوكل عليه والتقوي
به في امره حتى ينصره على من كذبه وتولى عنه واختلفوا
في سبب نزول قوله تعالى يايها الذين امنوا ان من
ازواجكم اي وان اظهرت غاية المودة واولادكم اي
وان اظهروا غاية الشفقة عدوا لكم فقال ابن عباس
نزلت بالمدينة في عوف ابن مالك الاشجعي شكا الى النبي
صلى الله عليه وسلم جفا اهله وولده فنزلت ذكره
النحاس وحكاه الطبري عن عطا بن يسار قال نزلت
سورة التغابن كلها بمكة الا هولا الايات يايها الذين
امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فانها
نزلت في عوف بن مالك الاشجعي كان ذا اهل وولد
وكان اذا اراد الغزو بكوا ورققوه وقالوا الى من تدعنا
فيرق فيقيم فنزلت هذه الاية الى اخر السورة بالمدينة
وروي الترمذي عن ابن عباس وسئل عن هذه الاية
قال هولاء رجال اسلموا من اهل مكة وارادوا ان
ياتوا النبي صلى الله عليه وسلم فلما اتوا النبي صلى
الله عليه وسلم راوا الناس قد فقهوا في الدين

فهموا ان يعاقبوهم فانزل الله تعالى هذه الاية حديث
حسن صحيح وفي صحيح البخاري عن ابي هريرة عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال ان الشيطان قعد لابن ادم في طريق
الايمان فقال له اتؤمن وتذر دينك ودين ابائك فخالفه
فامن ثم قعد له على طريق الهجرة فقال له اتهاجر وتترك
اهلك ومالك فخالفه فهاجر ثم قعد له على طريق الجهاد
فقال له اتجاهد فتقتل نفسك فتنكح نساؤك ويقسم
مالك فخالفه فجاهد فقتل فحق على الله ان يدخله الجنة
وقعود الشيطان يكون بوجهين احدهما وقعود بالوسوسة
والثاني ان يحمل على ما يريد من ذلك الزوج والولد
والصاحب قال تعالى وقيضنا لهم قرنا فزينوا
لهم ما بين ايديهم وما خلفهم وفي حكمة عيسى
عليه السلام من اتخذ اهلا ومالا وولدا كان في
الدنيا عبدا وقال عليه السلام تعس عبد الخميصة
تعس عبد القطيفة ولا دناءة اعظم من دناءة الدنيا
والدرهم ولا اخس من همة ترتفع بثوب جديد ويدخل
في قوله تعالى ان من ازواجكم الذكر والانثى فكما ان الرجل
تكون زوجته عدوا له كذلك المراة تكون زوجها
عدوا لها بهذا المعنى فاحذروهم اي ان تطيعوهم
في التخلف عن الخير ولا تامنوا غوائلهم وان تعفوا
اي تتركوا المجازاة عن ذنوبهم بعدم العقاب عليها

فانه

فانه لا فائدة في ذلك فان من طبع على شيء لا يرجع عنه
وانما النافع الحذر الذي ارشد اليه تعالى لئلا تكون
سببا للوقوع المنهي عنه وتصفحوا اي بالاعراض عن
المقابلة بالتثريب باللسان وتغفروا اي تستروا ذنوبهم
سترا تاما شاملا للعين والاثر بالتجاوز فان الله
اي الجامع لصفات الكمال غفور اي بالغ المحو لاعيان
الذنوب وان يجازيكم على غفرانكم وهو جدير بان
تفعلوا معهم لكم مثل غفرانكم رحيم فيكرمكم بعد ذلك الستر
بالانعام فتخلقوا باخلاقه تعالى يزدكم من فضله
انما اموالكم اي عامة واولادكم كذلك فتنة اي اختبار
من الله تعالى لكم وهو اعلم بما في نفوسكم منكم ليظهر
في عالم الشهادة من يميله ذلك فيكون عليه نقمة
ممن لا يميله فيكون عليه نعمة فربما رام الانسان
صلاح ماله وولده فبالغ فافسد نفسه ثم لا يصلح
ذلك ماله ولا ولده روى ابو نعيم في الحلية في ترجمة
سفيان الثوري عنه انه قال يؤتى برجل يوم القيامة
فيقال اكل عياله حسناته وعن بعض السلف العيال
سوس الطاعات ويكفي في فتنة المال قصة ثعلبة بن
حاطب احد من نزل فيه قوله تعالى ومنهم من عاهد
الله وقال ابن مسعود لا يقولن احدكم اللهم اعصمني
من الفتنة فانه ليس احد منكم يرجع الى مال وولد

Copyright © King Saud University

ولدا الا وهو مشتمل على فتنة ولكن ليقول اللهم اني اعوذ
بك من مضلات الفتن وقال الحسن في قوله تعالى ان
من ازواجكم واولادكم ادخل من للتبعيض لان كلهم
ليسوا باعدا ولم يذكر في قوله تعالى انما اموالكم واولادكم
فتنة لانهما لا يخلوا من الفتنة واشتغال القلب بهما
روى الترمذي وغيره عن عبد الله بن بريدة عن ابيه
قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم يخطب فجا الحسن
والحسين رضي الله تعالى عنهما وعليهما قميصان
احمران يمشيان ويعثران فنزل صلى الله عليه وسلم فحملهما
ووضعهما بين يديه ثم قال صدق الله عز وجل انما
اموالكم واولادكم فتنة نظرت الى هذين الصبيين
يمشيان ويعثران فلم اصبر حتى قطعت حديثي و
فعتهما ثم اخذ في خطبته تنبيه قدم ذكر الاموال على
الاولاد لان فتنة المال اكثر وترك ذكر الازواج في الفتنة
قال البقاعي لان منهن من يكون صلاحا وعونا على
الاخرة والله اي ذو الجلال عنده وناهيك بما يكون
منه بسبب جلاله وعظمته اجر ثم وصفه
بقوله تعالى عظيم اي لمن اثمر بالامر الذي امره
بها وقوله تعالى فاتقوا الله اي الملك الاعلى ما استطعتم
اي جهدكم ووسعكم ناسخ لقوله تعالى اتقوا الله حق
تقاته قال قتادة والربيع ابن انس والسدي وذكر الطبري

عن

عن ابن زيد في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق
تقاته قال جا امر شديد قال ومن يعرف قدر هذا
ويبلغه فلما علم الله تعالى انه قد اشتد عليهم نسخ عنهم
وجا بهذه الاية الاخرى فقال اتقوا الله ما استطعتم
وقال ابن عباس هي محكمة لا نسخ فيها ولكن حق تقاته
ان يجاهد وافيه حق جهاده ولا تاخذكم في الله لومة
لايم ويقوموا لله بالقسط ولو على انفسهم وابائهم
وابنائهم فان قيل اذا كانت الاية غير منسوخة
فكيف الجمع بين الايتين وما وجه الامر بالتقوى حق تقاته
مطلقا من غير تخصيص ولا شروط شرط الاستطاعة
اجيب بان قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم
معناه فاتقوا الله ايها الناس وراقبوه فيما جعل فتنة
وتصدكم عن الواجب لله عليكم من الهجرة من ارض
الكفر الى ارض الاسلام فتتركوا الهجرة وانتم مستطيعون
وذلك ان الله تعالى قد عذر من لم يقدر على الهجرة
بتركها بقوله تعالى ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي
انفسهم الى قوله فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم
فاخبر تعالى انه قد عفى عمن لا يستطيع حيلة ولا يهتدي
سبيلا باقامته في دار الشرك فكذلك معنى قوله
تعالى ما استطعتم في الهجرة من دار الشرك الى دار الاسلام
ان تتركوا فتنة اموالكم واولادكم ويدل على صحة هذا

Copyright © King Saud University

ان قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم عقب قوله تعالى يا
ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذ
روهم ولا خلاف بين علما التاويل في ان هذه الايات
نزلت بسبب قوم كفار اخروا عن الهجرة من دار الشرك
الى دار الاسلام بتثبيط اولادهم اياهم عن ذلك كما
تقدم وهذا اختيار الطبري وقال ابن جبير قوله تعالى
فاتقوا الله ما استطعتم فيما تطوع به من نافلة او صدقة
فانه لما نزل قوله تعالى اتقوا الله حق تقاته اشتدت
على القوم فقاموا حتى ورمت عراقيبهم وتقرحت جباههم
فانزل الله تعالى تخفيفا عنهم فاتقوا الله ما استطعتم
فنسخت الاولى قال الماوردي ويحتمل ان يثبت هذا
النقل لان المكره على المعصية غير مواخذ لانه لا
لا يستطيع اتقاها فاسمعوا اي سماع اذعان وتسليم
لما توعظون به وجميع اوامره واطيعوا اي وصدقوا
ذلك الاذعان بمباشرة الافعال الظاهرة في الاسلا
ميات من العبادة بامر الله تعالى والشفقة على خلق
الله تعالى في كل امر ونهي على حسب الطاقة وحذف
المتعلق ليصدق الامر بكل طاعة وانفقوا اي اوقعوا
الانفاق كما حد لكم فيما اوجب او ندب اليه والانفاق
لا يختص نوعا بل يكون بكل ما رزق الله من الذاتي والخا
رجي وقوله تعالى خيرا لانفسكم في نصبه وجوه احدها

قال

قال سيبويه انه مفعول بفعل مقدر دل عليه وانفقوا
تقديره قدموا خيرا لانفسكم كقوله تعالى انتهوا خيرا
لانفسكم الثاني تقديره يكن الانفاق خيرا فهو خبر كان
المضمرة وهو قول ابي عبيد الثالث انه نعت مصدر
محذوف وهو قول الكسائي والفراء اي انفاقا خيرا لانفسكم
فان الله يعطي خيرا منه في الدنيا مع ما تزكى به النفس
ويدخر عليه من الجزاء في الاخرة مما لا يدرك كنهه
فلا يغرنكم عاجل شي من ذلك فانما هو زخرف ولما
ذكر ما في الانفاق من الخير عممه في جميع الاوامر
بقوله تعالى ومن يوق شح نفسه فيفعل في ماله
جميع ما امر به مولاه فيتابر مطمينا اليه حتى لم يقع
عن قلبه الاخطار ويبعد عن رق المكنونات والشح
خلق باطن هو الداء العضال والبخل فعل ظاهر
ينشا عن الشح والنفس تارة تشح بترك الشهوة من
المعاصي فتفعلها وتارة باعطا الاعضا في الطاعات
فتتركها وتارة بانفاق المال ومن فعل ما فرض عليه
خرج من الشح ولما كان الواقي هو الله تعالى سبب
عن وقايته قوله تعالى فاولئك اي العالوا الرتبة
١٦ هم المفلحون اي الفائزون الذين حازوا جميع المراد
بما اتقوا الله فيه ثم رغب في الانفاق بقوله تعالى
ان تقرضوا الله اي الملك الاعلى ذا الغنا المطلق لحائز

لجميع صفات الكمال **قرضا حسنا** والقرض بنفس ومع الا
خلاص والمبادرة **يضاعفه لكم** اي لاجلكم خاصة اقل
مايكون بالواحد عشرا الي ماله تتناهي علي حسب النيات
قال القشيري يتوجه الخطاب بهذا علي الاغنيا في بذل
اموالهم وعلي الفقرا في اخلاء ايامهم واوقاتهم من
مراداتهم وايثار مراد الحق علي مراد انفسهم فالغني
يقال له اثر حكمي علي مرادك في مالك وغيره والفقير يقال
له اثر حكمي في نفسك وقلبك ووقتك ولما كان الانسان
لما له من النقصان وان اجتهد لا يبلغ جميع ما امر به
لان الدين وان كان يسرا فهو متين لن يشاده احد
الا غلبه قال تعالى **ويغفر لكم** اي بوقوع الغفران وهو
محو ما فرط عينه واثره **والله** اي الذي لا تقاس عظمته
بشي **شكور** اي بليغ الشكر لمن يعطي له جلده ولو كان
قليلا فيثيبه ثوابا جزيلا مختارا خارجا عن الحصر
وهو ناظر الي المضاعفة **حليم** فلا يعجل بالعقوبة
علي ذنب من الذنوب وان عظم بل يمهل طويلا ليتذكر
العبد الاحسان مع العصيان فيتوب ولا يهمل
ولا يغتر بحلمه فان غضب الحليم لا يطاق وهو راجع
الي الغفران **عالم الغيب** وهو ما غاب عن الخلق كلهم
مثل ما هو داخل القلب مما لم تبرزه الجبلة ولا علم
لصاحب القلب به فضلا عن غيره **والشهادة** وهو

ما ظهر

ما ظهر وما كان بحيث يعلمه الخلق وهذا الوصف داع الي
الاحسان من حيث انه موجب للمومن ترك ظاهر الاثم
وباطنه وكل قصور وفتور وغفلة وتهاون فيعبد
الله تعالى كانه يراه **العزيز** اي الذي يغلب كل شي ولا
يغلبه شي **الحكيم** اي بالغ الحكمة التي تعجز عن ادراكها
الخلايق وقال ابن الانباري الحكيم هو المحكم لخلق الاشيا
صرف عن مفعل الي فعيل ومنه قوله تعالى الم
تلك ايات الكتاب الحكيم معناه المحكم فصرف عن مفعل
الي فعيل وما قاله البيضاوي تبعا للزمخشري من
انه صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة التغابن
رفع عنه موت الفجاة حديث موضوع

سورة الطلاق مدنية

وهي احدى عشرة اية ومايتان وتسع واربعون كلمة
والف وستون حرفا **بسم الله** الذي له جميع
صفات الكمال **الرحمن** الذي عم برحمته والنوال
الرحيم الذي خص بتمام النعمة ذوي الهمم العوال وقرا
يا ايها النبي نافع بالهمزة وسهل الهمزة من اذا
واندالها الياء واو اخصه صلى الله عليه وسلم بالندا
وعم بالخطاب لان النبي امام امته وقدوتهم
كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم يا فلان افعلوا كيت
وكيت اظهارا للتقدم واعتبارا للترأس وانه لسان

قومه والذي يصدرون عن رايه ولا يستبدون
بامر دونه فكان هو وحده في حكمهم كلهم وساد
مسد جميعهم وقيل انه على اضمار قوله اي يا ايها
النبي قل لهم اذا طلقتم النساء اي اردتم طلاق هذا
النوع واحدة منه فاكثر وقيل انه خطاب له ولامته
والتقدير يا ايها النبي وامته فحذف المعطوف لدلالة
ما بعده عليه كقوله اذ احدثته رجلها اي ويدها
وكقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر وقيل انه خطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم خوطب بلفظ الجمع تعظيما
له كقوله

فان شئت حرمت النساء سواكم
وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا

قال الرازي وجه تعلق هذه السورة باخر التي قبلها
هو انه تعالى اشارة في اخر التي قبلها الى كمال علمه
بقوله تعالى عالم الغيب والشهادة وفي اول هذه
السورة اشارة الى كمال علمه بمصالح النساء والاحكام
المخصوصة بطلاقهن فكانه بين ذلك الكلي بهذه
الجزئيات وروى ابن ماجه عن ابن عباس عن عمر بن
الخطاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق حفصة
ثم راجعها وعن انس قال طلق رسول الله صلى الله
عليه وسلم حفصة فاتت اهلها فانزل الله تعالى يا ايها

النبي

النبي اذا طلقتم النساء وقيل له راجعها فانها صوامة
قوامة وهي من ازواجك في الجنة ذكره الماوردي
والقشيري وزاد القشيري ونزل في خروجها الى اهلها
قوله تعالى لا تخرجوهن من بيوتهن وقال الكلبي سبب
نزول هذه الاية غضب رسول الله صلى الله عليه
وسلم على حفصة لما اسر اليها حديثا فاظهرته لعائشة
فطلقها تطليقة فنزلت وقال السدي نزلت في عبد
الله ابن عمر طلق امراته حائضا تطليقة واحدة
فامره النبي صلى الله عليه وسلم بان يراجعها ثم
يمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر فان شاء امسكها
وان شاء طلقها قبل ان يجامع فتلك العدة التي امر
الله ان تطلق لها النساء وهو قوله تعالى فطلقوهن
لعدتهن اي في الوقت الذي تشرع فيه في العدة
وقد قيل ان رجالا فعلوا مثل ما فعل عبد الله
بن عمر منهم عبد الله بن عمرو بن العاص وعمرو بن
سعيد بن العاص وعتبة بن غزوان فنزلت الاية
فيهم وروى الدارقطني عن ابن عباس انه قال الطلاق
على اربعة وجوه وجهان حلالان ووجهان حرامان
فاما الحلال فان يطلقها طاهرا من غير جماع وان
يطلقها حاملا مستبينا حملها واما الحرام فان يطلقها
حائضا او ان يطلقها حين يجامعها لا يدري اشتمل

الرجعي ولذا مر له تنبيه الطلاق ينقسم الى سني وبدعي
ولا ولا فطلاق موطوءة ولو في دبر يعتد بالاقراء ان
اتبعها الاقرا عقب الطلاق ولم يطاها في طهر طلقها
فيه او علق طلاقها بمضي بعضه ولا وطئها في نحو حيض
قبله ولا في نحو حيض طلق مع اخره او علق باخره وذلك
لاستعقابه الشروع في العدة وعدم الندم فيمن ذكرت
والا فبدعي وان سالته طلاقا بلا عوض وطلاق غير
الموطوءة المذكورة بان لم يوطا او كانت صغيرة
او ايسة او حاملا منه وخلع زوجته في زمن حيض
بعوض لا سني ولا بدعي والبدعي حرام للنهي عنه
وقسم جماعة الطلاق الى واجب كطلاق اي واجب
مخير ان لم يكن عذر ومعين ان كان عذر شرعي
كالاحرام ومندوب كطلاق غير مستقيمة الحال
كسيئة الخلق ومكروه كمستقيمة الحال وحرام
كطلاق البدعة واشار الامام الى المباح بطلاق من
لا يهواها ولا تسمح نفسه بمؤنتها من غير تمتع بها وروى
الثعلبي من حديث ابن عمر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال تزوجوا ولا تطلقوا فان
الطلاق يهتز منه العرش وعن ابي موسى قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معاذ ما خلق الله
تعالى شيئا على وجه الارض احب اليه من العتاق ولا

خلق

خلق الله تعالى شيئا ابغض اليه من الطلاق وعن معاذ بن
جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما احل
الله شيئا ابغض اليه من الطلاق واختلفوا في الاستثنا
في الطلاق والعتق فقال طائفة بجوازه وهو مروي
عن طاوس وبه قال حماد الكوفي والشافعي وابو ثور واصحاب
الراي وقال مالك والاوزاعي لا يجوز الاستثناء في الطلاق
خاصة قال ابن المنذر وبالقول الاول اقول ولما
كان نظر الشارع الى العدة شديدا صرح بصيغة الامر
فقال تعالى واحصوا اي اضبطوا ضبطا كانه في اتقانه
بحوي العدة ليعرف زمان الرجعة والنفقة والسكنى
وحل النكاح لاخت المطلقة مثلا ونحو ذلك من الفوائد
الجليلة واتقوا اي في ذلك الله اي الملك الاعظم
الذي له الخلق والامر ربكم اي لاحسانه في تربيتكم
في حملكم على الحنيفية السمحا ورفع جميع الاصار عنكم
لا تخرجوهن اي ايها الرجال في حال العدة من بيوتهن
اي المساكن التي وقع الفراق فيها وهي مساكنهن التي
يسكنها قبل العدة وهي بيوت الازواج واضيفت
اليهن لاختصاصها بهن من حيث السكنى وقرا ورش
وابو عمرو وحفص بضم البا الموحدة والباقون
بكسرها ولا يخرجن اي من بيوتهن حتى تنقضي عدتهن
ولو وافق الزوج على ذلك وعلى الحاكم المنع منه لان

Copyright © King Saud University

لان في العدة حق الله تعالى وقد وجبت في ذلك المسكن
وقوله تعالى الا ان ياتين بفاحشة مبينة مستثنى
من الاول والمعنى الا ان تبذوا على الزوج فانه كالنشوز
في اسقاط حقها وقال ابن عباس الفاحشة المبينة
ان تبذوا على اهل زوجها فيحل اخراجها لسوء خلقها
وقال ابن مسعود اراد بالفاحشة المبينة ان تزني
فتخرج لاقامة الحد عليها ثم ترد الى منزلها وقال
قتادة الفاحشة النشوز وذلك ان يطلقها على النشوز
فتحول عن بيته ويجوز ان يكون مستثنى من الثاني
للمبالغة في النهي والدلالة على ان خروجها فاحشة
هذا كله عند عدم العذر اما العذر كان تضطر من
لها نفقة على المفارق لنحو طعام او قطن وكتان بنهار
اوغزلها ونحوه كحديثها وتانسها عند جارتها
ليلا وترجع وتبيت بيتها فانه جائز للحاجة الى
ذلك وكخوف على نفس او مال من نحو هدم وغرق
وفسقة مجاورين لها وشدة تاذيها بجيران ما وشدة
تاذيهم بها للحاجة الى ذلك بخلاف الاذى اليسير
اذ لا يخلو احد منه ومن الجيران الاحماء وهم اقارب
الزوج نعم ان اشتد اذاها بهم او عكسه وكانت الدار
ضيقة نقلهم الزوج عنها وخرج بالجيران ما لو طلقت
بيت ابويها وتاذت بهما او هما بها فلا نقل لان

الوحشة

الوحشة لا تطول بينهما ولو انتقلت لبلد او مسكن باذن
زوجها فوجبت العدة ولو قبل وصولها اليه اعتدت
فيه لانها مامورة بالمقام فيه فان انتقلت لذلك
بلا اذن فتعتد في الاول وان وجبت العدة بعد
وصولها للثاني لعصيانها بذلك نعم ان اذن
لها بعد انتقالها ان تعتد في الثاني فهو كما لو انتقلت
بالاذن ولو اذن لها في الانتقال فوجبت العدة قبل
خروجها اعتدت في الاول ولو سافرت باذن زوجها
فوجبت اعتدت في الاول ولو سافرت باذن زوجها
فوجبت في الطريق فعودها اولى من مضيها فان
مضت وجب عودها بعد انقضاء حاجتها ان سافرت
لها او بعد انقضاء مدة الاذن ان قدر لها مدة
او مدة اقامة المسافرين ان لم يقدر لها مدة في سفر
غير حاجتها ولو خرجت فطلقها وقال ما اذنت
في الخروج او قال وقد قالت اذنت في نقلتي اذنت
لا للنقلة صدق بيمينه ولو كان المسكن ملكا له ولم يليق
بها تعين لان تعتد فيه كما مر ويصح بيعه في عدة اشهر
كالمكتري او كان مستعارا او مكترى وانقضت مدة
الكرى انتقلت منه ان امتنع المالك وان كان ملكا لها
تخيرت بين الاستمرار فيه باعارة او اجارة والانتقال
منه كما لو كان المسكن خسيسا وتخير عوان كان

Copyright © King Saud University

نفيا وسكنى المعتدة من فرقة واجب على الزوج
حيث يجب نفقتها عليه لو لم تفارق سوا كانت الفرقة
بطلاق او فسخ او وفاة لقوله تعالى اسكنوهن من حيث
سكنتم وقيس به الفسخ بانواعه بجامع فرقة النكاح في
الحياة ولخبر فريعة بنت مالك في الوفاة ان زوجها قتل
فسالت النبي صلى الله عليه وسلم ان ترجع الى اهلها
وقالت ان زوجي لم يتركني في منزل يملكه فاذن لها في
الرجوع قالت فانصرفت حتى اذا كنت في الحجرة او في
المسجد دعاني فقال امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب
اجله قالت فاعتددت فيه اربعة اشهر وعشرا صححه
الترمذي وغيره وقرأ ابن كثير وابو بكر بفتح اليا
المثناة والباقون بكسرها **وتلك** اي الاحكام العالية
جدا لما فيها من الجلالة وبانتسابها الى الملك الاعلى
من هذا الذي ذكر في هذه السورة وغيرها **حدود**
الله اي الملك الاعظم **ومن يتعد** اي يقع منه في
وقت من الاوقات الذي تعمد ان يعدوا **حدود الله**
اي الملك الذي لا كفؤ له او بعضها كان طلق بدعيا
فقد ظلم نفسه اي عرضها للعقاب وقرأ قالون وابن كثير
وعاصم باظهار الدال عند الظاء والباقون بالادغام
لا تدري اي النفس اي انت بالوها او النبي او المطلق
لعل الله اي الذي بيده القلوب ومقاليد جميع الامور

يحدث

يحدث اي يوجد شيئا حادثا لم يكن ايجادا ثابتا لا تقدر
الخلق على التسبب في زواله **بعد ذلك** اي الحادث من الاما
والبغض **امرا** بان يقلب قلبه من بغضها الى محبتها
ومن الرغبة عنها ومن عزيمة الطلاق الى الندم عليه
فيراجعها وقال اكثر المفسرين اراد بالامر هنا الرغبة
في الرجعة ومعنى الكلام التحريض على طلاق الواحدة
والنهي عن الثلاث وهذا احسن الطلاق واحله
عن الثلاث في السنة وابعده عن الندم ويدل عليه
ما روي عن ابراهيم النخعي ان اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم كانوا يستحبون ان لا يطلقوا السنة الا
واحدة ثم لا يطلقوا غير ذلك حتى تنقضي العدة وكان
احسن عندهم من ان يطلق الرجل ثلاثا في ثلاث
اطهار وقال مالك بن انس لا اعرف طلاق السنة
الا واحدة وكان يكره الثلاث مجموعة كانت او مفرقة
واما ابو حنيفة واصحابه فانما كرهوا ما زاد على الواحدة
في طهر واحد فاما مفرقا في الاطهار فلا لما روي عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لابن عمر حين طلق
امراته وهي حائض ما هكذا امرك الله انما السنة ان
تستقبل الطهر استقبالا وتطلقها لكل قرء تطليقة
وروى انه قال لعمر مر ابنك فليراجعها ثم ليدعها
حتى تحيض ثم تطهر ثم يطلقها ان شا فتلك العدة التي

امرالله ان تطلق بها الينا وعند الشافعي لا باس بارسال
الثلاث وقال لا اعرف في عدد الطلاق سنة ولا بدعة
وهو مباح ومالك يراعي في طلاق السنة الواحدة والو
قت وابو حنيفة يراعي التفريق والوقت والشافعي يراعي
الوقت وحده قال الزمخشري فان قلت هل
يقع الطلاق المخالف للسنة قلت نعم وهو انه لما روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا طلق امراته
ثلاثا بين يديه فقال اتلعبون بكتاب الله وانا بين
اظهركم وفي حديث ابن عمر انه قال يا رسول الله
ارايت لو طلقتها ثلاثا قال اذا عصيت وبانت منك
امراتك وعن عمر انه كان لا يوتى برجل طلق امراته
ثلاثا الا اوجعه ضربا واجاز ذلك عليه وعن سعيد
بن المسيب وجماعة من التابعين ان من خالف
السنة في الطلاق فاوقعه في حيض او ثلث لم
يقع وشبهوه بمن وكل غيره بطلاق السنة فخالف فان
قيل قوله تعالى اذا طلقتم النساء متناول
المدخول بهن وغير المدخول من ذوات الاقرا
والايسات والصغار والحوامل فكيف صح تخصيصه
بذوات الاقرا المدخول بهن اجيب بانه لا عموم
ثم ولا خصوص ولكن النسا اسم جنس للاناث
من الانس وهذه الجنسية معنى قايم في كلهن

ودفي

دفي بعضهن فجاز ان يراد بالنسا هذا وذاك فلما قيل
فطلقوهن لعدتهن علم انه اطلق على بعضهن وهن
المدخول بهن من المعتدات بالحيض ولما حد سبحانه
ما يفعل في العدة اتبعه ما يفعل عند انقضايها بقوله
تعالى فاذا بلغن اي المطلقات اجلهن اي شارفن انقضا
العدة مشارفة عظيمة فامسكوهن اي بالمراجعة وهذا
يدل على ان الاولى من الطلاق ما دون البائن لا سيما
الثلاث بمعروف اي حسن عشرة لا بقصد الضرار بتطليق ق
اخر لاجل ايجاب عدة اخرى او غير ذلك او فارقوهن
بعد المراجعة لتتم العدة فتملك نفسها بمعروف اي
بايفا الحق مع حسن الكلام وكل امر حسنه الشرع
فلا بقصد اذاها بتفريقها من ولدها مثلا او منعه
ان كانت عاشقة لم يقصد الاذى فقط من غير مصلحة
وكذا ما اشبه ذلك من انواع الضرر بالفعل والقول
فقد تضمنت الاية بافصاحتها الحث على فعل الخيرات
وبافهامها اجتناب المنكرات تنبيه قال
بعض العلما في قوله تعالى فامسكوهن بمعروف او فارقوهن هن
بمعروف وقوله تعالى فامساك بمعروف او تسريح باحسان
ان الزوج له حق في بدن المراة ولها حق في بدنه
وذمته فكل من له دين في ذمة غيره سوا كان مالا
او منفعة من نفقة ومهر واجرة او بدل متلف او

Copyright © King Saud University

ضمان مغصوب او نحو ذلك فعليه ان يودي ذلك الحق
الواجب باحسان وعلى صاحب الحق ان يتبع باحسان
كما قال تعالى في اية القصاص فمن عفي له من اخيه شي
فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان وكذا الحق الثابت
في بدنه مثل حق الاستمتاع والاجارة على عينه ونحو ذلك
فالطالب يطلب بمعروف والمودي يودي باحسان ولما
كان الاشهاد اقطع للنزاع قال تعالى حاديا على الكيس
والتيقظ والبعد عن ابعاد المضلين الفجرة **واشهدوا**
اي على المراجعة او المفارقة وقيل المعنى واشهدوا
عند الرجعة والفرقة جميعا **ذوي عدل منكم** قطعا للتنازع
وهذا الاشهاد مندوب اليه عند الجمهور كقوله
تعالى واشهدوا اذا تبايعتم واوجب الاشهاد في
الرجعة الامام احمد في احدى الروايتين عنه وان
في القول الاخر ان الرجعة لا تفتقر الى القبول فلم
تفتقر الى الاشهاد كسائر الحقوق واذا جامع او قبل
او باشر يريد بذلك الرجعة فليس بمراجع وقال
ابو حنيفة واصحابه اذا قبل او باشر او لمس بشهوة
فهو رجعة وكذا النظر الى الفرج رجعة وقال الشافعي
وابو ثور اذا تكلم بالرجعة فهي رجعة وقيل وطؤه
مراجعة على كل حال نواها او لم ينوها وهو مذهب
احمد واليه ذهب الليث وبعض المالكية قال القرطبي وكان

مالك

مالك يقول اذا وطئ ولم ينو الرجعة فهو وطء فاسد ولا
يعود الى وطئها حتى يستبرئها من مائه الفاسد وله
الرجعة في بقية العدة الاولى وليست له الرجعة في هذا
الاستبراء انتهى قوله تعالى منكم قال الحسن من المسلمين
وعن قتادة من احراركم وذلك يوجب اختصاص
الشهادة على الرجعة بالذكر دون الاناث لان ذوي
للمذكر وقوله تعالى **واقيموا** اي ايها المامورون حيث
كنتم شهودا **الشهادة** اي التي تحملتموها باداتها على اكمل
احوالها **لله** اي مخلصين لوجه الملك الاعلى لا لاجل
المشهود له والمشهود عليه ولا شيء سوى وجه الله
فيه حث على اداء الشهادة لما فيه من العسر على الشاهد
بترك مهماته وعسر لقاء الحاكم الذي يودي عنده
وربما بعد امكانه وكان للعدل في الاداء عوائق ايضا
ذلكم اي الذي ذكرت لكم ايتها الامة من هذه الامور
البديعة النظام العالية المرام والاولى بذلك هذا
الاشهاد واقامة الشهادة **يوعظ** اي يلين ويرقق **به**
من كان اي كونا راسخا من جميع الناس **يومن بالله**
اي الذي له الكمال كله **واليوم الاخر** فانه المحيط
الاعظم للترقيق واما من لم يكن متصفا بذلك
فكانه لقساوة قلبه ما وعظ به لانه لم ينتفع به وقوله
تعالى **ومن يتق** اي يخف الملك الاعظم فيجعل بينه

Copyright © King Saud University

وبين ما سخطه وقال ابن زيد وهو اجتلاب ما امر به واجتناب ما نهي عنه من الطلاق وغيره وباطنا لان التقوى اذا انفردت في القران عن مقارنة عمت الامر والنهي وان اقترنت بغيره نحو احسان او رضوان خصصت المناهي يجعل اي بسبب التقوى له مخرجا جملة اعتراضية موكدة لما سبق بالوعد على التقيد عما نهي عنه صريحا او ضمنا من الطلاق في الحيض والاضرار بالمعتدة واخراجها من المسكن وتعدي حدود الله تعالى روي ان النبي صلى الله عليه وسلم سيل عمن طلق ثلاثا او الفا هل له من مخرج فتلاها وقال ابن عباس والشعبي والضحاك هذا في الطلاق خاصة اي من طلق كما امره الله تعالى يكن له مخرج في الرجعة في العدة وان يكون كاحد الخطاب بعد العدة وعن ابن عباس ايضا يجعل له مخرجا ينجيه من كل كرب في الدنيا والاخرة وقيل المخرج هو ان يقنعه الله بما رزقه قاله علي بن صالح وقال الكلبي ومن يتق الله بالصبر عن المعصية يجعل له مخرجا من النار الى الجنة وقال الحسن مخرجا مما نهى الله عنه وقال ابو العالية مخرجا من كل شدة وقال الربيع بن خثيم مخرجا من كل شيء ضاق على الناس وقال الحسين بن الفضل ومن يتق الله في اداء الفرائض يجعل له مخرجا من العقوبة

ويرزقه

ويرزقه اي الثواب من حيث لا يحتسب اي يبارك له فيما اتاه وقال سهل بن عبد الله ومن يتق الله في اتباع السنة يجعل له مخرجا من عقوبة البدع ويرزقه الجنة من حيث لا يحتسب وقال ابو سعيد الخدري ومن تبرا من حوله وقوته بالرجوع الى الله تعالى يجعل له مخرجا مما كلفه الله بالمعونة له وتاول ابن مسعود ومسروق الاية على العموم وهذا هو الذي يقوى عندي وقال ابو ذر قال النبي صلى الله عليه وسلم اني لاعلم اية لو اخذ الله بها لكفتهم وتلى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب قال مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة وقال اكثر المفسرين نزلت في عوف بن مالك الاشجعي اسر المشركون ابنا له يسمى سالما فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتكي اليه الفاقة وقال ان العدو اسر ابني وجزعت الام فما تامرني فقال صلى الله عليه وسلم اتق الله واصبر وامرك واياها ان تستكثرا من قول لا حول ولا قوة الا بالله فعاد الى بيته وقال لامراته ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امرني واياك ان نكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فقالت نعم ما امرنا به فجعلا يقولان فغفل العدو عن ابنه فساق غنمهم وجاء بها الى المدينة

وهي اربعة الاف شاة فنزلت الاية وجعل النبي صلى الله
عليه وسلم تلك الاغنام له وروى انه جاء وقد اصاب ابله
من العدو وكان فقيرا فقال الكلبي انه اصاب خمسين
بعيرا وفي رواية فافلت ابنه من الاسر وركب ناقة
لقوم فمر بسرح لهم فاستاقه وقال مقاتل اصاب غنما
ومتاعا فقال ابوه للنبي صلى الله عليه وسلم ايحل لي
ان اكل مما اتى به ابني قال نعم ونزل ومن يتق الله
يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وروى الحسن
عن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من انقطع الى الله كفاه الله كل مونة ورزقه من
حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله الله اليها
وقال الزجاج اي اذا اتقى واثر الحلال والصبر على اهله
فتح الله عليه ان كان ذا ضيقة ورزقه النبي صلى
الله عليه وسلم قال من اكثر الاستغفار جعل الله له
من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث
لا يحتسب ومن يتوكل اي يسند اموره كلها معتمدا
فيها على الله اي الملك الذي بيده كل شيء ولا كفو له
سواي الله في غيبه فضلا عن الشهادة بسبب توكله
حسبه اي كافيه ما اهمه وحذف المتعلق للتعميم
وحرف الاستعلا مستعلا للاشارة الى انه كان حمل اموره
كلها عليه سبحانه لانه القوي العزيز الذي يدفع عنه

كل

كل ضار ويجلب له كل سار الى غير ذلك من المعاني الكبار فلا
تبدو له في عالم الشهادة شيء يتعبه وقيل من اتقى
الله وجانب المعاصي وتوكل عليه فله فيما يعطيه
في الاخرة من ثوابه كفاية ولم يرد الدنيا لان المتوكل قد
يصاب في الدنيا وقد يقتل وفي الحديث لو انكم توكلتم على
الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح
بطانا ويوخذ من هذا ان المتوكل يكون مع مباشرة
الاسباب لانه صلى الله عليه وسلم قال تغدوا وتروح
وهي من المقامات العظيمة قال البقاعي نقلا عن الملوي
والا كان اتكالا وليس بمقام بل خسة همة وعدم مروة
لانه ابطال حكمة الله تعالى التي احكمها في الدنيا من
ترتيب المسببات على الاسباب انتهى ولما كان ذلك امرا
لا يكاد يحفظ به الوهد علله بقوله تعالى مهودا له
بالتاكيد والاظهار في موضع الاضمار ان الله اي المحيط
بكل كمال المنزه عن كل شائبة نقص بالغ امره اي جميع
ما يريده فلا بد من نفوذه شاء حصل توكل امره قال
مسروق يعني قاض امره فيمن توكل عليه يكفر عنه
سياته ويعظم له اجرا وقرا حفص بالغ امره بغير تنوين
وامره بالجر مضاف اليه على التخفيف والباقون بالتنوين
امره بنصب الراء ثم انتهى قال ابن عادل وهو الاصل
خلافا لابي حيان قد جعل الله اي الملك الذي

Copyright © King Saud University

لا كفو له ولا معقب لحكمه جعلا مطلقا من غير تقييد بجهة
ولا حيثية لكل شيء كرخا وشدة قدرا اي تقديرا
لا يتعداه في مقداره وزمانه وجميع عوارضه واحواله
وان اجتهد جميع الخلائق في ان يتعداه فمن توكل استفاد
الاجر وخفف عنه الالم وقذف في قلبه السكينة ومن
لم يتوكل لم ينفعه ذلك وزاد المه وطال غمه وشدة
سعيه وخيبته امثاله التي يعتقد انها في المحنة فمن
رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط جف القلم فلا يزاد
في المقادير شيء ولا ينتقص منها شيء ولا ينقص منها شيء
ويحكى ان رجلا اتى عمر فقال اولني مما اولاك الله فقال
اتقرا القران قال لا قال انا لا نولي من لا يقرا القران
فانصرف الرجل واجتهد حتى تعلم القران تخلف عن
عمر فراه ذات يوم فقال يا هذا اهجرتنا فقال يا امير المومنين
لست ممن يهجر ولكني تعلمت القران فاغناني الله عن
عمر وعن باب عمر قال في اي اية اغنيك قال قوله
تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا فمن توكل على غيره
سبحانه ضاع لانه لا يعلم المصالح وان علم لا يعلم
كيف يحصلها وهو سبحانه المنفرد بعلم ذلك كله ولا يعلم
حق علمه غيره تنبيه الاية تفهم ان من لم يتق
يتيسر عليه وهو موافق لما روي انه صلى الله عليه
وسلم قال لا يرد القدر الا الدعاء ولا يزيد في العمر

الا

الا البر وان الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه وتفهم
ان من لم يتوكل لم يكن شيئا من الاشيا وقال عبد
الله بن رافع لما نزل قوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو
حسبه قال اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فنحن
اذا توكلنا عليه نرسل ما كان لنا ولا نحفظ فنزل الله
بالغ امره فيكم وعليكم وقال الربيع ابن خيثم ان الله
قضى على نفسه ان من توكل عليه كفاه ومن امن
به هداه ومن اقرضه جازاه ومن وثق به نجاه
ومن دعاه اجاب له وتصديق ذلك في
كتاب الله ومن يومن بالله يهد قلبه ومن يتوكل
على الله فهو حسبه ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضعفه
لكم ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم
واذا سالك عبادي عني فاني قريب اجيب
دعوة الداعي اذا دعان ولما بين تعالى امر الطلاق
والرجعة في التي تحيض وكانوا قد عرفوا عدة ذوات
الاقراء عرفهم في هذه السورة عدة التي لا ترى
الدم قال ابو عثمان عمر ابن سليمان نزلت عدة
النسا في سورة البقرة في المطلقة والمتوفى عنها زوجها
قال ابي اي ابن كعب يا رسول الله ان ناسا يقولون قد
بقي من النسا من لم يذكر فيهن شيء الصغار والكبار
وذوات الحمل فنزل واللائي يئسن اي من المطلقات

عفه

Copyright © King Saud University

من المحيض اي الحيض الاية وقال مقاتل لما ذكر قوله
تعالى والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلثة قروء قال
خلاد بن النعمان يا رسول الله فما عدة التي لم تحض
وعدة التي انقطع حيضها وعدة الحبلى فنزلت
وقيل ان معاذ بن جبل سال عن عدة الكبيرة التي
يئست فنزلت وقال مجاهد الاية واردة في المستحا
ضة لا تدري دم حيض هو او دم علة واختلف
في سن الياس فالذي قال به الاكثرون انه اثنان
وستون سنة وقيل خمس وخمسون وقيل ستون
وقيل سبعون ولما كان هذا الحكم خاصا بازواج
المسلمين لحرمة فرشهم وحفظا لانسابهم قال
تعالى من نسائكم اي ايها المسلمون سواكن مسلمات
او من اهل الكتاب ان ارتبتم اي شككتم في عد
تهن فعدتهن ثلثة اشهر كل شهر يقوم مقام حيضة
لان اغلب عوائد النساء ان يكون كل قرء في شهر
واللائي لم يحضن اي لصغرهن او لانهن لا حيض
لهن اصلا وان كن بالغات فعدتهن ثلثة اشهر
ايضا هذا كله في غير المتوفى عنهن ازواجهن اما هن
فعدتهن ما في اية يتربصن بانفسهن اربعة اشهر
وعشرا وقرأ ورش والبزي في الموضعين ابن عامر والكوفيون
بالهمز وياء بعده وقرأ قالون وقنبل بالهمز ولا

يا

١٢٩

ياء بعده وللبزي وابي عمرو ايضا ابدال الهمز ياء ساكنة
مع المد للحجز ولما فرغ من ذكر الحوائل اتبعه ذكر الحوا مل
بقوله تعالى واولات الاحمال اي من جميع الزوجات
المسلمات والكافرات المطلقات والمتوفى عنهن اجلهن
اي منتهى العدة سواء كان لهن مع الحمل حيض ام لا ان يضعن
حملهن وهذا كله على عمومه مخصص لاية يتربصن
بانفسهن اربعة اشهر وعشرا لان المحافظة على
عمومه اولى من المحافظة على عموم ذاك في قوله
تعالى ازواجا لان عموم هذه الاية بالذات لان الموصول
من صيغ العموم وعموم ازواجا بالعرض لانه بدل لا يصلح
لجميع الازواج في حال واحد والحكم معلل ههنا بوصف
الحملية بخلاف ذاك ولان هذه الاية متاخرة
النزول عن اية البقرة فتقديمها على تلك تخصيص
وتقديم تلك في العمل بعمومها رفع لما في الخاص
من الحكم فهو نسخ والاول هو الراجح للتوافق ولان
سبيعة بنت الحارث وضعت حملها بعد زوجها
بليال فاذن لها النبي صلى الله عليه وسلم ان تتزوج
تنبيه اذا وضعت المراة ما في بطنها من علقة او
مضغة حلت عند مالك وقال الشافعي واحمد وابو حنيفة
لا تحل الا بوضع ما يتبين فيه شيء من خلق الانسان
فان كانت حاملا بتوامين لم تنقض عدتها حتى تضع

الثاني منهما ولابد ان يكون الحمل منسوبا للذي العدة
اما اذا كان من زنا فلا حرمة له والعدة بالحيض ولما
كانت امور النساء في المعاشرة والمفارقة في غاية المشقة
كرر بالحث على التقوى اشارة الى ذلك وترغيبا في
لزوم ما حده سبحانه فقال عاطفا على ما تقديره فمن
لم يحفظ هذه الحدود عسر الله تعالى عليه اموره ومن
يتق الله اي يوجد الخوف من الملك الاعظم ايجادا مستمرا
ليجعل بينه وبين سخطه وقاية من طاعته امتثالا
للمامور واجتنابا للمنهي يجعل له اي يوجد ايجادا
مستمرا باستمرار التقوى ان الله لا يمل حتى تملوا
من امره اي كله في النكاح وغيره يسرا اي سهولة
وفرجا وخيرا في الدارين بالرفع والنفع وذلك اعظم
من مطلق المخرج المتقدم في الاية الاولى وقال
مقاتل ومن يتق الله في اجتناب معاصيه يجعل له
من امره يسرا في توفيقه لطاعته ذلك اي الامر
المذكور من جميع هذه الاحكام العالية المراتب امر
الله اي الملك الاعلى الذي له الكمال كله انزله اليكم
وبينه لكم ومن يتق الله اي الذي لا امر لاحد
معه في احكامه فيراعي حقوقها يكفر اي يغط
تغطية عظيمة عنه سيئاته ليتخلى عن المعيد الا فان
الحسنات يذهبن السيئات ويعظم له اجرا بان يبدله

سيانة

سياته حسنات ويوفيه اجرها في الدارين مضاعفة
فيتحلى بالقربات وهذا اعظم من مطلق اليسر اسكنوهن
قال الرازي اسكنوهن وما بعده بيان لما شرط من
التقوى في قوله تعالى ومن يتق الله كانه قيل كيف
نعمل بالتقوى في شان المعتدات فقيل اسكنوهن وقوله
تعالى من حيث سكنتم فيه وجهان احدهما ان من
للتبعيض قال الزمخشري مبعضها محذوف معناه
اسكنوهن مكانا من حيث سكنتم اي بعض مكان سكناكم
كقوله تعالى يغضوا من ابصارهم اي بعض ابصارهم
قال قتادة ان لم يكن الا بيت واحد اسكنها في بعض
جوانبه قال الرازي وقال الكسائي من صلة والمعنى
اسكنوهن حيث سكنتم والثاني انها لابتدا الغاية
قاله الحوفي وابو البقا قال ابو البقا والمعنى تسببوا
الى اسكانهن من الوجه الذي تسكنون انفسكم
ودل عليه قوله تعالى من وجدكم اي من وسعكم
اي مما تطيقونه وفي اعرابه وجهان احدهما انه
عطف بيان لقوله تعالى من حيث سكنتم واليه ذهب
الزمخشري وتبعه البيضاوي قال ابن عادل اظهرها
انه بدل من قوله من حيث بتكرار العامل واليه
ذهب ابو البقا كانه قيل اسكنوهن من وسعكم
ولا تضاروهن اي حال السكنى في المسكن ولا غيره

كم

Copyright © King Saud University

غيره **لتضيقوا عليهن** حتى يلجيهن الى الخروج **وان كن** اي المطلقات **اولات حمل** اي من الازواج من طلاق باين او رجعي **فانفقوا عليهن** وان مضت الاشهر **حتى يضعن حملهن** فيخرجن من العدة وهذا يدل على اختصاصها من استحقاق النفقة بالحامل من المعتدات البوائن والاحاديث تويده قال القرطبي اختلف العلما في المطلقة ثلاثا على ثلثة اقوال فمذهب مالك والشافعي ان لها السكنى ولا النفقة لها ومذهب ابي حنيفة واصحابه ان لها السكنى والنفقة ومذهب احمد واسحاق وابي ثور لا نفقة لها ولا سكنى لحديث فاطمة بنت قيس قالت دخلت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعي اخو زوجي فقلت ان زوجي طلقني وان هذا يزعم ان ليس لي سكنى ولا نفقة قال بل لك السكنى والنفقة قال ان زوجها طلقها ثلاثا فقال صلى الله عليه وسلم انما السكنى والنفقة لمن له عليها رجعة فلما قدمت الكوفة طلبني الاسود بن يزيد ليسالني عن ذلك فان اصحاب عبد الله يقولون ان لها السكنى والنفقة وعن الشعبي قال لقيني الاسود بن يزيد فقال يا شعبي اتق الله وارجع عن حديث فاطمة بنت قيس فان عمر كان يجعل لها السكنى والنفقة قلت لا ارجع عن شي حدثتني فاطمة بنت قيس عن رسول

الله صلى الله عليه وسلم وانه لو كان لها سكنى لما امر النبي صلى الله عليه وسلم ان تعتد في بيت ابن ام مكتوم واجيب عن ذلك بما روت عائشة انها قالت كانت فاطمة في مكان وحش فخيف على ناحيتها وقال سعيد ابن المسيب انما نقلت فاطمة لطول لسانها على احمائها وقال قتادة وابن ابي ليلى لا سكنى الا للرجعية لقوله تعالى لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا وقوله تعالى اسكنوهن راجع لما قبله وهي المطلقة الرجعية **فان ارضعن لكم** اي بعد انقضاء علقة النكاح **فاتوهن اجورهن** اي على ذلك الارضاع وللرجل ان يستاجر امراته للرضاع كما يستاجر اجنبية ولا يجوز عند ابي حنيفة واصحابه الاستيجار اذا كان الولد منهن ما لم يبن ويجوز عند الشافعي مطلقا وقوله تعالى **واتمروا** الخطاب للازواج والزوجات اي ليامر بعضكم بعضا في الارضاع والاجر فيه وغير ذلك وليقبل بعضكم امر بعض وقال الكسائي ائتمروا تشاوروا وتلا قوله تعالى ان الملا ياتمرون بك وانشد قول امرء القيس ، ويعدوا على المرء ما ياتمر ، وزادهم رغبة في ذلك بقوله تعالى **بينكم** اي ان هذا الخير لا يعدوكم واكد ذلك بقوله تعالى **بمعروف** وبكره سبحانه تخفيفا على الامة بالرضا بالمستطاع

Copyright © King Saud University

وهو يكون مع الاخلاق بالانصاف ومع النفس بالخلاف
وان تعاسرتم اي طلب كل منكم ما يعسر على الاخر كان
طلبت المراة الاجرة وطلب الزوج ارضاعها مجانا
فسترضع له اي الاب اخرى اي مرضعة غير الام ويغني
الله تعالى عنها وليس له ان يكرهها على ذلك نعم اذا لم
يقبل ثدي غيرها ولم يوجد غيرها اجبرت على ذلك
بالاجرة وهذا الحكم لا يختص بالمطلقة بل المنكوحة
كذلك واختلفوا فيمن يجب عليه رضاع الولد فقال
مالك رضاع الولد على الزوجة ما دامت الزوجية
الا لشرفها او موضعها فعلى الاب رضاعه يومئذ
في ماله وقال ابو حنيفة لا يجب على الام بحال وقيل
يجب عليها بكل حال ولو طلبت الام اجرة المثل وهناك
اجنبية ترضى بدون اجرة المثل او متبرعة تخير
الاب بينهما وان تضيق على الاب بدفع الاجرة
لانه صلى الله عليه وسلم ما خير بين امرين الا اختار
ايسرهما ما لم يكن اثما او قطيعة رحم وقرا ابو عمرو
وحمزة والكسائي بالامالة محضة وقرا ورش
بين بين والباقون بالفتح لينفق ذو سعة اي مال
واسع ولم يكلف تعالى جميع وسعه بل قال تعالى من
سعته اي لينفق الزوج على زوجته وولده الصغير
على قدر وسعه فيوسع اذا كان موسعا عليه ومن قدر
اي

اي ضيق عليه رزقه فعلى قدر ذلك فيقدر النفقة
بحسب حال المنفق والحاجة من المنفق عليه بالاجتهاد
على مجرى العادة قال تعالى وعلى المولود له رزقهن
وكسوتهن بالمعروف وقال صلى الله عليه وسلم لهند
خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف لكن نفقة الزوجة
مقدرة عند الشافعي محدودة فلا اجتهاد للحاكم ولا
للمفتي فيها وتقديرها هو بحسب حال الزوج وحده
من يسره وعسره ولا اعتبار بحالها فيجب لابنة
الخليفة ما يجب لابنة الحارث فيلزم الزوج الموسر
مدان والمتوسط مد ونصف والفقير مد لظاهر
قوله تعالى لينفق ذو سعة من سعته فجعل الاعتبار
بالزوج في اليسر والعسر ولان الاعتبار بحالها يؤدي
الى الخصومة لان الزوج يدعي انها تطلب فوق كفايتها
وهي تزعم انها تطلب قدر كفايتها فقدرت قطعا
للخصومة وقوله تعالى فلينفق اي وجوبا على
المرضع وغيرها من كل ما اوجبه الله تعالى عليه
مما اتاه الله اي الملك الذي لا ينفد ما عنده
ولو من راس المال ومتاع البيت لا يكلف الله اي
الذي له الكمال كله نفسا اي نفس كانت الا ما اتاها
اي اعطاها من المال سيجعل الله اي الملك الذي له
الكمال كله فلا خلف لوعده بعد عسر اي بعد كل عسر

Copyright © King Saud University

نكرا وقد صدق الله وعده فمن كانوا موجودين بعد
نزول الاية ففتح عليهم جميع جزيرة العرب ثم فارس
والروم حتى صاروا اغنى الناس وصدق الاية
دايم غيرانه في الصحابة رضي الله تعالى عنهم
ونفعنا بهم امين لان اليا نفهم انتم قال القشيري وانتظار
اليسر من الله صفة المتوسطين في الاحوال الذين
انحطوا عن درجة الرضى وارتقوا عن حد اليأس
والقنوط ويعيشون في افنا الرجال ويتعللون بحسن
المواعيد انتهى ولما ذكر الاحكام والمواعظ والترغيب
لمن اطاع حذر من خالف بقوله تعالى **وكاين** هي
كاف الجر دخلت على اي بمعنى كم **من قرية** اي وكثير
من القرى وقراءة ابن كثير بالالف بعد الكاف وبعد
الالف همزة مكسورة وقفا ووصلا وقراءة البا
قون في الوصل بهمزة مفتوحة بعد الكاف وبعدها
تحتية مكسورة مشددة وعبر عن اهل القرية
بها مبالغة فقال **عتت** اي استكبرت وجاوزت
الحد في عصيانها وطغيانها فاعرضت عنادا **عن
امر ربها** اي الذي احسن اليها ولا محسن اليها غيره
ورسله فلم تقبل منهم ما جاوا به عن الله تعالى
فان طاعتهم من طاعته **فحاسبناها** اي في الاخرة
وان لم تجي لتحقق وقوعها **حسابا شديدا** اي بالمنا

قتة

بالمناقشة والاستقصا **وعذبناها عذابا نكرا** اي
منكرا فظيعا وهو عذاب النار وقيل العذاب في الدنيا
فيكون على حقيقته اي جازيناها بالعذاب في الدنيا
وعذبناها عذابا نكرا في الاخرة وقيل في الكلام
تقديم وتاخير اي فعذبناها عذابا نكرا في الدنيا
بالجوع والقحط والسيف والخسف والمسخ وساير المصايب
وحاسبناها في الاخرة حسابا شديدا وقراءة نافع
وابن ذكوان وشعبة بضم الكاف والباقون سكونها
فذاقت اي فتسبب عن ذلك انها ذاقت **وبال**
اي عقوبة **امرها** اي كفرها **وكان عاقبة امرها
خسرا** اي في الدنيا بالاسر وضرب الجزية وغير ذلك
وفي الاخرة بعذاب النار فان من زرع الشوك كما قال
القشيري لا يجني الورد ومن اضاع حق الله تعالى
لا يطاع في حظ نفسه ومن احترق بمخالفة امر الله
تعالى فليصبر على عقوبته ثم استانف الجواب
عمن يقول هل لها غير هذا في غير هذه الدار بقوله
تعالى **اعد الله** اي الملك الاعظم **لهم** بعد الموت وبعد
البعث **عذابا شديدا** وفي ذلك تكرير للوعيد وبيان
لما يوجب التقوى المامور بها **فاتقوا الله** اي الذي له
الامر كله بامتثال اوامره واجتناب نواهيه **يا اولي
الالباب** اي يا اصحاب العقول الصافية النافذة من

Copyright © King Saud University

الظواهر الى البواطن وقوله تعالى الذين امنوا منصوب
باضمار اعني بيانا للمنادى في قوله تعالى يا اولي الالباب
او يكون عطف بيان للمنادى او نعتا له اي خلصوا من
دائرة الشرك واوجدوا الايمان حقيقة قد انزل الله
اي الذي له صفات الكمال اليكم ذكرا هو القران وفي
نصب رسولا وجوه احدها قال الزجاج والفارسي
انه منصوب بالمصدر المنون قبله لانه ينحل لحرف
مصدري وفعل كانه قيل ان ذكر رسوله ويكون ذكره
الرسول قوله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمصدر المنون عامل كقوله تعالى او اطعام في يوم
ذي مسغبة يتيما الثاني جعل نفس الذكر فابدل
منه ويكون محمولا على المعنى كانه قال قد اظهر لكم ذكرا
رسوله فيكون من باب بدل الشي من الشي وهو هو
الثالث انه بدل منه على حذف مضاف من الاول
تقديره انزل ذا ذكر رسولا الرابع انه بدل منه على
حذف مضاف من الثاني اي ذكر رسول الخامس
انه منصوب بفعل مقدر اي وارسل رسولا يتلوا
عليكم ايات الله هي دلائل الملك الاعظم
الظاهرة جدا حال كونها مبينات اي لا لبس فيها
بوجه واختلف الناس في رسولا فقيل هو النبي صلى
الله عليه وسلم او جبريل والاكثر على الاول واقتصر عليه

الجلال

الجلال المحلي واقتصر الزمخشري على الثاني وهو قول الكلبي
وقرا ابن عامر وحفص وحمزة والكسائي بكسر الباء بعد الموحدة
والباقون بالفتح ليخرج الذين امنوا اي اقروا بالشهادتين
وعملوا تصديقا لما قالوه بالسنتهم وتحقيقا لانه من
قلوبهم الصالحات اي ليحصل لهم ما هم عليه الان
من الايمان والعمل الصالح او ليخرج من علم او قدر انه
مومن من الظلمات اي الضلالة الى النور اي الهدى ومن
يومن بالله اي يجدد في كل وقت على الدوام الايمان
بالملك الاعلى بانه لا يزال في ترق في معارج معارفه
ويعمل على التجديد المستمر صالحا لله وفي الله فله
دوام النعيم وهو معنى ادخاله الجنة كما قال تعالى
يدخله اي عاجلا مجازا بما يفتح الله له من لذات المعارف
ويفتح له من الانس واجلا حقيقة جنات اي بساتين
هي في غاية ما يكون من جمع جميع الاشجار وحسن الدار
وبين دوام ريها بقوله تعالى تجري من تحتها اي من
تحت غرفها الانهار فهي في غاية الري بحيث ان
ساكنها يجريها في اي موضع اراده وقرا نافع وابن
عامر ندخله بالنون والباقون بالياء التحتية خالدين
فيها اكد معنى الخلود بقوله تعالى قد احسن الله اي الملك
الاعلى ذو الجلال والاكرام له اي خاصة رزقا
اي عظيما عجيبا فيه تعجب وتعظيم لما رزقوا من الثواب

Copyright © King Saud University

وقال القشيري المحن ما كان على حد الكفاية لا نقصان ع
فيه فيتعطل عن اموره بسببه ولا زيادة تشغله عن الاستمتا
بالرزق لحرصه كذلك ارزاق القلوب احسنها ان يكون
له من الاحوال ما يستقل بها من غير نقصان ولا زيادة
لا يقدر على الاستمرار عليها ثم بين كمال قدرته بقوله تعالى
الله اي الذي له جميع صفات الكمال التي القدرة الشاملة
احدها الذي خلق اي اوجد وحده من العدم بقدرته
على ما فوق ما دبر بعلمه على هذا المنوال الغريب البديع
سبع سموات اي وانتم تشهدون عظمة ذلك وتشهدون
انه لا يقدر عليه الا تام القدرة والعلم الكامل ومن
الارض مثلهن اي سبعا كما كون السموات سبعا
بعضها فوق بعض فلا خلاف فيه لحديث الاسرا وغيره
واما الارضون فقال الجمهور انها سبع ارضين طباقا
بعضها فوق بعض بين كل ارض وارض مسافة كما بين
السماء والارض وفي كل ارض سكان من خلق الله وقال
الضحاك انها سبع ارضين ولكنها منطبقة بعضها على
بعض من غير فتوق بخلاف السموات قال القرطبي والاول
اصح لان الاخبار دالة عليه كما روى البخاري وغيره
روى ابو مروان عن ابيه ان كعبا حلف له بالذي فلق
البحر لموسى ان صهيبا حدثه ان محمدا صلى الله عليه وسلم
لم ير قرية يريد دخولها الا قال حين يراها اللهم

رب السموات السبع وما اظللن ورب الارضين السبع وما
اقللن ورب الشياطين وما اضللن ورب الرياح وما
اذرين انا نسالك خير هذه القرية وخير اهلها ونعوذ
بك من شرها وشر اهلها وشر من فيها وروى مسلم
عن سعيد بن زيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول من ظلم قيد شبر من ارض طوقه يوم القيامة
من سبع ارضين قال البقاعي ورايت في العقد حقيقة
حديثا صحيحا لكني لا ادري حاله ذكره ابن برجان في اسمه
تعالى الملك من شرح اسماء الله الحسنى قال ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال اتدرون ما تحت ما حمده
الارض قال الله ورسوله اعلم حتى عد سبع ارضين
ثم رايته في الترمذي عن ابي رزين العقيلي ولفظه
هل تدرون ما الذي تحتكم قالوا الله ورسوله اعلم
قال انها الارض ثم قال اتدرون ما تحت ذلك قالوا
الله ورسوله اعلم قال ان تحتها ارضا اخرى
خمسمائة سنة حتى عد سبع ارضين بين كل ارضين
مسيرة خمسمائة سنة ثم رايت في الفردوس عن ابن
مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما بين السما
الى السما خمسمائة عام وعرض كل سماء وثخانة كل سما
خمسمائة عام وما بين السما السابعة وبين الكرسي
والعرش مثل ذلك وما بين السماء الى الارض مسيرة

Copyright © King Saud University

خمسمائة عام والارضون وعرضهن وتخانتهن مثل ذلك
انتهى قال الماوردي وعلي انها سبع ارضين يختص دعوة
اهل الاسلام بالارض العليا ولا يلزم من في غيرها
من الارضين وان كان فيها من يعقل من خلق مميز
وفي مشاهدتهم السما واستمدادهم الضوء منها قولان
احدهما انهم يشاهدون السما من كل جانب من ارضهم
ويستمدون الضيا منها قال ابن عادل وهذا قول من
جعل الارض مبسوطة الثاني انهم لا يشاهدون
السما وان الله تعالى خلق لهم ضيا يستمدونه قال ابن
عادل وهذا قول من جعل الارض كرة وحكى الكلبي
عن ابي صالح عن ابن عباس انها سبع ارضين منبسطة
ليس بعضها فوق بعض تفرق بينها البحار وتظل جميعهم
السما فعلى هذا ان لم يكن لاحد من اهل الارض
وصول الى ارض اخرى اختصت دعوة الاسلام
بهذه الارض وان كان لقوم منهم وصول الى ارض اخرى
احتمل ان تلزمهم دعوة الاسلام لامكان الوصول
اليهم لان فصل البحار اذا امكن سلوكها لا يمنع من
لزوم ما عم حكمه واحتمل ان لا تلزمهم دعوة الاسلام
لانها لو لزمتهم لكان النص بها واردا ولكان النبي
صلى الله عليه وسلم بها مامورا وقال بعض السماء في
اللغة عبارة عما علاك فالاولى بالنسبة الى السماء

الثانية

١٣٦
الثانية ارض وكذلك السماء الثانية بالنسبة الى الثالثة
ارض وكذلك البقية بالنسبة الى ما تحته وبالنسبة الى
ما فوقه ارض فعلى هذا تكون السموات السبع وهذه
الارض الواحدة سبع سموات وسبع ارضين يتنزل اي
بالتدريج الامر قال مقاتل وغيره اي الوحي وعلى
هذا يكون قوله تعالى بينهن اشارة الى بين هذه
الارض العليا التي هي اولاها وبين السماء السابعة
التي هي اعلاها والاكثرون على ان الامر هو القضا والقدر
فعلى هذا يكون المراد بقوله تعالى بينهن اشارة الى
ما بين الارض السفلى التي هي اقصاها وبين السماء السا بعة
التي هي اعلاها فيجري امر الله وقضاؤه بينهن وينفذ
حكمه فيهن وعن قتادة في كل ارض من ارضه وسماء
من سمائه خلق من خلقه وامر من امره وقضا
من قضائه وقيل هو ما يدبر فيهن من عجائب
تدبيره وعن ابن عباس ان نافع بن الازرق سأله
هل تحت الارضين خلق قال نعم قال فما الخلق قال
اما ملائكة او جن وقال مجاهد يتنزل الامر من
السموات السبع الى الارضين السبع وقال الحسن بين
كل سماءين ارض وامر وقيل يتنزل الامر بينهن بحياة
بعض وموت بعض وغنا قوم وفقر قوم وقيل ما يدبر
فيهن من عجيب تدبيره فينزل المطر ويخرج النبات

Copyright © King Saud University

ويأتي بالليل والنهار والصيف والشتا ويخلق الحيوانات
علي اختلاف انواعها وهياتها فينقلهم من حال الي
حال قال ابن كيسان وهذا علي اتساع اللغة كما يقال
للموت امر الله وللريح والسحاب ونحوها وقوله تعالي
لتعلموا متعلق بمحذوف اي اعلمكم بذلك الخلق والانزال
لتعلموا ان الله اي الملك الاعلي الذي له الاحاطة
كلها علي كل شي اي من غير هذا العالم يمكن ان يدخل
تحت المشية قدير اي بالغ القدرة فيأتي بعالم اخر مثل
هذا العالم وابدع من ذلك الي ما لا نهاية له بالا
ستدلال بهذا العالم فان من قدر علي ايجاد ذرة
من العدم قدر علي ايجاد ما هو دونها ومثلها وفوقها
الي ما لا نهاية لذلك لانه لا فرق في ذلك بين قليل وكثير
جليل وحقير ما في خلق الرحمن من تفاوت قال
البقاعي واياك ان تصغي الي من قال انه ليس في الامكان
ابدع من هذا العالم فانه مذهب فلسفي خبيث
والاية نص في ابطاله وان نسبه بعض الملحدين الي
الغزالي فاني لا اشك ان الغزالي كما بينت ذلك في كتابي
دلالة البرهان علي ان في الامكان ابدع مما كان قال
ومع كونه مذهب الفلاسفة اخذه اكثر المارقين ابن
عربي واودعه في فصوصه وغير ذلك من كتبه واسنده
في بعضها الغزالي والغزالي بري منه بشهادة ما وجد

من

من عقايده في الاحيا وغيره انتهى والبقاعي ممن يقول
بكفر ابن عربي وابن المقري يقول بكفره وكفر طايفته وقد
تقدم الجواب عن كلامهم وان الله اي الذي له جميع
صفات الكمال قد احاط لتمام قدرته بكل شي مطلقا علما
فله الخبرة التامة بما يأمر به من الاحكام في العالم بمصالحه
ومفاسده فلا يخرج شي من علمه وقدرته فعاملوه
معاملة من يعلم انه رقيب عليه تسلموا في الدنيا وتسعدوا
في الاخرة تنبيه علما منصوب علي المصدر
المؤكد لان احاط بمعنى علم وقيل بمعنى وان الله احاط
من احاطته علما وما قاله البيضاوي تبعا للزمخشري
من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الطلاق
مات علي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث
موضوع

سورة التحريم مدنية

وهي ثنتا عشرة اية وماتيان واربعون كلمة والف وستون
حرفا بسم الله الذي له الكمال كله علي الدوام الرحمن
الذي عم عباده بعظيم الانعام الرحيم الذي اتم
علي خواصه نعمة الاسلام واختلف في سبب نزول قوله
تعالي يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله الذي له الامر
لاحد معه لك فقالت عايشة ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان عند زينب بنت جحش فشرب عندها

Copyright © King Saud University

علا قالت فتواطات انا وحفصة ان ايتنا دخل النبي
صلى الله عليه وسلم علينا فلتقل اني اجد منك ريح
مغافير فدخل على احداهما فقالت له ذلك فقال بل شربت
عسلا عند زينب بنت جحش ولن اعود له فنزل لم تحرم
ما احل الله الى قوله تعالى ان تتوبا لعائشة وحفصة
وعنها ايضا قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يحب الحلوى والعسل فكان اذا صلى العصر دار على
نسائه فدخل على حفصة فاحتبس عندها اكثر مما كان
يحتبس فسألت عن ذلك فقيل لي اهدت لها امراة
من قومها عكة عسل فسقت رسول الله صلى الله
صلى الله عليه وسلم منه شربة فقلت اما والله
لنحتالن له فذكرت ذلك لسودة وقلت اذا دخل
عليك فانه سيدنو منك فقولي له يا رسول الله اكلت
مغافير فانه سيقول لك لا فقولي ما هذه الريح وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتد عليه ان يوجد
منه ريح فانه سيقول لك سقتني حفصة شربة عسل
فقولي له جرست نحله العرفط وسأقول ذلك له وقولي
انت يا صفية ذلك فلما دخل على سودة قالت سودة
والله الذي لا اله الا هو لقد كدت ان اباديه بالذي
قلت وانه لعلى الباب فرقا منك فلما دنى رسول
الله صلى الله عليه وسلم قلت يا رسول الله اكلت مغافير

قال

قال لا قلت فما هذه الريح قال سقتني حفصة شربة عسل
قالت جرست نحله العرفط فلما دخل علي قلت مثل ذلك
ثم دخل على صفية فقالت مثل ذلك فلما دخل على
حفصة قالت يا رسول الله لا اسقيك منه قال لا حاجة
لي به قالت تقول سودة سبحان الله لقد حرمناه قالت
قلت لها اسكتي ففي هذه الروايات التي شرب عندها
النبي صلى الله عليه وسلم حفصة وفي الاولى زينب
وروى ابن ابي مليكة عن ابن عباس انه شربه عند
سودة وقيل الشافعي ام سلمة رواه اسباط عن السدي
وقاله عطا بن ابي مسلم تنبيه شرح غريب الفاظ
الحديثين وما يتعلق بهما قولها كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يحب الحلوى والعسل الحلوا بالمد
والقصر قال في المصباح وهو كل شي حلو وذكر العسل
بعدها وان كان داخلا في جملة الحلوى تنبيها على شرفه
ومزيته وهو من باب الخاص بعد العام وقولها
فتواطات انا وحفصة هكذا وقع في الرواية واصله
فتواطات بالهمز اي اتفقت انا وحفصة وقولها اني لاجد
منك ريح مغافير وهو بغين معجمة وفاء بعدها يا وهو
صمغ حلو كالناطف وله رائحة كريهة ينضحه شجر يقال
له العرفط بضم العين المهملة والفا يكون بالحجاز وقيل
العرفط نبات له ورق يفرش على الارض له شوكة وثمرة

Copyright © King Saud University

خبيث الرايحة وقال اهل اللغة العرفط من شجر العضاه
وهو كل شجر له شوك وقيل رايحته كرايحة النبيذ
وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكره ان توجد منه رايحة
كريهة وقولها جرست نحلة العرفط بالجيم والرا وبالسين
المهملتين ومعناه اكلت نحلة العرفط فصار منه العسل
قال القاضي عياض والصواب ان شرب العسل كان
عند زينب بنت جحش ذكره النووي في شرح مسلم وكذا
ذكره ايضا القرطبي وقال اكثر المفسرين في سبب نزول ذلك
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقسم بين نسايه فلما
كان يوم حفصة استاذنت رسول الله صلى الله عليه
وسلم في زيارة ابيها فاذن لها فلما خرجت ارسل رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى جاريته مارية القبطية
فادخلها بيت حفصة فوقع عليها فلما رجعت حفصة
وجدت الباب مغلقا فجلست عند الباب فخرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجهه يقطر عرقا
وحفصة تبكي فقال صلى الله عليه وسلم ما يبكيك
فقالت انما اذنت لي من اجل ذلك ادخلت امتك بيتي
ثم وقعت عليها في يومي على فراشي اما رايت لي حرمة
وحقا ما كنت تصنع هذا بامراة منهن فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اليس هذا جاريتي قد احلها
الله لي فهي حرام علي التمس بذلك رضاك فلا تخبري

بهذا

بهذا امراة منهن فلما خرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم قرعت حفصة الجدار الذي بينها وبين عايشة
فقالت الا ابشرك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد حرم عليه امته مارية وان الله قد اراحنا منها
واخبرت عايشة بما رات وكانتا متصافيتين فغضبت
عايشة فلم يزل نبي الله صلى الله عليه وسلم حتى حلف
ان لا يقربها وعن انس ابن مالك ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان له امة يطاوها فلم تزل عايشة
وحفصة حتى حرمها على نفسه فانزل الله تعالى
يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك الاية اخرجه
النساي فان قيل قوله تعالى لم تحرم ما احل الله
لك يوهم ان هذا الخطاب بطريق العتاب وخطاب
النبي صلى الله عليه وسلم بنا في ذلك لما فيه من
التشريف والتعظيم اجيب بانه ليس
بطريق العتاب بل بطريق التنبيه على ان ما صدر
منه لم يكن على ما ينبغي فان قيل تحريم ما احل الله
غير ممكن فكيف قال لم تحرم ما احل الله لك اجيب
بان المراد بهذا التحريم هو الامتناع من الانتفاع
بالازواج لا اعتقاد كونه حراما بعد ما احله الله تعالى
والنبي صلى الله عليه وسلم امتنع عن الانتفاع بها
مع اعتقاد كونها حلالا فان من اعتقد ان هذا

هو تحريم ما احل الله له فقد كفر فكيف يضاف الى النبي
صلى الله عليه وسلم تبتغي اي تريد ارادة عظيمة
من مكان اخلاقك وحسن صحبتك مرضات ازواجك
اي الاحوال والامور والمواضع التي يرضين بها وهي
اولى بان يبتغين رضاك وكذا جميع الخلق لتتفرغ
لما يوحى اليك من ربك لكن ذلك للزوجات آكد
والله اي الملك الاعلى غفور رحيم اي محاء ستور
لما يأتي على خلص عباده مكرم لهم فقد غفر لك
هذا التحريم ثم علل وبين ذلك بقوله تعالى قد
فرض الله اي قدر ذو الجلال والاكرام الذي لا شريك
له ولا امر لاحد معه وعبر بالفرض حثا على
قبول الرخصة اشارة الى ان ذلك لا يقدح في
الورع ولا يخل بحرمة اسم الله تعالى لان اهل
الهمم العوال لا يجوزون النقلة عن عزيمة الى
رخصة بل من رخصة الى عزيمة الى مثلها ولما
كان التخفيف على امته تعظيما له صلى الله عليه
وسلم قال تعالى لكم ايتها الامة التي انت راسها
تحلة اي تحليل ايمانكم بالكفارة المذكورة
في سورة المائدة وقيل قد شرع الله تعالى لكم
الاستثناء في ايمانكم من قولك حلله فلان في
يمينه اذا استثنى بمعنى استثن في يمينك اذا

اطلقها

اطلقتها بان تقول ان شاء الله متصلا بحلفك وتنويه
قبل الفراغ منه واختلف اهل العلم في لفظ التحريم فقال قوم
هو ليس بيمين فان قال لزوجته انت حرام او حرمتك
فان نوى بها طلاقا فهو طلاق وان نوى بها ظهارا فهو
ظهار وان نوى تحريم ذاتها او اطلق فعليه كفارة
يمين وان قال لطعام حرمته على نفسي فلا شيء عليه
وهذا قول ابن مسعود واليه ذهب الشافعي وروى
الدارقطني عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انه اتاه
رجل فقال اني جعلت امرأتي علي حراما فقال كذبت
ليست عليك بحرام وتلا هذه الآية وذهب جماعة
الى انه يمين فان قال ذلك لزوجته او جاريته فلا تجب
الكفارة عليه ما لم يأكل يروى ذلك عن ابي بكر وعائشة
وبه قال الاوزاعي وابو حنيفة وعند ابي حنيفة ان
نوى الطلاق بالحرام كان بائنا وان قال كل حلال علي
حرام فعلى الطعام والشراب اذا لم ينو والا فعلى ما نوى
نقله الزمخشري وعن عمر اذا نوى الطلاق فرجعي وعن علي
ثلاث وعن زيد واحدة بائنة وعن ابن عباس قال اذا
حرم الرجل امرأته فهي يمين يكفرها فقال لقد كان لكم
في رسول الله اسوة حسنة قال مقاتل فاعتق رسول
الله صلى الله عليه وسلم في هذه الواقعة رقبة قال
زيد بن اسلم وعاد الى مارية وقال الحسن لم يكفر

Copyright © King Saud University

لانه مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وكفارة
النهي في هذه السورة انما امر بها الامة قال ابن عادل
والاول اصح وان كان المراد بذلك النبي صلى الله عليه
وسلم ثم الامة تقتدي به في ذلك والله اي والحال ان
المختص باوصاف الكمال مولاكم اي يفعل معكم فعل
القريب الصديق فهو سيدكم ومتولي اموركم وهو اي
وحده العزيز اي البالغ العلم بمصالحكم وغيرها
الى ما لا نهاية له الحكيم اي الذي يضع كل ما يصدر
عنه لكم في اتقن محاله بحيث لا يقدر غيره ان يغيره
والاتيان منه والعامل في قوله تعالى واذ اذكر فهو
مفعول به لا ظرف والمعنى اذكر اذ اسر النبي اي
الذي شانه ان يرفعه الله تعالى دائما فانه ما ينطق
عن الهوى الى بعض ازواجه وابهمها ولم يعينها
تنويها له صلى الله عليه وسلم ونبهها وهي حفصة
صيانة لهن لان حرمتهن من حرمته صلى الله عليه
وسلم حديثا ليس هو من شان الرسالة ولو كان من
شانها لعم به ولم يخص به ولا اسره وذلك هو
تحريمه فتاته على نفسه وقوله لحفصة لا تخبري بذلك
احدا وقال سعيد ابن جبير عن ابن عباس اسر امر الخلافة
بعده فحدثت حفصة وقال الكلبي اسر اليها ان اباك
وابا عائشة يكونان خليفتي على امتي من بعدي

وقال

وقال ميمون بن مهران اسر ان ابا بكر خليفتي من بعدي
فلما نبات اي اخبرت به عائشة ظنا منها انه لا حرج
عليها في ذلك واظهره الله اي اطلعه الملك الذي له
الاحاطة بكل شيء عرف اي الحديث على لسان جبريل
عليه السلام بانه قد افشي مناصحة له في اعلامه بما
يقع في غيبته ليحذره ان كان شرا ويثبت عليه
ان كان خيرا وقيل اظهر الله الحديث على النبي من الظهور
عرف اي النبي صلى الله عليه وسلم التي اسرت اليها بعضه
اي بعض ما فعلت واعرض عن بعض اي اعلام ببعض
تكرما منه ان يستقصي في العتابات وحيا وحسن
عشرة قال الحسن ما استقصى كريم قط وقال سفيان
ما زال التغافل من فعل الكرام وانما نبهها على ذكر
الامامة واعرض عن ذكر الخلافة خوفا من ان ينتشر في
الناس فربما اثار حسد بعض المنافقين وارث
الحقود للصديق كيدا وقال بعض المفسرين انه اسر الى
حفصة شيئا فحدثت به غيرها فطلقها مجازاة على
بعضه ولم يواخذها بالباقي وهو من قبيل قوله
تعالى وما تفعلوا من خير يعلمه الله اي يجازيكم عليه
وقيل المعرف حديث الامامة والمعرض عنه حديث
مارية وروي انها قالت لها ويلك الا اقل لك الحق
علي قالت والذي بعثك بالحق نبيا ما ملكت نفسي فرحا

Copyright © King Saud University

بالكرامة التي خص الله تعالى بها اباها فلما نبأها به اي
بما فعلت على وجه لم يغادر من ذلك الذي عرفه به شيئا
منه ولا من عوارضه لتزداد بصيرة روي انها قالت
لعائشة سرا فانا على انها لا تظهره قاله الملوي وهو
معنى قوله تعالى قالت اي ظنا منها ان عائشة افشت
عليها من انباك هذا اي من اخبرك اي افشت السر
قال نبأني وحذف المتعلق اختصارا للفظ وتكثيرا
للمعنى بالتعميم اشارة الى انه اخبره بجميع ما دار بينهما
وبين عائشة علمه على اتم ما كان العليم اي المحيط
العلم الخبير اي المطلع على الضمائر والظواهر فهو اولى
ان يحذر فلا يتكلم سرا وجهرا الا بما يرضيه وقوله
تعالى ان تتوبا الى الله اي الملك الاعظم شرط وفي جوابه
وجهان احدهما قوله تعالى فقد صغت قلوبكما والمعنى
ان تتوبا فقد وجد منكما ما يوجب التوبة وهو ميل
قلوبكما عن الواجب في مخالفة رسول الله صلى الله عليه
وسلم في حب ما يحب وكراهة ما يكره وصغت قلوبكما جواب
الشرط لان هذا الصغو كان سابقا فالشرط محذوف
للعلم به اي ان تتوبا كان خيرا لكما اذ قد صغت قلوبكما
الثاني ان الجواب محذوف تقديره فذلك واجب
عليكما او فتاب الله عليكما قاله ابو البقا ودل على المحذوف
فقد صغت لان اصغا القلب الى ذلك ذنب وكني بجمع

ان يكون جوابا وقد غفل عن المعنى الصحيح لكونه جوابا
تثنية قوله تعالى قلوبكما من افصح الكلام حيث اوقع
الجمع موقع المثنى استثقالا لمجيء تثنيتين لو قيل قلوبكما قلبا كما
ومن شان العرب اذا ذكروا الشيئين من اثنين جمعوهما
لانه لا يشكل وانه حسن في هذا الباب ثم الافراد
ثم التثنية كقوله

فتخالسا نفسيهما بنواقد

العنط الذي لم يرقع

وقال ابن عصفور لا يجوز الافراد الا في ضرورة كقوله

حمامة بطن الواديين ترنمي

سقاك من الغر الغوادي مطيرها

وتبعه ابو حيان وغلط ابن مالك في كونه جعل احسن
من التثنية قال ابن عادل وليس بغلط لكراهة
توالي تثنيتين مع امن اللبس وقوله تعالى ان تتوبا
فيه التفات من الغيبة الى الخطاب والمراد بهذا
الخطاب اما المومنين بنتا الشيخين الكريمين عائشة
وحفصة حثهما على التوبة على ما كان منهما من الميل
الى خلاف محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهما
احبا ما كره رسول الله صلى الله عليه وسلم من اجتناب
جاريته واجتناب العسل وكان صلى الله عليه وسلم
يحب العسل والنسا وقال ابن زيد مالت قلوبكما بان

سرها ان يحتبس عن ام ولده فحرمها ما كرهه رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقيل قد مالت قلوبكما بان سرهما
ان يحتبس عن ام ولده فحرمها ما كرهه رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقيل قد مالت قلوبكما الى التوبة روى
مسلم عن ابن عباس انه قال مكثت سنة وانا اريد
ان اسال عمر بن الخطاب عن اية فما استطيع ان اساله
هيبة له حتى خرج حاجا فخرجت معه فلما رجع
وكان ببعض الطريق عدل الى الاراك لحاجة له فوقفت حتى
فرغ ثم سرت معه باداوة ثم جا فسكبت على يده منها
فتوضا فلما رجع قلت يا امير المومنين من اللتان
تظاهرتا على النبي صلى الله عليه وسلم فقال تلك حفصة
وعايشة قال فقلت له والله ان كنت لاريد ان اسالك
عن هذا منذ سنة فما استطيع هيبة لك قال فلا تفعل
ما ظننت ان عندي من علم فسلني عنه فان كنت
اعلمه اخبرتك وفي رواية قال واعجبا لك يا ابن عباس
قال الزهري كره والله ما ساله عنه ولم يكتمه
قال هما عايشة وحفصة ما ساله عنه ثم اخذ يسوق
الحديث قال كنت انا وجار لي من الانصار وكان منزلي
في بني امية وهم من عوالي المدينة وكنا نتناوب
النزول على النبي صلى الله عليه وسلم فينزل يوما
وانزل يوما فاذا نزلت جئته بما حدث من خبر ذلك

اليوم

اليوم من الوحي او غيره واذا نزل فعل مثل ذلك وكنا
معشر قريش نغلب النسا فلما قدمنا المدينة على
الانصار اذا هم قوم تغلبهم نساوهم فطفق نساونا
يتعلمن من نسائهم فصخبت على امراتي فراجعتني فانكرت
ان تراجعني قالت لم تنكر ان اراجعك فوالله ان ازواج
النبي صلى الله عليه وسلم ليراجعنه وان احداهن
لتهجره اليوم حتى الليل فانطلقت فدخلت على حفصة
فقلت لها اي حفصة اتغاضب احداكن النبي صلى
الله عليه وسلم اليوم حتى الليل قالت نعم فقلت
قد خبت وخسرت افتامنين ان يغضب الله لغضب
رسوله لا تراجعي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تس
تاليه شيا وسليني ما بدا لك ولا يغرنك ان كانت
جارتك هي اوسم واحب الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم تريد عايشة قال عمر وكنا قد تحدثنا ان
غسان تنعل الخيل لتغزونا فنزل الانصاري يوما
نوبته ثم اتاني عشا فضرب بابي ضربا شديدا ففزعت
فخرجت اليه فقال قد حدث اليوم امر عظيم من ذلك
واهول طلق النبي صلى الله عليه وسلم نساءه فقلت
خابت حفصة وخسرت قد كنت اظن هذا يوشك
ان يكون حتى اذا صليت الصبح شددت علي ثيابي
ثم نزلت فدخلت على حفصة وهي تبكي

Copyright © King Saud University

فقلت اطلقهن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت
لا ادري ها هو ذا معتزل في المشربة فاتيت غلاما
له اسود فقلت استاذن لعمر فدخل ثم خرج الي
فقال قد ذكرتك له فصمت ثم انطلقت حتى اتيت المنبر
فاذا عنده رهط جلوس يبكي بعضهم فجلست قليلا
ثم غلبني ما اجد فاتيت الغلام فقلت استاذن
لعمر فدخل ثم خرج فقال ذكرتك له فصمت فوليت مدبرا
فاذا الغلام يدعوني فقال ادخل فقد اذن لك فدخلت
فسلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو
مضطجع على رمال حصير وليس بينه فرش قد
اثر الرمال بجنبه متكئا على وسادة من ادم
حشوها ليف ثم قلت وانا قائم يا رسول
الله اطلقت نساءك فرفع الي بصره وقال لا فقلت
الله اكبر ثم قلت وانا قائم لو رايتنا يا رسول الله
وكنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا المدينة
وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم فتبسم النبي صلى
الله عليه وسلم ثم قلت رسول الله لو رايتني دخلت
على حفصة فقلت لها لا يغرنك ان كانت جارتك
اوسم واحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد
عائشة فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم تبسمة
اخرى فجلست حين رايته تبسم فرفعت بصري

في بيته فوالله ما رايت فيه شيئا يرد البصر غير اهبة
ثلاثة فقلت يا رسول الله ادع الله فليوسع على
امتك فان فارسا والروم قد وسع عليهم واعطوا الدنيا
وهم لا يعبدون الله فجلس النبي صلى الله عليه
وسلم وكان متكئا وقال اوفي هذا انت يا ابن الخطاب
ان اولئك قوم عجلوا طيباتهم في حياتهم الدنيا فقلت
يا رسول الله استغفر الله لي فاعتزل النبي صلى
الله عليه وسلم من اجل ذلك الحديث حين افشته حفصة
الى عائشة تسعا وعشرين ليلة وكان قال ما انا بداخل
عليهن شهرا من شدة موجدته عليهن حين عاتبه
الله تعالى فلما مضت تسع وعشرون ليلة دخل على
عائشة فبدا بها فقالت له عائشة يا رسول الله انك
كنت اقسمت ان لا تدخل علينا شهرا وانما اصبحت
من تسع وعشرين ليلة اعدها فقال الشهر تسع وعشر
ليلة اعدها فقال الشهر تسع وعشرون وكان ذلك
الشهر تسعا وعشرين ليلة قالت عائشة ثم انزل الله
التخيير فبدا بي اول امراة من نسائه فاخترته
ثم خيرهن فقلن مثلها وفي رواية ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم جاءها حين امره الله ان يخير
ازواجه قالت فبدا بي رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال اني ذاكر لك امرا فلا عليك ان لا تستعجلي

حتى تستامري ابويك وقد علمت ان ابوي لم يكونا يامراني
بفراقه قالت ثم قال ان الله قال يا ايها النبي قل
لازواجك الى تمام الايتين فقلت افي هذا استامر
ابوي فاني اريد الله ورسوله والدار الاخرة وفي رواية
ان عائشة قالت له لا تخبر نساءك اني اخترتك فقال لها
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ارسلني مبلغا
وفي رواية قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم
فقلت يا رسول الله ما يشق عليك من امر النسا فان
كنت طلقتهن فان الله معك وملايكته وجبريل
وميكال وانا وابو بكر والمومنون معك واقل ما تكلمت
واحمد الله بكلام الا رجوت ان الله يصدق قولي الذي
اقول ونزلت هذه الاية عسى ربه ان طلقكن ان
يبدله ازواجا خيرا منكن وان تظاهرا عليه الاية
وفي رواية انه استاذن رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان يخبر الناس انه لم يطلق نساءه فاذن له وانه
قام على باب المسجد ونادى باعلى صوته لم يطلق
رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه شرح بعض
الفاظ هذا الحديث قوله فعدلت معه اي تنحيت معه
بالاداوة اي الركوة والعوالي جمع عالية وهي اماكن
باعلى ارض المدينة وقوله لا يغرنك ان كانت جارتك
تريد بها الضرة وهي عائشة واوسم منك اي اكثر

حسنا

حسنا وقوله فكنا نتناوب النزول التناوب هو ان تفعله
الانسان مرة وتفعله اخر بعده والمشربة بضم الراء
وفتحها الغرفة وقوله فاذا هو متكئ على رمال حصير
يقال رملت الحصير اذا ظفرته ونسجته والمراد انه لم
يكن على السرير وطاء سوى الحصير وقوله ما رايت ما يرد
البصر الا اهبة ثلاث الاهبة والاهب جمع اهاب وهو
الجلد وقوله من شدة موجدته الموجدة الغضب
وقرا وان تظاهرا الكوفيون بتخفيف الظا والباقون
تشديدها اي تتعاونا عليه النبي صلى الله عليه
وسلم فيما يكرهه فان الله اي الملك الاعظم الذي
لا كفو له وقوله تعالى هو يجوز ان يكون فصلا
وقوله مولاه الخبر وان يكون مبتدا ومولاه خبره
والجملة خبر ان والمعنى فان الله وليه وناصره
فلا يضره ذلك التظاهر منهما وقوله تعالى وجبريل
وصالح المومنين معطوف على محل اسم ان فيكونون
ناصريه ويجوز ان يكون جبريل مبتدا وما بعده عطف
عليه وظهير خبر الجميع فتختص الولاية بالله واختلف
في صالح المومنين فقال عكرمة هو ابو بكر وعمر وقال
المسيب ابن شريك هو ابو بكر وقال سعيد بن جبير
هو عمر وعن اسما بنت عميس هو علي بن ابي طالب وقال
الطبري هو خيار المومنين وصالح اسم جنس كقوله

Copyright © King Saud University

تعالى ان الانسان لفي خسر وقال قتادة هو الانبيا وقال
ابن زيد هو الملائكة وقال السدي هم اصحاب محمد
صلى الله عليه وسلم والاولى ان تحمل هذه الاقوال
كلها **والملائكة** اي كلهم **بعد ذلك** اي الامر العظيم
الذي تقدم ذكره **ظهير** اي ظهيرا عونا له في نصره
عليكما تنبيها اخبر عن الجمع باسم الجنس اشارة
الى انهم على كلمة واحدة ومنهم جبريل عليه السلام
فهو مذكور مخصوصا وعموما ثلاث مرات على القول
بان صالح المومنين هم الملائكة ان قلنا بالعموم
وذلك اظهار الشدة محبته وموالاته للنبي صلى
الله عليه وسلم وهذه الاية عكس اية البقرة
وهي قوله تعالى من كان عدوا لله وملائكته
ورسله وجبريل فانه ذكر الخاص بعد العام تشريفا
له وهنا ذكر العام بعد الخاص قال ابن عادل ولم
يذكر الناس الا القسم الاول انتهى وفي جبريل
لغات تقدم ذكرها في البقرة ولما كان اشد ما على
المراة ان تطلق ثم اذا طلقت الى ان يتبدل بها
نعم يكون البدل خيرا منها قال تعالى محذرا لهن
عسى ربه اي المحسن اليه بجميع انواع الاحسان التي
عرفتموها وما لم تعرفوه منها الترجي وحقق
ووسط بين عسى وخبرها الشرط تخويفا قوله

ان

ان طلقكن اي بنفسه من غير اعتراض عليه جميعكن
او بعضكن قيل كل عسى في القران واجب الا هذه
الاية وقيل هو واجب ولكن الله تعالى علقه بشرط
وهو التطليق ولم يطلقهن فان طلقكن شرط معترض
بين اسم عسى وخبرها وجوابه محذوف او متقدم
اي ان طلقكن فعسى ربه وقوله تعالى **ان يبدله** اي
بمجرد طلاقه وقرا نافع وابو عمرو بفتح الباء وتشديد
الدال والباقون بسكون الموحدة وتخفيف الدال
ازواجا خيرا منكن خبر عسى والجملة جواب الشرط
ولم يقع التبدل لعدم وجود الشرط فان قيل
كيف تكون المبدلات خيرا منهن لانهن امهات
المومنين اجيب بانه اذا طلقهن رسول
الله صلى الله عليه وسلم لعصيانهن وايذائهن
اياه كان غيرهن من الموصوف بالصفات الاتية
مع الطاعة له صلى الله عليه وسلم خيرا منهن او ان
هذا على سبيل الفرض وهو عام في الدنيا والاخرة
فلا تقتضي وجود من هو خير منهن مطلقا وان قيل
بوجوده في خديجة لما جرب من مكاملتها على نفسها
في خدمته صلى الله عليه وسلم وبلوغها في حبه
والادب معه باطنا وظاهرا الغاية القصوى ومريم
احصنت حتى كانت من القانتين فذلك في الاخرة

Copyright © King Saud University

وتعليق تطليق الكل لا يدل على انه لم يطلق حفصة
فقد روي انه طلقها ولم يزدها ذلك الا فضلا لان
الله تعالى امره ان يراجعها لانها صوامة قوامة ثم
بين تعالى الخيرية بقوله تعالى **مسلمات** الخ وهو اما
نعت او حال او منصوب على الاختصاص قال سعيد
بن جبير مسلمات يعني مخلصات وقيل مسلمات لامر
الله عز وجل وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم
خاضعات لله تعالى بالطاعات **مومنات** اي مصد
قات بتوحيد الله تعالى وقيل مصدقات بما امرن
به وبنهين عنه وقيل مسلمات مقرات بالاسلام
مومنات مخلصات **قانتات** اي مطيعات والقنوت
الطاعة وقيل داعيات **تايبات** اي راجعات من
الهفوات والزلات سريعات ان وقع منهن شي من
ذلك وقيل راجعات الى امر رسول الله صلى الله
عليه وسلم تاركات لمحاب انفسهن **عابدات** اي
كثيرات العبادات لله تعالى وقال ابن عباس كل عبادة
في القران فهو التوحيد **سايحات** قال ابن عباس
صايمات وقال الحسن مهاجرات قال ابن زيد
وليس في امة محمد صلى الله عليه وسلم الا الهجرة
والسياحة الجولان في الارض وقال الفرا وغيره
سمي الصايم سايحا لان السايح لا زاد معه فلا يزال

مسكا

مسكا الى ان يجد ما يطعمه فشبه به الصايم في امساكه
الى ان يجي وقت افطاره وقيل ذاهبات في طاعة
الله تعالى من ساح الما اذا ذهب **ثيبات** جمع ثيب
وهي التي تزوجت ثم بانت بوجه من الوجوه او
زالت بكارتها بوطي من غير نكاح **وابكارا** اي عذارى
جمع بكر وهي ضد الثيب وسميت بذلك لانها على
اول حالتها التي خلقت بها وقدم الثيبات لانهن
احق بالعشرة التي هذا اسباقها ووسط الواو بين
الثيبات والابكار لتنافي الوصفين دون ساير الصفات
فان قيل كيف ذكر الثيبات في مقام المدح وهي
من جملة ما يقلل رغبة الرجل فيهن اجيب
بان يمكن ان تكون بعض الثيبات خيرا من الابكار
لاختصاصهن بالمال والجمال ولما بالغ سبحانه
في عتاب نسا النبي صلى الله عليه وسلم مع صيانتهن
عن التنبيه اكراما له صلى الله عليه وسلم اتبع ذلك
امر الامة بالتاسي به في هذه الاخلاق الكاملة
فقال تعالى متبعا لهن بالموعظة الخاصة بموعظة
عامة دالة على وجوب الامر بالمعروف والنهي عن
المنكر للاقرب فالاقرب **يا ايها الذين امنوا** اي اقروا
بذلك **قوا انفسكم** اي اجعلوا لها وقاية بالتاسي
به صلى الله عليه وسلم وترك المعاصي وفعل الطاعا

ت

وفي ادب مع الخلق والخالق **واهليكم** من النساء والاولاد
وكل من يدخل في هذا الاسم قوهم **نارا** بالنصح
والتاديب ليكونوا متخلقين باخلاق اهل النبي صلى
الله عليه وسلم كما روى الطبري عن سعيد بن العاص رضي
ما نحل والد ولدا افضل من ادب حسن وفي الحديث
رحم الله رجلا قال يا اهلاه صلاتكم صيامكم زكاتكم
مسكينكم يتيمكم جيرانكم لعل الله يجمعكم معه في الجنة
وقيل ان اشد الناس عذابا يوم القيامة من جهل
اهله وقال صلى الله عليه وسلم رحم الله امرءا
قام من الليل فصلى فايقظ اهله فان لم تقم رش
على وجهها الما ورحم الله امراة قامت من الليل
تصلي وايقظت زوجها فان لم يقم رشت على
وجهه من الما وقال بعض العلما لما قال قوا انفسكم
دخل فيه الاولاد لان الولد بعض منه كما دخلوا
في قوله تعالى ليس عليكم جناح ان تاكلوا من بيوتكم
وقوله عليه الصلاة والسلام ان احل ما اكل الرجل
من كسبه وان ولده من كسبه فلم يفرد بالذكر
افراد سائر القرابات فيعلمه الحلال والحرام وقال
صلى الله عليه وسلم حق الولد على الوالد ان يحسن
اسمه ويعلمه الكتابة ويزوجه اذا بلغ ثم بين
تعالى وصف تلك النار بقوله عز وجل **وقودها**

ابا

اي الذي توقد به **الناس** اي الكفار **والحجارة** كاصنامهم
منها وعن ابن عباس انها حجارة الكبريت وهي اشد الاشيا
حرا اذا وقد عليها والمعنى انها مفرطة الحرارة
تتقد بما ذكر لا كنار الدنيا تتقد بالحطب ونحوه **عليها**
ملائكة خزنتها عدتهم تسعة عشر كما سياتي ان شا
الله تعالى في سورة المدثر **غلاظ** اي غلاظ القلوب
لا يرحمون اذا استرحموا خلقوا من الغضب وحبب
اليهم عذاب الخلق كما حبب لبني ادم اكل الطعام والشرا
ب **شداد** اي شداد الابدان وقيل غلاظ الاقوال
شداد الافعال يدفع واحد منهم بالدفعة الواحدة
سبعين الفا في النار لم يخلق الله فيهم الرحمة وقيل
في اخذهم اهل النار شداد عليهم يقال فلان
شديد على فلان اي قوي عليه يعذبه بانواع العذ
اب وقيل غلاظ اجسامهم ضخمة شداد اي اقوبا
قال ابن عباس ما بين منكبي الواحد منهم مسيرة
سنة وقال صلى الله عليه وسلم في خزنة جهنم
ما بين منكبي احدهم كما بين المشرق والمغرب
ت **لا يعصون الله** اي الملك الاعلا في وقت من الاوقا
ت وقوله تعالى **ما امرهم** بدل من الجلالة اي
لا يعصون امر الله وقوله تعالى **ويفعلون ما يؤمرون**
تاكيد هذا ما جرى عليه الجلال المحلي وقال

الزمخشري فان قلت الست الجملتان في معنى واحد
قلت لا فان معنى الاولى انهم يتقبلون اوامره
ويلتزمونها ولا يابونها ولا ينكرونها ومعنى الثانية
انهم يؤدون ما يؤمرون به لا يتثاقلون عنه
ولا يتوانون فيه وقيل لا يعصون الله ما امرهم
فيما مضى ويفعلون ما يؤمرون فيما يستقبل وصدر
بهذا البيضاوي فان قيل انه تعالى خاطب المشركين
في قوله تعالى فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا
النار التي وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين
فما معنى مخاطبته للمؤمنين بذلك اجيب
بان النفاق وان كانت دركاتهم فوق دركات
الكفار فانهم مع الكفار في دار واحدة فقيل
للذين امنوا قوا انفسكم باجتناب الفسوق
ساكنة الذين اعدت لهم هذه الدار الموصوفة
ويجوز ان يامرهم بالتوقي عن الارتداد والندم
على الدخول في الاسلام وان يكون خطابا للذين
امنوا بالسنتهم وهم المنافقون قال الزمخشري
ويعضد ذلك قوله تعالى على الاثر يا ايها الذين
كفروا اي بالاخلال بالادب مع النبي صلى الله
عليه وسلم فاداهم ذلك الى الاخلال بالادب
مع الله تعالى وبالادب مع سائر خلقه لا تعتذروا

اي

اي تبالغوا في اظهار العذر وهو ابداع الحيلة في وجه
يزيل ما ظهر من التقصير اليوم فانه يوم الجزا
لا يوم الاعتذار وقد فات زمان الاعتذار وصار
الامر الى ما صار وهذا النهي لتحقيق الياس انما
تجزون اي في هذا اليوم ما كنتم اي بما هو لكم
كالجبلة والطبع تعملون في الدنيا ونظيره فاليوم
لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم في الدنيا ونظيره
قال البقاعي ولا بعد على الله في ان يصور لكل انسان
صورة عمله بحيث لا يشك انه عمله ثم يجعل تلك
الصورة عذابه الذي يجد فيه من الالم ما علم
الله تعالى انه بمقدار استحقاقه ولما بين تعالى
ان المعذرة لا تنفع في ذلك اليوم بالتوبة في الدنيا
بقوله تعالى يا ايها الذين امنوا توبوا اي ارجعوا
رجوعا تاما الى الله اي الملك الذي لا نظير له
توبة وقوله نصوحا صيغة مبالغة اسند النصح
اليها مجازا وهي من نصح الثوب اي خاطه فكان
التائب يرقع بالمعصية وقيل من قولهم ناصح
اي خالص وقرا شعبة بضم النون والباقون
بفتحها تنبيه امرهم بالتوبة وهي فرض
على الاعيان في كل الاحوال وفي كل الازمان
واختلفوا في معناها فقال عمر ومعاذ التوبة

Copyright © King Saud University

النصوح ان يتوب ثم لا يعود الى الذنب كما لا يعود اللبن
في الضرع وقال الحسن هي ان يكون العبد نادما
على ما مضى مجمعا على ان لا يعود فيه وقال الكلبي ان
ان يستغفر باللسان ويندم بالقلب ويمسك
بالبدن وعن حوشب ان لا يعود ولو حز بالسيف
واحرق بالنار وعن سماك ان تنصب الذنب
الذي اقللت فيه الحيا من الله تعالى امام عينيك
وتستعد لمنتظرك وعن السدي لا تصح الا بنصيحة
النفس ونصيحة المومنين لان من صحت توبته
احب ان يكون الناس مثله وقال سعيد بن
المسيب توبة تنصحون فيها انفسكم وقال
القرطبي يجمعها اربعة اشيا الاستغفار باللسان
والاقلاع بالابدان واضمار ترك العود بالجنان
ومهاجرة سي الاخوان وقال الفقها التوبة
التي لا تتعلق بحق آدمي فيها لها ثلاثة شروط
احدها ان يقلع عن المعصية وثانيها ان يندم
على ما فعله وثالثها ان يعزم على ان لا يعود
اليها فاذا اجتمعت هذه الشروط في التوبة
كانت نصوحا وان فقد شرط منها لم تصح توبته
وان كانت تتعلق بادمي فشروطها هذه الثلاثة
المتقدمة والرابع ان يبرا من حق صاحبها فان كانت

المعصية

المعصية مالا ونحوه رده الى مالكه وان كانت حد
قذف ونحوه مكنه من نفسه او طلب العفو منه وان
كانت غيبة يستحله منها قال العلما التوبة واجبة
ها من كل معصية كبيرة او صغيرة على الفور ولا يجوز تاخيرها
ويجب من جميع الذنوب وان كان تاب من بعضها صحت
توبته عما تاب منه وبقي عليه الذي لم يتب منه هذا
مذهب اهل السنة والجماعة وقد قال صلى
الله عليه وسلم يا ايها الناس توبوا الى الله فاني اتوب
في اليوم مائة مرة وعن ابي هريرة قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اني لاستغفر
الله واتوب اليه في اليوم اكثر من سبعين مرة وعن
انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم الله افرح بتوبة عبده من احدكم سقط على
بعيره وقد اضله في ارض فلاة وعن ابي موسى
الاشعري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله
يبسط يده بالليل ليتوب مسي النهار ويبسط يده
بالنهار ليتوب مسي الليل حتى تطلع الشمس من
مغربها وعن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر وعن
علي انه سمع اعرابيا يقول اللهم اني استغفرك
واتوب اليك فقال يا هذا ان سرعة الاستغفار

Copyright © King Saud University

بالتوبة توبة الكذابين قال وما التوبة قال يجمعها ستة
اشيا على الماضي من الذنوب الندامة وللفرائض الاعادة
ورد المظالم واستحلال الخصوم وان يعزم على ان
لا يعود وان تذيب نفسك في طاعة الله كما اذقتها في
المعصية وان تذيقها مرارة الطاعات كما اذقتها
حلاوة المعاصي وعن حذيفة بحسب الرجل من الشر
ان يتوب من الذنب ثم يعود اليه وقوله تعالى عسى
ربكم اي المحسن اليكم ان يكفر اي يغطي تغطية
عظيمة عنكم سياتكم اي ما بدا منكم مما سوى بالتوبة
اطماع من الله لعباده في قبول التوبة وذلك
تفضلا وتكرما لا وجوبا عليه واذا كان التايب
على خطر فما ظنك بالمصر ولكن الفضل واسع
ولما ذكر نفع التوبة في دفع المضار ذكر نفعها في جلب
المسار بقوله تعالى ويدخلكم اي يوم الفصل
جنات اي بساتين كثيرة الاشجار ستر داخلها
تجري من تحتها اي تحت غرفها واشجارها الانهار
فهي لا تزال ريا وقوله تعالى يوم لا يخزي الله
اي الملك الاعظم النبي اي الذي نباه الله تعالى
بما يوجب له الرفعة التامة من الاخبار التي هي في
غاية العظمة منصوب بيدخلكم او باضمار اذكر
ومعنى يخزي هنا يعذب اوله يعذبه وقوله تعالى

والذين

والذين امنوا معه يجوز فيه وجهان احدهما ان يكون
منسوقا على النبي اي ولا يخزي الذين امنوا معه وعلى
هذا يكون قوله تعالى نورهم يسعى بين ايديهم
وبايمانهم مستانفا او حالا الثاني ان يكون مبتدا
وخبره نورهم يسعى الخ وقوله تعالى يقولون خبر ثان
او حال تنبيه التقييد بالايمان لا ينفي ان
لهم نورا عن شمايلهم بل لهم نور لكن لا يلتفتون
اليه لانهم اما من السابقين واما من اهل اليمين
فهم يمشون في هاتين الجهتين ويوتون صحايف اعمالهم
منهما واما اصحاب الشمال فيعطونها من ورا
ظهورهم ومن شمايلهم وهم مما لهم من النور
ان قالوا يسعى لهم وان يشفعوا شفعوا ربنا اي
ايها المتفضل علينا بهذا النور وبكل خير كنا
ونكون فيه اتمم لنا نورنا اي الذي منتت به
علينا ذلك اذا طفي حتى يكون في غاية التمام قال
ابن عباس يقولون ذلك اذا طفي نور المنافقين اسفاقا
وعن الحسن الله متمه لهم ولكنهم يدعون
تقربا الى الله كقوله واستغفر لذنبك وهو مغفور
له وقيل يقوله ادناهم منزلة لانهم يعطون
من النور قدر ما يبصرون مواطي الاقدام لهم
لان النور على قدر الاعمال فيسالون اتمامه تفضلا

Copyright © King Saud University

وقيل السابقون الى الجنة يمرون مثل البرق على الصراط
وبعضهم كالريح وبعضهم حبوا وزحفا فاولئك الذين
يقولون ربنا اتمم لنا نورنا **واغفر لنا** اي امح عنا
كل نقص كان يميل بنا الى احوال المنافقين عينه واثره
وهذا النور من صور اعمالهم في الدنيا لان الاخرة
تظهر فيها حقايق الاشيا وتتبع الصور معانيها وهو
شرع الله الذي شرعه وهو الصراط الذي يضرب
بين ظهراني جهنم لان الفضايل في الدنيا
متوسطة بين الرذايل فكل فضيلة يكتنفها
رذيلتان افراط وتفريط فالفضيلة هي الصراط المستقيم
والرذيلتان ما كان من جهنم عن يمينه وشماله
فمن كان يمشي في الدنيا على ما امر به سوا من غير
افراط ولا تفريط وكان نوره تاما ومن احالته
الشهوات طفي نوره في بعض الاوقات واختطفته
كلاليب هي صور الشهوات فتميل به في النار
بقدر ميله اليها والمنافق يظهر له نور اقراره
بكلمة التوحيد فاذا مشى طفي لان اقراره لا حقيقة
له **انك** اي وحدك **على كل شي** يمكن دخول
المشية فيه **قدير** اي بالغ القدرة ولما ذكر ما تقدم
من لينه صلى الله عليه وسلم لاضعف الناس النا
وحسن ادبه وكرم عشرته لانه مجبول على الشفقة

على

على عباد الله والرحمة لهم امره سبحانه بالغلظة والشدة
على اعدايه بقوله تعالى **يا ايها النبي جاهد الكفار**
اي بكل ما يجهدهم فيكفهم من السيف وما دونه
من المواعظ الحسنة والدعا الى الله تعالى ليعرف
ان ذلك اللين لاجل الله تعالى انما هو من تمام عقلك
وغزير علمك وفضلك **والمنافقين** اي جاهدهم
بما يليق بهم من الحجة والسيف ان احتيج اليه في الاخرة
وانهم لانوارهم يجوزون باقامة الحدود عليهم
واغلظ عليهم بالفعل والقول بالتوبيخ والزجر
والابعاد والهجر فالغلظة عليهم من اللين لله
تعالى كما ان اللين لاجل الله من خشية الله تعالى
وقرا حمزة بضم الها والباقون بكسرها **وماواهم**
اي في الاخرة جهنم **وبيس المصير** اي هي ولما
كان للكفار قرابات بالمسلمين ربما توهموا انها تنفعهم
وللمسلمين قرابات بالكفار توهموا انها تضرهم ضرب
لكل مثلا وبدا باول فقال تعالى **ضرب الله** اي
الملك الذي احاط بكل شي قدرة وعلما **مثلا**
يعلم به من فيه قابلية العلم ويتعظ به من له
اهلية الاتعاظ **للذين كفروا** اي غطوا الحق على
انفسهم وعلى غيرهم وقوله تعالى **امراة نوح**
عليه السلام الذي اهلك الله تعالى من كذبه

Copyright © King Saud University

بالحصب والخفض والاغراق يجوز ان يكون بدلا من
قوله مثلا على تقدير حذف المضاف اي ضرب الله
مثلا مثل امراة نوح وامراة لوط ويجوز ان يكونا
مفعولين وضرب الله تعالى هذا المثل تنبيها على انه
لا يغني احد عن قريب ولا نسيب في الاخرة اذا فرق
بينهما الدين قال مقاتل وكان اسم امراة نوح والهة
واسم امراة لوط والفة وقال الضحاك عن عايشة
ان جبريل عليه السلام نزل على النبي صلى الله
عليه وسلم فاخبره ان اسم امراة نوح واغلة
واسم امراة لوط والهة تنبيه رسمت امراة
في الثلاثة وابنة بالتا المجرورة فوقف عليهن بالها
ابن كثير وابو عمرو والكساي ووقف الباقون بالتاء
وقوله تعالى **كانتا** اي مع كونهما كافرتين **تحت
عبدين** جملة مستانفة كانها مفسرة لضرب المثل
ولم يات بضميرها فيقال تحتهما اي تحت نوح ولوط
لما قصد من تشريفهما بهذه الاضافة الشريفة
قال القايل

لا تدعني الا يا عبدها

فانه اشرف اسمايي

ودل على كثرة عبيده تنبيها على غناه بقوله تعالى
من عبادنا ووصفهما باجل الصفات وهو قوله

تعالى

تعالى **صالحين** واختلف في معنى قوله تعالى **فخانتاهما**
فقال عكرمة والضحاك بالكفر وعن ابن عباس كانت
امراة نوح تقول للناس انه مجنون واذا امن به
احد اخبرت الجبابرة من قومه وكانت امراة لوط
تخبر باضافه وعن ابن عباس ما بغت امراة نبي قط
وانما كانت خيانتهما في الدين وكانتا مشركتين وقيل
كانتا منافقتين وقيل خيانتهما النميمة اذا اوحي
اليهما شيا افشتاه الى المشركين قاله الضحاك وقيل
كانت امراة لوط اذا نزل به ضيف لما كانوا عليه من
اتيان الرجال **فلم** اي فتسبب عن ذلك ان
العبدين الصالحين لم **يغنيا عنهما** اي المراتين
بحق النكاح **من الله** اي من عذاب الملك الذي
له الامر كله فلا امر لغيره **شيا** اي من اغناء
لاجل خيانتهما **وقيل** اي للمراتين ممن اذن له
في القول النافذ الذي لا مرد له **ادخلا النار**
اي قيل لهما ذلك عند موتهما او يوم القيامة
مع الداخلين اي مع ساير الداخلين من الكفرة
الذي لا وصلة بينهم وبين الانبيا فلم يغن نوح
ولوط عن امراتيهما شيا من عذاب الله تعالى
وفي هذا المثل تعريض بامي المومنين عايشة
وحفصة وما فرط منهما وتحذير لهما على اعلا وجه

Copyright © King Saud University

واشده وفيه تنبيه على ان العذاب يدفع بالطاعة
لا بالوسيلة وقيل ان كفار مكة استهزؤا وقالوا
ان محمد اشفع لنا فبين تعالى ان الشفاعة لا تنفع
كفار مكة وان كانوا اقربا كما لا ينفع نوح امرأته
ولا لوط امرأته مع قربهما لهما لكفرهما ثم شرع
تعالى في ضرب المثل الثاني فقال وضرب الله اي
الملك الاعلى الذي له صفات الكمال مثلا للذين امنوا
امرأة فرعون واسمها اسية وهي بنت مزاحم
امنت وعملت عملا صالحا فلم تضرها الوصلة
بالكافر بالزوجية التي هي من اعظم الوصل
ولا نفعه ايمانها كل امرئ بما كسبت رهينة رهين
واثابها ربها تعالى ان جعلها في الاخرة زوجة
خير خلقه محمد صلى الله عليه وسلم دار كرامته
تصبرها على عبادة الله تعالى وهي في حبالة عدوه
واسقط وصفه بالعبودية دليلا على تحقيره
وعدم رحمته له لانه من اعدى اعدائه وقوله
تعالى اذ قالت ظرف للمثل المحذوف اي مثلهم
مثلها حين قالت رب اي ايها المحسن الي
بالهداية وانا في حبالة هذا الكافر الجبار ابن لي
عندك بيتا وبينت مرادها بالعندية فقالت
في الجنة اي دار المقربين وقد اجابها سبحانه

بان

بان جعلها زوجة اكمل خلقه صلى الله عليه وسلم
فكانت معه في منزله الذي هو اعلى المنازل ونجني
من فرعون اي فلا اكون عنده وعمله ولا تسلطه
علي بما يضرني عندك في الاخرة فلا اعمل بشيء من
عمله وهو شركه وقال ابن عباس جماعة ونجني
اعادت العامل تاكيدا من القوم الظالمين اي
الناس الاقويا القريبين الذين يصنعون اعمالهم
في فاستجاب الله تعالى دعاها واحسن اليها لاجل
محبتها للمحبوب وهو كليم الله موسى عليه السلام
كما يقال صديق صديقي داخل في صداقتي وذلك
ان موسى عليه السلام لما غلب السحرة امنت به
فلما تبين لفرعون ايمانها اوتد يديها ورجليها
باربعة اوتاد والقاها في الشمس فاذا انصرفوا
عنها اظلتها الملائكة وفي القصة ان فرعون
امر بصخرة عظيمة لتلقى عليها فلما اتوها
بالصخرة قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة
فابصرته من مرمرة بيضا فانتزعت روحها
فالقيت الصخرة على جسد لا روح فيه ولم
تجد المًا قال الحسن وابن كيسان رفع الله تعالى
امرأة فرعون الى الجنة فهي فيها تاكل وتشرب
وقوله تعالى ومريم ابنت عمران عطف على

Copyright © King Saud University

امراة فرعون تسلية للارامل التي احصنت فرجها
اي عفت عن السو وجميع مقدماته كانت كالحصن
العظيم المانع من العدو فاستمرت على حالها الى
الممات فزوجها الله تعالى في الجنة جزاء لها بخير خلقه
محمد صلى الله عليه وسلم وقال بعض المفسرين اراد
بالفرج هنا الجيب لقوله تعالى فنفخنا اي بما لنا
من العظمة بواسطة ملكنا جبريل عليه السلام
فيه اي في جيب درعها قال البقاعي اوفي فرجها
الحقيقي وعلى هذا فلا حاجة الى التاويل من روحنا
اي من روح خلقناه بلا توسط اصل وهو روح
عيسى عليه السلام وصدقت بكلمات ربها اي
المحسن اليها واختلف في تلك الكلمات فقال مقاتل
يعني بالكلمات عيسى وانه نبي وعيسى كلمة
الله وقال البغوي يعني الشرايع التي شرعها الله
تعالى للعباد بكلماته المنزلة وقيل هي قول جبريل
عليه السلام لها انما انا رسول ربك الاية وعلى
كل قول استحقت ان تسمى بذلك صديقة وقراء
وكتبه ابو عمرو وحفص بضم الكاف والتا جمعا
والباقون بكسر الكاف وفتح التاء وبعدها الف
افرادا والمراد منه الكثرة فالمراد به الجنس
فيكون في معنى كل كتاب انزله الله تعالى على اولادها

وغيره

١٩٥

وغيره وقوله تعالى وكانت من القانتين يجوز في من
وجهان احدهما انها لابتدا الغاية والثاني انها
للتبعيض وقد ذكرهما الزمخشري فقال من للتبعيض
ويجوز ان تكون لابتدا الغاية على انها ولدت من
القانتين لانها من اعقاب هارون اخي موسى صلوات الله
وسلامه على نبينا وعليهما وعلى ساير الانبيا والهم
اجمعين قال الزمخشري فان قلت لم قيل من
القانتين على التذكير قلت لان القنوت صفة
تشمل من قنت من القبيلتين فغلب ذكوره على
اناثه وقيل اراد من القوم القانتين ويجوز ان يرجع
هذا الى اهل بيتها فانهم كانوا مطيعين لله والقنوت
الطاعة وقال عطا من المصلين بين المغرب والعشا
وعن معاذ بن جبل ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال لخديجة وهي تجود بنفسها اذا قدمت على ضراتك
فاقريهن مني السلام مريم بنت عمران واسية
بنت مزاحم وعن انس عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال كمل من نسا العالمين اربع مريم ابنة
عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد
واسية بنت مزاحم امراة فرعون وروى
الشيخان عن ابي موسى الاشعري كمل من الرجال
كثير ولم يكمل من النسا الا مريم بنت عمران واسية

بنت مزاحم وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد
على سائر الطعام وما قاله البيضاوي تبعا للزمخشري
من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة
التحريم اتاه الله توبة نصوحا حديث موضوع

سورة الملك مكية

وتسمى الواقية والمنجية وتدعى في التوراة المانعة
لانها تقي وتنجي من عذاب القبر وعن ابن شهاب انه
كان يسميها المجادلة لانها تجادل عن صاحبها في
القبر وهي ثلاثون اية وثلثمائة وثلاثون كلمة والف
وثلثمائة حرف بسم الله الذي خضعت لكمال عظمته
الملوك الرحمن الذي عم بنعمة الايجاد كل من في
الوجود الرحيم الذي خص اولياءه بالنعيم بدار
الخلود تبارك اي تكبر وتقدس وتعالى وتعاظم
وثبت ثباتا لا مثل له مع اليمن والبركة وقيل دام
فهو الدائم الذي لا اول لوجوده ولا اخر لدوامه
الذي بيده اي بقدرته وتصرفه لا بقدرة غيره
الملك اي له الامر والنهي وملك السموات في الدنيا
والاخرة وقال ابن عباس بيده الملك يعز من يشا
ويذل من يشا ويحيي ويميت ويغني ويفقر ويعطي
ويمنع قال الرازي وهذه الكلمة تستعمل لتاكيد كونه
تعالى ملكا ومالكا كما يقال بيد فلان الامر والنهي

والحل

والحل والعقد وذكر اليد انما هو تصوير للاحاطة ولتمام
القدرة لانها محلها مع التنزه عن الجارحة وعن كل
ما يفهم حاجة او شبها وهو على كل شيء اي من الممكنات
قدير اي تام القدرة تنبيه احتج اهل السنة بهذه الاية
على انه لا موثر الا قدرة الله تعالى وابطلوا القول بالطبائع
كقول الفلاسفة وابطلوا القول بالمتولدات كقول
المعتزلة وابطلوا القول بكون العبد موجد الافعال
نفسه لقوله تعالى وهو على كل شيء قدير ودلت هذه
الاية على الوحدانية لانا لو قدرنا الها ثانيا فاما
ان يقدر على ايجاد شيء او لا فان لم يقدر على ايجاد شيء
لم يكن الها وان قدر كان مقدور ذلك الاله الثاني
شيئا فيلزم كون ذلك الشيء مقدورا للاله الاول لقوله
وهو على كل شيء قدير فيلزم وقوع مخلوق من خالقين
فانه محال لانه اذا كان كل واحد منهما مستقلا بالايجاد
يلزم ان يستغني كل واحد منهما فيكون محتاجا
اليهما وغنيا عنهما وذلك محال وقرأ وهو على
كل شيء قدير وهو وذلك محال وقرأ وهو على كل
شيء قدير وهو العزيز الغفور وهو اللطيف وما
اشد ذلك ابو عمرو وقالون والكسائي بسكون
الهاء والباقون بضمها وخرج بقولنا من الممكنات
الله تعالى ليس قادرا على نفسه واجاب بعضهم

Copyright © King Saud University

بان هذا عام مخصوص ودل على تمام قدرته قوله تعالى
الذي خلق اي قدر واوجد الموت والحياة قيل
خلق الموت في الدنيا والحياة في الاخرة وقدم الموت
على الحياة لان الموت الى القهر اقرب كما قدم البنات
على البنين فقال يهب لمن يشا اناثا ويهب لمن يشا
الذكور وقيل قدمه لانه اقدم لان الاشيا في الابتدا
كانت في حكم الموت كالنطفة والتراب ونحوه وقال
قتادة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان
الله اذل بني ادم بالموت وجعل الدنيا دار حياة
ثم دار موت وجعل الاخرة دار جزا ثم دار بقا وعن
ابي الدردا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لولا
ثلاث ما طاطا ابن ادم راسه الفقر والمرض
والموت وقيل انما قدم الموت على الحياة لان من
نصب الموت بين عينيه كان اقوى الدواعي الى
العمل وحكي عن ابن عباس والكلبي ومقاتل ان الموت
والحياة جسمان والموت في هيئة كبش لا يمر بشي
ولا يجد ريحه الا مات وخلق الحياة على صورة
فرس انثى بلقا وهي التي كان جبريل عليه السلام
والانبيا عليهم السلام يركبونها خطوتها مد
البصر فوق الحمار ودون البغل لا تمر بشي ولا يجد
ريحها الا حيي ولا يطا على شي الا حيي وهي

التي

١٨٣

التي اخذ السامري من اثرها فالقاه على العجل فحيي
حكاه الثعلبي والقشيري عن ابن عباس وعن مقاتل
خلق الموت يعني النطفة والعلقة والمضغة
وخلق الحياة يعني خلق انسانا فنفخ فيه الروح فصار انسانا نا
قال القرطبي وهذا حسن يدل عليه قوله تعالى
ليبلوكم اي يعاملكم وهو اعلم من انفسكم معاملة
المختبر لاظهار ما عندكم من العمل بالاختيار ايكم احسن
عملا اي من جهة العمل اي عمله احسن من عمل غيره
وروي عن عمر مرفوعا احسن عملا احسن عقلا
واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله
وقال الفضيل بن عياض احسن عملا اخلصه
واصوبه وقال العمل لا يقبل حتى يكون خالصا صوابا
فالخالص اذا كان لله والصواب اذا كان
على السنة وقال الحسن ايكم ازهد في الدنيا واترك
لها وقال السدي ايكم اكثر للموت ذكرا واحسن
استعدادا واشد خوفا وحذرا وقيل يعاملكم
معاملة المختبر فيبلو العبد بموت من يعز عليه
ليبين صبره وبالحياة ليبين شكره وقيل خلق
الله تعالى الموت للبعث والجزا وخلق الحياة للابتلا
فان قيل الابتلا هو التجربة والامتحان حتى
يعلم انه هل يطيع او يعصي وذلك في حق الله تعالى

Copyright © King Saud University

العالم بجميع الاشيا محال اجيب بان الابتلا من
الله تعالى هو ان يعامل عبده معاملة تشبه المختبر
كما مرت الاشارة اليه وهو اي والحال انه وحده العزيز
اي الذي يغلب كل شي ولا يغلبه شي الغفور اي الذي
مع ذلك يفعل في محو الذنوب عينا واثرا فعل المانع
في ذلك ويتلقى من اقبل اليه احسن تلق كما قال تعالى
في الحديث القدسي ومن اتاني يمشي اتيته هرولة
وقوله تعالى الذي خلق اي ابدع على هذا التقدير
من غير مثال سبق سبع سموات يجوز ان يكون
تابعا للعزيز الغفور نعتا او بيانا او بدلا وان يكون
منقطعا عنه خبر مبتدا محذوف او مفعول
فعل مقدر وقوله تعالى طباقا صفة لسبع وفيه
ثلاثة اوجه احدها انه جمع طبق نحو جبل وجبال
والثاني انه جمع طبقة نحو رحبة ورحاب والثالث
انه مصدر طابق يقال طابق مطابقة وطباقا
ثم اما ان يجعل نفس المصدر مبالغة واما على
حذف مضاف اي ذات طباق واما ان ينتصب
على المصدر بفعل مقدر اي طوبقت طباقا
من قولهم طابق النعل اي جعل طبقة فوق اخرى
وروي عن ابن عباس طباقا اي بعضها فوق بعض
قال البقاعي بحيث يكون كل جزء منها مطابقا لجزء

من

من الاخرى ولا يكون جزء منها خارجا عن ذلك قال
وهي لا تكون كذلك الا ان تكون الارض كرة والسما
الدنيا محيطة بها احاطة قشر البيضة من جميع
الجوانب والثانية محيطة بالدنيا وهكذا الى ان يكون
العرش محيطا بالكل والكرسي الذي هو اقربها بالنسبة
اليه كحلقة ملقاة في فلاة فما ظنك بما تحته وكل سما
في التي فوقها بهذه النسبة وقد قرر اهل الهيئة
انها كذلك وليس في الشرع ما يخالفه بل ظواهره
توافقه ولا سيما التشبيه بالحلقة الملقاة في فلاة
فسبحان اللطيف الخبير ولا شك ان من تكلف تفكر
في هذه العظمة وافراده عن كل ضد فانقطع بالتجا
اليه ولم يعول الا عليه في كل دفع ونفع وسارع
في مرضاته وجاهد في كل خفض ورفع تنبيه
دلت هذه الاية على القدرة من وجوه احدها من
حيث بقاوها في جو الهوا معلقة بلا عماد ولا سلسلة
ثانيها ان كلا منها اختص بحركة خاصة متقدرة
بقدر معين من السرعة والبطو الى جهة معينة
ثالثها كونها في ذاتها محدثة وكل ذلك يدل على اسنادها
الى قادر تام القدرة وقوله تعالى ما ترى في خلق الرحمن
اي للسموات ولغيرها خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
او لكل مخاطب وكذا القول في قوله تعالى فارجع البصر

Copyright © King Saud University

ثم ارجع البصر ينقلب اليك البصر من تفاوت اي من
اعوجاج ولا تناقض ولا تباين بل هي مستقيمة
مستوية دالة على خالقها وان اختلف صورة وقيل
المراد بذلك السموات خاصة اي ما ترى في خلق السموات
من عيب واصله من الفوت وهو ان نفوت بعضها
فيقع الخلل لعدم استوائها يدل عليه قول ابن عباس
من تفرق وقال السدي اي من اختلاف وعيب يقول
الناظر لو كان كذا لكان احسن وقيل من التفاوت
الفطور لقوله تعالى بعد ذلك فارجع البصر هل ترى
من فطور ونظيره قوله تعالى وما لها من فروج
قال القفال ويحتمل ان يكون المعنى ما ترى في خلق
الرحمن من تفاوت في الدلالة على حكمة الصانع
وانه لم يخلقها عبثا بتيسير دلت هذه الاية
على كمال علم الله تعالى وذلك ان الحس دل على ان
هذه السموات السبع اجسام مخلوقة على وجه
الاحكام والاتقان وكل فاعل كان فعله محكما متقنا
فلا بد وان يكون عالما فدلت الاية على كونه تعالى عالما
بالمعلومات فقوله تعالى ما ترى في خلق الرحمن من
تفاوت اشارة الى كونها محكمة متقنة وقرا ما ترى
وهل ترى ابو عمرو وحمزة والكسائي بالامالة محضة
وورش بين بين والباقون بالفتح وادغم لام هل في

التا

التاء ابو عمرو وهشام وحمزة والكسائي وقرا من
تفاوت حمزة والكسائي بغير الف بعد الفا وتشديد الواو
مع الف والباقون بالف بعد الفاء وتخفيف الواو وقوله
تعالى فارجع البصر مسبب عن قوله تعالى ما ترى
وقوله تعالى هل ترى من فطور جملة يجوز ان تكون
معلقة لفعل محذوف يدل عليه فارجع البصر اي فارجع
البصر فانظر هل ترى وان يكون فارجع البصر مضمنا
معنى انظر لانه بمعناه فيكون هو المعلق والفطور
جمع فطر وهو الشق ومعناه شق الشيء وطلع قال
قال المفسرون الفطور الصدوع والشقوق قال
القايل شققت القلب ثم ذررت فيه
هواك فليط فالتام الفطور
ثم ارجع البصر وقوله تعالى كرتين نصب على المصدر
كمرتين وهو مثنى لا يراد به حقيقته بل التكثير
بدليل قوله ينقلب اليك البصر خاسئا اي
صاغرا ذليلا بعيدا عن اصابة المطلوب كانه طرد
عنه طردا بالصغار وهو حسير اي كليل من طول
المعاودة وكثرة المراجعة وهذان الوصفان لا ياتيان
بنظرتين ولا ثلاث وانما المعنى كرات وهذا كقولهم
لبيك وسعديك وحنانيك ودواليك وهذاذيك
لا يريدون بهذه التثنية تشفيع الواحد انما يريدون

التكثير اي اجابة لك بعد اجابة والا لتناقض الغرض
والتثنية تفيد التكثير لقرينة كما يفيده اصلها وهو
العطف لقرينة كقوله « لو عد قبر وقبر كنت اكرمهم
» اي قبور كثيرة لبعد المدى وقال ابن عطية
كرتين معناه ونصبهما على المصدر وقيل الاولى
لترى حسنها واستواءها والثانية لتبصر كواكبها
في سيرها وانتهائها وهذا الظاهر يفهم التثنية
فقط وروى البغوي عن كعب الله قال السما الدنيا موج
مكفوف والثانية مرمرة بيضا والثالثة حديد
والرابعة صفرا وقال نحاس والخامسة فضة والسا
دسة ذهب والسابعة ياقوتة حمرا وبين السماء
السابعة والحجب السبعة صحاري من نور ثم
ذكر تعالى دلالة اخرى بعد تلك الدلالة تدل على
تمام قدرته بقوله تعالى ولقد زينا بما لنا من
العظمة السماء الدنيا اي القربى لانها اقرب
السموات الى الارض وهي التي تشاهدونها بمصابيح
جمع مصباح وهو السراج اي بنجوم متقدة عظيمة جدا
تفوت الحصر ظاهرة سائرة مضيئة ظاهرة
زاهرة وهي الكواكب التي تنور الارض بالليل انارة
السرج التي تنورون بها سقوف دوركم وسمي
الكواكب مصابيح لاضاءتها وزينة لان الناس

يزينون

يزينون مساجدهم ودورهم بالمصابيح فكانه قال
ولقد زينا سقف الدار التي اجتمعتم فيها بمصابيح
والتزيين بها لا يمنع ان تكون مركوزة فيما فوقها من
السموات وهي تتراءى بحسب الشفوف بما لاجرام
السما من الصفا ولتلك المصابيح من شدة الاضاءة
وجعلناها اي المصابيح بما لنا من العظمة مع كونها
زينة واعلاما للهداية رجوما للشياطين اي الذين
يحق لهم الطرد من الجن لما لهم من الاحتراق فحراسة
للسما التي هي محل تنزل امرنا بالقضا والقدر وانزال
هذا الذكر الحكيم لئلا يفسدوا باستراق السمع
فيها على الناس دينهم الحق ويلبسوا عليهم امرهم
بخلط الحق الذي ختمنا به الاديان بالباطل والرجوم
جمع رجم وهو مصدر في الاصل اطلق على
المرجوم به كضرب الامير ويجوز ان يكون باقيا على
مصدريته ويقدر مضاف اي ذات رجوم وجمع
المصدر باعتبار انواعه والشهاب المرجوم به
منفصل من نار الكوكب وهو قار في فلكه على
حاله كقبس النار يوخذ منها وهي باقية لا تنقص
وذلك يسوغ لتسميتها بالنجوم فمن لحقه الشهاب
منهم قتله او صفعه امره وخبله وقال ابو علي
جوابا لمن قال كيف تكون زينة وهي رجوم لا تبقى بقية

الرجمان يوخذ نار من ضوء الكوكب يرمى بها الشيطان
والكوكب في مكانه لا يرجم به وقيل الرجوم هنا
الظنون والشياطين شياطين الانس كما قال القائل

وما هو عنها بالحديث المرجم

فيكون المعنى جعلناها

ظنونا ورجوما بالغيب لشياطين الانس وهم
المنجمون يتكلمون بها رجما بالغيب في اشياء من عظيم
الابتلاء وعن قتادة خلقت النجوم لثلاث زينة للسماء
ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها فمن تاول
فيها غير ذلك اخطا وتكلف ما لا علم له به وتعدى وظلم
واعتدنا اي هيانا في الاخرة مع هذا الذي في الدنيا
بما لنا من العظمة **لهم** اي للشياطين **عذاب السعير**
اي التي في غاية الاتقاد في الاخرة قال المبرد سعرت
النار فهي مسعورة وسعير مثل مقتولة وقتيل
وهذه الاية تدل على ان النار مخلوقة الان لان
قوله تعالى واعتدنا لهم خبر من الماضي ولما اخبر
تعالى عن تهيئة العذاب لهم بالخصوص اخبر عن
تهيئته لكل عامل بأعمالهم على وجه اندرجوا هم
فيه فقال عز من قائل **وللذين كفروا** اي اوقعوا
التغطية لما من حقه ان يظهر ويشهر من الاذعان
للاله **بربهم** اي الذي تفرد بايجادهم والاحسان

اليهم

١٦١

اليهم فانكروا ايجادهم لهم بعد الموت كفروا بما شاهدوا
من اختراعه لهم من العدم **عذاب جهنم** اي الدركة
النارية التي تلقاهم بالتجهم والعبوسة والغضب
وبئس المصير اي هي **اذا القوا** اي طرح الكفار **فيها** اي
في نار جهنم من اي طارح امرناه بطرحهم كما يطرح
الحطب في النار العظيمة **سمعوا لها** اي جهنم نفسها
شهيقا اي صوتا هائلا اشد نكارة من اول صوت
الحمار لشدة توقدها وغليانها قال ابن عباس
الشهيق لجهنم عند القاء الكفار فيها كشهيق
البغلة للشعير اولاهلها على حذف مضاف كما
قال عطاء الشهيق للكفار اي سمعوا من انفسهم
شهيقا كقوله تعالى لهم فيها زفير وشهيق
قال القرطبي الشهيق في الصدر والزفير في الحلق
وقد مضى في سورة هود **وهي تفور** اي تغلي بهم
ومنه قول حسان

تركتم قدركم لا شيء فيها

وقدر القوم حامية تفور

قال ابن عباس تغلي بهم كغلي المراجل وقراءة قالون
وابو عمرو والكسائي بسكون الهاء والباقون بكسرها
تكاد تميز اي تقرب من ان ينفصل بعضها من بعض
كما يقال يكاد فلان ينشق من غيظه وفلان غضب

Copyright © King Saud University

فطارت شقة منه في الارض وشقة في السما كناية عن
شدة الغضب وقرا البزي بتشديد التاء من تميز
في الوصل والسوسي على اصله بادغام الدال في التاء
من الغيظ اي عليهم وقال سعيد ابن جبير تكاد
تميز من الغيظ يعني تنقطع وتنفصل بعضها
من بعض من بعض وقال ابن عباس تتفرق شدة
من الغيظ على اعدا الله تعالى وذلك كله لغضب
سيدها وتاتي يوم القيامة تقاد الى المحشر بالف
زمام لكل زمام سبعون الف ملك يقودونها
بدو هي من شدة الغيظ تقوى على الملائكة وتحمل
على الناس فتقطع الازمة جميعا وتحطم اهل
المحشر فلا يردها عنهم الا النبي صلى الله عليه وسلم
يقابلها بنوره فترجع مع ان لكل ملك من القوة
ما لو امر ان يقلع الارض وما عليها من الجبال
ويصعد بها في الجو فعل من غير كلفة وهذا
كما اطفاها في الدنيا بنفخة روى ابو داود
عن ابن عمر انه قال ثم نفخ في اخر سورة سجوده
فقال ان ان الم تعدني الا تعذبهم وانا فيهم
الم تعدني ان لا تعذبهم وهم يستغفرون ولما ذكر
تعالى حالها اتبعه حالهم فقال تعالى كلما القي
فيها اي في جهنم بدفع الزبانية لهم فوج اي جماعة

في

في غاية الاسراع والافواج الجماعات في تفرقة ومنه
قوله تعالى فتاتون افواجا والمراد هنا بالفوج جماعة
من الكفار سالهم اي ذلك الفوج خزنتها اي النار
وهم مالك واعوانه سال توبيخ وتقريع الم ياتكم
اي في الدنيا نذير اي رسول يخوفكم هذا اليوم حتى
تحذروا قال الزجاج وهذا التوبيخ زيادة لهم
في العذاب قالوا بلى قراه حمزة والكسائي بالامالة
محضة وورش بالفتح وبين اللفظين والباقون
بالفتح والوقف عليها كهي في قد جانا نذير اي محذر
بليغ التحذير تنبيه في ذلك دليل على جواز
الجمع بين حرف الجواب ونفس الجملة المجاب
بها اذ لو قالوا بلى لفهم المعنى ولكنهم اظهروه
تحسرا وزيادة في تغممهم على تفريطهم في قبول قول
النذير وليعطفوا عليه قولهم فكذبنا اي فتسبب
عن مجيئه انا اوقعنا التكذيب بكل ما قاله النذير
وقلنا اي زيادة في التكذيب ما نزل الله اي الذي له
الكمال كله عليكم ولا على غيركم من شيء لا وحيا
ولا غيره وما كفانا هذا الفجور حتى قلنا مؤكدين
ان اي ما انتم اي ايها النذر المذكورون في نذير
المراد به الجنس الا في ضلال اي بعد عن الطريق
كبير فبالغنا في التكذيب والسفه بان جهال

والاستخفاف وقيل قوله تعالى ان انتم الا في ضلال
كبير من كلام الملائكة للكفار حين اخبروا بالتكذيب
وقالوا اي الكفار زيادة في توبيخ انفسهم لو كنا
اي بما لنا من الغريزة نسمع اي كلام الرسل اي
فنقبله جملة من غير بحث وتفتيش اعتمادا على
ما لاح من صدقهم بالمعجزات او نعقل اي بما ادركته
الجوارح السمع فنتفكر في حكمه ومعانيه تفكر
المتبصرين ما كنا اي كونا داما في اصحاب السعير
اي في اعداد من اعدت لهم النار التي هي في غاية
الاتقاد تنبيه في الاية اعظم فضيلة
للعقل روي عن ابي سعيد الخدري ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال لكل شي دعامة ودعامة
المومن عقله فبقدر عقله تكون عبادته اما سمعت
قول الفجار لو كنا نسمع الاية فاعترفوا اي بالغوا في
الاعتراف حيث لا ينفعهم الاعتراف بذنبهم اي في
دار الجزا كما بالغوا في التكذيب في دار العمل والذنب
لم يجمع لانه في الاصل مصدر والمراد به تكذيب
الرسل فسحقا اي فبعدا لاصحاب السعير اي الذين
قضت عليهم اعمالهم علازمتها وقال سعيد بن جبير
وابو صالح هو واد في جهنم يقال له السحق وقرا
الكسائي بضم الحا والباقون بسكونها ولما ذكر اصحاب

السعير

السعير اتبعه ذكر اضدادهم بقوله تعالى ان الذين
يخشون اي يخافون ربهم اي المحسن اليهم خوفا
ارق قلوبهم وارق اعينهم بحيث لا يقر لهم قرار من
توقعهم العقوبة كلما ازداد واطاعة ازدادوا خشية
يوتون ما اتوا وقلوبهم وجلة بالغيب اي حال
كونهم غايبين عن اعين الناس فهم مع الناس يتكلمون
وقلوبهم تتلظى بنيران الخوف وتسكن بسيوف الهيبة
فيتركون المعصية حيث لا يراهم احد من الناس ولا
يكون لهم هذا الا برياضة عظيمة فعلى العاقل ان
يطوع نفسه لترجع مطمينة بان ترضى بالله ربا بالتدخل
في رق العبودية وبالاسلام دينا بالتصبير عن بغا فيه
فلا ينازع الملك في ردايه الكبريا وازاره العظمة
وتاجه الجلال وحليته الجمال ولا ينازعه فيما يدبره
من الشرايع ويظهره من المعارف ويحكم به على عبيده
من وقدره لهم مغفرة اي عظيمة تاتي على جميع
ذنوبهم واجر اي من فضل الله تعالى كبير تكون
لهم من الاكرام ما ينسيهم ما قاسوه في الدنيا
من شدايد الالام ويصغر في جنبه لذايذ الدنيا
العظام واسروا اي ايها الخلايق قولكم اي خيرا كان
او شرا او اجهروا به فانه يعلمه ويجازيكم به اللفظ
لفظ الامر والمراد به الخبر يعني ان اخفيتم كلامكم

Copyright © King Saud University

في امر محمد صلى الله عليه وسلم او غيره او جهرتم به انه
اي ربكم عليم اي بالغ العلم بذات الصدور اي
بحقيقتها وكنهها وحالتها وجبلتها وما يحدث
عنها من الخير والشر وقال ابن عباس نزلت في المشركين
كانوا ينالون من النبي صلى الله عليه وسلم فيخبره
جبريل عليه السلام فقال بعضهم لبعض اسروا قولكم
كيلا يسمع رب محمد واسروا قولكم او اجهروا به يعني
واسروا قولكم في محمد صلى الله عليه وسلم وقال غيره
انه خطاب عام لجميع الخلق في جميع الاعمال والمراد ان
قولكم وعملكم على اي سبيل وجد والحال واحد
في علمه تعالى فاحذروا من المعاصي سرا كما تحترزون
عنها جهرا فان ذلك لا يتفاوت بالنسبة الى علم
الله تعالى ولما قال تعالى انه عليم بذات الصدور
ذكر الدليل على انه عالم فقال تعالى الا يعلم من خلق
اي من خلق لابد وان يكون عالما بما خلقه لان الخلق
هو الايجاد والتكوين على سبيل القصد والقاصد
الى الشيء لابد وان يكون عالما بحقيقة ذلك المخلوق
كيفية وكمية والمعنى الا يعلم من خلق السر يقول
انا خلقت سريرة القلب افلا اكون عالما بما في قلوب
العباد قال اهل المعاني ان شئت جعلته من اسما الخالق
تعالى ويكون المعنى الا يعلم الخالق خلقه وان

شئت

شئت جعلته من اسما المخلوق والمعنى الا يعلم الله من
خلق وما يخلقه قال ابن المسيب بينما رجل واقف بالليل
في شجر كثير وقد عصفت الريح فوقع في نفس الرجل
اترى الله يعلم ما يسقط من هذا الورق فنودي من
جانب الغيضة بصوت عظيم الا يعلم من خلق وهو
اي والحال انه هو اللطيف الذي يعلم ما يسر في
البول القلوب الخبير اي البالغ العلم بالظواهر والبواطن
فكيف يخفى عليه شيء من الاشيا وقال ابو اسحاق
الاسفراييني من اسما صفات الذات ما هو للعلم
منها العليم ومعناه تعميم جميع المعلومات ومنها
الحكيم ويختص بان يعلم الغائب والحاضر ومعناه
ان لا يغيب عنه شيء ومنها الحافظ ويختص بانه
لا ينسى شيئا ومنها المحصي ويختص بانه لا تشغله
الكثرة عن العلم مثل ضوء النور واشتداد الريح
وتساقط الاوراق فيعلم عند ذلك اخرا الحركات في
كل ورقة وكيف لا يعلم وهو الذي يخلق وقد قال
الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ولما كان هذا
امرا غامضا دل عليه بامر مشاهد انه عم بلطفه
واتقنه بخبره فقال مستانفا هو اي وحده
الذي جعل لكم الارض على سعتها وعظمها وخزونة
كثير منها ذلولا اي مسخرة لا تمتنع لتتوصلوا الى

Copyright © King Saud University

منافعكم فيها قابلة للانقياد لما تريدون منها من مشي
وزرع حبوب وغرس اشجار وغير ذلك وقيل ثبتها
بالجبال لئلا تزول باهلها ولو كانت متمايلة لما كانت
منقادة لنا وقيل لو كانت مثل الذهب والحديد
لكانت تسخن حرا في الصيف وتبرد جدا في الشتاء
تنبيه في ذكر هذه الاية بعد الاية المتقدمة
تهديد للكفرة كقول السيد لعبده الذي اسا اليه سرا يا
فلان انا اعرف سرك وعلانيتك فاجلس في هذه
الدار التي وهبتها لك وكل هذا الخبز الذي هيأته
لك ولا تأمن تاديبي فكانه تعالى يقول يا ايها الكفار
انا عالم بسركم وجهركم وضمائركم فخافوني فان
الارض التي هي قراركم انا ذللتها لكم ولو شئت
خسفتها بكم وقوله تعالى فامشوا اي الهوينا مكتسبين
وغير مكتسبين ان شئتم من غير صعوبة توجب
لكم وثوبا او حبوا في مناكبها مثل لفرط التذلل
ومجاوزته الغاية لان المنكبين وملتقاهما من الغارب
ارق شيء من البعير وانباه عن ان يطاه الراكب بقدمه
ويعتمد عليه فاذا جعلها في الذل بحيث يمشي في منا
كبها لم يترك شيئا وهذا امر اباحة وفيه اظهار
الامتنان وقيل خبر بلفظ الامر اي لكي تمشوا في اطرا
فها ونواحيها واكامها وجبالها وقال ابن عباس

وبشير بن كعب وقتادة في مناكبها في جبالها وتذليلها
ادل على تذليل غيرها ويكون مشيكم فيها وتصرفاتكم
بدل واجبات وسكون استقرار لانفسكم وشكر المنن
سخر لكم ذلك وروي ان بشير بن كعب كانت له سرية فقال
لها ان اخبرتني ما مناكب الارض فانت حرة فقالت
مناكبها جبالها فقال لها صرت حرة فاراد ان يتزوجها
فسال ابا الدردا فقال دع ما يريبك الى ما لا يريبك
وقال مجاهد في اطرافها وعنه ايضا في طرقها وفجا
جها وهو قول السدي والحسن وقال الكلبي في جوانبها
ومنكبا الرجل جانباه فائدة حكى قتادة عن
ه ابي الجلد ان للارض اربعة وعشرون الف فرسخ للسودا
ان اثنا عشر الفا وللروم ثمانية الاف وللفرس ثلاثة
الاف وللعرب الف ثم ذكرهم تعالى بانه سهلها
لاخراج البركات بقوله تعالى وكلوا ودل على ان الرزق
فوق الكفاية بقوله تعالى من رزقه اي ودعه لكم
فيها قال الحسن مما احل لكم وقيل مما خلقه الله
لكم رزقا في الارض واليه اي وحده النشور وهو
اخراج جميع الحيوانات التي اكلتها الارض وافنتها
يخرجها سبحانه في الوقت الذي يريده على ما كان كل
منها عليه عند الموت كما اخرج تلك الارزاق لا فرق
بين هذا وذاك غير انكم لا تتاملون فيا فوز من شكر

Copyright © King Saud University

وباهلاك من كفر فعودوا الفكر بالخبرات لعلها تنقاد كما
قيل هي النفس ما عودتها تتعود . ولما كان لم
تكن بعد الاستعطاف الا الانذار قال تعالى مهددا
للمكذبين اامنتم قرا قنبل في الوصل بابدال الهمزة
بعد النون واوا وسهل الهمزة الثانية نافع وابن كثير
وابو عمرو وهشام بخلاف عنه وحققها الباقون
وادخل بينهما الفا قالون وابو عمرو وهشام والباقون
بغير ادخال وقوله تعالى من في السماء فيه وجوه
احدها من ملكوته في السماء لانها مسكن ملائكته
وثم عرشه وكرسيه واللوح المحفوظ ومنها تنزل
قضاياه وكتبه واوامره ونواهيه والثاني ان
ذلك على حذف مضاف اي اامنتم خالق من في
السماء والثالث ان في بمعنى على اي على السماء
كقوله تعالى ولاصلبنكم في جذوع النخل اي على
جذوع النخل وانما احتاج القايل بهذين الوجهين
الى ذلك لانه اعتقد ان من واقعة على البارى
تعالى شانه وهو الظاهر وثبت بالدليل القطعي
انه ليس بمتحيز لئلا يلزم التجسيم ولا حاجة الى ذلك
فان من هنا المراد بها الملائكة سكان السماء وهم
الذين يتولون الرحمة والنقمة والرابع انهم خوطبوا
بذلك على اعتقادهم فان القوم كانوا مجسمة مشبهة

الله

١٦٦

انه في السماوات الرحمة والعذاب ينزلان منه وكانوا
يدعونه من جهتها فقيل لهم على حسب اعتقادهم
اامنتم من في السماء من تزعمون انه في السماء قال
الرازي هذه الاية لا يمكن اجراؤها على ظاهرها
باجماع المسلمين لان ذلك يقتضي احاطة السماء به
من جميع الجوانب فيكون اصغر منها والعرش اكبر من السما
بكثير فيكون حقيرا بالنسبة الى العرش وهو باطل
بالاتفاق ولانه تعالى قال قل لمن ما في السموات
والارض فلو كان فيها لكان مالكا لنفسه فالمعنى
اما من في السما عذابه واما ان ذلك بحسب ما كانت
العرب تعتقده واما من في السما سلطانه وملكه
وقدرته كما قال تعالى وهو الله في السموات وفي
الارض فان الشي الواحد لا يكون دفعة في مكانين
والغرض من ذكر السما تفخيم سلطان الله سبحانه وتعظيم
قدرته والمراد الملك الموكل بالعذاب وهو جبريل وقوله
تعالى ان يخسف بكم الارض بدل من من في السماء
بدل اشتمال وقال القرطبي يحتمل ان يكون المعنى
اامنتم خالق من في السماء ان يخسف بكم الارض
كما خسفها بقارون وقرا من في السماء ان نافع وابن
كثير وابو عمرو بابدال الهمزة الثانية المفتوحة
بعد الكسرة ياء في الوصل والباقون بتحقيقها فاذا

Copyright © King Saud University

هي اي الارض التي انتم عليها **تمور** اي تضطرب وهي
تهوي بكم وتجري هابطة في الهوا وتتكفا الي حيث
شا سبحانه قال في القاموس المور الاضطراب والجريان
علي وجه الارض والتحرك وقال الرازي ان الله تعالي
يحرك الارض عند الخسف بهم حتي تضطرب وتتحرك
فتعلوا عليهم وهم يخسفون فيها مذهبون والارض
فوقهم تمور فتقلبهم الي اسفل السافلين وقال
القرطبي قال المحققون أامنتم من فوق السما
كقوله تعالي فسيحوا في الارض اي فوقها الا بالمماسة
والتحيز لكن بالقهر والتدبير والاخبار في هذا
صحيحة كثيرة منتشرة الي العلو لابد منها الا من
ملحد او جاهل او معاند والمراد به توقيره
وتنزيهه عن السفل والتحت ووصفه بالعلو
والعظمة لا بالاماكن والجهات والحدود لانها
صفات الاجسام وانما ترفع الايدي بالدعا الي
السما لان السما مهبط الوحي ومنزل القطر
ومحل القدس ومعدن المطهرين من الملايكة واليها
ترفع اعمال العباد وفوقها عرشه وجنته كما جعل
الله تعالى [illegible] الكعبة قبلة للصلاة ولانه
تعالى خلق الامكنة وهو غير متحيز وكان في ازله
قبل خلق الامكنة المكان والزمان ولا مكان له

ولا

ولا زمان وهو الان علي ما عليه كان وقوله تعالى
أامنتم اي اامنتم المكذبون **من في السما ان يرسل**
بدل من من في السما بدل اشتمال **عليكم** اي من السما
حاصبا قال ابن عباس اي حجارة من السما كما ارسلها
علي قوم لوط واصحاب الفيل وقيل ريح فيها حجارة
وحصبا كانها تقلع الحصبا لشدتها وقوتها وقيل
هي سحاب فيها حجارة **فستعلمون** اي عن قريب
بوعد لا يخلف عند معاينة العذاب **كيف نذير** اي
انذاري البليغ اذا شاهدتم العذاب وهو بحيث
لا يستطاع ولا يتعلق الاطماع بكشفه لدونه دفاع قال
البقاعي وحذف اليا منه ومن نكير اشارة الي انه
وان كان خارجا عن الطوق ليس منتهى مقدوره
بل لديه مزيد لا غاية له بوجه ولا تحتذر اي علي
قراة اكثر القرا فقد قراه ورش باليا في الوصل
فيهما دون الوقف والباقون بغير يا وقفا ووصلا
ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير
اي انكاري عليهم لما اصبتهم به من العذاب ولما ذكر
تعالى ما تقدم من الوعيد ذكر البرهان علي كمال
قدرته بقوله تعالى **اولم يروا** اجمع القرا علي القراة
بالغيب لان السياق للرد على الكفرة في تحكمهم في ما في
النحل واشار الي بعد النهاية النهاية فقال تعالى **الي**

Copyright © King Saud University

الطير وهو جمع طائر فوقهم اي في الهوا وقوله تعالى صا
فات اي باسطات اجنحتهن يجوز ان يكون حالا من الطير
وان يكون حالا من فوقهم اذا جعلناه حالا فتكون
متداخلة وفوقهم ظرف لصافات على الاول او للرؤيا
وقوله تعالى ويقبضن عطف الفعل على الاسم لانه
بمعناه اي وقابضات فالفعل هنا مؤول بالاسم
عكس قوله تعالى ان المصدقين والمصدقات
واقرضوا فان الاسم هنالك مؤول بالفعل وقال
ابو حيان وعطف الفعل على الاسم لما كان في معناه
ومثله قوله تعالى فالمغيرات صبحا فاثرن عطف
الفعل على الاسم لما كان المعنى فاللاتي اغرن
فاثرن ومثل هذا العطف فصيح وكذا عكسه الا عند
السهيلي فانه قبيح وقال الزمخشري صافات
باسطات اجنحتهن في الجو عند طيرانها لانهن
اذا بسطنها صففن قوادمها صفا ويقبضن
ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن فان قلت
لم قال ويقبضن ولم يقل قابضات قلت لان
الاصل الطيران هو صف الاجنحة لان الطيران
في الهوا كالسباحة في الماء والاصل في السباحة
مد الاطراف وبسطها واما القبض فطارئ على
البسط للاستظهار به على التحرك فجي بما هو طارئ

بنز

١٦٨

غير اصل بلفظ الفعل على معنى انهن صافات ويكون
منهن القبض تارة بعد تارة كما يكون من السابح انتهى
وقال ابو جعفر النحاس يقال للطائر اذا بسط جناحيه
صاف واذا ضمهما فاضهما باجنحته قابض لانه
يقبضهما وقيل ويقبضن اجنحتهن بعد بسطها اذا
وقفن من الطيران ما يمسكهن اي عن الوقوع في
حال البسط والقبض الا الرحمن اي الملك الذي
رحمته عامة لكل شي بان هيا هن بعد ان افاض
عليهن رحمة الايجاد على اشكال مختلفة وخصائص
مفترقة هياهن للتحرك في الهوا انه اي الرحمن سبحا
نه بكل شي بصير اي بالغ البصر والعلم بظواهر الاشيا
وبواطنها فيهما اراد كان والمعنى اولم يستدلوا
بثبوت الطير في الهوا على قدرتنا ان نفعل بهم
ما تقدم وغيره من العذاب وقوله تعالى امن مبتدا
وقوله تعالى هذا خبره وقوله تعالى الذي
من هذا وقوله تعالى هو جند اي اعوان لكم صلة الذي
وقوله تعالى ينصركم صفة جند من دون الرحمن
اي غيره يدفع عنكم عذابه اي لا ناصر لكم وقال
ابن عباس جند لكم اي حزب ومنعة لكم ولفظ الجند
يوحد ولذلك قال تعالى هذا الذي هو جند لكم
وهو استفهام انكاري اي لا جند لكم يدفع عنكم
عذاب الله من دون الرحمن اي من سوى الرحمن

Copyright © King Saud University

وقرا ابو عمرو بسكون الراء وللدوري اختلاس الضمة
ايضا والباقون بالرفع ان الكافرون اي ما الكافرون
الا في غرور اي من الشيطان يغرهم بان لا عذاب
ولا حساب قال بعض المفسرين كان الكفار يمتنعون
عن الايمان ويعاندون النبي صلى الله عليه وسلم
معتمدين على شيئين احدهما قوتهم بمالهم وعددهم
والثاني اعتقادهم ان الاوثان توصل اليهم جميع الخيرات
وتدفع عنهم جميع الافات فابطل الله تعالى عليهم
الاول بقوله تعالى امن هذا الذي هو جند لكم هو
ينصركم الاية ورد عليهم الثاني بقوله تعالى
امن هذا الذي يرزقكم اي على سبيل التجدد
والاستمرار ان امسك رزقه بامساك
الاسباب التي ينشا عنها كالمطر ولو كان الرزق
موجودا وكثيرا وسهل التناول فوضع الاكلة في
فمه فامسك الله تعالى عنه قوة الازدراد عجز
اهل السموات والارض عن ان يسوغوه تلك اللقمة
وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله اي فمن
يرزقكم اي لا رازق لكم غيره بل لجوا اي تمادوا
سفاهة لا احتياطا وشجاعة قال الرازي في
اللوامع واللجاج تقحم الامر مع كثرة الصوارف
عنه في عتو اي تطرف في الفساد وتكبر عن الحق

وخروج

وخروج الى فاحش الفساد ونفور اي تباعد عن الحق
واستولى ذلك عليهم حتى احاط بهم مع انه لا قوة لاحد
منهم في جلب سار ولا دفع ضار والداعي الى ذلك
الشهوة والغضب افمن يمشي مكبا اي واقعا على
وجهه اهدى امن يمشي سويا اي معتدلا على
صراط اي طريق مستقيم وخبر من الثانية محذوف
دل عليه خبر الاولى اي اهدى والمثل في المؤمن
والكافر اي ايهما اهدى وقيل المراد بالمكب الاعمى
هو الذي يحشر على وجهه الى النار ومن يمشي
سويا الذي يحشر مكبا على قدميه الى الجنة وقال
ابن عباس والكلبي عنى بالذي يمشي مكبا على
وجهه ابا جهل وبالذي يمشي سويا رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقيل ابو بكر وقيل حمزة وقيل
عمار ابن ياسر قال عكرمة وقيل عام في الكافر
والمؤمن اي ان الكافر لا يدري اعلى حق هو ام على
باطل اي اهذا الكافر اهدى ام المسلم الذي يمشي
سويا معتدلا يبصر الطريق وهو على صراط مستقيم
وهو الاسلام وقرا قنبل بالسين وقرا خلف
بالاشمام اي بين الصاد والزاي والباقون بالصاد
الخالصة قل اي يا اشرف الخلق واستعطفهم
عليهم مذكرا لهم بما رفع عنهم الملك من المغالات

Copyright © King Saud University

وجعل لهم من المصلحات ليرجعوا اليه ولا يقولوا في حال
من احوالهم الا عليه هو اي الذي شرفكم بهذا الذكر
وبين لكم هذا البيان الذي انشاكم اي اوجدكم و د
رجكم في مدارج التربية حيث طوركم في اطوار الخلقة
في الرحم وسيركم بعد الخروج اللبن حيث كانت
المعدة ضعيفة عن اكثر منه وجعل لكم السمع
اي لتسمعوا ما تعقله قلوبكم فيهديكم ووحده
لقلة التفاوت فيه لتظهر سر تصرفه سبحانه في
القلوب بغاية المفاوتة مع انه اعظم الطرق الموصلة
للمعاني الهنا والابصار لتنظروا صنايعه فتعتبروا
وتزدجروا عما يرديكم والافئدة اي القلوب التي
جعلتها سبحانه في غاية التوقد بالادراك لما
يدركه بقية الحيوان لتتفكروا فتقبلوا على ما يبلغ
وجمعها لكثرة التفاوت في نور الابصار وادراك
الابصار قليلا ما تشكرون اي باستعمالها فيما خلقت
لاجله وما مزيدة والجملة مستانفة مخبرة بقلة
شكرهم جدا على هذه النعم وهم يدعون انهم
اشكر الناس للاحسان واعلاهم في العرفان
قل هو اي وحده الذي ذراكم اي خلقكم وبثكم
ونشركم وكثركم وانشاكم بعد ما كنتم كالذر الطفا
لاصغفا في الارض التي تقدم انه ذللها لكم ورزقكم

منها النبات وغيره واليه اي وحده بعد موتكم تحشرو
ن شيئا فشيئا الى البرزخ ودفعة واحدة يوم البعث
للحساب فيجازي كلا بعمله ويقولون اي يجددون
هذا القول تجديدا مستمرا استهزاء وتكذيبا متى هذا
وزادوا في الاستهزاء بقولهم الوعد اي يوم القيامة
والعذاب الذي توعدنا به ان كنتم صادقين
اي في انه لابد لنا منه وانكم مقربون عند الله
فلو كان لهم ثبات الصبر لما كانوا طاشوا هذا الطيش
بابراز هذا القول القبيح ثم انه تعالى اجاب
عن هذا السوال بقوله عز وجل قل اي يا اكرم
الخلق لهم ولا البعدا انما العلم اي علم وقت
قيام الساعة ونزول العذاب عند الله اي الذي
له الاحاطة بجميع صفات الكمال فهو الذي يكون عنده
وبيده جميع ما يراد منه لا يطلع عليه غيره وانما
انا نذير اي كامل في امر النذارة التي يلزم منها
البشارة لمن اطاع النذير لا وظيفة لي عند الملك
الاعظم غير ذلك ولا وصول الى سواله عما لا يوذن
لي في السوال عنه مبين اي بين الانذار باقامة
الادلة حتى يصير ذلك كانه مشاهدة لمن له قبول
العلم فلما راوه اي العذاب بعد الحشر زلفة اي ذا
قرب عظيم منهم سيئت قال ابن عباس اي اسودت

Copyright © King Saud University

وجوه واظهر في موضع الاضمار تعميما وتعليقا للحكم بالوصف
فقال تعالى الذين كفروا اي ظهر السوال وغاية الكراهة
في وجوه من اوقع بهذا الوصف تنبيه الاصل
سا اي احزن وجوههم العذاب ورويته بنى
المفعول وسا بهنا ليت المراد فتلبس واشمم
كسرة السين نافع وابن عامر والكسائي والباقون
باخلاص الكسرة وقيل اي قال لهم الخزنة
تقريعا وتوبيخا هذا الذي كنتم اي جبلة وطبعا
به اي بسببه ومن اجله تدعون اي تتمنون
وتسالون وتزعمون انكم لا تبعثون وهذه حكاية
حال تاتي عبر عنها بطريق المعنى لتحقق وقوعها
وقراءة هشام والكسائي بضم القاف والباقون
بكسرها قل اي يا اكرم الخلق لهولاء الذين طال
تضجرهم منك وهم يتمنون هلاكك كما قال تعالى
ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون ارايتم
اي اخبروني خبرا انتم في الوثوق به على ما هو
كالروية ان اهلكني الله اي اماتني بعذاب او غيره
الذي له من الجلال والاكرام ما يعصم به وليه
ويعصم عدوه وقراءة قل ارايتم في الموضعين
نافع بتسهيل الهمزة بعد الواو ولورش ايضا ابدالها
الفا واسقطها الكسائي والباقون بالتحقيق واذا وقف

حمزة

حمزة سهل الهمزة وقراءة ان اهلكني الله حمزة بسكون
الياء والباقون بفتحها ومن سكن الياء رقق اللام
من الاسم الجليل ومن فتحها فخم ومن معي اي من
المومنين او رحمنا اي بالنصر واظهار الاسلام كما نرجوا
فانجانا بذلك من كل سوء ووقانا كل محذور وقراءة
نافع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر وحفص بفتح
الياء والباقون بالسكون فمن يجير الكافرين اي
الفريقين في الكفر بان يدفع عنهم ما يدفع الجار عن جاره
من عذاب اليم اي لا مجير لهم منه قل اي يا خير
الخلق هو اي الله وحده الرحمن اي الكامل الرحمة
امنا به اي انا ومن امن بي وعليه اي وحده
توكلنا اي لانه لا شي في يد غيره والا لرحم من
يريد عذابنا او عذب من يريد رحمته فكل ما جرى
على ايدي خلقه من رحمة او نقمة فهو الذي
اجراه لانه الفاعل بالذات المستجمع لما يليق به
من الصفات فنحن نرجوا غيره ولا نخاف غيره
فستعلمون اي عند معاينة العذاب عما قليل بوعد
لا خلف فيه من هو في ضلال مبين اي بين انحن ام
انتم وقراءة الكسائي بعد السين بيا الغيبة نظرا الى
قول الكافرين والباقون بتا الخطاب اما على الوعيد
واما على الالتفات من الغيبة المرادة في قراءة الكسائي

Copyright © King Saud University

وهو تهديد لهم قل يا اعظم خلقنا واعلمهم بنا ارايتم
اي اخبروني اخبار الا لبس فيه ان اصبح ماؤ
كم اي الذي تعدونه في ايديكم بما نبهت عليه من
الاضافة غورا اي غائرا اذا ذهبا في الارض
لا تناله الدلاء وكان ماؤهم من بئرين بئر زمزم
وبئر ميمونة فمن ياتيكم على ضعفكم حينئذ وانخلاع
قلوبكم واضطراب افكاركم بما معين اي دائم لا ينقطع
وظاهر للاعين سهل الماخذ وقال ابن عباس بما
معين اي ظاهر تراه العيون فهو مفعول وقيل هو
من معن الماء اي كثر فهو على هذا فعيل وعن ابن
عباس ايضا ان المعنى فمن ياتيكم بما عذاب اي
لا ياتيكم به الا الله فكيف تنكرون ان يبعثكم
ويستحب ان يقول القارئ عقبه ياتي الله رب
العالمين كما في الحديث وتليت هذه الاية عند
بعض المتجبرين فقال ياتي به الفوس والمعاول
فذهب ما عينيه وعمي نعوذ بالله من الجراة
على الله وعلى اياته وروى ابو هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ان سورة من كتاب
الله ما هي الا ثلاثون اية شفعت لرجل يوم القيامة
فاخرجته من النار وادخلته الجنة وهي سورة
تبارك وعن عبد الله ابن مسعود قال اذا وضع

الميت

الميت في قبره من قبل رجليه فيقال ليس لكم عليه
سبيل لانه قد كان يقوم بسورة الملك ثم يؤتى من
قبل راسه فيقول لسانه ليس لكم عليه سبيل كان
يقرا بي سورة الملك ثم قال هي المانعة من عذاب
الله وهي في التوراة سورة الملك من قراها في ليلة
فقد اكثر واطيب وعن ابن عباس قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم وددت ان تبارك الملك
في قلب كل مومن واما ما رواه البيضاوي تبعا
للزمخشري من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرا
سورة الملك فكانما احيى ليلة القدر فحديث
موضوع

سورة ن وتسمى القلم مكية

في قول الحسن وعكرمة وعطا وجابر وقال ابن عباس
وقتادة من اولها الى قوله تعالى سنسمه على الخر طوم
مكي ومن بعد ذلك الى قوله تعالى يعلمون مدني ومن
بعد ذلك الى قوله تعالى فهم يكتبون مكي ومن
بعد ذلك الى قوله تعالى من الصالحين مدني وباقيها
مكي قاله الماوردي وهي اثنان وخمسون اية وثلثمائة
كلمة والف ومائتان وستة وخمسون حرفا بسم الله
اي الذي له الاحاطة الكاملة فهو بكل شيء عليم
الرحمن الذي عمت نعمة ايجاده لاهل معاداة البرايا

Copyright © King Saud University

منهم والشقيهم الرحيم الذي اتم تلك النعمة على من وفقه
لطاعته فالزمه صراطه المستقيم وقوله تعالى ن
كقوله تعالى ص والقران وجواب القسم الجملة المنفية
بعدها واختلفوا في تفسير ذلك فقال ابن عباس هو
الحوت الذي على ظهره الارض وهو قول مجاهد ومقاتل
والسدي والكلبي وروى ابو ظبيان عن ابن عباس
قال اول ما خلق الله تعالى القلم فجرى بما هو كائن
الى يوم القيامة ثم خلق النون فبسط الارض على
ظهره فتحرك النون فمادت الارض فاثبتت
بالجبال فان الجبال لتفخر على الارض ثم قرا ابن
عباس الاية واختلفوا في اسمه فقال الكلبي ومقاتل
بهموت وقال الواقدي ليوثا وقال كعب توثا وقال
على تلهوت وقال الرواة لما خلق الله تعالى الارض
وفتقها بعث من تحت العرش ملكا فهبط الى الارض
حتى دخل تحت الارضين حتى ضبطها فلم يكن
لقدميه موضع قرار فاهبط الله عز وجل من الفردوس
ثورا له اربعون الف قرن واربعون الف قائمة
وجعل قرار قدم الملك على سنامه فلم يستقر قدماه
فاخذ الله تعالى ياقوتة خضرا من اعلى درجة
الفردوس غلظها خمسماية عام فوضعها بين سنام
الثور الى اذنه فاستقرت عليها قدماه وقرون

ذلك

ذلك الثور خارجة من اقطار الارض ومنخراه في البحر
فهو يتنفس كل يوم نفسا فاذا تنفس مد البحر واذا رد
نفسه جزر البحر فلم يكن لقوائم الثور موضع قرار
فخلق الله تعالى صخرة كغلظ سبع سموات وسبع ارضين
فاستقرت قوائم الثور عليها وهي الصخرة التي قال
لقمان لابنه فتكن في صخرة ولم يكن للصخرة مستقر
فخلق الله تعالى نونا وهو الحوت العظيم فوضع الصخرة
على ظهره وساير جسده خال والحوت على البحر والبحر
على متن الريح والريح على القدرة تقل الدنيا كلها
بما عليها حرفان قال لها الجبار كوني فكانت قال
كعب الاحبار ان ابليس تغلغل الى الحوت الذي على
ظهره الارض فوسوس اليه فقال له اتدري ما على
ظهرك يا لوثيا من الامم والدواب والشجر والجبال
لو نفضتهم القيتهم عن ظهرك فهم لوثيا ان يفعل
فبعث الله تعالى دابة فدخلت منخره فوصلت الى
دماغه فعج الحوت الى الله تعالى منها فاذن الله
تعالى لها فخرجت فوالذي نفسي بيده انه لينظر اليها
وتنظر اليه ان هم بشي من ذلك عادت اليه
كما كانت وقال بعضهم نون اخر حروف الرحمن وهي
رواية عكرمة عن ابن عباس وقال الحسن وقتادة
والضحاك النون الدواة وهو مروي ايضا عن

Copyright © King Saud University

ابن عباس وقال القرطبي عن ابي هريرة قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول اول ما خلق الله القلم
ثم خلق النون وهي الدواة ومنه قول الشاعر اذا ما
الشوق برح بي اليهم ، القت النون بالدمع السجام
ويكون على هذا اقسم بالدواة والقلم فان المنفعة
بهما عظيمة بسبب الكتابة فان التفاهم يحصل
تارة بالنطق وتارة بالكتابة وقيل النون لوح من
نور تكتب فيه الملائكة ما يومرون به رواه معاوية
بن قرة مرفوعا وقيل النون هو المداد الذي تكتب
به الملائكة وقال عطا وابو العالية هو افتتاح اسمه
تعالى نصير ونور وناصر وقال محمد بن كعب اقسم
الله تعالى بنصرة المومنين وقال الزمخشري هذا
الحرف من حروف المعجم واما قولهم هو الدواة
فما ادري اهو وضع لغوي او شرعي فلا يخلو اذا كان
اسما للدواة من ان يكون جنسا او علما فان
كان جنسا فاين الاعراب وايهما كان ولا بد له
من موقع في تاليف الكلام فان قلت هو مقسم
به وجب ان كان جنسا ان يجره وينونه ويكون
القسم بدواة منكرة مجهولة كانه قيل ودواة
والقلم وان كان علما ان يصرفه ويجره او لا يصرفه
ويفتحه للعلمية والتانيث وكذلك التفسير بالحوت

اما

اما ان يراد نون من النينان او يجعل علما للبهموت الذي
يزعمون والتفسير باللوح من نور او ذهب والنهر في
الجنة نحو ذلك انتهى تنبيه في القلم المقسم به قولان
احدهما ان المراد به الجنس وهو واقع على كل قلم يكتب
به في السماء والارض قال تعالى وربك الاكرم الذي علم
بالقلم علم الانسان ما لم يعلم ولانه ينتفع به
كما ينتفع بالنطق قال تعالى خلق الانسان علمه البيان
فالقلم يبين كما يبين اللسان في المخاطبة بالكتابة
للغايب والحاضر والثاني انه القلم الذي جاء في
الخبر عن ابن عباس اول ما خلق الله تعالى القلم
ثم قال ما اكتب قال ما كان وما هو كاين الى يوم
القيامة من عمل او اجل او رزق او اثر فجرى القلم
بما هو كاين الى يوم القيامة قال ثم ختم فم القلم
فلم ينطق ولا ينطق الى يوم القيامة قال وهو قلم
من نور طوله كما بين السما والارض وروى مجاهد
اول ما خلق الله تعالى القلم فقال اكتب المقادير
فكتب ما هو كاين الى يوم القيامة وانما يجري في الناس
على امر قد فرغ منه قال ابن عادل قال القاضي
هذا الخبر يجب حمله على المجاز لان القلم الية
مخصوصة للكتابة لا يجوز ان يكون حيا عاقلا
فيومر وينهى فان الجمع بين كونه حيوانا مكلفا وبين

كونه الة للكتابة محال بل المراد منه انه تعالى اذا قضى
امرا فانما يقول له كن فيكون وهو قوله تعالى فانه ليس
هناك امر وله تكليف بل هو مجرد نفاد القدرة في المقدر
من غير منازعة ولا مدافعة انتهى وقوله فان الجمع
الى قوله محال ممنوع فان الله تعالى يخلق فيه ذلك كما قال
تعالى للسموات والارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا
طائعين وقال الزمخشري اقسم بالقلم تعظيما له لما في
خلقه وتسويته من الدلالة على الحكمة العظيمة لما فيه
من المنافع والفوايد التي لا يحيط بها الوصف وقيل
القلم المذكور ههنا هو العقل وانه شي كالاصل
لجميع المخلوقات قالوا والدليل عليه انه روي في
الاخبار اول ما خلق الله تعالى القلم وفي خبر اخر
اول ما خلق الله تعالى فقال الجبار ما خلقت خلقا
اعجب الي منك وعزتي وجلالي لاكملنك فيمن
احببت ولانقصنك فيمن ابغضت قال ثم قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اكمل الناس عقلا اطوعهم
لله واعملهم بطاعته وفي خبر اخر اول ما خلق الله
جوهرة فنظر اليها بعين الهيبة فذابت وسخنت
فارتفع منها دخان وزبد فخلق من الدخان السموات
ومن الزبد الارض قالوا فهذه الاخبار بمجموعها تدل
على ان القلم والعقل وتلك الجوهرة التي هي اصل

المخلوقات

المخلوقات شي واحد والا لحصل التناقض وقال البغوي
القلم هو الذي كتب الله به الذكر وهو قلم من نور طوله
ما بين السماء والارض ويقال اول ما خلق الله تعالى القلم
ونظر اليه فانشق بنصفين ثم قال اجر بما هو كائن
الى يوم القيامة فجرى على اللوح المحفوظ بذلك وقراءة
قالون وابن كثير وابو عمرو وحفص وحمزة وورش
بخلاف عنه باظهار النون عند الواو هنا والباقون
بالادغام وما يسطرون اي الملائكة من الخير والصلاح
وقيل وما تكتبه الملائكة الحفظة من اعمال بني
ادم وقيل وما يكتبون اي الناس ويتفاهمون به
وقال ابن عباس معنى وما يسطرون وما يعلمون وما
موصولة او مصدرية قال الزمخشري ويجوز ان يراد
بالقلم اصحابه فيكون الضمير في يسطرون لهم كانه
قيل واصحاب القلم ومسطوراتهم او وسطرهم
ويراد بهم كل من يسطر او الحفظة وقال البقاعي وما
يسطرون اي قلم القدرة وجمعه واجراه مجرى
اولي العلم للتعظيم لانه فعل افعالهم والاقلام
على ارادة الجنس ويجوز ان يكون الاسناد الى الكاتبين
به لما دل عليهم من ذكره واما الملائكة ان كان المراد
ما كتب في الكتاب المبين واللوح المحفوظ وغيره
مما يكتبون واما كل من يكتب منهم ومن غيرهم

Copyright © King Saud University

وقوله تعالى ما انت اي يا اهلا المتاهلين لخطابنا بنعمة
اي بسبب انعام ربك اي المربي لك بمثل تلك النعم
العالية والسجايا الكاملة بان خصك بالقران الذي
هو الجامع لكل علم وحكمة بمجنون جواب القسم وهو
نفي قال الزجاج انت هو ما وبمجنون الخبر وقوله
تعالى بنعمة ربك كلام وقع في الوسط اي انتفى ذلك
الجنون بنعمة ربك كما تقال انت بحمد ربك عاقل الذي
وصفك بهذا هو المحقق باسم المجنون وقال البغوي
ما انت بنعمة ربك بنبوة ربك بمجنون اي انك لا تكون
مجنونا وقد انعم الله تعالى عليك بالنبوة والحكمة
وقيل بعصمة ربك وقيل هو كما تقال ما انت بمجنون
والحمد لله وقيل معناه ما انت بمجنون والنعمة
لربك كقولهم سبحانك اللهم وبحمدك اي والحمد لك
وروي عن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم
غاب عن خديجة الى حرا فطلبته فلم تجده
فاذا به ووجهه متغيرا امتلا غبارا فقالت له
مالك فذكر جبريل عليه السلام وانه قال له اقرا
باسم ربك فهو اول ما نزل من القران قال ثم نزل
الى قرار الارض فتوضا وتوضات ثم صلى وصليت
معه ركعتين وقال هكذا الصلاة يا محمد فذكر النبي
صلى الله عليه وسلم ذلك لخديجة فذهبت به خديجة

الى

الى ورقة ابن نوفل وهو ابن عمها وكان قد خالف دين
قومه ودخل في النصرانية فسالته ارسلني الى محمد ام
فارسلته فقال هل امرك جبريل عليه السلام ان تدعوا
احدا قال لا فقال والله لئن بقيت الى دعوتك
لانصرنك نصرا عزيزا ثم مات قبل دعاء الرسول
صلى الله عليه وسلم ووقعت تلك الواقعة في السنة
كفار قريش فقالوا انه مجنون واقسم الله تعالى على
انه ليس بمجنون وهو خمس ايات من اول هذه السورة
وقال ابن عباس اول ما نزل قوله تعالى سبح اسم
ربك الاعلى وهذه الاية هي الثانية نقله الرازي
وذكر القرطبي ان المشركين كانوا يقولون للنبي صلى
الله عليه وسلم مجنون به شيطان وهو قولهم يا ايها
الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون فانزل الله
تعالى ردا عليهم وتكذيبا لقولهم ما انت بنعمة ربك
بكاهن ولا مجنون اي برحمة ربك والنعمة ههنا
الرحمة وقال عطا وابن عباس يريد بنعمة ربك
عليك بالايمان والنبوة وقال القرطبي يحتمل ان
النعمة ههنا قسم تقديره ما انت ونعمة ربك بمجنون
لان الواو والبا من حروف القسم وقال الرازي
انه تعالى وصفه بصفات ثلاثة وقال الرازي
انه وصفه بصفات ثلاثة الاولى نفي الجنون عنه

Copyright © King Saud University

ثم قرن بهذه الدعوى ما يكون كالدلالة القاطعة على
صحتها لان قوله بنعمة ربك يدل على ان نعم الله تعالى
ظاهرة في حقه من الفصاحة التامة والعقل الكامل
والسيرة المرضية والبراءة من كل عيب والاتصاف
بكل مكرمة واذا كانت هذه النعم محسوسة ظاهرة
فوجودها ينافي حصول الجنون فالله تعالى نبه
على ان هذه الدقيقة جارية مجرى الدلالة اليقينية
على كذبهم في قولهم مجنون الصفة الثانية قوله
تعالى **وان لك** اي على ما تحملت من اثقال النبوة وعلى
صبرك عليهم فيما يرمونك به وهو تسلية له صلى
الله عليه وسلم **لاجرا** اي ثوابا **غير ممنون** اي غير
مقطوع وله منقوص في دنيا ولا آخرة يقال منّ
الشيء اذا ضعف ويقال مننت الحبل اذا قطعته
وحبل منين اذا كان غير متين قال لبيد
غبس كواسب لا يمن طعامها
اي لا ينقطع يصف كلابا
ضارية ونظيره قوله تعالى مجذوذ وقال مجاهد
ومقاتل والكلبي غير ممنون اي غير محسوب عليك
قال الزمخشري لانه ثواب تستحقه على عملك وليس
بتفضل ابتداء وانما عن الفواضل لا الاجور على
الاعمال انتهى وهذا قول المعتزلة فان الله تعالى

لا يجب

١٧

لا يجب عليه شيء وقال الحسن غير مكدر بالمن وقال
الضحاك اجرا بغير عمل واختلفوا في هذا الاجر على اي
شيء حصل فقيل معناه ما مر وقيل معناه ان
لك على احتمال هذا الطعن والقول القبيح اجرا عظيما دائما
وقيل ان لك في اظهار النبوة والمعجزات وفي دعاء الخلق
الى الله تعالى وفي بيان الشرع لهم هذا الاجر الخالص
الدائم فلا تمنعنك نسبتهم اياك الى الجنون عن الاشتغال
بهذا المهم العظيم فان لك بسببه المنزلة العالية
الصفة الثالثة قوله تعالى **وانك لعلى خلق عظيم**
استعظم خلقه لفرط احتمال الممضات من قومه
وحسن مخالقته ومداراته لهم قال ابن عباس
ومجاهد على دين عظيم من الاديان ليس دين احب
الى الله ولا ارضى عنده منه وروى مسلم عن عائشة
ان خلقه كان القرآن وقال علي هو ادب القرآن وقيل
٥ رفقه بامته واكرامه اياهم وقال قتادة هو ما كان
يأتمر به من الله وينتهي عنه مما نهى الله تعالى عنه
وقيل انك على طبع كريم وقيل هو الخلق الذي امر
الله تعالى به في قوله تعالى خذ العفو وامر بالعرف
واعرض عن الجاهلين وقال الماوردي حقيقة
الخلق في اللغة ما يأخذه الانسان في نفسه من الادب
يسمى خلقا لانه يصير كالخلقة فيه فاما ما طبع عليه

من الادب فهو الخيم فيكون الخلق الطبع المتكلف والخيم
الطبع الغريزي قال القرطبي ما ذكره مسلم في صحيحه
عن عائشة اصح الاقوال وسئلت ايضا عن خلقه صلى
الله عليه وسلم فقرأت قد افلح المؤمنون الى عشر ايات
قال الرازي وهذا اشارة الى ان نفسه القدسية
الشريفة كانت بالطبع منجذبة الى عالم الغيب فالى
كل ما يتعلق بها وكانت شديدة التعري عن اللذات
البدنية والسعادات الدنيوية بالطبع ومقتضى
الفطرة وقالت ما كان احد احسن خلقا من رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما دعاه احد من الصحابة ولا
من اهل بيته الا قال لبيك ولذلك قال الله تعالى
وانك لعلى خلق عظيم ولم يذكر خلق محمود الا وكان
للنبي صلى الله عليه وسلم منه الحظ الاوفر وقال
الجنيد سمي خلقه عظيما لاجتماع مكارم الاخلاق
فيه بدليل قوله صلى الله عليه وسلم ان الله
بعثني لتمام مكارم الاخلاق وتمام محاسن
الافعال وعن ابي اسحاق قال سمعت البرا يقول
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس
وجها واحسن الناس خلقا ليس بالطويل البائن
ولا بالقصير وعن انس بن مالك قال خدمت رسول
الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي اف قط

وما

وما قال لشيء صنعته لم صنعته ولا لشيء تركته لم
تركته وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من احسن
خلقا ولا مسست خزا قط ولا حريرا ولا شيئا كان الين
من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شممت
مسكا ولا عنبرا كان اطيب من عرق رسول الله صلى
الله عليه وسلم وعن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم لم يكن فاحشا ولا متفحشا وكان يقول خياركم
احسنكم اخلاقا وعن انس ان امراة عرضت
لرسول الله صلى الله عليه وسلم في طريق من طرق المد نية
فقالت يا رسول الله ان لي اليك حاجة فقال يا ام
فلان اجلسي في اي سكك المدينة شئت اجلس
اليك قالت ففعلت فقعد اليها رسول الله صلى
الله عليه وسلم حتى قضيت حاجتها وعن انس بن مالك
قال كانت الامة من اماء اهل المدينة لتاخذ بيد رسول
الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت وعن
انس ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا
صافح رجلا لم ينزع يده حتى يكون هو الذي يصرف
وجهه عن وجهه ولم ير مقدما ركبتيه بين يدي
جليس له وعن عائشة قالت ما ضرب رسول الله صلى
الله عليه وسلم بيده شيئا قط الا ان يجاهد في سبيل
الله ولا ضرب خادما ولا امراة وعنها قالت ما خير

Copyright © King Saud University

رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرين الا اختار ايسرهما
مالم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس منه وما
انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه في شي
قط الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم وعن انس
قال كنت امشي مع النبي صلى الله عليه وسلم وعليه
برد نجراني غليظ الحاشية فادركه اعرابي فجذبه جذبة
شديدة حتى نظرت الى صفحة عاتق رسول الله صلى
الله عليه وسلم قد اثرت بها حاشية البرد من شدة
جذبته ثم قال مر لي من مال الله الذي عندك
فالتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وضحك
وامر له بعطا وعنه قال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم احسن الناس خلقا وكان لي اخ يقال له
ابو عمير وهو فطيم كان اذا جانا قال يا ابا عمير
ما فعل النغير لنغير كان يلعب به والنغير طاير
صغير شبه العصفور الا انه احمر المنقار وعن الاسود
قال سالت عايشة ما كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يفعل في بيته قالت كان في مهنة اهله فاذا
حضرت الصلاة توضا ويخرج الى الصلاة والمهنة
الخدمة وعن عبد الله بن الحارث قال ما رايت احدا
اكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ام الدردا
تحدث عن ابي الدردا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال

قال لاصحابه اتدرون اكثر ما يدخل الناس النار قالوا
الله ورسوله اعلم قال فان اكثر ما يدخل الناس
النار الاجوفان الفرج والفم اتدرون اكثر ما يدخل
الناس الجنة قالوا الله ورسوله اعلم قال فان
اكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق
وعن عايشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول ان المومن ليدرك بحسن خلقه درجة
قايم الليل وصايم النهار **فستبصر** اي فستعلم
عن قريب وبعد لا تخلق فيه علما انت في تحققه كالمبصر
بالحس الباصر **ويبصرون** اي يعلم الذين رموك
بالبهتان علما هو كذلك دقوله تعالى **بايكم المفتون**
فيه اربعة اوجه احدها ان البا مزيدة في المبتدا
والتقدير ايكم المفتون فزيدت كزدتها بحسبك
زيد والى هذا ذهب قتادة قال ابن عادل في نحو
الا انه ضعيف من حيث ان البا بمعنى في بمعنى ظرفية
كقولك زيد بالبصرة اي فيها والمعنى في اي فرقة
وطايفة منكم المفتون اي المجنون في فرقة الاسلام
او في فرقة الكفار واليه ذهب مجاهد والفرا الثالث
انه على حذف مضاف اي بايكم فتن المفتون فحذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه واليه ذهب
الاخفش وتكون البا سببية الرابع ان المفتون

Copyright © King Saud University

مصدر جا على مفعول كالمقتول والميسور والتقدير بأيكم
الفتنة وقيل المفتون المعذب من قول العرب
فتنت الذهب بالنار اذا حميته قال تعالى يوم هم
على النار يفتنون اي يعذبون وقيل الشيطان لانه
مفتون في دينه وكانوا يقولون ان به شيطانا
وعنوا بالمجنون هذا فقال تعالى سيعلمون غدا
بأيهم الشيطان الذي يحصل من مسه الجنون
واختلاط العقل فائدة بأيكم رسمت ههنا
بيائين ان ربك اي الذي رباك احسن تربية
وفضلك على سائر الخلق هو اي وحده اعلم
اي من كل احد بمن ضل اي حاد عن سبيله
اي دينه وسلك غير سبيل القصد واخطأ
موضع الرشد وهو اي وحده اعلم بالمهتدين اي
الثابتين على الهدى وهم اولوا الاحلام والنهى
اي الذي علم بمعنى عالم تنبيه قوله تعالى
وهو اعلم وهو منظوم وهو منهوم قراءة قالون
وابو عمرو والكسائي بسكون الهاء والباقون بضمها
وقوله تعالى فلا تطع المكذبين اي الفريقين في
التكذيب وهم مشركوا مكة فانهم كانوا يدعونه
الى دين ابائه فنهاه ان يطيعهم بنحو التصميم على
معاداتهم ودوا اي تمنوا واحبوا محبة واسعة

متجاوزة

متجاوزة للحد قديما مع الاستمرار على ذلك لو مصدرية
تدهن فيدهنون قال الضحاك لو تكفر فيكفرون
وقال الكلبي لو تلين لهم فيلينون لك وقال الحسن
لو تصانعهم في دينك فيصانعونك وقال زيد ابن
اسلم لو تنافق وترائي فينافقون ويراؤون وقال ابن
قتيبة ارادوا على ان تعبد الهتهم مدة ويعبدون
الله مدة وقال ابن العربي ذكر المفسرون في ذلك نحو
عشرة اقوال كلها دعاوى وعلى اللغة والمعنى
وامثلها ودوا لو تكذب فيكذبون ودوا لو تكفر
فيكفرون وقال القرطبي كلها ان شاء الله صحيحة على
مقتضى اللغة والمعنى تنبيه في رفع فيدهنون
وجهان احدهما انه عطف على تدهن فيكون داخلا
في حيز لو والثاني انه خبر مبتدأ مضمر اي فهم
يدهنون وقال الزمخشري فان قلت لم رفع
فيدهنون ولم ينصب باضمار ان وهو جواب التمني
قلت قد عدل به الى طريق اخر وهو انه جعل
خبر مبتدأ محذوف اي فهم يدهنون كقوله تعالى
فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا على معنى ودوا لو
تدهن فهم يدهنون حينئذ او ودوا ادهانك
فهم الان يدهنون لطمعهم في ادهانك واختلفوا
في سبب نزول قوله تعالى ولا تطع كل حلاف اي

Copyright © King Saud University

كثير الحلف بالباطل فقال مقاتل يعني الوليد بن المغيرة
عرض على النبي صلى الله عليه وسلم مالا وحلف
له ان يعطيه ان رجع عن دينه وقال ابن عباس
هو ابو جهل ابن هشام وقال عطا هو الاخنس بن
شريق لانه حليف ملحق في بني زهرة فلذلك
سمي زنيما وقال مجاهد هو الاسود بن عبد
يغوث مهين اي ضعيف حقير قيل هو فعيل من
المهانة وهي قلة الراي والتمييز وقال ابن عباس
كذاب وهو قريب من الاول لان الانسان انما يكذب
لمهانة نفسه عليه وقال الحسن وقتادة هو المكثار
في الشر وقال الكلبي المهين العاجز هماز اي كثير
العيب للناس في غيبتهم الخ وقال الحسن هو الذي
يغمز باخيه في المجلس وقال ابن زيد الهماز الذي
يهمز الناس بيده ويضربهم واللماز باللسان وقيل
الهماز الذي يذكر الناس في وجوههم واللماز الذي
يذكرهم في غيبتهم وقال مقاتل بالعكس وقال مرة
هما سواء ونحوه عن ابن عباس وقتادة مشاء اي
كثير المشي بنميم اي فتان يلقي النميمة بين الناس
ليفسد بينهم فينقل ما قال الانسان في اخر
واذاعة سر لا يريد صاحبه اظهاره على وجه الافساد
البين مبالغ في ذلك مناع اي كثير المنع شديده للخير

اي

١٨١

اي كل خير من المال والايمان وغيرهما من الدين والدنيا
وقال ابن عباس مناع للخير اي الاسلام يمنع ولده وعشيرته تد
من الاسلام وكان له عشرة من الولد يقول لهم لئن دخل
احد منكم في دين محمد لا انفعه بشي ابدا معتد اي ثابت
التجاوز للحدود في كل ذلك اثيم اي مبالغ في ارتكاب
ما يوجب الاثم فيترك الطيبات ويأخذ الخبائث ير غب
في المعاصي ويطلبها ويدع الطاعات ويزهد فيها
عتل العتل الغليظ الجافي الخلق وقال الفراء هو الشديد
الخصومة في الباطل وقال الكلبي هو الشديد في كفره يد
وكل شديد عند العرب عتل واصله من العتل
وهو الدفع بالعنف وقال عبيدة بن عمير العتل الاكول
الشروب القوي الشديد الذي لا يوزن في الميزان
شعيرة يدفع الملك من اولئك سبعين الفا دفعة
واحدة بعد ذلك اي مع ذلك يريد مع ما وصفناه
به زنيم وهو الداعي الملصق بالقوم وليس منهم
وقال عطا عن ابن عباس يريد مع هذا هو دعي في
قريش وقال مرة الهمداني انما ادعاه ابوه بعد ثماني
عشرة سنة وقيل الزنيم الذي له زنمة كزنمة الشاة
وروى عكرمة عن ابن عباس انه قال في هذه الاية
نعت فلم يعرف حتى قال زنيم فعرف وكانت له زنمة
في عنقه يعرف بها وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس

Copyright © King Saud University

قال يعرف بالشر كما تعرف الشاة بزنمتها وقال مجاهد زنيم
كانت له ستة اصابع في يده في كل ابهام له اصبع زائدة
وقال قتيبة لا نعلم ان الله تعالى وصف احدا ولا ذكر
من عيوبه ما ذكر من عيوب الوليد بن المغيرة فالحق
به عارا لا يفارقه في الدنيا والآخرة وعن حارثة ابن
وهب الخزاعي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا اخبركم باهل الجنة كل ضعيف متضعف لو يقسم
على الله لابره الا اخبركم باهل النار كل عتل جواظ
مستكبر وفي رواية كل جواظ زنيم متكبر الجواظ الجموع
المنوع وقيل الكثير اللحم المختال في مشيته وقيل
القصير البطين وقال عكرمة هو ولد الزنا الملحق في
النسب بالقوم وكان الوليد دعيا في قريش ادعاه ابوه
بعد ثماني عشرة سنة من مولده قال الشاعر

زنيم ليس يعرف من ابوه ... بغي الام ذو حسب لئيم

قيل بغت امه ولم يعرف حتى نزلت الآية وهذا لان
الغالب ان النطفة اذا خبثت خبث الولد كما روي
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة ولد
الزنا ولا ولده ولا ولد ولده وقال عبد الله بن
عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اولاد الزنا
يحشرون يوم القيامة في صورة القردة والخنازير لعل

مراده بعد الدخول مع السابقين والا فمن مات مسلما دخل
الجنة وقالت ميمونة سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقول لا تزال امتي بخير ما لم يفش فيهم ولد الزنا فاذا
فشى فيهم ولد الزنا اوشك ان يعمهم الله بعذاب وقال
عكرمة اذا كثر ولد الزنا قحط المطر قال القرطبي ومعظم
المفسرين على ان هذه الآية نزلت في الوليد بن المغيرة
وكان يطعم اهل منا حيسا ثلاثة ايام وينادي الا لا يوقد
احد تحت برمة الا لا يزجين احد بكراع الا من اراد
الحيس فليات الوليد بن المغيرة وكان ينفق في الحجة
الواحدة عشرين الفا واكثر ولا يعطي المسكين درهما
واحدا وقيل مناع الخير وفيه نزل وانزل وويل
للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة ولما كان حطام هذه
الدنيا كله عرضا فانيا وظلا متقلصا زائلا لا يكاد يفتخر
به ولا يلتفت اليه الا من كان بهذه الاوصاف فاذا
كان ذكر اكبر همه ومبلغ علمه اثر له الترفع على الحقوق
والتكبر على العباد قال الله تعالى ان اي لاجل ان
كان اي هذا الموصوف ذا مال اي مذكور بالكثرة وبنين
انعما عليه بهما فصار يطاع لاجلهما فكان يجب عليه
شكرنا بسببهما اذا تتلى اي تذكر على سبيل المتابعة
عليه ولو كان ذلك على سبيل الخصوص لدا آياتنا
اي العلامات الدالة دلالة هي في غاية الظهور على الملك

Copyright © King Saud University

الاعلى وعلى ما له من صفات العظمة قال اي مفاجاة من
غير تامل ولا توقف عوضا عن شكرنا اساطير جمع سطور
جمع سطر الاولين اي اشيا سطروها ودونوها وفرغوا
منها فجعله دني طبعه على تكثره بالمال فورطه في التكذ
يب باعظم ما يمكن سماعه فجعل الكفر موضع الشكر
ولم يستحي من كونه يعرف كذبه كل من يسمعه فاعرض
عن الشكر ووضع موضعه الكفر فكان هذا دليلا على
جميع تلك الصفات السابقة مع التعليل بالاستناد الى
ما هو عند العاقل اوهى من بيت العنكبوت والاستناد
اليه وحده كاف في الاتصاف بالرسوخ في الدناءة
وقرا ابن عامر وشعبة وحمزة بهمزتين مفتوحتين
وابن عامر سهل الثانية وشعبة وحمزة بتحقيقهما
وهشام على اصله يدخل بينهما الفا والباقون بهمزة
واحدة مفتوحة قال القرطبي فمن قرا بهمزة مطولة
او بهمزتين محققتين فهو استفهام والمراد به
التوبيخ ويحسن له ان يقف على زنيم ويبتدي ان كان
على معنى الان كان ذا مال وبنين تطيعه ويجوز ان
يكون التقدير الان كان ذا مال وبنين تقول اذا تتلى
عليه اياتنا قال اساطير الاولين ويجوز ان يكون
التقدير الان كان ذا مال وبنين يكفر ويستكبر ودل
عليه ما تقدم من الكلام فصار كالمذكور بعد الاستفهام

ومن

ومن قرا ان كان بغير استفهام فهو مفعول من اجله
والعامل فيه فعل مضمر والتقدير يكفر لان كان ذا مال
وبنين ودل على هذا الفعل اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير
الاولين ولا تعمل في اذا تتلى ولا قال لان ما بعد اذا لا يعمل
فيما قبلها لان اذا تضاف الى الجمل التي بعدها ولا يعمل
المضاف اليه فيما قبل المضاف وقال جواب الجزاء ولا يعمل
فيما قبل الجزا اذ حكم العامل ان يكون قبل المعمول فيه
وحكم الجواب ان يكون بعد الشرط فيصير مقدما
مؤخرا في حال واحد ويجوز ان يكون المعنى لا تطعه
لان كان ذا يسار وعدد قال ابن الانباري ومن قرا
بالاستفهام لم يحسن ان يقف على زنيم لان المعنى
لان كان ذا مال كان فان متعلقة بما قبلها وقال
غيره يجوز ان تتعلق بقوله تعالى مشاء بنميم والتقدير
يمشي بنميم لانه كان ذا مال وبنين واجاز ابو علي
ان تتعلق بعتل ومعنى ما ذكر اساطير الاولين ابا
ونزهها تقدم سنسمه اي نجعل له سمة اي علامة يعرف
بها على الخرطوم اي الانف يعير بها ما عاش قال
ابن عباس سنسمه سنخطمه بالسيف قال وقد خطم
الذي نزلت فيه يوم بدر بالسيف فلم يزل مخطوما
الى ان مات والتعبير عن الانف بهذا للاستهانة
والاستخفاف وقال قتادة سنسمه يوم القيامة

طيلسم

Copyright © King Saud University

١٨٦

على انفه سمة يعرف بها وقال الكسائي سنكويه على وجهه
وقال ابو العالية ومجاهد سنسمه على الخرطوم اي على
انفه ونسود وجهه في الاخرة فيعرف بسواد وجهه قال
تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فهي علامة ظاهرة
وتحشر المجرمين يومئذ زرقا وهذه علامة اخرى
ظاهرة وافادت هذه الاية علامة ثالثة وهي الوسم
على الانف بالنار وهذا كقوله تعالى يعرف المجرمون
بسيماهم قال القرطبي والخرطوم الانف من الانسان
ومن السباع موضع الشفة وخراطيم القوم ساداتهم
قال الفراء وان كان الخرطوم قد خص بالسمة فانه في
معنى الوجه لان بعض الشي يعبر به عن الكل وقال
الطبري نبين امره تبيانا واضحا فلا يخفى عليهم
كما لا تخفى السمة على الخراطيم وهذا كله نزل في الوليد
بن المغيرة ولا شك ان المبالغة العظيمة في ذمه
بقيت على وجه الدهر ولا نعلم ان الله تعالى بلغ من
ذكر عيوب احد ما بلغ منه فالحق به عارا لا يفارقه
في الدنيا ولا في الاخرة كالوسم على الخرطوم وقيل
ما ابتلاه الله تعالى به في الدنيا في نفسه واهله
وماله من سوء وذل وصغار وقال النضر بن شميل
المعنى سنحده على شرب الخمر والخرطوم الخمر وجمعه
خراطيم قال الرازي كالزمخشري وهذا تعسف انتهى

وقيل

وقيل للخمر الخرطوم كما قيل لها السلافة وهي ما سلف من
عصير العنب اولانها تطير في الخياشيم ثم نبه
الانف اكرم موضع من الوجه لتقدمه له ولذلك
جعلوه مكان العز والحمية واشتقوا منه الانفة وقالوا
الانف في الانف وحمي انفه وفلان شامخ العرنين وقالوا
في الذليل جدع انفه فعبر بالوسم على الخرطوم عن
غاية الاذلال والاهانة لان السمة على الوجه
شين واذلال فكيف بها على اكرم موضع منه ولقد
وسم العباس اباعره في وجوهها فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم اكرموا الوجوه فوسمها
في جواعرها ولما ذكر تعالى في اول الملك انه خلق
الموت والحياة للابتلاء في الاعمال وختم بها بعض
من يغتر بالمال والبنين وهو يعلم ان الموت وراءه
اعاد ذكر الابتلاء واكده بقوله تعالى انا اي على ما لنا
من القهر والعظمة بلوناهم اي عاملنا اهل مكة
بما وسعنا عليهم به معاملة المختبر مع علمنا بالظاهر
والباطن فغرهم ذلك وظنوا انهم احباب ومن
قترنا عليهم من اوليائنا اعداء واستهانوا بهم
ونسبوهم لاجل تقللهم من الدنيا الى السفه
والجنون وكان ابتلاؤنا لهم بالقحط الذي دعا
عليهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى

Copyright © King Saud University

اكلوا الجنى كما بلونا اي اختبرنا اصحاب الجنة بان
عاملناهم معاملة المختبر مع علمنا بالظاهر وحاصله
انه استخراج ما في الباطن لتعلمه العباد في علم
الشهادة كما تعلم الخالق في عالم الغيب او انه كناية
عن الجزا وعرف الجنة لانها كانت شهيرة عندهم
وهي بستان عظيم كان دون صنعا بفرسخين يقال
له الضروان يطاه اهل الطريق كان صاحبه ينادي
الفقرا وقت الصرام ويترك لهم ما اخطاه المنجل او
القته الريح او بعد عن البساط الذي يبسط تحت النخلة
وكان يجتمع لهم شي كثير فلما مات شح بنوه بذلك
وقالوا انا فعلنا ما كان يفعل ابونا ضاق علينا
الامر ونحن ذو عيال فحلفوا على ان يجذوها
قبل الشمس حتى لا ياتي الفقرا الا بعد فراغهم
وذلك معنى قوله اذ اي حين اقسموا ودل على
تاكيد القسم بالتاكيد فقال ليصرمنها عبر به
عن الجذاذ لدلالته على القطع البائن المستاصل
المانع للفقرا من الصريم الذي يرض على فم الجدي
لئلا يرضع او من الصرم المفازة التي لا ما بها
والناقة القليلة اللبن مصبحين داخلين في اول
وقت الصباح لئلا يغريهم المساكين فلا يعطوهم
منها ما كان ابوهم يتصدق به عليهم منها ولا اي

والحال

والحال انهم لا يستثنون في يمينهم اي ولا يقولون ان
شا الله فان قيل لم سمي استثنا وانما هو شرط اجيب
بانه سمي استثنا لانه اخراج لشي يكون حكمه غير
المذكور اوله وكان الاصل فيه الا ان يشا الله فالحق به
ان شا الله لرجوعه اليه في اتحاد الحكم فطاف اي فتسبب
عن فعلهم هذا ان طاف عليها اي جنتهم طائف
عذاب مهلك محيط وهو نار احرقتها ليلا لم تدع
منها شيا والطائف غلب في الشر وقال الفرا هو الامر
الذي ياتي ليلا ورد عليه بقوله اذا مسهم طائف
من الشيطان وذلك لا يختص بليل ولا نهار وقوله
تعالى من ربك يجوز ان يتعلق بطاف وان يتعلق بمحذ وف
صفة لطائف وهم اي والحال ان اصحاب الجنة
المقيمين نائمون وقت ارسال الطائف فاصبحت
اي فتسبب عن هذا الطائف الذي ارسله القادر
الذي لا يغفل ولا ينام على حال من لا نزال اسير
العجز والنوم فعلا او قوة كالصريم اي كالاشجار
التي صرم عنها ثمرها او كالليل المظلم الاسود لانه
يقال الصريم لسواده والصريم انف النهار وقيل
الصبح لانه انصرم من الليل قال الاخفش وهو
من الاضداد وقيل كالرماد الاسود ليس بها
ثمرة بلغة خزيمة قاله ابن عباس لان ذلك الطائف

اتلفها لم يدع فيها شيء لانهم طلبوا الكل فلم يزكوه
بما منع عنه الطوارق لضد ما كان لابيهم من ثمرة
تحله الصالح من الدفع عن ماله والزكاة في جميع
ا حواله قال القرطبي والاية دليل على ان العزم
مما يواخذ به الانسان لانهم عزموا على ان يفعلوا
فعوقبوا قبل فعلهم ونظيره قوله تعالى ومن يرد
فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم وفي الصحيح
عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا التقى المسلمان
بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قيل يا رسول
الله هذا القاتل فما بال المقتول قال انه كان حريصا
على قتل صاحبه وهذا محمول على العزم المصمم
اما ما كان يخطر بالبال في غير عزم فلا يواخذ به
فتنادوا مصبحين اي في حال اول دخولهم في
الاصباح وقوله تعالى ان اغدوا اي بكروا خدا
مقبلين ومتولين وقادرين ويجوز ان تكون
ان المفسرة لانه تقدمها ما هو بمعنى القول
على حرثكم اي محل فايدتكم الذي اصلحتموه وتعبتم
فيه فلا يستحقه غيركم قال مقاتل لما اصبحوا قال
بعضهم لبعض اغدوا على حرثكم يعني بالحرث الثمار
والزروع والاعناب ولذلك قال صارمين لانهم
ارادوا قطع الثمار من الاشجار قال الزمخشري فان

قلت

قلت هلا قال اغدوا الى حرثكم وما معنى على
قلت لما كان الغدو اليه ليصرموه ويقطعوه كان غدوا
عليه كما تقول غدا عليهم العدو قال الزمخشري ويجوز
ان يضمن الغدو معنى الاقبال اي فاقبلوا على حرثكم
ان كنتم صارمين اي مريدين القطع وجواب الشرط
دل عليه ما قبله اي فاغدوا ويجوز ان تكون ان
المصدرية اي تنادوا بهذا الكلام تنبيه
مقتضى كلام الزمخشري ان غدا متعد في الاصل
بالى فاحتاج الى تاويل فعديه بعلى قال ابن عادل
وفيه نظر لورود تعديه بعلى في غير موضع كقوله
وقد اغدوا على ثبة تناوى
واحدثن لما تشاد ا
وان كان قد عدوا مرا فقد تعلى فليعدوه وقرا ان
اغدوا ابو عمرو وعاصم وحمزة في الوصل بكسر
النون والباقون بضمها واتفقوا على ان يبدا بالهمزة
بالضم فانطلقوا اي ذهبوا عن هذا الحث عقبه
كانهم كانوا متهيئين وهم اي والحال انهم يتخافتون
اي يقولون في حال انطلاقهم قوله هو في غاية
السر كانهم ذاهبون الى سرقة من دار هي في غاية
الحراسة من الخفوت وهو الخمود وخفا وخفت
وخفد ثلاثتها في معنى الكتم ومنه الخفد وداخفي

Copyright © King Saud University

نهر فرما تتخافتون به بقوله تعالى ان لا يدخلنها وان له
هنا مقطوعة كلمتين واكد سبحانه بانه لا يصدق ان احدا
يصل الى هذه الوقاحة وان حذوه يخلوا من سايل
اليوم في جميع النهار بما دل عليه نزع الخافض لتكرروا
عليه مرارا وتفتشوه فلا تدعوا به ثمرة واحدة ولا
موضع يطمع فيه احد في قصدكم عليكم واتبع ذلك بما
مسكين وهي نهي للمسكين في اللفظ للمبالغة في نهي
انفسهما ان لا يدعوه يدخل عليهم ان لا يمكنوه
من الدخول حتى يدخل كقولك لا ارينك هاهنا
فقال لهما وسطهم سنا وخيرهم نفسا واعدلهم
طبعا بما يدل عليه ما ياتي لا تقولوا هكذا واصنعوا
من الاحسان ما كان يصنعه ابوكم قال البقاعي وكانه
طواه سبحانه لانه مع الدلالة عليه بما ياتي لم يؤثر
شيا وغدوا اي ساروا اليها غدوة على حرد اي
منع للمساكين قال ابو عبيدة على حرد اي منع من
حاردت الابل حرادا اي قل لبنها والحرود من النوق
القليلة الدر وحاردت السنة قل مطرها وخيرها
وقال الشعبي وسفيان على حنق وغضب من المسا
كين وعن ابن عباس على قدرة قادرين عند انفسهم
على جنتهم وثمارها لا يحول بينهم وبينها احد اي
بدليل عدم استثنائهم فان الجزم على الفعل

في

١٨٧

في المستقبل فضلا عن ان يكون مع الحلف فعل من لا عقل له
وقال الحسن وقتادة على جد واجتهاد وقال القرطبي وجهد
وعكرمة على امر مجتمع ودل على قربها من منزلتهم
بالفا فقال تعالى فلما راوها اي بعد مسيرهم وليس
للزرع ولا للثمر بها اثر قالوا انا لضالون اي عن
طريق جنتنا لانها صارت لسوء حالها من ذلك الطائف
بعيدة عن حال ما كانت عليه عند تواعدهم وتغير
نباتهم فادهشهم منظرها وحيرهم خبرها واكدوا
لان ضلالهم لا يصدق مع قرب عهدهم وكثرة ملا بستهم
لها وقوة معرفتهم بها ولما انجلى ما دهشهم في
الحال قالوا مضربين عن الضلال بل نحن محرومون
اي ثابت حرماننا ما كنا فيه من الخير الذي لم نغب
عنه الا سواد الليل حرمنا الله تعالى اياه بما عزمنا
عليه من حرمان المساكين ان الله لا يغير ما بقوم حتى
يغيروا ما بانفسهم وقرا الكسائي بادغام اللام في النون
والباقون بالاظهار قال اوسطهم اي رايا وعقلا
وسنا وفضلا منكرا عليهم الم اقل لكم اي ما فعلتموه
لا ينبغي وان الله تعالى بالمرصاد لمن غير ما في نفسه
وعاد لولا اي هلا وبدله تسبحون اي تستثنون
فكان استثناؤهم تسبيحا قاله مجاهد وغيره وهذا
يدل على ان هذا الاوسط كان يامرهم بالاستثنا

فلم يطيعوه قال ابو صالح كان استثناؤهم سبحان الله فقال
لهم هلا تسبحون الله اي تقولون سبحان الله وتشكرونه
على ما اعطاكم وقال النحاس اصل التسبيح التنزيه
لله عز وجل فجعل مجاهد التسبيح في موضع ان شا
الله لان المعنى تنزيه الله ان يكون شي الا بمشيته
وقال الرازي التسبيح عبارة عن تنزيهه عن كل سوء
فلو دخل شي في الوجود على خلاف ارادة الله تعالى
لنسب النقص الى قدرة الله تعالى فقولك ان شا الله
يزيل هذا النقص فكان ذلك تسبيحا وقيل المعنى
هلا تستغفرونه من فعلكم وتتوبون اليه من
خبث نيتكم قيل ان القوم لما عزموا على منع
الزكاة فاغتروا بالمال والقوة قال لهم اوسطهم
توبوا عن هذه المعصية قبل نزول العذاب
فلما راوا العذاب ذكرهم اوسطهم كلامه الاول
وقال لهم لولا تسبحون فحين اشتغلوا
بالتوبة بان قالوا اي من غير تلعثم لما عاد عليهم
من بركة اليهم سبحان ربنا اي تنزه المحسن
الينا التنزيه الاعظم ان يكون وقع منه فيما فعل بنا
ظلم واكدوا قباحة فعلهم لانفسهم وخضوعا
لربهم وتحقيق لتوبتهم انا كنا اي لما في جبلاتنا
من الفساد ظالمين اي متجاوزين الحدود فيما فعلنا

من

من التقاسم على منع المساكين وعلى جذها في الصباح
من غير استثناء فاقبل بعضهم اي في الحال من غير
مبادرة في الخضوع على بعض يتلاومون اي يلوم
بعضهم بعضا يقول هذا لهذا انت خوفتنا بالفقر ويقول
الثالث لغيره انت رغبتني في جمع المال ثم نادوا على
على انفسهم بالويل بان قالوا منادين لما شغلهم
قربه منهم وملازمته لهم عن كل شي يا ويلنا اي
هذا وقت حضورك ايها الويل اياانا ومنادمتك
لنا فانه لا نديم لنا الان غيرك والويل الهلاك
والاشراف عليه انا كنا اي جبلة وطبعا طاغين
اي عاصين بمنع حق الفقرا وترك الاستثنا وقال ابن
كيسان طغينا نعم الله فلم نشكرها كما شكرها اباونا
من قبل ثم رجعوا الى انفسهم فقالوا عسى ربنا اي
الذي احسن الينا بتربية هذه الجنة واهلاك ثمرها
الان تاديبا لنا ان يبدلنا من جنتنا هذه خيرا
منها بعمل لنا امر معاشنا فتنقلب احوالنا هذه
التي نحن فيها من الهموم واللذاذة بسرور ولذاذة
وقرا نافع وابو عمرو بفتح البا الموحدة وتشديد
الدال والباقون بسكون الموحدة وتخفيف الدال
انا الى ربنا اي المحسن الينا والمربي لنا بالايجاد
ثم الابقا خاصة لا الى غيره راغبون اي ثابتة

Copyright © King Saud University

رغبتنا ورجاؤنا الجزاء والاكرام وقد قيل ان الله تعالى
قبل رجوعهم واخلق عليهم فابدلهم جنة يقال لها
الحيوان ان كان القطف الواحد منها يحمله وحده من
كثرة البغل رواه البغوي عن ابن مسعود وقال ابو خالد
اليماني دخلت تلك الجنة فرايت كل عنقود منها كالرجل
الاسود القائم وقال الحسن قول اهل الجنة انا الى
ربنا راغبون لا ادري ايمانا كان ذلك منهم او على
حد ما يكون من المشركين اذا اصابتهم الشدة فتوقف
في كونهم مومنين وسئل قتادة عن اصحاب الجنة
اهم من اهل الجنة ام من اهل النار قال لقد
كلفتني تعبا والاكثرون يقولون انهم تابوا واخلصوا
حكاه القشيري ولما كان المقام لترهيب من ركن الى
ماله واحتقر الضعفاء من عباد الله ولم يحلهم
بحلاله طوى ذكر ما انعم به عليهم وذكر ما يخوفهم
فقال تعالى مرهبا كذلك اي مثل هذا الذي بلونا به
اصحاب الجنة من اهلاك ما كان عند انفسهم في
غاية العزة عليه والثقة به مع الاستحسان لفعلهم
والاستصواب وهو دون ما به اهل مكة فلم يبادروا
الى المتاب العذاب اي الذي نحذرهم منه ونخوفهم
به في الدنيا فاذا تم الاجل الذي قدرناه له اخذناهم
به غرة مستعجلين ولا مفرطين لانه لا يعجل الا من

ناقص

ناقص يخاف الفوت ولعذاب الآخرة اي الذي يكون
فيها للعصاة اكبر اي من كل ما يتوهمون لو كانوا اي
الكفار يعلمون اي لو كان لهم علم ما من غير ابتزهم
في وقت من الاوقات لرجعوا عما هم فيه ولما ذكر ما له
فعل الجحود الذين لا يجوزون الممكنات ذكر تعالى اضدادهم
فقال تعالى مؤكدا لاجل انكارهم ان للمتقين اي العريقين
في صفة التقوى عند ربهم اي المحسن اليهم في
موضع تدمر اولئك ومحنتهم ما لهم جنات جمع جنة
وهي لغة البستان الجامع وفي عرف الشرع مكان
اجتمع فيه جميع السرور وانتفى منه جميع الشرور النعيم
اي جنات ليس فيها الا التنعم الخالص لا يشوبه ما ينغصه
كما يشوب جنات الدنيا قال مقاتل لما نزلت هذه الآية
قال كفار مكة للمسلمين ان الله تعالى فضلنا عليكم
في الدنيا فلابد وان يفضلنا عليكم في الآخرة
فان لم يحصل التفضيل فلا اقل من المساواة
فاجابهم الله تعالى بقوله سبحانه افنجعل المسلمين
اي الذين هم عريقون في الانقياد لاوامرنا والصلة
لما امرنا بوصله طلبا لمرضاتنا فلا اختيار لهم
معها في نفس ولا غيرها لحق جبلاتهم كالمجرمين اي
الراسخين في قطع ما امرنا به ان يوصل وانتم
لا تقرون مثل هذا في ذلك انكار لقول الكفرة

Copyright © King Saud University

فانهم كانوا يقولون انه ان صح اننا نبعث كما يزعم محمد
ومن معه لم يفضلونا بل نكون احسن حالا منهم
كما نحن عليه في الدنيا وقوله تعالى ما لكم اي اي شيء
حصل لكم من هذه الاحكام الجائرة البعيدة عن
الصواب كيف تحكمون اي اي عقل دعاكم الى هذا الحكم
الذي يتضمن التسوية من السيد بين المحسن من عبيده
والمسيء التفات فيه تعجب من حكمهم واستبعاد لهم
واشعار بانه صادر من اختلال فكر واعوجاج راي
ام اي بل ا لكم كتاب اي سماوي معروف انه من
عند الله خاص بكم فيه اي لا في غيره من اساطير
الاولين تدرسون اي تقرؤون قراءة المتعلم ان لكم
اي خاصة على وجه التاكيد الذي لا رخصة في
تركه لما تخيرون اي ما تختارونه وتشتهونه
وكسرت وكان حقها الفتح لولا اللام لان ما بعدها
هو المدروس ويجوز ان تكون الجملة حكاية للمدروس
وان تكون استئنافية ام لكم ايمان اي عهود
ومواثيق علينا قد حلفتمونا اياها بالغة اي واثقة
نعت لايمان وقوله تعالى الى يوم القيامة متعلق بما
تعلق به لكم من الاستقرار اي ثابتة لكم الى يوم
القيامة اي مبالغة اي تبلغ الى ذلك اليوم وتنتهي
اليه وقوله تعالى ان لكم لما تحكمون جواب القسم

لان

لان معنى ام لكم ايمان علينا اي اقسمنا لكم ولما عجب
منهم وتهكم بهم ذيل ذلك بتهكم اعلا منه يكشف
عوارهم غاية الكشف فقال تعالى سلهم يا اشرف
الرسل ايهم بذلك اي الحكم الامر العظيم الذي يحكمون
به لانفسهم من انهم يعطون في الاخرة افضل
من المؤمنين زعيم اي كفيل وضامن او سيد ورئيس
او متكلم بحق او باطل الزم في ادعائه صحة ذلك
ام لهم شركاء موافقون لهم في هذا القول يكفلون
لهم فان كانوا كذلك فليأتوا بشركائهم اي الكافلين
لهم به ان كانوا صادقين اي عريقين في هذا الوصف
كما يدعونه وقوله تعالى يوم منصوب بقوله تعالى
فليأتوا بشركائهم يوم يكشف اي يحصل الكشف فيه
بني للمفعول لان المحقق وقوع الكشف الذي هو كناية
عن تفاقم الامر وخروجه عن حد الطوق لا كونه
من معين مع انه من المعلوم انه لا فاعل هناك غيره
سبحانه وتعالى عن ساق اي يشتد فيه الامر غاية
الاشتداد لان من اشتد عليه الامر وجد في
فصله شمر عن ساقه لاجله وشمرت خدمه
عن سوقهم عند تحتيمات فهو كناية عن هذا
ولذلك نكره تهويلا له وتعظيما نقل هذا التاويل
عن ابن عباس وسعيد بن جبير وغيرهما وعن آنكاف

Copyright © King Saud University

جميع الخلايق وظهور الجلايل فيه والدقايق من الاهوال
وغيرها كما كشفت هذه الايات جميع الشبه فتركت السا
مع لها ق مثل ضوء النهار ويجوز ان يكون منصوبا
باضمار اذكر فيكون على هذا مفعوله به وعلى الاولى
لا يوقف على صادقين تنبيه علم مما تقرر ان كشف
الساق كناية عن الشدة قال الراجز

عجبت من نفسي ومن اشفاقها
ومن طرادي الطير عن ارزاقها
في سنة قد كشفت عن ساقها
حمرا تبري اللحم عن عراقها

وقال الطاى

اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها
وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا

وقال اخر

قد شمرت عن ساقها فشدوا
وجدت الحرب بكم فجدوا

وقال ابو عبيدة اذا اشتد الحرب او الامر قيل
كشف الامر عن ساقه والاصل فيه ان من وقع في
شي يحتاج فيه الى الجد شمر عن ساقه فاستعير الساق
والكشف عنها في موضع الشدة وقال القرطبي واما
ماروي ان الله تعالى يكشف عن ساقه فانه تعالى

متعال

١٩١

متعال عن الاعضا والابعاض وان يكشف ويتغطى ومعناه
ان يكشف العظيم من امره وقيل يكشف عن نوره
عز وجل وروى ابو موسى عن النبي صلى الله عليه
وسلم في قوله تعالى عن ساق قال يكشف عن نور عظيم
يخرون له سجدا وروى ابو بردة عن ابي موسى
قال حدثني ابو موسى قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول اذا كان يوم القيامة مثل لكل قوم ما كانوا
يعبدون ويبقى اهل التوحيد فيقال لهم ما تنتظرون وقد
ذهب الناس فيقولون ان لنا ربا كنا نعبده في
الدنيا ولم نره قال وتعرفونه اذا رايتموه فيقولون
نعم فيقال كيف تعرفونه ولم تروه قالوا انه لا شبيه
له فيكشف لهم الحجاب فينظرون الله تعالى فيخروا
له سجدا ويبقى اقوام ظهورهم كصياصي البقر
فينظرون الى الله تعالى فيريدون السجود فلا يستطيعون
فذلك قوله تعالى يوم يكشف عن ساق ويدعون
اى من داعي الملك الديان الى السجود توبيخا على
تركه الان وتندما وتعنيفا لا تعبدا وتكليفا
فيريدونه ليفيد وانهم عابرون من المخاوف
فلا اى فتسبب عن ذلك انهم يستطيعون لاجل
عين الساهي لاعضائهم تتقادم به موشدة معا
لا نفسهم فيقول الله تعالى اي لا جدني عبادي

لجمع

Copyright © King Saud University

ارفعوا روسكم فقد جعلت بدل كل منكم رجلا
من اليهود والنصارى في النار قال ابو بردة فحدثت
هذا الحديث عمر بن عبد العزيز فقال لي والله الذي
لا اله الا هو لقد حدثك ابوك بهذا الحديث فحلف له
ثلاثة ايمان فقال ما سمعت في اهل التوحيد حديثا
هو احب الي من هذا وما غير السجدتين فعن ابن
مسعود تعقم اصلابهم اي ترد عظاما بلا
مفاصل لا تنثني عند الرفع والخفض وفي الحديث
وتبقى اصلابهم طبقا واحدا اي فقارة واحدة
وقوله تعالى خاشعة حال من مرفوع يدعون
وقوله تعالى ابصارهم فاعل بها ونسب الخشوع
للابصار لان ما في القلب يعرف في العين وذلك ان
المومنين يرفعون روسهم من السجود ووجوههم
اضوء من الشمس ووجوه الكافرين والمنافقين
سود مظلمة ترهقهم اي تغشاهم ذلة اي عظيمة
لانهم استعملوا الاعضاء التي اعطاهم الله سبحانه
ليتقربوا بها الى الله في دار العمل في غير طاعته وقد
اي والحال انهم قد كانوا يدعون الى السجود اي
في الدنيا من كل داع يدعوا اليها وقال ابراهيم
التيمي اي يدعون بالاذان والاقامة فيابون
وقوله تعالى وهم سالمون اي معافون اصحاء حال

من

من مرفوع يدعون الثانية وقال سعيد ابن جبير
كانوا يسمعون حي على الفلاح فلا يجيبون وقال
كعب الاحبار والله ما نزلت هذه الاية الا في الذين
يتخلفون عن الجماعات ولما خوف الكفار بعظمة يوم
القيامة زاد في التخويف بما عنده وفي قدرته فقال
تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم فذرني اي اتركني
على اي حالة اتفقت ومن يكذب اي يوقع التكذيب
لمن يتلوا ما جددت انزاله من كلامي القديم على
تهديد كل واحد من المكذبين بهذا الحديث اي
القران اي خل بيني وبينهم لا تشغل قلبك بشيء
فاني اكفيكه امره لانه لا مانع منه فلا تهتم به
اصلا سنستدرجهم اي سناخذهم بعظمتنا
على التدريج لا على غرة الى عذاب لا شك فيه
من حيث اي من جهات لا يعلمون اي لا يتجدد
لهم علم ما في وقت من الاوقات فاخذوا يوم
بدر وقال ابو روق كلما احدثوا خطيئة جددنا
لهم نعمة وانسيناهم الاستغفار وقال سفيان
الثوري نسبغ عليهم النعم وننسيهم الشكر وقال
الحسن كم مستدرج بالاحسان اليه وكم
مفتون بالثناء عليه وكم مغرور بالستر عليه
وقال ابن عباس سنمكر بهم وروي ان رجلا من

Copyright © King Saud University

بني اسرائيل قال يارب كم اعصيك وانت لا تعاقبني
فاوحى الله الى نبي زمانهم ان قل له كم من عقوبة
لي عليك وانت لا تشعر ان جمود عينك وقساوة قلبك
استدراج مني وعقوبة لو عقلت والاستدراج ترك
المعالجة واصله النقل من حال الى حال كالتدرج
ومنه قيل درجات وهي منزلة بعد منزلة واستد
راج فلان فلانا اى استخرج ما عنده قليلا ويقال
درجه الى كذا واستدرجه معناه ادناه منه على
التدريج فتدرج ومعنى الاية انا لما انعمنا عليهم
اعتقدوا ان ذلك الانعام تفضلا لهم على المومنين
وهو في الحقيقة سبب لهلاكهم واملي لهم اى
امهلهم واطيل المدة كقوله تعالى انما نملي لهم
ليزدادوا اثما والملاوة المدة من المدة واملى
الله له اى اطال له والملوان الليل والنهار
وقيل لا اعاجلهم بالموت والمعنى واحد والملا
مقصور الارض الواسعة سميت بها لامتدادها
ان كيدي اى سترى لاسباب الهلاك عمن اريد اهلا
كه واداى ذلك له في ملابس الاحسان متين
اى قوي شديد فلا يفوتني احد وسمى احسانه كيدا
كما سماه استدراجا لكونه في صورة الكيد ووضعه
بالمتانة لقوة اثر احسانه في السبب للهلاك ام

تالهم

١٩٣

تالهم انت يا اعز الخلق واعلاهم همما اجرا على تبليغ
الرسالة فهم اى فتسبب عن ذلك وتعقب انهم من
مغرم اى غرامة كلفتهم بها مثقلون اى ثقل حمل
الغرامات عليهم في بذل المال فتثبطهم ذلك عن
الايمان والمعنى ليس عليهم كلفة في متابعتك بل
يستولون بالايمان على خزائن الارض ويصلون الى
جنات النعيم ام عندهم اى خاصة الغيب اى
علمه من اللوح المحفوظ او غيره فهم اى بسبب ذلك
يكتبون اى ما يريدون منه ليكونوا قد اطلعوا
على ان هذا الذكر ليس من عند الله وانهم لا درك
عليهم في التكذيب به فقد علم من هذا انهم
لا شهوة لهم في ذلك عارضة ولا شبهة وانما
كيدهم بمجرد خبث طباع وظلمة نفوس وامالي
فارغ واطماع فاصبر اى اوقع الصبر واوجده على
كل ما يقولونه فيك وعلى غير ذلك من كل ما يقع منهم
ومن غيرهم من مر القضا لحكم ربك اى القضا الذي
قضاه وقدره المحسن اليك الذي اكرمك بما اكرمك
به من الرسالة والزمك بما الزمك من البلاغ
وحكم لهم بالتكذيب ومد لهم على ذلك في الاجل
واسبغ عليهم النعم واخر ما وعدك به من النصر
وقال ابن بحر فاصبر لنصر ربك وقيل ان ذلك

Copyright © King Saud University

منسوخ باية السيف وقال قتادة ان الله تعالى يعزي نبيه
ويامره بالصبر ولا يعجل **ولا تكن** اي ولا يكن حالك
يا اشرف الخلق في الضجر والعجلة **كصاحب** اي حال صاحب
الحوت وهو يونس عليه السلام وقوله تعالى **اذ** منصوب
بمضاف محذوف اي ولا يكن حالك كحاله او قصتك
كقصته حين **نادى** اي ربه في الظلمات من بطن الحوت
وظلمة ما يحيط به من الحية وظلمة البحر لا اله الا انت
سبحانك اني كنت من الظالمين ويدل على المحذوف ان
الذوات لا ينتصب عليها الظرف انما ينتصب على احوالها
وصفاتها وقوله تعالى **وهو مكظوم** جملة حالية
من الضمير من نادى والمكظوم الممتلي حزنا او غيظا
ومنه كظم السقا اذا ملاه قال ذو الرمة   وانت
من حب مي مضمر حزنا   عاني الفواد قريح القلب
مكظوم   وقال القرطبي ومعنى وهو مكظوم اي مملو
غما وقيل كربا فالاول قول ابن عباس ومجاهد
والثاني قول عطا وابي مالك قال الماوردي والفرق
بينهما ان الغم في القلب والكرب في الانفاس وقيل
مكظوم محبوس والكظم الحبس ومنه قولهم كظم
غيظه اي حبس غضبه والمعنى لا يوجد منك
ما وجد منه من الضجر والمغاضبة فتبتلى ولما شوق
السامع الي ما كان من امره بعد هذا الامر العجيب

قال

ك

قال تعالى **لولا ان تداركه** اي ادركه ادراكا عظيما **نعمة**
اي عظيمة جدا تنبيه حسن تذكير الفعل لفصل
الضمير في تداركه **من ربه** اي الذي احسن اليه بارسا
وتهذيبه للرسالة والتوبة عليه والرحمة وقال
الضحاك النعمة هنا النبوة وقال ابن جبير عبادته
التي سلفت وقال ابن زيد نداوه بقوله لا اله الا
انت سبحانك اني كنت من الظالمين وقال ابن بحر
اخراجه من بطن الحوت وقوله تعالى **لنبذ** اي
لولا هذه النعمة التي انعم الله تعالى عليه بها
لطرح طرحا هينا جدا **بالعراء** اي الارض القفرا
الواسعة التي لا بنا فيها ولا جبال ولا نبات البعيدة
عن الانس جواب لولا وقيل جوابها مقدر اي
لولا هذه النعمة لبقي في بطن الحوت **وهو** اي والحال
انه **مذموم** اي ملوم على الذنب وقيل مبعد
من كل خير وقال الرازي وهو مذموم على كونه
فاعلا للذنب قال والجواب من ثلاثة اوجه
الاول ان كلمة لولا دالة على ان هذه المذمومة
ترك الافضل فان حسنات الابرار سيئات المقربين
الثالث لعل هذه الواقعة كانت قبل النبوة لقوله
تعالى **فاجتباه** اي اختاره للرسالة **ربه** والفا
للتعقيب قيل ان هذه الاية نزلت باحد حين

Copyright © King Saud University

حل برسول الله صلي الله عليه وسلم ما حل فاراد ان
يدعوا علي الذين انهزموا وقيل حتي اراد ان يدعو
علي ثقيف ثم تب عن اجتبابه قوله تعالى **فجعله
من الصالحين** اي الذين راسخوا في رتبة الصلاح
فصلحوا في انفسهم للنبوة والرسالة وصلح بهم
غيرهم فنبذ حينئذ بالعرا وهو محمود قال ابن
عباس رد الله تعالى اليه الوحي وشفعه في نفسه
وفي قومه وقيل توبته وجعله من الصالحين
بان ارسله الي مائة الف او يزيدون بسبب صبره
فمن صبر اعظم من صبره كان اعظم اجرا وانت
كذلك فانت اشرف العالمين تنبيه استدل
اهل السنة علي ان فعل العبد خلق لله تعالى بقوله
سبحانه فجعله من الصالحين لان الصلاح انما
حصل بجعل الله تعالى وخلقه وقال الجبائي
يحتمل ان يكون معنى جعل انه اخبر بذلك
ويحتمل ان يكون لطف به حتي صلح اذ الجعل يستعمل
في اللغة في هذه المعاني والجواب ان ذلك مجاز
والاصل في الكلام الحقيقة **وان** هي المخففة اي
وانه **يكاد الذين كفروا** اي ستروا ما قدروا عليه
مما جئت به من الدلائل واظهر موضع الاضمار تعميما
وتعليقا للحكم بالوصف ولما كانت ان مخففة الحق

بالالام

باللام التي هي علمها فقال **ليزلقونك بابصارهم**
اي ينظرون اليك نظرا شديدا يكاد ان يصرعك لما
تراءى في عيونهم او يسلكونك من قولهم نظرا لي
نظرا يكاد يصرعني ويكاد ياكلني اي لو امكنه بنظره
الصرع او الاكل لفعل قال القايل

يتعارضون اذا التقوا في موطن …
نظرا يزل مواطن الاقدام

وقيل اراد وان يصيبوه بالعين
فنظر اليه قوم من قريش وقالوا ما راينا مثله ولا
مثل حججه وقيل كانت العين في بني اسرايل فكان الرجل
منهم يتجوع ثلاثة ايام فلا يمر به شي فيقول لم
ار كاليوم مثله الا عانه حتي ان البقرة السمينة
او الناقة السمينة تمر باحدهم فيعانيها ثم يقول
يا جارية خذي المكتل والدرهم فاتينا بلحم
هذه الناقة فما تبرح حتي تقع الناقة للموت وتنحر
وقال الكلبي كان رجل من العرب يمكث لا ياكل شيا
يومين او ثلاثة ثم يرفع جانب الخبا فتمر به الابل
او الغنم فيقول لم ار كاليوم ابلا ولا غنما احسن
من هذه فلا تذهب الا قليلا حتي تسقط منها
طائفة هالكة فقال الكفار هذا الرجل ان يصيب
لهم النبي صلي الله عليه وسلم انشد

قد كان قومك يحسبونك سيدا …

Copyright to King Saud University

واخاك انك سيد معيون فعصمه الله تعالى نبيه
صلى الله عليه وسلم ونزلت هذه الاية وذكر انما وردي
ان العرب كانوا اذا اراد احدهم ان يصيب احدا بعين في
نفسه وماله يجوع ثلاثة ايام ثم يتعرض لنفسه وماله
فيقول تالله ما رايت اقوى منه ولا اشجع ولا اكثر
منه ولا احسن فيصيبه بعينه فيهلك هو وماله
فانزل الله تعالى هذه الاية وروى ابو نعيم انه
صلى الله عليه وسلم قال ان العين لتدخل الرجل
القبر والجمل القدر وعن اسما بنت عميس قالت
يا رسول الله ان بني جعفر يصيبهم العين افاسترقي
قال نعم فلو كان شي يسبق القضا لسبقته العين
وقال الحسن دواء الاصابة بالعين ان تقرا هذه
الاية وقرا نافع بفتح اليا والباقون بضمها وهما
لغتان يقال زلقه يزلقه زلقا وازلقه يزلقه ازلاقا
وقال ابن قتيبة ليس يريد انهم يصيبونك
باعينهم كما يصيب العاين بعينه ما يعجبه وانما اراد
انهم ينظرون اليك لما سمعوا الذكر اى القران
نظرا شديدا بالعداوة والبغضا يكاد يسقطك وقال
الزجاج يعني من شدة عداوتهم يكادون بنظرهم
نظر البغضا ان يصرعوك ويقولون اى قولا لا نزلوه
بحد دونه حسدا وبغضا على انه لم يزد لهم ما ذكر

الزمان

الزمان الاحمقا انه لمجنون اى ينسبونه الى الجنون
اذا سمعوه يقرا القران فاجابهم الله تعالى بقوله سبحانه
وما هو اى القران الا ذكر للعالمين قال ابن عباس رض
موعظة للمومنين قال الجلال المحلى الانس والجن
وظاهره اخراج الملائكة وهو ما جرى عليه في شرحه
على جمع الجوامع وظاهر الاية انه ارسل لجميع الخلائق
وهو كما قال بعض المتاخرين الظاهر ويدل له
قول البيضاوي لما جننوه لاجل القران بين انه
ذكر عام لا يدركه ولا يتعاطاه الا من كان اكمل
الناس عقلا وامتنهم رايا وقوله تبعا للزمخشري
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة القلم
اعطاه الله ثواب الذين حسن الله اخلاقهم حديث
موضوع

سورة الحاقة مكية

وهي اثنان وخمسون اية والف واربعة وستون حرفا
بسم الله الذي له الكمال كله الرحمن الذي عم
العالمين جوده الرحيم الذي خص اهل وده بالوقوف
عند حدوده وقوله تعالى الحاقة مبتدا وقوله
تعالى ما الحاقة مبتدا وخبر والجملة خبر الاول
واصل الحاقة ما هي اى اى شي هي تفخيما لشانها
وتعظيما لهولها فوضع الظاهر موضع المضمر لانه

Copyright © King Saud University

لانه القول لها والحاقة الساعة الواجبة الوقوع الثا
بتة المجي التي هي اتية لا ريب فيها او التي فيها حواق
الامور من البعث والحساب والثواب والعقاب او التي
تحق فيها الامور اي تعرف على الحقيقة من قولك لا احق
هذا اي لا اعرف حقيقته جعل الفعل لها وهو لاهلها
وقيل سميت القيامة بذلك لانها احقت لاقوام
الجنة ولاقوام النار وقوله تعالى وما ادراك اي
اي شي اعلمك ما الحاقة زيادة تعظيم لشانها فما الاولى
مبتدا وما بعدها خبره وما الثانية وخبرها في محل
المفعول الثاني لادري يعني انك لا علم لك بكنهها
ومدى عظمها على انه من العظم والشدة بحيث
لا تبلغه دراية احد ولا وهمه والنبي صلى الله
عليه وسلم كان عالما بالقيامة ولكن لا علم له
بكنهها وصفتها فقيل له ذلك تفخيما لشانها كانك
لست تعلمها اذ لم تعاينها وقال يحيى بن سلام
بلغني ان كل شي في القران وما ادراك فقد ادراه
وعلمه وكل شي قال وما يدريك فانه مما لم يعلمه
وقال سفيان بن عيينة كل شي قال فيه وما ادراك
فانه اخبر به وكل شي قال فيه وما يدريك فانه لم
يخبر به وقرا ابو عمرو وشعبة وحمزة والكسائي
وابن ذكوان بخلف عنه بامالة وورش بين

اللفظين

اللفظين والباقون بالفتح ولما ذكر الساعة وفخمها اتبع
ذلك ذكر من كذب بها وما حل بهم بسبب التكذيب
تذكيرا لاهل مكة وتخويفا لهم من عاقبة تكذيبهم
فقال تعالى كذبت ثمود قدمهم لان بلادهم اقرب
الى قريش وواعظ القرب اكبر واهلاكهم بالصيحة
وهي اشبه بصيحة النفخ في الصور المبعثرة لما في
القبور وعاد بالقارعة اي القيامة سميت بذلك
لانها تقرع قلوب العباد بالمخافة او لانها تقرع الناس
باهوالها يقال اصابتهم قوارع الدهر اي اهواله
وشدائده وقوارع القران الايات التي يقروها
الانسان اذا فزع من الانس والجن نحو اية الكرسي
كانه يقرع الشيطان وقال المبرد القارعة ماخوذة
من القرعة من رفع قوم وحط اخرين وقوارع القيامة
انفطار السما بانشقاقها والارض والجبال بالدك
والنسف والنجوم بالطمس والانكدار ووضعت
موضع الضمير لتدل على معنى القرع في الحاقة
زيادة في وصف شدتها وقيل عني بالقارعة العذاب
الذي نزل بهم في الدنيا وكان نبيهم يخوفهم بذلك
فيكذبونه وثمود قوم صالح وكانت منازلهم في
الحجر بين الشام والحجاز قال ابن اسحاق بغور
وادي القرى وكانوا عربا واما عاد فقوم هود وكانت

Copyright © King Saud University

شوما كانها حسمت الخير عن اهلها تنبيه في اعراب
حسوما اوجه احدها ان ينتصب نعتا لما قبله ثانيها
ان ينتصب على المصدر بفعل من لفظها اي تحسمهم
حسوما واختلفوا في اولها فقال السدي غداة يوم الاحد
وقال الربيع بن انس غداة يوم الجمعة وقال يحيى بن
سلام ووهب بن منبه غداة يوم الاربعا وهو اليوم
النحس المستمر قيل كان اخر اربعا في السنة واخرها
يوم الاربعا وقال البقاعي وهو من صبيحة الاربعا لثمان
بقين من شوال غروب الاربعا الاخر وهو اخر الشهر
وقد لزم من زيادة عدد الايام ان الابتدا كان
بها قطعا والا لم تكن الليالي سبعا فتامل ذلك فانه
وهو ظاهر ولما كان الحاسم المهلك تسبب عنه قوله
تعالى مصورا لحالهم فترى القوم اي الذين هم
غاية في القدرة على ما يحاولونه فيها اي تلك المدة
من الايام والليالي لم يتاخر احد منهم عنها صرعى
اي مجندلين على الارض موتى جمع صريع وهي حال
نحو قتيل وقتلى وجريح وجرحى والضمير فيها للا
يام والليالي كما مر او للبيوت او للريح قال ابن عادل
والاول اظهر لقربه كانهم اعجاز اي اصول نخل قد
شاخت وهرمت فهي في غاية العجز خاوية اي
متاكلة الاجواف ساقطة من خوي النجم اذا سقط

للغروب

للغروب ومن خوي المنزل اذا خلا من قطانه قالوا
كانت تدخل من افواههم فتخرج ما في اجوافهم من الحشو
من ادبارهم والوصف بذلك لعظم اجسامهم وتقطيع
الريح لهم وقطعها لرؤسهم وخلوهم من الحياة ثم زاد
في تهويلها لهم فهل ترى اي ايها المخاطب الخبير بالناس
في جميع الاقطار لهم اي خصوصا واغرق في النفي وعبر
بالمصدر الملحق بالهاء مبالغة فقال تعالى من باقية
فيكون المراد بالباقية البقا كالطاغية بمعنى الطغيان
اي من باق والاحسن ان تكون صفة لفرقة او لطائفة
او نفس او بقية او نحو ذلك وقيل فاعلة بمعنى
المصدر كالعافية والباقية قال المفسرون والمعنى
هل ترى لهم احدا باقيا قال ابن جريج كانوا سبع
ليال وثمانية ايام احيا في عذاب الله تعالى من الريح
فلما امسوا في اليوم الثامن ماتوا فاحتملتهم الريح
فالقتهم في البحر فذلك قوله تعالى فهل ترى لهم
من باقية وقوله تعالى فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم
ونجا الله تعالى صالحا عليه السلام ومن امن به
من بني ثمود ولم تقرهم الصاعقة وهودا عليه
السلام ومن امن به من عاد ولم يهلك منهم احد
فدل ذلك دلالة واضحة على انه له تعالى تمام العلم
بالجزئيات كما ان له كمال الاحاطة بالكليات وعلى قدرته

Copyright © King Saud University

واختياره وحكمته فلا يجعل المسلم كالمجرم ولا المسي
كالمحسن وجواب هل لم يبق منهم احد وجاء فرعون اي
الذين ملكناه طائفة من الارض وتجبروا ادعى الالهية
نائبا نعمتنا وقدرتنا وقوله تعالى ومن قبله قراه
ابو عمرو والكسائي بكسر القاف وفتح البا الموحدة اي
ومن عنده من اتباعه وقراه الباقون بفتح القاف
وسكون البا الموحدة على انه ظرف اي ومن تقدمه
من الامم الكافرة والمؤتفكات اي اهلكها وهي قرى
قوم لوط اي المنقلبات باهلها حتى صار عاليها سافلها
لما حصل لاهلها من الانقلاب بالخاطئة اي
بالفعلات ذات الخطا الذي يتخطى منه الى نفس
الفعل القبيح من اللواط والقذف الصفع والضراط
مع الشرك وغير ذلك من انواع الفسق ولما كانت الرسل
كالفرد الواحد لاتفاق تعاضدهم في الدعا الى الله
تعالى والحمل على طاعته قال مسببا عن مجيئهم
بذلك موحدا في اللفظ ما هو صالح للكثير بارادة
الجنس فعصوا خالفوا رسول ربهم اي خالفت كل
امة من ارسله المحسن اليها بابداعها من العدم
وابداعها القوي وترزيقها وبعث رسولها لارشادها
اعتزازا باحسانه ولم يجوز وان المحسن يقدر على
الضر كما قدر على النفع لانه الضار كما انه النافع

فللتنبيه

فللتنبيه على مثل ذلك لا يجوز فصل احد الاسمين
عن الاخر وتسبب عن العصيان قوله تعالى فاخذهم اي
ربهم اخذ قهر وغضب اخذة لم تبق من امة منهم
احدا ممن كذب الرسول فلم يكن لمن ينصر على عدو من
المؤمنين لا بد ان يفوته كثير منهم وان اجتهد في الطلب
وما ذاك الا لتمام علمه سبحانه بالجزئيات والكليات وشمول
قدرته وتلك الاخذة مع كونها بهذه العظمة من انها
اخذتهم كنفس واحدة جعلها سبحانه رابية اي
عالية عليهم زائدة في الشدة على غيرها وعلى عذاب
الامم يقال ربا الشي يربو اذا زاد ومنه الربا اذا اخذ
في الذهب والفضة اكثر مما اعطى والمعنى انها كانت
زائدة في الشدة على عقوبات سائر الكفار كما ان افعالهم
كانت زائدة في القبح على افعال سائر الكفار وقيل لان
عقوبة ال فرعون متعلقة بعذاب الاخرة لقوله
تعالى اغرقوا فادخلوا نارا وعقوبة الاخرة اشد من
عقوبة الدنيا فتلك العقوبة كانت كانها نموا وربوا
ثم ذكر تعالى قصة قوم نوح وهي قوله تعالى انا اي
على عظمتنا لما طغى الماء اي زاد عن الحد حتى علا على
اعلا جبل في الارض بقدر ما يغرق من كان عليه حتى
اغرقنا قوم نوح عليه السلام به فلم يطيقوا ضبطه
ولا قوة بوجه من الوجوه وقال صلى الله عليه وسلم

Copyright © King Saud University

طغى على خزانه من الملائكة غضبا لربه تعالى فلم يقدروا
على حبسه قال المفسرون زاد على كل شيء خمسمائة ذراع
وقال ابن عباس طغى الماء من نوح على خزانه فكثر عليهم
فلم يدروا كم خرج وليس من الماء قطرة تنزل قبله
ولا بعده الا بكيل معلوم غير ذلك اليوم والمقصود من
قصص هذه الامة وذكر ما حل بهم من العذاب زجر
هذه الامة عن الاقتداء بهم في معصية الرسول
ثم من الله عليهم بان جعلهم ذرية من نجى من
الغرق بقوله تعالى **حملناكم** اي في ظهور ابائكم **في**
الجارية اي السفينة التي جعلناها بحكمتنا عريقة في
الجريان حتى كانه لا جارية غيرها على وجه الماء الذي
جعلنا من شانه الاغراق والمحمول في الجارية انما هو
نوح واولاده وكل على من وجه الارض من نسل اولئك
والجارية من اسماء السفينة ومنه قوله تعالى وله
الجوار المنشآت في البحر كالاعلام وغلب استعمال الجارية
في السفينة كقولهم في بعض الالغاز

رايت جارية في بطن جارية

في بطنها رجل في بطنه جمل

ونوح عليه السلام اول من صنع السفينة وانما صنعها
بوحي من الله تعالى وحفظه له قال اجعلها كهيئة
صدر الطائر ليكون ما يجري في الماء مقربا لما يجري

في

في الهوا واغرقنا سوى من في تلك السفينة من جميع اهل
الارض من ادمي وغيره **لنجعلها** اي هذه الفعلة العظيمة
وهي انجاء المومنين بحيث لا يهلك منهم بهذا العذاب احد
واهلاك الكافرين بحيث لا يبقى منهم احد وكذا السفينة
التي حملنا فيها نوحا عليه السلام ومن معه **لكم** ايها
الناس **تذكرة** اي عبرة ودلالة على قدرته تعالى وعظمته
ورحمته وقهره فيقودكم ذلك اليه ويقبل بقلوبكم
عليه وقوله تعالى **وتعيها** عطف منصوب على لنجعلها اي
ولتحفظ قصة السفينة وغيرها مما تقدم حفظا ثابتا
مستقرا كانه يحوى في وعاء **اذن** اي عظيمة النفع **واعية**
اي من شانها ان تحفظ ما ينبغي حفظه من الاقوال والا فعال
الالهية والاسرار الربانية لتنفع عباد الله تعالى كما كان
نوح عليه السلام ومن معه وهم قليل سببا لادامة
النسل والبركة فيه حتى امتلات منه الارض والوعي
الحفظ في النفس والايعا الحفظ في الوعا قال الزمخشري
فان قلت لم قال اذن واعية على التوحيد
والتنكير قلت للايذان بان الوعاة فيهم قلة وتوبيخ
للناس بقلة الوعي منهم وللدلالة على ان الاذن
الواحدة اذا عقلت عن الله تعالى فهي السواد الاعظم
عند الله وان ما سواها لا يبالى بهم بالة وان ملا
ما بين الخافقين انتهى وقرا نافع بسكون الذال والباقون

Copyright © King Saud University

بعيمها ولما ذكر تعالى القيامة وهول امرها بالتعبير بالحاقة
وغيرها شرع سبحانه وتعالى في تفاصيل احوالها وبدا
بذكر مقدماتها بقوله تعالى فاذا نفخ وبنا الفعل
للمجهول دلالة على هوان ذلك عليه وان ما يتاثر عنه
لا يتوقف على نافخ معين بل من اقامه لذلك من جنده
تاثر عنه ما يريده في الصور اي القرن الذي ينفخ فيه
اسرافيل عليه السلام قال البقاعي كانه عبر عنه
بدون القرن مثلا لانه يتاثر تارة اعدام الصورة
وتارة ايجادها وردها الى اشكالها سعته كما بين السما
والارض نفخة واحدة للفصل بين الخلائق قال
الزمخشري فان قلت هما نفختان فلم قيل واحدة
قلت معناه انها لا تثني في وقتها قال فان قلت
فاي النفختين هي قلت الاولى لان عندها فساد العالم
وهكذا الرواية عن ابن عباس وقد روي عنه
انها الثانية قال البقاعي وظاهر السياق انها الثانية
التي بها البعث وخراب ما ذكر بعد قيام الناس لانه
الهيب وكونها الثانية لاحدى الروايتين عن ابن عباس
انتهى واقتصر البيضاوي على انها الاولى و الجلال
المحلي على انها الثانية وهو اولى لانه كما قاله البقاعي
تمام الزمخشري سال سؤالا على انها النفخة الثانية
قلت جعل اليوم اسما للحين الواسع الذي تقع فيه

النفختان

النفختان والصعقة والنشور والوقوف للحساب فلذلك
قال يومئذ تعرضون كما تقول جئتك عام كذا وانما كان
مجيئك في وقت واحد منه انتهى وفائدته انتهى ولما ذكر التاثير
في الحيوان اتبعه التاثير في الجمادات وبدا منها بالسفليات
لملابستها للانسان فتكون عبرته بها اكثر فقال تعالى
وحملت الارض والجبال اي التي بها ثباتها حملتها
الريح والملائكة او القدرة من اماكنها فدكتا اي سحقت
الجملتان الارض واوتادها وبسطت ودق بعضها ببعض
دكة واحدة اي فصارتا كثيبا مهيلا بايسر امر فلم
يتميز شي منها من الاخر بل صار ما في غاية الاستوا
ومنه اندك سنام البعير اذا انفرش في ظهره وقال
الفرا لم يقل فدككن لانه جعل الجبال كلها كالجملة
الواحدة والارض كالجملة الواحدة فثناهما ولم يقل
كن وهذا الدك كالزلزلة لقوله تعالى اذا زلزلت
الارض زلزالها وقوله تعالى فيومئذ منصوب بوقعت
وقوله تعالى وقعت الواقعة لا بد فيه من تاويل وهو
ان تكون الواقعة صارت علما بالغلبة على القيامة او
الواقعة العظيمة والا فقيام القائم لا يجوز اذ لا فائدة
فيه والتنوين في يومئذ للعوض تقديره يومئذ نفخ
في الصور ونوع تعالى اسما القيامة بالحاقة والواقعة
والقارعة تهويلا لها ولما ذكر تاثر العالم السفلي

Copyright © King Saud University

ذكر العلوي بقوله تعالى وانشقت السماء اي ذلك الجنس
لشدة هول ذلك اليوم اي انصدعت وتفطرت وقيل
انشقت لنزول الملائكة بدليل قوله تعالى ويوم تشقق
السما بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا فهي يومئذ واهية
اي ضعيفة متساقطة خفيفة لا تماسك كالعهن
المنفوش بعد ما كانت محكمة يقال وهى البناء يهي
وهيا فهو واه اذا ضعف جدا ويقال كلام واه اي
ضعيف وقيل واهية اي متخرقة ماخوذ من قولهم
وهى السقا اذا تخرق ومن امثالهم خل سبيل من
وهى سقاوه ، ومن هريق بالفلاة اباوه اي من كان
ضعيف العقل لا يحفظ نفسه وقرا ابو عمرو وقالون
والكسائي بسكون الها والباقون بكسرها والملك اي
هذا النوع على ارجائها اي نواحي السماء واطرافها
وحواشي ما لم ينشق منها قال الضحاك يكونون
بنواحيها يامرهم الله تعالى فينزلون فيحيطون
بالارض ومن عليها وقال سعيد بن جبير المعنى
والملك على حافات الدنيا اي ينزلون الى الارض ويحرسون
اطرافها وقيل اذا صارت السما قطعا تقف
الملائكة على تلك القطع التي ليست متشققة في
انفسها والارجا في اللغة النواحي والاقطار بلغة
هذيل واحدها رجا مقصور وتثنيته رجوان

مثل

مثل عصى وعصوان قال القايل
فلا ترمي به الرجوان اني   اقل القوم من يغني مكاني
قال ابن عادل ورجا هنا يكتب بالالف عكس رحى
لانه من ذوات الواو فان قيل الملائكة يموتون في
الصعقة الاولى لقوله تعالى فصعق من في السموات
ومن في الارض فكيف يقال لهم انهم يقفون على
ارجا السما اجيب ـــــــ من وجهين الاول انهم
يقفون لحظة على ارجا السما ثم يموتون والثاني المراد
الذين استثنوا في قوله تعالى الا من شا الله وقيل
ان الناس اذا راوا جهنم هالتهم فيندوا كما تند
الابل فلا ياتون قطرا من اقطار الارض الا راوا الملائكة
فيرجعون من حيث جاوا وقيل على ارجائها ينظرون
ما يومرون به في اهل النار من السوق اليها وفي
اهل الجنة من التحية والكرامة وهذا كله يرجع الى
قول ابن جبير ويدل عليه قوله تعالى ونزل الملائكة
تنزيلا قال الزمخشري فان قلت ما الفرق بين قولك
والملك وبين ان يقال والملائكة قلت الملك اعم
من الملائكة الا ترى ان قولك ما من ملك الا وهو
شاهد اعم من قولك ما من ملائكة الا شهد قال ابو
حيان ولا يظهر ان الملك اعم من الملائكة لان المفرد
المحلى بالالف واللام قصاراه ان يكون مرادا به الجمع

نكة

Copyright © King Saud University

المحلي ولذلك صح الاستثنا منه ثم قال ولان قوله على
الرجايها في وقت واحد بل في اوقات والمراد والله
اعلم ان الملايكة على ارجايها لا انه ملك واحد ينتقل
على ارجايها في اوقات ولما كان الملك يظهر في يوم العرض
سرير ويحمل غيره قال تعالى ويحمل عرش ربك اي المحسن
اليك بكل ما تريد لاسيما في ذلك اليوم بما يقع من رفعتك
على ساير الخلق والضمير في قوله تعالى فوقهم يوميذ
اي في يوم وقعت الواقعة يجوز ان يعود على الملك لانه
بمعنى الجمع كما تقدم وان يعود على الحاملين في قوله
تعالى ثمانية وقيل يعود على جميع العالم اي ان الملايكة
تحمل عرش الله تعالى فوق العالم كله واختلف في هذه
الثمانية فقال ابن عباس ثمانية صفوف من الملايكة
لا يعلم عددهم الا الله تعالى وقال ابن زيد هم
ثمانية املاك وعن الحسن الله اعلم اثمانية
الاف ام ثمانية صفوف وفي الحديث انه صلى الله
عليه وسلم قال ان حملة العرش اليوم اربعة فاذا كان
يوم القيامة امدهم الله تعالى باربعة اخرى فكانوا
ثمانية على صورة الاوعال وفي رواية ثمانية اوعال
من اظلافهم الى ركبهم كما بين سماء الى سما وفي حديث
اخر لكل ملك منهم وجه رجل ووجه اسد ووجه ثور
ووجه نسر وكل وجه منها يسال الله الرزق لذلك

الجنس

الجنس فان قيل اذا لم يكن فيهم صورة فكيف سموا وعالا
اجيب بان وجه الثور اذا كانت له قرون اشبه
الوعل وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال اذن لي ان
احدث عن ملك من ملايكة الله تعالى من حملة العرش
ان ما بين شحمة اذنه الى عاتقه مسيرة سبعماية عام
اخرجه ابو داود باسناد صحيح وعن ابن عباس حملة العرش
ما بين اخمص احدهم الى كعبه مسيرة خمسماية عام
ومن كعبه الى ركبته خمسماية ومن ترقوته الى موضع
القرط مسيرة خمسماية عام وعن عبد الله بن عمر
قال الذين يحملون العرش ما بين موق احدهم الى موخر
عينه خمسماية عام وفي الخبر ان فوق السما السابعة
ثمانية اوعال بين اظلافهن وركبهن مثل بين سما
الى سما وفوق ظهورهن العرش وفي حديث مرفوع
ان حملة العرش ثمانية املاك على صورة الاوعال
ما بين اظلافها الى ركبها مسيرة سبعين عاما للطاير
المسرع وروي ان ارجلهم في الارض السابعة واضافة
العرش الى الله تعالى كاضافة البيت اليه وليس البيت
للسكنى وكذلك العرش ولا يحيط به جهة وهو العلي
العظيم وعن شهر بن حوشب قال حملة العرش ثمانية
اربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد
على حلمك بعد علمك ولما بلغ تعالى النهاية في تحذير

Copyright © King Saud University

العباد من يوم التناد وكان لهم حالتان عامة وخاصة
فالعامة العرض والخاصة التقييد اي يمحن ويسى
زاد عظي بقوله تعالى يومئذ اي اذ كان جميع ما تقدم تعر
ضون على الله للحساب كما يعرض السلطان الجند لينظر
في امرهم ليختار منهم المصلح للتقريب والاكرام والمفسد
للابعاد والتعذيب عبر بالعرض عن الحساب الذي
هو جزوه والمحن لا يكون له غير ذلك والمسيء
نبا فظنى قس لا تخفى منكم اي في ذلك اليوم على احد
يوجه من الوجوه وقرأ حمزة والكسائي بالياء التحتية
لان التانيث مجازي والباقون بالتاء وهو ظاهر
خافية اي من السراير التي كان من حقها ان تخفى في
دار الدنيا فانه عالم بكل شيء من اعمالكم ونظيره
قوله تعالى لا يخفى على الله منهم شيء قال الرازي شر
والعرض للمبالغة في التهديد يعني تعرضون على
من لا تخفى عليه خافية قال القرطبي هذا هو العرض
على الله تعالى ودليله وعرضوا على ربك صفا وليس
ذلك عرضا ليعلم ما لم يكن عالما به بل ذلك العرض
عبارة عن المحاسبة والمسايلة وتقرير الاعمال عليهم
للمجازاة قال صلى الله عليه وسلم يعرض الناس
يوم القيامة ثلاث عرضات فاما عرضتان فجدال
ومعاذير واما الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في

الايدي

الايدي فاخذ بيمينه واخذ بشماله قال تعالى فاما من
اوتي كتابه بيمينه اي الذي اثبت فيه اعماله فيقول
لما راى من سعادته تبجحا بحاله واظهارا لنعمة ربك لان
الانسان مطبوع على ان يظهر ما اتاه الله تعالى من خير
تكميلا للذة فقيل ان يكتب سياته في باطن صحيفته
وحسناته في ظاهرها فيقرا الباطن ويقرا الناس
الظاهر فاذا انهاه قيل له قد غفرها الله تعالى اقلب
الصحيفة فحينئذ يكون قوله هاؤم اقرؤا اي
خذوا واقروا كتابيه يقول ذلك ثقة بالاسلام وسرورا
بنجاته لان اليمين عند العرب من دلايل الفرح
قال الشاعر

اذا ما راية رفعت لمجد
تلقاها عرابة باليمين

قال ابن عباس اول من يعطى كتابه بيمينه من هذه
الامة عمر ابن الخطاب وله شعاع كشعاع الشمس قيل
فاين ابو بكر قال هيهات زفته الملائكة الى الجنة
وقال ابن زيد معنى هاؤم تعالوا فتتعدى بالى وقال
مقاتل هلم وقال غيره خذ ومنه الحديث في الربا
الاهاء وهاء اي يقول كل لصاحبه خذ وهذا هو المشهور
ولذلك فسرت به الاية الكريمة وقيل هي كلمة وضعت
لاجابة الداعي عند الفرح والنشاط وفي الحديث

Copyright © King Saud University

انه صلى الله عليه وسلم ناداه اعرابي بصوت عالي
فاجابه النبي صلى الله عليه وسلم هاوم بصولة صوته
وقيل معناها اقصدوا وزعم هاوله ان انها مركبة
من ها الكناية وامو امر من الالم وهو القصد
فصيره التخفيف والاستعمال الى هاوم وقيل الميم
ضمير جماعة الذكور وزعم القتبي ان الهمزة بدل
من الكاف قال ابن عادل فان عنى انها تحل محلها
فصحيح وان عنى البدل الصناعي فليس بصحيح تنبيه
كتابيه منصوب بهاوم عند الكوفيين وعند البصر
بين باقروا لانه اقرب العاملين والاصل كتابي
فادخل الها لتبين صحة اليا والها في كتابيه
وحسابيه وسلطانيه وماليه للسكت وكان
حقها ان تحذف وصلا وتثبت وقفا وانما اجري
الوصل مجرى الوقف او وقف بنية الوقف في كتابيه
وحسابيه اتفاقا فاثبت الها وكذلك في ماليه
وسلطانيه وماهيه في القارعة عند القرا كلهم
الا حمزة فانه حذف الها من هذه الكلم الثلاثة
وصلا واثبتها وقفا لانها في الوقف يحتاج الها
لتحصين حركة الموقوف عليه وفي الوصل مستغنى
عنها فان قيل فلم لم يفعل ذلك في كتابيه عنه
وحسابيه اجيب بانه جمع بين اللغتين اني

ظننت

ظننت قال ابن عباس اي ايقنت وعلمت وقيل ظننت
ان يواخذني الله بسياتي عذبني فقد تفضل علي بعفوه
ولم يواخذني بها وقال الضحاك كل ظن من المومن
من القران فهو يقين ومن الكافر فهو شك وقال مجاهد
ظن الاخرة يقين وظن الدنيا شك وقال الحسن في
هذه الاية ان المومن احسن الظن بربه فاحسن
العمل وان المنافق اساء بربه الظن فاسا العمل اني
ملاق اي ثابت ثباتا لا ينفك الى الحق حسابيه اي في
الاخرة ولم ينكر البعث يعني انه ما نجا الا بخوفه
من يوم الحساب لانه تيقن ان الله تعالى يحاسبه
فعمل للاخرة فحقق الله تعالى رجاه وامن خوفه فعلم
الان انه لا يناقش الحساب وانما حسابه العرض
وهو الحساب اليسير فضلا من الله تعالى ونعمة
فهو في عيشة اي حالة من العيش وقوله
تعالى راضية فيه ثلاثة اوجه احدها انه على
النسب اي ذات رضى نحو لابن وتامر لصاحب اللبن
والتمر اي ثابت لها الرضى ودائم لها لانها في
غاية الحسن والكمال والعرب لا تعبر عن اكثر السعا
باكثر من المعيشة الراضية بمعنى ان اهلها راضون
بها والمعتبر في كمال اللذة الرضى الثاني انه على
اظهار جعله المعيشة راضية لمحلها وحصولها في

ذات

Copyright © King Saud University

في مستحقها وانه لو كانت للمعيشة عقل لرضيت
لنفسها بحالتها الثالث قال ابو عبيدة والفراء ان
هذا مما جاء فيه فاعل بمعنى مفعول نحو ماء دافق
بمعنى مدفوق كما جاء مفعول بمعنى فاعل كما في قوله تعالى
حجابا مستورا اي ساترا وقال صلى الله عليه وسلم
انهم يصحون فلا يمرضون ابدا ويصحون فلا يهرمون
ابدا وينعمون فلا يبؤسون ابدا ويشبون فلا
يهرمون ابدا في جنة اي بساتين جامعة لجميع ما يراد
منها عالية اي مرتفعة في المكان والمكانة والابنية والدرجات والاشجار وكل اعتبار وقوله
تعالى قطوفها جمع كثرة لقطف بالكسر وهو فعل بمعنى
مفعول كالذبح وهو ما يجتنيه الجاني من الثمار
واما القطف بالفتح فالمصدر والقطاف بالفتح
والكسر وقت القطف دانية اي قريبة المآخذ
سهلة التناول جدا للراكب والقائم والقاعد
والمضطجع كل ذلك على حد سواء ما بها من غير انقطاع
لا كلفة على احد في تناول شيء من ذلك وقوله تعالى
وجمع الضمير للمعنى لان قوله تعالى فاما من اوتي
كتابه يتضمن معنى الجمع وهذا امتنان لا امر تكليف
هنيئا اي اكلا طيبا لذيذا شهيا مع البعد عن كل
اذى وسلامة العاقبة بكل اعتبار ولا فضلة تعناك

كلوا واشربوا على
اضمار القول اي
يقال لهم ذلك وجمع ص

من

من بول ولا غائط ولا بصاق ولا مخاط ولا عرق ولا دهن
ولا صداع ولا ثقل والباء في قوله تعالى بما اسلفتم
سببية وما مصدرية او اسمية اي بما قد قدمتم من
الاعمال الصالحة في الايام الخالية اي الماضية في
الدنيا التي انقضت وذهبت واسترحتم من تعبها
وعن مجاهد ايام الصيام اي كلوا واشربوا بدل ما
امسكتم عن الاكل والشرب لوجه الله تعالى وروي
يقول الله تعالى يا اوليائي طال ما نظرت اليكم في
الدنيا وقد قلصت شفاهكم عن الاشربة وغارت
اعينكم وخمصت بطونكم فكونوا اليوم في نعيمكم
وكلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية
ولما كانت العادة جارية بان اهل العرض ينقسمون الى
مقبول ومردود وذكر سبحانه المقبول ماداً به
تعالى حاله وتغليظا لعاقبته وحسن حاله
اتبعه المردود تنفيرا عن اعماله بما ذكر من قبائح
احواله فقال تعالى واما من اوتي كتابه اي صحيفة
حسابه بشماله فيقول اي لما يرى من سوء عاقبته
التي كشف له عنها الغطا حتى لم يبق له فيها لما رأى من
قبائحه التي قدمها ياليتني تمنيا للمحال لم اوت
اي من اي موت ما كتابيه اي هذا الذي ذكر بخبائث
اعمالي وعرفني جزاءها ولم اي ويا ليتني لم ادر ما

حقيقة حسابيه من ذكر العمل وذكر جزائه بل استمرت
جاهلا لذلك كما كنت في الدنيا ثم يتمنى الموت ويقول
يا ليتها اي الموتة الاولى وان لم تكن مذكورة الا انها
لظهورها كانت كالمذكورة كانت القاضية اي القاطعة
لحياتي بان لا ابعث بعدها ولم الق ما وصلت اليه
قال قتادة يتمنى الموت ولم يكن في الدنيا عنده شيء
اكره من الموت وشر من الموت ما يطلب منه الموت
قال الشاعر
وشر من الموت الذي ان لقيته
تمنيت منه الموت والموت اعظم
والمعنى يا ليت هذه الحالة كانت الموتة التي قضيت
علي وقوله ما اغنى عني ماليه يجوز ان يكون نفيا
تأسفا على فوات ما كان يرجو من نفعه والمفعول
على هذا التقدير محذوف للتعميم ويجوز ان يكون
استفهام توبيخ لنفسه حيث سولت له ما اثر لسه
كل سو وكل محال اي اي شيء اغنى ما كان لي من
المال الذي منعت منه حق الفقرا وتعظمت به على عباد
الله هلك عني سلطانيه اي ملكي وتسلطي على
الناس وبقيت فقيرا ذليلا وعن ابن عباس ان هذه
الاية نزلت في الاسود بن عبد الاسد وعن فناخسرو
الملقب بالعضد الدولة انه لما قال

عضد

عضد الدولة وابن ركنها ملك الاملاك غلاب القدر
لم يفلح بعده وجن فكان لا ينطق لسانه الا بهذه الاية
وقال ابن عباس ضلت عني حجتي التي كنت احتج بها
في الدنيا وذكر الضحاك ان الاية الاولى في اخي الاسود
عبد الله بن عبد الاسد المخزومي ولما كان كانه
قيل هنا ما قال مما يقال له اجيب بانه تعالى
للزبانية على رؤس الاشهاد خذوه اي ايها الزبانية
الذين كان تتهزيهم عند سماع ذكرهم فغلوه
اي اجمعوا يديه الى عنقه ورجليه الى وراء قفاه
الى ناصيته ثم الجحيم اي النار العظمى التي تجحم على
من يريد دفاعها وتجحد عنها من راها لانها في
غاية الجمود التوقد والتغيظ والتدد صلوه
اي بالغوا في تصليته اياها وكرروها بغمه في النار
كالشاة المصلية مرة بعد اخرى لانه كان يتعاظم
على الناس فناسب ان يصلى اعظم النيران وعبر
ايضا باداة التراخي لعلو رتبة مدخولها فقال موذنا
بعدم الخلاص وتقديم المفعول يفيد الاختصاص
عند بعضهم ولذلك قال الزمخشري ثم لا تصلوه
الا الجحيم قال ابو حيان وليس ما قاله مذهبا لسيبويه
ولا لحذاق النحاة انتهى لكن كلام النحاة لا ينافي
ما قاله ثم في سلسلة اي عظيمة جدا وقوله تعالى

Copyright © King Saud University

ذرعها سبعون ذراعا يحتمل ان يكون هذا العدد
حقيقة وعلى هذا قال ابن عباس سبعون ذراعا
بذراع الملك فتدخل في دبره وتخرج من دبره
وقال نوف البكالي سبعون ذراعا كل ذراع سبعون
باعا كل باع ابعد مما بينك وبين مكة وكان في رحبة
الكوفة وقال سفيان كل ذراع سبعون ذراعا وقال
الحسن الله اعلم اي ذراع هو ويحتمل ان يكون مبالغة
كما قال تعالى ان تستغفر لهم سبعين مرة يريد مرات
كثيرة لانها اذا طالت كان الارهاق اشد والذي
يدل على هذا ما رواه الترمذي وقال اسناده حسن
عن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لو ان رصاصة مثل هذه واشار الى
مثل الجمجمة ارسلت من السماء الى الارض وهي
مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الارض قبل الليل
ولو انها ارسلت من راس السلسلة لسارت
اربعين خريفا الليل والنهار قبل ان تبلغ اصلها
وقعرها وعن كعب انه قال لو جمع حديد الدنيا
وزن حلقة منها اجارنا الله تعالى ومحبينا منها
وجميع المسلمين فاشار سبحانه الى ضيقها على من يحيط
به من بدنه بتعبيره بالسلك فقال تعالى فاسلكوه
اي ادخلوه بحيث يكون كانه السلك اي الخيط الذي

يدخل

يدخل في ثقب الخرزة بعسر لضيق ذلك الثقب اما بان جاءت
بعنقه او بجمع بدنه بان تلف قال الزمخشري والمعنى
في تقديم السلسلة على السلك مثله في تقديم الجحيم
على التصلية اي لا تسلكوه الا في هذه السلسلة كانه
اقطع من ساير مواضع الارهاق في الجحيم ومعنى ثم
الدلالة على تفاوت ما بين الغل والتصلية وما
بينهما وبين السلك في السلسلة لا على تراخي المدة
انتهى ولما ذكر سبحانه على الاجمال عقابه اتبعه اسبا به
فقال تعالى انه كان اي جبلة وطبعا وان اظهر شيئا
يلبس به على الضعفا ويدلس على الاغنيا لا يؤمن
اي الان ولا في مستقبل الزمان بالله اي الملك
الاعلى الذي يعلم السر واخفى العظيم اي الكامل
العظمة وهذا تعليل على طريق الاستيناف وهو
ابلغ كانه قيل ما له يعذب هذا العذاب الشديد
اجيب بذلك وقوله تعالى ولا يحض اي
يحث على بذل طعام المسكين دليلان قويان على
عظم الجرم في حرمان المسكين احدهما عطفه على
الكفر وجعله قرينة له والثاني ذكر الحض دون
الفعل ليعلم ان تارك الحض بهذه المنزلة فكيف
بتارك الفعل وما احسن قول القائل
اذا نزل الاضياف كان عذورا

Copyright © King Saud University

علي الحي حتى تستقل براحلة
تريد حضهم علي القرب واستجلبهم وعن ابي الدرداء
انه كان يحض امراته علي تكثير المرق لاجل المساكين
وكان يقول خلعنا نصف السلسلة بالايمان افلا نخلع
نصفها الباقي بالطعام وقيل هو منع الكفار وقولهم
انطعم من لو يشا الله اطعمه والمعنى علي بذل طعام
المسكين ولما وصفه سبحانه باقبح العقايد واشنع
الرذايل رتب عنهما قوله تعالى فليس له اليوم هاهنا
اي في مجمع القيامة كله حميم اي صديق يحميه من
العذاب لانهم كلهم له اعدا كما انه كان لا يرق
علي الضعفا لما نهم فيه من الا قلال من حطام
الاموال ولا طعام الا من غسلين اي غسالة
اهل النار وصديدهم وقيحهم فعلين من
الغسل لا ياكله الا الخاطيون اي اصحاب الخطايا
من خطا الرجل اذا تعمد الذنب وهم المشركون
لا من الخطا المضاد للصواب وهذا الطعام بمثل
ما في بطونهم من الاعيان والمعاني التي بها قوام
صلاحها وهي بمنزلة ما كانوا يشحون من اموالهم
التي انطووها وحزوها في خزائنهم واستاثروا
بها علي الضعفا فلا اقسم اي لا اقسم مني اقسام بما تبصرون
من المخلوقات وما لا تبصرون منها اي بكل

الموجودات

الموجودات واجبها وجايزها معقولها ومحسوسها لانها
لا تخرج عن قسمين مبصر وغير مبصر وقيل الدنيا
والاخرة والاجسام والارواح والانس والجن والخلق
والخالق والنعم الظاهرة والباطنة لان الامر اوضح
من ان يحتاج الى اقسام وان كنت اقسم في غير هذا
الموضع بما شئت ولو قيل بهذا في الواقعة لكان حسنا
وقيل لا زايدة وجرى علي ذلك الجلال المحلي انه اي
القران لقول اي تلاوة رسول اي انا ارسلته به
وعني اخذه وليس فيه شي من تلقا نفسه انما هو كله
رسالة واضحة جدا ان شانها بما له من الاعجاز
الذي شهد انه كلامي كريم اي علي الله تعالى
فهو في غاية الكرم الذي هو البعد من مساوي
الاخلاق باظهار معاليها لشرف النفس وشرف الاباء
وهو محمد صلى الله عليه وسلم وكرم النبي اجتماع
الكمالات اللايقة به فيه وقيل هو جبريل عليه
السلام قاله الحسن والكلبي لقوله تعالى رسول كريم
ذي قوة واستدل للاول بقوله تعالى وما هو بقول
شاعر اي ياتي بكلام معنى موزون يقصد الوزن
قال مقاتل سبب نزول هذه الاية ان الوليد
ابن المغيرة قال ان محمدا ساحر وقال ابو جهل شاعر
وقال عقبة كاهن فرد الله تعالى عليهم بذلك فلن

Copyright © King Saud University

فان قيل كيف يكون كلام الله تعالى ولجبريل ولمحمد صلى
الله عليه وسلم اجيب بان الاضافة يكفي فيها
ادنى ملابسة فالله سبحانه وتعالى اظهره في اللوح
المحفوظ وجبريل عليه السلام بلغه للنبي صلى الله عليه
وسلم وهو بلغه لامته قليلا ما تؤمنون منصوب نعتا
لمصدر او زمان محذوف اي ايمانا قليلا او زمانا
قليلا والناصب يؤمنون وما مزيدة للتاكيد وقال
ابن عطية ونصب قليلا بفعل مضمر يدل عليه
يؤمنون وما يحتمل ان تكون نافية فينتفي ايمانهم
البتة ويحتمل ان تكون مصدرية وتتصف بالقلة
فهو الايمان اللغوي لا الشرعي لانهم قد صدقوا باشياء
يسيرة لا تغني عنهم شيئا وهو اخلاصهم بالوحدانية عند
الاضطرار وافرادهم الخالق بالخلق والربوبية ولا
بقول كاهن وهو المنجم الذي يخبر عن الاشياء
واغلبها ليس له صحة وقوله تعالى قليلا ما تذكرون
يأتي فيه ما تقدم في قليلا ما تؤمنون وقال البغوي اراد
بالقليل نفي اسلامهم اصلا كقولك لمن لا يزورك
قل ما تأتينا وانت تريد لا تأتينا اصلا وقرأ قليلا
ما يؤمنون قليلا ما يذكرون ابن كثير وابن عامر
بخلاف عن ابن ذكوان بالياء التحتية فيهما والباقون
بالفوقية وخفف الذال حمزة والكسائي وحفص وشددها

الباقون

11

الباقون وقوله تعالى تنزيل خبر لمبتدا مضمر اي هو تنزيل
على وجه التنجيم قال البقاعي واشار الى الرسالة الى
جميع الخلق من اهل السموات والارض بقوله تعالى من
رب العالمين اي موجدهم ومدبرهم بالاحسان
اليهم بما يفهم كل منهم من هذا الذكر الذي رباهم به
ورتبه سبحانه نظمه على وجه سهل وعلى كل منهم
يكفي في هدايته انتهى وهذا يدل على انه صلى الله
عليه وسلم ارسل للملائكة وهو الذي ينبغي وان لم
يكونوا مكلفين تشريفا لهم زيادة في شرفه بارساله
صلى الله عليه وسلم اليهم ولو تقول اي تكلف تعمدا ان
يقول مرة من الدهر كذبا علينا اي على ما لنا من
العظمة بعض الاقاويل اي التي لم نقلها او قلناها
ولم ناذن له فيها قال الزمخشري التقول افتعال
القول لان فيه تكلفا من المفتعل وسمى الاقوال
المنقولة اقاويل تصغيرا لها وتحقيرا كقولك الاعا
والاضاحيك كانها جمع افعولة من القول والمعنى
لو نسب الينا قولا لم نقله او لم ناذن له في قوله
لاخذنا اي لنلنا منه اي عقابا باليمين اي بالقوة
والقدرة تنبيه الباء على اصلها غير مزيدة والمعنى
لاخذناه بالقوة منا فالباء حالية والحال من الفاعل
وتكون منه في حكم الزائدة واليمين هنا مجاز عن

حبيب

Copyright © King Saud University

عن القوة والغلبة فان قوة كل شي في ميامنه وهذا
معنى قول ابن عباس ومجاهد ومنه قول الشماخ
اذا ما راية رفعت لمجد، تلقاها عرابة باليمين،
وقال ابو جعفر الطبري بهذا الكلام خرج مخرج الاذلال
على عادة الناس في الاخذ بيد من يعاقب ويجوز
ان تكون البا مزيدة والمعنى لاخذنا منه يمينه
والمراد باليمين الجارحة كما يفعل بالمقتول صبرا
يوخذ بيمينه ويضرب بالسيف في جيده مواجهة
وهو اشد عليه وقال الحسن لقطعنا يده
اليمنى وقال الزمخشري والمعنى لو ادعى علينا شيا
لم نقله لقتلناه صبرا كما يفعل الملوك بمن يتكذب
عليهم معاجلة بالسخط والانتقام فصور قتل
الصبر بصورته ليكون اهول وهو ان يوخذ بيده
فتضرب رقبته وخص اليمين عن اليسار لان
القتال اذا اراد ان يوقع الضرب في قفاه اخذه
بيساره واذا اراد ان يوقعه في جيده وان يلحمه
بالسيف وهو اشد على المصبور لنظره الى السيف
اخذ بيمينه انتهى وقال بعطويه المعنى لقبضنا
بيمينه عن التصرف وقال السدي ومقاتل المعنى
انتقمنا منه بالحق واليمين على هذا المعنى الحق كقوله
تعالى انكم كنتم تاتوننا عن اليمين اي من قبل الحق

ثم

ثم لقطعنا اي بما لنا من العظمة قطعا يتلف شي عنه
كل قطع منه الوتين اي نياط القلب وهو يتصل به
من الراس اذا انقطع مات صاحبه قال ابو زيد
وجمعه الوتن وثلاثة اوتنة والموتون الذي قطع
وتينه وقال الكلبي عرق بين العلبا والحلقوم وهما
علبا وان بينهما العرق والعلبا عصب العنق وقيل
عرق غليظ تصادفه شفرة الناحر وقال مجاهد
هو حبل القلب الذي في الظهر وهو النخاع فاذا انقطع
بطلت القوى ومات صاحبه وقال محمد بن كعب انه
القلب ومراقه وما يليه وقال عكرمة ان الوتين
اذا قطع لان جاع عرف ولان شبع عرف وقيل
الوتين من مجمع الوركين الى مجمع الصدر بين الترقوتين
ثم تنقسم منه ساير العروق الى ساير الجسد ولا
يمكن في العادة الحياة بعد قطعه وقال ابن قتيبة
لم يرد انا نقطعه بعينه بل المراد انه لو كذب
لاءمتناه فكان كمن قطع وتينه ونظيره قوله صلى
الله عليه وسلم ما زالت اكلة خيبر تعاودني فهذا اوان
انقطاع ابهري والابهر عرق متصل بالقلب فاذا
انقطع مات صاحبه فكانه قال هذا اوان يقتلني
السم وحينيذ صرت كمن انقطع ابهره فما منكم ايها
ايها الناس واعرق في النفي فقال من احد عنه اي

Copyright © King Saud University

القتل حاجزين اي لا يقدر احد منكم ان يحجزه عن
ذلك ويدفعه عنه والرسول صلى الله عليه وسلم
اي لا تقدرون ان تحجزوا عنه القاتل وتحولوا بينه
وبينه تنبيه من احد اسم ما ومن زايدة
لتاكيد النفي ومنكم حال من احد وعنه حاجزين
خبر ما وجمع لان احدا في سياق النفي بمعنى الجمع
وضمير عنه للقتل او النبي كامر وانه اي القران
لتذكرة للمتقين لانهم المنتفعون به لاقبالهم
عليه قبال مستفيد وانا اي بما لنا من العظمة
لنعلم اي علما عظيما محيطا ان منكم اي ايها الناس
مكذبين بالقران ومصدقين فانزلنا الكتب
وارسلنا الرسل لنظهر منكم اي عالم الشهادة ما كنا
نعلمه في الازل غيبا من تكذيب وتصديق فتستحقون
بذلك الثواب والعقاب فلذلك وجب في الحكمة
ان نبعث الخلق اي ما كانوا عليه من اجسامهم قبل
الموت لنحكم بينهم فنجازي كلا بما يليق به اظهارا
للعدل وانه اي القران لحسرة اي ندامة على
الكافرين اي اذا راوا ثواب المصدقين وعقاب المكذبين
به وانه اي القران وقيل الجزا يوم الجزا لحق اليقين
اي الامر الثابت الذي لا يقبل الشك فهو يقين
موكد بالحق من اضافة الصفة الى الموصوف وهو

فوق

٢١٤

فوق علم اليقين وقال ابن عباس انما هو كقولك عين
اليقين ومحض اليقين فسبح اي اوقع التنزيه الكامل
عن كل شائبة نقص باسم اي بسبب علمك بصفات
ربك اي الموجد والمربي لك والمحسن اليك بانواع
الاحسان العظيم اي الذي ملات الاقطار كلها عظمته
وزادت على ذلك بما شاه سبحانه مما لا تسعه العقول
وقال ابن عباس اي فصل لربك العظيم وقول البيضاوي
تبعا للزمخشري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
من قرا سورة الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا
حديث موضوع سورة المعارج مكية وهي اربع
واربعون اية ومايتان وستة عشر كلمة والف واحدى
وستون حرفا بسم الله الذي تنقطع الاعناق
والامال دون علياه الرحمن الذي لا مطمع لاحد
في حصر اوصافه الرحيم الذي اصطفى من عباده
من وفقه فكان من اوليايه سال سايل اي دعا
داع بعذاب واقع فضمن سال معنى دعي فلذلك عدي
تعديته وقيل الباء بمعنى عن كقوله تعالى فاسيل
به خبيرا اي عنه اي سال سايل عن عذاب واقع
والاول اولى لان التجوز في الفعل اولى منه في الحرف
لقوته واختلفوا في هذا الداعي فقال ابن عباس هو
النضر بن الحارث حيث قال اللهم ان كان هذا هو

Copyright © King Saud University

الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا
بعذاب اليم فنزل سواله وقيل يوم بدر صبرا هو
وعقبة بن ابي معيط لم يقتل صبرا غيرهما وقيل
هو الحارث بن النعمان وذلك انه لما بلغه قول النبي صلى
الله عليه وسلم في علي من كنت مولاه فعلي مولاه
ركب ناقته فجا حتى اناخ راحلته بالابطح ثم قال
يا محمد امرتنا عن الله ان نشهد ان لا اله الا الله وانك
رسول الله فقبلناه منك وان نصلي خمسا ونزكي
اموالنا فقبلناه منك وان نصوم شهر رمضان في
عام فقبلناه منك وان نحج فقبلناه منك ثم لم
ترض حتى فضلت ابن عمك علينا افهذا شي منك
ام من الله تعالى فقال النبي صلى الله عليه وسلم
والذي لا اله الا هو ما هو الا من الله فولى الحارث
وهو يقول اللهم ان كان ما يقول محمد حقا فامطر
علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم فوالله
ما وصل الى ناقته حتى رماه الله تعالى بحجر فوقع
على دماغه فخرج من دبره فقتله فنزلت وقال
الربيع هو ابو جهل وقيل انه قول جماعة من كفار
قريش وقيل هو نوح عليه السلام سال العذاب على
الكافرين وقيل هو النبي صلى الله عليه وسلم
استعجل بعذاب الكافرين ويدل عليه قوله تعالى بعد

ذلك

ذلك فاصبر صبرا جميلا اي لا تستعجل فانه قريب وقرا
نافع وابن عامر بغير همز بعد السين والباقون بهمزة
مفتوحة بعد السين تنبيه ما تقدم من الوجهين
في كون سال ضمن اوان التابعين عن نحو على القراءة
بالهمز واما على عدمه ففيه وجهان احدهما انه لغة
في السوال يقال سال يسال كخاف يخاف وعين الكلمة
واو قال الزمخشري وهي من لغة قريش والثاني انه
من السيل ومعناه اندفع عليهم واد بعذاب وقيل
سال واد من اودية جهنم وقوله للكافرين فيه
اوجه احدها انه يتعلق بسال مضمنا معنى دعا كما مر
اي دعا لهم بعذاب واقع الثاني انه يتعلق بواقع واللام
للعلة اي نازل لاجلهم الثالث ان يتعلق بمحذوف
صفة ثانية لعذاب اي كاين للكافرين الرابع ان يكون
جوابا للسايل فيكون خبر مبتدا مضمر اي هو للكافرين
الخامس ان تكون اللام بمعنى على او واقع على الكافرين
ليس له اي بوجه من الوجوه لا حيلة من الحيل دافع
برده وقوله تعالى من الله اي الملك الاعلى الذي
لا كفو له يجوز ان يتعلق بدافع بمعنى انه ليس له
دافع من جهته اذا جاء وقته لتعلق ارادته به وان
يتعلق بواقع وبه بدا الزمخشري اي واقع من عنده
ذي المعارج اي المصاعد وهي الدرجات التي يصعد

Copyright © King Saud University

فيها الكلم الطيب والعمل الصالح او يترقى فيها المومنون في
سلوكهم او في دار ثوابهم او مراتب الملائكة او السموات
قال ابن عباس اي ذي السموات سماها معارج الملائكة
لان الملائكة يعرجون فيها فوصف نفسه بذلك او ذي
العلو والدرجات الفواضل والنعم لانها تصل الى
الناس على مراتب مختلفة قاله ابن عباس وقتادة
فالمعارج من انعامه على الخلق وقيل ذي العظمة
والعلا وقيل المعارج الغرف اي انه ذو الغرف اي جعل
لاوليائه الجنة غرفا وقرا تعرج الملائكة الكسائي
بالياء التحتية والباقون بالتاء الفوقية وادغم جيم
المعارج في تاء تعرج هنا السوسي واستضعف بعضهم
ذلك من حيث ان مخرج الجيم بعيد من مخرج التاء
واجيب عن ذلك بان الادغام يكون
لمجرد الصفات وان لم يتقاربا في المخرج والجيم
تشارك التاء في الاستفال والانفتاح والشدة
والجملة من تعرج مستانفة وقوله تعالى والروح
من عطف الخاص ان اريد بالروح جبريل كما قاله
ابن عباس لقوله تعالى نزل به الروح الامين او ملك اخر
من جنسهم عظيم الخلقة وقال ابو صالح انه خلق من
خلق الله كهيئة الناس وليس بالناس وقال
قبيصة بن ذويب انه روح الميت حين يقبض اليه

اي

اي مهبط امره من السماء وقيل هو كقول ابراهيم عليه
السلام اني ذاهب الى ربي اي الى الموضع الذي امرني
به وقيل الى عرشه وعلق بالعروج او بواقع قوله
تعالى في يوم اي من ايامكم وبين عظمه بقوله
تعالى كان اي كونا هو في غاية الثبات مقداره
لو كان الصاعد فيه ادميا خمسين الف سنة اي من
سني الدنيا وذلك ان تصعد من منتهى امر الله
تعالى من اسفل الارض السابعة روي عن مجاهد
ان مقدار هذا خمسين الف سنة وقال محمد بن اسحاق
لو سار بنو ادم من الدنيا الى موضع العرش
ساروا خمسين الف سنة وقال عكرمة وقتادة هو
يوم القيامة واراد ان موقفهم للحساب حتى
يفصل بين الناس خمسون الف سنة من سنين
الدنيا ليس يعني به ان مقدار طوله هذا دون
غيره لان يوم القيامة ليس له اول وليس له اخر
لانه يوم ممدود ولو كان له اخر لكان منقطعا
وروي عن ابن عباس انه قال يوم القيامة يكون
على الكافرين مقدار خمسين الف سنة وعن سعيد
الخدري انه قال قيل لرسول الله صلى الله عليه
وسلم يوم كان مقداره خمسين الف سنة ما اطول
هذا اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

Copyright © King Saud University

والذي نفسي بيده ليخفف على المومن حتى يكون اخف
عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا وقيل
معناه لو ولي محاسبة العباد في ذلك اليوم غير الله
تعالى لم يفرغ عنه في خمسين الف سنة قال عطا ويفرغ
الله تعالى في مقدار نصف يوم من ايام الدنيا وقيل
فيه خمسون موطنا على الكافر كل موطن الف سنة
وما ورد ذلك على المومن الا كما بين الظهر والعصر
وروي عن الكلبي انه قال يقول الله تعالى لو وليت
حساب ذلك الملائكة والانس والجن وطوقتهم
محاسبتهم لم يفرغوا منه في خمسين الف سنة
وفيه تقديم وتاخير كانه قال ليس له دافع من
الله ذي المعارج في يوم كان مقداره خمسين الف
سنة تعرج الملائكة والروح اليه فان قيل كيف
الجمع بين هذه الاية وبين قوله تعالى في سورة
السجدة في يوم كان مقداره الف سنة اجيب
بانه يحتمل ان من اسفل العالم الى اعلا العرش خمسين
الف سنة ومن اعلا سما الدنيا الى الارض الف سنة
لان عرض كل سما خمسماية فقوله في يوم من ايام
الدنيا وهو مقدار الف سنة لو صعدوا فيه الى سماء
الدنيا ومقدار خمسين الف سنة لو صعدوا الى اعلا
العرش وقوله تعالى فاصبر صبرا جميلا متعلق بما

قال

قال الرازي سال سايل لان استعجالهم بالعذاب كان
على وجه الاستهزا برسول الله صلى الله عليه وسلم
فامر بالصبر والمعنى جاء العذاب لقرب وقوعه فاصبر
على اذى قومك والصبر الجميل هو الذي لا جزع
فيه ولا شكوى لغير الله تعالى وقيل ان يكون صاحب
المصيبة في القوم لا يدري من هو وقال ابن زيد
والكلبي هذه الاية منسوخة بالقتال انهم اي
الكفار يرونه اي ذلك اليوم الطويل او عذابه بعيدا
اي زمن وقوعه لانهم يرونه غير ممكن او يفعلون
افعال من يستبعده ونراه اي لما لنا من العظمة
التي قضت بوجوده وهو علينا هين قريبا سواء اريد
بذلك قرب الزمان او قرب المكان فهو هين على
قدرتنا وهو اتٍ لا محالة وكل ات قريب والقريب
والبعيد عندنا على حد سوا وقرا ابو عمرو وحمزة
والكسائي باماله محضة وورش بين بين والباقون
بالفتح وقوله تعالى يوم تكون السماء متعلق بمحذوف
اي يقع فيه من الاهوال كالمهل اي كدردي الزيت
وعن ابن مسعود كالفضة البيضا في تلونها وتكون
الجبال اي التي هي اشد الارض واثقل ما فيها كالعهن
اي كالصوف في الخفة والطيران بالريح وقيل اول
ما تتفرق الجبال تصير رملا ثم عهنا منفوشا

Copyright © King Saud University

يتم بقاؤه منثورا مبثثا ولا يسأل اي من شدة
الاهوال حميم حميما اي قريب في غاية القرب والصد
اقة قريبا مثله عن شي من الاشيا لفرط الشواغل
ولانه قد كشف لهم انه لا تغني نفس عن نفس شيا
وانه قد تقطعت الاسباب وتلاشت الانساب وعلم
انه لا عز الا بالتقوى يبصرونهم اي يبصرهم
بهم مبصر فلا يخفى احد على احد وان بعد مكانه
يود المجرم اي يتمنى الكافر او هذا النوع سوا
كان كافرا ام مليا عاصيا علم انه يعذب بعصيانه
لو بمعنى ان يفتدي اي يفدي نفسه من عذاب
يومئذ اي يوم اذ كانت هذه المخاوف وقراءة
نافع والكسائي بفتح الميم والباقون بكسرها ببنيه
اي باقرب الناس اليه واعلقهم بقلبه لشدة
ما ترى ولما ذكر الصق الناس بالفؤاد واعز من
يلزم نصره والذب عنه اتبعه ما يليه في الرتبة
والمودة بقوله تعالى وصاحبته اي زوجته التي
يلزمه الذب عنها لا سيما عند العرب من اقبح
العار ولكونه دايما معها ولما ذكر الصاحبة لما لها
من تمام الوصلة اتبعها الشقيق الذي هو عليه
شفيق بقوله تعالى واخيه اي الذي لا بد له النصرة
على من يريد قال الشاعر

اخاك

اخاك اخاك ان من لا اخا له
كنازل الهيجا بغير سلاح

ولما كان من بقي من الاقارب بعد ذلك متقاربين في
الرتبة ذكر اقربهم بقوله تعالى وفصيلته اي عشيرته
الذين هم اقرب من فصل عنه وقال ثعلب الفصيلة
الابا الادنون وقال ابو عبيدة الفخذ وقال مجاهد
وابن زيد عشيرته الاقربون التي تؤويه اي تضمه
انتما عند الشدايد وتحميه لانه اقرب الناس اليها
واعزهم عليها ولما خص عم بقوله تعالى ومن
في الارض اي من الثقلين وغيرهم سوا كان فيهم
صديق لا صبر عنه ولا بد في كل حال منه ام لا ثم
اكد ذلك بقوله تعالى جميعا وقوله تعالى ثم
ينجيه اي ذلك الافتدا عطف على يفتدي وقوله
تعالى كلا رد وردع وزجر لما يوده وقال القرطبي وانها
تكون بمعنى حقا وبمعنى لا وهي هنا تحتمل الامرين
فاذا كانت بمعنى حقا كان تمام الكلام ينجيه واذا
كانت بمعنى لا كان تمام الكلام عليها اذ ليس من
عذاب الله افتدا ولما كان الاضمار قبل الذكر لتعظيم
ذلك المضمر اشارة الى انه مستحضر في الذهن لا ينفك
قال تعالى انها اي النار وان لم يجر لها ذكر لدلالة
لفظ عذاب عليها وقيل الضمير للقصة وقيل مبهم

بنفره قوله تعالى لظى اي ذات اللهب الخالص المتناهي
في الحر اسم لجهنم تتلظى اي تتوقد فتاكل بسببه
بعضها بعضا ان لم تجد ما تاكله وتاكل كلما وجدته
كائنا ما كان وقوله تعالى نزاعة للشوى جمع شواة
وهي جلدة الراس اي شديدة النزع لجلود الروس
وقال في القاموس اليدان والرجلان واطراف
وقحف الراس وما كان غير مقتل انتهى وقرا حفص
بالنصب على الاختصاص والحال المؤكدة والمتنقلة
على ان لظى متلظية والباقون بالرفع على انه خبر
ان تدعوا من ادبر وتولى عن الايمان تقول اي
يا مشرك من اي يا فاسق ونحو هذا ثم تلتقطهم
التقاط الطير للحب ولما كانت الدنيا والاخرة ضرتين
فكان الاقبال على احدهما دالا على الاعمال عن الاخرى
قال تعالى دالا على ادباره بقلبه وجمع اي كل ما كان
منسوبا الى الدنيا فاوعى اي جعل ما جمعه في وعاء
وكنزه حرصا وطول امل ولم يعط حق الله تعالى
منه فكان همه الاعطاء لا اعطاء ما وجب من الحق اقبالا
على الدنيا واعراضا عن الاخرة وقرا لظى وللشوى
وتولى فاوعى حمزة والكسائي بالامالة محضة وورش
وابو عمرو بين بين والفتح عن ورش قليل والباقون
بالفتح ان الانسان اي الجنس عبر به لما له من الانس

بنفسه

بنفسه والرؤية لمحاسنه والنسيان لربه ولذلك خلق
هلوعا اي جبل جبلة هو فيها بليغ الهلع وهو الجبن
الجزع مع شدة الحرص وقلة الصبر والشح على المال
والرغبة فيما لا ينبغي وعن ابن عباس انه الحريص على
ما لا يحل له وروي عنه انه تفسيره ما بعده وهو قوله
اذا مسه اي ادنى مس الشر اي هذا الجنس وهو
ما تطاير شرره من الضرر جزوعا اي عظيم الجزع
وهو ضد الصبر بحيث يكاد صاحبه ينقد نفسه
ويتفتت واذا مسه كذلك الخير هذا الجنس وهو
ما يلائمه فيجد من السعة في المال وغيره من
انواع الرزق منوعا اي مبالغا في الامساك
عما يلزمه من الحقوق للانهماك في حب العاجل
وقصور النظر عليه ووقوفا على المحسوس لغلبة الجمود
والبلادة وهذا الوصف الايمان لانه نصفين شكر
وصبر فان قيل حاصل هذا الكلام انه نفور عن
المضار طالب للراحة وهذا هو اللائق بالعقل فلم
ذمه الله تعالى عليه اجيب ـــــ بانه انما ذمه
عليه لقصور نظره على الامور العاجلة والواجب
عليه ان يكون شاكرا راضيا في كل حال وقوله تعالى
الا المصلين استثناء للموصوفين بالصفات الآتية
من المطبوعين على الاحوال المذكورة قبل مضادة

Copyright © King Saud University

تلك الصفات لهما من حيث انهاد الله على الاستغراق
في طاعة الله والاشفاق على الخلق والايمان بالجزا
والخوف من العقوبة وكسر الشهوة وايثار العاجل
على الاجل وتلك ناشية من الانهماك في حب العاجل
وقصور النظر عليها الذين هم اي بكلية ضمايرهم
وظواهرهم على صلاتهم اي التي هي معظم دينهم
وهي النافعة لهم لا لغيرهم مما افادته الاضافة
والمراد الجنس الشامل لجميع الانواع الا ان معظم
المقصود الفرض ولذا عبر بالاسم الدال على الثبات
في قوله تعالى دايمون اي لا فتور لهم عنها ولا
انفكاك لهم منها وقال عقبة بن عامر هم الذين
اذا صلوا لم يلتفتوا يمينا ولا شمالا والدايم
الساكن ومنه نهي عن البول في الماء الدايم
اي الساكن وقال ابن جريج والحسن هم الذين
يكثرون فعل التطوع منها فان قيل كيف قال تعالى
على صلاتهم دايمون وقال تعالى في موضع اخر
على صلواتهم يحافظون اجيبت بان دوامهم
عليها ان لا يتركوها في وقت ومحافظتهم عليها ترجع
الى الاهتمام بحالها حتى ياتي على اكمل الوجوه
من المحافظة على شرايطها والاتيان بها في الجما
عة وفي المساجد الشريفة وفي تفريغ القلب

عن

عن الوسواس والريا والسمعة وان لا يلتفت يمينا
ولا شمالا وان يكون حاضر القلب فاهما للاذكار مطلعا
على حكم الصلاة متعلق القلب بدخول اوقات الصلاة
ولما ذكر تعالى زكاة الروح اتبعه زكاة عديلها فقال
تعالى منبها للرسوخ في الوصف بالعطف بالواو والذين
في اموالهم اي من الزكوات وجميع النفقات الواجبة
وقال ابن عباس من ادى زكاة ماله فلا جناح عليه
ان لا يتصدق للسايل اي الذي يسال والمحروم
اي الذي لا يسال فيحسب غنيا فيحرم فهو يتلظى
بناره في ليله ونهاره ولا مفزع له بعد ربه المالك
لعله نيته وسره الا الى افاضة مدامعه بذلته
وانكساره وهذا من الله تعالى حث على تفقد ارباب
الضرورات ممن لا كسب له ومن افتقر بعد الغنا
وقد كان للسلف الصالح في هذا قصب السبق حكي
عن زين العابدين انه لما مات وجد بظهره اثار سواد
كانها السيور فتعجبوا منها فقال بعد موته نسوة ارامل
كان شخص ياتي الينا ليلا بقرب الما على ظهره واجربة
الدقيق ففقدناه واحتجنا فعلموا انه هو وان تلك
السيور من ذلك وحكي عن عمر بن الخطاب انه
شخصا راه نايما في زمن خلافته في الليل فتبعه
فجا الى بيت نسوة ارامل فقال اعندكم ما والا زر

التي من الله سبحانه لهم
عليهم حق معلوم

املا لكن فاعطيته حجرة فاخذها وذهب فملاها على كتفه
والى بها اليهن والحكايات عنهم في هذا كثيرة والذين
يصدقون اي يوقعون التصديق لمن يخبرهم ويجددونه
كل وقت بيوم الدين اي الجزاء الذي ما مثله يوم وهو
يوم القيامة الذي يقع الحساب فيه على النقير والقطمير
والتصديق به حق التصديق الاستعداد له بالاعمال
الصالحة فالذين يعملون لذلك اليوم هم العمال واما
المصدقون بمجرد الاقوال فلهم الوبال وان انفقوا
امثال الجبال والذين هم اي بجميع ضمائرهم وظواهرهم
هم من عذاب ربهم اي المحسن اليهم لا من عذاب
غيره فان المحسن اولى بان يخشى ولو من قطع
احسانه مشفقون اي خائفون في هذه الدار
خوفا عظيما هو في غاية الثبات من ان يعذبهم في
الاخرة او في الدنيا او فيهما فهم لذلك لا يغفلون
الامر ضده سبحانه ان عذاب ربهم اي الذي
عودهم باحسانه وهم عارفون بانه قادر
على الانتقام ولو بقطع الاحسان غير مامون اي
لا ينبغي لاحد ان يامنه بل يجوز ان يحل به وان بالغ
في الطاعة لان الملك مالك وهو تام الملك له ان
يفعل ما يشاء ومن جوز وقوع العذاب ابعد عن موجباته
غاية الابعاد ولم يزل مترجحا بين الخوف والرجا والذين

هم

والذين هم اي ببواطنهم الغالبة على ظواهرهم لفروجهم
اي سوا كانوا ذكورا ام اناثا حافظون اي حفظا ثابتا دائما
عن كل ما نهى الله تعالى عنه الا على ازواجهم اي من
الحرائر بعقد النكاح وقدمهن لشرفهن وشرف الولد
بهن ثم اتبعه قوله تعالى او ما ملكت ايمانهم اي
من السراري التي هي محل الحرث والنسل اللاتي هي اقل عقلا
من الرجال ولهذا عبر بما التي هي في الاغلب لغير
العقلاء وفي ذلك اشارة الى اتساع النطاق في احمالهن
فانهم اي بسبب اقبالهم بالفروج عليهن وازالة
الحجاب من اجل ذلك غير ملومين اي في الاستمتاع
بهن من لا يمد ما كان ينبه عليه البنا للمفعول فهم
يصحبوهن للتعفف وصون النفس وابتغاء الولد
للتعاون على طاعة الله تعالى والكفي في مدحهم بنفي
اللوم لاقباله على تحصيل ماله من المرام فمن
ابتغى اي طلب وعبر بصيغة الافتعال لان ذلك لا يقع
الا عن اقبال عظيم من النفس واجتهاد في الطلب
وقراءة حمزة والكسائي بالامالة محضة وقراءة ورش
بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح وراء ذلك
اي شيئا من هذا خارجا عن هذا الامر الذي احله
الله تعالى له والذي هو اعلى المراتب في امر النكاح
وقضاء اللذة واحسنها واجملها فاولئك اي الذين

Copyright © King Saud University

هم في الحضيض من الدناة وغاية البعد عن مواطن
الرحمة **هم** اي بضمايرهم وظواهرهم **العادون**
اي المختصون بالخروج عن الحد الماذون فيه **والذين**
هم لاماناتهم اي من كل ما ائتمنهم الله تعالى عليه
من حقه وحق غيره وقرا ابن كثير بنفي الف بعد
النون على التوحيد والباقون بالالف على الجمع **وعهد**
هم اي ما كان من الامانات بربط وتوثيق **راعون**
اي حافظون لها معترفون بها على وجه نافع غير
ضار **والذين هم** اي بغاية ما يكون من توجيه القلوب
بشهاداتهم التي شهدوا بها او يستشهدون بها بطلب
او غيرهم وتقدم المعمول اشارة الى انهم في فرط قيامهم
ومراعاتهم لها كانهم لا شاغل لهم سواها **قايمون**
اي يتحملونها ويودونها على غاية التمام والحسن اذا
من هو متى لها واقفا في انتظارها وقرا حفص بالف
بعد الدال على الجمع اعتبارا بتعدد الانواع والباقون
بنفي الف على التوحيد اذ المراد الجنس قال الواحدي
والافراد اولى لانه مصدر فيفرد كما يفرد المصدر
وان اضيف الى الجمع كصوت الحمير وقال ابن المغربي
يقومون بالشهادة على من كانت عليه من قريب
وبعيد يقومون بها عند الحكام ولا يكتمونها وقال
ابن عباس بشهادة ان لا اله الا الله وحده لا شريك له

وان

وان محمدا عبده ورسوله **والذين هم على صلاتهم**
اي في الفرض والنفل **يحافظون** اي يبالغون في حفظها
ويجددونه حتى كانهم يبادرون بها الحفظ ويباهون
فيه فيحفظونها لتحفظهم ويباهون غيرهم في
حفظها وتقدم ان المداومة غير المحافظة فدوامهم
عليها محافظتهم على اوقاتها وشروطها واركانها
ومستحباتها في ظواهرها وبواطنها من الخشوع
والمراقبة وغير ذلك من خلال الاحسان التي اذا
فعلوها كانت ولا ناهية لفاعلها ان الصلاة تنهى
عن الفحشاء والمنكر فيحمل على جميع هذه الاوامر وبعد
عن اضدادها فالدوام يرجع الى نفس الصلاة
والمحافظة الى احوالها ذكره القرطبي ولما ذكر تعالى
حلاهم ابتعه ما اعطاهم فقال عز من قايل منبها
او منتجا من غير فا اشارة الى ان رحمته هي التي
اوصلتهم الى ذلك من غير سبب منهم في الحقيقة
اوليك اي الذين في غاية العلو لما لهم من الاوصاف
العالية لما لهم من الاوصاف العالية **في جنات**
اي في الدنيا والاخرة اما في الاخرة فواضح واما في
الدنيا فلانهم لما جاهدوا فيه باتعاب انفسهم
في هذه الاوصاف حتى تخلقوا بها اعطاهم
بمباشرتها لذاذات من الانس القرب وحلاوة

Copyright © King Saud University

المناجات لان ابا وبها تنى اصلا والجنة محل فيه جميع
الراحات و المستلذ ات والسرور وانتفي عنه جميع
المكروهات والشرور وضدها النار ونزاههم على
ذلك بقوله تعالى مكرمون معبرا باسم المفعول اشارة
الى عموم الاكرام من الخالق والخلق الناطق وغيره
لانه سبحانه قضى بان يعلي مقدارهم فيكرمهم
بانواع الكرامات فيتلقاهم بالبشرى حين الموت
وفي قبورهم ومن حين قيامهم من قبورهم
الى دخولهم الى قصورهم هذا حال المومنين
واما حال الكافرين فقال الله تعالى في حقهم فمال
الذين كفروا وقف ابو عمرو على الالف بعد الميم والكسائى
تقف على الالف وعلى اللام والباقون على اللام واما
الابتدا فالجميع يبتدون اول الكلمة اي اي شي
من السعادات للذين ستروا مراى عقولهم عن
الاقرار بمضمون هذا الكلام الذي هو اوضح من
الشمس حال كونهم قبلك اي نحوك ايها الرسول
الكريم وفيما اقبل عليك مهطعين اي مسرعين
مع مد الاعناق وادامة النظر اليك في غاية
العجب من مقالك هيبة من يبقى الى امره حياة
له بدونه عن اي متجاوزين اليك مكانا عن
جهة اليمين اي منك حيث يتمنون به وعن

الشمال

الشمال اي منك وان كانوا يتامون به وقوله تعالى
عزين حال من الذين كفروا وقيل من الضمير في
مهطعين فتكون حال متداخلة اي جماعات
جماعات وحلقا متفرقين فرقا شتى افواجا لانهم لم
يكونوا جميعا جمع عزة واصلها عزوة لان كل فرقة
تعتزي الى غير ما تعتزي اليه الاخرى فهم متفرقون
قال الكميت

ونحن وجندل باغ تركنا
كتايب جندل شتى عزينا

وجمع عزة جمع سلامة شذوذا وقيل كان المستهزو
خمسة ارهط روى ان المشركين كانوا يجتمعون حول
النبي صلى الله عليه وسلم يستمعون كلامه ويستهزو
به ويكذبونه ويقولون ان دخل هولاء الجنة
كما يقول محمد فلندخلنها قبلهم فرد الله تعالى عليهم
بقوله عز من قايل ايطمع اي هولاء البعدا البغضا
وعبر بالطمع اشارة الى انهم بلغوا الغاية في السفه
لكونهم طلبوا اعز الاشيا من غير سبب يعاطونه له
ولما كان اتيانهم على هيئة التفرق من غير انتظار
جماعة لجماعة قال تعالى كل امرئ منهم اي على انفراده
ان يدخل اي وهو كافر من غير ايمان تركيه كما يدخل
المسلم فيستوى المسي والمحسن جنة نعيم اي لا شي

Copyright © King Saud University

فيها غير النعيم وقوله تعالى **كلا** ردع لهم عن
طمعهم ودخولهم الجنة اي لا يكون ما طمعوا فيه اصلا
لان ذلك تمن فارغ لا سبب له مما دل عليه التعبير
بالطمع دون الرجا ثم علل ذلك بقوله تعالى **انا
خلقناهم** اي بالقدرة التي لا يقدر احد ان يقاومها
مما يعلمون اي انهم يعلمون انهم مخلوقون من نطفة
ثم من علقة ثم من مضغة كما خلق ساير جنسهم
فليس لهم فضل يستوجبون به الجنة وانما تستوجب
بالايمان والعمل الصالح ورحمة الله تعالى وقيل كانوا
يستهزءون بفقرا المومنين ويتكبرون عليهم فقال
تعالى انا خلقناهم مما يعلمون اي من القذر وهو
منصبهم الذي لا منصب اوضع منه ولذلك ابهم
واخفي اشعارا بانه منصب يستحي من ذكره فلا يليق
بهم هذا التكبر ويدعون التقدم ويقولون تدخل
الجنة قبلهم قال قتادة في هذه الاية انما خلقت
يا ابن ادم من قذر فاتق الله وروي ان مطرف
بن عبد الله بن الشخير راى المهلب بن ابي صفرة
يتبختر في مطرف خز وجبة فقال له يا عبد الله
ما هذه المشية التي يبغضها الله تعالى فقال له اتعرفني
قال نعم اولك نطفة مذرة واخرك جيفة قذرة
وانت فيما بين تحمل العذرة فمضى المهلب وترك مشيته

فائدة

فائدة قال ابن عربي في الفتوحات خلق الله الناس
على اربعة اقسام قسم لا من ذكر ولا من انثى وهو
ادم عليه السلام وقسم من ذكر فقط وهو حوى
وقسم من ذكر وانثى وهو بقية الناس **فلا** زيدت
فيه **لا اقسم برب** اي بسيد ومبدع ومدبر **المشارق**
اي التي تشرق الشمس والقمر والكواكب السيارة كل يوم
في موضع منها على المنهاج الذي دبره والطريق والنقا
الذي اتقنه وسخره ستة اشهر صاعدة وستة
اشهر هابطة **والمغارب** كذلك وهي التي ينشا عنها
الليل والنهار والفصول الاربعة فكان بها صلاح
العالم بمعرفة الحساب واصلاح الماكل والمشارب
وغير ذلك من المارب فيوجد كل من الملوين بعد
ان لم يكن والنبات من النجم والشجر كذلك عادة
مستمرة دالة على انه قادر على الايجاد والاعدام
لكل ما يريده كما يريده من غير كلفة ما كما قال تعالى
انا اي على ما لنا من العظمة **لقادرون على ان
نبدل** اي تبديلا عظيما ما لنا من الجلال عوضا عنهم
خيرا منهم اي بالخلق او بتحويل الوصف فيكونوا اشد
بطشا في الدنيا واكثر اموالا واولادا واعلى قدرا واكثر
حشما وجاها وخدما فيكونوا عندك على قلب واحد
في سماع قولك وتوقيرك وتعظيمك والسعي في كل

Copyright © King Saud University

ما يحرج صدرك بذلك ما يعمل هؤلاء من الهزء والتصفيق
والصفير وكل ما يضيق به صدرك وقد فعل سبحانه
ذلك بالمهاجرين والانصار والتابعين لهم باحسان
بالسعة في الرزق باخذ اموال الجبارين من كسرى
وقيصر والتمكن في الارض حتى كانوا ملوك الدنيا
مع العمل بما يوجب لهم ملك الاخرة فرجوا الكرب
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبذلوا في
مرضاته الانفس والاموال **وما نحن بمسبوقين**
اي لا يفوتنا شيء ولا يعجزنا امر نريده بوجه من
الوجوه **فذرهم** اي اتركهم ولو على اسوء احوالهم
يخوضوا اي في باطلهم في اقوالهم وافعالهم **ويلعبوا**
اي يفعلوا في دنياهم فعل اللاعب الذي لا فائدة
لفعله الا ضياع الزمان واشتغل انت بما امرت
حتى يلاقوا اي يلقوا **يومهم الذي يوعدون**
وهو يوم يكشف الغطاء الذي اوله تجلية عند الغر
غرة وتناهيه النفخة الثانية ودخول كل من
الفريقين في داره ومحل استقراره وهذه الاية
منسوخة باية السيف كما قاله البقاعي وابن عادل
وقوله تعالى **يوم يخرجون** يجوز ان يكون بدلا من
يومهم او منصوبا باضمار اعني **من الاجداث** اي
القبور التي صاروا بتغييبهم فيها تحت وقع الحوافر

والخشع

والخشع فهم بحيث لا يدفعون شيئا يفعل بهم بل هم كالجمد
في فم ماضغ فان الجدث القبر والجدف صوت الحافر
والخف مضغ اللحم وقوله تعالى **سراعا** اي يخرجون
الداعي ذاهبين الى المحشر حال من فاعل يخرجون
جمع سريع كظراف في ظريف وقرأ قوله تعالى **كانهم
الى نصب** ابن عامر وحفص بضم النون والصاد
والباقون بفتح النون واسكان الصاد على انه مصدر
بمعنى المفعول كما تقول هذا نصب عيني
وضرب الامير والنصب والنصب كل ما نصب فعبد
من دون الله **يوفضون** اي يسرعون الى الداعي
مستبقين كما كانوا يستبقون الى انصابهم وقال
ابن عباس الى نصب اي الى غاية وهي التي تنتصب
اليها بصرك وقال الكلبي هو شيء منصوب علم
او راية وقال الحسن كانوا يبتدرون اذا طلعت
الشمس الى نصبهم التي كانوا يعبدونها من دون
الله تعالى لا يلوي اولهم على اخرهم قوله تعالى
خاشعة حال اما من فاعل يوفضون وهو اقرب
او من فاعل يخرجون وفيه بعد منه وفيه تعدد الحال
لذي حال واحدة وفيها الخلاف المشهور وقوله تعالى
ابصارهم فاعل والمعنى ذليلة خاضعة لا يرفعونها
لما يتوقعونها من عذاب الله تعالى **ترهقهم** اي تغشاهم

دنيا

فتمهم ويجمل عليهم فتكلفهم كل عسر وضيق على وجه الاسراع
عليهم ذلة اى ضد ما كانوا عليه فى الدنيا لان من
تعزز فى الدنيا على الحق ذل فى الاخرة ومن ذل للحق فى
الدنيا عز فى الاخرة ذلك اى الامر الذى هو فى غاية
ما يكون من علو الرتبة فى العظمة اليوم الذي كانوا
يوعدون اى يوعدونه فى الدنيا ان لهم فيه العذاب
واخرج الخبر بلفظ الماضى لان ما وعد الله تعالى
به فهو حق كائن لا محالة وهذا هو العذاب الذى
سالوا عنه اول السورة فقد رجع اخرها على اولها
وما قاله البيضاوى تبعا للزمخشرى من انه صلى
الله عليه وسلم قال من قرا سورة سال سايل
اعطاه الله ثواب الذين هم لاماناتهم وعهدهم
راعون حديث موضوع

سورة نوح عليه السلام مكية

وهى سبع وعشرون اية ومايتان واربع وعشرون
كلمة وتسعمائة وتسعة وعشرون حرفا بسم الله
ذى الجلال والاكرام الرحمن الذى عم بما فاضه
من ظاهر الانعام الرحيم الذى حفظ اولياءه من
الابتدا الى الختام ولما ختمت سال بالانذار للكفار
وكانوا عباد اوثان بعذاب الدنيا والاخرة اتبعها
اعظم عذاب كان فى الدنيا على تكذيب الرسل بقصة

نوح

نوح عليه السلام فقال تعالى انا اى بما لنا من العظمة
البالغة ارسلنا نوحا الى قومه اى الذى كان فى غاية
القوة على القيام بما يحاولونه وهم بصدد ان يجيبوه
ويكرموه لما بينهم من القرب بالنسب واللسان وكانوا
جميع اهل الارض من الادميين روى قتادة عن ابن
عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اول
نبى ارسل نوح وارسل الى جميع اهل الارض ولذلك
لما كفروا اغرق الله اهل الارض جميعا وهو نوح بن
لامك بن متوشلخ بن خنوخ وهو ادريس بن يرد
بن مهلايل بن انوش بن قينان بن شيث بن ادم
عليه السلام قال وهب وكل مومنون ارسل الى
قومه وهو ابن خمسين سنة وقال ابن عباس وهو ابن
اربعين سنة وقال عبد الله بن شداد بعث وهو
ابن ثلثمائة وخمسين سنة ويجوز فى قوله تعالى ان
انذر اى حذر تحذيرا عظيما قومك اى الاستمرار على
الكفران تكون ان مفسرة فلا يكون لها موضع من
الاعراب لان فى الارسال معنى الامر فلا حاجة
الى اضمار ويجوز ان تكون المصدرية اى ارسلناه
بالانذار قال الزمخشرى والمعنى ارسلناه بان
قلنا له ان انذر قومك اى ارسلناه بالامر بالانذار
انتهى وهذا الذى قدره جواب عن سوال وهى ان قولهم

Copyright © King Saud University

ان ان المصدرية يجوز ان توصل بالامر مشكل لانه
ينسبك منها و مما بعدها مصدر وحينيذ فتفوت
الدلالة على الامر الا ترى انك اذا قدرت كتبت
اليك بان كتبت اليه القيام تفوت الدلالة على الامر
حال التصريح بالمصدر فينبغي ان يقدر كما قاله
الزمخشري اي كتبت اليه بان قلت له قم
اي كتبت اليه بالامر بالقيام وقال القرطبي اي بان
انذر قومك **من قبل ان ياتيهم** اي على ما هم عليه
من الاعمال الخبيثة **عذاب اليم** اي عذاب الاخرة
او الطوفان **قال** اي نوح عليه السلام **يا قوم**
فاستعطفهم بتذكيرهم انه احدهم يهمه ما يهمهم
اني لكم نذير اي مبالغ في انذاركم **مبين** اي امري
بين في نفسه بحيث ان صار في شدة وضوحه كانه
مظهر لما يتضمنه مناد بذلك للقريب والبعيد
والفطن والغبي ويجوز في قوله تعالى **ان اعبدوا**
الله اي الملك الاعظم الذي له جميع الكمال ان تكون
ان تفسيرية لنذير وان تكون مصدرية والكلام
فيها كما تقدم في اختها وقرا ابو عمرو وعاصم
وحمزة في الوصل بكسر النون والباقون بالضم
والمعنى وحدوا الله **واتقوه** اي اجعلوا بينكم وبين
غضبه وقاية تمنعكم من عذابه بالانتهاء عن

لا

كل ما يكرهه فلا تتحركوا حركة ولا تسكنوا سكنة الا في طاعته
وهذا هو العمل الوافي من كل سوء **واطيعون** اي لاعرفكم
ما تقصر عنه عقولكم من صفات معبودكم ودينكم
ودنياكم ومعادكم وادلكم على اجتلاب اداب تهديكم
واجتناب شبه تردكم ففي طاعتي فلاحكم برضى
الملك منكم وقوله **يغفر لكم** جواب الامر وفي
من في قوله **من ذنوبكم** اوجه احدها انها تبعيضية
الثاني انها لابتداء الغاية الثالث انها مزيدة قال
ابن عطية وهو مذهب كوفي ورد بان مذهبهم
ان ذلك لا يفهم يشترطون تنكير مجرورها ولا يشترط
غيره والاخفش لا يشترط شيئا فالقول بزيادتها
ماشي على قوله لا على قولهم قاله القرطبي وقيل
لا يصح كونها زائدة لان من لا تزاد في الواجب وانما
هي هنا للتبعيض وهو بعض الذنوب وهو ما لا يتعلق
بحقوق المخلوقين **ويؤخركم** اي بلا عذاب تاخيرا ينفعكم
الى اجل مسمى اي قد سماه الله تعالى وعلمه قبل
ايجادكم فلا يزاد فيه ولا ينقص منه فيكون موتكم
على العادة او يأخذكم جميعا فالامور كلها قد قدرت
وفرغ من ضبطها لاحاطة العلم والقدرة فلا يزاد
فيها ولا ينقص ليعلم ان الارسال انما هو مظهر
لما قدره في الازل ولا يظن انه قالب للاعيان

طون

بتغيير ما سبق به القضا من الطاعة والعصيان
وقرأ ويوخركم ولا يوخر ورش بابدال الهمزة واوا
وقفا ووصلا وحمزة في الوقف دون الوصل والبا
قون بالهمز **ان اجل الله** اي الذي له الكمال كله
فلا راد لامره **اذا جا لا يوخر** اي اذا جا الموت لا يوخر
بعذاب كان او بغير عذاب واضاف الاجل اليه سبحانه
لانه الذي اثبته وقد يضاف الى القوم كقوله تعالى
اذا جا اجلهم لانه مضروب لهم **لو كنتم تعلمون**
اي لو كنتم من اهل العلم والنظر لعلمتم ذلك ولكنهم
لانهماكهم في حب الدنيا كانهم شاكون في الموت
ولما كان عليه السلام اطول الانبيا عمرا وكان قد
طال نصحه لهم ولم يزدادوا الا طغيانا وكفرا
قال مناديا لمن ارسله لانه تحقق انه قريب
منه غيره **رب** اي يا سيدي وخالقي **اني دعوت**
اي اوقعت الدعا الى الله تعالى بالحكمة والموعظة
الحسنة **قومي** اي الذين هم جديرون باجابتي
لمعرفتهم بي وقربهم مني وفيهم قوة المحاولة
لما يريدون **ليلا ونهارا** اي دايما متصلا لا افتر عن
ذلك وقيل معناه لا سرا وجهرا **فلم يزدهم دعاي**
اي شيا من احوالهم التي كانوا عليها **الا فرارا** اي
بعدا واعراضا عن الايمان كانهم حمر مستنفرة

استثنا

استثنا مفرغ وهو مفعول ثان وقرأ عاصم وحمزة
والكسائي بسكون اليا والباقون بفتحها وهم على
مراتبهم في المد **واني كلما** اي على تكرار الاوقات
وتعاقب الساعات **دعوتهم** اي الى الاقبال اليك
بالايمان بك والاخلاص لك **لتغفر لهم** اي ليومنوا
فتمحوا ما فرطوا فيه في حقك فافرطوا لاجله في التجاوز
في الحد محوا بالغا فلا يبقى شي من ذلك عينا ولا اثرا
حتى لا تعاقبهم عليه ولا تعاتبهم **جعلوا اصابعهم**
كراهة منهم واحتقارا للداعي **في اذانهم** حقيقة لييلا
يسمعوا ذلك منك فان ابت ان الدعا فانا لا نسمع لسد
اسماعنا ودلوا على الافراط في كراهة الدعا بما ترجم
عنه قوله **واستغشوا ثيابهم** اي اوجدوا التغطية
لروسهم بثيابهم لييلا تبصر كراهة النظر الى وجه
من ينصحهم في دين الله وهكذا حال النصحا مع من
ينصحونه دايما **واصروا** اي اكبوا على الكفر والمعاصي
من اصر الحمار على العانة وهو القطيع من حمر الوحش
اذا صر اذنيه واقبل عليها يكدمها ويطردها
واستكبروا اي اوجدوا الكبر طالبين له راغبين
فيه واكد ذلك بقوله **استكبارا** تنبيها على ان
فعلهم مناف للحكمة وقد افادت هذه الايات
بالصريح في غير موضع انهم عصوا نوحا عليه السلام

Copyright © King Saud University

وخالفوه مخالفة لا اقبح منها ظاهرا بتعطيل الاسماع
والابصار وباطنا بالاصرار والاستكبار ثم اني دعو
تهم جهارا اي معلنا بالدعا قال ابن عباس باعلا صوتي
ثم اني اعلنت لهم اي كررت لهم الدعا معلنا وقراء
نافع وابن كثير بفتح اليا والباقون بسكونها واسررت
لهم اسرارا قال ابن عباس يريد الرجل بعد الرجل اكلمه
سرا بيني وبينه ادعوه الى عبادتك سرا بيني وبينه
ادعوه الى عبادتك وتوحيدك فقلت اي في ذا
دعاي لهم استغفروا ربكم اي اطلبوا من المحسن
الكريم المبدع لكم المدبر لاموركم ان يمحو ذنوبكم
اعيانها واثارها بان تومنوا بالله وتتقوه انه كان
اي ازلا وابدا ودايما سرمدا غفارا على من رجع
اليه يرسل السماء اي المظلة لان المطر منها ويجوز
ان يراد السحاب والمطر عليكم مدرارا ويمددكم
باموال وبنين اي ويكثر اموالكم واولادكم وذلك
ان قوم نوح عليه السلام لما كذبوه زمانا طويلا
حبس الله تعالى عنهم المطر وعقم ارحام نسا
يهم اربعين سنة فهلكت اموالهم ومواشيهم
فقال لهم نوح استغفروا ربكم من الشرك اي
استدعوه المغفرة بالتوحيد يرسل السماء عليكم
مدرارا روى الشعبي ان عمر بن الخطاب خرج يستسقي

بالناس

٢٢٨

بالناس فلم يزد على الاستغفار فلما نزل قيل يا امير
المومنين ما رايناك استسقيت قال لقد طلبت الغيث
بمجاديح السما التي يستنزل القطر ثم قرا هذه الاية
شبه بالانوا الصادقة التي لا تخطي وعن الحسن
ان رجلا شكى اليه الجدب فقال استغفروا الله وشكى
اليه اخر الفقر واخر قلة النسل واخر قلة ريع
الارض فامرهم كلهم بالاستغفار فتلا الاية وقال
القشيري من وقعت له حاجة الى الله تعالى فلم يصل
الى مراده بتقديم الاستغفار وقال ان عمل قوم نوح
كان بضد ذلك كلما ازداد نوح عليه السلام في الغفران
ووجوه الخير والاحسان ازدادوا في الكفر والنسيان
ويجعل لكم اي في الدارين جنات اي بساتين عظيمة
واعاد العامل للتاكيد فقال ويجعل لكم انهارا
اي يخصكم بذلك عمن لم يفعل ذلك فان من لزم
الاستغفار جعل له من كل هم فرجا ومن ضيق
مخرجا وقال ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا
عليهم بركات من السماء والارض وقال تعالى ولو
انهم اقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من
ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقال
تعالى وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء
غدقا ما لكم لا ترجون لله اي الملك الذي له الامر

كل

Copyright © King Saud University

كله وقارا اى مالكم لا تاملون له توقيرا اي تعظيما والمعنى
مالكم لا تكونون على حال تاملون فيها تعظيم الله
اياكم في دار الثواب ولله بيان الموقر ولو تاخر لكان
صفة الوقار فان بالمعرفة تزكوا الاعمال وتصلح
الاقوال انما سبق ابو بكر بشى وقر في صدره وانما
يصح تعظيمه سبحانه بان لا ترى لك عليه حقا ولا
تنازع له اختيارا وتعظم امره ونهيه بعدم المعار
ضة وقد اى والحال انه قد احسن اليكم مرة
بعد مرة بما لا يقدر عليه غيره فدل ذلك على تمام قدرته
ثم لم يقطع احسانه عنكم فاستحق ان تومنوا به
لانه هل جزا الاحسان الا الاحسان ورجا لدوام
احسانه وخوفا من قطعه لانه خلقكم اى اوجدكم
من العدم مقدرين اطوارا اي تارات عناصر اولا
ثم مركبات تغذى الحيوانات ثم اخلاطا ثم نطفا
ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ولحوما واعصابا ودما
ثم خلقا اخر فاما ناطقا ذكرانا واناثا الى غير ذلك
من الامور الدالة على قدرته على كل مقدور ومن
قدر على هذا الابتدا كان على الاعادة اعظم قدرة
الم تروا اى ايها القوم كيف خلق الله اى الذى له
العلم التام والقدرة البالغة والعظمة الكاملة
سبع سموات هي في غاية العلو والسعة والاحكام

والزينة

والزينة طباقا اي متطابقة بعضها فوق بعض وكل واحدة
في التي تليها محيطة بها ما لها من فروج ولا يكون
تمام المطابقة الا كذلك بالاحاطة من كل جانب
وجعل القمر اي الذي ترونه فيهن نورا اي لامعا منتشرا
كاشفا للمرئيات احد وجهيه يضي لاهل الارض والثاني
لاهل السموات قال الحسن يعني في السما الدنيا
كما تقول اتيت بني فلان وانما اتيت بعضهم وفلان متوا
في دور بني فلان وهو في دار واحدة وبدا به لغرابته
وسرعة حركته وقطعه جميع البروج في كل شهر وغيبته
في بعض الليالي ثم ظهوره وذلك اعجب في القدرة
ولما كان نوره مستفادا من نور الشمس قال تعالى
وجعل اى فيها الشمس اي في السما الرابعة سراجا
اي نورا اعظم كاشفا لظلمة الليل عن وجه الارض
وهي في السماء الرابعة كما مر وقيل في الخامسة وقيل
في الشتا في الرابعة وفي الصيف في السابعة روي عن
ابن عباس وابن عمر ان الشمس والقمر وجوههما مما
يلي السماء واقفيتهما الى الارض وجعلها سبحانه
اية على روية عباده المحسنين له في الجنة والله اي
الملك الاعظم الذي له الامر كله انبتكم اى بخلق
ابيكم ادم عليه السلام من الارض اى كما ينبت الزرع
وعبر بذلك تذكيرا لنا لما كان من خلق ابينا ادم عليه

Copyright © King Saud University

السلام لانه ادل على الحدوث والتكوين من الارض نباتا
اي انباتكم منها انبتا واستعير الانبات لانه ادل على
الحدوث والتكون واصله انبتكم فنبتم نباتا فاختصر
اكتفا بالدلالة الالتزامية ثم يعيدكم على التدريج
فيها اي الارض بالموت والاقبار وان طالت الاجال
ويخرجكم اي منها بالاعادة واكد بالمصدر الجاري
على الفعل اشارة الى شدة العناية به وتحقيق وقوعه
لانكارهم له فقال تعالى اخراجا اي غريبا لمن هو
كما تعلمون بل تكونون به في غاية ما يكون من الحياة
الباقية تلابس ارواحكم بها اجسامهم ملابسة
لا انفكاك بعدها لاحدهما عن الاخر والله اي المستجمع
لجميع الجلال والاكرام جعل لكم اي نعمة عليكم
اهتماما بامركم الارض بساطا اي سهل عليكم التصرف
فيها والتقلب عليها سهولة التصرف في البساط ثم
علل ذلك بقوله تعالى لتسلكوا اي متخذين منها
اي الارض مجددين ذلك سبلا اي طرقا واضحة
مسلوكة لكثرة فجاجا اي ذوات اتساع لتتوصلوا الى
البلاد الشاسعة برا وبحرا فيتم الانتفاع بجميع
البقاع فالذي قدر على احداثكم واقدركم على
التصرف في اصلكم مع ضعفكم قادر على اخراجكم
من احداثكم واقدركم على التصرف في اصلكم مع

ضعفكم

ضعفكم قادر على اخراجكم من احداثكم التي لم تزل طوع
امره ومحل عظمته وقهره ولما اكثروا مع نوح عليه
السلام الجدال ونسبوه الى الضلال قابلوه باشنع الاقوال
والافعال قال نوح اي بعد رفقه بهم ولينه لهم
رب اي ايها المحسن الي المدبر لي المتولي لجميع امري انهم
اي قومي الذين دعوتهم اليك مع صبري عليهم الف
سنة الا خمسين عاما عصوني اي فيما امرتهم به
ودعوتهم اليه فابوا ان يجيبوا دعوتي وشردوا عني
اشد شرود وخالفوني اقبح مخالفة واتبعوا اي بغاية
جهدهم نظرا الى المظنون العاجل من اي رؤساهم
البطرين باموالهم المفتخرين بولدانهم وفسرهم
بقوله تعالى لم يزده اي شيئا من الاشيا والاتي في
الدنيا والاخرة وقرا نافع وابن عامر وعاصم بفتح
الواوين واللام والباقون بضم الواو الثانية واسكان
اللام ومكروا اي هولاء الرؤسا في تنفير الناس عني
مكرا وزاده تنكيرا بصيغة هي النهاية في المبالغة
بقوله كبارا فانه ابلغ من كبار المخفف الابلغ من
كبير واختلفوا في معنى مكرهم فقال ابن عباس
قالوا قولا عظيما وقال الضحاك افتروا على الله وكذبوا
رسله وقيل منع الرؤسا اتباعهم عن الايمان
بنوح عليه السلام فلم يدعوا احدا منهم بذلك

ماله اي كثرته وولده كذلك
الا خسارا اي بالبعد من الله
صح صح

المكر بتبعه وحرضوهم على قتله وقالوا اي لهم لا تذرن
اي تتركن آلهتكم اي عبادتها على حالة من الحالات
لا قبيحة ولا حسنة واخافوها الهم من الحالات لا قبيحة
ولا حسنة واخافوها الهم تحسينا فيها ثم خصوا بالتسمية
زيادة في الحث وتصريحا بالمقصود فقالوا مكررين
النهي والعامل تاكيدا ولا تذرن ودا وقراءة نافع
بضم الواو والباقون بفتحها وانشدوا بالوجهين قول
الشاعر

جبال ود من هداك لقيته
وحرص باعلاذي فضالة مجد

وقال القرطبي قال الليث ود بفتح الواو صنم كان
لقوم نوح وود بالضم صنم لقريش وبه سمي عمرو
بن ود وفي الصحاح والود بالفتح الوتد في لغة
اهل نجد كانهم سكنوا التاء وادغموها في الدال التي
ثم اعادوا النهي تاكيدا فقالوا ولا سواعا واكدوا
هذا التاكيد وابلغوا فيه فقالوا ولا يغوث ولما بلغ
التاكيد نهايته وعلم ان القصد النهي عن كل
فرد فرد لا عن المجموع ترك التاكيد في قولهم
ويعوق ونسرا للعلم بارادته واختلف المفسرون
في هذه الاسما فقال ابن عباس وغيره هي اصنام
وصور كان قوم نوح يعبدونها ثم عبدتها العرب

وهذا

٢٣١

وهذا قول الجمهور وقيل انها للعرب لم يعبدها غيرهم
وكانت اكبر اصنامهم واعظمها عندهم فلذلك خصوا
بالذكر بعد قولهم لا تذرن آلهتكم وقال عروة ابن الزبير
اشتكى آدم عليه السلام وعنده بنوه ود وسواع
ويعوق قال ان ويعموق ويعموق ويغوث ويعوق ونسرا
وكان ود اكبرهم وابرهم به قال محمد بن كعب كان
لآدم عليه السلام خمسة بنين ود وسواع ويغوث
ويعوق ونسرا وكانوا عبادا فمات رجل منهم فحزنوا
عليه فقال الشيطان انا اصور لكم مثله اذا نظرتم
اليه ذكرتموه قالوا افعل فصوره في المسجد من
صفر ورصاص ثم مات آخر فصوره حتى ماتوا
كلهم وصورهم وتناقصت الاشياء كما تتناقص
اليوم الى ان تركوا عبادة الله تعالى بعد حين فقال
لهم الشيطان ما لكم لا تعبدون شيئا قالوا وما
نعبد قال آلهتكم وآلهة ابائكم الا ترون انها في مصلاكم
فعبدوها من دون الله تعالى حتى بعث الله نوحا
عليه السلام فقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا
الآية وقال محمد بن كعب ايضا ومحمد بن قيس بل كانوا
قوما صالحين بين آدم ونوح عليهما السلام وكان
لهم اتباع يقتدون بهم فلما ماتوا زين لهم ابليس
ان يصنعوا صورهم ليتذكروا بها اجتهادهم

حكم

Copyright © King Saud University

وليتسلوا بالنظر اليها فصوروهم فلما ماتوا جا اخرون
فقالوا ليت شعري ما هذه الصور التي كان يعبدها
اباونا فجاهم الشيطان فقال كان اباوكم يعبدونها فترحمهم
وتسقيهم المطر فعبدوها فابتدي عبادة الاوثان
من ذلك الوقت وبهذا المعنى فسر ما جا في الصحيحين
من حديث عايشة ان ام حبيبة وام سلمة ذكرتا كنيسة
راينها بارض الحبشة تسمى مارية فيها تصاوير
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان اوليك كانوا اذا مات منهم الرجل
الصالح بنوا على قبره مسجدا ثم صوروا فيه تلك
الصورة اوليك شرار الخلق عند الله يوم القيامة
وروي عن ابن عباس ان نوحا عليه السلام كان
يحرس جسد ادم عليه السلام على جبل الهند
فمنع الكافرين ان يطوفوا بقبره فقال لهم الشيطان
ان هولاي يفخرون عليكم ويزعمون انهم بنو ادم دونكم
وانما هو جسد وانا اصور لكم مثله تطوفون
به فصور لهم هذه الاصنام الخمسة وحملهم على
عبادتها فلما كان ايام الطوفان دفنها الطين والتراب
والما فلم تزل مدفونة حتى اخرجها الشيطان
لمشركي العرب وكان للعرب اصنام اخر فاللات كانت
لثقيف واساف ونايلة وهبل كانت لاهل مكة

وكان

ني

وكان اساف حيال الحجر الاسود ونايلة حيال الركن اليماني
وكان هبل في جوف الكعبة وقال الماوردي اما ود
فهو اول صنم معبود سمي ودا لودهم له وكان بعد
قوم نوح لكليب بدومة الجندل في قول ابن عباس
وعطا واما سواع فكان لهذيل بساحل البحر في قولهم
وقال الرازي وسواع لهمدان واما يغوث فكان
لقطيف من مراد بالجرف من سبا في قول قتادة وقال
المهدوي لمراد ثم لغطفان وقال ابو عثمان النهدي
رايت يغوث وكان من رصاص وكانوا يحملونه على جمل
اجرد ويسيرونه معهم ولا يهيجونه حتى يبرك بنفسه
فاذا برك نزلوا وقالوا قد رضي لكم المنزل واما يعوق
فكان لهمدان وقيل لمراد واما نسر فكان لذي
الكلاع من حمير في قول قتادة ومقاتل وقال الواقدي
كان ود على صورة رجل وسواع على صورة امراة
ويغوث على صورة اسد ويعوق على صورة فرس ونسر
نسر من الطير قال البقاعي ولا يعارض هذا انهم
صور لناس صالحين لان تصويرهم لهم يمكن ان
لية يكون منتزعا من معانيهم فكان ود المكمل في الرجولية
وكان سواع امراة كاملة في العبادة وكان يغوث
شجاعا وكان يعوق سابقا قويا وكان نسر عظيما
طويل العمر انتهى ولما ذكرهم مكرهم وما اظهروا

Copyright © King Saud University

من قولهم عطف عليه ما توقع السامع من امرهم فقال
تعـ وقد ضلوا اي الروسا او الاصنام وجمعهم
جمع العقلا معاملة لهم معاملة العقلا كقوله رب
انهن اضللن كثيرا من عبادك الذين خلقتهم على
الفطرة السليمة من اهل زمانهم وممن اتى بعدهم
فانهم اول من سن هذه السنة السيئة فعليهم
وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة وقول نوح
عليه السلام ولا تزد الظالمين اي الراسخين في الوصف
الموجب للنار الا ضلالا اي طبعا على قلوبهم حتى
يعموا عن الحق عطف على قد اضلوا دعا عليهم بعد
ما علمه الله تعالى انهم لا يومنون بقوله تعالى انه
لن يومن من قومك الا من قد امن وكذلك دعا
موسى وهارون عليهما السلام في الشد على قلوب
فرعون وملايه ليلا يومنوا في حال ينفعهم فيه
وما في قوله تعالى مما خطاياهم اي من اجل خطايا
هم مزيدة للتاكيد والتفخيم وقرا ابو عمرو
بفتح الطاء وبعدها الف وبعد الالف يا وبعد اليا
الف وضم الها على وزن قضاياهم والباقون بكسر
الطاء وبعدها الف وبعد الالف يا وبعد اليا الف
وضم الها على وزن قضاياهم والباقون بكسر
الطاء وبعدها يا تحتية ساكنة وبعد اليا همزة

مفتوحة

لا
مفتوحة بعدها الف وبعد الالف تا فوقية مكسورة وكسر الها
على وزن قضياتهم اغرقوا اي بالطوفان طاف عليهم
جميع الارض السهل والجبل فلم يبق منهم احد وكذا
الكلام فيما تسبب عنه وتعقبه في قوله فادخلوا في الاخرة
التي اولها البرزخ يعرضون فيه على النار بكرة وعشيا
نارا اي عظيمة جدا اخفها ما يكون من مباديها
في البرزخ قال الملوي عذبوا في الدنيا بالغرق وفي الا خرة
بالحرق وقال الضحاك في حالة واحدة كانوا يغرقون
من جانب ويحترقون في الما من جانب بقدرة الله
فلم يجدوا لهم اي عند ما اتاح الله بهم سطوته واحل
بهم نقمته من دون الله اي الملك الاعظم التي تضمحل
المراتب تحت رتبة عظمته وتذل لعزه وجليل سطوته
انصارا تنصرهم على من اراد بهم ليمنعوه مما اراده
سبحانه من اغراقهم من غير ان يتخلف منهم احد
على كثرتهم وقوتهم لكونهم اعداه وانجى نبيه عليه
السلام ومن امن معه على ضعفهم وقلتهم لم
يغرق منهم احد لكونهم اولياءه كما انه لم يسلم ممن
اراد اغراقه احد على كثرتهم وقوتهم قال البقاعي
فمن قال عن عوج ما يقول القصاص فهو ضلال اشد
ضلال قال وقايل ذلك هو ابن عربي صاحب الفصوص
الذي لم يرد بتصنيفه الا هدم الشريعة وزاد في الخط

Copyright © King Saud University

عليه وعلى ابن الفارض وعلى الحلاج وعلى من شابههم
وامرهو له الى الله تعالى فانه العالم بحقايق الامور
وما تخفي الصدور **وقال نوح** واسقط الاداة كما هو عادة
اهل الحضرة فقال **رب لا تذر** اى لا تترك **على الارض** اى
كلها **من الكافرين** اي الراسخين في الكفر **ديارا** اى
احدا اندور فيها وهو من الفاظ العموم التى تستعمل فى
النفى فيقال من الدور او الدار لا فعال والا لكان دورا
قال قتادة دعا عليهم بعد ان اوحى الله تعالى اليه
انه لن يومن من قومك الا من قد امن فاجاب
الله تعالى دعوته واغرق امته وهذا كقول النبى
صلى الله عليه وسلم اللهم منزل الكتاب وهازم الاحزاب
اهزمهم وزلزلهم وقيل سبب دعايه ان رجلا
من قومه حمل ولدا صغيرا على كتفه فمر بنوح عليه
السلام فقال احذر هذا فانه يضلك فقال يا ابت
انزلنى فانزله فرماه فشجه فحينيذ غضب ودعا
عليهم فان قيل ما فعل صبيانهم حتى اغرقوا
اجيب بانهم اغرقوا معهم لا على وجه العقاب
ولكن كما يموتون بالانواع من اسباب الموت زيادة فى
عذاب الابا والامهات اذا ابصروا اطفالهم يغرقون
ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يهلكون مهلكا
واحدا ويصدرون مصادر شتى ونحو الخبر انه

سيل

سيل عن ذلك فقال علم الله تعالى براتهم فاهلكهم
بغير عذاب وقال محمد محمد بن كعب ومقاتل انما قال هذا
حتى اخرج الله تعالى كل مومن من اصلابهم وارحام
نسايهم واعقم ارحام امهاتهم وايبس اصلاب
رجالهم قبل العذاب باربعين سنة وقيل بسبعين
سنة فاخبر الله تعالى نوحا عليه السلام انهم لا يومنون
ولا يلدون مومنا كما قال تعالى انه لن يومن من
قومك الا من قد امن فحينيذ دعا عليهم فاجاب
الله تعالى دعاه فاهلكهم كلهم ولم يكن فيهم
صبى وقت العذاب لانه تعالى قال وقوم نوح لما
كذبوا الرسل اغرقناهم ولم يوجد التكذيب
من الاطفال وقال ابن عربى دعا نوح عليه السلام
على الكافرين اجمعين ودعا صلى الله عليه وسلم على
من تحزب على المومنين وكفى بهذا اصلا فى الدعا على
الكافرين فى الجملة واما كافر معين لم تعلم خاتمته
فلا يدعى عليه لان ماله عندنا مجهول وربما كان
عند الله معلوم الخاتمة بالسعادة وانما خص النبى
صلى الله عليه وسلم عتبة وشيبة واصحابه لعلمه
بمالهم وما كشف الله له من الغطا عن حالهم ولما
كان الرسل عليهم السلام لا يقولون ولا يفعلون
الا ما كان فيه مصلحة الدين علل دعاه بقوله

Copyright © King Saud University

انك اي رب ان تذرهم اي تتركهم على اي حالة كانت
في انفاعهم سالمين على وجه الارض ولما كانت حالة
دينه يضلوا عبادك اي الذين امنوا والذين يولدون
على الف طرة السليمة ولا يلدوا اي ان قدرت
بقاهم الا فاجرا اي مائلا من كل ما ينبغي الاعتصام
به كفارا اي بليغ الستر لما يجب اظهاره من ايات الله
فان قيل بم علم ان اولادهم يكفرون وكيف
وصفهم بالكفر عند الولادة اجيب بانه
لبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما فعرف طباعهم
واحوالهم وكان الرجل ينطلق بابنه اليه ويقول
احذر هذا فانه كذاب وان ابي حذرنيه فيموت
الكبير وينشا الصغير على ذلك وقد اخبر الله تعالى
انه لن يومن من قومك الا من قد امن ومعنى
ولا يلدوا الا فاجرا كفارا لم يلدوا الا من سيفجر
ويكفر فوصفهم بما يصيرون اليه كقوله صلى
الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه ولما دعا
على اعداء الله تعالى دعا لاوليائه وبدا بنفسه
فقال مسقطا الاداة على عادة اهل الخصوص رب
اي ايها المحسن الي باتباع من ابتغي وتجنب من
يجتنبني اغفر لي فانه لا يسعني وان كنت معصوما
الا حلمك وعفوك ومغفرتك ولوالدي وكانا

مومنين

٢٣٥

مومنين يريد ابويه اسم ابيه بن متوشلخ وامه
سمخا بنت انوش وعن ابن عباس لم يكفر لنوح عليه
السلام اب فيما بينه وبين ادم عليه السلام وقيل هما
ادم وحوى واعاد الجار اظهارا للاهتمام فقال ولمن
دخل بيتي اي منزلي وقيل مسجدي وقيل سفينتي
مومنا اي مصدقا بالله تعالى فمومنا حال وعن ابن
عباس اي دخل في ديني فان قيل على تفسير قوله
مومنا تكرارا اجيب بان من دخل في دينه
ظاهرا قد يكون مومنا وقد لا يكون فالمعنى ولمن
دخل دخولا مع تصديق القلب وللمومنين والمومنات
الى يوم القيامة قاله الضحاك وقال الكلبي من امة
محمد صلى الله عليه وسلم وقيل من قومه والاول
اولى واظهر ثم ختم الكتاب مرة اخرى بالدعاء على
الكافرين فقال ولا تزد الظالمين اي الراسخين في الظلم
في حال من الاحوال الا تبارا اي هلاكا مدمرا
والمراد بالظالمين الكافرين فهي عامة في كل كافر
ومشرك وقيل اراد مشركي قومه وتبارا مفعول ثان
والاستثناء مفرغ وقيل الهلاك الخسران وقول
البيضاوي تبعا للزمخشري عن النبي صلى الله عليه
وسلم من قرا سورة نوح عليه كان من المومنين
الذين تدركهم دعوة نوح عليه السلام حديث موضوع

Copyright © King Saud University

سورة الجن وتسمى قل اوحي مكية

وهي ثمان وعشرون اية ومائتان وخمس وثمانون كلمة
وثمانمائة وسبعون حرفا بسم الله المحيط بالكمال
الرحمن الذي عم برحمة الناس بالارسال الرحيم
الذي خص من بين اهل الدعوة من شاء بمحاسن
الاعمال ولما كان نوح عليه السلام اول رسول ارسله
الله تعالى الى المخالفين من اهل الارض وكان نبيه
صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين فهو اخر رسول
بعثه الله تعالى الى اهل الارض وغيرهم ناسب ذكره
بعد نوح فقال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم
قل اي يا اشرف الرسل للناس اوحي الي وقال
ابن عباس قل يا محمد لامتك اوحي الي على لسان
جبريل انه استمع نفر من الجن والنفر الجماعة
ما بين الثلاثة الى العشرة قال البغوي وكانوا تسعة
من جن نصيبين وقيل كانوا سبعة وفي هذه
العبارة دليل على انه صلى الله عليه وسلم ما رآهم
ولا قرأ عليهم وانما اتفق حضورهم عند قراءته ففي
صحيح مسلم عن ابن عباس قال انطلق رسول الله
صلى الله عليه وسلم في طائفة من اصحابه عامدين
الى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر
السماء وارسل عليهم الشهب فرجعت الشياطين الى

قومهم

قومهم فقالوا ما لكم قالوا حيل بيننا وبين خبر السماء
وارسلت علينا الشهب قالوا ما ذاك الا من شيء حدث
فاضربوا مشارق الارض ومغاربها فانظروا ما هذا
الذي حال بيننا وبين خبر السماء فانطلقوا يضربون
مشارق الارض ومغاربها فمر النفر الذين اخذوا نحو
تهامة وهو واصحابه بنخلة قاصدين سوق عكاظ
وهو يصلي باصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن
استمعوا له قالوا هذا الذي حال بيننا وبين خبر
السماء وهل هذا الاستماع هو المذكور في الاحقاف
او غيره قال ابو حيان المشهور انه هو وقيل غيره
والجن الذين اتوه جن نصيبين والذين اتوه بنخلة
جن نينوى والسورة التي استمعوها قال عكرمة العلق
وقيل الرحمن ولم يذكر هنا ولا في الاحقاف انه
رآهم وعن ابن مسعود انه صلى الله عليه وسلم
قال امرت ان اتلو القرآن على الجن فمن يذهب فسكتوا
ثم قال الثانية فسكتوا ثم قال الثالثة فقلت انا
اذهب معك يا رسول الله قال فانطلق حتى جاء الحجون
عند شعب ابن ابي دب خط علي خطا فقال لا تجاوزه
ثم مضى الى الحجون فانحدروا عليه امثال الحجل كانهم
رجال الزط قال ابن الاثير في النهاية الزط قوم من
السودان والهنود وكان وجوههم المكاكي يقرعون

Copyright © King Saud University

في دفوفهم كما تقرع النسوة في دفوفها حتى غشوه فغاب
عن بصري فقمت فاومى الي بيده ان اجلس ثم تلا
القران فلم يزل صوته يرتفع ولصقوا بالارض حتى
صرت لا اراهم وفي رواية اخرى قالوا لرسول الله صلى
الله عليه وسلم من انت قال انا نبي قالوا فمن يشهد
لك على ذلك فقال هذه الشجرة تعالى يا شجرة فجاءت
تجر عروقها لها قعاقع حتى انتصبت بين يديه فقال
على ماذا تشهدين قالت اشهد انك رسول الله
فقال اذهبي فرجعت كما جاءت حتى صارت كما كانت
قال ابن مسعود فلما عاد الي قال اردت ان تاتيني
قلت نعم يا رسول الله قال ما كان ذلك لك
هولاء الجن اتوا يستمعون القران ثم ولوا الى
قومهم منذرين فسالوني الزاد فزودتهم العظم
والبعر فلا يستطيبن احدكم بعظم
ولا بعر وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم
لما فرغ وضع راسه على حجر ابن مسعود فرقد ثم استيقظ
فقال هل من وضوء قال لا الا ان معي اداوة نبيذ
فقال هل هو الا تمر وماء فتوضا منه قال الرازي
وطريق الجمع بين رواية ابن عباس ورواية ابن مسعود
من وجوه احدها لعل ما ذكره ابن عباس وقع اولا
فاوحى الله تعالى اليه بهذه السورة ثم امر بالخروج

اليه

اليهم بعد ذلك كما روى ابن مسعود اي فالواقعة متعددة
ثانيها انها واقعة واحدة الا انه صلى الله عليه وسلم
ما راهم ولا عرف ماذا قالوا ولاي شيء فعلوا فالله
تعالى اوحى اليه انه كان كذا وكذا وفعلوا كذا وكذا
ثالثها انها كانت واحدة وانه صلى الله عليه وسلم
راهم وسمع كلامهم وهم امنوا به ثم رجعوا الى
قومهم قالوا لهم على سبيل الحكاية انا سمعنا قرانا
عجبا وكان كذا وكذا فاوحى الله تعالى الى نبيه
صلى الله عليه وسلم ما قالوه لاقوامهم قال ابن عرفة
ابن مسعود اعرف من ابن عباس لانه شاهده وابن
عباس سمعه وليس الخبر كالمعاينة وقال القرطبي
ان الجن اتوا النبي صلى الله عليه وسلم دفعتين احدا هما
بمكة وهي التي ذكرها ابن مسعود والثانية بنخلة
وهي التي ذكرها ابن عباس وقال البيهقي الذي حكاه
ابن مسعود انما هو في اول ما سمعت الجن قراءة
النبي صلى الله عليه وسلم وعلمت بحاله وفي ذلك
الوقت لم يقرا عليهم ولم يرهم كما حكاه ابن
عباس ثم اتاه داعي الجن مرة اخرى فذهب
معه وقرا عليهم القران كما حكاه ابن مسعود وقال
القشيري لما رجم ابليس بالشهب فرق ابليس
جنوده لتعلم ذلك فاتى سبعة منهم بطن نخل فاستمعوا

Copyright © King Saud University

قراءة النبي صلى الله عليه وسلم فامنوا ثم اتوا قومهم فقالوا
انا سمعنا قرانا عجبا يعني ولم يرجعوا الى ابليس لما علموه
من كذبه وسفاهته وجاوا الى النبي صلى الله عليه
وسلم في سبعين من قومهم فاسلموا فذلك قوله تعالى
واذ صرفنا اليك نفرا الايات فقالوا اي فتسبب عن
استماعهم ان قالوا انا سمعنا اي حين تعمدنا الاصغا
والقينا اليه افهامنا قرانا اي كلاما هو في غاية
الانتظام في نفسه والجمع لجميع ما يحتاج اليه وقرا ابن
كثير بالنقل وقفا ووصلا وحمزة في الوقف دون
الوصل والباقون بغير نقل وقفا ووصلا ثم وصفوا
القران بالمصدر مبالغة في امره فقالوا عجبا اي بديعا
خارجا عن عادة امثاله من جميع الكتب الالهية
فضلا عن جميع الناس في جلالة النظم واعجاز التركيب
يهدي اي يبين غاية البيان الى الرشد اي الحق
والصواب فامنا اي كل من استمع منا لم يتخلف منا
احد ولا توقف بعد الاستماع به اي القران فاعتقد
نبانه وصدقنا انه من عند الله ولن نشرك بربنا
احدا اي لا نرجع الى ابليس ولا نطيعه ولا نعود الى
ما كنا عليه من الاشراك وهذا يدل على ان اولئك
الجن كانوا مشركين قال الرازي واعلم ان قوله
تعالى قل امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان

يظهر

٢٣٨

يظهر لاصحابه ما اوحى اليه في واقعة الجن وفيه فوائد
احدها ان يعرفوا بذلك ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعث الى الجن كما بعث الى الانس ثانيها ان تعلم
قريش ان الجن مع تمردهم لما سمعوا القران وعرفوا
اعجازه امنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ثالثها
ان يعلم القوم ان الجن مكلفون كالانس رابعها ان
يعلموا ان الجن يسمعون كلاما نفهمه من لغتنا خامسها
ان يظهر المؤمن منهم يدعو غيره من الجن الى الايمان
وفي هذه الوجوه مصالح كثيرة اذا عرفها الناس
تنبيهات احدها اختلف العلماء في اصل الجن فروي
عن الحسن البصري ان الجن ولد ابليس والانس
ولد ادم ومن هولاء وهولاء مومنون وكافرون
وهم شركا في الثواب والعقاب فمن كان من هولاء
وهولاء كافرا فهو شيطان وروى الضحاك
عن ابن عباس ان الجن هم ولد الجان وليسوا
شياطين ومنهم المؤمن ومنهم الكافر والشياطين
ولد ابليس لا يموتون الا مع ابليس وروي ان
ذلك النفر كانوا يهودا وذكر الحسن ان منهم يهودا
ونصارى ومجوسا ومشركين ثانيها اختلفوا في دخول
الجن الجنة على حسب الاختلاف في اصلهم فمن
زعم انهم من الجان لا من ذرية ابليس قال يدخلون

Copyright © King Saud University

الجنة بالما انهم ومن قال انهم من ذرية ابليس فلهم
فيهم قولان احدهما وهو قول الحسن يدخلونها والثاني
هو رواية مجاهد لا يدخلونها نالهما قال القرطبي قد انكر
جماعة من كفرة الاطبا والفلاسفة الجن وقالوا انهم
بسايط ولا يصح طعامهم اجترا على الله تعالى والقران
والسنة ترد عليهم وليس في المخلوقات بسيط بل
مركب مزدوج انما الواحد الواحد سبحانه وغيره مركب
ليس بواحد وليس يمتنع ان يراهم النبي صلى الله
عليه وسلم في صورهم كما يرى الملائكة واكثر ما يتصور
لنا في صور الحيات ثم عطفوا على قولهم انا سمعنا
وانه اي الشان العظيم قال الجن تعالى اي
انتهى في العلو الى حد لا يستطاع جد اي عظمة وسلطان
وكمال غنى ربنا يقال جد الرجل اي عظم ومنه قول
انس كان الرجل اذا قرا البقرة وال عمران جد
فينا اي عظم قدره وقال جد ربنا اي امر ربنا
وقال الحسن غنا ربنا ومنه قيل الحظ جد ورجل
مجدود اي محظوظ وفي الحديث ولا ينفع ذا الجد
منك الجد قال ابو عبيد والخليل اي ذا الغنا
منك الغنا انما تنفعه الطاعة وقال ابن عباس قدرة
ربنا وقال الضحاك فعله وقال القرطبي الاوه ونعماوه
على خلقه وقال الاخفش علا ملك ربنا والاولى

جميع

جميع هذه المعاني وقرا انه تعالى جد ربنا وما بعده
الى قوله تعالى وانا منا المسلمون وهي اثنى عشر موضعا
ابن عامر وحفص وحمزة والكسائي بفتح الهمزة في الجميع
والباقون بالكسر فيها وصفوه بما ينبغي له تعالى الاعظم
المستلزم للغنا المطلق والتنزه عن كل شائبة نقص
بنوه بنفي ما ينافيه من قولهم ابطالا للباطل ما اتخذ
صاحبة اي زوجة لان الصاحبة لا بد وان تكون
من نوع صاحبها ومن له نوع فهو مركب تركيبا عقليا
من صفة مشتركة وصفة مميزة ولا ولدا لان الولد
لا بد وان يكون جزا منفصلا عن والده ومن له اجزا
فهو مركب تركيبا حسيا ومن المقطوع به ان ذلك
لا يكون الا المحتاج وان الله تعالى متعال عن ذلك من
تركيب حسي او عقلي قال القشيري ويجوز اطلاق
لفظ الجد في حق الله تعالى اذ لو لم يجز لما ذكر في
القران غير انه لفظ موهم فتجنبه اولى اي لانه
قيل انهم عنوا بذلك الجد الذي هو اب الاب
ويكون ذلك من قول الجن قال ابن جعفر الصادق
ليس لله تعالى جد وانما قاله الجن للجهالة فلم
يواخذوا به وقال القرطبي معنى الاية وانه تعالى
جد ربنا ان يتخذ ولدا وصاحبة للاستئناس
بهما او الحاجة اليهما والرب تعالى عن ذلك كما تعالى

Copyright © King Saud University

عن الانداد والنظراء وانه اي وقالوا ان الشان هذا
على قراءة الكسر واما بالنصب على قراءة الفتح كان يقول اي
قولا هو في مرافقته في الكذب بمنزلة الجهلة سفيهنا
هو للجنس فيتناول ابليس راس الجنس تناولا
اوليا وكل من يتعدى ممن لم يعرف الله لان ثمرة
العقل العلم وثمرة العلم معرفة الله تعالى فمن
لم يعرفه فهو الذي يقول على الله الذي له
صفات الكمال المنافية لقول هذا السفيه شططا
اي كذبا وعدوانا وهو وصفه بالشريك والولد
والشطط والاشطاط الغلو في الكفر وقال ابو مالك
هو الجور وقال الكلبي هو الكذب واصله البعد
فيعبر به عن الجور لبعده من العدل وعن الكذب
لبعده عن الصدق وانا اي معشر المسلمين من الجن
ظننا اي حسبنا لسلامة فطرتنا ان اي انه
وزادوا في التاكيد فقالوا لن تقول وبدؤوا بافضل
الجنسين فقالوا الانس واتبعوهم قرنا وهم
فقالوا والجن على الله اي الملك الاعلى الذي
بيده النفع والضر كذبا اي قولا هو لمرافقته في
مخالفة الواقع نفس الكذب وانما كنا نظنهم
صادقين في قولهم ان لله صاحبة وولدا حتى
سمعنا القران وتبينا به الحق فقيل انقطع الاخبار

من

عن الجن هاهنا وانه اي الشان كان رجال اي ذو قوة
وباس من الانس اي النوع الظاهر في عالم الحس
يعوذون اي يلتجئون ويعتصمون خوفا على انفسهم
وما معهم اذا نزلوا واديا برجال من الجن اي القبيل
المستتر عن الابصار وذلك ان القوم منهم كانوا اذا
نزلوا واديا او غيره من القفر تعبث بهم الجن في
بعض الاحيان لانه لا مانع لهم منهم من ذكر الله
ولا دين صحيح ولا كتاب من الله تعالى صحيح صريح
فحملهم ذلك على ان يستجيروا بعظمائهم فكان
الرجل يقول عند نزوله اعوذ بسيد هذا الوادي
من سفهاء قومه فيبيت في امن وجوار منهم
حتى يصبح فلا يرى الا خيرا وربما هدوه الى
الطريق وردوا عليه ضالته قال مقاتل كان
اول من تعوذ بالجن قوم من اهل اليمن من بني حنيفة
ثم فشا ذلك في العرب فلما جاء الاسلام عاذوا
بالله تعالى وتركوهم وقال كردم بن ابي السائب
الانصاري خرجت مع ابي الى المدينة في حاجة
وذلك اول ما ذكر رسول الله صلى الله عليه
وسلم بمكة فاوانا المبيت الى راعي غنم فلما
انتصف النهار جاء ذئب فاخذ حملا من الغنم
فوثب الراعي فقال يا عامر الوادي جارك فنادى

Copyright King Saud University

منادلاتراه يا سرحان ارسله فاتى الجمل بتة حتى دخل
الغنم ولم تصبه كدمة فكان ذلك فتنة للانس باعتقا
دهم في الجن غيرما هم عليه فتبعوهم في الضلال وفتنة
للجن بان تغتروا بالنفسهم ويقولون سدنا الانس
والجن فيضلوا ويضلوا ولذلك سبب عنه قوله
تعالى فزادوهم اى الانس والجن باستعاذتهم رهقا
اي ضيقا وشدة وغشيانا لمحاربهم فيه من احوال
الضلال التى يلزم منها الضيق والشدة وقال
مجاهد الرهق الاثم وغشيان المحارم ورجل رهق
اذا كان كذلك ومنه قوله تعالى وترهقهم ذلة
وقال الاعشى لاشى ينفعنى من دون رويتها
هل يشتفي عاشق مالم يصب رهقا يعنى اثما وقال
مجاهد ايضا زادوهم اى الانس والجن طغيانا
بهذا التعوذ حتى قالت الجن سدنا الانس والجن
وقيل لا ينطلق لفظ الرجال على الجن فالمعنى وانه
كان رجال من الانس يعوذون برجال من الانس
من شر الجن وكان الرجل مثلا يقول اعوذ
بحذيفة بن بدر من جن هذا الوادى قال القشيري
وفي هذا تحكم اذ لا يبعد اطلاق لفظ الرجل على
الجن تنبيه قوله تعالى من الانس صفة
لرجال وكذا قوله من الجن الانس وانهم اي

الانس

الانس ظنوا والظن قد يصيب وقد يخطى وهو اكثر
كما ظننتم اى ايها الجن ويجوز العكس ان مخففة
اى انه لن يبعث الله اى الذى له الاحاطة الكاملة
علما وقدرة احدا اى بعد موته لما لبس به ابليس عليهم
حتى راوا حسنا ما لبس بالحسن او احدا من الرسل
نزيل به عماية الجهل وقد ظهر بالقرآن ان هذا الظن
كاذب وانه لابد من البعث في الامرين قال الجن
وانا لمسنا السما اى رمنا استراق السمع منها قال
الكلبي السما الدنيا اى التمسنا اخبارها على ما ماكان
من عادتنا من استماع ما نفوق به الانس
واللمس المس فاستعير للطلب لان الماس طالب
متصرف والمعنى طلبنا بلوغ السما واستماع كلام
اهلها فوجدناها فى وجد وجهان اظهرهما انها
متعدية لواحد لان معناها اصبنا وصادفنا
وعلى هذا فالجملة من قولهم ملئت فى موضع
نصب على الحال على اضمار قد والثانى انها متعدية
لاثنين فتكون الجملة فى موضع المفعول الثانى
ويكون حرسا منصوب على التمييز نحو امتلا الاناء
ماء والحرس اسم جمع لحارس نحو خدم لخادم وهم
الملائكة الذين يرجمونهم بالشهب ويمنعوهم من
الاستماع ويجمع تكسيرا على احراس والحارس الحافظ

Copyright © King Saud University

الرقيب والمصدر الحراسة و شديدا صفة لحرس على
اللفظ ولو جاء على المعنى لقيل شدادا بالجمع لان المعنى
ملئت ملائكة شدادا كقولك السلف الصالح بمعنى
الكل الصالحين قال القرطبي ويجوز ان يكون حرسا مصدرا
على معنى حرست حراسة شديدة وشهبا جمع شهاب
ككتاب وكتب وهو انقضاض الكواكب المحرقة لهم المانع
لهم عن استراق السمع وانا كنا اي فيما مضى نقعد
منها اي السماء مقاعد اي كثيرة قد علمناها لا حرس
فيها صالحة للسمع اي ان نسمع منها بعض ما تتكلم
به الملائكة مما امروا بتدبيره وقد جاء في الخبر
ان صفة قعودهم هو ان يكون الواحد منهم فوق
الاخر حتى يصلوا الى السماء فكانوا يسترقون الكلمة
فيلقونها الى الكهان فيزيدون معها الكذب فمن
يستمع الان اي في هذا الوقت وفيما يستقبل لا انهم
ارادوا وقت قولهم فقط يجد له اي لاجله شهابا
اي شعلة من نار ساطعة تحرقه رصدا اي
ارصد به ليرمى به تنبيه اختلفوا هل كانت
الشياطين تقذف قبل البعث او ذلك امر حدث
بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم فقال قوم لم تكن
السماء تحرس في الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله
عليهما وسلم خمسمائة عام وكان من اجل بعثة

البني

النبي صلى الله عليه وسلم فلما بعث منعوا من السموات
كلها وحرست بالملائكة والشهب وقال عبد الله
بن عمر لما كان اليوم الذي نبئ فيه رسول الله صلى
الله عليه وسلم منعت الشياطين ورموا بالشهب قال
الزمخشري والصحيح انه كان قبل البعث وقد جاء
شعره في اهل الجاهلية قال زيد بن ابي خازم
بدل زيد شرح والعير يرهقها الغبار وجحشها
ينقض خلفهما انقضاض الكواكب ولكن الشياطين
كانت تسترق السمع في بعض الاحوال فلما بعث صلى
الله عليه وسلم كثر الرجم وازداد زيادة ظاهرة
حتى تنبه لها الانس والجن ومنع الاستراق
اصلا وعن معمر قلت للزهري اكان يرمى
بالنجوم في الجاهلية قال نعم قلت الاية قوله
تعالى وانا كنا نقعد قال غلظت وشدد امرها حين
بعث النبي صلى الله عليه وسلم وروى الزهري
عن علي بن الحسين عن ابن عباس قال بينا رسول
الله صلى الله عليه وسلم جالس في نفر من الانصار
اذ رمي بنجم فاستنار فقال ما كنتم تقولون في مثل
هذا في الجاهلية فقالوا كنا نقول يموت عظيم او يولد
عظيم فقال صلى الله عليه وسلم انها لا ترمى لموت
احد ولا لحياته ولكن ربنا تبارك وتعالى اذا قضى

امرا في السما سبح حملة العرش ثم يسبح اهل كل سماء حتى
ينتهي التسبيح الى هذه السماء فيقال اهل السما لحملة
العرش ماذا قال ربكم فيخبرونهم ويخبر اهل كل سما حتى
ينتهي الخبر الى هذه السما وهذا يدل على ان هذه
الشهب كانت موجودة قال ابن عادل وهذا قول
الاكثرين فان قيل كيف تتعرض الجن لاحتراق انفسها
بسبب سماع خبر بعد ان صار ذلك معلوما لهم
اجيب بان الله تعالى ينسيهم ذلك حتى
تعظم المحنة قال القرطبي والرصد قيل من الملا
ئكة اي ورصدا من الملائكة والرصد الحافظ للشي
والجمع ارصاد وقيل الرصد هو الشهاب اي شهاب
قد ارصد له ليرجم به فهو فعيل بمعنى مفعول
واختلف فيمن قال وانا لا ندري اي بوجه من الوجوه
اشر اريد اي بعد استراق السمع بمن في الارض
ام اراد بهم ربهم اي المحسن اليهم المدبر لهم
رشدا اي خيرا فقال ابن زيد معنى الاية ان
ابليس قال لا ندري هل اراد الله بهذا المنع ان
ينزل على اهل الارض عذابا او يرسل اليهم رسولا
وقيل هو من قول الجن فيما بينهم قبل ان يسمعوا
قراءة النبي صلى الله عليه وسلم اي لا ندري
اشر اريد بمن في الارض بارسال محمد صلى الله

عليه

عليه وسلم اليهم فانهم يكذبونه ويهلكون بتكذيبه كما هلك
من كذب من الامم ام اراد ان يؤمنوا فيهتدون
فالشر والرشد على هذا الكفر والايمان وعلى هذا كان
عندهم علم بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم ولما
سمعوا قراءته علموا انهم منعوا من السماء حراسة
للوحي وقيل قالوه لقومهم بعد ان انصرفوا اليهم
منذرين اي لما امنوا اشفقوا ان لا يومن كثير من اهل
الارض فقالوا انا لا ندري اكفر اهل الارض بما امنا
به ام يومنون قال الجن وانا منا الصالحون اي
العريقون في صفة الصلاح قال الجلال المحلي بعد
استماع القرآن ومنا دون ذلك اي قوم غير صالحين
كنا اي كونا هو كالعلة طرائق قددا اي جماعات
متفرقين واصنافا مختلفة قال سعيد بن المسيب
معنى الاية كنا مسلمين ويهود ونصارى ومجوس
وقال الحسن والسدي الجن امثالكم منهم قدرية
ومرجئة ورافضة وخوارج وشيعة وسنية
وقال ابن كيسان شيعا وفرقا لكل فرقة هوى كاهوا
الناس وقال سعيد بن جبير الوانا شتى وقال ابو
عبيدة اصنافا وقيل منا الصالحون ومنا المومنون
لم يتناهوا في الصلاح قال القرطبي والاول احسن
لانه كان في الجن من امن بموسى وعيسى وقد

Copyright © King Saud University

اخبر الله تعالى عنهم انهم قالوا انا سمعنا كتابا انزل من
بعد موسى مصدقا لما بين يديه وهذا يدل على ايمان
قوم منهم بالتوراة تنبيه القدد جمع قدة
والمراد بها الطريقة واصلها السيرة يقال قدة فلان
حسنة اي سيرته وهو من قد السير اي قطعه فاستعير
للسيرة المعتدلة قال الشاعر

القابض الباسط الهادي بطلعته
في فتنة الناس اذ اهوا وهم قدد

وقال لبيد يرثي اخاه
لم تبلغ العين كل نهمتها
يوم تمشي الجياد بالقدد

والقد بالكسر سير يقد من جلد غير مدبوغ ويقال
ماله قد ولا قحف فالقد اناء من جلد والقحف اناء من
خشب وانا ظننا ان لن نعجز الله اي وانا علمنا
وتيقنا بالتفكر والاستدلال في ايات الله انا في قبضة
الملك وسلطانه لن نفوته بهرب ولا غيره لماله من
الاحاطة بكل شيء علما وقدرة لانه واحد له مثل
له تنبيه اطلقوا الظن على العلم اشارة الى ان
العاقل ينبغي له ان يتجنب ما يحتمله ضارا ولو بادنى
انواع الاحتمال فكيف اذا تيقن وقولهم في الارض
حال وكذلك هربا في قولهم ولن نعجزه اي بوجه من

الوجوه

الوجوه هربا فانه مصدر في موضع الحال تقديره لا نفوته
كائنين في الارض او هاربين منها الى السما فليس لنا
مضطرب الا في قبضته فاين امر الى اين المهرب وانا
لما سمعنا اي من النبي صلى الله عليه وسلم الهدى
اي القران الذي له من الفراقة التامة في صفة
البيان والدعا الى الخير ما سوغ ان يطلق عليه لفظ
الهدى امنا به وبالله وصدقنا محمدا صلى الله عليه
وسلم على رسالته وكان صلى الله عليه وسلم مبعوث
الى الانس والجن ولم يبعث الله تعالى قط رسولا من
الجن ولا من اهل البادية ولا من النسا وذلك قوله
تعالى وما ارسلنا قبلك الا رجالا يوحى اليهم من
اهل القرى وفي الصحيح وبعثت الى الاحمر والاسود
اي الانس والجن وفي ارساله الى الملائكة خلاف
قدمنا الكلام عليه فمن يومن بربه اي المحسن الله منا
ومن غيرنا فلا اي فهو خاصة لا يخاف بخسا ولا
رهقا قال ابن عباس لا يخاف ان ينقص من حسناته
ولا ان يزاد في سيئاته لان البخس النقصان والرهق
العدوان وغشيان المحارم وانا منا اي الجن
المسلمون اي المخلصون في صفة الاسلام ومنا
القاسطون اي الجائرون اي وانا بعد سماع القران
مختلفون فمنا من اسلم ومنا من كفر والقاسط الجاير

Copyright © King Saud University

اذا عدل فقسط
الثلاثي بمعنى
جار واقسط

لانه عدل عن الحق والمقسط العادل الى قسط اذا جار
واقسط الرباعي بمعنى عدل وعن سعيد بن جبير ان
الحجاج قال له حين اراد قتله قال له ما تقول في قال
قاسط عادل فقال القوم ما احسن ما قال حسبوا انه
يصفه بالقسط والعدل فقال الحجاج يا جهلة انه
سماني ظالما مشركا وتلا لهم قوله تعالى واما
القاسطون فكانوا لجهنم ثم الذين كفروا بربهم يعدلون
فمن اسلم اي اوقع الاسلام كله بان اسلم ظاهره
وباطنه من الجن وغيرهم فاولئك اي العالوا الرتبة
تحروا اي توخوا وتصدقوا مجتهدين رشدا اي
صوابا عظيما وسدادا كان لما عندهم من النقا
بمن تشاروا عنهم فعالجوا انفسهم حتى ملكوه
فجعلوه لهم منزل واما القاسطون اي العريقون
في صفة الجور عن الصواب من الانس والجن
فاولئك اهملوا انفسهم فلم يتحروا لها فضلوا
فابعدوا عن الطريق القويم فوقعوا في المهالك التي
لا منجا منها فكانوا لجهنم اي النار التي تعبدة التقر
التي تلقاهم بالتجهم والكراهة والعبوسة
حطبا اي توقد بهم النار فهي في النفاد ما داموا
احيا ما دامت تتقد فيستريحون ولا يحيون
فيتنعشون تنبيه قوله تعالى فكانوا اي

في

سطني

في علم الله عز وجل فان قيل لم ذكر واعقاب القا
ولم يذكروا ثواب المسلمين اجيب بانهم في مقام
الترهيب فذكروا ما يحذر وطوله واما غيا القلم به
لان الله تعالى لا يضيع اجر من احسن عملا بل لا بد
ان يزيد عليه تسعة اضعافه وعنده المزيدا و
انهم ذكروه بقولهم تحروا رشدا اي تحروا رشدا
عظيما لا يعلم كنهه الا الله تعالى ومثل هذا لا يحقق
الا في الثواب فان قيل ان الجن مخلوقون من النار
فكيف يكونون حطبا للنار اجيب بانهم وان
خلقوا منها لكنهم تغيروا عن تلك الكيفية فيصير
لحما ودما هكذا قيل وهذا اخر كلام الجن وان

وا

في قوله تعالى وان هي المخففة من الثقيلة واسمها
محذوف اي وانهم وهو معطوف على انه استمع اي
واوحي الي ان الشان العظيم لو استقاموا على
الطريقة اي طريقة الاسلام لاسقيناهم اي
لجعلنا لهم بما لنا من العظمة ماء غدقا اي لوامن
هؤلاء الكفار لوسعنا عليهم في الدنيا ولبسطنا
لهم في الرزق وضرب الما الغدق مثلا لان الخير
والرزق كله في المطر كما قال تعالى ولو ان اهل القرى
امنوا واتقوا لفتحنا عليهم الاية وقال تعالى ولو
انهم اقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من

Copyright © King Saud University

ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم الاية وقال
تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا الاية وقال تعالى
استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السما عليكم
مدرارا الى قوله ويمددكم باموال وبنين الاية
لنفتنهم اي نعاملهم معاملة المختبر لما لنا من
العظمة فيه اي في ذلك الما الذي يكون عنده انواع
النعم لينكشف حال الشاكر والكافر وقال الرازي
وهذا بعد ما حبس عنهم المطر سنين التي قال
الجلال المحلي سبع سنين وقال عمر رضي الله تعالى
عنه اينما كان الما وانما كان المال كانت الفتنة
وقال الحسن وغيره كانوا سامعين مطيعين
ففتحت عليهم كنوز كسرى وقيصر ففتنوا بها
فوثبوا بامامهم فقتلوه يعني عثمان رضي الله
تعالى عنه قال البقاعي ويجوز ان يكون مستعارا للعلم
وانواع المعارف الناشئة عن العبادات التي هي
للنفوس كالنفوس للابدان وتكون الفتنة بمعنى
التخليص من الهموم والرذايل في الدنيا والنعم
في الاخرة من فتنت الذهب اذا خلصته من غشه
ومن يعرض اي اعراضا مستمرا الى الموت عن ذكر
ربه اي مجاوزا عن عبادة المحسن اليه المربي له

الذي

الذي لا احسان عنده من غيره وقيل المراد بالذكر
القرآن وقيل الوحي وقيل الموعظة نسلكه اي
ندخله عذابا يكون مظروفا فيه كالخيط في ثقب الخرزة
في غاية الضيق صعدا اي شاقا شديدا يعلوه ويغلبه
ويصعد عليه ويكون كل يوم اعلا مما قبله جزا وفاقا
وقال ابن عباس هو جبل في جهنم قال الخدري كلما
جعلوا ايديهم عليه ذابت وعن ابن عباس ان المعنى
مشقة من العذاب لان الصعد في اللغة هو المشقة
تقول تصعدني الامر اذا شق عليك ومنه قول عمر
ما تصعدني شي ما تصعدني في خطبة النكاح يريد
ما شق علي وما غلبني والتنفس في الصعود يشق وقال
عكرمة هو صخرة ملسا في جهنم يكلف صعودها
فاذا انتهى الى اعلاها حدر الى جهنم وقال الكلبي
يكلف الوليد بن المغيرة ان يصعد جبلا في النار من صخرة
ملسا يجذب من امامه بسلاسل ويضرب من خلفه
بمقامع حتى يبلغ اعلاها ولا يبلغ في اربعين سنة
فاذا بلغ اعلاها احدر الى اسفلها ثم يكلف ايضا الصعود
فذاك دابه ابدا وهو قوله تعالى سارهقه صعودا
وقرا عاصم وحمزة والكسائي بالياء التحتية على الغيبة
لاعادة الضمير على الله تعالى والباقون بالنون على
الالتفات وهذا كما في قوله تعالى سبحان الذي اسرى

Copyright © King Saud University

بعبده ليلا ثم قال باركنا حوله لنريه من اياتنا واتفقوا على
فتح الهمزة في قوله تعالى وان اي واوحي الي ان المساجد
لله اي مختصة بالملك الاعظم والمساجد قيل جمع مسجد
بالكسر وهو موضع السجود وقال الحسن اراد بها كل البقاع
لان الارض جعلت كلها مسجدا للنبي صلى الله عليه
وسلم يقول اينما كنتم فصلوا وانما صليتم فهو مسجد
وقيل انه جمع مسجد بالفتح مراد به الاعضا الواردة
في الحديث الجبهة والانف والركبتان واليدان
والقدمان فهو قول سعيد بن المسيب وابن حبيب
والمعنى ان هذه الاعضا انعم الله تعالى بها عليك
فلا تسجد لغيره فتجحد نعمة الله قال عطا مساجدك
اعضاوك التي امرت بالسجود عليها لا تذللها لغير
خالقها قال صلى الله عليه وسلم امرت ان اسجد
على سبعة اعظم وذكر الحديث وقال صلى الله عليه
وسلم اذا سجد العبد سجد معه سبعة اراب قال ابن
الاثير الاراب الاعضا وهذا القول اختاره ابن الانباري
وقيل بعد جمع مسجد وهو مصدر بمعنى السجود ويكون
الجمع لاختلاف الانواع وقال القرطبي المراد بها البيوت
التي تبنيها اهل الملل للعبادة قال سعيد بن جبير قالت
الجن كيف لنا ان ناتي المساجد ونشهد معك الصلاة
ونحن ناوون عنك فنزلت وان ناوون عنك فنزلت

وان

وان المساجد لله اي بنيت لذكر الله تعالى وطاعته
وقال ابن عباس المساجد هنا مكة التي هي القبلة وسميت
مكة مساجد لان كل احد يسجد اليها قال القرطبي والقول
بانها البيوت المبنية للعبادة اظهر الاقوال ان شا الله
تعالى وهو مروي عن ابن عباس واضافة المساجد الى
الله تعالى اضافة تشريف وتكريم وخص منها المسجد
العتيق بالذكر فقال تعالى وطهر بيتي وهي وان كانت
لله ملكا وتشريفا قد تنسب الى غيره تعريفا قال صلى
الله عليه وسلم صلاة في مسجدي هذا خير من الف
صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام وفي رواية
وان صلاة فيه خير من مائة صلاة في مسجدي
قال القرطبي وهذا حديث صحيح وفي حديث سابق
صلى الله عليه وسلم بين الخيل التي لم تضمر من
الثنية الى مسجد زريق ويقال مسجد فلان
لانه حبسه ولا خلاف بين الامة في تحبيس المساجد
والقناطر والمقابر وان اختلفوا في تحبيس غير ذلك
فلا تدعوا اي فلا تعبدوا فيها المخلوقين مع الله اي
الذي له جميع العظمة احدا وهذا توبيخ للمشركين
في دعواهم مع الله تعالى غيره في المسجد الحرام وقال
مجاهد كانت اليهود والنصارى اذا دخلوا كنائسهم
وبيعهم اشركوا بالله فامر الله تعالى نبيه والمومنين

Copyright © King Saud University

ان يخلصوا لله الدعوة اذا دخلوا المساجد كلها تقول فلا
تذكروا فيها صنما او غيره مما يعبد وقيل المعنى افردوا
المساجد لذكر الله تعالى ولا تجعلوا لغير الله تعالى فيها نصيبا
وفي الصحيح من نشد ضالة فقولوا لا ردها الله عليك
فان المساجد لا تبنى لهذا وقال الحسن من السنة
اذا دخل رجل المسجد ان يقول لا اله الا الله لان قوله
تعالى لا تدعوا مع الله احدا في ضمنه امر بذكر الله
تعالى ورعاية وروى الضحاك عن ابن عباس ان
النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل المسجد قدم
رجله اليمنى وقال وان المساجد لله فلا تدعوا
مع الله احدا اللهم عبدك وزائرك وعلى كل مزور
حق وانت خير مزور فاسألك برحمتك ان
تفك رقبتي من النار فاذا خرج من المسجد قدم
رجله اليسرى وقال اللهم صب على الخير صبا
ولا تنزع عني صالح ما اعطيتني ابدا ولا تجعل
معيشتي كدا واجعل لي في الارض جدا اي غنى
وقرا وانه نافع وشعبة بكسر الهمزة على الاستئناف
والباقون بالفتح اي واوحي الي انه لما قام عبد
الله اي عبد الملك الاعلى الذي له الجلال كله
والجمال فلا موجود بحق الا هو بل كل موجود من فائض
فضله وعبد الله هو محمد صلى الله عليه وسلم حتى

كان

كان يصلي ببطن نخلة ويقرا القران فان قيل هلا قال
رسول الله او النبي اجيب بان تقديره واوحي
فلما كان واقعا في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن نفسه جيء به على ما يقتضيه التواضع والتذلل ولان
المعنى ان عبادة الله ليست بامر مستبعد عن العقل ولا
مستنكر حتى تكونوا عليه لبدا ومعنى اي يعبده
وقال ابن جريج يدعوه اي قام اليهم داعيا الى
الله تعالى فهو في موضع الحال اي موحدا له كادوا اي
قرب الجن المستمعون لقراءته يكونون عليه اي على
عبد الله لبدا اي متراكمين بعضهم على بعض من شدة
ازدحامهم حرصا على سماع القران وقيل كادوا
يركبونه حرصا قاله الضحاك وقال ابن عباس رغبة
في سماع القران وروى عن مكحول ان الجن بايعوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الليلة وكانوا
سبعين الفا وفرغوا من بيعته عند انشقاق الفجر
وعن ابن عباس ايضا ان هذا من قول الجن لما رجعوا
الى قومهم اخبروهم بما راوا من طاعة اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم وائتمامهم به في الركو
ع والسجود وقال الحسن وقتادة وابن زيد يعني
لما قام عبد الله محمد بالدعوة تلبدت الانس والجن
على هذا الامر ليبطلوه فابى الله تعالى الا ان ينصره

Copyright © King Saud University

ويتم نوره واختاره الطبري ان يكون كادت العرب يجتمعون على النبي صلى الله عليه وسلم ويتظاهرون على اطفاء النور الذي جاء به وقرا هشام بضم اللام والباقون بكسرها فالاولى جمع لبدة بضم اللام والثانية نحو غرفة وغرف وقيل بل هو اسم مفرد صفة من الصفات وعليه قوله تعالى مالا لبدا واما الثانية فجمع لبدة بالكسر نحو قربة وقرب واللبدة واللبدة الشي الملبد اي المتراكب بعضه على بعضه ومنه لبدة الاسد كقول زهير

لدى اسد شاكي السلاح مقذف
له لبد اظفاره لم تقلم

ومنه اللبد لتلبد بعضه فوق بعض ولما قال كفار قريش للنبي صلى الله عليه وسلم انك جئت بامر عظيم وقد عاديت الناس كلهم فارجع عن هذا فنحن نجيرك قال صلى الله عليه وسلم مجيبا لهم انما ادعوا ربي اي الذي اوجدني ورباني ولا نعمة عندي الا منه وحده لا ادعوا غيره حتى تعجبوا مني ولا اشرك به اي الان ولا مستقبل الزمان بوجه من الوجوه احدا من ود وسواع ويغوث ويعوق وغيرها من الصامت والناطق وقرا عاصم وحمزة قل بصيغة الامر التفات اي قل

يا محمد

يا محمد والباقون قال بصيغة الماضي والخبر اخبار عن عبد الله وهو محمد صلى الله عليه وسلم وقال الجحدري وهو في المصحف كذلك وقد تقدم لذلك نظائر في قل سبحان ربي في اخر الاسرا وكذا في اول الانبيا واخرها واخر المومنين قل اي يا اشرف الرسل لهولاء الذين خالفوك لا املك لكم اي الان ولا بعده بنفسي من غير اقدار الله تعالى لي ضرا ولا رشدا اي لا اقدر ادفع عنكم ضرا ولا اسوق اليكم خيرا وقيل لا املك لكم ضرا اي كفرا ولا رشدا اي هدى لا منه لا يوثر شيا من الاشيا الا الله تعالى وانما علي البلاغ وقيل الضر الموت والرشد الحياة قل اي لهولاء اني وزاد في التاكيد لان ذلك في غاية الاستقرار في النفوس فقال لن يجيرني اي ينقذني ويدفع عني ما يدفع المجير عن جاره من الله اي الذي له الامر كله ولا امر لاحد معه احد اي كائن من كان ان ارادني سبحانه بسوء ولن اجد اي اصلا من دونه اي الله ملتحدا اي معدلا وموضع ميل وركون ومدخلا وملجا وحيلة وان اجتهدت كل الجهد والملتحد الملجا واصله المدخل من اللحد وقيل محيصا ومعدلا وقوله الا بلاغا فيه اوجه احدها انه استثنا منقطع اي لكن ان بلغت عن الله

رحمني لأن البلاغ عن الله لا يكون داخلا تحت قوله
ولن أجد من دونه ملتحدا لأنه لا يكون من دون
الله بل يكون من الله تعالى وبإعانته وتوفيقه الثاني
أنه متصل وتأويله أن الاستجارة مستعارة من
البلاغ إذ هو سببها وسبب رحمته تعالى والمعنى لن
أجد شيئا أميل إليه وأعتصم به إلا أن أبلغ وأطيع
فيجيرني وإذا كان متصلا جاز نصبه من وجهين
أحدهما أن يكون بدلا من ملتحدا لأن الكلام غير
موجب وهو اختيار الزجاج الثاني أنه منصوب
على الاستثناء الثالث أنه مستثنى من قوله
لا أملك فإن التبليغ إرشاد وانتفاع وما بينهما
اعتراض مؤكد لنفي الاستطاعة وقوله من
الله أي الذي أحاط بكل شيء قدرة وعلما فيه
وجهان أحدهما أن من بمعنى عن لأن بلغ يتعدى
بها ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ألا بلغوا عني
والثاني أنه متعلق بمحذوف على أنه صفة لبلاغا
قال الزمخشري من ليست بصلة للتبليغ وإنما هي
بمنزلة من في قوله تعالى براءة من الله بمعنى بلاغا
كائنا من الله وقوله ورسالاته فيه وجهان أحدهما
أنه منصوب نسقا على بلاغا كأنه قيل لا أملك لكم
إلا التبليغ والرسالات ولم يقل الزمخشري غيره

والثاني

والثاني أنه مجرور نسقا على الجلالة أي إلا بلاغا عن
الله تعالى وعن رسالاته كذا قدره أبو حيان وجعله
هو الظاهر ويجوز في جعل من بمعنى عن والتجوز
في الحروف رأي كوفي ومع ذلك ففيه شيء من عندهم
ومن يعص الله أي الذي له العظمة كلها ورسوله الذي
ختم به النبوة والرسالة فجعل رسالته محيطة بجميع
الملل في التوحيد أو غيره على سبيل الجحد فإن له
أي خاصة نار جهنم أي التي تلقاه بالعبوسة والغيظ
وقوله تعالى حال مقدرة من الهاء في له والمعنى
مقدرا خلودهم خالدين والعامل الاستقرار الذي
تعلق به هذا الجار وحمل على معنى من فعل ذلك
فوحد أولا للفظ وجمع للمعنى وأكد بقوله تعالى
فيها أبدا ردا على من يدعي الانقطاع قال البقاعي
وأما من يدعي أنها لا تحرق وإن عذابها عذوبة
فليس أحد أحق منه إلا من تابعه على ضلاله وعينه
ومحاله وليس لهم دواء إلا السيف في الدنيا والعذاب
في الآخرة بما سموه عذوبة وبهم صائرون إليه
وموقوفون عليه وحتى في قوله تعالى حتى إذا
رأوا ابتدائية فيها معنى الغاية لمقدر قبلها أي لا يزال لون
على كفرهم إلى أن يروا ما يوعدون من العذاب
في الآخرة أو في الدنيا كوقعة بدر فسيعلمون

Copyright © King Saud University

اي في ذلك اليوم الموعود لا يخلف فيه من اضعف ناصرا
اي من جهة المناصر انا وان كنت في هذا الوقت وحيدا
مستضعفا او هم واقل عددا وان كانوا الان بحيث
لا يحصيهم عددا الا الله تعالى فبالله ما اعظم كلام
الرسل حيث يستضعفون انفسهم ويذكرون قوتهم
من جهة مولاه الذي بيده الملك وله جنود السموات
والارض بخلاف الجبابرة فانهم لا كلام لهم الا في
تعظيم انفسهم وازدراء غيرهم قال مقاتل لما
سمعوا قوله تعالى حتى اذا راوا ما يوعدون فسـ
يعلمون من اضعف ناصرا واقل عددا قال
النضر بن الحارث متى يكون هذا الذي توعدنا به
قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قل اي
لهؤلاء في جوابهم باتيانهم العذاب وسالوا استهزا
عن وقت وقوعه ان اي ما ادري بوجه من
الوجوه اقريب ما توعدون اي فيكون الان او
قريبا من هذا الاوان بحيث يتوقع عن قرب
ام يجعل له اي لهذا الوعد ربي اي
المحسن الي ان قدمه او اخره امدا اي اجلا
مضروبا فلا يتوقع دون ذلك الامد فهو في كل
حال متوقع فكونوا على غاية الحذر لانه لا بد من
وقوعه لا كلام فيه وانما الكلام في تعيين وقته

فان

فان قيل النبي انه صلى الله عليه وسلم قال بعثت
انا والساعة كهاتين وكان عالما بقرب وقوع القيا
فكيف قال ههنا لا ادري اقريب ام بعيدا اجيب
بان المراد بقرب وقوعه هو ان ما بقي من الدنيا اقل
مما انقضى فهذا القدر من القرب معلوم فاما معرفة
القرب المرتب وعدم ذلك فغير معلوم تنبيه
اقريب خبر مبتدا مقدم وما توعدون مبتدا موخر
ويجوز ان يكون قريب مبتدا لاعتماده على الاستفها
وما توعدون فاعل به اي قريب الذي توعدون
نحو اقائم ابوك وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو بفتح
اليا والباقون بسكونها وقوله تعالى عالم الغيب
بدل من ربي او بيان او خبر مبتدا مضمر اي
هو عالم الغيب كله وهو ما لم يبرز الى عالم
الشهادة فهو مختص بعلمه سبحانه فلذلك سبب
عنه قوله تعالى فلا يظهر اي بوجه من الوجوه
في وقت من الاوقات على غيبه الذي غيبه
عن غيره فهو مختص به احدا لعزة علم الغيب
ولانه خاصة الملك الا من ارتضى وقوله تعالى
من رسول تبيين لمن ارتضى اي الا من يصطفيه
لرسالته ونبوته فيظهره على ما يشاء من الغيب
وتارة يكون ذلك الرسول ملكا وتارة يكون بشرا

Copyright © King Saud University

وتارة نظهره على ذلك بواسطة ملك وتارة بغير واسطة
كموسى عليه السلام في اوقات المناجات ومحمد صلى
الله عليه وسلم ليلة المعراج في عالم الاعلى في حضرة
قاب قوسين او ادنى وقال القرطبي المعنى فلا يظهر
على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول فانه
يظهره على ما شا من غيبه لان الرسل مويدون
بالمعجزات ومنها الاخبار عن بعض المغيبات كما ورد
في التنزيل في قوله تعالى وانبيكم بما تاكلون وما
تدخرون في بيوتكم وقال الزمخشري في هذه
الاية ابطال الكرامات وان كانوا اوليا مرتضين
فليسوا برسل وقد خص الله تعالى الرسل من بين
المرتضين والتحجز بالاطلاع على الغيب ومنها
ابطال الكهانة والتنجيم لان اصحابهما ابعد شي
من الارتضا وادخله في السخط انتهى وانكار
الكرامات مذهب المعتزلة واما مذهب اهل
السنة فيثبتونها فانه يجوز ان يلهم الله
تعالى بعض اوليايه وقوع بعض الوقايع في
المستقبل فيخبر به وهو من اطلاع الله
اياه على ذلك ويدل على صحة ذلك ما روي عن
ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال لقد كان فيمن قبلكم من الامم ناس

محدثون

محدثون من غير ان يكونوا انبيا وان يكن في امتي احد
فانه عمر اخرجه البخاري قال ابن وهب تفسير محدثون
ملهمون ولمسلم عن عايشة عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه كان يقول في الامم قبلكم محدثون
فان يكن في امتي منهم احد فان عمر ابن الخطاب
منهم ففي هذا اثبات كرامات الاوليا فان قيل لو جازت
الكرامة للولي لما تميزت معجزة النبي من غيرها وانه
الطريق الى معرفة الرسول من غيره اجيب
بان معجزة النبي امر خارق للعادة مع عدم المعارضة
مقترن بالتحدي ولا يجوز للولي ان يدعي خرقا
للعادة مع التحدي اذ لو ادعاه الولي لكفر من ساعته
فبان الفرق بين المعجزة والكرامة واما الكهانة وما
ضاهاها فقال القرطبي ان العلما قالوا لما تمدح سبحانه
بعلم الغيب واستاثر به دون خلقه كان فيه دليل
على انه لا يعلم الغيب احد سواه ثم استثنى من
ارتضاه من الرسل فاعلمهم ما شا من غيبه
بطريق الوحي اليهم وجعله معجزة لهم ودلالة
صادقة على نبوتهم وليس المنجم ومن ضاهاه ومن
يضرب بالحصا وينظر في الكواكب ويزجر بالطير
ممن ارتضاه من رسول فيطلعه على ما شا من غيبه
بل هو كافر بالله مفتر عليه بحدسه وتخمينه وكذبه

Copyright © King Saud University

وكذلك قال بعض العلماء وليت شعري ما يقول المنجم في سفينة
ركب فيها الف انسان مختلفين الاحوال والرتب فيهم
الملك والسوقة والعالم والجاهل والغني والفقير
والكبير والصغير مع اختلاف طوالعهم وتباين مواليد
ودرجات نجومهم فعمهم حكم الغرق في ساعة واحدة
فان قال قايل انما اغرقهم الطالع الذي ركبوا فيه
فيكون على مقتضى ذلك ان هذا الطالع ابطل احكام
تلك الطوالع كلها على اختلافها عند ولادة كل واحد
منهم وما تقتضيه طالعه المخصوص به فلا فايدة
اذن في عمل المواليد ولا دلالة فيها على شقي ولا سعيد
ولم يبق الا معاندة القران الكريم ولقد احسن
القايل

حكم المنجم ان طالع مولدي
يقضي على بموته الغرق
قل للمنجم صبحة الطوفان هل
ولد الجميع بكوكب الغرق

وقيل لعلي رضي الله عنه لما اراد لقا الخوارج تلقاهم
والقمر في العقرب فقال فاين قمرهم وكان ذلك في اخر
السنة فانظر الى هذه الكلمة التي اجاب بها وما
فيها من المبالغة في الرد على من يقول بالنجم وقال
له مسافر بن عوف يا امير المومنين لا تسر في هذه

الساعة

الساعة وسر بعد ثلاث ساعات تمضي من النهار
فقال له علي ولم قال له انك ان سرت في هذه الساعة
اصابك واصاب قومك بلا وضر شديد وان سرت
في الساعة التي امرتك بها ظهرت وظفرت واصبت
ما طلبت فقال علي ما كان لمحمد صلى الله عليه وسلم
منجم ولا لنا من بعده ثم قال فمن صدقك في هذا القول
لم آمن عليه ان يكون اتخذ من دون الله ندا
او ضدا اللهم لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك
ثم قال للمتكلم نكذبك ونخالفك ونسير في الساعة
التي تنهانا عنها ثم اقبل على الناس فقال يا ايها الناس
اياكم وتعلم النجوم الا ما تهتدون به في ظلمات
البر والبحر انما المنجم كالكافر والكافر في النار والمنجم
كالساحر والساحر في النار والله لئن بلغني انك
تنظر في النجوم او تعمل بها لاخلدنك في الحبس
ما بقيت ولاحرمنك العطا ما كان لي سلطان ثم
سافر التي نهاه عنها فلقي القوم فقتلهم وهي
وقعة النهروان الثابتة في صحيح مسلم ثم قال
لو سرنا في الساعة التي امرنا بها وظفرنا وظهرنا
لقال انما ذلك بتنجيمي وما لمحمد منجم وما لنا بعده
وقد فتح الله علينا بلاد كسرى وقيصر وساير
البلدان ثم قال يا ايها الناس توكلوا على الله فانه

فانه يكفي ممن سواه **فانه** اي الله سبحانه يظهر ذلك الرسول
على ما تريد من ذلك الغيب وذلك انه اذا اراد اظهاره
عليه **يسلك** اي يدخل ادخال السلك في الجوهرة
في تقويمه ونفوذه من غير ادنى تعويج الى غير المراد
من بين يديه اي الجهة التي يعلمها ذلك الرسول **ومن
خلفه** اي الجهة التي تغيب عن علمه فصار ذلك كناية
عن كل جهة قال البقاعي ويمكن ان يكون ذكر الجهتين
دلالة على الكل لان العدو متى اعرض واحدة
منهما اي منها ومتى حفظتا الجهتان من غيرها
لانه يصير بين الاولين والاخرين **رصدا** اي
حرسا من جنوده يحرسونه ويحفظونه من الشياطين
ان يسترقوا السمع من الملائكة ويحفظونه من الجن
ان يسمعوا الوحي فيلقوا الى الكهنة قبل الرسول
فيطردونهم عنه ويعصمونه من وساوسهم
حتى يبلغ ما يوحي اليه وقال مقاتل وغيره كان
الله اذا بعث رسولا اتاه ابليس في صورة ملك يخبر
فيبعث الله تعالى من بين يديه ومن خلفه رصدا
من الملائكة يحرسونه ويطردون الشياطين
فاذا جاء شيطان في صورة ملك اخبروه بانه
شيطان فاحذره واذا جاءه ملك قالوا له هذا
رسول ربك وعن الضحاك ما بعث نبي الا ومعه ملائكة

يحرسونه

٢٠٤

يحرسونه من الشياطين ان يتشبهوا بصورة الملك
ليعلم اي الله علم ظهور كقوله تعالى حتى نعلم
المجاهدين **ان** مخففة من الثقيلة اي انه **قد
ابلغوا** اي الرسل **رسالات ربهم** وحدا ولا على
اللفظ في قوله تعالى من بين يديه ومن خلفه ثم
جمع على المعنى كقوله تعالى فان له نار جهنم خالدين
فيها والمعنى ليبلغوا رسالات ربهم كما هي محروسة
من الزيادة والنقصان وقيل ليعلم محمد صلى
الله عليه وسلم ان جبريل قد بلغ اليه رسالة ربه
وقيل ليعلم محمد صلى الله عليه وسلم ان الرسل
قد بلغوا رسالات ربهم **واحاط بما لديهم** اي
بما عند الرسل من الحكم والشرائع لا يفوته منها
شيء ولا ينسى منها حرفا فهو مهيمن عليها حافظ
لها **واحصى** اي الله سبحانه وتعالى **كل شيء** اي
من القطر والرمل وورق الاشجار وزبد البحر
وغير ذلك **عددا** ولو على اقل مقادير الذر فيما
لم يزل وفيما لا يزال فكيف لا يحيط بما عند الرسل
من وحيه وكلامه وقال ابن جبير والمعنى
ليعلم الرسل ان ربهم قد احاط بما لديهم ..
فيبلغوا رسالته تنبيه هذه الاية تدل على
انه تعالى عالم بالجزئيات وبجميع الموجودات وعددا

يجوز ان يكون تمييزا منقولا من المفعول به والاصل
احصى عدد كل شي كقوله تعالى وفجرنا الارض عيونا
اي عيون الارض وان يكون منصوبا على الحال
اي وضبط كل شي معدودا محصورا وان يكون
مصدرا في معنى الاحصا وقول البيضاوي تبعا
للزمخشري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من
قرا سورة الجن كان له بعدد كل جني صدق
محمدا او كذب به عتق رقبة حديث موضوع

سورة المزمل مكية

في قول الحسن وعكرمة وعطا وجابر وقال ابن
عباس الا الايتين منها واصبر على ما يقولون والتي
تليها ذكره الماوردي وقال الثعلبي ان ربك
يعلم انك تقوم الى اخر السورة فانه نزل بالمدينة
وهي تسعة عشر او عشرون اية ومايتان وخمس
وثمانون كلمة وثمانمائة وثمانية وثلاثون حرفا
بسم الله الذي من توكل عليه كفاه في جميع الاحوال
الرحمن الذي عم بنعمته الايجاد المهتدين والضال
الرحيم الذي خص حزبه بالسداد في الافعال والا
قوال يا ايها المزمل اصله المتزمل فادغمت
التاء في الزاي يقال تزمل تزملا فاذا
اريد الادغام اجتلبت همزة الوصل وهذا

الخطاب

الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وفيه ثلاثة اقوال
الاول قال عكرمة يا ايها المزمل بالنبوة والملتزم
بالرسالة وعنه يا ايها الذي زمل هذا الامر
اي حمله ثم فتر والثاني قال ابن عباس يا ايها المزمل
بالقران والثالث قال قتادة يا ايها المزمل بثيابه
قال النخعي كان متزملا بقطيفة عائشة بمرط طوله
اربعة عشر ذراعا قالت عائشة كان نصفه علي وانا
نائمة ونصفه على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي
والله ما كان خزا ولا قزا ولا مرعزى ولا ابريسم
ولا صوفا كان سداه شعرا ولحمته وبرا ذكره الثعلبي
ولحمة الثوب بفتح اللام وضمها والفتح افصح ولحمة
النسب كذلك والضم افصح ولحمة البازي بالضم
لا غير لانها كاللقمة قال القرطبي وهذا القول
من عائشة يدل على ان السورة مدنية فان
النبي صلى الله عليه وسلم لم يبن بها الا بالمدينة
والقول بانها مكية وقال الضحاك تزمل لمنامه
وقيل بلغه من المشركين قول سوء فيه فاشتد
عليه فتزمل وتدثر فنزلت يا ايها المزمل ويا ايها
المدثر وقيل كان هذا في ابتدا ما اوحي اليه
فانه صلى الله عليه وسلم لما جاءه الوحي في غار
حرا رجع الى خديجة زوجته يرجف فؤاده فقال

Copyright © King Saud University

زملوني زملوني لقد خشيت على نفسي اي ان يكون
هذا مبادي شعر او كهانة وكل ذلك من الشيطان
وان يكون الذي ظهر له بالوحي ليس الملك وكان
صلى الله عليه وسلم يبغض الشعر والكهانة غاية
البغضة فقالت له وكانت وزيرة صدق رضي
الله تعالى عنها كلا والله لا يخزيك الله ابدا انك لتصل
الرحم وتقري الضيف وتعين على نوايب الحق ونحو
هذا من الكمال الذي ثبت وقيل انه صلى الله
عليه وسلم كان نايما في الليل متزملا في قطيفة
فنبه ونودي بما يهجن تلك الحالة التي كان عليها
من التزمل في قطيفته فقيل له يا ايها المزمل
قم الليل اي الذي هو وقت الخلوة والخفية والستر
فصل لنا في كل ليلة من هذا الجنس وقف بين
يدينا بالمناجاة والانس بما انزل عليك من
كلامنا فانا نريد اظهارك واعلاء قدرك في البر
والبحر والسر والجهر وقيام الليل في الشرع معناه
الصلاة فلذا لم يقيده وهي جامعة لانواع
الاعمال الظاهرة والباطنة وهي عمادها فذكرها
دال على ما عداها ولما كان للبدن حظ في الراحة
قال تعالى مستثنيا من الليل الا قليلا اي من كل
ليلة فان الاشتغال في النوم فعل من لا يهمه امر

ولا

ولا يغنيه شان الا ترى الى قول ذي الرمة
وكاين تخطت ناقتي من مفازة
ومن نايم عن ليلها متزمل
يريد الكسلان المتقاعس الذي لا ينهض في معاظم
الامور وكفايات الخطوب ولا يحمل نفسه المشاق
والمتاعب ونحوه
شهرا اذا ما نام ليل الهوجل
ومن امثالهم اوردها سعد وسعد مشتمل
ما هكذا تورد يا سعد الابل
قدمه بالاشتمال بكسائه وجعل ذلك خلاف
الجلد والكيس وامر بان يختار على الهجود
التهجد وعلى التزمل التشمر والتخفف للعبادة
والمجاهدة في الله لا جرم ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قد تشمر لذلك مع اصحابه حق التشمر
واقبلوا على احيا لياليهم ورفضوا له الرقاد والدعة
وتجاهدوا فيه حتى انتفخت اقدامهم واصفرت
الوانهم وظهرت السيما في وجوههم وترامى امرهم
الى حد رحمهم له ربهم فخفف عنهم وقال الكلبي
انما تزمل صلى الله عليه وسلم بثيابه تهيئا
للصلاة وهو اختيار الفرا فهو على هذا ليس بتهجين
بل هو ثنا عليه وتحسين لحاله التي كان عليها وامر

بان يدوم على ذلك ويواظب عليه وعن عكرمة
ان المعنى يا ايها الذى زمل امرا عظيما اى حمله
والزمل الحمل قال البغوى قال الحكما كان هذا
الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم فى اول الوحى
قبل تبليغ الرسالة ثم خوطب بعد بالنبى والرسول
وقال السهيلى ليس المزمل من اسما النبى صلى
الله عليه وسلم كما ذهب اليه بعض الناس وعدوه
من اسمايه صلى الله عليه وسلم وانما المزمل
اسم مشتق من حاله التى كان عليها حين الخطاب
وكذلك المدثر وفى خطابه بهذا الاسم فايدتان
احداهما الملاطفة فان العرب اذا قصدت ملا
طفة المخاطب وترك المعاتبة سموه باسم مشتق
من حالته التى هو عليها كقول النبى صلى الله
عليه وسلم لعلى حين غاضب فاطمة رضى الله
تعالى عنهما فاتاه وهو نايم وقد لصق بجنبه
التراب فقال له قم يا ابا تراب اشعارا له بانه غير
عاتب عليه وملاطفة به وكذلك قوله صلى
الله عليه وسلم لحذيفة قم يا نومان وكان
نايما ملاطفة له واشعارا بترك العتب والتانيب
فقول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم يا ايها
المزمل قم فيه تانيس له وملاطفة ليستشعر

انه

انه غير عاتب عليه والفايدة الثانية لكل متزمل راقد
ليله ان تنبه الى قيام الليل وذكر الله تعالى فيه
لان الاسم المشتق من الفعل يشترك فيه مع المخاطب
كل من عمل ذلك العمل واتصف بتلك الصفة والليل مدة
من غروب الشمس الى طلوع الفجر قال القرطبى
واختلف هل كان قيامه فرضا او نفلا والدليل يقوى
ان قيامه كان فرضا لان المندوب لا يقع على بعض
الليل دون بعض لان قيامه ليس مخصوصا بوقت
دون وقت واختلف هل كان ذلك فرضا على النبى
صلى الله عليه وسلم وحده او عليه وعلى من كان
قبله من الانبيا او عليه وعلى امته ثلاثة اقوال
الاول قول سعيد بن جبير لتوجه الخطاب اليه
الثانى قول ابن عباس كان على قيام الليل فريضة
على النبى صلى الله عليه وسلم والانبيا قبله
الثالث قول عايشة وابن عباس ايضا انه كان فرضا
عليه وعلى امته لما روى مسلم ان هشام بن عامر
قال لعايشة انبيني عن قيام رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالت الست تقرا يا ايها المزمل فقلت
بلى فقالت فان الله عز وجل افترض قيام الليل
فى اول هذه السورة فقام نبى الله صلى الله عليه
وسلم واصحابه حولا وامسك الله عز وجل

في هذه السورة التخفيف فصار قيام الليل تطوعا
بعد فريضة وقيل عشر عليهم فنسخ بقوله تعالى
اخرها فاقرؤا ما تيسر من القران وكان بين
الوجوب ونسخه سنة وقيل نسخ التقدير بمكة
وبقي التهجد حتى نسخ بالمدينة وروى وكيع ويعلى
عن ابن عباس قال لما نزلت اولها المزمل كانوا يقو
مون نحوا من قيامهم في شهر رمضان حتى نزل
اخرها وكان بين نزول اولها واخرها نحوا من
سنة وقال سعيد بن جبير مكث النبي صلى
الله عليه وسلم واصحابه عشر سنين يقومون الليل
فنزلت بعد عشر سنين ان ربك يعلم انك تقوم
ادنى من ثلثي الليل فخفف الله تعالى عنهم وقيل
كان قيام الليل واجبا ثم نسخ بالصلوات الخمس
والصحيح انه صلى الله عليه وسلم بعث يوم
الاثنين في رمضان وهو ابن اربعين سنة وقيل
ثلاث واربعين وامنت به خديجة ثم بعدها قيل
علي وهو ابن تسع سنين وقيل ابن عشر وقيل ابو بكر
وقيل زيد بن حارثة ثم امر بتبليغ قومه بعد
ثلاث من مبعثه فاول ما فرض عليه صلى الله
عليه وسلم بعد الانذار والدعا الى التوحيد من
قيام الليل ما ذكر في اول السورة ثم نسخ بما في اخرها

ثم

ثم نسخ بايجاب الصلوات الخمس الى بيت المقدس ليلة
الاسرا بمكة بعد النبوة بعشر سنين وثلاثة اشهر ليلة
سبع وعشرين من رجب هذا ما ذكره النووي في رو ضة
وقال في فتاويه بعد النبوة بخمس او ست وجعل
الليلة من ربيع الاول وخالفهما في شرح مسلم
وجزم بانها من ربيع الاخر وقلد فيه القاضي
عياض والذي عليه الاكثر ما في الروضة واستمر
يصلي الى بيت المقدس مدة اقامته بمكة وبعد
الهجرة ستة عشر شهرا او سبعة عشر ثم امر باستقبال
الكعبة ثم فرض الصوم بعد الهجرة بسنتين تقريبا
وفرضت الزكاة بعد الصوم وقيل قبله وفي
الثانية قيل في نصف شعبان وقيل في رجب حولت
القبلة وفيها فرضت صدقة الفطر وفيها ابتدا
صلى الله عليه وسلم صلاة عيد الفطر ثم عيد
الاضحى ثم فرض الحج سنة ست وقيل سنة خمس ولم
يحج صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة الا حجة الوداع
واعتمر اربعا وتوفي صلى الله عليه وسلم يوم
الاثنين لاثنتي عشرة خلت من ربيع الاول سنة
احدى عشرة من الهجرة فائدة الانبيا صلى
الله عليهم وسلم عليهم اجمعين كلهم معصومون قبل
النبوة من الكفر وفي المعاصي خلاف وبعدها من

Copyright King Saud University

الكفر وفي المعاصي خلاف وبعدها من الكباير وكذا
من الصغاير ولو سهوا عند المحققين وقوله تعالى
نصفه بدل من قليلا وقلته بالنظر الى الكل **او
انقص منه** اي من النصف **قليلا** اي الثلث **او زد
عليه** او على النصف الى الثلثين واو للتخيير فكان
صلى الله عليه وسلم مخيرا بين هذه المقادير الثلا
ثة وكان صلى الله عليه وسلم يقوم حتى تصبح
مخافة ان لا يحفظ القدر الواجب وكذا بعض اصحابه
واشتد ذلك عليهم حتى انتفخت اقدامهم وقد
تقدم ان ذلك نسخ بايجاب الصلوات الخمس فصار
قيام الليل تطوعا فينبغي للمعتقد المواظبة عليه
خصوصا في الوقت الذي يبارك الله تعالى بالتجلي
فيه فانه صح ان يترك سبحانه عن ان تشبه
ذاته شيا او يتزولة نزول غيره بل هو كناية عن
فتح باب السما الذي هو كناية عن وقت استجابة
الدعا حتى يبقى ثلث الليل وفي رواية حتى يبقى
شطر الليل الاخر الى سما الدنيا فيقول سبحانه
هل من سايل فاعطيه هل من تايب فاتوب عليه
هل من كذا هل من كذا حتى يطلع الفجر ولما
امر بالقيام وقدر وقته وعينه امر بهيئة
التلاوة التي هي روح الصلاة على وجه عام فقال

تعالى

تعالى **ورتل القران** اي اقراه على ترسل وتودة وتبيين
حروفه واشباع حركاته بحيث يتمكن السامع من
عدها ونحو المتلو منه تشبيها بالثغر المرتل وهو
المفلج المشبه بنور الاقحوان وان لا تهذه هذا
ولا تسرده سردا كما قال عمر ابن الخطاب شر السير
الحقحقة وشر القراءة الهذرمة وقال ابن مسعود
ولا تنثروه نثر الدقل ولا تهذوه هذ الشعر
ولكن قفوا عند عجايبه وحركوا به القلوب ولا يكن
هم احدكم اخر السورة وقوله تعالى **ترتيلا** تاكيد
في الامر به وانه لا بد منه للقاري وعن ابن عباس
اقرا على هينتك ثلاث ايات او اربعا او خمسا
وروى الترمذي عن عايشة ان النبي صلى
الله عليه وسلم قام حتى اصبح باية والاية ان
تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت
العزيز الحكيم وسيلت عايشة عن قراءة صلى
الله عليه وسلم لا كسرد كم هذا الوارد السا
ان بعد خروفها بعدها وسيل انس كيف كانت
قراءة النبي صلى الله عليه وسلم قال كانت مدا
ثم قرا بسم الله الرحمن الرحيم يمد بسم ويمد
الرحمن ويمد الرحيم وجا رجل الى ابن مسعود
فقال قرات المفصل الليلة في ركعة فقال هذا

Copyright © King Saud University

كهذا الشعر لقد عرفت النظائر التي كان النبي صلى الله
عليه وسلم يقرن بينهن فذكر عشرين سورة من المفصل
كل سورتين في ركعة وروى الحسن ان النبي صلى الله
عليه وسلم مر برجل يقرا اية ويبكي فقال الم
تسمعوا الى قول الله عز وجل ورتل القران ترتيلا
هذا الترتيل وروى عبد الرحمن بن عمرو قال
قال النبي صلى الله عليه وسلم يوتى بقارى القران
يوم القيامة فيوقف في اول درج الجنة ويقال له
اقرا وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان
منزلتك عند اخر اية تقروها وندب اصغا اليه
وبكا عند القراة وتحسين صوت بها وتعوذ لها
جهرا واعادته لفصل طويل وجلوس لها واستقبال
وتدبر وتخشع وكرهت بفم نجس وجازت في
الحمام وهي نظرا في المصحف افضل منها على ظهر
قلب نعم ان زاد خشوعه وحضور قلبه في
القراة عن ظهر قلب فهي افضل في حقه وهي
افضل من ذكر لم يخص بمحل وحرم توسد مصحف
وندب كتبه وايضاحه ونقطه وشكله ويحرم
كتبه بنجس ومسه بنجس غير معفو عنه ويحرم
القراة بالشواذ وهو ما نقل احادا وبعكس الاي
وكره بالعكس في السور الا في تعليم وندب ختم

القران اول نهار واول ليل وختمه في الصلاة افضل
من ختمه خارجها وندب صيام يوم الختم
الا ان يصادف يوما نهى الشرع عن صيامه وندب
الدعا بعده وحضوره والشروع بعده في ختمة
اخرى وندب كثرة تلاوته ونسيانه كبيرة وكذا
نسيان شي منه ويحرم تفسيره بلا علم **انا** اي
بما لنا من العظمة **سنلقي** اي نوحي لا تخلق فيه **عليك**
قولا اي قرانا واختلف في معنى قوله تعالى **ثقيلا**
فقال قتادة ثقيل والله فرائضه وحدوده وقال
مجاهد حلاله وحرامه وقال محمد بن كعب ثقيلا
على المنافقين لانه يهتك اسرارهم ويبطل ز
اديانهم وقيل على الكفار لما فيه من الاحتجاج
عليهم والبيان لضلالهم وسب الهتهم قال
السدي ثقيل بمعنى كريم ماخوذ من قولهم فلان
ثقل علي اي تكرم علي وقال الفرا ثقيلا اي رزينا
وقال الحسين بن الفضل ثقيلا اي لا يحمله الا قلب
مويد بالتوفيق ونفس مزينة بالتوحيد وقال ابن
زيد هو والله ثقيل مبارك كما ثقل في الدنيا ثقل
في الميزان يوم القيامة وقيل ثقيل في الدنيا
ثقل في الميزان يوم القيامة وقيل ثقيل اي ثابت
كثبوت الثقيل في محله ومعناه انه ثابت الاعجاز

Copyright © King Saud University

ابدا وقيل ثقيل بمعنى ان العقل الواحد لا يفي بادراك
فوائده ومعانيه بالكلية فالمتكلمون غاصوا
في بحار معقولاته والفقهاء بحثوا في احكامه وكذا
اهل اللغة والنحو وارباب المعاني ثم لا يزال كل
متاخر يفوز منه بفوائد ما وصل اليها المتقدمون
فعلمنا ان الانسان الواحد لا يقوى على الاشتغال
بحمله فصار كالجبل الثقيل الذي يعجز الخلق
عن حمله والاولى ان حمل هذه المعاني كلها
فيه وقيل المراد هو الوحي كما جا في الخبر ان
النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اوحي اليه
وهو على ناقته وضعت جرانها اي صدرها
على الارض فما تستطيع ان تتحرك حتى يسرى
عنه وعن الحارث ابن هشام انه سال النبي
صلى الله عليه وسلم كيف ياتيك الوحي فقال النبي
صلى الله عليه وسلم احيانا ياتيني في مثل
صلصلة الجرس وهذا اشد علي فيفصم عني
وقد وعيت ما قال واحيانا يتمثل لي الملك
رجلا فيكلمني فاعي ما يقول قالت عائشة ولقد
رايته تنزل على الوحي في اليوم الشديد البرد
فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد وقوله
فيفصم اي ينفصل عني ويفارقني وقد وعيت

اي

اي حفظت ما قال وقال القتيبي القول الثقيل هو قول
لا اله الا الله لانه ورد في الخبر لا اله الا الله خفيفة
على اللسان ثقيلة في الميزان وقال الزمخشري هذه
الاية اعتراض ثم قال واراد بهذا الاعتراض ان ما كلفه
من قيام الليل من جملة التكاليف الثقيلة الصعبة
التي ورد بها القران لان الليل وقت السبات والراحة
والهدو فلا بد لمن احياه من مضادة لطبعه
ومجاهدة لنفسه انتهى يعني ان الاعتراض من حيث
المعنى لا من حيث الصناعة وذلك ان قوله تعالى
ان ناشئة الليل اي القيام بعد النوم هي اشد
وطا اي موافقة السمع للقلب على تفهم القران هي
اشد مطابق لقوله قم الليل فكانه شابه الاعتراض
من حيث دخوله بين هذين المتناسبين والمعنى
سنلقي عليك بافتراض صلاة الليل قولا
ثقيلا حمله لان الليل للمنام فمن امر بقيام
اكثره لم يتهيا له ذلك الا بحمل مشقة شديدة
على النفس ومجاهدة الشيطان فهو امر ثقيل على
العبد ولما كان التهجد يجمع القول والفعل وبين ما في
الفعل لانه اشق فكان يتقدم الترغيب بالمدحة
احق اتبعه القول فقال واقوم قيلا اي واعظم
سدادا من جهة القيل في فهمه ووقعه في القلوب

Copyright © King Saud University

لحضور القلب لان الاصوات هادية والدنيا ساكنة
فلا يضطرب على المصلي ما يقراوه وقال قتادة ومجا
هد اصوب للقراة واثبت للقول لان زمان
التفهم لرياقة الليل بهدا والاصوات وتخلي الرب
سبحانه بحصول البركات واخلص من الريا فبين
الله تعالى بهذه الاية فضل صلاة الليل على صلاة
النهار وان الاستكثار من صلاة الليل بالقراة
فيها ما امكن اعظم للاجر واجلب للثواب كان
علي ابن الحسين يصلي بين المغرب والعشا ويقول
هو ناشية الليل وقال عطا وعكرمة هو بدو
الليل وقال في الصحاح ناشية الليل اول
ساعاته وقال ابن عباس ومجاهد وغيرهما
هي الليل كله لانه ينشا بعد النهار وهو اختيار
مالك قال ابن عربي وهو الذي يعطيه
اللفظ وتقتضيه اللغة وقالت عايشة وابن
عباس ايضا ومجاهد انما الناشية القيام بالليل
بعد النوم ومن قام قبل النوم فما قام ناشية
وقال يمان وابن كيسان هو القيام من اخر
الليل واما قوله تعالى اشد وطا اي اثقل على
المصلي من ساعات النهار لان الليل وقت منام
وراحة فاذا قام الى صلاة الليل فقد تحمل المشقة

العظيمة هذا على قراة كسر الواو وفتح الطا وبعدها
الف ممدودة وهمزة منونة وهي قراة ابي عمرو
وابن عامر وقرا الباقون بفتح الواو وسكون الطا
وبعدها همزة منونة فهي مصدر واطات وطا
ومواطية اي وافقت على الامر من الوفاق تقول
فلان يواطي اسمه اسمي اي يوافقه فالمعنى
اشد موافقة بين القلب والبصر والسمع واللسان
لانقطاع الاصوات والحركات قاله مجاهد وغيره
قال تعالى ليواطيوا عدة ما حرم الله اي ليوافقوا
ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اشدد
وطاتك على مضر وقيل اشد مهادا للتصرف في
الفكر والتدبر وقيل اشد ثباتا من النهار فان
الليل يخلو فيه الانسان بما يعمله فيكون ذلك
اثبت للعمل والوطي الثبات تقول وطات الارض
بقدمي وفي الجملة عبادة الليل اشد نشاطا واتم
اخلاصا واكثر بركة وابلغ في الثواب ان لك اي
ايها المتهجد او يا اكرم الخلق ان كان الخطاب للنبي
صلى الله عليه وسلم في النهار الذي هو محل
السعي في مصالح الدنيا سبحا طويلا اي تصرفا
وتقلبا واقبالا وادبارا في حوايجك واشغالك والسبح
مصدر سبح استعير للتصرف من السباحة في الماء

Copyright © King Saud University

وهي البعد فيه وقال القرطبي السبح الجري والدوران
ومنه السباحة في الماء التقلبه بيديه ورجليه وفرس
سابح بديد الجري وقيل السبح الفراغ اي ان لك
فراغا لحاجات النهار وعن ابن قطن سبحا طويلا
يعني فراغا طويلا لنومك وراحتك فاجعل ناشئة
الليل لعبادتك وقيل ان فاتك من الليل شي فلك
في النهار فراغ تقدر على تداركه فيه واذكر اسم ربك
اي المحسن اليك والموجد والمدبر لك بكل ما يكون
ذكرا من اسم وصفة وثناء وخضوع وتسبيح
وتحميد وصلاة وقراة ودعاء واقبال على علم
شرعي وادب مرعي ودم على ذلك في ليلك ونهارك
واحرص عليه فاذا عظمت الاسم بالذكر فقد
عظمت المسمى بالتوحيد والاخلاص وذلك
عون لك على مصالح الدارين اما الاخرة فواضح
واما الدنيا فقد ارشد النبي صلى الله عليه
وسلم اعز الخلق عليه فاطمة ابنته رضي الله تعالى
عنها لما سالته خادما يقيها التعب الى التسبيح
والتحميد والتكبير عند النوم وتبتل اي اجتهد
في قطع نفسك عن كل شاغل والاخلاص في جميع
اعمالها بالتدريج قليلا قليلا منتهيا اليه ولا
تزل على ذلك حتى يصير ذلك لك خلقا فتكون

نفسك

٢٦٣

نفسك كانها منقطعة بغير قاطع وقوله تعالى تبتيلا
مصدر تبتل جي به رعاية للفواصل وهو ملزوم
التبتيل قال الزمخشري فان قلت كيف
قال تبتيلا مكان تبتلا قلت لان معنى تبتل بتل
نفسه فجي به على معناه مراعاة لحق الفواصل انتهى
والتبتل الانقطاع ومنه امراة بتول اي انقطعت
عن النكاح وفي الحديث انه نهى عن التبتل وقال
يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة اي مون
النكاح فليتزوج والمراد به في الاية الكريمة الانقطاع
الى عبادة الله كما مرت الاشارة اليه دون ترك
النكاح والتبتل في الاصل الانقطاع عن الناس
والجماعات وقيل ان اصله عند العرب التفرد
قاله ابن عرفة وقال ابن العربي هذا فيما مضى
واما اليوم فقد مرجت عهود الناس وخفت
اماناتهم واستولى الحرام على الحطام فالعزلة
خير من الخلطة والعزبة افضل من التاهل ولكن
معنى الاية وانقطع عن الاوثان والاصنام وعن
عبادة غير الله تعالى وكذلك قال مجاهد معناه
اخلص له العبادة ولم يرد التبتل فصار التبتل
ما مورا به في القران منهيا عنه في السنة السنة
ومتعلق الامر غير متعلق النهي فلا يتناقضان

Copyright © King Saud University

وانما بعث لتبين ما انزل اليهم فالتبتل المامور به
الانقطاع الي الله تعالى باخلاص العباده كما قال تعالى
وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين
والتبتل المنهي عنه هو سلوك مسلك النصارى
في ترك النكاح والترهب في الصوامع لكن عند
فساد الزمان يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها
شعف الجبال ومواضع القطر يفر بدينه من الفتن
ولما كان الواجب علي كل احد شكر المنعم بين سبحانه
الذي انعم بسكون الليل الذي امر بالتهجد فيه
ومنتشر النهار الذي امر بالسبح فيه فقال تعالى
رب المشرق اي الموجد محل الانوار الذي بها
ينمحي هذا الليل الذي انت قائم فيه وتمضي بها
الصباح وعند الصباح يحمد القوم السرى قال
العلامة تقي الدين بن دقيق العيد
كم ليلة فيك وصلنا السرى
لا نعرف الغمض ولا نستريح
واختلف الاصحاب ماذا الذي
يزيل من شكواهم او يريح
فقيل تعريسهم ساعة وقلت بل ذكراك وهو
الصحيح والمغرب اي الذي يكون عند الليل الذي
هو محل السكون وموضع الخلوات ولذيذ

المناجات

المناجات فلا تغرب شمس ولا قمر ولا نجم الا بتقديره بره
لا اله اي لا معبود بحق الا هو اي ربك الذي دلت
تربيته لك علي مجامع العظمة واتصافه بصفات الكمال
والتنزه عن كل شائبة نقص وقرا ابن عامر
وابو بكر وحمزة والكسائي بكسر البا علي البدل
من ربك وعن ابن عباس علي القسم باضمار حرف
القسم كقولك الله لافعلن وجوابه لا اله الا هو كما
تقول لا احد في الدار الا زيد والباقون برفعها
علي انه خبر مبتدا محذوف او مبتدا خبره لا اله الا
هو فاتخذه اي خذه بجميع جهدك وذلك بافرادك
اياه بكونه وكيلا اي علي كل من خالفك بان
تفوض جميع امورك اليه فانه يكفيكها كلها فانه
المنفرد بالقدرة عليها ولا شي في يد غيره فلا
يهتم بشي اصلا قال البقاعي وليس ذلك بان
يترك الانسان كل عمل فان ذلك طمع فارغ بل بان حمال
في طلب كلما ندب الانسان الي طلبه ليكون متوكلا
في السبب لا من دون سبب فانه يكون حينئذ
كمن يطلب الولد من غير زوجة وهو مخالف لحكمة
هذه الدار المبنية علي الاسباب ولو لم يكن في
افراده بالوكالة الا انه يفارق الوكلا بالعظمة والشرف
والرفق من جميع الوجوه فان وكيلك من الناس

Copyright King Saud University

دونك وانت تتوقع ان نكلمك كثيرا في مصالحك وربك
اعظم العظما وهو يامرك بان تكلمه كثيرا في مصالحك
وتساله طويلا وكذلك من الناس اذا تحصل
مالك سالك الاجرة وهو سبحانه يوفر مالك ويعطيك
الاجر وكذلك من الناس ينفق عليك من
مالك وهو سبحانه وتعالى يرزقك وينفق عليك
من ماله ومن تمسك بهذه الاية عاش حرا
كريما ومات خالصا شريفا ولقي الله تعالى عبدا
صافيا مختارا تقيا ومن شرط الموحدات يتوجه
الى الواحد ويقبل عليه ويبذل له نفسه ويفوض
اليه امره ويترك التدبير ويثق به ويركن اليه
ويتذلل لربوبيته ويتواضع لعظمته **واصبر**
على ما يقولون اي المخالفون المفهومون من الوكالة
من الاذا والسب والاستهزا ولا تجزع من قولهم
ولا تمتنع من دعواتهم وفوض امرهم الى فاني
اذا كنت وكيلك اقوم باصلاح امرك احسن
من قيامك بامور نفسك **واهجرهم** اي اعرض
عنهم **هجرا جميلا** اي لا تتعرض لهم ولا تشتغل
بمكافاتهم فان ذلك ترك للدعا الى الله تعالى
وكان هذا قبل الامر بالقتال فانه صلى الله
عليه وسلم منع في اول الاسلام من قتال الكفار

وامر

وامر هو واصحابه بالصبر على اذاهم بقوله تعالى
لتبلون في اموالكم الاية ثم امر به اذا ابتدا وا
بقوله تعالى وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم
ثم ابيح له ابتداوه في غير الاشهر الحرام ثم امر به
مطلقا من غير تقييد بشرط ولا زمان بقوله تعالى
واقتلوهم حيث ثقفتموهم **وذرني** اي اتركني
ك **والمكذبين** اي لا تحتاج الى الظفر بمرادك ومنتقما
الان تخلى بيني وبينهم بان تكل امرهم الي
وتكفينه فاني فيما نفرغ بالملك ويحلى نعمك
ولئن تمنع حتى تطلب اليه ان تذره واياه
الا ترك الاستكفا والتفويض كانه اذا لم يكل اليه
امره فكانه منعه منه فاذا وكله اليه فقد ازال
المنع وتركه واياه وفيه دليل على الوثوق بانه
يتمكن من الوفا باقصى ما يتدرحوله امنية
المخاطب ومما يزيد عليه واختلفوا في سبب نزول
هذه الاية فقال مقاتل نزلت في المطعمين يوم
بدر وهم عشرة فلم يكن الا يسيرا حتى قتلوا
ببدر وقال يحيى بن سلام انهم بنوا المغيرة
وقال سعيد بن جبير اخبرت انهم اثنى عشر
رجلا وقال النغوي نزلت في صناديد قريش ورؤسا
مكة من المستهزئين وقوله تعالى **اولي النعمة**

Copyright © King Saud University

نعت للمكذبين اي اصحاب التنعيم والترفه فايدة
النعمة في اللغة بالفتح التنعم وبالكسر الانعام وبالضم
المسرة ومهلهم اي اتركهم برفق وتان وتدريج
ولا تهتم بشانهم وقوله تعالى قليلا نعت
لمصدر اي تمهيلا قليلا او لظرف زمان محذوف
اي زمانا قليلا فقتلوا بعد يسير ببدر وقوله تعالى
ان لدينا انكالا جمع نكل بالكسر وهو القيد الثقيل
الذي لا ينفك ابدا وقال الكلبي اغلالا من حديد
وجحيما اي نارا حامية جدا شديدة الاتقاد
لما كانوا يتقيدون به من تزيد الشرب والتنعم
برقيق اللباس وتكلف انواع الراحة وطعاما
ذا غصة اي يغص به في الحلق وهو الزقوم
او الضريع او الغسلين او الشوك من نار لا يخرج
ولا ينزل وعذابا اليما اي مولما ومعنى الاية
ان لدينا في الاخرة ما يضاد تنعمهم في الدنيا وهي
هذه الامور الاربعة النكال والجحيم والطعام
الذي يغص به والعذاب الاليم والمراد به ساير
انواع العذاب وروي انه صلى الله عليه وسلم
قرا هذه الاية فصعق وعن الحسن انه امسى
صايما فاتي بطعام فعرضت له هذه الاية فقال
ارفعه وكذلك الليلة الثانية فاخبره ثابت

البناني

البناني ويزيد الضبي ويحيى البكا فجاوا فلم يزالوا به
حتى شرب شربة من سويق وقوله تعالى يوم ترجف
منصوب بالاستقرار المتعلق به لدينا والراجفة
الزلزلة والزعزعة الشديدة فتزلزلت الارض اي كلها
والجبال اي التي هي اشدها وكانت اي وتكون الجبال
التي هي مراسي الارض واوتادها وعبر عن شدة
الاختلاط والتلاشي بالتوحيد فقال تعالى كثيبا
اي رملا مجتمعا من كثب الشي اذا جمعه كانه فعيل
بمعنى مفعول في اصله ومنه الكثيبة من اللبن
مهيلا قال ابن عباس رملا سايلا متناثرا وقال
الكلبي هو الذي اذا اخذت منه شيا تبعك ما بعده
قال القرطبي واصله مهيول وهو مفعول من
قولك هلت عليه التراب اهيله اهالة وهيلا
اذا صببته يقال مهيل ومهيول ومكيل
ومكيول ومعين ومعيون قال الشاعر
قد كان قومك يحسبونك سيدا
واخال انك سيد معيون
وقال صلى الله عليه وسلم حين شكوا اليه الجدوبة
اتكيلوا ام تهيلون قالوا نهيل قال كيلوا طعامكم
يبارك لكم فيه واصله واصل مهيل مهيول
استثقلت الضمة على اليا فنقلت الى الها فالتقى

Copyright © King Saud University

سا كنان فسيبويه واتباعه حذفوا الواو وكانت اولى
بالحذف لانها زايدة وان كانت القاعدة انما يحذف
لالتقا الساكنين الاول ثم كروا اليها لتصح اليا ووزنه
حينيذ مفعل والكساي ومن تبعه حذفوا اليا
لان القاعدة حذف الاول كما مر ولما خوف تعالى
المكذبين اولي النعمة باهوال يوم القيامة خوفهم
بعد ذلك باهوال الدنيا فقال تعالى انا اى بما لنا
من العظمة ارسلنا اليكم يا اهل مكة شرفا لكم
خاصة والى كل من بلغته الدعوة عامة رسوله
اى عظيما جدا وهو محمد صلى الله عليه وسلم
خاتم النبيين وامامهم واجلهم وافضلهم
قدرا شاهدا عليكم اى بما تصنعون ليودي الشها
دة عند طلبها منه يوم ننزع من كل امة شهيدا
وهو يوم القيامة كما ارسلنا اى بما لنا من العظمة
الى فرعون اى ملك مصر رسوله وهو موسى
عليه السلام وهذا تهديد لاهل مكة بالاخذ
الوبيل قال مقاتل وانما ذكر موسى وفرعون دون
ساير الرسل لان اهل مكة ازدروا محمدا صلى
الله عليه وسلم واستخفوا به لانه ولد فيهم كما ان
فرعون ازدرى موسى لانه رباه وليدا فيما بينهم
كما قال تعالى حكاية عن فرعون الم نربك فينا

وليدا

ولبدا وذكر الرازي السوال والجواب قال ابن عادل
وهو ليس بالقوي لان ابراهيم عليه السلام ولد
ونشا فيما بين قوم نمرود وكان ازر وزير نمرود
على ما ذكره المفسرون وكذا القول في هود ونوح
وصلح ولوط كقوله تعالى في قصة كل واحد
منهم لفظة اخاهم لانه من القبيلة التي بعث اليها
انتهى وقد تقال الجامع بين محمد وموسى عليهما
الصلاة والسلام التربية فان الى طلب تربى
عنده النبى صلى الله عليه وسلم وموسى
عليه السلام تربى عند فرعون ولم يكن ذلك
لغيرهما فعصى فرعون الرسول انما عرفه لتقدم
ذكره وهذه ال العهدية والعرب اذا قدمت اسما
ثم اتوا به ثانيا اتوا به معرفا بال او اتوا بضميره
ليلا يلتبس بغيره نحو رايت رجلا فاكرمت الرجل
او فاكرمته ولو قلت فاكرمت رجلا لتوهم
انه غير الاول وقال المهدوي ودخلت الالف
واللام في الرسول لتقدم ذكره ولذا اختير في
اول الكتب سلام عليكم وفي اخرها السلام عليكم
ثم سبب عن عصيانه قوله تعالى فاخذناه اى
فرعون بما لنا من العظمة وبين انه اخذ قهر
وغضب بقوله تعالى اخذا وبيلا اى ثقيلا شديدا

Copyright © King Saud University

وضرب وبيل وعذاب وبيل اي شديد قاله ابن
عباس ومجاهد ومنه مطر وابل اي شديد قاله
الاخفش وقال الزجاج اي ثقيلا غليظا ومنه قيل
للمطر وابل وقيل مهلكا والمعنى عاقبناه عقوبة
غليظة وفي ذلك تخويف لاهل مكة ثم خوفهم يوم
القيامة فقال تعالى فكيف تتقون ان كفرتم اي
تجدون الوقاية التي تقي انفسكم اذا كفرتم
في الدنيا والمعنى لا سبيل لكم الى التقوى
اذا رايتم القيامة وقيل معناه فكيف تتقون
العذاب يوم القيامة اذا كفرتم في الدنيا وقوله
يوما مفعول تتقون اي عذابه اي باي حصن
تتحصنون من عذاب الله يوم يجعل الولدان
وقوله تعالى شيبا جمع اشيب والاصل في الشيب
الضم وكسرت المجانسة الياء ويقال في اليوم الشديد
يوم يشيب نواصي الاطفال وهو مجاز ويجوز ان
يراد في الاية الحقيقة والمعنى يصيرون شيبا
شيوخا شمطا من هول ذلك اليوم وشدته
وذلك حين يقال لادم عليه السلام قم فابعث بعث
النار من ذريتك قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول الله عز وجل يوم القيامة يا ادم
فيقول لبيك وسعديك وفي رواية والخير في

يديك

يديك فينادى بصوت ان الله يامرك ان تخرج من
ذريتك بعثا الى النار قال يا رب وما بعث النار
قال من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعين فحينئذ تضع
الحامل حملها ويشيب الوليد وترى الناس سكارى
وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد فشق
ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم قالوا يا رسول
الله اينا ذلك الرجل فقال النبي صلى الله عليه
وسلم ابشروا فان من ياجوج وماجوج تسعمائة
وتسعة وتسعين ومنكم واحد ثم قال انتم
في الناس كالشعرة السوداء في جنب الثور الابيض
وكالشعرة البيضاء في جنب الثور الاسود
وفي رواية كالرقمة في ذراع الحمار وهي بفتح
الراء وسكون القاف الاثر الذي في باطن عضد
الحمار واني لارجوا ان تكونوا ربع اهل الجنة
فكبر القوم ثم قال ثلث اهل الجنة فكبروا ثم
قال شطر اهل الجنة فكبروا وفي هذا اشارة
الى الاعتناء بهم لان اعطاء الانسان مرة بعد
مرة دليل على الاعتناء به ودوام ملاحظته
وفيه ايضا حملهم على تجديد شكر الله تعالى
وحمده على انعامه عليهم وهو تكبيرهم لهذه
البشارة العظيمة ثم وصف هول ذلك اليوم بقوله

Copyright © King Saud University

فا

تعالى السماء منفطر اي ذات انفطار اي انشقاق به اي
بسبب ذلك اليوم لشدته فالباء سببية وجوز الزمخشري
ان تكون للاستعانة فانه قال والباء في به مثلها في
قولك فطرت العود بالقدوم فانفطر به وقال
القرطبي ومعنى به اي فيه اي في ذلك اليوم وقيل
به اي بالامر اي السماء منفطر مما تجعل الولدان شيبا
وقيل منفطر بالله اي بامره تنبيه انما لم
تؤنث الصفة لوجوه منها قال ابو عمرو بن العلاء
لانها بمعنى السقف تقول هذا سماء البيت قال
تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا ومنها انها على
النسبة اي ذات انفطار نحو امراة مرضع وحائض
اي ذات ارضاع وذات حيض ومنها انها تذكر
وتؤنث انشد الفراء

فلو رفع السماء اليه قوما
لحقنا بالسماء وبالسحاب

ومنها انه اسم جنس يفرق بينه وبين واحده
بالتاء فيقال سماة واسم الجنس يذكر ويؤنث
ولهذا قال ابو علي الفارسي هو كقوله تعالى منقعر
واعجاز نخل منقعر يعني فجاء على احد الجائزين او
لان تانيثها ليس حقيقي وما كان كذلك جاز تذكيره
قال الشاعر والعين بالاثمد الحاري مكحول

والضمير

والضمير في قوله تعالى كان وعده مفعولا يجوز ان يكون
لله وان لم يجر له ذكر للعلم به فيكون المصدر مضافا
لفاعله ويجوز ان يكون لليوم فيكون مضافا للمفعول
والفاعل وهو الله تعالى مقدر قال المفسرون كان
وعده بالقيامة والحساب والجزاء مفعولا كائنا لا شك
فيه ولا خلف وقال مقاتل كان وعده بان يظهر
دينه على الدين كله ان هذه اي الايات الناطقة
بالوعيد الشديد او السورة تذكرة اي تذكير
عظيم هو اهل لان يتعظ به ويعتبر به المعتبر
ولا سيما ما ذكر فيها لاهل الكفر من العذاب ولما كان
سبحانه قد جعل للانسان عقلا يدرك به الحسن
والقبيح واختيارا يتمكن به من اتباع ما يريد فلم
يبق له مانع من جهة اختيار الاصلح والاحسن
الا قهر المشيئة التي لا اطلاع له عليها ولا حيلة
له فيها سبب عن ذلك قوله تعالى فمن شاء اتخذ
اي بغاية جهده الى ربه اي المحسن اليه خاصة
لا الى غيره سبيلا اي طريقا الى رضاه ورحمته
فليرغب فقد امكن لديه لانه اظهر منه الحجج والدليل
قيل نسخت باية السيف وكذلك قوله تعالى
فمن شاء ذكره وقال الثعلبي والاشبه انه غير منسوخ
ان ربك اي المدبر لامرك على ما يكون احسانا اليك

Copyright © King Saud University

ورفقا لك يعلم انك تقوم اي في الصلاة كما امرت
به اول السورة ادنى اي زمانا اقل والادنى
مشترك بين الاقرب والادون الانزل رتبة لان
كلا منهما يلزمه عن قلة المسافة من ثلثي الليل
وقرا ونصفه وثلثه بن كثير وعاصم وحمزة
والكسائي بنصب الفائه الصاد وبنصب المثلثة
بعد اللام ورفع الهاء فيهما عطف على ادنى والبا
قون بكسر الفا والمثلثة وكسر الهاء فيهما عطف على
ضمير تقوم وقيامه كذلك مطابق لما وقع التخيير
فيه اول السورة من قيام النصف بتمامه او بين
الناقص منه وهو الثلث او الزائد عليه وهو
الثلثان او الاقل من الاقل من النصف وهو
الربع وقوله تعالى وطائفة من الذين معك
عطف على ضمير تقوم وجاز من غير تاكيد للفصل
وقيام طائفة من اصحابه كذلك للتاسي به
ومنهم من كان لا يدري كم يصلي من الليل وكم
بقي منه فكان يقوم الليل كله احتياطا فقاموا حتى
انتفخت اقدامهم سنة واكثر فخفف عنهم بقوله
تعالى والله اي المحيط بكل شي قدرة وعلما يقدر
اي تقديرا عظيما هو في غاية التحرير الليل والنهار
اي هو العالم بمقادير الليل والنهار فيعلم القدر

الذي

الذي تقومون من الليل والذي تنامون منه علم
ان مخففة من الثقيلة واسمها محذوف اي انه
لن تحصوه اي الليل لتقوموا فيما يجب القيام فيه
الا بقيام جميعه لتقوموا فيما يجب القيام فيه الا بقيام
جميعه وذلك يشق عليكم فتاب عليكم اي
رجع بكم الى التخفيف بالترخيص لكم في ترك القيام
المقدر اول السورة وقوله تعالى فاقروا ما تيسر
اي سهل من القران فيه قولان احدهما ان المراد
بهذه القراة القراة في الصلاة وذلك ان القراة
احد اجزا الصلاة فاطلق اسم الجزء على الكل والمعنى
فصلوا ما تيسر عليكم قال الحسن يعني في صلاة المغرب
والعشا قال قيس بن ابي حازم صليت خلف ابن عباس
بالبصرة فقرا في اول ركعة بالحمد واول اية من
البقرة ثم قام في الثانية فقرا بالحمد والاية
الثانية من البقرة ثم ركع فلما انصرف اقبل
علينا فقال ان الله تعالى يقول فاقروا ما تيسر منه
قال القشيري والمشهور ان نسخ قيام الليل كان
في حق الامة وبقيت الفريضة في حق النبي صلى
الله عليه وسلم وقال الشافعي نسخ بالكلية فلا تجب
صلاة الليل اصلا واذا ثبت ان القيام ليس فرضا
فقوله تعالى فاقروا ما تيسر من القران معناه اقروا

Copyright © King Saud University

ان تيسر عليكم ذلك وصلوا ان شيتم والقول الثاني
ان المراد بقوله تعالى فاقروا ما تيسر من القران
دراسة وتحصيل حفظه وان لا تعرض للنسيان سوا
كان في صلاة ام غيرها قال الكعبي من قرا في ليلة
ماية اية كتب من القانتين وقال سعيد خمسون اية
قال القرطبي قول كعب اصح لقوله صلى الله عليه وسلم
من قام بعشر ايات من القران لم يكتب من الغافلين
ومن قرا ماية اية كتب من القانتين يوم القيامة
ومن قرا خمسماية كتب له قنطار من الاجر فقوله
من المقنطرين اي اعطي قنطار من الاجر وجاء
في الحديث الف وماتيا اوقية والاوقية خير مما
بين السما والارض وقال ابو عبيدة القناطير
واحدها قنطار ولا تجد العرب تعرف وزنه
ولا واحد للقنطار من لفظه وقال ثعلب المعول
عليه عند العرب انه اربعة الاف دينار فاذا
قالوا قناطير مقنطرة فهي اثنى عشر الف دينار
وقيل ان القنطار ملي جلد ثور ذهبا وقيل ثلاثون
الفا وقيل هو جملة كثيرة مجهولة من المال نقله
ابن الاثير قال القرطبي والقول الثاني اصح حملا للخطاب
على ظاهر اللفظ والقول الاول مجاز لانه من تسمية
الشي ببعض ما هو من اعماله واذا كان ذلك على

قيام

قيام لا في قدر القراة فلا دليل فيه على ان الفاتحة
لا تتعين في الصلاة بل هي متعينة في كل ركعة لخبر
الصحيحين لا صلاة لمن لم يقرا فيها بفاتحة الكتاب
ولخبر لا تجزي صلاة لا يقرا فيها بفاتحة الكتاب
رواه ابن خزيمة وحبان في صحيحيهما ولفعله صلى
الله عليه وسلم كما في مسلم مع خبر البخاري صلوا
كما رايتموني اصلي ويحمل قوله تعالى فاقروا ما تيسر
منه خبر ثم اقرا ما تيسر معك من القران على
الفاتحة او على العاجز عنها جمعا بين الادلة ولما كان
بعد انسخها لما كان واجبا من قيام الليل اول السورة
لعلمه سبحانه بعدم احصايه قدر ذلك العلم المجمل
بعلم مفصل بيانا لحكمة اخرى للنسخ فقال تعالى
علم ان مخففة من الثقيلة سيكون اي بتقدير
لا بد منه منكم مرضى جمع مريض وهذه السورة
من اول ما انزل على النبي صلى الله عليه وسلم
ففي ذلك اشارة بان اهل الاسلام يكثرون جدا
واخرون غير المرضى يضربون اي يوقعون الضرب
في الارض اي يسافرون لان الماشي يجد ويضرب
برجله في الارض يبتغون اي يطلبون طلبا شديدا
من فضل الله اي بعض ما اوجده الملك الاعظم
لعباده بالتجارة وغيرها واخرون اي منكم ايضا

Copyright © King Saud University

المسلمون **يقاتلون** اي يطلبون ويوقعون قتل اعدا
الله ولذلك بينه بقوله تعالى **في سبيل الله** اي الملك
الاعظم وكل من الفرق الثلاث نتق عليهم ما ذكر
في قيام الليل وسوى سبحانه في هذه الاية بين درجة
المجاهدين والمكتسبين للمال الحلال لنفقته على
نفسه وعياله والاحسان فكان هذا دليلا على ان
كسب المال بمنزلة الجهاد لانه جمعه مع الجهاد في سبيل
الله قال صلى الله عليه وسلم ما من جالب يجلب
طعاما من بلد الى بلد فيبيعه بسعر يومه الا كانت
منزلته عند الله منزلة الشهدا ثم قرا رسول
الله صلى الله عليه وسلم واخرون يضربون في
الارض يبتغون من فضل الله واخرون يقاتلون
في سبيل الله وقال ابن مسعود ايما رجل جلب
شيئا الى مدينة من مداين المسلمين صابرا محتسبا
فباعه بسعر يومه كان له عند الله منزلة الشهدا
وقرا واخرون الاية وقال ابن عمر ما خلق الله
تعالى موتة اموتها بعد الموت في سبيل الله احب
الي الموت من بين شعبتي رحل ابتغي من فضل
الله ضاربا في الارض وقال طاووس الساعي
على الارملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله
واعاد قوله تعالى **فاقرؤا ما تيسر منه** اي من

القران

القران للتاكيد **واقيموا الصلاة** اي المكتوبة وهي
خمس بجميع الامور التي تقوم بها من اركانها وشروطها
وابعاضها وهيئاتها **واتوا الزكاة** اي زكاة اموالكم
وقال عكرمة وقتادة صدقة الفطر لان زكاة
الاموال وجبت بعد ذلك وقيل صدقة التطوع
وقيل كل فعل خير وقال ابن عباس طاعة الله تعالى
والاخلاص **واقرضوا الله** اي الملك الاعلى الذي
له جميع صفات الكمال التي منها الغنا المطلق من
ابدانكم واموالكم في اوقات صحتكم ويساركم
قرضا حسنا من نوافل الخيرات كلها برغبة تامة
وعلى هيئة جميلة في ابتدائه وانتهائه وقال زيد
بن اسلم القرض الحسن النفقة على الاهل وقيل
صلة الرحم وقرى الضيف وقال عمر بن الخطاب
هو النفقة في سبيل الله **وما تقدموا لانفسكم**
اي خاصة سلفا لاجل ما بعد الموت حيث لا تقدرو
على الاعمال **من خير** اي خير كان من عبادات البدن
والمال **تجدوه** اي محفوظا لكم **عند الله** اي المحيط
بكل شي قدرة وعلما **هو** اي لا غيره **خيرا** اي لكم
وجاز ضمير الفصل بين غير معرفتين لان افعل
منه كالمعرفة والمعنى هو خيرا من الذي تدخرونه
اي الوصية عند الموت قاله ابن عباس وقال الزجاج

Copyright © King Saud University

خير لكم من متاع الدنيا وروى البغوي بسنده عن
عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ايكم ماله احب اليه من مال وارثه قال اعلموا
ما تقولون قالوا ما نعلم الا ذاك يا رسول الله قال
انما مال احدكم ما قدم ومال وارثه ما اخر واعظم
اجرا قال ابو هريرة يعني الجنة ويحتمل ان
يكون اعظم اجلا لاعطائه بالجنة اجرا ولما كان
الانسان اذا عمل ما يمدح عليه ولا سيما اذا كان
المادح له ربه ربما ادركه الاعجاب بين له
بين انه لا يقدر بوجه على ان يعبد الله حق قدره
فلا يزال متقصرا فلا يسعه الا العفو فقال عز
من قائل واستغفروا الله اي اطلبوا واوجدوا
ستر الملك الاعظم الذي لا يحيطون بمعرفته
فكيف باداء حق خدمته لتقصيركم عنها واثرا
بفعل ما يرضيه واجتناب ما يسخطه ان الله
اي الملك الاعظم غفور اي بالغ الستر لاعيان
الذنوب واثارها حتى لا يكون عنها عقاب ولا
عتاب رحيم اي بالغ الاكرام بعد الستر افضالا
واحسانا وترفيعا وامتنانا وقول البيضاوي
تبعا للزمخشري ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال من قرأ سورة المزمل دفع الله عنه العسر

في

في الدنيا والاخرة حديث موضوع

سورة المدثر مكية

وهي خمس او ست وخمسون اية ومائتان وخمس
وخمسون كلمة والف وعشرة احرف بسم الله الملك
الواحد القهار الرحمن الذي عم برحمته الابرار
والفجار الرحيم الذي خص اصفياءه بما يوصلهم
الى دار القرار ولما ختمت المزمل بالبشارة لارباب
النضارة بعد ما بدئت بالاجتهاد في الخدمة
المهيئة للقيام باعباء الدعوة افتتحت هذه بمحط
حكمة الرسالة وهي النذارة فقال تعالى يا ايها
المدثر روي عن يحيى بن ابي كثير قال سألت ابا
سلمة بن عبد الرحمن عن اول ما نزل من القرآن
قال يا ايها المدثر قلت يقولون اقرأ باسم
ربك الذي خلق قال ابو سلمة سألت جابر بن
عبد الله عن ذلك وقلت له مثل ذلك الذي
قلت فقال لي جابر لا احدثك الا مثل ما حدثنا
به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاورت
بحراء شهرا فلما قضيت جواري هبطت فنوديت
فنظرت عن يميني فلم ار شيئا ونظرت عن
شمالي فلم ار شيئا ونظرت خلفي فلم ار شيئا فرفعت
راسي فرايت شيئا فاتيت خديجة فقلت دثروني

Copyright © King Saud University

وصبوا علي ما با درا قال فنزلت يا ايها المدثر الاية وذلك
قبل ان تفرض الصلاة وفي رواية فلما قضيت
جواري هبطت فاستبطنت الوادي وذكر نحوه وفيه
فاذا قاعد علي عرش في الهوا يعني جبريل عليه
السلام فاخذتني رجفة شديدة وعن جابر من
رواية الزهري عن ابي سلمة عنه قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يحدث عن فترة الوحي
فقال لي حديثه فبينما انا امشي سمعت صوتا من
السما فرفعت راسي فاذا الملك الذي جاني بحرا جالس
علي كرسي بين السما والارض فجئثت منه رعبا
فقلت زملوني زملوني فدثروني فانزل الله عز
وجل يا ايها المدثر الي قوله فاهجر وفي رواية فجئثت
منه حتى هويت الي الارض فجئت الي اهلي وذكره
ثم حمي الوحي وتتابع فان قيل هذا الحديث دال
علي ان سورة المزمل اول ما نزل ويعارضه
حديث عائشة المخرج في الصحيحين في بدء الوحي
وسياتي في موضعه ان شا الله تعالى وفيه فغطني
الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال
اقرا باسم ربك الذي خلق حتى بلغ ما لم يعلم
فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف
فواده الحديث اجيب بان الذي عليه

العلما

العلما ان اول ما نزل من القران علي الاطلاق اقرا باسم
ربك الذي خلق كما صرح به في حديث عائشة ومن
قال ان سورة المدثر اول ما نزل من القران فضعيف
وانما كان نزولها بعد فترة الوحي كما صرح به في
رواية الزهري عن ابي سلمة عن جابر ويدل
عليه في الحديث وهو يحدث عن فترة الوحي الي ان
قال وانزل الله تعالى يا ايها المدثر ويدل عليه قوله
ايضا فاذا الملك الذي جاني بحرا وحاصله ان اول
ما نزل من القران علي رسول الله صلى الله عليه
وسلم سورة اقرا باسم ربك وان اول ما نزل بعد
فترة الوحي سورة المدثر وبهذا يحصل الجمع بين
الحديثين قوله فاذا هو قاعد علي عرش بين السما
والارض يريد به السرير الذي يجلس عليه وقوله
يحدث عن فترة الوحي اي عن احتباسه وعدم
تتابعه وتواليه في النزول وقوله فجئثت منه
روي بجيم مضمومة ثم همزة مكسورة ثم ثا مثلثة
ساكنة ثم يا الضمير وروي ـــ ثاين مثلثتين
بعد الجيم ومعناها فزعت منه وفرقت وقوله
وحمي الوحي وتتابع اي كثر نزوله وازداد بعد فترته
من قولهم حميت الشمس والنار اذا ازداد حرها
وقوله فصبوا علي ما با دراقيه انه ينبغي لمن فزع

ان يصب عليه الماء ليسكن فزعه واصل المدثر المتدثر
وهو الذي يتدثر في ثيابه ليتدفى بها واجمعوا على انه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما سمي مدثرا لوجوه
احدها قوله صلى الله عليه وسلم دثروني وثانيها
انه صلى الله عليه وسلم كان نائما متدثرا بثيابه
فجاءه جبريل عليه السلام وايقظه وقال يا ايها المدثر
قم فانذر اي حذر الناس من العذاب ان لم
يومنوا والمعنى قم من مضجعك واترك التدثر بالثياب
واشتغل بهذا المنصب الذي نصبك الله عز
وجل له وثالثها ان الوليد بن المغيرة وابا جهل
وابا لهب والنضر بن الحارث اجتمعوا وقالوا ان
وفود العرب يجتمعون في ايام الحج وهم يسالون
عن امر محمد وقد اختلفتم في الاخبار عنه فمن
قايل هو مجنون وقايل ساحر وقايل كاهن وتعلم
العرب ان هذا كله لا يجتمع في رجل واحد فيستدلون
باختلاف الاجوبة على انها اجوبة باطلة فسموا محمدا
باسم واحد تجتمعون عليه وتسميه العرب به
فقام رجل منهم فقال انه شاعر فلما سمع صلى
الله عليه وسلم ذلك اشتد عليه ورجع الى بيته
محزونا فتدثر بقطيفة فانزل الله تعالى يا ايها
المدثر وقيل انه ليس المراد التدثر بالثياب

وعلى

وعلى هذا ففيه وجوه احدها قال عكرمة المعنى
يا ايها المدثر بالنبوة والرسالة من قولهم البسه
الله لباس التقوى وزينه برداء العلم قال ابن
العربي وهذا مجاز بعيد لانه لم يكن نبيا بعد اي
على القول بانها اول سورة نزلت واما على انها نزلت
بعد فترة الوحي فليس ببعيد وثانيها ان المدثر بالثوب
يكون كالمختفي فيه وهو صلى الله عليه وسلم كان في
جبل حرا كالمختفي من الناس فكانه قال
يا ايها المدثر بدثار الاختفاء قم بهذا الامر واخرج
من زاوية الخمول واشتغل بانذار الخلق والدعوة
الى معرفة الحق وثالثها انه تعالى جعله رحمة للعالمين
فكانه قيل له يا ايها المدثر باثواب العلم العظيم
والخلق الكريم والرحمة الكاملة قم فانذر عذاب
ربك وعلى كلا القولين في ندائه بذلك ملاطفة في
الخطاب من الكريم الى الحبيب اذ ناداه بحاله وعبر
عنه بصفته ولم يقل يا محمد وربك اي خاصة
فكبر اي عظمه عما يقول عبدة الاوثان وصفه بانه
اكبر من ان يكون له صاحبة وولد في الحديث انهم
قالوا بم نفتتح الصلاة فنزل وربك فكبر اي صفه
بانه اكبر قال ابن العربي وهذا القول وان كان يقتضي
بعمومه تكبير الصلاة فانه يراد به تكبير التقديس

Copyright © King Saud University

والتنزيه بخلع الانداد والاصنام دونه ولا يتخذ
وليا غيره ولا يعبد سواه وروي ان ابا سفيان قال
يوم احد اعل هبل وهو اسم صنم كان لهم فقال
النبي صلى الله عليه وسلم قولوا الله اعلى واجل وقد
صار هذا اللفظ بعرف الشرع في تكبير العبادات كلها
اذانا وصلاة وذكرا بقول الله اكبر وحمل عليه لفظ
النبي صلى الله عليه وسلم الوارد على الاطلاق مواردها
منها قوله تحريمها التكبير وتحليلها التسليم والشرع
يقتضي معرفة ما يقتضي بعزمه ومن
موارده اوقات الاهلال بالله تعالى تخليصا له
من الشرك واعلانا باسمه بالنسك وافرادا لما
شرع من امره بالنسك والمنقول عن النبي صلى
الله عليه وسلم في التكبير في الصلاة هو لفظ الله
اكبر وقال المفسرون لما نزل قوله تعالى وربك
فكبر قام النبي صلى الله عليه وسلم وقال الله اكبر
فكبرت خديجة رضي الله تعالى عنها وفرحت وعلمت
انه وحي من الله تعالى ذكره القشيري وقال مقاتل
هو ان يقال الله اكبر وقيل المراد منه التكبير
في الصلاة واستشكل ذلك على القول بانها اول
سورة نزلت فان الصلاة لم تكن فرضت واجيب
بانه يحتمل انه صلى الله عليه وسلم كان له صلوات

تطوع

تطوع فامر ان يكبر فيها تنبيه دخلت الفاء في قوله
تعالى فكبر وفيما بعده لافادة معنى الشرط كانه قيل
وما يكن فكبر ربك ا والدلالة على ان المقصود الاول
من الامر بالقيام ان يكبر ربه عن الشرك والتشبيه
فان اول ما يجب معرفة الصانع واول ما يجب بعد
العلم بوجوده تنزيهه والقوم كانوا مقرين به
وثيابك فطهر اي من النجاسات لان طهارة الثياب
شرط في صحة الصلاة لاتصح الا بها وهي الاولى والا
حب في غير الصلاة وقبيح بالمومن الطيب ان يحمل
خبثا قال الرازي اذا حملنا التطهير على حقيقته ففي
الاية ثلاث احتمالات الاول قال الشافعي المقصود
من الاية الاعلام بان الصلاة لاتجوز الا في ثياب
طاهرة من الانجاس وثانيها قال عبد الرحمن
ابن زيد بن اسلم كان المشركون لايصونون ثيابهم
من النجاسات فامره الله تعالى ان يصون ثيابه
عنها وثالثها روي انهم القوا على رسول الله صلى
الله عليه وسلم سلا شاة فشق عليه فرجع الى بيته
حزينا وتدثر في ثيابه صلى الله عليه وسلم فقيل
يا ايها المدثر قم فانذر ولا تمنعك تلك السفاهة
عن الانذار وربك فكبر على ان لاينتقم منهم وثيابك
فطهر عن تلك النجاسات والقاذورات وقيل نفوس

Copyright King Saud University

امر بتقصيرها او مخالفة العرب في تطويلهم الثياب وجرهم
الذيول وذلك مما لا يومن منه اصابة النجاسة قال
صلى الله عليه وسلم ازار المومن الى انصاف
ساقيه لا جناح عليه فيما بينه وبين الكعبين ما كان
من اسفل من ذلك ففي النار فجعل صلى الله عليه
وسلم الغاية في لباس الازار الكعب وتوعد على
ما تحته بالنار فما بال رجال يرسلون اذيالهم ويطيلون
ثيابهم ثم يتكلفون رفعها بايديهم وهذه حالة
الكبر وقال صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله الا من
جر ثوبه خيلا وفي رواية من جر ازاره خيلا لم
ينظر الله اليه يوم القيامة قال ابو بكر يا رسول
الله اني احد شقي ازاري يسترخي الا اني اتعاهد
ذلك منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لست ممن يصنعه خيلا وقيل هو امر بتطهير
النفس مما يستقذر من الافعال ويستهجن من
العادات يقال فلان طاهر الثياب وطاهر الجيب
والذيل اذا وصفوه بالنقا من المعايب ومدانس
الاخلاق وفلان دنس الثياب للغادر وذلك لان
الثوب يلابس الانسان ويشتمل عليه فكني به عنه
الا ترى الى قولهم اعجبني زيد ثوبه كما تقول اعجبني
زيد عقله وخلقه ويقولون المجد في ثوبه والكرم

تحت

تحت حلته ولان الغالب ان من طهر باطنه ونقاه عني
بتطهير الباطن وتنقيته واولى لاجتناب الخبث
وايثار الطهر في كل شي وقال عكرمة سيل ابن عباس
عن قوله تعالى وثيابك فطهر فقال لا يلبسها على
معصية ولا على غدر ثم قال اما سمعت قول غيلان
بن سلمة الثقفي

واني بحمد الله لا ثوب فاجر
لبست ولا من غدرة اتقنع

والعرب تقول في وصف الرجل بالصدق والوفا طاهر
الثياب ويقولون لمن غدر انه لدنس الثياب
وقال ابي بن كعب لا تلبسها على غدر ولا على ظلم ولا على
اثم البسها وانت بر طاهر وقال الحسن والقرظي
وخلقك فحسن وقال سعيد بن جبير وقلبك وبيتك
فطهر وقال مجاهد وابن زيد وعملك فاصلح وروى
منصور عن ابي رزين قال يقول وعملك اصلح قال
واذا كان الرجل خبيث العمل قالوا ان فلانا خبيث
الثياب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يحشر المرء في ثوبيه
اللذين مات يعني عمله الصالح والطالح ذكره الماوردي
وقيل المراد بالثياب الاهل اي طهرهم من الخطايا
بالموعظة والتاديب والعرب تسمي الاهل ثوبا ولباسا
وازارا قال تعالى هن لباس لكم وانتم لباس لهن

Copyright © King Saud University

وقيل المراد به الدين اي ودينك فطهر جا في الصحيح انه
صلى الله عليه وسلم قال رايت الناس وعليهم ثياب منها
ما يبلغ الثدي ومنها دون ذلك ورايت عمر ابن الخطاب
وعليه ازار يجره قالوا يا رسول الله فما اولت ذلك قال
الدين وقوله تعالى والرجز فسره النبي صلى الله
عليه وسلم بالاوثان فاهجر اي دم على هجره وقيل
الزاي فيه منقلبة من السين والعرب تعاقب بين السين
والزاي لقرب مخرجهما دليل على هذا التاويل قوله
تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان وروي عن
ابن عباس ان معناه اترك المآثم وقرا حفص بضم
الزاي والباقون بكسرها وهما لغتان ومعناهما واحد
وقال ابو العالية الرجز بضم الزاي الصنم وبالكسر النجاسة
والمعصية وقال الضحاك يعني الشرك وقال الكلبي
يعني العذاب قال البغوي ومجاز الاية اهجر ما اوجب
لك العذاب من الاعمال وقوله تعالى ولا تمنن
تستكثر مرفوع منصوب المحل على الحال اي لا تعط
مستكثرا رائيا لما تعطيه كثيرا واجعله خالصا لله
تعالى ولا تطلب عوضا اصلا ومعنى تستكثر اي طالبا
للكثرة كارها ان ينقص المال بسبب العطا فيكون الاستكثار
هنا عبارة عن طلب العوض كيف كان ليكون عطاؤه
صلى الله عليه وسلم خاليا عن انتظار العوض

والتفات

والتفات النفس اليه وقيل لا تعط شيئا طالبا للكثير نهى
عن الاستغزار وهو ان يهب شيئا وهو يطمع ان يعوض
من الموهوب له اكثر من الموهوب وهذا جائز ومنه
الحديث المستغزر يثاب من هبته وفيه وجهان احدهما
ان يكون نهيا خاصا برسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو ظاهر الاية لان الله تعالى اختار له اشرف
الاداب واحسن الاخلاق والثاني انه نهي تنزيه
لا تحريم له ولامته وقيل انه تعالى لما امره باربعة
اشياء انذار القوم وتكبير الرب وتطهير الثياب وهجر
الرجز ثم قال ولا تمنن تستكثر اي لا تمنن على ربك
بهذه الاعمال الشاقة كالمستكثر لما تفعله ولربك
فاصبر اي على الاوامر والنواهي متقربا بذلك اليه
غير ممتن به عليه وقال الحسن بحسناتك مستكثرها
وقال ابن عباس ولا تعط عطية ملتمسا بها افضل منها
وقيل لا تمنن على الناس بما تعلمهم من امر الدين
والوحي مستكثرا بذلك الانعام فانك انما فعلت ذلك
بامر الله تبارك وتعالى فلا منة لك عليهم ولهذا
قال تعالى ولربك فاصبر وقيل لا تمنن عليهم بنبوتك
اي لتستكثر اي لتاخذ منه اجرا على ذلك تستكثر به
مالك وقال مجاهد والربيع لا تعظم عملك في عينك
ان تستكثر من الخير فانه مما انعم الله تعالى عليك

Copyright © King Saud University

وقال ابن كيسان لا تستكثر عملك فتراه من نفسك انما
عملك منه من الله تعالى عليك اذ جعل لك الله تعالى
سبيلا الى عبادته وقال زيد بن اسلم اذا اعطيت عطية
فاعطها لربك لا تقل دعوت فلم يستجب لي وقيل لا تفعل
الخير لتراي به الناس ولما ذكر تعالى ما يتعلق بارشاد
النبي صلى الله عليه وسلم ذكر بعده وعيد الاشقياء بقوله
تعالى فاذا نقر اي نفخ في الناقور اي في الصور وهو
القرن النفخة الثانية فاعول من النقر من التصويت
واصله القرع الذي هو سبب الصوت والفا للسببية
كانه قال اصبر على زمان صعب تلقى فيه عاقبة صبرك
واعداوك عاقبة صبرهم واذا ظرف لما دل عليه
قوله تعالى فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين
لان معناه عسر الامر على الكافرين وذلك اشارة الى
وقت النقر وهو مبتدا خبره يوم عسير ويومئذ
بدل له او ظرف لخبره اذ التقدير فذلك الوقت وقوع
يوم عسير وقرا على الكافرين واصحاب النار ابو
عمرو والدوري عن الكسائي بالامالة محضة وقرا
ورش بين اللفظين والباقون بالفتح ولما كان العسر
قد يطلق على الشي وفيه يسر من بعض الجهات او يصالح
يرجى تيسيره بين انه ليس كذلك بقوله تعالى غير يسير
فجمع فيه بين اثبات الشي ونفي ضده تحقيقا لامره

ودفعا

ودفعا للمجاز عنه وتقييده بالكافرين يشعر بيسره على
المومنين فانهم لا يناقشون الحساب ويحشرون بيض
الوجوه ثقال الموازين قال الرازي ويحتمل انه عسير
على المومنين والكافرين الا انه على الكافرين اشد
تنبيه قال الحليمي سمي الصور باسمين فان كان
هو الذي ينفخ فيه النفختان فان نفخة الاصعاق تخالف
نفخة الاحيا وجاء في الاخبار ان في الصور ثقبا بعدد
الارواح كلها وانها تجمع في تلك الثقب في النفخة
الثانية فتخرج عند النفخ من كل ثقبة روح الى الجسد
الذي نزعت منه فيعود الجسد حيا باذن الله
تعالى ذرني اي اتركني على اي حالة اتفقت ومن
خلقت معطوف على المفعول او مفعول معه وقوله
تعالى وحيدا فيه اوجه احدها انه حال من اليا
في ذرني اي ذرني وحدي معه فانا اكفيك في
الانتقام منه الثاني انه حال من التا في خلقت
اي خلقته وحدي لم يشركني في خلقه احد فانا
اهلكه الثالث انه حال من عائد المحذوف اي
خلقته وحيدا فوحيدا على هذا حال من ضمير
المفعول المحذوف اي خلقته في بطن امه وحيدا
لا مال له ولا ولد ثم اعطيته بعد ذلك ما اعطيته
قاله مجاهد الرابع ان ينتصب على الذم لانه يقال

ان وحيدا كان لقبا للوليد بن المغيرة المخزومي ومعنى
وحيدا دليلا قيل انه كان يزعم انه وحيد اى
فضله وماله وليس في ذلك ما يقتضي صدق
مقالته لان هذا اللقب له شهرة به وقد يلقب
الانسان بما لا يتصف به واذا كان لقبا تعين نصبه
على الذم قال ابن عباس كان الوليد يقول انا الوحيد
ابن الوحيد ليس لي في العرب نظير ولا لابي المغيرة
نظير قال الرازي ورد هذا القول بعضهم بانه
تعالى يصدقه في دعواه ذلك بانه وحيد لا نظير
له ذكره الواحدي وهو ضعيف من وجوه ثلاثة
لانه قد يكون الوحيد علما فيزول السوال لان
اسم العلم لا يفيد في المسمى صفة بل هو قايم
مقام الاشارة الثاني ان يكون ذلك بحسب ظنه
واعتقاده كقوله عز وجل ذق انك انت العزيز
الكريم الثالث انه وحيد في كفره وعناده وخبثه
لان لفظ الوحيد ليس فيه انه وحيد العلو والشرف في
الرابع قال ابو سعيد الوحيد الذي لا اب له كما تقدم
في الزعم وجعلت له اي باسباب اوجد بها انا وحدي
لا بحول منه ولا قوة بدليل ان غيره اقوى منه بدنا
وقلبا او اوسع فكرا وعقلا وهو دونه في ذلك مالا
ممدودا اي مالا واسعا كثيرا قال ابن عباس هو

ماكان

ماكان للوليد بمكة والطايف من الابل والغنم والحور
والجنان والعبيد والجواري واختلفوا في مبلغه فقال
مجاهد وسعيد بن جبير الف دينار وقال قتادة ستة
الاف دينار وقال سفيان الثوري مرة اربعة الاف
دينار ومرة الف الف دينار وقال ابن عباس تسعة
الاف مثقال فضة وقال الرازي الممدود هو الذي
يكون له مدد ياتي منه الجزء بعد الجزء دايما ولذ لك
فسره عمر غلة شهر بشهر وقال النعمان الممدود
بالزيادة كالزروع والضروع وانواع التجارات
وقال مقاتل كان له بستان بالطايف لا ينقطع ثماره
شتا ولا صيفا وبنين اي وجعلت له بنين شهودا
اي حضورا معه لغناهم من الاسفار بكثرة المال
وانتشار الخدم وقوة الاعوان وهم مع حضورهم
في الذروة مع الحضور بتمام العقل وقوة الحذق
فهم في غاية المعرفة ومع ذلك فهم اعيان المجا لس
وصدور المحافل كانه لا يشاهد به غيرهم قال
مجاهد وقتادة كانوا عشرة وقال السدي والضحاك
كانوا اثني عشر رجلا وعن الضحاك سبعة ولد وا
بمكة وخمسة بالطايف وقال مقاتل كانوا سبعة لعله
اقتصر على من ولد بمكة وعلى كل قول اسلم منهم
ثلاثة خالد الذي من الله على المسلمين باسلامه

Copyright © King Saud University

فكان سيف الله وسيف رسوله صلى الله عليه وسلم وهشام
وعمارة **ومهدت** اي بسطت **له** العيش والعمر والولد
والتمهيد عند العرب التوطية والتهيئة ومنه مهد
الصبي وقال ابن عباس اي وسعت له ما بين اليمن الى
الشام وعن مجاهد انه المال بعضه فوق بعض كما
يمهد الفراش فلم يرع لهذه النعمة العظيمة وقوله
تعالى **تمهيدا** تاكيد **ثم** اي بعد الامر العظيم الذي
ارتكبه من تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يطمع اي بغير سبب يدلي به مما جعلناه سبب المزيد
من الشكران **ازيد** اي فيما اتيته في دنياه او
في اخرته وهو يكذب رسولنا صلى الله عليه وسلم
وقال الحسن ثم يطمع ان ادخله الجنة وكان الوليد
يقول ان كان محمد صادقا فما خلقت الجنة الا لي
فقال الله تعالى ردا عليه وتكذيبا له **كلا** اي
وعزتنا وجلالنا لا تكون له زيادة على ذلك اصلا
واما النقصان فيرى ان استمر على تكذيبه فلير
تدع عن هذا الطمع ولينزجر وليرجع فانه حمق
محض وزخرف بحت وغرور صرف قالوا فما زال
الوليد بعد نزول هذه الاية في نقصان من ماله
وولده حتى هلك فقيرا تنبيه كلا قطع للرجا
عما كان يطمع فيه من الزيادة فيكون متصلا بالكلام

الاول

٢٨١

الاول وقيل كلا بمعنى حقا ويبتدا بقوله تعالى
انه اي هذا الموصوف **كان** اي بخلق كانه جبلة
له وطبع لا يقدر على الانفكاك عنه **لاياتنا** على ما لها
من العظمة خاصة لكونها هادية الى الوحدانية
لا لغيرها من الشبه القايدة الى الشرك **عنيدا** قال
قتادة اي جاحدا وقال مقاتل معرضا وقال مجاهد
انه المجانب للحق وجمع العنيد عند مثل رغيف
ورغف والعنيد بمعنى المعاند والعناد كما قال الملوي
من كبر في النفس ويبس في الطبع او شراسة في
الاخلاق او خبل في العقل وقد جمع ذلك كله ابليس
لانه خلق من نار وهي من طبعها اليبوسة وعدم
الطوعية تنبيه في الاية اشارة الى ان
الوليد كان معاندا في امور كثيرة منها انه كان
يعاند في دليل التوحيد وصحة النبوة وصحة
البعث ومنها ان كفره كان عنادا لانه كان يعرف
هذه الاشيا بقلبه وينكرها بلسانه وكفر العناد
اخس انواع الكفر ومنها ان قوله تعالى كان يدل
على ان هذه حرفته من قديم الزمان **سارهقه**
اي اكلفه **صعودا** اي مشقة من العذاب لا راحة له
فيها روى الترمذي عن ابي سعيد عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه جبل من نار يتصعد فيه سبعين

Copyright © King Saud University

سبعين خريفا ثم يهوي وفي رواية انه كلما وضع
يده في معالجة الصعود ذابت فاذا رفعها عادت
وكذا رجله وقال الكلبي انه صخرة ملساء في النار
يكلف ان يصعدها يجذب من امامه بسلاسل الحديد
ويضرب من خلفه بمقامع الحديد فيصعدها في اربعين
عاما فاذا بلغ ذروتها اسقط الى اسفلها ثم يكلف
ان يصعدها فذلك دابه ابدا ابدا انه اي هذا العنيد
فكر اي ردد فكره وادارها بما لهواه لاجل
الوقوع على شيء يطعن به في القران الى النبي صلى
الله عليه وسلم وقدر اي اوقع تقدير الامور
التي يطعن بها وقاسها في نفسه بعلمه انه اقرب
الى القبول وذلك ان الله تعالى لما انزل على النبي
صلى الله عليه وسلم حم تنزيل الكتاب من
الله العزيز العليم الى قوله المصير قام النبي
صلى الله عليه وسلم في المسجد والوليد ابن
المغيرة قريب منه يسمع قراءته فلما فطن النبي
صلى الله عليه وسلم لاستماعه لقراءته اعاد قراءة
الاية فانطلق الوليد حتى اتى مجلس قومه بني
مخزوم فقال والله لقد سمعت من محمد كلاما آنفا
ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن ان له لحلاوة
وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق

وانه

وانه يعلى ولا يعلى ثم انصرف الى منزله فقالت
قريش صبا والله الوليد والله لتصبان قريش كلها
كلهم فقال ابو جهل انا اكفيكموه فانطلق فقعد الى
جنب الوليد حزينا فقال له الوليد مالي اراك حزينا
يا ابن اخي قال وما يمنعني ان لا احزن وهذه
قريش يجمعون لك نفقة يعينونك على كبر سنك
ويزعمون انك زينت كلام محمد وانك داخل على ابن
ابي كبشة وابن ابي قحافة لتنال من فضل طعامهم
فغضب الوليد وقال الم تعلم اني من اكثرهم
مالا وولدا وهل شبع محمد واصحابه من الطعام
فيكون لهم فضل ثم قام مع ابي جهل حتى اتى
مجلس قومه فقال لهم تزعمون ان محمدا مجنون
فهل رايتموه يخنق قط قالوا اللهم لا قال تزعمون
انه شاعر فهل رايتموه يتعاطى شعرا قط قالوا لا قال
تزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيئا من
الكذب قالوا اللهم لا وكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يسمى الامين قبل النبوة من صدقه فقالت
قريش للوليد فما هو فتفكر في نفسه وقدر ما مر
قال الله تعالى فقتل اي هلك ولعن وطرد في
دنياه نفسه كيف قدر اي على اي كيفية اوقع
تقديره هذا ثم قتل اي هلك ولعن هذا العنيد

هلاكا ولعناهو في غاية العظمة فيما بعد الموت في البرزخ
والقيامة كيف قدر ثم للدلالة على ان الثانية ابلغ من
الاولى ونحوه قوله
الا يا اسلمي ثم اسلمي
ثمت اسلمي ومعنى قول القايل
قتله الله ما اشجعه
واخزاه الله ما اشعره
للاشعار بانه قد بلغ المبلغ الذي هو حقيق بان يحمد
ويدعى عليه حاسده بذلك واما ثم المتوسطة
بين الافعال التي بعدها فهي للدلالة على انه تأنى
في التامل وتمهل وكان بين الافعال المتناسقة
تراخ وتباعد وقوله تعالى ثم نظر عطف على
ذكر وقدر والدعا اعتراض بينهما والنظر اما في رد
وجوه قومه واما فيما يقدح به في القران ثم عبس
اي قبض وجهه وكلحه ونظر مع تقبض جلده وما بين
العينين بكراهة شديدة كالمهتم للتفكر في
شي وهو لا يجد فيه فرجا لانه ضاقت عليه الحيل
لكونه لم يجد فيه مجانبة النبي صلى الله عليه وسلم
مطعنا وقيل عبس وجهه في وجوه المومنين
وذلك انه لما قال لقريش بان محمدا ساحر على
جماعة من المسلمين فدعوه الى الاسلام فعبس

في

في وجوههم وقيل عبس على النبي صلى الله عليه وسلم
حين دعاه وبسر اي زاد في القبض والكلوح يقال
وجه باسر اي منقبض اسود كالح متغير اللون
قاله قتادة ثم اي بعد هذا التروي العظيم ادبر
اي عما [illegible] داه اليه فكره من الايمان بسلامة المنظور
فيه وعلوه عن المطاعن متباعدا عن وجوه الافكار
الى اقتضائها واستكبر اي واوجد الكبر عن الاعتراف
بالحق ايجاد من هو في غاية الرغبة فيه فقال اي
عقب ما جرى اليه طبعه الخبيث من اتباع الكبر
على هذا الوجه لكونه رواه ثانيا فعالهم في الدنيا
ان اي ما هذا اي الذي اتى به محمد صلى الله
عليه وسلم الا سحر اي امور مخيلة لا حقائق
لها وهي لدقتها بحيث تخفى اسبابها اما رايتموه يفرق
بين الرجل واهله وولده ومواليه فما هو الا سحر
يوثر اي من شانه ان ينقله السامع عن غيره
فهل ينقله من مسلمة واهل بابل كما قال ان اي
ما هذا القران الا قول البشر اي ليس فيه شي عن
الله تعالى فلا يغتر احد به ولا يعرج عليه فارتج
النادي فرحا ثم تفرقوا متعجبين بقوله فارتج متعجبين
منه وقيل وهذا انتبه بما قال بعضهم لو قيل ولد
حمس وخمس لاعتنى يوما وليلة بعد وحسب

Copyright © King Saud University

ويقول مفصلة عجيب امرها

ولئن عجبت لهذا الامر العجب

خمس وخمس ستة او سبعة

قولان قالهما الخليل وثعلب

فكان قوله هذا سبب هلاكه فكان كما قال

بعضهم احفظ لسانك ايها الانسان

لا يلدغنك انه ثعبان كم في المقابر من قتيل لسانه

كانت تهاب لقاءه الشجعان

وقوله تعالى سأصليه اي ادخله سقر اي جهنم بوعد لا بد منه عوض قريب بدل من سارهقه صعودا وقوله تعالى وما ادراك ما سقر تعظيم لشانها وقوله تعالى لا تبقي ولا تذر بيان لذلك او حال من سقر والعامل فيها معنى التعظيم والمعنى لا تبقي شيئا يلقى فيها الا اهلكته فاذا اهلكته لم تذره هالكا حتى تعاد او لا تبقي على شيء ولا تدعه من الهلاك بل كل ما يطرح فيها هالك لا محالة وسميت سقر من سقرته الشمس اذا اذابته ولا تنصرف للتعريف والتانيث قال ابن عباس سقر اسم للطبقة السادسة فان دركات النار سبعة جهنم ولظى والحطمة والسعير والجحيم وسقر والهاوية لواحة للبشر قال

تقول

تقول ما لاحك يا مسافر

يا ابنة عمي لاحني الهواجر

للبشر اي محرقة لظاهر الجلد فتدعه اشد سوادا من الليل قال تعالى تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون والبشر اعالي البشرة وهو جمع بشرة وجمع البشر ابشار وعن الحسن تلوح للناس كقوله تعالى ثم لترونها عين اليقين وقيل اللوح شدة العطش يقال لاحه العطش ولوحه اي غيره فقال الاخفش والمعنى انها معطشة للبشر اي لاهلها وانشد

سقتني على لوح من الماء شربة

سقاها من الله الرهام الغوادي

يا

يعني باللوح شدة العطش والرهام جمع رهمة بالكسر وهي المطرة الضعيفة وارهمت السحابة اتت بالرهام عليها تسعة عشر اي من الملائكة وهم خزنتها مالك ومعه ثمانية عشر وقيل التسعة عشر نقيبا وقال اكثر المفسرين تسعة عشر ملكا باعيانهم وقيل تسعة عشر الف ملك قال ابن جريج نعت النبي صلى الله عليه وسلم خزنة جهنم فقال اعينهم كالبرق الخاطف وانيابهم كالصياصي واشعارهم تمس اقدامهم يخرج لهب النار من افواههم ما بين منكبي احدهم مسيرة سنة نزعت

منهم الرحمة يدفع الرحمة يدفع احدهم سبعين الفا فير
ميهم حيث اراد من جهنم قال عمرو بن دينار ان
واحدا منهم يدفع بالدفعة الواحدة في جهنم اكثر
من ربيعة ومضر قال ابن الاثير الصباصي قرون
البقر لما نزلت هذه الاية قال ابو جهل لقريش ثكلتكم
امهاتكم اسمع ابن ابي كبشة يخبران خزنة النار
تسعة عشر وانتم الدهم بني الشجعان افيعجز
كل عشرة منكم ان يبطشوا بواحد من خزنة جهنم
فقال ابو الاشد بن كلدة بن خلف الجمحي انا اكفيكم
منهم سبعة عشر على ظهري وسبعة على بطني فاكفوني
انتم اثنين وروي انه قال امشي بين ايديكم
على الصراط فادفع عشرة بمنكبي الايمن في النار
وتمضي ندخل الجنة فانزل الله عز وجل **وماجعلنا**
اي بما لنا من العظمة وان خفي وجه العظمة فيه على
من عمي قلبه **اصحاب النار** اي خزنتها **الا ملائكة**
اي لم نجعلهم رجالا فتغالبونهم وانما جعلناهم
ملائكة لانهم خلاف جنس المعذبين من الجن
والانس فلا ياخذهم ما ياخذ المجانس من الرحمة
والرافة لانهم اشد باسا واقوى بطشا فقوتهم
اعظم من قوة الانس والجن ولذلك جعل الرسول
الى البشر من جنسهم ليكون له رافة ورحمة بهم

فان

٢٨٥

فان قيل ثبت في الاخبار ان الملائكة مخلوقون من
النور فكيف تطيق المكث في النار اجيب
بان الله تعالى قادر على كل الممكنات فكما انه لا استبعاد
في انه يبقى الحي في مثل ذلك العذاب الشديد ابدا الا
باد ولا يموت فكذا الاستبعاد في ابقاء الملائكة
هناك من غير الم **وماجعلنا** اي بما لنا من العظمة
عدتهم اي مذكورة ومحصورة **الا فتنة** اي بلية
للذين كفروا وقال ابن عباس ضلالة وفتنة مفعول
ثان على حذف مضاف اي الا سبب فتنة وللذين صفة
الفتنة وليست فتنة مفعولا له وقول البيضاوي
وماجعلنا عدتهم الا العدد الذي اقتضى فتنتهم
وهو التسعة عشر تبعا للزمخشري قال ابو حيان انه
تحريف لكتاب الله ان زعم ان معنى الا فتنة للذين
كفروا الا التسعة عشر وهذا لا يذهب اليه عاقل
ولا من له ادنى ذكا وقال الرازي انما صار هذا
العدد سببا لفتنة الكفار من وجهين الاول ان
الكفار يستهزؤن ويقولون لم لا يكونوا عشرين
وما المقتضي لتخصيص هذا العدد والثاني ان
الكفار يقولون هذا العدد القليل كيف يكونون وافين
بتعذيب اكثر العالم من الجن والانس من اول
ما خلق الله الى قيام الساعة واجيب عن الاول

Copyright © King Saud University

بان هذا السؤال لازم على كل عدد يفرض وعن الثاني
بانه لا يبعد ان الله تعالى يرزق ذلك العدد القليل
قوة تفي بذلك فقد اقتلع جبريل عليه السلام مدائن
قوم لوط على احد جناحيه ورفعها الى السما حتى
سمع اهل السما صياح ديكتهم ثم اقلبها فجعل عاليها
سافلها وايضا فاحوال القيامة لا تقاس باحوال
الدنيا ولا للعقل فيها مجال وذكر ارباب المعاني
في تقرير هذا العدد وجهين احدهما ما قاله ارباب
الحكمة ان سبب فساد النفس الانسانية في قوتها
النظرية والعملية هو القوى الحيوانية والطبيعية
فالقوى الحيوانية هي الخمسة الظاهرة والخمسة الباطنة
والشهوة والغضب فهذه اثنى عشر واما القوى
الطبيعية فهي الجاذبة والماسكة والهاضمة
والدافعة والغاذية والمولدة فالمجموع تسعة
عشر فلما كانت هذه منشات لا جرم كان عدد
الزبانية هكذا ثانيهما ان ابواب جهنم سبعة فستة
منها للكفار وواحد للفساق ثم ان الكفار يدخلون
النار لامور ثلاثة ترك الاعتقاد وترك الاقرار
وترك العمل فيكون لكل باب من تلك الابواب الستة
ثلاثة فالمجموع ثمانية عشر واما باب الفساق فليس
هناك الا ترك العمل فالمجموع تسعة عشر معقولة

بغير

بغير العبادة فلا جرم صار عدد الزبانية تسعة عشر
وقوله تعالى **ليستيقن الذين** متعلق بجعلنا لا بفتنة
وقيل بفعل مضمر اي فعلنا ذلك ليستيقن الذين
اوتوا الكتاب اي اعطوا التوراة والانجيل فانه
مكتوب فيهما انه تسعة عشر فذلك موافقة لما
عندهم **ويزداد الذين امنوا** اي من اهل الكتاب
ايمانا اي تصديقا بالموافقة النبي صلى الله عليه
وسلم لما في كتبهم **ولا يرتاب** اي يشك **الذين اوتوا
الكتاب والمومنون** في عددهم فان قيل قد
ثبت الاستيقان لاهل الكتاب وزيادة الايمان
للمومنين فما فائدة ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب
والمومنون اجيب بان الانسان اذا اجتهد
في امر غامض دقيق الحجة كثير الشبه فحصل له
اليقين فربما غفل عن مقدمة من مقدمات ذلك
الدليل الدقيق فيعود الشك فاثبات اليقين في بعض
الاحوال لا ينافي طريان الارتياب بعد ذلك ففائدة
هذه نفي ذلك الشك وانه حصل لهم يقين جازم
لا يحصل عقبه شك البتة **وليقول الذين في قلوبهم
مرض** اي شك ونفاق وان قيل ونزول هذه السورة
قبل وجود المنافقين فهو علم من اعلام النبوة فانه
اخبار بمكة عما سيكون بالمدينة بعد الهجرة ولا ينكر

Copyright © King Saud University

جعل الله تعالى بعض الامور علة اصلاح ناس وفساد
اخرين لانه لا يسأل عما يفعل على ان العلة قد يكون
مقصودة لشي بالمقصد الاول ثم يترتب عليها شي
اخر يكون قصده بالقصد الثاني اخرجت من الخلد لمخافة
الشر ومخافة الشر لا يتعلق بها الغرض **والكافرون**
اي ويقول الراسخون في الكفر الجازمون بالتكذيب
الثابتون لما دل عليه الادلة من الحق **ماذا** اي
اي شي **اراد الله** اي الملك الذي له جميع العظمة
بهذا اي العدد القليل في جنب عظمته **مثلا**
قال الجلال المحلي سموه لغرابته بذلك واعرب
حالا وقال الثاني المثل الحديث ومنه مثل الجنة
التي وعد المتقون اي حديثها والخبر عنها وقال
الرازي انما سموه مثلا لانه لما كان هذا العدد
عددا عجيبا ظن القوم انه لما لم يكن مراد
الله تعالى منه ما يشعر به ظاهره بل جعله مثلا
لشي اخر وتنبيها على مقصود اخر لا جرم سموه
مثلا لانهم لما استغربوه ظنوا انه ضرب مثلا
لغيره ومثلا تمييز او حال وتسميه هذا مثلا على
سبيل الاستعارة لغرابته ولما كان التقدير اراد
بهذا اضلال من ضل وهو لا يبالي وهداية
من اهتدي وهو لا يبالي كانه كانه قيل هل يفعل

مثل

مثل ذلك في غير هذا فقال تعالى **كذلك** اي مثل هذا
المذكور من الاضلال والهداية **يضل الله** اي الذي
له جميع العظمة ومعاقد العز **من يشا** باي كلام
شا كاضلال الله تعالى ابا جهل واصحابه المنكرين
لخزنة جهنم **ويهدي** بقدرته التامة **من يشا** بنفس
ذلك الكلام او بغيره كهداية اصحاب محمد صلى الله
عليه وسلم وهذه الاية تدل على مذهب اهل السنة
لانه تعالى قال في اول الاية وما جعلنا عدتهم
الا فتنة للذين الى قوله في قلوبهم مرض والكا
فرون
ماذا اراد الله بهذا مثلا ثم قال تعالى كذلك يضل
الله من يشا **وما يعلم جنود ربك** اي المحسن
اليك بانواع الاحسان المدبر لامرك **الا هو** اي
الله سبحانه وتعالى قال مقاتل وهذا جواب
لابي جهل حيث قال اما لمحمد اعوان الا تسعة عشر
وقال مجاهد وما يعلم جنود ربك يعني من الملائكة
الذين خلقهم لتعذيب اهل النار ولا يعلم عدتهم
الا الله والمعنى ان تسعة عشر هم خزنة النار
ولهم من الاعوان والجنود من الملائكة ما لا يعلم
عدتهم الا الله تعالى ولو اراد لجعل الخزنة اكثر
من ذلك فقد روي ان البيت المعمور يدخله كل يوم
سبعون الف من الملائكة لا يعود لهم نوبة اخرى

Copyright © King Saud University

وروي ان الارض في السماء كحلقة ملقاة في فلاة
وكل سماء في التي فوقها كذلك وورد في الخبر اطت
السما وحق لها ان تئط ما فيها موضع اربع اصابع
وفي رواية موضع قدم الا وفيه ملك قايم يصلي
وفي رواية ساجدا وانما خص هذا العدد لحكمة لا نعلمها
الا هو ثم رجع الى ذكر سقر فقال تعالى وما هي اي
النار التي هي من اعظم جنوده الا ذكرى للبشر
اي ليتذكروا ويعلموا كمال قدرة الله وانه سبحانه
لا يحتاج الى اعوان وانها رد للبشر مفعول بذكرى
واللام فيه مزيدة وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي
بالامالة محضة وقرا ورش بين بين والباقون
بالفتح وقوله تعالى كلا ردع لمن انكرها او انكار
لان يتذكروا بها قاله البيضاوي وقال البغوي
هذا قسم يقول حقا وقال الجلال المحلي استفتاح
بمعنى الا والقمر اي الذي هو اية الليل الهادية
من ضل بظلماته والليل اذ دبر اي مضى فانقلب
راجعا من حيث جا فانكشف ظلامه وقرا نافع
وحمزة وحفص بسكون الذال المعجمة والدال المهملة
بعدها وبهمزة قطع مفتوحة بين المعجمة والمهملة
الساكنين والباقون بفتح الذال المعجمة وبعدها الف
وفتح المهملة بعد الالف فالقراة الاولى اذ دبر

والثانية

والثانية اذا دبر وكلاهما لغة يقال دبر الليل وادبر
اذا ولى مدبرا ذاهبا قال ابو عمرو وذبر لغة قريش
وقال قطرب دبر اي اقبل تقول العرب دبرني فلان
اي جاخلفي فالليل ياتي وبتبع وقوله تعالى والصبح
اذا اسفر اي افنى وتبين وقوله تعالى انها لاحدى
الكبر جواب للقسم او تعليل لكلا والقسم معترض
للتوكيد والكبر جمع الكبرى جعلت الف التانيث كتابها
فلما جمعت فعلة على فعل جمعت فعلى عليها ونظير
ذلك القواصع في جمع القاصعا كانها جمع قاعلة اي
لاحدى البلايا والكبر وهي الكبر ومعنى كونها
احداهن انها من بينهن واحدة في العظم لا نظير
لها كما تقول هو احد الرجال وهي احدى النساء
وقوله تعالى نذيرا تمييز من احدى على معنى انها
لاحدى الدواهي انذارا كما تقول هي احدى النسا
عفافا وقيل هي حال وقيل هو متصل باول
السورة اي قم نذيرا للبشر قال الزمخشري
وهو من بدع التفاسير وقوله تعالى لمن شاء
اي بارادته منكم بدل من البشر ان يتقدم اي
الى الخير والجنة بالايمان او يتاخر اي الى الشر
او النار بالكفر كل نفس اي ذكرا وانثى على العموم بما
كسبت اي خاصة لا ما كسبت غيرها رهينة اي

Copyright King Saud University

اي مرهونة ماخوذة وليست تأنيث رهين في قوله
تعالى كل امرئ بما كسب رهين لتأنيث النفس لانه لو
قصدت الصفة لقيل رهين لان فعيلا بمعنى مفعول
يستوي فيه المذكر والمونث وانما هي اسم بمعنى الرهن
كالشتيمة بمعنى الشتم كانه قيل كل نفس بما كسبت
رهن ومنه بيت الحماسة ابعد الذي بالنعف نعف
كويكب رهينة رمس ذي تراب وجندل كانه
قال والمعنى كل نفس رهن بكسبها عند الله
غير مفكوك الا اصحاب اليمين وهم المومنون
فانهم فكوا رقابهم بايمانهم وبما احسنوا من
اعمالهم وقيل هم الملائكة وروي عن علي هم
اطفال المسلمين وقال مقاتل هم اهل الجنة الذين
كانوا على يمين ادم يوم الميثاق حين قال لهم
الله هولاء في الجنة ولا ابالي وعنه انهم هم
الذين اعطوا كتبهم بايمانهم وقال الحسن هم
المسلمون الخالصون وقال القاسم كل نفس
ماخوذة بكسبها من خير او شر الا من اعتمد على
الفضل فكل من اعتمد على الكسب فهو رهين به
ومن اعتمد على الفضل فهو غير رهين به ومن
اعتمد على الفضل فهو غير ماخوذ ولما اخرجهم
من حكم الارتهان الذي اطلق على الهلاك لانه

بسببه

٢٨٩

بسببه استطلق بيان حالهم فقال تعالى في جنات
اي بساتين في غاية العظم لانهم اطلقوا انفسهم
وفكوا رقابهم فلم يرتهنوا يتساءلون اي فيما
بينهم يسال بعضهم بعضا او يسالون غيرهم
عن المجرمين اي عن احوالهم ويقولون لهم بعد
اخراج الموحدين من النار ما محتملة للاستفهام
والتعجب والتوبيخ سلككم اي ادخلكم ايها
المجرمون ادخالا هو في غاية الضيق حتى كانكم
اسلاك في الثقب وقراءة السوسي بادغام الكاف
في الكاف والباقون بالاظهار في سقر فاجابوا
بان قالوا لم نك من المصلين اي صلاة يعتد
بها فكان هذا تنبيها على ان رسوخ القدم في الصلاة
مانع من مثل حالهم وعلى انهم معاقبون على
فروع الشريعة وان كانت لا تصح منهم فلو فعلوها
قبل الايمان لم يعتد بها وعلى ان الصلاة اعظم
الاعمال وان الحسنات بها تقدم على غيرها ولم نك
نطعم المسكين اي نعطيه ما يجب علينا اعطاوه
له وكنا نخوض اي نوجه الكلام الذي هو في غير
مواقعه ولا علم لنا به ايجاد المشي من الخائض في ماء
غمر مع الخائضين بحيث صار لنا هذا وصفا لازما
فنقول في القرآن انه سحر وانه شعر وانه كهانة

Copyright © King Saud University

وغير هذا من الاباطيل لانتورع عن شي من ذلك
ولا نتفق مع عقل ولا نرجع الى صحيح نقل فلياخذ الذين
يبادرون الى الكلام في كل ما يسالون عنه من انواع
العلم من غير تثبت منزلتهم من هنا **وكنا نكذب** اي
بحيث صار ذلك وصفا ثابتا **بيوم الدين** اي بيوم البعث
والجزا **حتى اتانا اليقين** اي الموت او مقدماته التي
قطعتنا عن دار العمل قال الله تعالى حتى ياتيك فان
قيل لم اخر التكذيب وهو افحش الخصال الاربع
اجيب بانهم بعد اتصافهم بتلك الامور
الثلاثة كانوا مكذبين بيوم الدين والغرض تعظيم
الذنب كقوله تعالى كانوا من الذين امنوا ولما اقروا
على انفسهم بما اوجب العذاب الدائم فكانوا ممن
قد مزاجه فتعذر علاجه تسبب عنه قوله
تعالى **فما تنفعهم** اي في حال اتصافهم بهذه الصفات
شفاعة الشافعين اي لا شفاعة لهم فلا انتفاع
بها وليس المراد ان ثم شفاعة غير نافعة كقوله تعالى
ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهذه الاية تدل على
صحة الشفاعة للمذنبين من المومنين بمفهوم منها
لان تخصيص هولاء لا تنفعهم شفاعة الشافعين
قال عبد الله بن مسعود تشفع نبيكم صلى الله عليه
وسلم رابع اربعة جبريل ثم ابراهيم ثم موسى وعيسى

ثم

ثم نبيكم صلى الله عليه وسلم ثم الملائكة ثم النبيون
ثم الصديقون ثم الشهدا ويبقى قوم في جهنم فيقال
لهم ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين الى
قوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين قال عبد الله
ابن مسعود فهولاء الذين في جهنم **فما لهم عن التذكرة**
معرضين اي فما لاهل مكة قد اعرضوا وولوا عن
القران من وجهين احدهما الجحود والانكار والثاني ترك
العمل بما فيه وقيل المراد بالتذكرة العظة بالقران
وغيره من المواعظ ومعرضين حال من الضمير في
الحال الواقع خبرا عن ما الاستفهامية ومثل هذه
الحال تسمى حالا لازمة وعن التذكرة متعلق به اي
شي حصل لهم في اعراضهم عن الاتعاظ **كانهم**
في اعراضهم عن التذكرة من شدة النفرة **حمر**
اي من حمر الوحش وهي اشد الاشيا نفارا ولذلك
كان اكثر تشبيهات العرب في وصف الابل بسرعة السير
بالحمر في عدوها اذا وردت ما فاخذت تماير بها
مستنفرة اي موجدة للنفار بغاية الرغبة حتى
كانها تطلبها من انفسها لانه شانها وطبعها وقرا
ابن عامر ونافع بفتح الفا على انه اسم مفعول اي
نفرها القناص والباقون بكسرها بمعنى نافرة **فرت**
من قسورة قال مجاهد هي جماعة الرماة الذين

كرة

Copyright © King Saud University

يقصد ونها لا واحد له من لفظه وهي رواية عن ابن عباس
وقال سعيد بن جبير هي القناص وعن زيد بن اسلم
فريق من رجال اقويا وكل ضخم شديد عند العرب
قسور وقسورة وعن ابي المتوكل هي لغط القوم واصو
اتهم وروى عكرمة عن ابن عباس قال حبال الصيا
دين وقال ابو هريرة هي الاسد وهو قول عطا والكلبي
وذلك ان الحمر الوحشية اذا عاينت الاسد هربت
كذلك هولاء المشركين اذا سمعوا النبي صلى الله
عليه وسلم يقرا القران هربوا وعن عكرمة ظلمة
الليل ويقال لسواد الليل قسورة وفي تشبيههم
بالحمر مذمة ظاهرة وتهجين في اعراضهم كما في
قوله تعالى كمثل الحمار يحمل اسفارا شهادة عليهم
بالبله في اعراضهم وقلة العقل ولما كان الجواب
قطعا لا شي لهم في اعراضهم هذا اضرب عنه
بقوله تعالى قطعا لا شي لهم في اعراضهم هذا
اضرب عنه بقوله تعالى بل يريد اي على دعواهم
في زعمهم كل امرئ منهم اي المعرضين من ادعيائه
الكمال في المروءة ان يؤتى اي من السماء صحفا اي
قراطيس مكتوبة منشرة اي مفتوحة وذلك ان
ابا جهل وجماعة من قريش قالوا يا محمد لا نومن بك
حتى تاتي كل واحد منا بكتاب من السماء عنوانه

من

من رب العالمين الى فلان بن فلان ونومر فيه باتباعك
ونظيره لن نومن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه
وعن ابن عباس كانوا يقولون ان كان محمد صادقا فليصبح
عند راس كل واحد منا صحيفة فيها براءة من النار
وقال الكلبي ان المشركين قالوا يا محمد بلغنا ان الرجل
من بني اسرائيل كان يصبح مكتوبا عند راسه ذنبه
وكفارته فاتنا بمثل ذلك وقالوا اذا كان ذنوب
الانسان تكتب عليه فما لنا لا نرى ذلك قال البغوي
والصحف جمع الصحيفة ومنشرة منشورة قال الله
تعالى كلا اي لا يوتون الصحف وقيل حقا قال البغوي
وكل ما ورد عليك منه فهذا وجهه قال ابن عادل
والاول اجود لانه رد لقولهم ثم بين تعالى سبب
اعراضهم بقوله تعالى بل لا يخافون اي في زمن
من الازمان الاخرة فهذا هو السبب في اعراضهم
وقوله تعالى كلا استفهام قال الجلال المحلي
وقال البيضاوي ردع عن اعراضهم وتبعه ابن عادل
حقا انه اي القران تذكرة اي عظة توجب ايجا با
عظيما اتباعه وعدم الانفكاك عنه بوجه فليس
لاحد ان يقول انا مغرور لم احد مذكرا ولا
معرفا فان عنده اعظم مذكر واشرف معرف فمن
شا اي ان يذكره ذكره اي اتعظ به وجعله نصب

Copyright © King Saud University

عينيه وعلم معناه وتخلق به فمن فعل ذلك سهل
عليه لفظه وبعض معانيه فالكل كالبحر الفرات فمن شا
اغترف وما يذكرون اي في وقت من الاوقات الا ان
يشا الله اي الملك الاعظم الذي لا امر لاحد معه
ذكرهم او مشيتهم كقوله تعالى وما تشاؤن الا ان
يشا الله وهو تصريح بان فعل العبد بمشيته الله تعالى
وقرا نافع بتا الخطاب وهو التفات من الغيبة
الى الخطاب والباقون بيا الغيبة حملا على ما تقدم
من قوله تعالى كل امرئ هو اي الله سبحانه
وتعالى وحده اهل التقوى اي ان يتقيه عباده
ويحذروا غضبه بكل ما تصل قدرهم اليه لما له
من الجلال والعظمة والقهر وقرا حمزة والكسائي
بالامالة محضة وابو عمرو بين بين وقرا ورش
بالفتح وبين اللفظين واهل المغفرة اي وحقيق ان
يطلب غفرانه للذنوب لاسيما اذا اتقاه المذنب
لان له الجمال واللطف وهو القادر ولا قدرة لغيره
فلا ينفعه شي ولا يضره روى احمد والترمذي
والحاكم عن انس ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال في هذه الاية هو اهل التقوى واهل المغفرة
يقول الله تعالى انا اهل ان اتقى فمن اتقى ان يشرك
غيري فانا اهل ان اغفر له ووقف الكسائي على

اهل

اهل المغفرة بالامالة على اصله وورش بترقيق الراء
وقفا ووصلا على اصله وقول البيضاوي تبعا
للزمخشري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من
قرا سورة المدثر اعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد
من صدق بمحمد وكذب به حديث موضوع

سورة القيامة مكية

وهي تسع وثلاثون اية ومائة وتسع وتسعون كلمة
وثمانمائة واثنان وخمسون حرفا بسم الله الذي له
الجلال والكمال الرحمن الذي عم بنعمة الايجاد
اهل الهدى والضلال الرحيم الذي سدد اهل العنا
في الافعال والاقوال واختلف في لا في قوله تعالى
لا اقسم على وجوه احدها انها نافية لكلام المشركين
المنكرين للبعث اي ليس الامر كما زعموا ثم ابتدا
اقسم بيوم القيامة قال القرطبي ان القران جاء
بالرد على الذين انكروا البعث والجنة والنار
فجا الاقسام بالرد عليهم كقولك لا والله لا افعل
فلا رد لكلام قد مضى كقولك لا والله ان القيامة
لحق كانك اكذبت قوما انكروه الثاني انها مزيدة
مثلها في لئلا يعلم اهل الكتاب واعترضوا هذا
بانها انما تزاد في اوساط الكلام لا في اوله بانها
انما تزاد في اوساط الكلام لا في اوله واجيب

Copyright © King Saud University

بان القران في حكم سورة واحدة متصل بعضه ببعض
يدل عليه انه قد يجي ذكر الشي في سورة ويذكر جوابه
في سورة اخرى كقوله تعالى يا ايها الذي نزل عليه الذكر
انك لمجنون وجوابه في سورة اخرى ما انت بنعمة
ربك بمجنون واذا كان كذلك كان اول هذه السورة
جاريا مجرى الوسط ورد هذا بان القران في حكم
السورة الواحدة في عدم التناقض لان تعرض سورة
لما بعدها فذلك غير جائز الثالث قال الزمخشري
ادخال لا النافية على فعل القسم مستفيض في
كلامهم واشعارهم قال امرؤ القيس

لا وابيك ابنة العامري

لا يدعي القوم اني افر

وفايدتها توكيد القسم ثم قال الزمخشري بعد
ان ذكر وجه الزيادة والاعتراض والجواب
كما تقدم والوجه ان يقال هي للنفي والمعنى في ذلك
انه لا يقسم بالشي الا اعظاما له يدل عليه قوله تعالى
فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم
فكانه بادخال حرف النفي يقول ان اعظامي له باقسامي
به كلا اعظام يعني انه يستاهل فوق ذلك قال
بعضهم قول الزمخشري والوجه ان يقال الى اخره
تقرير لقوله ادخال لا النافية فيه على فعل القسم

مستفيض

مستفيض الى اخره وحاصل كلامه يرجع الى انها
نافية وان النفي متسلط على فعل القسم بالمعنى الذي
شرحه وليس فيه نفع لفظا ولا معنى وقراة ابن كثير
بخلاف عن البزي بغير الف بعد اللام والهمزة مضمومة
والباقون بالالف ونعبر عن قراة ابن كثير بالقصر
وعن قراة الباقين بالمد ولا خلاف في قوله ولا
اقسم بالنفس اللوامة في المد والكلام في لا المتقدم
وجرى الجلال المحلى على انها زايدة في الموضعين
واختلفوا في النفس اللوامة فقيل هي نفس المومن
الذي لا تراه الا يلوم الا نفسه تقول ما اردت بكذا ولا
تراه يعاتب الا نفسه وقال الحسن هي والله نفس
المومن ما ترى المومن الا يلوم نفسه وقال مجاهد
هي التي تلوم على ما فات فتلوم نفسها على الشر لم
فعلته وعلى الخير لم لا تستكثر منه وقيل تلوم نفسها
بما تلوم عليه غيرها وقيل المراد ادم عليه السلام
لم يزل لايما نفسه على معصيته التي اخرج بها من
الجنة وقيل هي الملومة فتكون صفة ذم وهو قول
من نفى ان تكون قسما وعلى الاول صفة مدح فيكون
القسم بها سايغا وقال مقاتل هي نفس الكافر يلوم
نفسه غدا في الاخرة على ما فرط في جنب الله تعالى
وجواب القسم محذوف اي لتبعثن دل عليه

Copyright © King Saud University

قوله تعالى أيحسب الانسان اي هذا النوع الذي
جبل على الانس بنفسه والنظر في عطفيه واسند
الفعل الى النوع كله لان اكثرهم كذلك لغلبة الحظوظ
على العقل الا من عصمه الله تعالى وقرأ ابن عامر
وعاصم وحمزة بفتح السين والباقون بكسرها ان
اي انا لا لن نجمع اي على ما لنا من العظمة عظامه
اي التي هي قالب بدنه فنعيدها كما كانت بعد تمزقها
وتفتتها للبعث والحساب وقيل نزلت في عدي ابن
ربيعة حليف بني زهرة قال الاخنس ابن شريق
الثقفي وذلك ان عديا اتى النبي صلى الله عليه
وسلم فقال يا محمد حدثني عن القيامة متى تقوم
وكيف امرها وحالها فاخبره النبي صلى الله عليه
وسلم بذلك فقال لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك
ولم اومن بك او يجمع الله العظام بعد تفرقها ورجو
عها رميما ورفاتا مختلطا بالتراب وبعد ما سفتها
الرياح وطيرتها في اباعد الارض ولهذا كان
النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اكفني جاري
السوء عدي ابن ربيعة والاخنس بن شريق وقيل
نزلت في عدو الله ابو جهل انكر البعث بعد الموت
وذكر العظام والمراد نفسه كلها لان العظام قالب
الخلق تنبيه ان هنا موصولة وليس بين

الهمزة

الهمزة واللام نون في الرسم كما ترى وقوله تعالى
بلى ايجاب لما بعد النفي المنسحب عليه الاستفهام
وهو وقف حسن ثم يبتدأ بقوله تعالى قادرين
وقيل المعنى بل نجمعها قادرين مع جمعها على ان نسوي
بنانه اي اصابعه وسلامياته وهي عظامه الصغار
التي في يده خصها بالذكر لانها اطرافه وآخر ما يتم
به خلقه ان نجمع بعضها على بعض على ما كانت عظامه
وتفتتها فنقدر على جمعها وتوصيلها وقدرنا على
جمع صغار العظام فنحن على جمع كبارها اقدر وقال ابن
عباس واكثر المفسرين على ان نسوي بنانه اي نجعل
اصابع يديه ورجليه شيئا واحدا كخف البعير
او كحافر الحمار او كظلف الخنزير فلا يمكنه ان يعمل بها
شيئا لكنا فرقنا اصابعه حتى يفعل بها ما شاء وقيل
نقدر على ان نصير الانسان في هيئة البهائم فكيف
في صورته التي كان عليها وهو كقوله تعالى وما نحن
بمسبوقين على ان نبدل امثالكم وننشئكم فيما
لا تعلمون وقوله تعالى بل يريد الانسان عطف على
ايحسب فيجوز ان يكون استفهاما وان يكون ايجابا
لجواز ان يكون الاضراب عن المستفهم او عن الاستفهام
ليفجر امامه اي ليدوم على فجوره فيما يستقبله من
زمان لا يبرح عنها ولا يتوب هذا قول مجاهد وقال

Copyright © King Saud University

سعيد بن جبير يقدم الذنب ويؤخر التوبة فيقول سوف
اتوب سوف اعمل حتى ياتيه الموت على اشر احواله واسوء
اعماله وقال الضحاك هو الاجل يقول اعيش فاصيب
من الدنيا كذا وكذا ولا يذكر الموت وقال ابن عباس
يكذب بما امامه من البعث والحساب واصل الفجور
الميل وسمي الكافر والفاسق فاجرا لميله عن الحق
يسأل اي سؤال استهزاء او استبعاد ايان اي اي
وقت يكون يوم القيامة ولما كان الجواب يوم يكون
كذا وكذا عدل عنه الى ما سبب عن استبعاده لانه
الهول فقال تعالى فاذا برق البصر اي شخص ووقف
لما يرى مما كان يكذب به هذا على قراءة نافع بفتح الراء
واما على قراءة بكسرها فالمعنى تحير ودهش مما يرى
وقيل هما لغتان في التحير والدهشة وخسف القمر
اي اظلم وذهب ضوءه وقد اشتهر ان الخسوف
للقمر والكسوف للشمس وقيل يكونان فيهما يقال
خسفت الشمس وكسفت وخسف القمر وكسف
وقيل الكسوف اوله والخسوف اخره ولم يلحق علامة
التانيث في قوله تعالى وجمع الشمس والقمر لان التانيث
مجازي وقيل لتغليب التذكير ورد بانه لا يقال
قام هند وزيد عند الجمهور من العرب وقال الكسائي
حمل على جمع النيرين وقال الفراء لم يقل جمعت لان المعنى

جمع

جمع بينهما قال الفراء والزجاج جمع بينهما في ذهاب ضوئهما
فلا ضوء للشمس كما لا ضوء للقمر بعد خسوفه وقال ابن
عباس وابن مسعود قرن بينهما في طلوعهما من المغرب
اسودين مكورين مظلمين مقرنين كانهما ثوران عقيران
في النار وقال عطاء ابن يسار يجمع بينهما يوم القيامة ثم
يقذفان في البحر فيكونان نار الله الكبرى وقيل
يجمعان في نار جهنم لانهما قد عبدا من دون الله
تعالى ولا تكون النار عذابا لهما لانهما جماد وانما يفعل
ذلك بهما زيادة في تبكيت الكفار وحسرتهم وقوله
تعالى يقول الانسان اي لشدة روعه جريا مع طبعه
جواب اذا من قوله تعالى فاذا برق البصر يومئذ اي
اي اذا كانت هذه الاشياء وقوله تعالى اين المفر
منصوب المحل بالقول والمفر مصدر بمعنى الفرار
قال الماوردي ويحتمل وجهين احدهما اين المفر
من الله تعالى استحياء منه والثاني اين المفر من
جهنم حذرا منها ويحتمل هذا القول من الانسان
وجهين احدهما ان يكون من الكافر خاصة في عرصة
القيامة دون المؤمن لثقة المؤمن ببشرى ربه
والثاني ان يكون من قول المؤمن والكافر عند
قيام الساعة لهول ما شاهدوا منها وقيل ابو
جهل خاصة وقوله تعالى كلا ردع عن طلب المفر

Copyright © King Saud University

لاوزر اى لاملجا ولا حصن استغير من الجبل قال
السدى كانوا فى الدنيا اذا فزعوا تحصنوا فى الجبال فقال
الله تعالى لهم لاوزر يعصمكم يومئذ منى واشتقاقه
من الوزر وهو الثقل الى ربك اى المحسن اليك
بانواع الاحسان لا الى شى غيره يومئذ اى اذ كانت
هذه الامور المستقر اى استقرار الخلق كلهم ناطقهم
وصامتهم ومكان قرارهم وزمانه الى حكمه سبحانه
ومشيته ظاهرا وباطنا لا حكم لغيره بوجه من
الوجوه فى ظاهر ولا باطن كما هو فى الدنيا وقال
ابن مسعود المصير والمرجع قال الله تعالى الى
ربك الرجعى والى المصير وقال السدى المنتهى
نظيره وان الى ربك المنتهى ينبا اى يخبر
تخبيرا عظيما الانسان يومئذ اى اذ كان هذا الزلزال
الاكبر بما قدم قال ابن مسعود وابن عباس بما قدم
قبل موته من عمل صالح وسىء واخر بعد موته
من سنة حسنة او سيئة يعمل بها وقال عطية
عن ابن عباس بما قدم من المعصية واخر من الطاعة
وقال قتادة بما قدم من طاعة الله واخر من حق
الله فضيعه وقال مجاهد باول عمله واخره
وقال عطا بما قدم فى اول عمره وما اخر فى اخر عمره
وقال زيد بن اسلم بما قدم من اموال نفسه وما

اخر

اخر خلفه للورثة والاولى ان يقال ينبا بجميع ذلك اذ لا
منافاة بين هذه الاقوال بل الانسان اى كل واحد من
هذا النوع على نفسه اى خاصة بصيرة اى حجة
بانية على اعماله والهاء للمبالغة يعنى انه فى غاية
المعرفة باحوال نفسه فيشهد عليه بعمله سمعه
وبصره وجوارحه قال الله تعالى كفى بنفسك اليوم
عليك حسيبا قال البغوى ويحتمل ان يكون معناه
بل الانسان على نفسه يعنى جوارحه بحذوف حرف
الجر كقوله تعالى وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم
اى لاولادكم ويجوز ان يكون نعتا لاسم مونث اى
بل الانسان على نفسه عين ولو القى اى ذكر بغاية
الدعة ذلك الانسان من غير تلعثم دلالة على
غاية الصدق والاهتمام والتملق وقوله تعالى
معاذيره جمع معذرة على غير قياس قاله الجلال
المحلى اى لو جا بكل معذرة ما قبلت منه وقال
الزمخشرى المعاذير ليس بجمع معذرة وانما هو اسم
جمع لها ونحوه المناكير فى المنكر انتهى قال ابو
حيان وليس هذا البنا من ابنية اسما الجموع
وانما هو من ابنية جموع التكسير والمعنى انتهى وقيل
معاذير جمع معذار وهو الستر والمعنى ولو ارخى س
ستوره والمعاذير الستور بلغة اليمن قاله الضحاك

Copyright © King Saud University

وحكى الماوردي عن ابن عباس ولو القى معاذيره اي
ولو تجرد عن ثيابه ولما كان صلى الله عليه وسلم
اذا لقن الوحي نازع جبريل عليه السلام القراءة
ولم يصبر الى ان يتمها مسارعة الى الحفظ وخوفا
من ان ينفلت عنه امره الله تعالى بان ينصت
له ملقيا اليه بقلبه وسمعه حتى يقضي الله تعالى
وحيه ثم يعقبه بالدراسة اي ترسيخ فيه بقوله
تعالى لا تحرك به اي بالقران لسانك اي لتاخذه
على عجلة مخافة ان ينفلت منك فان هذه العجلة
وان كانت من الكمالات بالنسبة اليك والى اخوانك
من الانبيا عليهم السلام كما قال موسى عليه
السلام وعجلت اليك رب لترضى فنقل صلى
الله عليه وسلم من مقام كامل الى اكمل منه ثم
علل النهي عن العجلة بقوله تعالى ان علينا اي بما لنا
من العظمة لا على احد سوانا جمعه اي في صدرك
حتى تثبته وتحفظه وقرانه اي قراتك اياه
بمعنى جريانه على لسانك فاذا قراناه عليك بقراءة
جبريل عليه السلام فاتبع اي بغاية جهدك
بالقا سمعك واحضار قلبك قرانه اي قراءته
مجموعة على حسب ما اداه رسولنا وجمعناه لك في
صدرك وكرر تلاوته حتى يصير لك به ملكة عظيمة

ما دام جبريل عليه السلام يقروه لتعجل به صح

ويصير

ويصير لك خلقا فيكون قايدك الى كل خير وروى ابن
عباس في قوله عز وجل لا تحرك به لسانك لتعجل به
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل جبريل
بالوحي كان مما يحرك به لسانه وشفتيه فيشتد عليه
وكان يعرف منه فانزل الله تعالى الاية التي في لا اقسم
بيوم القيامة لا تحرك به لسانك الاية فكان صلى
الله عليه وسلم اذا اتاه جبريل عليه السلام اطرق
فاذا ذهب قراه كما وعده الله تعالى قال سعيد
بن جبير قال ابن عباس فانا احركهما لك كما كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يحركهما فانزل
الله عز وجل الاية ثم ان علينا اي بما لنا من العظمة
بيانه اي بيان الفاظه ومعانيه لك سوا اسمعته
من جبريل عليه السلام على مثل صلصلة الجرس
ام بكلام الناس المعتاد بالصوت والحرف ونفسره
على لسانك وعلى السنة العلما من امتك والاية
مشيرة الى ترك مطلق العجلة لانه اذا نهى عنها
في اعظم الاشيا فانهم ما كان غيره بطريق الاولى
والمناسبة بين هذه الاية وما قبلها ان تلك
تضمنت الاعراض عن ايات الله تعالى وهذه تضمنت
المبادرة اليها بحفظها وقوله تعالى كلا استفتاح
بمعنى الا وقال الزمخشري ردع للنبي صلى الله

Copyright © King Saud University

عليه وسلم عن عادة العجلة وقال جماعة من المفسرين
حقا والاول جرى عليه الجلال المحلى وهو اظهر بل
يحبون متجددة على تجدد الزمان العاجلة بدليل
انهم يقبلون غاية الاقبال عليها وجها او حيث
لهم ارتكاب ما يفعلون فيها فان الاخرة والاولى
ضرتان من تقرب من احدهما لابد من تباعده
عن الاخرى فان حبك للشي يعمي ويصم ويذرون
اي يتركون على اي وجه كان ولو انه غير مستحسن
الاخرة لانهم يبغضونها لارتكابهم ما يفترقهم
فيها وجمع الضمير وان كان مبنى الخطاب مع الانسان
للمعنى وقرأ قل يحبون ويذرون ابن كثير وابو
عمرو وابن عامر بيا الغيبة فهما حملا على لفظ
الانسان بمعنى الناس والباقون بتا الخطاب فهما
اما خطابا للكفار لكفار قريش اي تحبون يا كفار قريش
العاجلة اي الدار الدنيا والحياة فيها وتتركون
الاخرة والعمل لها واما التفاتا عن الاخبار عن
الجنس المتقدم والاقبال عليه بالخطاب ولما ذكر
تعالى الاخرة التي اعرضوا عنها ذكر ما يكون فيها بيانا
لجهلهم وسفههم وقلة عقولهم وترهيبا لمن ادبر
عنها وترغيبا لمن اقبل عليها الطافا بهم ورحمة
لهم فقال تعالى وجوه اي من المحشورين وهم جميع

الخلائق

الخلائق يومئذ اي اذ تقوم القيامة ناضرة من
النضرة بالضاد وهي النعمة والرفاهية اي هي بهيئة
مشرقة عليها اثر النعمة بحيث يدل ذلك على نعمة اصحا
بها الى ربها اي المحسن اليها خاصة باعتبار ان عدا
النظر الى غيره كلا نظر ناظرة اي دائما هم محدقون
ابصارهم لا غفلة لهم عن ذلك فاذا رفع الحجاب
عنهم ابصروه باعينهم بدليل التعدي بالى وذلك
النظر جهرة من غير اكتتام فلا انضمام ولا ازدحام كما قاله
ابن عباس واكثر المفسرين وجميع اهل السنة وروي
عن النبي صلى الله عليه وسلم في الاحاديث الصحيحة
من وجوه كثيرة بحيث اشتهر غاية الشهرة
وتكون الرؤية كما ثبتت في الاحاديث كما يرى القمر
ليلة البدر اي كل من يريد رؤيته من نسبة يراه
يحليا له هذا وجه التشبيه لانه في جهة ولا محالة
لها تنزه تعالى الله الكريم عن التشبيه من تلك
الاحاديث ما روي عن جرير بن عبد الله قال خرج
علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر
ليلة البدر فقال صلى الله عليه وسلم انكم سترون
ربكم عيانا كما ترون القمر لا تضامون في رؤيته
فان استطعتم ان لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع
الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا ثم قرأ وسبح

Copyright© King Saud University

بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها وفي كتاب
النسائي عن وهب قال ينكشف الحجاب فينظرون اليه
فوالله ما اعطاهم ربنا احب اليهم من النظر ولا اقر
لاعينهم وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يتجلى ربنا عز وجل حتى تنظر فيخرون
له سجدا فيقول تعالى ارفعوا رؤسكم فليس هذا
يوم عبادة وقدم الجار الدال على الاختصاص اشارة
الى ان هذا النظر مباين للنظر الى غيره فلا يعد ذلك
نظرا بالنسبة اليه وعبر بالوجوه عن اصحابها لانها
ادل على ما يكون على السرور وليكون ذكرها اصرح
في ان المراد بالنظر حقيقته روى مسلم في قوله
تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة كان ابن عمر
يقول اكرم اهل الجنة على الله من ينظر الى وجهه
غدوة وعشية ثم تلى هذه الروية وانكر الروية
المعتزلة واحتجوا بقوله تعالى لا تدركه الابصار
ويقولون النظر المعروف بالى ليس اسما للروية
بل لمقدمة الروية وهي تقليب الحدقة نحو المدرك
التماسا لرويته ونظر المعنى بالنسبة الى الروية
كنظر القلب بالنسبة الى المعرفة وكالاصغا بالنسبة
الى السمع ويدل على ذلك قوله تعالى وتراهم ينظرون
اليك وهم لا يبصرون فاثبت النظر حال عدم

الروية

الروية فتكون الروية غاية النظر وان النظر يحصل
والروية غير حاصلة قالوا ويمكن ان يكون معنى قوله
تعالى ناظرة اي منتظرة كقولك انا انظر اليك في حاجتي
واجيب عن استدلالهم بقوله تعالى لا تدركه
الابصار بان لا تدركه بالاحاطة والجهة فلا يكون
ذلك مانعا للروية لا على هذا الوجه وعن بقية استدلالهم
بما ذكرون بجوابين احدهما ان نقول النظر يفيد الروية
لقوله موسى عليه السلام ارني انظر اليك فلو كان المراد
تقليب الحدقة نحو المرئي لاقتضت الاية اثبات
الجهة والمكان ولانه اخر النظر عن الاراءة فلا
يكون تقليبا للحدقة الجواب الثاني سلمنا
ما ذكرتموه من ان النظر تقليب الحدقة تعذر حمله
على الحقيقة فيجب حمله على الروية اطلاقا لاسم
السبب على المسبب وهو اولى من حمله على الانتظار
لعدم الملازمة لان تقليب الحدقة لا سبب للروية
ولا تعلق بينه وبين الانتظار واما قولهم نحمله على
الانتظار فاجيب عنه ايضا بان الذي هو بمعنى
الانتظار في القرآن غير مقرون بالى كقوله تعالى انظرونا
نقتبس من نوركم هل ينظرون الا ان والذي
ندعيه ان النظر المقرون بالى ليس الا بمعنى الروية
لان وروده بمعنى الروية ظاهر فلا يكون بمعنى

لالهم

ونا

Copyright © King Saud University

الانتظار دفعا للاشتراك ولما ذكر تعالى اهل النعمة
اتبعه اضدادهم من اهل النقمة فقال تعالى **ووجوه**
يومئذ اي في ذلك اليوم بعينه **باسرة** اي شديدة
العبوس والكلوح والتكره لما هي فيه من الغم كانها
قد عرفت ضد وقال السدي باسرة متغيرة **تظن**
اي تتوقع اربابها بما ترى من المخايل **ان يفعل بها**
اي بهم فانه اذا اصيب الوجه الذي هو اشرف ما في
الجملة كان ما عداه اولى **فاقرة** وهي الداهية العظيمة
قال ابو عبيدة سميت بذلك لانها تكسر فقار الظهر
يقال فقرته الفاقرة اي كسرت فقار ظهره ومنه سمي
الفقير لانكسار فقاره من القل وقال قتادة الفاقرة
الشر وقال السدي الهلاك وقال ابن عباس دخول
النار وقال الكلبي هي ان تحجب عن رؤية الرب
عز وجل وقوله تعالى **كلا** ردع عن ايثار الدنيا
على الاخرة قاله البيضاوي تبعا للزمخشري
كانه قيل ارتدعوا عن ذلك وتنبهوا على ما بين
ايديكم من الموت الذي عنده تنقطع العاجلة عنكم
وتنتقلون الى الاجلة التي تبقون فيها مخلدين **اذا**
بلغت النفس **التراقي** واضمر النفس وان لم يجر
لها ذكر لان الكلام الذي وقعت فيه يدل عليها
كما قال حاتم

اماوي

اماوي ما يغني الثراء عن الفتى
اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر
وتقول العرب ارسلت يريدون جاء المطر ولا تكاد تسمعهم
يذكرون السماء والتراقي جمع ترقوة وهي العظام المكتنفة
لثغرة النحر عن يمين وشمال ولكل انسان ترقوتان قال
البقاعي ولعله جمع المثنى اشارة الى شدة انتشارها بغاية
الجهد لما فيه من الكرب لاجتماعها من اقاصي البدن
الى هناك انتهى وهذا كناية عن الاشفاء على الموت
ذكرهم صعوبة الموت الذي هو اول مراحل الاخرة وحين
تبلغ الروح التراقي ودنى زهوقها **وقيل** اي قال
حاضروا صاحبها وهو المحتضر بعضهم لبعض هل
من راق اي ايكم يرقيه مما به ليحصل له الشفا وقال
ابن عباس هو من كلام الملائكة ايكم يرقى بروحه
ملائكة الرحمة او ملائكة العذاب فالاول اسم
فاعل من رقى يرقي بمعنى الرقية بالفتح في الماضي
والكسر في المضارع والثاني الذي بمعنى الصعود رقي
بالكسر في الماضي والفتح في المضارع **وظن** اي
ايقن المحتضر لما لاح له من انوار الاخرة وقيل
القائل هل من راق من اهله **انه** اي الشان
العظيم الذي هو فيه **الفراق** اي لما كان فيه من
محبوب العاجلة الذي هو الفراق الاعظم الذي

Copyright © King Saud University

الذكر لا فراق مثله ففي الخبر ان العبد ليعالج كرب الموت
وسكراته وان مفاصله ليسلم بعضها على بعض يقول
السلام عليك تفارقني وافارقك الى يوم القيامة وسمى
اليقين هنا بالظن لان الانسان ما دامت روحه متعلقة
ببدنه فانه يطمع في الحياة لشدة حبه لهذه الحياة
العاجلة ولا ينقطع رجاؤه عنها او ان المراد الظن
الغالب اذ لا يحصل يقين الموت مع رجاء الحياة
وقيل سماه بالظن تهكما قال الرازي وهذه الاية
تدل على ان الروح جوهر قائم بنفسه باق بعد موت
البدن لانه تعالى سمى الموت فراقا والفراق انما يكون
اذا كانت الروح باقية فان الفراق والوصال صفة
والصفة تستدعي وجود الموصوف والتفت الساق
بالساق اي اجتمعت احداهما بالاخرى اذ الالتفاف
الاجتماع قال تعالى جئنا بكم لفيفا ومعنى الكلام
اتصلت شدة اخر الدنيا بشدة اول الاخرة قاله
ابن عباس والحسن وغيرهما وقال الشعبي التفت
ساق الانسان عند الموت من شدة الكرب قال
قتادة اما رايته اذا اشرف على الموت يضرب برجله
على الاخرى وقال سعيد بن المسيب هما ساقا الانسان
اذا التفتا في الكفن وقال زيد بن اسلم التفت
ساق الكفن بساق الميت وقال الضحاك الناس

يجهزون

يجهزون جسده والملائكة يجهزون روحه وقال
الذي لا يخرج من كرب الا جاءه اشد منه واولى
الاقوال كما قال النحاس احسنها والعرب لا تذكر الساق
الا في الشدائد والمحن العظام ومنه قولهم قامت
الحرب على ساق قال اهل المعاني لان الانسان اذا
دهمته شدة شمر لها على ساقيه فقيل للامر
الشديد ساق قال الجعدي

وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا

ولما صور وقت تاسفه على الدنيا واعراضه عنها
ذكر غاية ذلك فقال تعالى مفردا النبي صلى الله
عليه وسلم بالخطاب اشارة الى انه لا يفهم هذا
حق فهمه غيره الى ربك اي المحسن اليك بجميع
ما انت فيه يومئذ اي اذا وقع هذا الامر المساق ق
اي السوق اي حكمه تعالى فقد انقطعت عنه
احكام الدنيا فاما ان تسوقه الملائكة الى سعادة
واما الى شقاوة والضمير في قوله تعالى فلا صدق
راجع للانسان المذكور في ايحسب الانسان اي فلا
صدق النبي صلى الله عليه وسلم فيما اخبره
به مما كان يعمل من اعمال الخبيثة ولا اتى ايمانه
بالانفاق في وجوه الخير التي ندب الله واوجبه
كانت او مندوبة وحذف المعمول لانه ابلغ في التعميم

Copyright © King Saud University

ولا صلى اي ما امر به من فرض وغيره فلا تمسك بحبل
الخالق ولا وصل حبل الخلائق وقال ابن عباس لم
يصدق بالرسالة ولا صلى اي دعا لربه عز وجل
وصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم وقال قتادة
فلا صدق بكتاب الله تعالى ولا صلى لله جل ذكره
ولكن اي فعل ضد ما امر به بان كذب اي بما اتاه
به النبي صلى الله عليه وسلم من قران وغيره
وتولى اي اعرض عنه وهذا الاستدراك واضح اذ لا
يلزم من نفي التصديق والصلاة التكذيب والتولي
وقال القرطبي معناه كذب بالقران وتولى عن الايمان
وقيل نزلت في ابي جهل ثم ذهب اي هذا الانسان
او ابو جهل الى اهله غير متفكر في عاقبة ما فعل
من التكذيب حالة كونه يتمطى اي يتبختر افتخارا
بتكذيبه واعراضه وعدم مبالاته بذلك واصله
يتمطط اي يتمدد لان المتبختر يمد خطاه وانما
ابدلت الطاء الثانية ياء كراهة اجتماع الامثال وقيل
هو من المطا وهو الظهر لانه يلويه يتبختر في
مشيته وقوله تعالى اولى لك فيه التفات من
الغيبة والكلمة اسم فعل واللام للتبيين اي وليك
ما تكرهه فاولى اي فهو اولى بك من غيرك وقوله
تعالى ثم اولى لك فاولى تاكيد وقيل هذه الكلمة

تقولها

تقولها العرب لمن قاربه المكروه واصلها من
الولي وهو القرب قال الله تعالى قاتلوا الذين يلونكم
وقال قتادة ذكر لنا ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما نزلت هذه الاية اخذ بمجامع ثوب ابي جهل
بالبطحاء وقال له اولى لك فاولى ثم اولى لك فاولى
فقال ابو جهل اتوعدني يا محمد فوالله ما تستطيع
انت ولا ربك ان تفعلا بي شيئا واني والله لاعز من
مشى بين جبليها فلما كان يوم بدر صرعه الله
شر مصرع وقتله اسوء قتلة قال وكان صلى
الله عليه وسلم يقول لكل امة فرعون وان فرعون
هذه الامة ابو جهل ايحسب اي ايظن لقلة عقله
الانسان اي الذي هو عبد مربوب ضعيف عاجز
محتاج بما يرى من نفسه وابناء جنسه ان يترك
اي يكون تركه بالكلية سدى اي مهملا لا غاية يكلف
ولا يجازى ولا يعرض على الملك الاعظم الذي خلقه
فيما لديه من شكره فيما اسدى اليه فان ذلك
مناف للحكمة فانها تقتضي الامر بالمحاسن
والنهي عن المساوي والجزاء على كل منهما واكثر الظالمين
والمظلومين يموتون من غير جزاء فاقتضت الحكمة
ولا بد من البعث للجزاء الم يك اي الانسان نطفة
اي شيئا يسيرا من مني اي ماء من صلب الرجل ونزا

المراة يمنى اي تصب في الرحم بسبب الله تعالى للانسان
المعالجة في اخراجها لما ركب فيه من الشهوة وجعل
له من الزوج التي يسرها لقضائه وطره حتى ان
وقت صبها في الرحم يصب منه بغير اختياره حتى
كانه لا فعل له فيها اصلا فان قيل ما فائدة يمنى
بعد قوله تعالى من مني اجيب بان فيه
اشارة الى حقارة حاله كانه قيل انه مخلوق من
المني الذي يجري على مجرى النجاسة فلا يليق بمثل هذا
ان يتمرد عن طاعة الله تعالى الا انه عبر عن هذا
المعنى على سبيل الرمز كما في قوله تعالى في عيسى
عليه السلام وامه مريم كانا ياكلان الطعام والمراد
منه قضاء الحاجة ثم كان اي كونا بحكمنا علقة
اي دما احمر غليظا شديد الحمرة والغلظ فخلق اي
قدر سبحانه عقب ذلك لحمه وعظامه وعصبه وغير
ذلك من جوانفه واعراضه فسوى اي عدل
من ذلك مخلقا اخر غاية التعديل شخصا مستقلا
فجعل اي بسبب النطفة منه اي من المني الذي
صار علقة او قطعة دم ثم مضغة اي قطعة لحم
الزوجين اي النوعين الذكر والانثى يجتمعان تارة
وينفرد كل منهما عن الاخر تارة قال القرطبي وقد
احتج بهذه الاية من راى اسقاط الخنثى واجيب

بان

بان هذه الاية وقرينتها خرجت مخرج الغالب وانه
في نفس الامر ذكر وانثى اليس ذلك اي الخالق المسوي
الاله الاعظم الذي قدر على تمييز ما يصلح من ذلك
للذكر وما يصلح منه للانثى بقادر على ان يحيي الموتى
اي ان يعيد هذه الاجسام كهيئتها للبعث بعد البلا
روي انه صلى الله عليه وسلم كان اذا قراها قال سبحانك
اللهم بلى رواه ابو داود والحاكم وقال ابن عباس من
قرا سبح اسم ربك الاعلى اماما كان او غيره فليقل
سبحان ربي الاعلى ومن لا اقسم بيوم القيامة الى
اخرها فليقل سبحانك اللهم بلى اماما كان او غيره
وروى البغوي بسنده من طريق ابي داود عن اعرابي
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قرا منكم والتين والزيتون فانتهى
الى اخرها اليس الله باحكم الحاكمين فليقل بلى
وانا على ذلك من الشاهدين ومن قرا لا اقسم
بيوم القيامة فانتهى الى اليس ذلك بقادر على ان
يحيي الموتى فليقل بلى ومن قرا والمرسلات
فبلغ فباي حديث بعده يؤمنون فليقل امنا بالله
وروي ان رجلا كان يصلي فوق بيته فكان اذا قرا
اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى قال سبحانك
اللهم بلى فسالوه عن ذلك فقال سمعته من رسول

Copyright © King Saud University

الله صلى الله عليه وسلم وقول البيضاوي تبعا للزمخشري
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة
القيامة شهدت له انا وجبريل يوم القيامة انه
كان مؤمنا حديث موضوع

سورة الانسان

وتسمى هل اتى والامشاج والدهر مكية او مدنية
وهي احدى وثلاثون اية ومائتان واربعون كلمة
والف واربعة وخمسون حرفا واختلف فيها هل هي
مكية او مدنية فقال ابن عباس ومقاتل والكلبي
وجرى عليه البيضاوي والزمخشري وقال الجمهور
مدنية وقال الجلال المحلي مكية او مدنية ولم
يجزم بشي وقال الحسن وعكرمة هي مدنية الا اية
وهي قوله تعالى فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم اثما
او كفورا وقيل فيها مكي من قوله تعالى انا نحن
نزلنا عليك القرآن تنزيلا الى اخر السورة وما تقدمه
مدني بسم الله الذي له الاسما الحسنى الرحمن
الذي عم بنعمه الذكر والانثى الرحيم الذي
خص منهم من شا بالمقام الاسنى ولما تم الاستدلال
على البعث والقدرة عليه تلاه بهذا الاستفهام
وهو قوله تعالى هل اتى قال الزمخشري بمعنى
قد في الاستفهام خاصة والاصل أهل بدليل

قول

قول الشاعر
سائل فوارس يربوع بشدتنا
اهل راونا بسفح القاع والاكم
فالمعنى اقد اتى على التقدير والتقريب جميعا اي اتى
على الانسان قبل زمان قريب حين من الدهر
لم يكن شيئا مذكورا اي كان شيئا منسيا غير مذكور
نطفة في الاصلاب انتهى فقوله على التقدير يعني
المفهوم من قد التي وقع موقعها هل ومعنى قوله
في الاستفهام خاصة ان هل لا تكون بمعنى قد
الا ومعها استفهام لفظا كالبيت المتقدم او تقديرا
كالاية الكريمة ولو قلت هل جاء زيد بمعنى قد جا
من غير استفهام لم يجز وغيره جعلها بمعنى قد
من غير هذا القيد وجرى عليه الجلال المحلي
واعترض على الزمخشري بانه لم يذكر غير كونها
بمعنى قد وبقي قيد اخر وهو ان تقول في الجمل
الفعلية لانها متى دخلت على جملة اسمية استحال
كونها بمعنى قد لان قد مختصة بالافعال واجيب
عنه بان هذا لا يحتاج اليه لانه تقرر ان قد لا تباشر
الاسما واختلف في المراد من الانسان فقال قتادة
وعكرمة والسدي هو ادم عليه السلام مرت عليه
اربعين سنة قبل ان ينفخ فيه الروح وهو ملقى

بين مكة والطائف وعن ابن عباس في رواية الضحاك
انه خلق من طين فاقام اربعين سنة ثم من حماء
مسنون اربعين سنة ثم من صلصال اربعين سنة
ثم خلقه بعد مائة وعشرين سنة ثم نفخ فيه الروح
وحكى الماوردي عن ابن عباس ان الحين المذكور
هنا هو الزمن الطويل الممتد الذي لا يعرف مقداره
وقال الحسن خلق الله تعالى كل الاشيا ما يرى وما لا
يرى من دواب البر والبحر في الايام الست التي خلق
الله تعالى فيها السموات والارض واخر ما خلق ادم
عليه السلام فهو قوله تعالى لم يكن شيئا مذكورا
روي ان ابا بكر رضي الله عنه لما قرا هذه الاية
قال ليتها تمت فلا نبتلى اي ليت هذه المدة التي
اتت على ادم عسالقرارة عليه السلام لم يكن شيئا
مذكورا قال عمر ليتها تمت فيقول ليته بقي على ما كان
هذا وهما صاحباه صلى الله عليه وسلم ولكن بقدر
القرب يكون الخوف فان قيل ان الطين والصلصال
والحما المسنون قبل نفخ الروح فيه ما كان انسانا
والاية تقتضي انه مضى على الانسان حال كونه
انسانا حين من الدهر مع انه في ذلك الحين ما كان
شيئا مذكورا اجيب بان الطين والصلصال
اذا كان مصورا بصورة الانسان ويكون محكوما

عليه

عليه بانه سينفخ فيه الروح ويصير انسانا صح تسميته
بانه انسان وروى الضحاك عن ابن عباس في قوله
تعالى لم يكن شيئا مذكورا لا في السماء ولا في الارض
بل كان جسدا ملقى ترابا وطينا لا يذكر ولا يعرف
ولا يدري ما اسمه ما اسمه ولا ما يراد به ثم نفخ فيه
الروح فصار مذكورا قال ابن سلام لم يكن شيئا
لانه خلقه بعد خلق الحيوان كله ولم يخلق بعده
حيوانا وقال الزمخشري وتبعه جماعة من المفسرين
ان المراد بالانسان جنس بني ادم عليه بدليل قوله
تعالى انا خلقنا الانسان اي بعد خلق ادم عليه
السلام من نطفة اي مادة في شيء يسير جدا من
الرجل والمراة وكل ماء قليل في وعاء فهو نطفة
كقول عبد الله ابن رواحة يعاتب نفسه

مالي اراك تكرهين الجنة
هل انت الا نطفة في شنه

وعلى هذا فالمراد بالحين المدة التي هو فيها في بطن
امه لم يكن شيئا مذكورا اذا كان علقة ومضغة
لانه في هذه الحالة جماد لا خطر له وقوله تعالى
امشاج اي اخلاط من ماء الرجل وماء المراة المختلطين
الممتزجين نعت لنطفة ووقع الجمع نعتا لمفرد لانه
في معنى الجمع كقوله رفرف خضر وجعل كل جزء

من النطفة نطفة فوضعت بالجمع وقال الزمخشري نطفة
امشاج كبرمة اعشار وبردي اكياش وهي الفاظ
مفردة غير جموع ولذلك وقعت صفات للافراد
ويقال ايضا نطفة مشج قال الشماخ
طوت احشاء مرتجة لوقت
على مشج سلالته مهين
ولا يصح امشاج ان يكون تكسيرا له بل هما مثلان
في الافراد لوصف المفرد بهما انتهى فقد منع ان
يكون امشاجا جمع مشج بالكسر قال ابو حيان
وقوله مخالف لنص سيبويه والنحويين على ان
افعالا لا يكون مفردا واجاب بعضهم بان الزمخشري
انما قال يوصف به المفرد ولم يجعل افعالا مفردا
فكانه جعل كل قطعة من البرمة وكل قطعة من
البرد بردا فوصفهما بالجمع والمعنى من نطفة قد
امتزج فيها الماءان وكل منهما مختلف الاجزاء متباين
الاوصاف في الرقة والثخن والقوام والخواص يجمع
من الاخلاط وهي العناصر الاربعة ماء الرجل غليظ
ابيض وماء المراة رقيق اصفر فايهما علا كان
الشبه له وعن ابن عباس قال يختلط ماء الرجل وهو
ابيض غليظ بماء المراة وهو اصفر رقيق فيخلق
منهما الولد فما كان من عصب وعظم وقوة فمن

نطفة

نطفة الرجل وما كان من لحم ودم وشعر فمن المراة
قال القرطبي وقد روي هذا مرفوعا ذكره البزار وعن
قتادة امشاج الوان واطوار يريد انها تكون نطفة
ثم علقة ثم مضغة ثم خلقا اخر وعن ابن مسعود
هي عروق النطفة وقال مجاهد نطفة الرجل بيضا
وحمرا ونطفة المراة صفرا وخضرا والغرض من هذا
التنبيه على ان الانسان محدث فلا بد له من محدث
قادر على تصويره وقد صوره على صور مختلفة فمنها
صغير وكبير وطويل وقصير ومتردد بين بين
ولما كان الانسان محتاجا الى الحركة بجملة بدنه
وببعض اعضائه جعل بين العظام مفاصل ثم
اوصلها باوتار وعروق ولحم ودور الراس
وشق في جانبيه السمع وفي مقدمه البصر والانف
والفم وشق في البدن سائر المنافذ ثم مد اليدين
والرجلين وقسم رؤوسها بالاصابع وركب الاعضاء
الباطنة من القلب والمعدة فسبحان من خلق تلك
الاشياء من نطفة سخيفة أليس ذلك بقادر على
ان يحيي الموتى وقوله تعالى نبتليه يجوز فيه
وجهان احدهما انه حال من فاعل خلقنا اي
خلقناه حال كوننا مبتلين له والثاني انه حال
من الانسان وصح ذلك لان في الجملة ضميرين كل

Copyright © King Saud University

منهما يعود على ذي الحال ثم هذه الحال يجوز ان تكون
مقارنة ان كان المعنى ــــــــ نبتليه بتصرفه في بطن امه
نطفة ثم علقة كما قال ابن عباس وان تكون مقدرة
ان كان المعنى نبتليه نختبره بالتكليف لانه وقت خلقه
غير مكلف وفيما نختبره به وجهان احدهما قال الكلبي
نختبره بالخير والشر والثاني قال الحسن نختبره بشكره
في السراء وصبره في الضراء وقيل نبتليه نكلفه بالعمل
بعد الخلق قال مقاتل وقيل نكلفه ليكون مامورا
بالطاعة ومنهيا عن المعاصي فجعلناه اي بما لنا
من العظمة ذلك سميعا بصيرا اي عظيم السمع
والبصر والبصيرة ليتمكن من مشاهدة الدلائل
ببصره وسماع الايات بسمعه ومعرفة الحجج
ببصيرته فيصح تكليفه وابتلاؤه فقدم العلة
الغائية لانها مقدمة في الاستحضار على التابع لها
المصحح لورودها وقدم السمع لانه انفع في المخاطبات
ولان الايات المسموعة ابين من الايات المرئية
وخصهما بالذكر لانهما انفع في المخاطبات ولان
الايات المسموعة ابين من الايات المرئية وخصهما
بالذكر لانهما انفع الحواس ولان البصر يفهم البصيرة
وهي تتضمن الجميع وقال بعضهم في الكلام تقديم
وتاخير والاصل انا جعلناه سميعا بصيرا نبتليه

اي

٢
اي جعلنا له ذلك للابتلاء وقيل المراد بالسمع المطيع
كقوله سمعا وطاعة وبالبصر العالم يقال فلان
بصير في هذا الامر انا اي بما لنا من العظمة هديناه
السبيل اي بينا له وعرفناه طريق الهدى والضلال
والخير ببعثة الرسل وقال مجاهد بينا له السبيل
الى السعادة والشقاوة وقال السدي السبيل هنا خروجه
من الرحم وقيل منافعه ومضاره التي يهتدي
اليها بطبعه وكمال عقله قال الرازي والاية تدل على
ان العقل متاخر عن الحواس قال وهو كذلك وقوله
تعالى اما شاكرا اي لانعام ربه عليه واما كفورا
اي بليغ الكفر بالاعراض والتكذيب نصب على الحال
وفيه وجهان احدهما انه حال من مفعول هديناه
اي هديناه مبينا له كلتا حالتيه والثاني انه حال
من السبيل على المجاز قال الزمخشري ويجوز ان
يكونا حالين من السبيل اي عرفناه السبيل اما
سبيلا شاكرا واما سبيلا كفورا كقوله تعالى وهديناه ه
النجدين فوصف السبيل بالشكر والكفر مجازا وروى
الشيخان عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه
او ينصرانه او يمجسانه الحديث وعن جابر كل
مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه اما

Copyright © King Saud University

شاكرا واما كفورا ولما قسمهم الى قسمين ذكر جزا
كل فريق فقال تعالى انا اي على ما لنا من العظمة اعتدنا
اي هيانا واحضرنا بشدة وغلظة للكافرين اي
الفريقين في الكفر خاصة وقدم الاسهل في
المعذب فالاسهل فقال تعالى سلاسل جمع سلسلة
اي تقادون ويوثقون بها واغلالا اي في اعناقهم
تشد فيها السلاسل فتجمع ايديهم الى اعناقهم
وسعيرا اي نارا حامية جدا بشديدة الاتقاد
وقرا نافع وهشام وشعبة والكسائي سلاسلا
وصلا بالتنوين والباقون بغير تنوين واما الوقف
على الثانية فوقف عليها بغير الف قنبل وحمزة
ووقف البزي وابن ذكوان وحفص بغير الف
وبالالف ووقف الباقون بالالف ولا وقف على
الاولى والرسم بالالف اما منونون سلاسل فوجه
باوجه منها انه قصد بذلك التناسب لان ما قبله
وما بعده منون منصوب ومنها ان الكسائي وغيره
من اهل الكوفة حكوا عن بعض العرب انهم يصرفون
جميع ما لا ينصرف الا افعل منك وقال الاخفش
سمعنا من العرب من يصرف كل ما لا ينصرف لان
الاصل في الاسما الصرف وترك الصرف لعارض
فيها وروي عن بعضهم انه يقول رايت عمرا بالالف

يعني

يعني عمر بن الخطاب وانه هذا الجمع قد جمع وان كان قليلا
قالوا صواحب وصواحبات وفي الحديث انكن صوا
حبات
يوسف ومنها انه مرسوم في الامام اي مصحف الحجاز
والكوفة بالالف رواه ابو عبيدة ورواه قالون
عن نافع وروى بعضهم ذلك عن مصحف البصرة
ايضا وقال الزمخشري فيه وجهان احدهما ان يكون
هذا التنوين بدلا من حرف الاطلاق ويجري
الوصل مجرى الوقف والثاني ان يكون صاحب
هذه القراءة ممن ضري برواية الشعر ومرن
لسانه على صرف غير المنصرف انتهى قال بعض
المغربين وفي هذه العبارة فظاظة وغلظة
لاسيما على مشايخ الاسلام وايمة العلما الاعلام
واما من لم ينونه فوجهه ظاهر لانه على صيغة
منتهى الجموع وقولهم قد جمع نحو صواحبات لا يقدح
لان المجموع جمع التكسير وهذا الجمع جمع صحيح واما
من لم يقف بالالف فواضح ولما اوجز في جزاء
الكافر اتبعه جزاء الشاكر واطنب تاكيدا للترغيب
فقال تعالى ان الابرار جمع بر كارباب جمع رب
او بار كاشهاد جمع شاهد وفي الصحاح جمع البار
البررة وهم الصادقون في ايمانهم المطيعون
لربهم الذي سمت هممهم وعلت المقدرات فظهرت

Copyright © King Saud University

في قلوبهم ينابيع الحكمة وروي ابن عمر عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال انما سماهم الله تعالى الابرار
لانهم بروا الآباء والابناء كما ان لوالديك عليك حقا
كذلك لولدك عليك حقا وقال الحسن البر الذي
لا يؤذي الذر وقال قتادة الابرار الذين يؤدون
حق الله ويوفون بالنذر وفي الحديث الابرار
الذين لا يؤذون احدا يشربون من كاس هو انا
شرب الخمر وهي فيه والمراد من خمر تسمية للحال
باسم المحل ومن للتبعيض كان مزاجها اي ما تمزج
به كافورا لبرده وعذوبته وطيب عرفه وذكر
فعل الكون يدل على ان له شانا في المزج عظيما
يكون فيه كانه من نفس الجبلة كما يعهد والكافور
نبت معروف وكان اشتقاقه من الكفر وهو الستر
لانه يغطي الاشياء برائحته والكافور ايضا الجو والكافور
الليل والكافور الساتر لنعم الله تعالى والكافور
الزراع لتوريته الحب في الارض قال الشاعر
وكافر مات على كفره وجنة الفردوس للكافر
والكفارة تغطية الاثم في اليمين الفاجرة والنذور
الكاذبة بالمغفرة والكافور ما جوف الشجر مكفور
فتفرزونه بالحديد فيخرج الى ظاهر الشجر فيضربه
الهوا فيجمد وينعقد كالصمغ الجامد على الاشجار

فان

فان قيل مزج الكافور بالمشروب لا يكون لذيذا فما
السبب في ذكره اجيب بوجهين احدهما قال
ابن عباس الكافور اسم عين في الجنة يقال لها عين
الكافور اي يمازجها ماء هذه العين التي تسمى كافورا
في بياض الكافور ورائحته وبرده ولكن لا يكون
فيه طعمه ولا مضرته ثانيها ان رائحة الكافور عرض
والعرض لا يكون الا في جسم فخلق الله تعالى تلك
الرائحة في جرم ذلك الشراب فسمي ذلك الجسم
كافورا وان كان طعمه طيبا فيكون الكافور ريحها
في الجنة مع طعم طيب لذيذ ويسلب عنه ما فيه
من المضرة ثم انه تعالى يمزجه بذلك الشراب
كما انه تعالى يسلب عن جميع المأكولات والمشروبات
ما معهما في الدنيا من المضار وقال سعيد عن
قتادة يمزج لهم بالكافور ويختم بالمسك وقيل
يخلق فيها رائحة الكافور وبياضه فكانها مزجت
بالكافور وقوله تعالى عينا في نصبه اوجه احدها
انه بدل من كافورا لان ماءها في بياض الكافور
وفي رائحته وبرده واقتصر على هذا الجلال المحلي
الثاني انه بدل من محل من كاس قاله مكي ولم
يقدر حذف مضاف وقدره الزمخشري على هذا
الوجه حذف مضاف قال كانه قيل يشربون خمرا

Copyright © King Saud University

خمر عين الثالث انه نصب على الاختصاص قاله
الزمخشري الرابع انه باضمار اعني قاله القرطبي وقيل
غير ذلك **يشرب بها** قال الجلال المحلي منها وقال
البقاعي اي لمازجها وقال الزمخشري بالخمر فالا كما
تقول شربت الما بالعسل والاول اصح **عباد الله**
اي اولياؤه فان قيل الكفار عباد الله وهم لا يشر
بون منها بالاتفاق اجيب بان لفظ عباد
الله مختص باهل الايمان ولكن يشكل بقوله تعالى
ولا يرضى لعباده الكفر فانه يصير تقدير الاية
ولا يرضى لعباده المومنين الكفر مع انه سبحانه
لا يرضى الكفر للكافر ولا لغيره وقد يجاب بان هذا
اكثري لا كلي او يقال حيث اضيف العباد او العبد
الى الاسم الله الظاهر سواء كان بلفظ الجلالة
ام لا فالمراد به المومن وان اضيف الى ضميره
تعالى فيكون بحسب المقام فتارة يختص بالمومن
كقوله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وتارة
يعم كقوله تعالى ولا يرضى لعباده الكفر وقوله تعالى
نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم **يفجرونها** اي يجرونها
حيث شاوا من منازلهم وان علت **تفجيرا** سهله
لا يمتنع عليهم ولما ذكر جزاهم ذكر وصفهم الذي
يستحقون عليه ذلك بقوله تعالى **يوفون بالنذر**

وهذا

وهذا يجوز ان يكون مستانفا ويجوز ان يكون خبرا لكان
مضمرة قال الفرا التقدير كانوا يوفون بالنذر في
الدنيا وكانوا يخافون وقال الزمخشري يوفون جواب
من عسى يقول ما لهم يرزقون ذلك قال ابو حيان
واستعمل عسى صلة لمن وهو لا يجوز واتى بالمضارع
بعد عسى غير مقرون بان وهو قليل او في الشعر
ع والوفا بالنذر مبالغة في وصفهم بالتوفر على اداء
الواجبات لان من وفى بما اوجبه هو على نفسه لوجه
الله تعالى كان بما اوجبه الله تعالى عليه اوفى وقال
الكلبي يوفون بالنذر اي يتممون العهود لقوله تعالى
واوفوا بالعهد واوفوا بالعقود امروا بالوفا بها
لانهم عقدوها على انفسهم باعتقادهم الايمان
قال القرطبي والنذر حقيقة ما اوجبه المكلف على
نفسه من شي يفعله وان شئت قلت في حده هو ايجاب
المكلف على نفسه من الطاعات ما لو لم يوجبه لم يلزمه
وروي انه صلى الله عليه وسلم قال من نذر ان يطيع
الله فليطعه ومن نذر ان يعصيه فلا يعصيه ولما
دل وفاؤهم على سلامة طباعهم قال تعالى عاطفا
دلالة على جمعهم للامرين المتعاطفين فهم يفعلون
الوفا لا لاجل الخوف بل لكرم الطبع **ويخافون** اي مع
فعلهم للواجبات **يوما** قال ابن عبد السلام شر

Copyright © King Saud University

يوم او اهوال يوم كان اي كونا هو في جبلته شره
اي ما فيه من الشدايد اي فاشيا منتشرا
غاية الانتشار من استطار الحريق والفجر وهو ابلغ من
طار وقال قتادة كان شره فاشيا في السموات فانشقت
وتناثرت الكواكب وكورت الشمس والقمر وفزعت الملا
ئكة ونسفت الجبال وغارت المياه وتكسر كل شي
على الارض من جبل وبنا وفي ذلك اشعار بحسن
عقيدتهم واجتنابهم عن المعاصي وان الخوف
اول دليل على عمارة الباطن قالوا ما فارق الخوف
قلبا الا خرب ومن خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل
فان قيل لم قال تعالى كان شره ولم يقل سيكون
اجيب بانه كقوله تعالى اتى امر الله ثم
قيل في ذلك يقال هنا ويطعمون الطعام وقوله
تعالى على حبه حال اما من الطعام اي كائنين
على محبتهم اياه فهو في غاية المكنة منه والاستيلا
على قلوبهم لقلته وشهوتهم له وحاجتهم اليه
كما قال تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون
لنفعهم انهم للفضل اشد تبذلا ولهذا قال صلى
الله عليه وسلم في حق الصحابة رضي الله تعالى عنهم
لو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم
ولا نصيفه لقلة الموجود ان ذاك وكثرته بعد واما

من

٣١٤

من الفاعل والضمير في محبته لله اي على حب الله
والتقديرين فهو مصدر مضاف للمفعول وقال
الفضيل ابن عياض اي على حب اطعام الطعام
مسكينا اي محتاجا اسيرا فصاحب الاحتياج الكثير
اولى ويتيما اي صغيرا لا اب له واسيرا احتياجا
اي في ايدي الكفار وحصر هؤلا بالذكر لان المسكين
عاجز عن الاكتساب بنفسه عما يكفيه واليتيم
مات من يكتسب له وبقي عاجزا عن الكسب لصغره
والاسير لا يتمكن لنفسه نصرا ولا حيلة وقال
مجاهد وسعيد ابن جبير الاسير المحبوس فيدخل
في ذلك المملوك والمسجون والكافر الذي في ايدي
المسلمين وقد نقل في غزوة بدر ان بعض الصحابة
رضي الله تعالى عنهم كان يؤثر اسيره على نفسه
بالخبز وكان الخبز اذ ذاك عزيزا حتى كان ذلك
الاسير يتعجب من مكارمهم حتى كان ذلك مما دعاه
الى الاسلام وذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم
لما دفعهم اليهم قال استوصوا بهم خيرا وقيل
الاسير المملوك وقيل المراة لقوله النبي صلى
الله عليه وسلم اتقوا الله في النساء فانهن عندكم
عوان اي اسرى وقوله تعالى انما نطعمكم على اضمار
القول اي يقولون بلسان المقال او الحال انما نطعمكم

Copyright © King Saud University

ايها المحتاجون لوجه الله اي لذات الملك الذي اسم
الجلال والاكرام لكونه امرنا بذلك وعبر بالوجه لان
الوجه يستحي منه ويرجى ويخشى عند رؤيته
لا نريد منكم لاجل ذلك جزاء اي لنا من اعراض
الدنيا ولا شكورا اي شيء من قول ولا فعل روي
ان عائشة رضي الله تعالى عنها كانت تبعث بالصدقة
الى اهل بيت ثم تسال المبعوث ما قالوا فان ذكر
دعاء دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها
خالصا عند الله تعالى ثم عللوا قولهم هذا
على وجه التاكيد بقولهم انا نخاف من ربنا اي
الخالق لنا المحسن الينا يوما اي اهوال يوم هو
في غاية العظمة وبينوا عظمته بقولهم عبوسا قال
ابن عباس ووصف اليوم بالعبوس مجاز على طريقين
ان يوصف بصفة اهله من الاشقياء كقولك نهارك
صائم روي ان الكافر يعبس يومئذ حتى يسيل
من بين عينيه عرق مثل القطران وان تشبه
في شدته وضرره بالاسد العبوس وبالشجاع الباسل
قمطريرا قال ابن عباس طويلا وقال مجاهد وقتا
دة القمطرير الذي يقبض الوجوه والجباه بالتقبض
وقال الكلبي العبوس الذي لا انبساط فيه والقمطرير
الشديد وقال الاخفش القمطرير اشد ما يكون

من

من الايام واطوله في البلاد يقال يوم قمطرير وقماطر
اذا كان شديدا كريها ولما كان فعلهم هكذا
خالصا لله تعالى سبب عنه جزاهم فقال تعالى فوقا هم
الله اي الملك الاعظم بسبب خوفهم شر ذلك اليوم
اي العظيم ولا بد لهم من نعيم ظاهر وباطن
ومسكن يقيمون فيه وملبس وقد اشار الى
الاول بقوله تعالى ولقاهم اي اعطاهم نضرة
اي حسنا دائما في وجوههم واشار الى الثاني بقوله
تعالى وسرورا اي نماء في قلوبهم دائما في مقابلة
خوفهم في الدنيا واشار الى الثالث بقوله تعالى
وجزاهم بما صبروا اي بسبب ما اوجدوا من
الصبر على العبادة من لزوم الطاعة واجتناب
المعصية ومنع انفسهم الشهوات وبذل المحبوبات
جنة اي ادخلوها بستانا جامعا ياكلون منه
ما يشتهون جزاء على ما كانوا يطيعون وان كان غيرهم
شاركهم في ذلك دونهم في الجزاء واشار الى الرابع
بقوله تعالى وحريرا اي البسوه اي هو في غاية
العظمة ومما رواه البيضاوي تبعا للزمخشري عن
ابن عباس ان الحسن والحسين مرضا فعادهما رسول
الله صلى الله عليه وسلم في ناس فقالوا يا ابا
الحسن لو نذرت على ولدك فنذر علي وفاطمة

وفضة جارية لهما صوم ثلاثة ايام ان برئا فشفيا
وما معهما شي فاستقرض علي من شمعون اليهودي
الخيبري ثلاثة اصوع من شعير وطحنت فاطمة
صاعا واختبزت خمسة اقراص على عددهم فوضعوها
بين ايديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل فقال
السلام عليكم اهل بيت محمد مسكين من مساكين
المسلمين اطعموني اطعمكم الله من موائد الجنة فآثروه
وباتوا لم يذوقوا الا الماء واصبحوا صياما فلما امسوا
وضعوا الطعام بين ايديهم فوقف عليهم يتيم
فآثروه ووقف عليهم اسير في الثالثة ففعلوا
مثل ذلك زاد في الكشاف فلما اصبحوا اخذ علي
رضي الله عنه بيد الحسن والحسين فاقبلوا الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما ابصرهم
وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال
ما اشد ما يسوءني ما ارى بكم وقام فانطلق معهم
فراى فاطمة في محرابها قد التصق ظهرها
ببطنها وغارت عيناها فساءه ذلك فنزل جبريل
وقال خذها يا محمد اي السورة هناك الله في
اهل بيتك فاقراه السورة حديث موضوع ثم
بين حالهم فيها بقوله تعالى **متكئين فيها** اي
الجنة واختلفوا في اعراب متكئين فقال الجلال

المحلي

المحلي حال من مرفوع ادخلوها المقدر وقال ابو
البقاء يجوز ان يكون حالا من المفعول في جزاهم
وان يكون صفة واعترض عليه في كونه صفة بانه
لا يجوز عند البصريين لانه كان يلزم الضمير فيقال
متكئين هم فيها لجريان الصفة على غير من هي له
وقيل انه من فاعل صبروا واعترض من ان
الصبر كان في الدنيا والاتكاء في الاخرة واجيب
بانه يصح ان يكون حالا مقدرة لان مآلهم بسبب
صبرهم الى هذه الحالة ثم اشار الى زيادة
راحتهم بقوله تعالى **على الارائك** اي السرر
في الحجال ولا تكون اريكة الا مع وجود الحجلة وقيل
الارائك الفرش على السرر وقوله تعالى **لا يرون
فيها** اي الجنة حال ثانية على الخلاف المتقدم
في الاولى ومن جوز ان تكون الاولى صفة
جوزه في الثانية وقيل انها حال من الضمير
المرفوع المستكن في متكئين فتكون حالا
متداخلة **شمسا** اي لا حرا **ولا** يرون فيها **زمهريرا**
اي بردا شديدا فالاية من الاحتباك دل نفي
الشمس اولا على نفي الحر ودل على نفي الزمهرير الذي
هو سبب البرد ثانيا على نفي الحر الذي سببه
الشمس فافاد هذا ان الجنة غنية عن النيرين

Copyright © King Saud University

لانها نيرة بذاتها واهلها غير محتاجين الى معرفة
زمان اذ لا تكليف فيها بوجه وانها ظليلة معتدلة
دائما بخلاف الدنيا فان فيها احتاجة الى ذلك والحر
والبرد فيها من فيح جهنم قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اشتكت النار الى ربها قالت يا رب
اكل بعضي بعضا فجعل لها نفسين نفسا في الشتاء ونفسا
في الصيف فشدة ما تجدونه من البرد من زمهريرها
وشدة ما تجدونه من الحر من سمومها
وقيل الزمهرير بلغة طي وانشدوا
وليلة ظلامها قد اعتكر
قطعتها والزمهرير ما زهر
ويروى ما ظهر **ودانية** اي قريبة مع الارتفاع
عليهم ظلالها اي شجرها من غير ان يحصل
منها ما يزيل الاعتدال واختلف في نصب
دانية فقال البغوي عطف على متكئين وقال
الجلال المحلي عطف على محل لا يرون وذكره البغوي
بعد الاول بصيغة قيل قال البيضاوي او عطف
على جنة اي وجنة اخرى دانية لانهم وعدوا
جنتين لقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان
فان قيل الظل انما يوجد حيث توجد الشمس
والجنة لا شمس فيها فكيف يحصل الظل اجيب

بان

بان اشجار الجنة تكون بحيث لو كان هناك شمس
لكانت تلك الاشجار مظلة منها وان كان لا شمس
ولا قمر كما ان امشاطهم الذهب والفضة وان كان
لا وسخ ولا شعث **وذللت قطوفها** جمع قطف بالكسر
وهو العنقود اسم للثمار المقطوعة اي المجنية
تذليلا اي سهل تناولها تسهيلا عظيما لا ترد
اليد عنها ببعد ولا شوك لكل من يريد اخذها على
اي حالة كانت من اتكاء وغيره فان كانوا قعودا
او مضطجعين تدلت اليهم وان كانوا قياما
وكانت على الارض ارتفعت اليهم وقال البراء
لهم فهم يتناولون منها كيف شاءوا فمن اكل قائما للت
لم يؤذه ومن اكل مضطجعا لم يؤذه وهذا
جزاؤهم على ما كانوا يذللون انفسهم لامر الله
تعالى ولما وصف تعالى طعامهم ولباسهم ومسكنهم
وصف شرابهم بقوله تعالى **ويطاف** اي من اي
طائف كان لكثرة الخدم **عليهم بآنية** جمع اناء
كسقاء واسقية وجمع الانية اواني وهي ظروف
المياه ومعنى تطاف اي تدور على هؤلاء الابرار
الخدم اذا ارادوا الشراب ثم بين تلك الانية
بقوله تعالى **من فضة** قال ابن عباس ليس في
الدنيا شيء مما في الجنة الا الاسماء اي الذي في

الجنة اشرف واعلا ولم ينف الانية الذهبية بل
المعنى يسقون فى الاوانى الفضة وقد يسقون فى
الاوانى الذهب كما قال تعالى سرابيل تقيكم الحر
اى والبرد فنبه بذكر احدهما على الاخر ولما جمع
الانية حض فقال تعالى وأكواب جمع كوب وهو كوز
لاعروة له فيسهل الشرب منه من كل موضع
فلا يحتاج عند التناول الى ادارة كانت اى تلك
الاكواب كونا هو من جبلتها قواريرا اى كانت
بصفة القوارير من الصفا والرقة والشفوف
والاشراق جمع قارورة وهى ما قر فيه الشراب
ونحوه من كل اناء رقيق صاف وقيل هو خاص
بالزجاج ولما كان راس اية وكان التعبير
بالقوارير ربما افهم انها من الزجاج وكان فى
الزجاج من النقص سرعة الانكسار لافراط
الصلابة قال تعالى معيدا للفظ اول الاية
الثانية تاكيدا للاتصاف بالصالح من اوصاف
الزجاج وبيانا لنوعها قوارير من فضة اى
جمعت صفتى الجوهرين المتباينين صفا الزجاج
وشفوفه وبريقه وبياض الفضة وشرفها
ولينها وقال الكلبى ان الله تعالى جعل قوارير
كل قوم من تراب ارضهم وان ارض الجنة من

فضة فجعل منها قوارير يشربون منها وقرا نافع
وشعبة والكسائى وصلا بالتنوين فيهما ووافقهم
ابن كثير فى الاول دون الثانى والباقون بغير تنوين
واما الوقف فمن نون وقف بالالف ومن لم ينون
وقف بغير الف الا هشاما فانه وقف على الثانى
بالالف وفى الفصل لم ينون فالقراآت حينئذ
على خمس مراتب احدها تنوينهما معا والوقف
عليهما بالالف الثانية مقابلة وهو تنوينهما
وعدم الوقف عليهما بالالف الثالثة عدم تنوينهما
والوقف عليهما بالالف الرابعة تنوين الاول دون
الثانى والوقف على الاول بالالف وعلى الثانى بدونها
واما من نونهما فظاهر من تنوين سلاسل لانهما
صيغة منتهى الجموع دال على مفاعل وذا على مفا
عيل
والوقف بالالف التى هى بدل التنوين فاما عدم
تنوينهما وعدم الوقف بالالف فظاهر واما
من نون الاول دون الثانى فانه ناسب بين
الاول وبين رؤس الاى ولم يناسب بين الثانى
وبين الاول والوجه فى وقفه على الاول بالالف
وعلى الثانى بغير الف ظاهر واما من لم ينونهما و
قف
على الاول بالالف وعلى الثانى بدونها ووقف على
الاول بالالف وعلى الثانى بدونها فلان الاول

فضة

رأس آية فناسب بينه وبين رؤوس الآي في الوقف
بالالف وفرق بينه وبين الثاني لانه ليس براس
آية واما من لم ينونهما ووقف عليهما بالالف فانه
ناسب بين الاول وبين رؤوس الآي وناسب بين
الثاني وبين الاول وقال الزمخشري وهذا التنوين
بدل من الف الاطلاق لانها فاصلة وفي الثاني
لاتباعه الاول يعني الوهم يأتون بالتنوين
بدلا من حرف الاطلاق الذي للترنم كقوله
يا صاح ما هاج العيون الذرفن
وقوله تعالى قدروها تقديرا صفة لقوارير من
فضة وفي الواو في قدروها وجهان احدهما
انه للمطاف عليهم ومعنى تقديرهم لها انهم
قدروها في انفسهم ان تكون على مقادير واشكال
على حسب شهوتهم فجاءت كما قدروا والثاني
انه للطائفين بها دل عليه قوله تعالى ويطاف
عليهم على انهم قدروا شرابها على قدر الري
وهو الذ للشارب لكونه على مقدار حاجته
لا يفضل عنه ولا يعجز وعن مجاهد لا تفيض
ولا تغيض وعن ابن عباس قدروها على ملء
الكف حتى لا تؤذيهم بثقل او بافراط صغر وجوز
ابو البقاء ان تكون الجملة مستأنفة ويسقون اي

ثمن ارادوه من خدمهم الذين لا يحصون كثرة فيها
اي في الجنة او تلك الاكواب كأسا اي خمرا في اباريق
كان مزاجها اي ما تمتزج به على غاية الاحكام زنجبيلا
اي غاية اللذة وكانت العرب تلتذ بالشراب الممزوج
به لهضمه وتطييبه الطعم والزنجبيل نبت معروف
ويسمى الكأس بذلك لوجود طعم الزنجبيل فيها
قال الاعشى
كأن القرنفل والزنجبيل
باتا بفيها واريا مشورا
وقال المسيب بن علس
وكأن طعم الزنجبيل به اذا
ذقته وسلافة الخمر
وقوله تعالى عينا فيها اي الجنة بدل من زنجبيلا
وكون الزنجبيل عينا فيه خرق للعوائد كان
الزنجبيل عندنا شجر يحتاج في نبته ولذاك
علاج فيبين انه هناك عين لا يحتاج في صيرورته
زنجبيلا الى ان تحمله الارض بثمرة فيها حتى
يصير شجرا ليتحول عن طعم الماء الى طعم
الزنجبيل تسمى اي تلك العين لسهولة اساغتها
ولذة طعمها وسمو وصفها سلسبيلا والمعنى
ان ما تلك العين كالزنجبيل الذي تلتذ به

العرب سهل المساغ في الحلق فليس هو كخبيل الدنيا
يلذع الحلق فتصعب اساغته والسلسبيل والسلسل
والسلسال ما كان من الشراب غاية في السلاسة
زيدت فيه الباء زيادة في المبالغة في هذا المعنى
وقال مقاتل وابن حبان سميت سلسبيلا لانها
تسيل عليهم في الطرق وفي منازلهم تنبع من اصل
العرش من جنة عدن الى اهل الجنان قال البغوي
وشراب الجنة في برد الكافور وطعم الزنجبيل وريح
المسك من غير لذع وقال مقاتل يشربها المقربون
صرفا ويمزج لساير اهل الجنة ولما ذكر تعالى المطوف
به لانه الغاية المقصود وصف الطائفين لما في طوافه
من العظمة المشهودة بقوله تعالى **ويطوف عليهم**
اي بالشراب وغيره من الملاذ والمحاب **ولدان**
اي غلمان هم في سن من هو دون البلوغ
لان الفقهاء قالوا الناس غلمان وصبيان
واطفال وذراري الى البلوغ ثم شهم بعد البلوغ
كهول الى الاربعين ثم بعدها شيوخ واستنبط
بعضهم ذلك من القران في حق بعض الانبياء عليهم
الصلاة والسلام قال الله تعالى في حق يحيى واتيناه
الحكم صبيا وقال في حق عيسى تكلم الناس في
المهد وكهلا وعن ابراهيم قالوا سمعنا فتى

يذكرهم

يذكرهم يقال له ابراهيم وعن يعقوب ان لدا باشيخا
كبيرا قالوا واقل اهل الجنة من يخدمه الف غلام
ويعطى في الجنة قدر الدنيا عشر مرات وقراءة حمزة
بضم الهاء والباقون بكسرها ثم وصف تعالى تلك
الغلمان بقوله تعالى **مخلدون** اي قد حكم من لا يرد
حكمه بان يكونوا كذلك دائما من غير علة ولا
ارتفاع عن تلك الخدمة مع انهم مزينون بالحلي وهو
الحلق والاساور والقرط والملابس الحسنة **اذا رايتهم**
اي يا اعلا الخلق وانت اثبت الناس نظرا وانفذهم الراي
التامل لكل راي في اي حالة رايتهم فيها **حسبتهم**
اي من بياضهم وصفاء الوانهم وانتشارهم في
الخدمة **لولوا منثورا** اي من سلكه او من صدفه
وهو احسن منه في غير ذلك قال بعض المفسرين
هم غلمان ينشيهم الله تعالى لخدمة المومنين وقال
بعضهم اطفال المومنين لانهم ماتوا على الفطرة
وقال ابن برجان وارى والله اعلم انهم من علم
الله تعالى ايمانه من اولاد الكفار ويكونون خدما
لاهل الجنة كما كانوا لنا في الدنيا سبيا وخدما
واما اولاد المومنين فيلحقون بابائهم سنا
وملكا وسرورا لهم ويؤيد هذا قوله صلى الله
عليه وسلم في ابنه ابراهيم عليه السلام ان له

Copyright © King Saud University

نظير انهم رضاعه في الجنة فانه يدل على انه قال
انتقال شانه فيما هنالك وكتنقله في الاحوال في الدنيا
ولا دليل على خصوصيته بذلك وقراءة السوسي
وشعبة بابدال الهمزة الاولى الساكنة وقفا ووصلا
واذا وقف حمزة ابدل الاولى والثانية ولما ذكر المخدوم
والخدم ذكر المكان بقوله تعالى واذا رايت اي وجدت
منك الروية ثم اي هناك في اي مكان كان
في الجنة واي شي كان فيها وقوله تعالى رايت جواب
اذا اي رايت نعيما اي لا فيه كثرة يوجد من الوجوه
ولا يقدر على وصفه واصف وملكا كبيرا اي لم يخطر
على بال احد مما هو فيه من السعة وكثرة الموجود
والعظمة قال سفيان الثوري بلغنا ان الملك
الكبير تسليم الملائكة عليهم وقيل كون التيجان
على رؤوسهم كما تكون على رؤوس الملوك وقال
الحكيم الترمذي هو ملك التكوين اذا ارادوا
شيئا قالوا له كن وفي الخبر ان الملك الكبير هو
ان ادناهم منزلة اي وما هم فيه دني الذي
في ملكه مسيرة الف عام ويرى اقصاه كما يرى
ادناه وان اعظمهم منزلة من ينظر الى وجه ربه
سبحانه وتعالى كل يوم اي قدر يوم من ايام الدنيا
مرتين ولما ذكر الدار وساكنها من مخدوم وخدم

ذكر

ذكر لباسهم بقوله تعالى عاليهم اي فوقهم ثياب
سندس هو مارق من الحرير خضر واستبرق
وهو ما غلظ من الديباج فهو البطاين والسندس
الظهائر وقرا نافع وحمزة عاليهم بسكون الياء
بعد اللام وكسر الهاء والباقون بفتح الياء وضم
الهاء لان الياء لما سكنت كسرت الهاء ولما تحركت
ضمت الهاء فاما قراءة نافع وحمزة ففيها اوجه
اظهرها ان يكون خبرا مقدما وثياب مبتدا مؤخر
كانه قال فوقهم ثياب قال ابو البقاء لان عاليهم
بمعنى فوقهم والضمير المتصل به للمطوف
عليهم او للخادم والمخدوم جميعا وان كانت
تتفاوت بتفاوت الرتب وقراءة نافع وحفص خضر
واستبرق برفعهما وقراءة حمزة والكسائي بخفضهما
وقراءة ابو عمرو وابن عامر برفع خضر وجر
استبرق وقراءة ابن كثير وشعبة بجر خضر ورفع
استبرق وحاصل القراءات في ذلك اربع مراتب
الاولى رفعهما الثانية خفضهما الثالثة رفع الاولى
وخفض الثاني الرابع عكس ذلك فاما القراءة
الاولى فان رفع على النعت لثياب ورفع استبرق
نسق على الثياب ولكن على حذف مضاف اي
وثياب استبرق واما القراءة الثانية فيكون جر

Copyright © King Saud University

خضر على النعت لسندس ثم استشكل على هذا
وصف المفرد بالجمع فقال مكي هو اسم جمع وقيل
هو جمع سندسة كتمر وتمرة ووصف اسم الجنس
بالجمع صحيح قال تعالى وينشئ السحاب الثقال واعجاز
نخل منقعر ومن الشجر الاخضر واذا كانوا قد
وصفوا المحلى لكونه مرادا به الجنس بالجمع في
قولهم اهلك الناس الدينار الحمر والدرهم
البيض وفي التنزيل او الطفل الذين فلان يوجد
ذلك في اسماء الجموع او اسماء الاجناس الفارق
بينها وبين واحدها تاء التانيث بطريق الاولى
وجر استبرق نسقا على سندس لان المعنى
ثياب من سندس وثياب من استبرق واما
القراءة الثالثة فرفع خضر نعتا للثياب وجر
استبرق نسقا على سندس اي ثياب خضر من
سندس ومن استبرق فعلى هذا يكون الاستبرق
ايضا اخضر واما القراءة الرابعة فجر خضر على انه
نعت لسندس ورفع استبرق على النسق على ثياب
بحذف مضاف اي وثياب استبرق ثم اخبر تعالى
عن تحليتهم بقوله سبحانه **وحلوا** اي المخدوم
والخادم **اساور من فضة** وان كانت تتفاوت بتفاوت
الرتب وهي بالغة من الاعضاء ما يبلغه التحجيل

في

في الوصف كما قال صلى الله عليه وسلم الحلية من
المؤمن حيث يبلغ الوضوء فلذلك كان ابو هريرة
يرفع الى المنكبين والى الساقين **تنبيه** قال
هنا اساور من فضة وفي سورة فاطر يحلون فيها
من اساور من ذهب وفي سورة الحج يحلون فيها
من اساور من ذهب ولؤلؤا فقيل حلي الرجال
الفضة وحلي النساء الذهب وقيل تارة يلبسون
الذهب وتارة يلبسون الفضة وقيل يجمع في يد
احدهم سواران من لؤلؤ ليجمع لهم محاسن الجنة
قاله سعيد بن المسيب وقيل يعطى كل احد ما يرغب
فيه ويميل نفسه اليه وقيل اسورة الفضة انما
تكون للولدان واسورة الذهب للنساء وقيل هذا
للنساء والصبيان وقيل هذا بحسب الاوقات
وسقاهم ربهم الموحد لهم المحسن اليهم المدبر
لمصالحهم **شرابا طهورا** اي ليس هو كشراب الدنيا
سواء كان من الخمر ام من الماء ام من غيرهما فهو
بالغ الطهارة وقال علي رضي الله عنه اذا توجه
اهل الجنة الى الجنة مروا بشجرة يخرج من ساقها
عينان فيشربون من احداهما فتجري عليهم نضرة
النعيم فلا تتغير ابشارهم ولا تشعث شعورهم
ابدا ثم يشربون من الاخرى فيخرج ما في بطونهم

Copyright © King Saud University

من الاذى ثم تستقبلهم خزنة الجنة فيقولون لهم
سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقال
النخعي وابو قلابة هو اذا شربوه بعد الطعام طهرهم
وصار ما اكلوه وشربوه رشح مسك وضمرت
بطونهم وقال مقاتل هو من عين ماء على باب
الجنة تنبع من ساق شجرة من شرب منها نزع
الله تعالى ما كان في قلبه من غش وغل وحسد
وما كان في جوفه من اذى وعلى هذا فيكون
مفعولا للمبالغة وقال الرازي قوله تعالى طهورا
في تفسيره احتمالان احدها انه لا يكون نجسا
كخمر الدنيا وثانيها المبالغة في البعد عن الامور
المستقذرة لانه لم يعصر فتمسه الايدي الوضرة
وتدوسه الارجل الدنسة ولم يجعل في الدنان
والاباريق التي لم يعتن بتنظيفها وثالثها انه
لا يؤول الى النجاسة لانه يرشح عرقا من ابدانهم
له ريح كريح المسك وعلى هذين الوجهين يكون
الطهور مطهرا انه يطهر بواطنهم من الاخلاق
الذميمة والاشياء المؤذية فان قيل هل هذا
نوع اخر غير ما ذكر قبل ذلك من انهم يشربون
من الكافور والزنجبيل والسلسبيل ام لا اجيب
بانه نوع اخر لوجوه اولها ان فوق ثانيها انه تعالى

وسقاهم

وسقاهم ربهم شرابا طهورا وذلك يدل على فضل
هذا دون غيره ثالثها ما روي انه تقدم اليهم الاطعمة
والاشربة فاذا فرغوا منها اتوا بالشراب الطهور فيشر بون.
فتطهر ذلك بطونهم ويفيض عرقا من جلودهم مثل
ريح المسك وهذا يدل على ان ذلك الشراب مغاير
لتلك الاشربة ولان هذا الشراب يهضم سائر
الاشربة ثم ان له مع هذا الهضم تاثيرا عجيبا
وهو انه يجعل سائر الاطعمة والاشربة عرقا يفوح
منه ريح كريح المسك ويطهر شاربه عن الميل الى
اللذات الحسية والركون الى ما سوى الحق فيتجرد
لمطالعة جلاله متلذذا بلقائه باقيا ببقائه وهو
منتهى درجات الصديقين وكل ذلك يدل على المغايرة
وقوله تعالى ان على اضمار القول اي ويقال لهم
إن هذا كان لكم جزاء اي على اعمالكم التي كنتم
تجاهدون فيها انفسكم عن هواها الى ما يرضى
ربكم والاشارة الى ما تقدم من عطاء الله تعالى
لكم وكان اي على وجه الثبات سعيكم مشكورا
اي لا نضيع شيئا منه ونجازيك باكثر منه اضعافا
مضاعفة ولما بين تعالى بهذا القرآن العظيم
الوعد والوعيد ذكر سبحانه انه من عنده وليس
بقول سحر ولا كهانة ولا شعر بقوله تعالى انا نحن

اي على ما لنا من العظمة التي لا نهاية لها لا غيرنا نزلنا
عليك وانت اعظم الخلق انزالا مستعليا حتى صار
المنزل خلقا لك القران اي الجامع لكل هدى تنزيلا
قال ابن عباس متفرقا اية بعد اية ولم ينزل جملة
واحدة قال الرازي والمقصود من هذه الاية
تثبيت الرسول صلى الله عليه وسلم وشرح صدره
فيما نسبوه اليه صلى الله عليه وسلم من كهانة
وسحر فذكر تعالى ان ذلك اوحي من الله تعالى
فكانه تعالى يقول ان كان هؤلاء الكفار يقولون
ان ذلك كهانة فان الله الملك الحق اقول على
سبيل التاكيد ان ذلك وحي حق وتنزيل صدق
من عندي وفي ذلك فائدتان الاولى ازالة
الوحشة الحاصلة بسبب طعن الكفار لان الله
تعالى عظمه وصدقه الثانية تقويته على تحمل
مشاق التكاليف فكانه تعالى يقول له اني ما نزلت
عليك القران متفرقا الا لحكمة بالغة تقتضي
تخصيص كل شي بوقت معين وقد اقتضت تلك
الحكمة تاخير الاذن في القتال فاصبر لحكم ربك
اي المحسن اليك قال ابن عباس اصبر على اذى
المشركين ثم نسخ باية القتال وقيل اصبر لما
حكم عليك به من الطاعات او انتظر حكم الله

اذ وعدك بالظفر لنصر عليهم ولا تستعجل فانه كائن
لا محالة ولا تطع منهم اي الكفرة الذين هم ضد
الشاكرين اثما اي داعيا الى اثم سوا كان مجرد داعي
مطلق الكفر او مصاحبا له او كفورا اي مبالغا في الكفر
وداعيا له وان كان كبيرا وعظيما في الدنيا فان الحق
اكبر من كل كبير وقال قتادة اراد بالاثم والكفور
ابا جهل وذلك الله لما فرضت الصلاة على النبي صلى
الله عليه وسلم نهاه ابو جهل عنها وقال لئن
رايت محمدا يصلي لاطان على عنقه وقال مقاتل اراد
بالاثم عتبة بن ربيعة وبالكفور الوليد بن المغيرة
وكانا اتيا النبي صلى الله عليه وسلم يعرضان
عليه الاموال والتزويج على ان يترك ذكر النبوة
عرض عليه عتبة ابنته وكانت من اجمل الناس
وعرض عليه الوليد ان يعطيه من الاموال
حتى يرضى ويترك ما هو عليه فقرا عليهما رسول
الله صلى الله عليه وسلم عشر ايات من اول حم
السجدة الى قوله تعالى فان اعرضوا فقل
انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فانصرف
عنه وقال احدهما ظننت ان الكعبة ستقع علي
فان قيل كانوا كلهم كفرة فما معنى القسمة
في قوله اثما او كفورا اجيب بان معناه

Copyright © King Saud University

ولا تطع منهم راكبا لما هو اثم داعيا لك اليه او فاعلا
لما هو كفر داعيا لك لانهم اما ان يدعوا الى مسا
عدتهم على فعل هو اثم او كفر او غير اثم ولا كفر
فنهى ان تساعدهم على الاثنين دون الثالث ثم
قال فانه قيل ما معنى ولا تطع احدهما فهلا جي بالواو
لتكون نهيا عن اطاعتهما جميعا اجيب
بانه لو قال ولا تطعهما لجاز ان يطيع احدهما واذا
قيل ولا تطع احدهما علم ان الناهي عن طاعة احد
هما نهى طاعتهما جميعا انتهى كما اذا نهى ان يقول
لابويه اف علم انه نهى عن ضربهما بطريق الاولى
فان قيل انه صلى الله عليه وسلم ما كان يطيع احدا
منهم فايدة هذا النهي اجيب بان المقصود
بيان ان الناس محتاجون الى التنبيه والارشاد
لاجل ما تركب فيهم من الشهوة الداعية الى النا
وان الواحد لو استغنى عن توفيق الله تعالى وارشاده
لكان احق الناس به هو رسول الله صلى الله عليه
وسلم المعصوم دائما ابدا ومتى ظهر لك ذلك عرفت
ان كل مسلم لا بد له من الرغبة الى الله تعالى والتضرع
اليه بان يصونه عن الشهوات واذكر اي في الصلاة
اسم ربك اي المحسن اليك بكل جهة بكرة
اي الفجر واصيلا اي الظهر والعصر ومن الليل

اي

اي بعضه والباقي للراحة بالنوم فاسجد له اي المغرب
والعشاء وسبحه ليلا طويلا اي صل التطوع فيه
كما تقدم من ثلثيه او نصفه او ثلثه او اذكره بلسانك
بكرة عند قيامك من منامك الذي هو الموتة
الصغرى وتذكرك انه يحيي الموتى ويحشرهم جميعا
واصيلا اي عند انقراض نهارك وتذكرك انقراض
دنياك وطي هذا العالم لاجل ايجاد يوم الفصل
وفي ذكر الوقتين اشارة الى دوام الذكر وذكر اسمه
لازم لذكره والذي عليه اكثر المفسرين الاول
قال ابن عباس وسفيان كل تسبيح في القرآن لانها
اعظم الذكر لانها ذكر اللسان والجنان والاركان
فوظفت فيها اركان لسانه وحركات وسكنات
على هيئات مخصوصة من عادتها ان لا تفعل
الا بين يدي الملوك ولما خاطب رسول الله صلى
الله عليه وسلم بالتعظيم والامر والنهي عدل
سبحانه الى شرح احوال الكفار والمتمردين فقال
تعالى ان هؤلاء اي الذين يغفلون عن الله من
الكفار والمتمردين يحبون اي محبة تجدد عندهم
زيادتها في كل وقت العاجلة لقصور نظرهم
وجمودهم على المحسوسات التي الاقبال عليها
منشا البلادة والقصور ومعدن الامراض للقلو ب

Copyright © King Saud University

الق في الصدور من تعاطي اسباب الامراض مرض
وسمى شاكرا ويذرون اي ويتركون وراءهم
اي قدامهم على وجه الاحاطة بهم وهم عنه
معرضون كما يعرض الانسان عما وراءه او خلف ظهورهم
لا يعباون به وقوله تعالى يوما مفعول يذرون
لا ظرف وقوله تعالى ثقيلا وصف له استعير له
الثقل لشدته وهوله من الشيء الثقيل الباهظ
لحامله ونحوه ثقلت في السموات والارض نحن
خلقناهم اي بما لنا من العظمة لا غيرنا وشددنا
اي قوينا اسرهم اي توصيل عظامهم بعضها
ببعض وتوثيق عظامهم بالاعصاب بعد ان
كانوا نطفا امشاجا في غاية الضعف واصل
الاسر الربط والتوثيق ومنه اسر الرجل اذا
وثق بالقد وهو الاسار وفرس مأسور الخلق
واذا شئنا اي بما لنا من العظمة ان نبدل ما شئنا
من صفاتهم او ذواتهم بدلنا امثالهم اي جئنا
بامثالهم بدلا منهم او بان نهلكهم ونأتي بدلهم
لهم بمن يطيع واما بتغيير صفاتهم كما نشاهد في
بعض الاوقات في المسخ وغيره وقوله تعالى تبديلا
تأكيد قال الجلال المحلي ووقعت اذا موقع ان
نحو ان يشأ يذهبكم لانه تعالى لم يشأ ذلك واذا

لما

لما يقع وفي ذلك رد لقول الزمخشري وحقه ان يجيء
بان لا باذا كقوله وان تتولوا يستبدل قوما غيركم
ان يشأ يذهبكم ان هذه اي السورة تذكرة
او الآيات القرآنية تذكرة اي عظة للخلق فان في
تصفحها تنبيهات للغافلين وفي تدبرها وتذكرها
فوائد جمة للطالبين السالكين فمن القى سمعه
واحضر قلبه وكانت نفسه مقبلة على ما القي اليه
سمعه فمن شاء اي بان يجتهد في وصوله
الى ربه اتخذ اي اخذ بجهده من مجاهدة نفسه
ومخالفته هواه الى ربه اي المحسن اليه الذي
ينبغي له ان يحبه بجميع جوارحه وقلبه ويجتهد
في القرب منه سبيلا اي طريقا واضحا سهلا واسعا
بافعال الطاعة التي امرنا بها لانا بينا الامور
غاية البيان وكشفنا اللبس وازلنا جميع موانع
الفهم فلم يبق مانع من استطراق الطريق غير
مشيئتنا وما تشاؤون اي في وقت من الاوقات
شيئا من الاشياء وقرأ ابو عمرو وابن عامر بالياء
التحتية على الغيبة والباقون بالتاء على الخطاب
واذا وقف حمزة سهل الهمزة مع المد والقصر
وله ايضا ابدالها واوا مع المد والقصر الا وقت ان
يشاء الله اي الملك الاعلى الذي له الامر كله

Copyright © King Saud University

والملك كله على حسب ما يريد ويقدر وقد صح بهذا
ما قال الاشعري وسائر اهل السنة من ان للعبد
مشية تسمى كسبا لا تؤثر الا بمشية الله تعالى وانتفى
مذهب القدرية الذين يقولون انا نخلق افعالنا
ومذهب الجبرية القائلين لا فعل لنا اصلا ومثل
الملوي ذلك عن يريد قطع بطيخة بحد سكينة
وهياها واوجد فيها اسباب القطع وازال عنها
موانعه ثم وضعها على البطيخة فهي لا تقطع دون
ان يتحامل عليها التحامل المعروف لذلك ولو
وضع عليها ما لا يصلح للقطع كخشبة مثلا لم تقطع
ولو تحامل فالعبد كالسكين خلقه الله تعالى وهياه
بما اعطاه من القدرة للفعل فمن قال انا اخلق فعلا
مستقلا به فهو كمن قال السكين تقطع بمجرد وضعها
من غير تحامل ومن قال الفاعل هو الله من غير
نظر الى العبد اصلا كان كمن قال هو يقطع البطيخة
بتحامل يده او قصبة ملسا من غير سكين والذي
يقول انه باشر بقدرته المهيا لفعل يخلقه الله تعالى
له في ذلك الفعل كمن قال ان السكين قطعت بالتحامل
عليها بهذا اجرى الله سبحانه وتعالى عادته في
الناس ولو شا غير ذلك فعل ولا يخفى ان هذا هو
الحق لا مرية فيه ثم علل ذلك باحاطته بشيهم

بقوله

بقوله تعالى ان الله اي المحيط علما وقدرة كان اي
ازلا وابدا عليما اي بما يستاهل كل احد حكيما
اي بالغ الحكمة فهو يمنع منعا محكما من ان يشا غيره
ما لم ياذن فيه فمن علم في جبلته خيرا اعانه
عليه ومن علم منه الشر ساقه اليه وحمله عليه
وهو معنى قوله تعالى يدخل من يشا اي ممن
علمه من اهل السعادة في رحمته اي جنته وهم
المومنون وقوله تعالى والظالمين اي الكافرين
منصوب بفعل يفسره قوله تعالى اعد لهم مثل
ما اوعد وكافا ليطابق الجمل المعطوف عليها عذابا
اليما اي مولما فهم فيه خالدون ابد الابدين وقول
البيضاوي تبعا للزمخشري انه صلى الله عليه
وسلم قال من قرا سورة هل اتى كان جزاوه
على الله جنة وحريرا حديث موضوع

سورة والمرسلات عرفا مكية

في قول الحسن وعكرمة وعطا وجابر وقال ابن عباس
وقتادة الا اية منها وهي قوله تعالى واذا قيل لهم
اركعوا لا يركعون فمدنية وقال ابن مسعود نزلت
والمرسلات عرفا على النبي صلى الله عليه وسلم
ليلة الجن ومعه نفر حتى اوينا الى غار مني
فنزلت فبينما نحن نتلقاها منه وان فاه رطب

Copyright © King Saud University

بها ادونت حية فوثبنا عليها لنقتلها فذهبت
فقال النبي صلى الله عليه وسلم وقيتم شرها
كما وقيت شركم انتهى والغار المذكور مشهور في منى
وقد زرته ولله الحمد وعن قريب مولى ابن عباس
قال قرات سورة والمرسلات عرفا فسمعتني ام
الفضل امراة العباس فبكت وقالت والله يا ابني
لقد ذكرتني بقراتك هذه السورة انها لاخر ما سمعته
من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا بها في
صلاة المغرب وهي خمسون اية واحدى وثمانون
كلمة وثمانمائة وستة عشر حرفا بسم الله الملك
الحق المبين الرحمن المنعم على الخلق اجمعين
الرحيم الذي خص بكرامته عبادة المومنين
والمرسلات عرفا اي الرياح متتابعة كعرف
الفرس يتلو بعضها بعضا ونصبها على الحال هذا
ما عليه الجمهور من انها الرياح قال تعالى وارسلنا
الرياح وقال تعالى ويرسل الرياح وروى مسروق
عن عبد الله قال هي الملائكة ارسلت بالعرف
من امر الله تعالى ونهيه و الخبر والوحي وهو
قول ابي هريرة ومقاتل والكلبي وقال ابن عباس
رضي الله عنهما هم الانبيا عليهم السلام ارسلوا
بلا اله الا الله وقال ابو صالح هم الرسل ترسل بما

يعرفون

يعرفون به من المعجزات وقيل المراد السحاب لما فيها
من نعمة ونقمة عارفة بما ارسلت اليه ومن ارسلت
فالعاصفات اي الرياح الشديدة عصفا اي عظيما
عالها من النتايج الصالحة وقيل الملائكة شبهت
لسرعة جريها في امر الله تعالى بالرياح وقيل
الملائكة تعصف بروح الكافر يقال عصف بالشي
اذا اباده واهلكه وناقة عصوف اي تعصف
بركابها فتمضي كانها ريح في السرعة وعصفت
الحرب بالقوم اي ذهبت بهم وقيل يحتمل انها
الايات المهلكة كالزلازل والخسوف والناشرات
نشرا اي الرياح اللينة تنشر المطر وقال الحسن
هي الرياح التي يرسلها الله تعالى بين يدي رحمته
وقيل الامطار لانها تنشر النبات بمعنى تحييه
وروي عن السدي انها الملائكة تنشر كتب الله
تعالى وروي الضحاك انها الصحف تنشر على الله
تعالى باعمال العباد تنبيه انما قال الله تعالى
والناشرات بالواو لانه استيناف قسم اخر فالفا رقات
فرقا اي الرياح تفرق السحاب وتبدده قاله مجاهد
وعن ابن عباس هي الملائكة تفرق الاقوات والارزاق
والاجال وقيل هم الرسل فرقوا بين ما امر
الله تعالى به وما نهى عنه اي بينوا ذلك وقيل

القران تفرق بين الحق والباطل والحلال والحرام **فالملقيات ذكرا** اي الملايكة تنزيل بالوحي الي الانبيا والرسل عليهم السلام وقيل هو جبريل عليه السلام وحده سمي باسم الجمع تعظيما فان قيل ما المناسب علي هذا بين الرياح والملايكة في القسم اجيب بان الملايكة روحانيون فهو يشبه لطافتهم وسرعة حركاتهم كالرياح وقيل المراد الرسل يلقون الي اممهم ما انزل عليهم وذكرا مفعول به ناصبه الملقيات **عذرا او نذرا** مصدران من عذر اذ محا الاساءة ومن انذر اذا خوف علي فعل كالكفر والشكر ويجوز ان يكون جمع عذير بمعني المعذور وجمع نذير بمعني الانذار وبمعني العاذر والمنذر ونصبهما اما علي البدل من ذكرا علي الوجهين الاولين او علي المفعول له واما علي الوجه الثالث فعلي الحال بمعني عاذرين او منذرين وقرا او نذرا نافع وابن كثير وابن عامر وشعبة بضم الذال والباقون بسكونها وقوله تعالي **انما توعدون لواقع** جواب القسم ومعناه ان الذي توعدونه من مجي القيامة كاين لا محالة وقال الكلبي المراد ان كل ما توعدون به من الخير والشر لواقع ثم بين وقت

ووعد فقال تعالي **فاذا النجوم** اي علي كثرتها **طمست** اي محي نورها وذهب نورها ومحق ذواتها وهو موافق لقوله تعالي انتثرت وانكدرت قال الزمخشري ويجوز ان يمحق نورها ثم تنتثر ممحوقة النور **واذا السماء** اي علي عظمها **فرجت** اي فتحت فتحت وشقت فكانت ابوابا والفرج الشق ونظيره اذا السما انشقت **واذا الجبال** اي علي صلابتها **نسفت** اي ذهب بها كلها بسرعة من نسفته اي اذا اختطفته او نسفت كالحب اذا نسف بالمنسف ونحوه وبست الجبال بسا وكانت الجبال كثيبا مهيلا **واذا الرسل** اي الذين انذروا الناس ذلك اليوم فكذبوا **اقتت** قال مجاهد والزجاج المراد بهذا التاقيت تبيين الوقت الذي فيه يحضرون للشهادة علي اممهم اي جمعت لميقات يوم معلوم وهو يوم القيامة والوقت الاجل الذي يكون عنده الشي المؤخر اليه فالمعني جعل لها وقت اجل للفصل والقضا بينهم وبين الامم كقوله تعالي يوم يجمع الله الرسل وقرا ابو عمرو بواو مضمومة والباقون بهمزة مضمومة وهما لغتان والعرب تعاقب بين الواو والهمزة كقولهم وكدت واكدت وقوله تعالي **لاي يوم** اي عظيم متعلق بقوله تعالي **اجلت**

Copyright © King Saud University

وهذه الجملة معمولة لقول مكي مضمر اي يقال لاي
يوم اجلت وهذا القول المضمر يجوز ان يكون جواب
لاذا وان يكون حالا من وقوع وقتت اي مقولا فيها
لاي يوم اجلت اي اخرت وهذا تعظيم لذلك اليوم
وتعجيب له وقوله تعالى **ليوم الفصل** بيان ليوم
التاجيل وقيل اللام بمعنى الى ذكره مكي قال ابن
عباس يوم فصل الرحمن بين الخلائق كقوله تعالى
ان يوم الفصل ميقاتهم اجمعين ثم اتبع هذا
التعظيم تعظيما اخر بقوله تعالى **وما ادراك ما يوم**
الفصل اي ومن اين تعلم كنهه ولم تر مثله
في شدته ومهابته وقرا ابو عمرو وشعبة وحمزة
والكسائي وابن ذكوان بخلاف عنه بالامالة محضة
وقرا ورش بين بين والباقون بالفتح ثم اتبعه
تهويلا ثالثا بقوله تعالى **ويل يومئذ** اي اذ يكون
يوم الفصل **للمكذبين** اي بذلك قال القرطبي
ويل عذاب وخزي لمن كذب بالله تعالى وبرسله
وعلى تقدير تكذيبهم فان لكل مكذب بشي
عذاب تكذيبه بشي اخر ورب شي كذب به هو
اعظم جرما من تكذيبه لغيره لانه اقبح في تكذيبه
واعظم في الرد على الله تعالى وانما يقسم له من
الويل على قدر ذلك وعلى قدر وفاقه وهو قوله

تعالى

٣٢٧

تعالى جزاء وفاقا وقيل كرره لمعنى تكرار التخويف
والوعيد وروي عن النعمان ابن بشير قال ويل واد
في جهنم فيه الوان العذاب وقاله ابن عباس وغيره
وروي انه صلى الله عليه وسلم قال عرضت
علي جهنم فلم ار فيها واديا اعظم من الويل وروي
انه ابيه مجمع ما يسيل من قيح اهل النار وصديدهم
وانما في الدنيا اي شر المواضع ما استنقع فيها مياه
الادناس والاقذار والغسالات والجيف وما الحما مات
فذكر ان الوادي مستنقع صديد اهل الكفر والشرك
ليعلم العاقل انه لا شي اقذر منه قذارة ولا
انتن منه نتنا تنبيه ويل مبتدا وسوغ الابتدا بثم
به الدعا ويومئذ ظرف للويل وللمكذبين خبره
وقال الزمخشري فان قلت كيف وقع النكرة
مبتدا قلت هو في اصله مصدر منصوب ساد مسد
فعله لكنه عدل به الى الرفع للدلالة على معنى
ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه ونحوه سلام
عليكم واعترض بان الذي ذكره ليس من المسوغات
التي ذكرها النحويون وانما المسوغ كونه دعا وفائدة
العدول الى الرفع ما ذكره **الم نهلك** اي بما لنا من العظمة
الاولين من لدن ادم عليه السلام الى زمن محمد
صلى الله عليه وسلم كقوم نوح وعاد وثمود بتكذيبهم

Copyright © King Saud University

اي اهلكناهم ثم نتبعهم الاخرين اي ممن كذبوا الكفار
مكة فنهلكهم كما اهلكنا الاولين ونسلك بهم سبيلهم
لانهم كذبوا مثل تكذيبهم كذلك اى مثل ذلك
الفعل الشنيع نفعل بالمجرمين اي بكل من اجرم فيما
يستقبل اما بالسيف واما بالهلاك ويل يومئذ اي يو
اذ يوجد ذلك الفعل للمكذبين اي بايات الله وانبيا
قال البيضاوي فليس تكرارا وكذا ان اطلق التكذيب
اوعلق في الموضعين بواحد لان الويل الاول بعذاب
الاخرة وهذا للاهلاك في الدنيا مع ان التكرير
للتوكيد حسن شايع في كلام العرب الم نخلقكم اي
ايها المكذبون بما لنا من العظمة التي لا تغيرها عظمة
من ماء مهين اي ضعيف حقير وهو النطفة وهذا
نوع اخر من تخويف الكفار وهو من وجهين الاول
انه تعالى ذكرهم عظم انعامه عليهم وكلما كان
نعمه عليه اكثر كان جنايته في حقه اقبح وافحش
الثاني انه تعالى ذكرهم انه قادر على الابتدا
والقادر على الابتدا قادر على الاعادة فلما انكروا
هذه الدلالة الظاهرة لاجرم قال تعالى في حقهم
ويل يومئذ للمكذبين وهذه الاية تشبه نظير
قوله تعالى ثم جعل نسله من سلالة من ماء
مهين وقرأ كل القرا بادغام القاف في الكاف

وابقاء

وابقاء الصفة ولهم ايضا ادغام الصفة مع الحذف
فجعلناه اي بما لنا من القدرة والعظمة بالانزال للما
في الرحم في قرار اي مكان مكين اي حريز وهو
الرحم الى قدر معلوم اي وهو وقت الولادة كقوله
تعالى ان الله عنده علم الساعة الى قوله ويعلم
ما في الارحام فقدرنا اي ذلك دون غيرنا فنعم
القادرون نحن وقرا نافع والكسائي بتشديد الدال
فيصح على هذه القراة اي يكون المعنى فقدرناه
والباقون بالتخفيف وقال علي كرم الله وجهه ولا
يبعد ان يكون المعنى في التخفيف والتشديد واحد
لان العرب تقول قدر وقدر عليه الموت ويل يو	ميذ
اي اذ كان ذلك للمكذبين اي بقدرتنا على ذلك او
على الاعادة وقوله تعالى الم نجعل اي نصير
بما ثبتنا بما لنا من العظمة الارض كفاتا مصدر
كفت بمعنى ضم وعاضامة احيا اي على ظهرها
في الدور وغيرها وامواتا في بطنها في القبور وغير	ىقا
وقيل الاحيا والاموات يرجع الى الارض اي الارض
منقسمة الى حي وهو الذي ينبت والى ميت وهو
الذي لا ينبت وقيل كفات جمع كافت كصيام
وقيام جمع صايم وقايم وقال الخليل تقلب
الشي ظهرا لبطن او بطنا لظهر ويقال انكفت القوم

Copyright © King Saud University

الى منازلهم اي انقلبوا فرحين الكفار انهم يتحرفون
على ظهورها وينقلبون اليها فيه فنون فيها وجعلنا
اي بما لنا من القدرة التامة فيها اي الارض رواسي
اي جبال لولاها لمادت باهلها ومن العجايب بمرا
منها من فوقها خلاف المراسي السفن شامخات
اي مرتفعات جمع شامخ وهو المرتفع جدا ومنه
شمخ بانفه اذا تكبر جعل كناية عن ذلك كثني العطف
وصعر الخد كما قال لقمان لابنه ولا تصعر خدك
للناس واسقيناكم اي بما لنا من العظمة ماء اي
من الانهار والعيون والغدران والابار وغير
ذلك فراتا اي عذبا تشربون منه ودوابكم
وتسقون منه زرعكم وهذه الامور اعجب
من البعث روي في الارض من الجنة سيحان
وجيحان والنيل والفرات كل من انهار الجنة
ويل يومئذ اي اذ تقوم الساعة للمكذبين اي
بامثال هذه النعم وقوله تعالى انطلقوا على
ارادة القول اي يقال للمكذبين يوم القيامة انطلقوا
الى ما كنتم به تكذبون من العذاب يعني النار فقد
شاهدتموه عيانا انطلقوا الى ظل اي ظل دخان
جهنم لقوله تعالى وظل من يحموم ذي ثلاث شعب
اي تتشعب لعظمه كما يرى الدخان العظيم يتفرق

ذوايب

٣٢٩

ذوايب وقيل يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار
كالسرادق ويتشعب من دخانها ثلاث شعب فتظلهم
حتى يفرغ حسابهم والمومنون في ظل العرش وقيل
ان الشعب الثلاث هي الضريع والزقوم والغسلين
لانها اوصاف النار وقوله تعالى لا ظليل اي كنى
يظلهم من حر ذلك اليوم تهكم بهم ورد لما اوهمه
لفظ الظل ولا يغني اي ولا يرد عنهم شيئا من اللهب
اي لهب النار فليس كالظل الذي يقي حر الشمس
وهذا تهكم بهم وتعريض بان ظلهم غير ظل المومنين
واللهب ما يعلو على النار اذا اضطربت من احمر
واصفر واخضر انها اي النار ترمي اي من شدة
الاشتعال بشرر وهو ما تطاير من النار كالقصر
اي كل شررة كالقصر من البنا في عظمه وارتفاعه
وقال ابن مسعود يعني الحصون وعن ابن عباس
رضي الله عنهما في قوله تعالى ترمي بشرر كالقصر
قيل هي الخشب العظام المقطعة قال وكنا نعمد الى
الخشبة فنقطعها ثلاثة اذرع وفوق ذلك ودونه
ندخرها للشتا فكنا نسميها القصر وقال سعيد بن
جبير والضحاك هي اصول النخل والشجر العظام
واحدتها قصرة مثل جمرة وجمر وقوله تعالى كانه
اي الشرر جمالات قراه حمزة والكسائي وحفص بغير

Copyright © King Saud University

بعد

الف بحج اللام بعد على التوحيد والباقون بالالف على
الجمع جمع جمالة وهي التي قراتها اولا وهي جمع جمل مثل
حجارة وحجر وقوله تعالى صفر جمع اصفر اي في
هيتها ولونها وفي الحديث شرار النار اصفر
كالقير والعرب تسمى سواد الابل صفر الشوب سوادها
بصفرة فقيل صفر في الاية بمعنى سود لما ذكروا
في شعر عمران ابن حطان الخارجي ؛
دعتهم باعلا صوتها ورمتهم ؛ بمثل الجمال الصفر نزاعة
الشوي ؛ قال الترمذي وهذا القول ضعيف ومحال
في اللغة ان ان يكون من شوبه شي قليل فينسب
كله الى ذلك الشايب فالعجب ممن قال هذا وقد قال
الله تعالى جمالات صفر فلا نعلم شيا من هذا
في اللغة وقيل شبه الشرر بالجمالات لسرعة سيرها
وقيل لمتابعة بعضها ويل يومئذ اي اذ يكون
ذلك للمكذبين اي بهذه الامور العظام هذا
اي يوم القيامة يوم لا ينطقون اي بشي من فرط
الدهشة والحيرة وهذا نوع اخر من انواع
تخويف الكفار بانه ليس لهم عذر ولا حجة فيما
اتوا به من القبايح وهذا في بعض المواقف قال
يوم القيامة يوم طويل ذو مواطن ومواطن
ومواقيت ينطقون في وقت ولا ينطقون في وقت

ولذلك

ولذلك ورد الامران في القران الكريم ففي بعضها
يختصمون ويتكلمون وفي بعضها يختم على افواههم
فلا ينطقون وروى عكرمة ان ابن عباس سالة
ابن الازرق عن قوله تعالى هذا يوم لا ينطقون
ولا تسمع الا همسا واقبل بعضهم على بعض يتسالون
فقال ان الله تعالى يقول وان يوما عند ربك كالف
سنة مما تعدون فان لكل مقدار من هذه الايا
لونا من هذه الالوان وقال الحسن فيه اضمار م
اي هذا يوم لا ينطقون فيه بحجة نافعة فجعل
نطقهم كلا نطق لانه لا ينفع ولا يسمع ومن نطق
بما لا ينفع فكانه ما نطق كما يقال لمن تكلم بكلام
لا يفيد ما قلت شيا وقيل ان هذا وقت
جوابهم اخسئوا فيها ولا تكلمون ولا يؤذن لهم
اي في العذر وقوله تعالى فيعتذرون عطف على
يؤذن من غير تسبب عنه فهو داخل في حيز النفي
اي لا اذن فلا اعتذار ويل يومئذ اي انه كان
هذا الموقف للمكذبين اي الذين لا تقبل منهم معذرة ة
هذا يوم الفصل وهذا نوع اخر من انواع
تهديد الكفار وتخويفهم اي يقال لهم هذا اليوم
الذي يفصل فيه بين الخلايق فيتبين المحق
من المبطل جمعناكم ايها المكذبون من هذه

Copyright © King Saud University

الامة بما لنا من العظمة والاولين من المكذبين قبلكم
فتحاسبون وتعذبون جميعا قال ابن عباس جمع الذين
كذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم والذين كذبوا
النبيين من قبل وقوله تعالى فان كان لكم
كيد اي حيلة في دفع العذاب عنكم فكيدون
اي فاحتالوا لانفسكم وقاوون ولن تجدوا الى
ذلك تقريع لهم على كيدهم لدين الله تعالى وذويه
وتسجيل عليهم بالعجز وقيل ان ذلك من قول
النبي صلى الله عليه وسلم فيكون كقول هود عليه
السلام فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون ويل يومئذ
اي يقال لهم هذا الكلام فيكون زيادة في عذابهم
للمكذبين اي الراسخين في التكذيب في ذلك ثم
ذكر ضد المكذبين بقوله تعالى ان المتقين اي
الذين اتقوا الشرك لانهم في مقابلة المكذبين
في ظلال اي تكاثف اشجار اذ لا شمس يظل من
حرها وعيون اي من ماء وعسل وخمر كما قال
تعالى فيها انهار من ماء غير اسن وانهار من لبن
لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين
وانهار من عسل مصفى وقرأ نافع وابو عمرو
وهشام وحفص بضم العين والباقون بكسرها
وفواكه مما يشتهون في هذا اعلام بان المأكل

والمشرب

والمشرب في الجنة بحسب شهواتهم بخلاف الدنيا
فبحسب ما يجد الناس في الاغلب وقوله تعالى
كلوا واشربوا في موضع الحال من ضمير المتقين في
الظرف الذي هو في ظلال اي هم مستقرون في ظلال
مقولا لهم ذلك وقوله تعالى هنيئا حال اي
متهنئين بما اي بسبب ما كنتم تعملون من طاعة
الله انا اي بما لنا من العظمة كذلك اي كما جزينا
المتقين بهذا الجزاء العظيم نجزي المحسنين اي نثيب
الذين احسنوا في تصديقهم محمدا صلى الله عليه وسلم
واعمالهم في الدنيا ويل يومئذ اي اذ يكون لهذا
النعيم للمتقين المحسنين للمكذبين اي يحضر
لهم العذاب المخلد لهم النعيم المؤبد وقوله
تعالى كلوا وتمتعوا خطاب للكفار في الدنيا قليلا اي
من الزمان وغايته الى الموت وهو زمان قليل
لانه زائل مع قصر مدته في زمن الاخرة وفي هذا
تهديد لهم ويجوز ان يكون ذلك خطابا لهم في
الاخرة ايذانا بانهم كانوا في الدنيا احقاء بان
يقال لهم وكانوا من اهله تذكيرا بحالهم السمجة
بما جنوا على انفسهم من ايثار المتاع القليل على
النعيم والملك الخالد وبهذا ما جرى عليه
الزمخشري اولا وذكر الاول ثانيا واقتصر الجلال

Copyright King Saud University

المعالي على ما ذكرته اولا وهو اولى قال بعض العلما التمتع
بالدنيا من افعال الكافرين والسعي لها من افعال
الظالمين والاطمينان اليها من افعال الكاذبين
والسكون فيها على حد الاذن الاخذ منها على قدر
الحاجة من افعال عوام المومنين والاعراض عنها
من افعال الزاهدين واهل الحقيقة اجل خطرا
من ان يوثر فيهم حب الدنيا وبغضها وجمعها وتركها
ثم علل ذلك موكدا بقوله تعالى لانهم يكرون
وصفهم بذلك انكم مجرمون ففيه دلالة على
ان كل مجرم يتمتع ايا ما قلايل ثم البقا في الهلاك
ابدا ويل يومئذ اي اذ تعذبون باجرامكم للمكذ
بين حيث عرضوا انفسهم للعذاب الدايم بالتمتع
القليل واذا قيل لهم اي لهولاء المجرمين من
اي قايل كان اركعوا اي صلوا التي فيها الركوع
كما نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما واطلقوه
عليها تسمية لها باسم جزئها وخص هذا
الجزء لانه يدل على الخضوع والطاعة ولانه خاص
بصلاة المسلمين لا يركعون اي لا يصلون قال
الرازي وهذا ظاهر لان الركوع من اركانها
فبين تعالى ان هولاء الكفار من صفتهم انهم
اذا دعوا الى الصلاة لا يصلون ويجوز ان يكون

اركعوا

اركعوا بمعنى اخشعوا وتواضعوا لله بقبول وحيه
واتباع دينه واطرحوا هذا الاستكبار لا يخشعون
ولا يقبلون ذلك ويصرون على استكبارهم وان
يكون بمعنى اركعوا في الصلاة اذ روي انها نزلت
في ثقيف حين امرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالصلاة فقالوا لا نجبي فانها مسبة علينا فقال
صلى الله عليه وسلم لا خير في دين ليس فيه
ركوع ولا سجود قال في القاموس جبى تجبية
وضع يديه على ركبتيه او على الارض او انكب على
وجهه والتجبية ان يقوم قيام الراكع واستدل
بهذه الاية على ان الكفار يخاطبون بفروع الشرايع
وانهم حال كفرهم يستحقون الذم والعقاب بترك
الصلاة لان الله تعالى ذمهم حال كفرهم وعلى
ان الامر للوجوب لان الله تعالى ذمهم بمجرد ترك
المامور به وهو يدل على ان الامر للوجوب فان
قيل انما ذمهم لكفرهم اجيب ـــــ بانه تعالى
ذمهم على كفرهم من و[illegible] حوه الا انه تعالى انما ذمهم
في هذه الاية لتركهم المامور به وقرا نافع بر
والكساي بضم القاف والباقون بكسرها ويل يومئذ
اي اذ يكون الفصل للمكذبين اي بما امروا به
قال الرازي الله تعالى لما بالغ في زجر الكفار من اول

Copyright © King Saud University

هذه السورة الي اخرها بهذه الوجوه العشرة المذكورة
وحث علي التمسك بالنظر والاستدلال والانقياد
للدين الحق ختم السورة بالتعجب من الكفار وبين انهم
اذا لم يومنوا بهذه الدلايل اللطيفة مع تجليتها و و
ضوحها فباي حديث بعده اي القران يومنون
اي لا يمكن ايمانهم بغيره من كتب الله تعالي بعد
تكذيبهم به لاشتماله علي الاعجاز الذي لم تشتمل عليه
غيره واستدل بعض المعتزلة بهذه الاية علي ان
القران حادث لان الله تعالي وصفه بانه حديث
والحديث ضد القديم والضدان لا يجتمعان
فاذا كان حديثا وجب ان لا يكون قديما واجيب
بان المراد منه هذه الالفاظ ولا نزاع في انها محدثة
وقول البيضاوي تبعا للزمخشري ان النبي صلي
الله عليه وسلم قال من قرا سورة المرسلات
كتب الله تعالي له انه ليس من المشركين حديث
موضوع سورة عم يتساءلون وتسمي سورة
النبا مكية وهي اربعون او احدي واربعون
اية وثلاثة وتسعون كلمة وسبعماية وسبعون
حرفا بسم الله الذي له الملك كله الرحمن الذي
عم الوجود بفضله الرحيم الذي تمحضت
اولياوه جنته وقوله تعالي عم اصله عن ما

على

علي انه حرف جر دخل علي ما الاستفهامية وادغمت
النون في الميم وحذفت الف ما كقوله فيم واستعما ل
الاصل قليل ومنه قول حسان ، علي ما قام يشتمني لئيم
كخنزير تمرغ في رمادي ومعني هذا الاستفهام تفخيم
الشان كانه قال عن اي شان يتساءلون ونحوه قولك
زيد ما زيد جعلته لانقطاع قرينه وعدم نظيره
كانه شي خفي عليك فانت تسال عن جنسه وتفحص
عن جوهره كما تقول ما الغول وما العنقا تريد
اي شي هو من الاشيا هذا اصله ثم جرد للعبارة
عن التفخيم حتي وقع في كلام من لا يخفي خافية
ولذا لما وقف البزي الحق الميم هاء السكت
تحفظا عنه والضمير في يتساءلون لاهل مكة كانوا
يتساءلون عن البعث فيما بينهم وذلك ان النبي صلي
الله عليه وسلم لما دعاهم الي التوحيد واخبرهم
بالبعث بعد الموت وتلا عليهم القران جعلوا يتسا لون
بينهم فيقول ماذا جاء به محمد ويسالون الرسول
والمومنين عنه استهزا وقيل الضمير للمسلمين
والكافرين جميعا وكانوا جميعا يسالون عنه اما المسلم
فيزداد خشية واستعدادا واما الكافر فيزداد
استهزا ثم ذكر ان تساؤلهم عما ذا فقال تعالي عن
النبا العظيم قال مجاهد والاكثرون هو القران

Copyright © King Saud University

دليله قوله تعالى قل هو نبأ عظيم وقال قتادة هو
البعث فان قيل اذا كان الضمير يرجع للكافر فكيف
يكون قوله تعالى الذين هم اى بضمايرهم مع اد
عائهم انها اقوى الضماير فيه مختلفون مع ان
الكفار كانوا متفقين على انكار البعث اجيب
بانا نسلم اتفاقهم على ذلك بل كان فيهم من يثبت
المعاد الروحاني وهم جمهور النصارى واما
المعاد الجسماني فمنهم من يقطع القول بانكاره
ومنهم من يشك واما اذا كان المتساءل عنه
القران فقد اختلفوا فيه كثيرا وقيل المتسائل
عنه القران فقد اختلفوا فيه كثيرا وقيل المتسائل
عنه نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقوله كلا
ردع للسائلين منا سيعلمون ما يحل بهم على
انكارهم له وقوله تعالى ثم كلا سيعلمون
تاكيد وفي ثم للايذان بان الوعيد
الثاني اشد من الاول وقال الضحاك الاولى
للكفار والثانية للمومنين اى سيعلم الكفار عا
قبة تكذيبهم ويعلم المومنون عاقبة تصد
يقهم ثم اومأ تعالى الى القدرة على البعث بقوله
تعالى الم نجعل اى بما لنا من العظمة الارض
مهادا اى فراشا كالمهد للصبى وهو ما يمهد

لد

له فينوم عليه تسمية للممهود بالمصدر كضرب
الامير والجبال اى التي تعرفون شدتها وعظمها
اوتادا اى تثبت بها الارض كما تثبت الخبا بالاوتاد
والاستفهام للتقرير فيستدل بذلك على قدرته
على جميع الممكنات واذا ثبت ذلك ثبت القول بصحة
البعث وانه قادر على تخريب الدنيا بسمواتها وكوا لنا
وارضها وعلى ايجاد عالم الاخرة تنبيه مهادا
مفعول ثان لان الجعل بمعنى التصيير ويجوز ان
يكون بمعنى الخلق فتكون حالا مقدرة وخلقناكم
اى بما دل على ذلك من مظاهر العظمة ازواجا
اى اصنافا ذكورا واناثا وقيل الوانا وجعلنا
اى بما لنا من العظمة نومكم سباتا اى راحة
لابدانكم قال الزجاج السبات ان ينقطع عن
الحركة والروح فيه وقيل معناه جعلنا نومكم
قطعا لاعمالكم وقيل المسبوت الميت من السبت
وهو القطع لانه مقطوع عن الحركة والنوم احد
التوفيتين وقوله تعالى وجعلنا اى بما لنا من
العظمة الليل اى بعد ذهاب الضياء حتى كانه
لم يكن لباسا فيه استعارة اى يستركم عن
العيون بظلمته كما اذا اردتم هربا من عدو
او بياتا له او اخفا ما لا تحبون الاطلاع عليه

١١٢/٥٠٤

Copyright@King Saud University

من كثير من الامور قال الشاعر
وكم لظلام الليل عندك يزيد ، يخبران المانويه
تكذب ولما جعل النوم موتا جعل اليقظة معاشا
فقال تعالى وجعلنا اي بما لنا من القدرة التامة النهار
اي الذي ابتته الشمس معاشا اي حياة تبعثون
فيه عن نومكم او وقت معاش تتقلبون فيه في
حوائجكم ومكاسبكم لتحصيل ما تعيشون به فمننا
بنا عليه هذا اسم زمان وبنينا بما لنا من الملك
التام فوقكم سبعا اي سبع سموات وقوله تعالى
شدادا جمع شديدة اي قوية محكمة لا يوثر فيها
مرور الزمان لا فطور فيها ولا فروج ونظيره قوله
وجعلنا السماء سقفا محفوظا وجعلنا اي بما لنا من
العظمة بما لا يقدر عليه غيرنا سراجا اي منيرا
متلالئا وهاجا اي وقادا وهي الشمس وانزلنا
اي بما لنا من كمال الاوصاف من المعصرات اي
السحاب اذا عصرت اي شارفت ان تعصرها الرياح
فتمطر كقولك حز الزرع اي حان ان يحز واعصرت
الجارية اذا دنت ان تحيض وعن الحسن وقتادة
هي السموات وتاويله ان الماء ينزل من السماء الى
السحاب فكان السموات عصرت وقيل من الرياح
التي حان لها ان تعصر السحاب وقيل الرياح ذوات

الاعاصر

الاعاصر وانما جعلت مبدا للانزال لانها تنشئ السحاب
وتدر اخلافه ثجاجا اي منصبا بكثرة يقال ثجه
وثج بنفسه وفي الحديث افضل الحج العج والثج اي
رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدي وكان
ابن عباس مثجا يسيل غربا يعني يثج الكلام
ثجا في خطبته لنخرج اي بعظمتنا التي ربطنا بها
المسببات بالاسباب به اي بذلك الماء حبا اي
نجادا حب لما يقتاتون به كالحنطة والشعير والارز
ونباتا اي ما يعتلف به كالتبن والحشيش كما قال
تعالى كلوا وارعوا انعامكم والحب ذو العصف والر
وجنات اي بساتين تجمع انواع الاشجار والنبات
المقتات وغيره الفافا اي ملتفة بالشجر جمع لفيف
كشريف واشراف وقيل هو جمع الجمع يقال جنة
لفا وجمعها لف بضم اللام وجمع الجمع الفاف
وقيل لا واحد له كالاوزاع والاخياف وقيل
الواحد لف قال صاحب الاقليد انشدني الحسن
بن علي الطوسي جنة لفا وعيش مغدق
وندامى كلهم بيض زهر
وقال الزمخشري ولو قيل هو جمع ملتفة بتقدير
حذف الزوائد لكان قولا وجيها ان يوم الفصل اي
بين الخلائق كان اي في علم الله تعالى وفي

بحان

Copyright © King Saud University

حكمه كونا لابد منه **ميقاتا** اى وقتا للثواب والعقاب او وقتا توقتت به الدنيا وتنتهى عنده مع ما فيها من الخلايق وقوله تعالى **يوم ينفخ في الصور** اي القرن بدل من يوم الفصل او بيان له والنافخ اسرافيل عليه السلام او من اذن الله تعالى له في ذلك **فتاتون** اى بعد القيام من القبور الى الموقف **افواجا** اى جماعات مختلفة وعن معاذ انه سال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا معاذ سالت عن امر عظيم من الامور ثم ارسل عينيه باكيا وقال تحشر عشرة اصناف من امتي على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون ارجلهم فوق وجوههم يسحبون عليها وبعضهم عميا وبعضهم صما بكما وبعضهم يمضغون السنتهم فهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من افواههم يتقذرهم اهل الجمع وبعضهم مقطعة ايديهم وارجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من نار وبعضهم اشد نتنا من الجيف وبعضهم يلبسون جبابا سابغة من قطران لازقة بجلودهم ثم فسرهم بقوله فاما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس يعني النمام واما الذين على صورة الخنازير فاهل السحت

واما

٣٣٦

واما المنكبون على وجوههم فاكلة الربا واما العمي فالذين يجورون في الحكم واما الصم والبكم فالمعجبون باعمالهم
واما الذين يمضغون السنتهم فالعلما والقصاص الذين خالف قولهم فعلهم واما الذين قطعت ايديهم وارجلهم فهم الذين يوذون الجيران واما المصلبون على جذوع من نار فالسعاة بالناس الى السلطان واما الذين اشد نتنا من الجيف فالذين يتبعون الشهوات واللذات ويمنعون حق الله تعالى في اموالهم واما الذين يلبسون الجباب فاهل الكبر والفخر والخيلا انتهى وقد تكلم في صحة هذا الحديث نعوذ بالله تعالى من هوله ونسال الله التوفيق لنا ولاحبابنا فانه كريم جواد لا يرد من ساله **وفتحت السماء** اي شققت لنزول الملايكة **فكانت ابوابا** فان قيل هذه الاية تقتضي ان السما بجملتها تصير ابوابا اجيب بوجوه اولها ان تلك الابواب لما كثرت صارت كانها ليست الا ابوابا مفتحة كقوله تعالى وفجرنا الارض عيونا كان كلها عيون تتفجر ثانيها انه على حذف مضاف اى فكانت ذات ابواب ثالثها ان الضمير في قوله تعالى فكانت ابوابا يعود الى مضمر والتقدير فكانت تلك المواضع المفتوحة ابوابا وقيل الابواب الطرق والمسالك اي تكشط

Copyright King Saud University

فتنفتح مكانها وتصير طرقا لا سد لها شيء وقرأ
عاصم وحمزة والكسائي بتخفيف التاء بعد الفاء والبا
قون بتشديدها **وسيرت الجبال** أي ذهب بها عن
أماكنها **فكانت سرابا** أي لا شيء كالسراب كذلك
يظنه الرائي ماء وليس بماء قال الرازي إن الله تعالى
ذكر أحوال الجبال بوجوه مختلفة ويمكن الجمع بينها
بأن نقول أول أحوالها الاندكاك وهو قوله تعالى
وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة والحالة
الثانية أن تصير كالعهن المنفوش وهو قوله
تعالى وتكون الجبال كالعهن المنفوش والحالة
الثالثة أن تصير كالهباء وهو قوله تعالى وبست
الجبال بسا فكانت هباء منبثا الحالة الرابعة أن
تنسف لأن هذه الأحوال المتقدمة قارة في مواضعها
فترسل الرياح فتنسفها عن وجه الأرض فتطيرها
في الهواء وهو قوله تعالى ويسألونك عن الجبال فقل
ينسفها ربي نسفا الحالة الخامسة أن تصير سرابا
أي لا شيء كما يرى السراب من بعد وقرأ أبو عمرو
وحمزة والكسائي بإدغام تاء التأنيث في السين
والباقون بالإظهار **إن جهنم** أي النار التي تلظى
أصحابها متراجمة لهم بغاية ما يكرهون **كانت مرصادا**
أي ترصد الكفار أي موضع رصد يرصد فيه خزنة

النار

النار الكفار أو خزنة الجنة المؤمنين ليحرسوهم من فيحها
في مرورهم عليها وروي عن ابن عباس أن على جسر
جهنم سبع محابس يسأل العبد عند أولها عن شهادة
أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فإن جاء بها تامة
جاز إلى الثاني فيسأل عن الصلاة فإن جاء بها
تامة جاز إلى الرابع فيسأل عن الصوم فإن جاء به
تاما جاز إلى الخامس فيسأل عن العمرة فإن جاء
بها تامة جاز إلى السابع فيسأل عن المظالم فإن
خرج منها وإلا يقال انظروا فإن كان له تطوع أكمل
به أعماله فإذا فرغ انطلق به إلى الجنة وأما الكافر
فهو مستقر فيها كما قال تعالى **للطاغين** أي الكافرين
مآبا أي مرجعا يرجعون إليه وقرأ حمزة **لابثين**
فيها بغير ألف بين اللام والباء الموحدة والباقون
بألف وهما لغتان والأولى أبلغ قاله البيضاوي
وقوله تعالى **أحقابا** جمع حقب والحقب الواحد ثمانون
سنة كل سنة اثنا عشر شهرا كل شهر ثلاثون يوما
كل يوم ألف سنة روي ذلك عن علي ابن أبي طالب
رضي الله عنه وقال مجاهد الأحقاب ثلاثة
وأربعون حقبا وقال الحسن إن الله تعالى لم
يجعل لأهل النار مدة بل قال لابثين فيها أحقابا
فوالله ما هو إلا أنه إذا مضى حقب دخل آخر

Copyright © King Saud University

اي الابد فليس للاحقاب عدة الا الخلود روي
عن عبد الله انه قال لو علم اهل النار انهم يلبثون
في النار عدة حصى الدنيا لفرحوا ولو علم اهل
الجنة انهم يلبثون في الجنة عدد حصى الدنيا لحزنوا
وقال مقاتل ابن حيان الحقب الواحد سبع عشرة
الف سنة قال وهذه الاية منسوخة نسختها فلن
نزيدكم الا عذابا يعني ان العدد قد ارتفع والخلود
قد حصل وعلى تقدير عدم النسخ فهو من قبيل
المفهوم فلا يعارض المنطوق الدال على خلود الكفار
ويجوز ان يراد لابثين فيها احقابا لايذوقون اي
غير ذائقين فيها اي النار بردا ولا شرابا الا
حميما وغساقا ثم يبدلون بعد الاحقاب غير الحميم
والغساق من جنس اخر من العذاب ويجوز ان
يكون جمع حقب من حقب عامنا اذا قل مطره وخيره وحقب
فلان اذا اخطا الرزق فهو حقب وجمعه احقاب
فينتصب حالا عنهم يعني لابثين فيها حقبين
جهدين وقوله تعالى لايذوقون فيها بردا ولا شرابا
تفسير له والاستثنا منقطع يعني لايذوقون فيها
بردا قال الحسن وعطا اي راحة وروحا اي تنفس
عنهم حر النار ولا شرابا يسكن من عطشهم ولكن
يذوقون فيها حميما اي ماحارا غاية الحرارة وغساقا

وهو

وهو ما يسيل من صديد اهل النار فانهم يذوقونه
وروي عن ابن عباس ان البرد النوم ومثله قال
الكسائي وابو عبيدة تقول العرب منع البرد البرد اي
اذهب البرد النوم قال الشاعر
فلو شئت حرمت النساء سواكم
وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا
وقرا حمزة والكسائي وحفص بتشديد السين والباقون
بتخفيفها وعن ابن عباس الغساق الزمهرير يحرقهم
ببرده جوزوا بذلك جزاء وفاقا اي موافقا لعملهم
قال مقاتل وافق العذاب الذنب فلا ذنب اعظم
من الكفر ولا عذاب اعظم من النار وقوله تعالى
انهم كانوا لايرجون حسابا بيان لما وافقه هذا
الجزا اي لايخافون ان يحاسبوا والمعنى انهم
كانوا لايومنون بالبعث ولا انهم يحاسبون وكذبوا
باياتنا اي بما جاءت به من الانبيا عليهم السلام
وقيل القران وقرا كذابا غير الكسائي بالتشديد
اي تكذيبا قال الفرا وهي لغة يمانية فصيحة يقولون
في مصدر التفعيل فعال وقال الزمخشري وفعال
في باب فعل كله فاش في كلام فصحاء العرب
لا يقولون غيره وسمعني بعضهم افسر اية فقال لقد
فسرتها فسارا ما سمع بمثله وقرا الكسائي بالتخفيف

Copyright © King Saud University

وهو مصدر كذب بدليل قول الشاعر
فصدقتها وكذبتها والمرء ينفعه كذابه
قال الزمخشري وهو مثل قوله انبتكم من الارض
نباتا وكذبوا باياتنا فكذبوا وتنصبه بكذبوا لانه
يتضمن معنى كذبوا لان كل مكذب بالحق كاذب وان
جعلته بمعنى الكاذبة فمعناه فمعناه وكذبوا
باياتنا فكاذبوا مكاذبة او كذبوا بها مكاذبين لانهم
اذا كانوا عند المسلمين كاذبين وكانوا المسلمون
عندهم كاذبين فبينهم مكاذبة اولانهم يتكلمون
بما هو افراط في الكذب فعل من يغالب في امر فيبلغ
فيه اقصى جهده وكل شيء اي من الاعمال
وغيرها احصيناه اي ضبطناه وقوله تعالى
كتابا فيه وجهان احدهما انه مصدر في موضع
احصاء والاحصاء والكتب يتشاركان في معنى
الضبط ثانيهما ان يكون حالا بمعنى مكتوبا في
اللوح المحفوظ كقوله تعالى وكل شيء احصيناه
في امام مبين وقيل اراد ما كتبه الملائكة الموكلون
بالعباد بامر الله تعالى اياهم بالكتابة لقوله
تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين والجملة
اعتراض وقوله تعالى فذوقوا فلن نزيدكم
اي شيئا من الاشياء في وقت من الاوقات الا عذابا

لبثبا

تسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالايات قال
الرازي وفي هذه الاية مبالغات منها لن للتاكيد
ومنها الالتفات ومنها اعادة قوله تعالى فذوقوا
بعد ذكر العذاب قالوا ابو بردة سالت النبي صلى الله
عليه وسلم عن اشد اية في القران فقال صلى
الله عليه وسلم قوله تعالى فذوقوا فلن نزيدكم الا
عذابا اي كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا
غيرها ليذوقوا العذاب وكلما خبت زدناهم
سعيرا ولما ذكر تعالى ما للكافرين اتبعه بذكر ما
للمومنين فقال تعالى ما للكافرين اتبعه بذكر ما
للمومنين فقال تعالى ان للمتقين مفازا اي مكان
فوز في الجنة وقوله تعالى حدائق اي بساتين
فيها انواع الاشجار المثمرة بدل من مفازا بدل
الاشتمال او البعض اي بيان له وقوله تعالى واعنابا
اي كروما عطف على مفازا وكواعب اي جواري تكعبت
ثديهن جمع كاعب اترابا اي على سن واحد جمع ترب
بكسر التاء وسكون الراء وقيل الاتراب اللذات
وكاسا دهاقا اي خمرا مالئة محالها وفي القتال
وانها من خمر والدهاق المترعة وادهق الحوض
ملاه حتى قال قطني وقال ابن عباس مترعة مملوءة
وقال عكرمة صافية لا يسمعون فيها اي الجنة

Copyright © King Saud University

في وقت ما عند شرب الخمر وغيره من الاحوال **لغوا**
اي لغطا **ولا كذابا** قراه بالتخفيف الكسائي وبالتشديد
الباقون اي تكذيبا من واحد لغيره بخلاف ما يقع
في الدنيا عند شرب الخمر **جزاء من ربك** اي المحسن
اليك بما اعطاك جزاهم بذلك جزا وقوله تعالى
عطاء بدل من جزا وهو اسم مصدر وجعله
الزمخشري منصوبا بجزا نصب المفعول به ورده
ابو حيان بانه جعل جزا مصدرا موكدا لمضمون
الجملة التي هي ان للمتقين قال والمصدر الموكد
لا يعمل لانه لا ينحل لحرف مصدري والفعل ولا
نعلم في ذلك خلافا **حسابا** اي كافيا وافيا
يقال احسبت فلانا اي اعطيته ما يكفيه حتى
قال حسبي وقال ابن قتيبة اي عطا كثيرا وقيل
جزا بقدر اعمالهم وقرا نافع وابن كثير وابو
عمرو **رب السموات والارض وما بينهما الرحمن** برفع
رب والرحمن وابن عامر وعاصم بخفضهما والاخوان
ان بخفض الاول ورفع الثاني اما رفعهما ففيه اوجه
احدها ان يكون رب خبر مبتدا مضمر اي هو رب
والرحمن كذلك او مبتدا خبره لا يملكون ثانيها
ان يجعل رب مبتدا والرحمن خبره ولا يملكون
خبرا ثانيا او مستانف ثالثها ان يكون مبتدا والرحمن

نعتا

نعتا ولا يملكون خبر رابعها ان يكون رب مبتدا والرحمن
مبتدا ثان ولا يملكون خبره والجملة خبر الاول وحصل
الربط بتكرير المبتدا بمعناه وهو راي الاخفش ويكون
ان يكون لا يملكون حالا او يكون لازمات واما من
جرهما فعلى البيان والنعت او يجعل رب السموات
تابعا للاول والرحمن تابعا للثاني واما جر الاول فعلى
التبعية للاول ورفع الثاني فعلى الابتدا والخبر
الجملة الفعلية وهي **لا يملكون** اي الخلق **منه** اي
من الله تعالى **خطابا** والضمير في لا يملكون لاهل
السموات والارض اي ليس في ايديهم ما يخاطب به
الله وما مر به في امر الثواب والعقاب خطاب
واحد يتصرفون فيه تصرف الملاك فيزيدون
فيه او ينقصون منه او لا يملكون ان يخاطبوا بشي
من نقص العذاب او زيادة في الثواب الا ان يهب
لهم ذلك ويأذن لهم فيه وقوله تعالى **يوم**
متعلق بلا يملكون او لا يتكلمون **يقوم الروح
والملائكة** وقوله تعالى **صفا** حال اي مصطفين
والروح اعظم خلقا من الملائكة واشرف منهم واقرب
من رب العالمين وعن ابن عباس هو ملك عظيم
ما خلق الله تعالى بعد العرش خلقا اعظم منه فاذا
كان يوم قام هو وحده صفا وقامت الملائكة

كلهم صفا واحدا فيكون عظم خلقه مثلهم وقال
الشعبي هو جبريل وقيل ملك موكل على الارواح
وعن ابن مسعود قال الروح ملك اعظم من السموات
ومن الجبال ومن الملائكة وهو في السماء الرابعة
يسبح كل يوم اثني عشر الف تسبيحة يخلق من كل تسبيحة
ملك يجي يوم القيامة صفا وحده وقال مجاهد
وقتادة الروح خلق على صورة بني ادم وليسوا بناس
يقومون صفا والملائكة صفا هولاء جند وهولاء
جند وروي مجاهد عن ابن عباس قال خلق
على صورة بني ادم وما ينزل من السما ملك الا
معه واحد منهم وقال الحسن هو بنو ادم وروي
قتادة عن ابن عباس وقال هذا ما كان يكتمه
ابن عباس وقيل هو جند من جنود الله تعالى
ليسوا ملائكة لهم روس وايدي وارجل ياكلون
الطعام وقيل ارواح بني ادم وقال زيد بن
اسلم هو القران وقرا وكذلك اوحينا اليك
روحا من امرنا واذا كانوا هولاء كذا لا يتكلمون
وهم من افضل الخلق واشرفهم واكثرهم
طاعة واقربهم منه له ملكوت التكلم فما ظنك
بمن عداهم من اهل السموات والارض ويكون
رجوع الضمير للخلق اجمعين الا من اذن له اي

في

في الكلام اذنا خاصا الرحمن اي الملك الذي لا يكون
النعمة الا منه وقال قولا صوابا في
الدنيا اي حقا من المومنين والملائكة وهم يشترطان
ان يكون المتكلم ماذونا له في الكلام وان يتكلم
بالصواب فلا يشفع لغير مرتضى لقوله تعالى ولا
يشفعون الا لمن ارتضى وقيل القول الصواب
لا اله الا الله ذلك اي المشار اليه لبعد مكانته
وعظم رتبته وعلو منزلته اليوم الحق اي الكائن
لا محالة وهو يوم القيامة فمن شا اتخذ الى ربه
اي المحسن اليه مآبا اي مرجعا وسبيلا لطاعته
ليسلم من العذاب في ذلك اليوم فان الله تعالى
جعل لهم قوة واختيارا ولكن لا يقدر احد منهم
على مشية شي الا بمشية الله تعالى انا اي
على ما لنا من العظمة انذرناكم اي يا كفار مكة
عذابا قريبا اي عذاب يوم القيامة الاتي وكل
ات قريب وقوله تعالى يوم ظرف لعذابا او صفته
ينظر المرء اي كل امرئ سوا كان مومنا او كافرا
نظر الامرية فيه ما اي الذي قدمت يداه اي
كسبه في الدنيا من خير وشر وقال الحسن اراد
بالمرء المومن اي يجد لنفسه عملا واما الكافر فلا
يجد لنفسه عملا فيتمنى ان يكون ترابا ولانه تعالى

Copyright © King Saud University

قال ويقول الكافر فعلم انه اراد بالمرء المومن وقيل
هو الكافر لقوله تعالى انا انذرناكم فيكون الكافر
ظاهرا وضع موضع الضمير لزيادة الذم ومعنى
ما قدمت يداه من الشر كقوله تعالى ونذيقه يوم
القيامة عذاب الحريق ذلك بما قدمت يداك
وما يجوز ان تكون استفهامية منصوبة بقدمت
اي ينظر اي شي قدمت يداه وموصولة منصوبة
بينظر يقال نظرته بمعنى نظرت اليه والراجع الى
الصلة محذوف وقال مقاتل نزل قوله تعالى
يوم ينظر المرء ما قدمت يداه في ابي سلمة
بن عبد الاسد المخزومي ويقول الكافر يا ليتني
كنت ترابا في اخيه الاسود بن عبد الاسد وقال
الثعلبي سمعت ابا القاسم بن حبيب يقول
الكافر هنا ابليس وذلك بانه عاب ادم عليه
السلام بانه خلق من تراب وافتخر بانه خلق
من تراب وافتخر بانه خلق من نار فاذا عاين
يوم القيامة ما فيه ادم وبنوه من الثواب
والراحة وراى ما هو فيه من الشدة والعذاب
تمنى انه كان بمكان ادم فيقول يا ليتني كنت
ترابا قال ورايته في بعض التفاسير قال
البغوي قال ابو هريرة فيقول التراب لا ولا كرامة

لمن

لمن جعلك مثلي وروي عن ابي هريرة انه قال يحشر
الخلق كلهم من دابة وطائر وانسان ثم يقال للبهائم
والطير كونوا ترابا فعند ذلك يقول الكافر يا ليتني
كنت ترابا اي فلا اعذب وقيل معنى يا ليتني كنت
ترابا اي لم ابعث وقال ابو الزناد اذا قضي بين
الناس وامر باهل الجنة الى الجنة واهل النار
الى النار قيل لسائر الامم ولمومني الجن عودوا
ترابا فيعودون ترابا فعند ذلك يقول الكافر
حين يراهم يا ليتني كنت ترابا وقال ليث بن ابي
سليم مومنوا الجن يعودون ترابا وقال عمر بن
عبد العزيز ومجاهد وغيرهما مومنوا الجن
حول الجنة في ربض ورحاب وليسوا فيها والذي
عليه الاكثر انهم مكلفون مثابون ومعاقبون
كبني ادم وقيل يحشر الله تعالى الحيوان غير المكلف
حتى يقتص للجماء من القرناء ثم يرده ترابا فيود
الكافر حاله وما قاله البيضاوي تبعا للزمخشري
من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرا
سورة عم سقاه الله تعالى برد الشراب يوم القيا مد
حديث موضوع

سورة والنازعات مكية

وهي خمس او ست واربعون اية وما بعدها وسبعون

Copyright © King Saud University

كلمة وسبعمائة وثلاثون حرفا بسم الله الذي احاط
علمه بالكائنات الرحمن الذي انعم على سائر الموجودات
الرحيم الذي خص اولياءه بالجنات والنازعات اى
الملائكة تنزع ارواح الكفار غرقا اي تنزع ارواحهم
من اجسادهم بشدة كما يغرق النازع في القوس
ليبلغ بها غاية المد بعد ما نزعها حتى اذا كادت
تخرج رده الى جسده فهذا عملهم بالكفار وقال
علي وابن مسعود يريد نفس الكفار ينزعها ملك
الموت من اجسادهم من تحت كل شعرة ومن تحت
الاظافر واصول القدمين نزعا كالسفود ينزع من
الصوف الرطب ثم يغرقها اي يرجعها الى اجسا
دهم ثم ينزعها فهذا عمله في الكفار وقال السدي
والنازعات هي النفوس حين تغرق في الصدور
وقال مجاهد هي الموت ينزع النفوس وقال
الحسن وقتادة هي النجوم تنزع من افق الى افق
تطلع ثم تغيب وقال عطا وعكرمة هي النفوس
وقيل القراة تنزع غرقا هو ان يكون
مصدرا على حذف الزوائد بمعنى اغراقا وانتصابه
بما قبله لملاقاته في المعنى وان يكون على الحال اى
ذوات اغراق يقال اغرق في الشي يغرق فيه اذا
اوغل وبلغ اقصى غايته والناشطات نشطا

اي

اى الملائكة تنشط ارواح المومنين اي تسلها برفق
فتقبضها كما ينشط العقال من يد البعير اذا حل
عنه وفي الحديث كانما انشط من عقال وعن ابن
عباس هي انفس المومنين تنشط للخروج عند الموت
لما ترى من الكرامة لان الجنة تعرض عليهم قبل
الموت وقال علي بن ابي طالب هي الملائكة تنشط ارواح
الكفار مما بين الجلد والاظفار حتى تخرجها من
افواههم بالكد والغم والنشط الجذب والنزع يقال
نشط الدلو نشطا انتزعها وقال السدي هي النفس
تنشط من بين القدمين اى تجذب وقال قتادة
هي النجوم تنشط من افق الى افق اي تذهب يقال
نشط من بلد الى بلد اذا خرج في سرعة ويقال
حمار ناشط ينشط من بلد الى بلد وقال الجوهري
يعني النجوم تنشط من برج الى برج كالثور الناشط
من بلد الى بلد والسابحات سبحا اى الملائكة تسبح
من السماء بامره اي ينزلون من السماء مسرعين
كالفرس الجواد يقال له سابح اذا اسرع في جريه
وقال علي هي الملائكة تسبح بارواح المومنين قال
الكلبي كالذي يسبح في الماء فاحيانا ينغمس واحيانا
يرتفع يسلونها سلا رفيقا بسهولة ثم يدعونها
حتى تستريح وعن مجاهد السابحات الموت يسبح في

Copyright © King Saud University

نفوس بني ادم وقال قتادة والحسن هي النجوم تسبح
في افلاكها وكذا الشمس والقمر قال تعالى كل في فلك
يسبحون وقال عطا هي السفن في الماء وقال ابن
عباس ارواح المومنين تسبح شوقا الى لقاء الله
تعالى ورحمته حين تخرج وقيل هي خيل الغزاة
قال عنترة

والخيل تعلم حين تسبح
في حياض الموت سبحا

فالسابقات سبقا اي الملائكة تسبق بارواح
المومنين الى الجنة وقال مجاهد هي الملائكة
سبقت ابن ادم بالخير والعمل الصالح وقال
ابن مسعود هي انفس المومنين تسبق الى الملا
ئكة الذين يقبضونها شوقا الى لقا الله تعالى
وكرامته وقد عاينت السرور وقال قتادة
هي النجوم يسبق بعضها بعضا في السير وقال
عطا هي الخيل التي تسبق في الجهاد وقيل هي
ما سبق من الارواح قبل الاجساد الى جنة
او نار قال الجرجاني ذكر السابقات بالفا لانها
مسببة عن التي قبلها اي واللاتي يسبحن فيسبقن
قال الواحدي وهذا غير مطرد في قوله تعالى
فالمدبرات امرا اي الملائكة تدبر امر الدنيا

اي

اي تنزل بتدبيره قال الرازي ويمكن الجواب بانها لما
امرت سبحت فسبقت فدبرت ما امرت بتدبيره
فتكون هذه افعالا يتصل بعضها ببعض وقال
ابن عباس المدبرات هي الملائكة وكلوا بامور عرفهم
الله تعالى العمل بها قال عبد الرحمن بن سابط يدبر
الامر في الدنيا اربعة من الملائكة جبريل وميكائيل
وملك الموت واسرافيل عليهم السلام فاما جبريل
فوكل بالرياح والجنود واما ميكائيل فوكل بالقطر
والنبات واما ملك الموت فوكل بقبض الارواح واما
اسرافيل فهو ينزل بالامر عليهم وليس في الملائكة
اقرب منه وبينه وبين العرش خمسماية عام وقيل
هي الكواكب السبع حكي عن معاذ ابن جبل وفي
تدبيرها بالامور وجهان احدهما تدبير طلوعها
وافولها والثاني في تدبير ما قضى الله تعالى فيها
من تقليب الاحوال اقسم سبحانه وتعالى بهذه
الامور على قيام الساعة والبعث وانما حذف
للدلالة ما بعده عليه ولله تعالى ان يقسم بما
شا من خلقه واما العباد فلا يصح لهم ان يقسموا
بغير الله تعالى وصفاته وقوله تعالى **يوم ترجف**
اي تضطرب اضطرابا كبيرا مزعجا **الراجفة** اي
الصيحة منصوب بالجواب اي لتبعثن يا كفار مكة

Copyright © King Saud University

يوم ترجف الراجفة وهي النفخة الاولى بها يرجف كل
شيء اي يتزلزل ويتحرك لها كل شيء ويموت منها
جميع الخلائق فوصفت بما يحدث تتبعها الرادفة
اي الصيحة التابعة لها وهي النفخة الثانية ردفت
الاولى وبينهما اربعون سنة والجملة حال من الرا
جفة واليوم واسع للنفختين وغيرهما فصح ظرفيته
للبعث الواقع عقب الثانية وقال قتادة هما صيحتان
فالاولى تميت كل شيء والاخرى تحيي كل شيء باذن
الله سبحانه وتعالى وقال عطا الراجفة القيامة
والرادفة البعث روي عن ابي بن كعب انه قال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذهب
ربع الليل قام وقال يا ايها الناس اذكروا الله جائت
الراجفة تتبعها الرادفة جا الموت بما فيه قلوب
يومئذ اي اذ قام الخلائق بالصيحة التابعة
للاولى واجفة اي خائفة قلقة مضطربة من
الوجيف وهو صفة القلوب وقال مجاهد وجلة
وقال السدي زائلة عن اماكنها نظيره اذ القلوب
لدى الحناجر ابصارها اي ابصار اصحابها فهو
من الاستخدام خاشعة اي ذليلة من الخوف
ولذا اضافها الى القلوب كقوله تعالى خاشعين
من الذل يقولون اي ارباب القلوب والابصار

في

٤٧

في الدنيا استهزا وانكارا للبعث ائنا لمردودون بعد
الموت في الحافرة اي في الحياة التي كنا فيها قبل الموت
وهي حالتنا الاولى فنصير احيا بعد الموت كما كنا
تقول العرب رجع فلان في حافرته اي رجع من حيث
جاء والحافرة عندهم اسم لابتداء الشيء واول
الشيء وقال بعضهم الحافرة وجه الارض التي
تحفر فيها قبورهم سميت حافرة بمعنى المحفورة
كقوله تعالى عيشة راضية اي مرضية وقيل
سميت حافرة لانها مستقر الحوافر اي انا لمردود
الى الارض فنبعث خلقا جديدا نمشي عليها وقال
ابن زيد الحافرة النار ائذا كنا اي كونا صار جبلة
لنا عظاما نخرة اي بالية متفتتة نحيا بعد ذلك
وقرا ائنا وائذا نافع وابن عامر والكسائي بالاستفهام
في الاول والخبر في الثاني والباقون بالاستفهام
فيهما وسهل نافع وابن كثير وابو عمرو والباقون
بالتحقيق وادخل بين الهمزتين قالون وابو عمرو
وهشام بخلاف عنه الفا والباقون بغير ادخال وقرا
نخرة حمزة وشعبة والكسائي بالالف بعد النون
والباقون بغير الف وهما لغتان مثل الطمع والطامع
والحذر والحاذر معناهما البالية وفرق قوم
بينهما فقالوا النخرة البالية والناخرة المجوفة التي

Copyright King Saud University

تمر فيها الريح فتنخر اي تصوت **قالوا** اي المنكرون
للبعث **تلك** اي رجعتنا العجيبة الى الحياة
اذن اي ان صحت **كرة** اي رجعة **خاسرة** اي
اي ذات خسر او خسارة اصحابها والمعنى ان صحت
فنحن اذن خاسرون بتكذيبنا وهو استهزاء منهم
وعن الحسن ان خاسرة بمعنى كاذبة اي ليست
كائنة قال الله تعالى **فانما هي** اي الرادفة التي
يتبعها البعث **زجرة** اي صيحة بانتهار يتضمن زجر
الامر بالقيام والسوق الى المحشر والمنع من
التخلف **واحدة** عبر بالزجرة لانه اشد من
النهي لانها صيحة لا تتخلف بالزجرة لانه اشد
من النهي عنها القيام اصلا فكان كان ملسان
قال عوض تلك الصيحة ايها الاجساد البالية انتبهي
عن الرقاد وترقى الى المعاد فما حلمنا به من
المعاد فقد انتهى زمن الجهاد وان اوان الاجتنا
قدم من الزاد فيا خسارة من ليس له زاد **فاذا هم**
اي فتسبب عن تلك النفخة وهي الثانية ان كل
الخلائق **بالساهرة** اي صاروا على وجه الارض
بعد ما كانوا في جوفها والعرب تسمي الفلاة ووجه
الارض ساهرة قال بعض اهل اللغة تراهم سموها
ساهرة لان فيها نوم الحيوان وسهرهم قال سفيان

هي

٣٤٧

هي ارض الشام وقال قتادة هي جهنم فان قيل لم
تتعلق فانما هي زجرة واحدة اجيب بانه متعلق
بمحذوف معناه لا تستصعبوها فانما هي زجرة واحدة
يعني لا تحسبوا تلك الكرة صعبة على الله تعالى فانما
هي سهلة هينة في قدرته تعالى وقال الزمخشري
الساهرة الارض البيضاء المستوية سميت بذلك لان
السراب يجري فيها من قولهم عين ساهرة اي جارية
الماء وفي ضدها نائمة قال الاشعث بن قيس
وساهرة يضحي السراب مجللا
لاقطارها قد جبتها متلثما
او لان سالكها لا ينام خوف الهلكة وقال الراغب
هي وجه الارض وقيل ارض القيامة وحقيقتها التي
يكثر الوطء بها كانها سهرت من ذلك والاسهران
عرقان في الانف والساهور غلاف القمر الذي يدخل
فيه عند كسوفه وروى الضحاك عن ابن عباس
قال الساهرة ارض من فضة لم يعص الله عليها قط
جعلها حينئذ وقيل الساهرة اسم الارض السابعة
ياتي بها الله تعالى فيحاسب عليها الخلائق وذلك
حين تبدل الارض غير الارض وقال وهب ابن
منبه جبل بيت المقدس وقال عثمان بن ابي العاتكة
انه اسم مكان من الارض بعينه بالشام وبقوله

Copyright © King Saud University

الصقع الذي به جبل اريحا وجبل حبان لمده الله
تعالى كنعوت ثم ان الله تعالى سلى نبيه صلى الله عليه
وسلم بقوله تعالى **هل اتاك** يا اشرف الخلق
حديث موسى اي ليس قد اتاك حديثه فسليك
عن تكذيب قومك ونهدد دهم عليه بان يقسم
مثل ما اصاب من هو اعظم منهم فانه كان اقوى
اهل الارض بما كان له من كثرة الجنود فلما اصر
على التكذيب ولم يرجع ولا افاده التاديب اغر
قناه واله ولم نبق منهم احدا وقد كانوا لا يحصون
عددا بحيث قيل ان طليعته كانت على عدد
بني اسرائيل ستماية الف فكيف بقومك الضعاف
وقوله تعالى **اذ** اي حين **ناداه** منصوب بحديث
لا باتاك **ربه** اي المحسن اليه بالرسالة وغيرها
بالواد المقدس اي المطهر غاية الطهر لتشريف
الله تعالى له بانزال النبوة المفيضة للبركات
وقوله تعالى **طوى** اسم الوادي وهو الذي طوى
فيه الشر عن بني اسرائيل ومن اراد الله تعالى
من خلعه ونشر فيه بركات النبوة على جميع اهل
الارض المسلم باسلامه وغيره برفع عذاب الاستيصال عنه فان العلما قالوا ان عذاب الاستيصال
ارتفع حين انزلت التوراة وهو واد بين بالطور

بين

بين ايلة ومصر وقراءة نافع وابن كثير وابو عمرو بغير
تنوين في الوصل والباقون بالتنوين وقوله تعالى
اذهب الى فرعون اي ملك مصر الذي كان يستعبد
بني اسرائيل على ارادة القول **انه طغى** اي تجاوز
الحد في الكفر وعلا وتكبر وقال الرازي لم يبين انه
طغى في اي شي فقيل تكبر على الله تعالى وكفر به
وقيل تكبر على الخلق واستعبدهم وروي عن
الحسن قال كان فرعون علجا من همدان وقال
مجاهد كان من اهل اصطخر وعن الحسن انه كان
من اصبهان يقال له ذو الظفر طوله اربعة اشبار
وقوله تعالى **فقل** اي له **هل لك** اي هل لك ميل
الى ان تزكى اي تتطهر من الكفر والطغيان قال
ابن عباس بان تشهد ان لا اله الا الله وقال ابو البقا
لما كان المعنى ادعوك جاء بالى وقال غيره يقال هل
لك في كذا وهل لك الى كذا كما تقول هل ترغب
فيه وهل ترغب اليه وقراءة نافع وابن كثير
بتشديد الزاي والاصل تتزكى والباقون بتخفيفها
واهديك الى ربك اي وانبهك على معرفة المحسن
اليك **فتخشى** لان الخشية لا تكون الا بالمعرفة
قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلما اي
العلما به وذكر الخشية لانها ملاك الامر من خشي

الله تعالى اي منه كل خير ومن التجا الى احترا على كل شر
ومنه قوله صلى الله عليه وسلم من خاف ادلج
ومن ادلج بلغ المنزل بدا بمخاطبته بالاستفهام
الذي معناه العرض كما يقول الرجل لضيفه هل
لك ان تنزل بنا واردفه الكلام الرفيق ليستدعيه
للتلطف في القول ويستنزله بالمداراة من علوه
كما امر بذلك في قوله تعالى فقولا له قولا لينا
الاية وقال الرازي سائر الايات تدل على انه تعالى
لما نادى موسى عليه السلام ذكر اشيا كثيرة نودي
انا ربك الى قوله تعالى لنريك من اياتنا الكبرى
اذهب الى فرعون انه طغى فدل قوله تعالى
اذهب الى فرعون انه طغى انه من جملة ما ناداه
لا كل ما ناداه به وايضا فليس الغرض انه عليه
السلام كان مبعوثا الى فرعون فقط بل الى كل من
كان في الطور الا انه خصه بالذكر لان دعوته
جارية مجرى كل القوم والفا في قوله تعالى **فاراه**
عاطفة على محذوف يعني فذهب فاراه **الاية**
الكبرى كقوله تعالى فاضرب بعصاك البحر فانفجرت
اي فضرب فانفجرت واختلفوا في الاية الكبرى العلا
مة العظمى وهي المعجزة فقال عطا وابن عباس هي
العصا وقال مقاتل والكلبي هي اليد البيضا تبرق

كالشمس

والاول اولى لانه ليس في اليد الا انقلاب لونها وهذا
حاصل في العصا لانها لما انقلبت حية لابد وان
يتغير اللون الاول فاذن كل ما في اليد فهو حاصل
في العصا وامور اخر وهي الحياة في الجرم الجمادي وتزايد
اجزايه وحصول القدرة الكبيرة والقوة الشديدة
وابتلاعها اشيا كثيرة وزوال الحياة والقدرة عنها
وذهاب تلك الاجزا التي عظمت وزوال ذلك اللون
والشكل اللذين صارت العصا بهما حية وكل واحد
من هذه الوجوه كان معجزا مستقلا في نفسه
فعلمنا ان الاية الكبرى هي العصا وقال مجاهد
هي مجموع العصا واليد وقيل فلق البحر وقيل جميع
اياته التسع **فكذب** اي فتسبب عن رويته
ذلك ان كذب موسى عليه السلام **وعصى** الله
تعالى بعد ظهور الاية وتحقق الامر وقيل كذب
بالقول وعصى بالتمرد والتجبر **ثم ادبر** اي تولى
واعرض عن الايمان بعد المهل والاناة اعراضا عظيما
بالتمادي على اعظم ما كان فيه من الطغيان بعد
خطوب جليلة ومشاهد طويلة حال كونه
يسعى اي يعمل الفساد في الارض او انه لما راى
الثعبان ادبر مرعوبا يسعى اي يسرع في مشيته قال
الحسن كان رجلا طياشا خفيفا وتولى عن موسى

Copyright © King Saud University

يسعى ويجتهد في مكايدته او اريد ثم اقبل يسعى كما تقول
اقبل فلان يفعل كذا بمعنى انه يفعل فوضع ادبر
موضع اقبل لئلا يوصف بالاقبال **فحشر** اى فجمع
عن ادباره انه جمع السحرة للمعارضة وجنوده للقتال
فنادى حينئذ باعلا صوته قال حمزة الكرماني قال
له موسى عليه السلام ان ربي ارسلني اليك لان امنت
بربك تكون اربعماية سنة في النعيم والسرور ثم
تموت فتدخل الجنة فقال حتى استشير هامان
فاستشاره فقال اتصير عبدا بعد ما كنت ربا
فعند ذلك جمع بعث الشرط وجمع السحرة والجنود
فلما اجتمعوا قام عدو الله على سريره **فقال انا
ربكم الاعلى** اى لا رب فوقي وقيل اراد ان الاصنام
ارباب وانا ربها وربكم وقيل امر مناديا
فنادى في الناس بذلك وقيل قام فيهم خطيبا
فقال ذلك **فاخذه الله** اى اهلكه بالغرق الملك
الاعظم الذى لا كفو له **نكال** اى عقوبة **الاخرة**
اى هذه الكلمة وهى قوله انا ربكم الاعلى **والاولى**
وهى قوله ما علمت لكم من اله غيرى قال ابن عباس
وكان بين الكلمتين اربعون سنة والمعنى فاهلكه
في الاولى ثم اخذه في الاخرة فعذبه بكلمتيه
وقال الحسن نكال الاخرة والاولى هو ان اغرقه

في

٢٥ ٢٤٩

في الدنيا وعذبه في الاخرة وعن قتادة الاخرة هي
قوله انا ربكم الاعلى والاولى تكذيبه لموسى عليه
السلام ثم انه تعالى ختم هذه القصة بقوله تعالى
ان في ذلك اى الامر العظيم الذى فعله فرعون
والذى فعل به حتى كذب وعصى **لعبرة** اى لعظة
لمن يخشى اى لمن يخاف الله تعالى لان الخشية اصل
الخير كما مرت الاشارة اليه ثم خاطب تعالى منكري
البعث بقوله تعالى **ءانتم** اى ايها الاحيا مع
كونكم خلقا ضعيفا **اشد خلقا** اى اخلقكم
بعد الموت اشد في تقديركم **ام السما** اى فمن قدر
على خلق السما على عظمها من السعة والكبر والعلو
والمنافع قدر على الاعادة وهذا كقوله تعالى
لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس والمقصود
من الاية الاستدلال على منكري البعث ونظيره
قوله تعالى اوليس الذى خلق السموات والارض
بقادر على ان يخلق مثلهم ومعنى الكلام التقريع
والتوبيخ وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو و
وهشام بخلاف عنه بتحقيق الاولى وتسهيل
الثانية والباقون بتحقيقها وادخل بينهما الفا
قالون وابو عمرو وهشام والباقون بغير ادخال
وقوله تعالى **بناها** بيان لكيفية خلقه اياها

Copyright © King Saud University

فالوقف على السماء والابتدا بما بعدها وقوله تعالى رفع
سمكها جملة مفسرة لكيفية البنا والسمك والارتفاع
اي جعل مقدارها في سمت العلو مديدا رفيعا
مسيرة خمسمائة عام فسواها اي فعدلها مستوية
ملسا ليس فيها تفاوت ولا فطورا او فتممها بما علم
انها تتم به واصلحها من قولك سوى فلان امر
فلان واغطش اي اظلم ليلها اي جعله مظلما
بغياب شمسها فاختفى ضياها بامتدا ظل الارض
على كل ما كانت الشمس ظهرت عليه فصار لا يهتدى
معه الا ما كان في حال الضيا واضاف الليل الى
السماء لان الليل يكون بغروب الشمس والشمس
تضاف الى السماء ويقال نجوم الليل لان ظهورها
بالليل وقوله تعالى واخرج ضحاها قد حذف
اي ضحا شمسها او اضاف الليل والضحى لها
للملابسة التي بينها وبينهما لان الليل ظلها
والشمس هي السراج المثقب في جوها وانما عبر
عن النهار بالضحى لان الضحى اكمل اجزاء النهار
بالنور والضو والارض بعد ذلك اي بعد المذكور
كله دحاها اي بسطها ومدها للسكنى وبقية
المنافع وكانت مخلوقة قبل السماء من غير دحو
فلا معارضة بينها وبين اية فصلت لانه خلق

الارض

الارض اولا غير مدحوة ثم خلق السما ثم دحا الارض
قال ابن عباس خلق الله تعالى الارض باقواتها من
غير ان يدحوها قبل السما فسواهن سبع سموات
ثم دحا الارض بعد ذلك وقيل معناه والارض مع
ذلك دحاها كقوله تعالى عتل بعد ذلك اي مع
ذلك ومنه قولهم انت احمق وانت بعد هذا سيء الخلق
وقيل بعد بمعنى قبل كقوله تعالى ولقد كتبنا
في الزبور من بعد الذكر اي من قبل وروي عن ابن
عباس انه قال خلق الله تعالى الكعبة ووضعها على
الماء على اربعة اركان قبل ان يخلق الدنيا بالفي عام
ثم دحيت الارض من تحت البيت اخرج منها اي
الارض ماءها اي بتفجير عيونها واضافتها اليها
دليل على انه مودوع فيها ومرعاها اي النبات
الذي يرعى مما ياكل الناس والانعام من العشب
والشجر والثمر والحب حتى النار والملح لان النار
من العيدان قال تعالى افرايتم النار التي تورون ٥
الاية والملح من الماء واستعير الرعي للانسان كما
استعير الرتع في قوله تعالى عن اخوة يوسف
عليه السلام يرتع ويلعب والمرعى في الاصل
موضع الرعي تنبيه اخرج حال باضمار قد
اي مخرجا واضمار قد هو قول الجمهور وخالف

Copyright © King Saud University

الكوفيون والاخفش والجبال ارساها اي اثبتها على
وجه الارض لتسكن ونظيره قوله تعالى والجبال
اوتادا وقوله تعالى متاعا مفعول له لمقدر او
فعل ذلك منفعة او مصدر لعامل مقدر اي
متعكم تمتيعا لكم وقوله تعالى ولانعامكم
جمع نعم وهي الابل والبقر والغنم وذكر الانعام
لكثرة الانتفاع بها فاذا جاءت الطامة الكبرى
اي الداهية التي تطم على الدواهي اي تعلو وتغلب
وفي امثالهم جرى الوادي فطم على القري قال
ابن عباس وهي النفخة الثانية التي تكون معها
البعث وقال الضحاك هي القيامة سميت بذلك
لانها تطم على كل شيء فتغمره وقال القاسم ابن
الوليد الهمداني هي الساعة التي يساق فيها
اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار وقوله
تعالى يوم يتذكر اي تذكرا عظيما الانسان
اي الخلق الانسي بنعت الفاعل عما خلق له
بدل من اذا ما سعى في الدنيا من خير او شر
يعني اذا راى اعماله مدونة في كتابه تذكرها
وكان قد نسيها كقوله تعالى احصاه الله ونسوه
وما في ما سعى موصولة او مصدرية وبرزت
الجحيم اي اظهرت النار المحرقة اظهارا بينا مكشوفا

لمن

لمن يرى اي لكل راء كقولهم قد تبين الصبح لذي
عينين يريدون لكل من له بصر وهو مثل في
الامر المنكشف الذي لا يخفى على احد لكن الناجي
لا ينصرف بصره اليها فلا يراها كما قال تعالى لا يسمعون
حسيسها فجواب ـــ اذا قوله فاما من
طغى اي تجاوز الحد في العدوان حتى كفر به وآثر
اي قدم واختار الحياة الدنيا اي انهمك فيها ولم
يستعد للاخرة بالعبادة وتهذيب النفس فان
الجحيم اي النار الشديدة التوقد العظيمة هي اي
خاصة المأوى اي مأواه كما تقول للرجل غض
الطرف تريد طرفك وليست الالف واللام بدلا عن
الاضافة ولكن لما علم ان الطاغي هو صاحب
المأوى وانه لا يغض الرجل طرف غيره تركت الا ضافة
تنبيه هي يجوز ان تكون فصلا او مبتدا واما
من خاف مقام ربه اي قيامه بين يديه لعلمه
بالمبدا والمعاد وقال مجاهد خوفه في الدنيا
من الله تعالى عند مواقعة الذنب فيقلع عنه
نظيره ولمن خاف مقام ربه جنتان ونهى
النفس الامارة بالسوء عن الهوى وهو اتباع
الشهوات وزجرها عنها وضبطها بالصبر والتو طين
على ايثار الخير فان الجنة اي البستان لكل ما تشتهي

Copyright © King Saud University

هي اي خاصة المأوى اي ليس له سواها مأوى وحا
صل الجواب فالعاصي في النار والطايع في الجنة قال
الرازي هذان الوصفان مضادان للوصفين
المتقدمين فقوله تعالى من خاف مقام ربه
ضد قوله تعالى فاما من طغى ونهى النفس
عن الهوى ضد قوله تعالى وآثر الحياة الدنيا
فلما دخل في ذينك الوصفين جميع القبائح دخل
في هذين الوصفين جميع الطاعات وقال عبد الله
ابن مسعود انتم في زمان يقود الحق الهوى
وسياتي زمان يقود الهوى الحق فنعوذ
بالله من ذلك الزمان تنبيه اختلفوا في
سبب نزول هاتين الآيتين فقيل نزلتا في
مصعب بن عمير واخيه روى الضحاك وعن
ابن عباس قال اما من طغى فهو مصعب بن عمير
اسر يوم بدر واخذته الانصار فقالوا من
انت قال انا اخو مصعب بن عمير فلم يشدوه
في الوثاق واكرموه وبيتوه عندهم فلما اصبحوا
حدثوا مصعب بن عمير حديثه فقال ما هو لي
باخ شدوا اسيركم فان امه اكثر اهل البطحاء
حليا ومالا فاوثقوه حتى بعثت امه فداه واما
من خاف مقام ربه فمصعب بن عمير وقى رسول

الله

الله صلى الله عليه وسلم بنفسه يوم احد حتى
تفرق الناس عنه حتى نفذت المشاقص في جوفه
والمشاقص جمع مشقص وهو السهم العريض فلما
راه صلى الله عليه وسلم متشحطا في دمه فقال
صلى الله عليه وسلم عند الله احتسبك وقال
صلى الله عليه وسلم لاصحابه لقد رايته وعليه
بردان ما تعرف قيمتهما وان شراك نعله من
ذهب وعن ابن عباس انها نزلت في رجلين
ابي جهل بن هشام ومصعب ابن عمير وقال
السدي نزلت الآية الثانية في ابي بكر الصديق
وقال الكلبي هما عامتان ولما سمع المشركون
اخبار القيامة ووصفها بالاوصاف الهائلة
مثل الطامة الكبرى والصاخة والقارعة
سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزا
متى تكون الساعة نزل يسالونك يا اشرف الخلق
عن الساعة اي البعث الآخر لكثرة ما يتوعد
بها عدى امرنا ايان مرساها اي في وقت ارساها
اي اقامتها ارادوا متى يقيمها الله تعالى ويثبتها
ويكونها وايان منتهاها ومستقرها كان مرسى
السفينة مستقرها حيث تنتهي اليه فاجابهم
الله تعالى بقوله سبحانه فيم اي في اي شي

هم

Copyright © King Saud University

انت من ذكراها اي من تذكر وقتها لهم وتعلمهم به
تنبيه فيم خبر مقدم وانت مبتدا موخر
ومن ذكراها متعلق بما تعلق به الخبر والمعنى انت
في اي شي من ذكراها ما انت من ذاكرها لهم
وتبين وقتها في شي وعن عائشة لم يزل رسول
الله صلى الله عليه وسلم يذكر الساعة ويسال
عنها حتى نزلت فهو على هذا تعجب من
كثرة ذكره لها كانه قيل في اي شغل واهتمام
انت من ذكرها والسوال عنها والمعنى
انهم يسالونك عنها فلحرصك على جوابهم لا تزال
تذكرها وتسال عنها الى ربك اي المحسن
اليك بانواع النعم منتهاها اي منتهى علمها
لم يوت علمها احدا من خلقه كقوله تعالى انما
علمها عند ربي وقوله تعالى ان الله عنده علم
الساعة قال القرطبي ويجوز ان يكون انكارا على
المشركين في مسالتهم اي فيم انت من ذلك
حتى يسالونك بيانه ولست ممن يعلمه روي
معناه عن ابن عباس وقيل الوقف على قوله
تعالى فيم فهو خبر مبتدا مضمر اي فيم
هذا السوال ثم يبتدا بقوله تعالى انت من
ذكراها اي ارسلناك وانت خاتم الانبيا واخر

الرسل

مد الرسل المبعوث في نسم الساعة ذكر من ذكراها وعلا
من علاماتها فكفاهم بذلك دليلا على دنوها ومشا
رفتها ووجوب الاستعداد لها ولا معنى لسوالهم
عنها انما انت اي يا اشرف الرسل منذر اي
انما بعثت لانذار من يخشاها اي لتخويف من يخاف
هولها وهو وهو لا يناسب تعيين الوقت وتخصيص
من يخشى لانه المنتفع به اي انما ينفع انذارك
من يخافها وان كنت منذرا لكل مكلف كانهم قال
البغوي يعني كفار قريش يوم يرونها اي يعلمون
قيام الساعة علما هو كالروية ويرون ما يحدث
فيها بعد سماع الصيحة وقيامهم من القبور مع
علمهم بما مر من زمانهم وما اتى فيه لم يلبثوا
اي في الدنيا وفي القبور الا عشية اي من الزوال
الى غروب الشمس او ضحاها اي ضحى عشية من
القبل ما وهو البكرة الى الزوال والعشية بعد
فة ذلك اضيف اليها الضحى لانها من النهار والاضافة
تحصل بادنى ملابسة وهي هنا كونهما من نهار
واحد فالمراد ساعة من نهار من اوله او اخره
لم يستكملوا نهارا تاما ولم يجمعوا بين طرفيه وهذا
كما قال صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الاخرة
الا كما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر

Copyright © King Saud University

بما يرجع فان قيل هلا قال الا عشية او ضحى ما فا
يدة الاضافة اجيب بان ذلك للدلالة على
ان مدة لبثهم كانها لم تبلغ يوما كاملا ولكن ساعة
منه عشية او ضحاه فلما ترك اليوم اضافه الى عشية
فهو كقوله تعالى لم يلبثوا الا ساعة من نهار وحسن
الاضافة وقوع الكلمة فاصلة تنبيه قراة
حديث موسى طوى، طغى، تزكى، فتخشى،
وعصى، اتقى، فنادى، الاعلى، والاولى تخشى
، ماسعى، طغى، الدنيا، الماوى، عن الهوى
، الماوى حمزة والكسائي بالامالة محضة وورش
وابو عمرو بين بين وقرا ورش بالفتح وبين
اللفظين وقرا قالون فاراه الاية الكبرى،
الطامة الكبرى لمن يرى، من ذكراها، ابو
عمرو وحمزة والكسائي بالامالة محضة وقرا ورش
بين اللفظين والباقون بالفتح في الجميع وقول
البيضاوي تبعا للزمخشري ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال من قرا سورة والنازعات
كان ممن حبسه الله تعالى في القبر والقيامة
حتى يدخل الجنة قدر صلاة المكتوبة
حديث موضوع،

سورة عبس وتسمى سورة السفرة مكية

وهي

وهي اثنان واربعون اية ومائة وثلاثون كلمة وثلثمائة
وثلاثون حرفا بسم الله الواحد القهار الرحمن
الذي عم بانعامه الابرار والفجار الرحيم الذي
خص اوليائه برحمته في دار القرار عبس اي
كلح وجه النبي صلى الله عليه وسلم وتولى اي
اعرض بوجهه لاجل ان جاءه الاعمى وهو ابن
ام مكتوم ام ابيه واسمها عاتكة بنت عامر
بن مخزوم واسمه عبد الله بن شريح بن
مالك بن ربيعة الفهري من بني عامر بن لوي بن
وذلك انه جاءه وعنده صناديد قريش
عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابو جهل ابن
هشام والعباس بن عبد المطلب وامية ابن
خلف والوليد بن المغيرة يدعوهم الى الاسلام
رجاء ان يسلموا اولئك الاشراف الذين كان يخاطبهم
فيتايد بهم الاسلام ويسلم باسلامهم اتباعهم
فتعلوا كلمة الله تعالى فقال يا رسول الله
اقراني وعلمني مما علمك الله تعالى وكرر ذلك
وهو لا يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول
الله صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس
واعرض عنه وقال في نفسه يقول هؤلاء الصناديد
انما اتبعه العميان والعبيد والسفلة فعبس

Copyright © King Saud University

وجهه واعرض عنه واقبل على القوم الذين يكلمهم
فانزل الله تعالى هذه الايات فكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم بعد ذلك يكرمه واذا راه قال
مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ويبسط له رداءه
ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه على
المدينة مرتين في غزوتين غزاهما قال انس ابن
مالك فرايته يوم القادسية راكبا وعليه درع
وله راية سوداء **وما يدريك** اي واي شيء يجعلك
داريا بحاله **لعله** اي الاعمى **يزكى** فيه ادغام التاء
في الاصل في الزاي اي يتطهر من الذنوب بما يسمع
منك وفي ذلك ايماء بان اعراضه كان لتزكية
غيره **او يذكر** فيه ادغام التاء في الذال او يـ
تعظ ويتنبه عن تزكيته وتذكره قوله تعالى
فتنفعه الذكرى اي العظة المسموعة منك
وقراءة عاصم بنصب العين والباقون برفع فمن
رفع فهو نسق على قوله تعالى او يذكر ومن نصب
فعلى جواب الترجي كقوله تعالى في غافر فاطلع
الى اله موسى وقال ابن عطية في جواب التمني
لان قوله تعالى او يذكر في حكم قوله تعالى
لعله يزكى واعترض عليه ابو حيان بان هذا
ليس تمنيا وانما هو ترج واجيب عنه بانه

انما

انما يريد التمني المفهوم وقراءة الذكرى ابو عمرو وحمزة
والكسائي بالامالة محضة وورش بين اللفظين والبا
قون بالفتح وقيل الضمير في لعله للكافر يعني انك
طمعت في ان تتزكى بالاسلام او يذكر فتقربه الذكرى
الى قبول الحق وما يدريك ان ما طمعت فيه كائن
اما من استغنى اي بالمال وقال ابن عباس استغنى
عن الله وعن الايمان بما له من المال **فانت له**
اي دون الاعمى **تصدى** اي تتعرض بالاقبال عليه
والمصاداة المعارضة وقراءة نافع وابن كثير بتشديد
بادغام التاء الثانية في الاصل والباقون بالتخفيف
وما اي فعلت ذلك والحال انه ما **عليك** اي وليس
عليك باس **الا يزكى** اي في ان لا يتزكى بالاسلا ص
حتى يبعثك الحرص على اسلامه الى الاعراض عمن
اسلم ان عليك الا البلاغ **واما من جاءك** حال
كونه يسعى اي يسرع في طلب الخير وهو ابن ام مكتوم
وهو اي والحال انه **يخشى** اي الله او الكفار في
اذاهم على الاتيان اليك وقيل جاء وليس معه قائد
فهو يخشى الكبوة وقراءة قالون وابو عمرو والدوري
بسكون الهاء والباقون بضمها **فانت عنه تلهى**
فيه حذف التاء الاخرى في الاصل اي تتشا غل
وقراءة وتولى الاعمى يزكى استغنى تصدى تزكى

يسى بخشى تلهى حمزة والكسائي بالامالة محضة وورش
وابو عمرو بين بين والفتح عن ورش قليل والباقون بالفتح
وقوله تعالى كلا ردع عن العاتب عليه وعن معاودته
فان قيل ما فعله ابن ام مكتوم كان يستحق عليه
التاديب والزجر فكيف عاتب الله تعالى رسوله صلى
الله عليه وسلم على تاديبه لانه وان كان اعمى
فقد سمع مخاطبته صلى الله عليه وسلم لاوليك
الكفار وكان بما عهد يعرف اهتمام النبي
صلى الله عليه وسلم بشانهم فكان اقدامه
على قطع كلامه صلى الله عليه وسلم لغرض نفسه
قبل تمام كلام النبي صلى الله عليه وسلم معصية
عظيمة وايضا فان الاهم يقدم على المهم وكان قد
اسلم وتعلم ما يحتاج من امر الدين واما اوليك
الكفار فلم يكونوا اسلموا وكان اسلامهم سببا
لاسلام غيرهم فكان كلام ابن ام مكتوم كالسبب
في قطع ذلك الخير العظيم لغرض قليل وذلك محرم
وايضا فان الله تعالى ذم الذين ينادونه من وراء
الحجرات بمجرد ندايهم فهذا النداء الذي هو كالصارف
للكفار عن الايمان اولى ان يكون ذنبا وايضا مع هذا
الاعتنا كيف لقب بالاعمى وايضا فالنبي صلى الله
عليه وسلم مشغول بغيره وانه يرجوا اسلامهم

له ان

له ان يودب اصحابه بما يراه مصلحة والتنبيه من
ذلك الى لقبيل اجيب بان ما فعله ابن ام
مكتوم كان من سوء الادب لو كان عالما بان النبي
صلى الله عليه وسلم مشغولا بغيره وانه يرجوا
اسلامهم ولكنه لم يعلم بذلك وايضا الله سبحانه
وتعالى انما عاتبه على ذلك حتى لا ينكسر قلوب الفقرا
الضعفا او ليعلم ان المومن الفقير خير من الغني
الكافر وقال ابن زيد انما عبس النبي صلى الله
عليه وسلم لابن ام مكتوم واعرض عنه
لانه اشار الى الذي كان يقوده ان يكفه فدفعه
ابن ام مكتوم وابى الا ان يتكلم مع النبي صلى
الله عليه وسلم فكان في هذا نوع جفا منه
ومع هذا نزل في حق ذلك واما ذكره بلفظ الاعمى
٥ فليس للتحقير بل كان بسبب عماه يستحق ان يزيده
تعطفا وترادفا وتقريبا وترحيبا ولقد تادب
الناس بتاديب الله تعالى في هذا تادبا حسنا
فقد روي عن سفيان الثوري ان الفقرا كانوا في
مجلسه امرا وما كونه صلى الله عليه وسلم
كان ماذونا له في تاديب اصحابه فلان تقديمهم
زمانيهم يرجح تقديم الاغنيا على الفقرا فلهذا
السبب عوتب قال الحسن لما نزل جبريل على

Copyright © King Saud University

النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الايات عاد ووجهه
كانما نسف فيه الرماد ينتظر ما يحكم الله تعالى عليه
فلما قال كلا سري عنه اي لا تفعل مثل ذلك وقد
ينبغي ان ذلك محمول على ترك الاولى ثم قال الله
تعالى **انها** اي هذه السورة وقال مقاتل ايات
القران وقيل القران وانثه لتانيث خبره وهو
قوله تعالى **تذكرة** اي عظة للخلق يجب الاتعاظ
بها والعمل بموجبها **فمن شا ذكره** اي كان حافظا له
غير ناس وذكر الضمير لان التذكرة في معنى
الذكر والوعظ ثم الضمير ان الله تعالى اخبر عن
جلالة ذلك عنده فقال سبحانه **في صحف** اي
منتسخة من اللوح المحفوظ وقيل من كتب
عليهم السلام دليله قوله تعالى ان هذا لفي
الصحف الاولى صحف ابراهيم موسى **مكرمة** اي
عند الله تعالى **مرفوعة** اي في السما السابعة
او مرفوعة المقدار **مطهرة** اي منزهة عن
ايدي الشياطين لا يمسها الا ايدي ملائكة كرام
مطهرين كما قال تعالى **بايدي سفرة** اي كتبة ينسخونها
من اللوح المحفوظ وهم الملائكة الكرام الكاتبون
واحدهم سافر يقال سفرت اي كتبت ومنه
قيل للكتاب سفر وجمعه اسفار وقيل هم الرسل

من

من الملائكة واحدهم سفير وهو الرسول وسفير
القوم هو الذي يسعى بينهم بالصلح وسفرت بين القوم
اذا اصلحت بينهم ثم اثنى تعالى عليهم بقوله
سبحانه **كرام** اي على الله تعالى وروى الضحاك عن
ابن عباس في كرام قال مكرمون ان يكونوا مع ابن
ادم اذا خلا بزوجته او برز لغائط وقيل يوثرون
منافع غيرهم على منافع انفسهم وقوله تعالى
بررة جمع بار كساحر وسحرة وفاجر وفجرة والبار
هو الصادق المطيع ومنه بر فلان في يمينه اي
صدق وفلان يبر خالقه اي يطيعه فمعنى اي
صدق وفلان يبر خالقه اي يطيعه فمعنى بررة
مطيعين صادقين الله تعالى في اعمالهم ولما ذكر
تعالى ترفع صناديد قريش على فقرا المسلمين تعجب
عباده المومنين من ذلك فقال سبحانه **قتل
الانسان** اي لعن الكافر وقوله تعالى **ما اكفره**
استفهام توبيخ اي ما اشد تغطيته للحق وجحده
له وعناده فيه لانكاره البعث واشراكه بربه
وغير ذلك مما حمله على الكفر وقوله تعالى **من اي
شي خلقه** استفهام تقرير ثم بينه بقوله تعالى
من نطفة اي ماء يسير جدا لا اشي غيره **خلقه**
اي اوجده مقدرا على ما هو عليه من التخطيط

Copyright © King Saud University

فقدره اى علقة ثم مضغة الى اخر خلقه فكانه
قيل واى سبب فى هذا الترفع مع ان اوله نطفة
مذرة وآخره جيفة قذرة وهو فيما بين الوقتين
حامل عذرة فان خلقة الانسان تصلح ان
يستدل بها على وجود الصانع لانه يستدل بها على
القول بالبعث والحشر قيل نزلت فى عتبة ابن
ابى لهب والظاهر العموم فان قيل الدعا على
الانسان انما يليق بالعاجز فالقادر على الكل كيف
يليق به ذلك والتعجب ايضا انما يليق بالجاهل
بسبب الشى فالعالم به كيف يليق به ذلك اجيب
بان ذلك ورد على اسلوب كلام العرب لبيان
استحقاقهم لاعظم العقاب حيث اتوا باعظم
القبايح كقولهم اذا تعجبوا من شى قاتله الله
تعالى ما احسنه واخزاه الله ما اظلمه والمعنى
اعجبوا من كفر الانسان بجميع ما ذكرنا بعد هذا
وقيل الاستفهام استفهام تحقير له فذكر
اول مراتبه وهو قوله تعالى من نطفة خلقه ولا
شك ان النطفة شى حقير مهين ومن كان
اصله ذلك كيف يتكبر وقوله تعالى فقدره اى
اطوارا وقيل سواه لقوله تعالى ثم سواك رجلا
او قدر كل عضو فى الكيفية والكمية بالقدر

اللائق

اللائق لمصلحته كقوله تعالى وخلق كل شى فقدره
تقديرا ثم ذكر المرتبة الوسطى بقوله تعالى ثم
بعد انتهاء المدة السبيل اى طريق خروجه من
بطن امه يسره اى سهل له امره فى خروجه
بان فتح له الرحم والهمه الخروج منه ولا شك ان
خروجه من اضيق المسالك من اعجب العجائب
يقال انه كان راسه فى بطن امه من فوق ورجليه
من تحت فاذا جاء وقت الخروج انقلب فمن الذى
اعطاه ذلك الا الهام المراد ومنه قوله تعالى
وهديناه النجدين اى التمييز بين الخير والشر وروى
عن ابن عباس قال سبيل الشقا والسعادة وقال
ابن زيد سبيل الاسلام قال ابو بكر بن طاهر يسر
على كل احد ما خلقه وقدر عليه لقوله صلى
الله عليه وسلم كل ميسر لما خلق له ثم ذكر المرتبة
الاخيرة بقوله تعالى ثم اماته واشار الى ايجاب
المبادرة بالتجهيز بالفا المعقبة فى قوله تعالى
فاقبره اى جعله فى قبر يستره اكراما له ولم
يجعله ممن يلقى على وجه الارض تاكله الطير او
غيره ثم اذا شاء انشره اى احياه بعد موته
للبعث ومفعول شاء محذوف اى شاء انشاره جواب
اذا وقرا قالون وابو عمرو والبزى باسقاط

Copyright © King Saud University

الهمزة الاولى مع المد والقصر وسهل الثانية ورش
وقنبل ولهما ايضا ابدالها الفا والباقون بتحقيقها
وقوله تعالى **كلا** ردع للانسان عما هو عليه وقيل
معناها حقا قال الاول الزمخشري وتبعه البيضاوي
وقال الثاني الجلال المحلي **لما يقض** اي يفعل **ما امره**
به ربه من الايمان وترك التكبر وقيل لم يوف
بالميثاق الذي اخذ عليه في صلب ادم عليه
السلام وقيل المعنى ان ذلك الانسان الكافر
لم يقض ما امره به من التامل في دلايل الله
تعالى والتدبر في عجايب خلقه ولما كان عادة الله
تعالى جارية في القران انه كلما ذكر دلايل الانفس
ذكر عقبها دلايل الافاق فبدا من ذلك بما
يحتاج اليه الانسان بقوله تعالى **فلينظر الانسان**
اي يوقع النظر التام بكل شي يقدر على النظر به
من بصره وبصيرته **الى طعامه** اي الذي
هو قوام حياته كيف هيا له اسباب المعاش ليستعد
بها للمعاد قال الحسن ومجاهد فلينظر الى طعامه
اي مدخله ومخرجه وروي عن الضحاك انه قال
قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ضحاك
ما طعامك قلت يا رسول الله اللحم واللبن
قال فترابك ماذا قلت الى ما قد علمته قال

فان

فان الله تعالى ضرب ما يخرج من ابن ادم مثلا للدنيا
وروي عن ابن عمر ان الرجل يدخل الخلا فينظر
ما يخرج منه فياتيه الملك فيقول انظر الى ما تخليت
به الى ما صار وقرا **انا صببنا** اي بما لنا من العظمة
الما عاصم وحمزة والكسائي بفتح الهمزة على انه
بدل الاشتمال بمعنى ان صب الما سبب في اخراج
الطعام فهو مشتمل عليه بهذا التقدير او انه
على تقدير لام العلة اي فلينظر لانا ثم حذف الجا ففي
وقال البغوي انا بالفتح على تكرير الخافض مجازه
فلينظر الى انا وقرا الباقون بالكسر على الاستينا
تقديرا لنعمه تعالى عليه وقوله تعالى **صبا** تاكيد ف
او المراد بالما المطر ولما كان الانسان محتاجا
الى جميع ما في الوجود ولو نقص منه شي اختل
امره وبدا اولا بالسماوي لانه اشرف وبالما
الذي هو حياة كل شي تنبيها له على ابتدا خلقه
ثني بالارض التي هي كالانثى بالنسبة الى السماء
فقال تعالى **ثم** اي بعد مهلة من انزال الما
شققنا اي بما لنا من العظمة **الارض** اي بالنبات
الذي هو في غاية الضعف عن شق اضعف الاشيا
فكيف بالارض اليابسة وقوله تعالى **شقا** تاكيد
ثم سبب عن الشق ما هو كالتفسير له فقال تعالى

Copyright © King Saud University

فانبتنا اي بما لنا من القدرة التامة فيها اي بسبب
الشق حبا اي قمحا وشعيرا وسلتا وساير ما يحصد
ويدخر وقدم ذلك لانه كالاصل في التغذية
وعنبا وذكره بعد الحب لانه غذا من وجه
وفاكهة من وجه وقضبا قال ابن عباس هو
الرطب لانه يقتضب من النخل اي يقطع ورجحه
بعضهم لذكره بعد العنب لانهما يقترنان كثيرا
وقيل القضب الرطب وقيل كلما يقضب من
البقول لبني ادم وقيل هو الرطبة والمقضاب
ارضه سمي بالمصدر قضبته اذا قطعه لانه
يقضب مرة وقال الحسن القضب العلف
للدواب وزيتونا وهو ما يعصر منه الزيت
يكون فيه حرافة وعفاضة فيه اصلاح
المزاج وقوله تعالى ونخلا جمع نخلة وكل من
هذه الاشجار يخالف الاخر في الشكل والحمل
وغير ذلك من المرافقة في الارض والسقي وقوله
تعالى وحدائق غلبا جمع اغلب وغلبا كحمر جمع احمر
وحمرا اي بساتين كثيرة الاشجار والاصل
في الوصف بالغلب الرقاب يقال رجل اغلب وامراة
غلبا غليظا الرقبة فاستعير قال عمرو بن معدي
كرب يمشي بها غلب الرجال كانهم

بزل كسين من الكحيل جلالا
وقال مجاهد ومقاتل الغلب الملتفة الشجر بعضه
في بعض وقال ابن عباس الطوال وقيل غلاظ الشجر
وفاكهة وهي ما ياكله الناس من ثمار الاشجار
كالتين والخوخ قال النووي في منهاجه فيدخل في
فاكهة رطب وعنب ورمان واترج ورطب ويابس
اي كالتمر والزبيب قال قلت وليمون
ونبق وبطيخ ولب فستق وبندق وغيرها في الاصح
وابا وهو ما ياكله الدواب لانه يوب اي يؤم
وينتجع اليه وقال عكرمة الفاكهة ما ياكله
الناس والاب ما تاكله الدواب وقيل التبن وعن
ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه سيل عن الاب
فقال اي سما تظلني واي ارض تقلني اذا قلت
في كتاب الله تعالى ما لا علم لي به وعن عمر رضي
الله عنه انه قرا هذه الاية فقال كل هذا عرفنا
فما الاب ثم رفض عصا كانت بيده ثم قال هذا
لعمر الله التكلف وما عليك يا ابن ام عمر ان لا تدري
ما الاب ثم قال اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب
وما لا فدعوه فان قيل هذا اشبه النهي عن
تتبع معاني القران والبحث عن مشكلاته اجيب
بانه لم يذهب الي ذلك ولكن القوم كانت اكثر

نعمهم عاكفة على العمل وكان التشاغل بشي من العلم
لا يعمل به تكلفا عندهم فاراد ان الاية مسوقة
عندهم في الامتنان على الانسان بطعمه واستدعا
شكره وقد علم من فحواه ان الاب بعض ما انبته
الله للانسان متاعا له او لانعامه فليلهوا هم من
النهوض بالشكر لله تعالى على ما بين لك ولم يشكل
مما عدد من نعمه ولا تشاغل عنه بطلب معنى
الاب ومعرفة النبات الخاص الذي هو اسم له
واكتفي بالمعرفة الجميلة الى ان يتبين لك من مشكلات
القران **متاعا** اي الغذاء اي منفعة او تمتيعا
كما تقدم في السورة قبلها **لكم** اي الفاكهة
ولانعامكم وتقدم ايضا في السورة التي قبلها
معرفة الانعام والحكمة في الاقتصار عليها
ولما ذكر تعالى هذه الاشيا وكان المقصود منها
ثلاثة اولها الدلايل الدالة على التوحيد وثانيها
الدلايل الدالة على القدرة والمعاد وثالثها الدالة
على ان هذه الاله الذي احسن الى عبده بهذه
الانواع العظيمة من الاحسان لا يليق بالعاقل
ان تمرد على طاعته وان يتكبر على عبده اتبع
ذلك بما يكون كالموكد لهذه الاغراض وهو
شرح احوال القيامة فان الانسان اذا سمعها

خاف

خاف فيدعوه ذلك الخوف الى التامل في الدلايل والا
يمان بها والاعراض عن الكفر ويدعوه ايضا الى ترك
التكبر على الناس والى اظهار التواضع قال تعالى **فاذا**
جاءت اي كانت ووجدت لان كل ما هو كاين كانه
لا ينفك وجا اليك **الصاخة** اي صيحة القيامة
وهي النفخة الثانية التي تصخ الاذان اي تصمها
لشدة وقعها ماخوذة من صخه بالحجر اي صكه
به وقال الزمخشري صخ لحديثه مثل اصاخ فو
صفت النفخة بالصاخة مجازا لان الناس يصخون
لها وقال ابن العربي الصاخة التي تورث الصمم
وانها المسمعة وهذا من بديع الفصاحة كقوله
اصمهم سرهم ايامهم فرقتهم وهل سمعتم سر يورث
الصمم وجواب اذا محذوف دل عليه قوله تعالى
فاذا جاءت الصاخة اشتغل كل واحد بنفسه
وقوله تعالى **يوم يفر المرء** بدل من اذا **من**
اخيه وامه وابيه وصاحبته اي زوجته
وبنيه لاشتغاله بما هو مدفوع اليه ولعلمه
انهم لا يغنون عنه شيا كقوله تعالى يوم لا يغني
مولى عن مولى شيا فيفر المرء من قرابته الذين
كان يفر اليهم في دار الدنيا ويستخبر بهم لكثرة
ما يثقله وابتدا بالاخ لانه ادناهم رتبة في

Copyright © King Saud University

الصحب والذنب ثم بالام لانها كانت مشاركة له في الالف
ويلزم من حمايتها اكثر مما يلزم للاخ وهو لها الف
وعليها ارق واعطف ثم بالاب لانه اعظم منها في
الالف لانه اقرب في النوع وللولد عليه من المعاطفة
ما له من مزيد النفع الكثير فمن قبله ثم بالصا
حبة لان الزوجة التي هي اهل لان تصحب
الصق بالفؤاد واعرق في الوداد وكان الانسان
ادب عنها فكلما عند الشدائد ثم بالولد لان له
من المحبة والمعاطفة بالسرور والمشاورة في
الامر ما ليس لغيره ولذلك يضيع عليه رزقه
وعمره فقدم ادناهم مرتبة في الصحب والذنب
فادناهم على سبيل الترقي واخر الاوجب في
ذلك فالاوجب بخلاف ما في سورة سال فكانه
قيل يفر المرء من اخيه بل من امه بل من ابيه
بل من صاحبته بل من بنيه وقيل يفر منهم
حذرا من مطالبتهم بالتبعات يقول الاخ لم
تواسني بمالك والابوان قصرت في برنا والصا
حبة اطعمتني الحرام وفعلت وصنعت والبنون
لم تعلمنا ولم ترشدنا وقيل اول من يفر من
اخيه هابيل ومن ومن ابويه ابراهيم عليه
السلام ومن صاحبته نوح ولوط ومن ابنه

نوح

نوح ولما ذكر الفرار اتبعه سببه فقال تعالى لكل امرئ
وان كان اعظم الناس مروءة منهم يومئذ اي
اذ يكون هذه الدواهي العظام والشدائد والالام
شان اي امر عظيم وقوله تعالى يغنيه حال اي
يشغله عن شان غيره وعن سودة زوج النبي
صلى الله عليه وسلم قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يبعث الناس حفاة عراة غرلا
قد الجمهم العرق وبلغ شحوم الاذان فقلت
يا رسول الله واسوأتاه ينظر بعضنا الى بعض فقال
صلى الله عليه وسلم قد شغل الناس لكل امرئ
منهم يومئذ شان يغنيه وقال ابن قتيبة اي
يصرفه عن قرابته ومنه يقال اغن عني
وجهك اي اصرفه وقال اهل المعاني يغنيه
اي ذلك الهم الذي حصل له قد ملأ صدره
فلم يبق متسع لهم آخر فصار شبيها بالغني
مة في انه ملك شيئا كثيرا ولما ذكر تعالى حال العبا
في الهول بين ان المكلفين على قسمين سعداء
واشقياء فوصف سبحانه السعيد بقوله تعالى
وجوه يومئذ اي اذ كان ما تقدم من الفرار وغيره
مسفرة اي مضيئة متهللة من اسفر الصبح اذا
اضاء وعن ابن عباس من قيام الليل لما روي

Copyright © King Saud University

في الحديث من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه
بالنهار وعن الضحاك من آثار الوضوء وقيل من
طول ما اغبرت في سبيل الله تعالى **ضاحكة** اي
مسرورة فرحة قال الكلبي يعني بالفراغ من
الحساب **مستبشرة** اي بما آتاها الله تعالى من
الكرامة ثم وصف الشقي بقوله تعالى **ووجوه**
يومئذ اي اذ وجد ما ذكر **عليها غبرة** اي
غبار **ترهقها** اي تعلوها **قترة** اي سواد كالدخان
ولا يرى اوحش من اجتماع الغبرة والسواد
في الوجه كما يرى من وجوه الزنوج اذا اغبرت
اولئك اي اهل البغضاء الذين يصنع بهم
هذا **هم** اي خاصة **الكفرة الفجرة** جمع
الكافر والفاجر وهو الكاذب والمفتري على
الله تعالى فجمع تعالى الى سواد وجوههم الغبرة
كما جمعوا الفجور الى الكفر وقول البيضاوي تبعا
للزمخشري انه صلى الله عليه وسلم قال من
قرأ سورة عبس وتولى جاء يوم القيامة و
وجهه ضاحك مستبشر حديث موضوع وكان
من حق البيضاوي ان لا يبين يقال بل يبين
كالزمخشري او حوشا ويأتي مثله في نظائره

سورة التكوير مكية

وهي

وهي تسع وعشرون آية ومائة واربع كلمات واربعمائة
واربعة وثلاثون حرفا **بسم الله** الذي احاط
علمه بالكائنات **الرحمن** الذي عم جوده سائر
البركات **الرحيم** الذي خص حزبه بنعيم الجنات
واختلف في معنى قوله تعالى **اذا الشمس** اي التي
هي اعظم آيات السماء الظاهرة واوضحها للحس
كورت فقال ابن عباس اظلمت وقال قتادة ذهب
ضوؤها وقال سعيد بن جبير غورت وقال مجاهد
اضمحلت وقال الزجاج لفت كما تلف العمامة على
الرأس اكورها كورا وكورتها تكويرا اذا لففتها
واصل التكوير جمع بعض الشيء الى بعض فمعناه
اذا الشمس يجمع بعضها الى بعض ثم تلف فاذا فعل
بها ذلك ذهب ضوؤها قال ابن عباس يكور
الله تعالى الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة في
البحر ثم يبعث عليها ريحا دبورا فتضرمها فتصير
نارا وعن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال الشمس والقمر يكوران يوم القيامة
تنبيه ارتفاع الشمس على الفاعلية ورافعها
فعل مضمر يفسره كورت لان اذا تطلب الفعل
لما فيه من معنى الشرط **واذا النجوم** اي كلها
كبارها وصغارها **انكدرت** اي انقضت وتساقطت

Copyright © King Saud University

على الارض قال تعالى واذا الكواكب انتثرت واصل
في الانكدار الانصباب قال العجاج في مدحه لعمرو بن
معدي كرب • اذا الكرام ابتدروا الباع ابتدر
• تقضي البازي اذا البازي كسر • •
ابصر خربان قضا فانكدر • اي فانقض وسقط
والخربان جمع خرب وهو ذكر الحبارى والباع
يستعمل في الكرم يقال فلان كريم • الباع والمعنى
ان الكرام اذا ابتدروا فعل المكرمات بدر بهم
عمرو الي اسرع كانقضاض البازي وروي عن
ابن عباس ان النجوم قناديل معلقة بين السما
والارض بسلاسل من نور بايدي الملائكة عليهم
السلام فاذا مات من في تلك الكواكب من ايدي
الملائكة لانه مات من كان يمسكها واذا الجبال
التي هي في العالم السفلي كالنجوم في العالم
العلوي وهي اصلب ما في الارض سيرت اي
ذهب بها عن وجه الارض فصارت هباء
وصارت قاعا صفصفا واذا العشار اي النوق الحوا
مل جمع عشرا كالنفاس جمع نفسا وهي التي على
حملها عشرة اشهر ثم هو اسمها الى ان تضع
لتمام السنة وهي انفس ما يكون عند العرب
روي انه صلى الله عليه وسلم مر في اصحابه

بعشار

بعشار من النوق ففض بصره فقيل له هذه انفس
اموالنا فلم لا تنظر اليها فقال قد نهاني الله عن
ذلك ثم تلا ولا تمدن عينيك الاية عطلت اي
تركت مسيبة مهملة بلا راع او عطلها اهلها عن
الحلب والصر لاشتغالهم بانفسهم او السحاب
عطلت عن المطر والعرب تشبه السحاب بالحامل
والاول على وجه المثل لانه في القيامة لا تكون
ناقة عشرا والمعنى ان يوم القيامة بحالة
لو كان للرجل ناقة عشرا لعطلها واشتغل بنفسه
واذا الوحوش اي دواب الارض التي لا تانس باحد
التي تظن انها لا عبرة بها ولا التفات اليها فما ظنك
بغيرها حشرت اي جمعت بعد البعث لتقتص لبعضها
من بعض ثم تصير ترابا قال قتادة تحشر كل شي
حتى الذباب للقصاص وقيل اذا قضي بينها ردت
ترابا فلا يبقى منه الا ما فيه سرور لبني آدم واعجاب
بصورته كالطاوس ونحوه وعن ابن عباس حشرها
موتها يقال اذا اجحفت السنة بالناس واموالهم
حشرتهم السنة وقرانه واذا البحار سجرت اي على
قرائة ابن كثير وابو عمرو بتخفيف الجيم والباقون
بتشديدها قال ابن عباس اوقدت فصارت نارا
تضطرم وقال مجاهد فجر بعضها في بعض العذب

Copyright © King Saud University

والملح فصارت البحار كلها بحرا واحدا وقال القشيري يرفع
الله الحاجز الذي ذكره فاذا رفع ذلك البرزخ تفجرت
مياه البحار فعمت الارض كلها وصارت بحرا واحدا وروى
ابو العالية عن ابي بن كعب قال ست ايات قبل يوم
القيامة بينما الناس في اسواقهم اذ ذهب ضوء الشمس
فبينما هم كذلك اذ تناثرت النجوم فبينما هم
كذلك اذ وقعت الجبال على الارض فتحركت واضطربت
وفزعت الجن الى الانس والانس الى الجن واختلطت
الدواب والطير والوحش وماج بعضهم الى بعض
فذلك قوله تعالى واذا الوحوش حشرت اختلطت
واذا البحار سجرت قال قال الجن للانس نحن ناتيكم
بالخبر فانطلقوا الى البحر فاذا هو نار تتاجج قال
فبينما هم كذلك اذ تصدعت الارض صدعة
واحدة الى الارض السابعة السفلى والى السماء
السابعة العليا فبينما هم كذلك اذ جاءتهم الريح
فاماتتهم وعن ابن عباس قال هي اثنى عشر
خصلة ستة في الدنيا وستة في الاخرة وهي ما ذكر
من بعد واذا النفوس اي من كل ذي نفس من
الناس وغيرهم زوجت اي قرنت باجناسها دنقا
وروي ان عمر سيل عن هذه الاية فقال يقرن
بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح في الجنة ويقرن

بين

زكي

بين الرجل السوء مع الرجل السوء في النار وقال الحسن
وقتادة الحق كل امرئ بشيعته اليهود باليهود والنصا
بالنصارى وقال عطاء زوجت نفوس المومنين
بالحور العين وقرنت نفوس الشياطين بالكافرين واذا
الموودة اي الجارية المدفونة حية كان الرجل في
الجاهلية اذا ولد له بنت فاراد ان يستحييها
البسها جبة من صوف او شعر ترعى له الابل والغنم
في البادية وان اراد قتلها تركها حتى اذا كانت
سداسية فيقول لامها طيبيها وزينيها حتى
اذهب بها الى احمائها وقد حفر لها بيرا في الصحرا
فيذهب بها الى البير فيقول لها انظري فيها ثم
يدفعها من خلفها ويهيل عليها التراب حتى تستوي
بالارض وقال ابن عباس كانت الحوامل اذا قربت
ولادتها حفرت حفرة فتمخضت على راس الحفرة
فاذا ولدت بنتا رمت بها في الحفرة وان ولدت
ولدا حبسته وكانوا يفعلون ذلك لخوف لحوق
العار بهم من اجلهم او الخوف من الاملاق
كما قال تعالى ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق وكانوا
يقولون ان الملايكة بنات الله فالحقوا البنات
به فهو احق بهن وكان صعصعة بن ناجية ممن
منع الواد وبه افتخر الفرزدق في قوله ومنا

Copyright © King Saud University

الذي منع الوائدات واحيى الوئيد فلم يوئد **سئلت**
باي اي بسبب اي **ذنب** يا ايها الجاهلون **قتلت**
اي استحقت به عندكم القتل وهي لم تباشر
سوا لكونها لم تصل الي حد التكليف فان قيل
مامعنى سوالها عن ذنبها الذي قتلت به وهلا
سئل الوائد عن موجب قتلها اجيب بان
سوالها وجوابها تبكيت لقاتلها نحو التبكيت
في قوله تعالى لعيسى عليه السلام انت قلت
للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله قال
سبحانك مايكون لي ان اقول ماليس بحق وروي
ان قيس بن عاصم جاء الي النبي صلى الله
عليه وسلم فقال يا رسول الله اني وادت ثمان
بنات كن لي في الجاهلية فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اعتق عن كل واحد منهن
رقبة فقال يا رسول الله اني صاحب ابل فقال
له صلى الله عليه وسلم اهد عن كل واحدة منهن
بدنة ان شئت وروي انه صلى الله
عليه وسلم قال ان المراة التي تقتل ولدها
تاتي يوم القيامة متعلق ولدها بيديها ملطخا
بدمائه فيقول يارب هذه امي وهذه قتلتني
واذا الصحف نشرت اي فتحت بعد ان كانت مطوية

والمراد

٣٦٦

والمراد صحف الاعمال التي كتبت الملائكة فيها اعمال العباد
من خير وشر تطوى بالموت وتنشر في القيامة فتقف
كل انسان علي صحيفته فيعلم مافيها فيقول مالهذا
الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها وروي
عن عمر انه كان اذا قراها قال اليك يساق الامر
يا ابن ادم وروي انه صلى الله عليه وسلم قال
يحشر الناس حفاة عراة فقالت ام سلمة قالت
بالنسا فقال شغل الناس يا ام سلمة قالت وما شغلهم
قال نشر الصحف منها مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل
وقراة نافع وابن عامر وعاصم بتخفيف الشين والبا
قون بتشديدها على تكرير النشر للمبالغة في تقريع
العاصي وتبشير المطيع وقيل لتكرير ذلك من
الانسان **واذا السماء** اي هذا الجنس كله افرده
لانه يعلم بالقدرة على بعضه القدرة على الباقي
كشطت اي نزعت عن اماكنها كما ينزع الجلد عن
الشاة والقشط اخوان قال القرطبي يقال كشطت
البعير كشطا اذا نزعت جلده ولا يقال سلخت لان
العرب لاتقول في البعير الا كشطته اوجلدته
والمعنى ازيلت عما فوقها وقال القرطبي طويت
واذا الجحيم اي النار الشديدة التاجج **سعرت**
اي اججت فاضرمت للكفار وزيد في احمائها

Copyright © King Saud University

تعالى سعرت النار واسعرتها روى انه صلى الله
عليه وسلم قال اوقد على النار الف سنة حتى احمرت
ثم اوقد عليها الف سنة حتى ابيضت ثم اوقد عليها
الف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة واحتج بهذه
الاية من قال النار مخلوقة الان لانه يدل على
ان سعيرها معلق بيوم القيامة وقرا نافع وابن
ذكوان وعاصم بتشديد العين والباقون بتخفيفها
واذا الجنة اى البستان ذو الاشجار الملتفة
والرياض المبهجة ازلفت اى قربت لاهلها ليدخلوها
وقال الحسن انهم يقربون منها لا انها تزول عن
موضعها وقال عبد الله بن زيد زينت والزلفى
في كلام العرب القربة وقوله تعالى علمت نفس
جواب اذا اول السورة وما عطف هذه المذكورات
وهو يوم القيامة فالتنكير فيه مثله في تمرة
خير من جرادة ودلالة هذا السياق للعموم
على ذلك يوجب اليقين فيه ما اى كل شيء
احضرت من خير وشر روي عن ابن عباس
وعمر انهما قرءا فلما بلغا علمت نفس ما احضرت
قال لهذا اجريت القصة قال الرازي ومعلوم
ان العمل لا يمكن احضاره فالمراد اذن ما احضرته
في صحائفها او ما احضرته عند المحاسبة وعند

الميزان من تلك الاعمال وعن ابن مسعود ان قاريا
قرأها عنده فلما بلغ علمت نفس ما احضرت قال
واقطع ظهراه فلا اقسم لا مزيدة اى اقسم
بالخنس الجوار الكنس هي النجوم الخمسة زحل
والمشتري والمريخ والزهرة والعطارد وتخنس
بضم النون اى ترجع في مجراها وراءها بينا ترى النجم
في اخر البرج اذ كر راجعا الى اوله وتكنس بكسر
النون تدخل في كناسها اى تغيب في المواضع التي
تغيب فيها فخنوسها رجوعها وكنوسها اختفاؤها
تحت ضوء الشمس وقيل هي جميع الكواكب تخنس
بالنهار فتغيب عن العيون وتكنس بالليل اى
تطلع في اماكنها كالوحش في كنسها والليل اى
هو محل ظهور النجوم وزوال خنوسها وذهاب
كنوسها اذا عسعس قال البغوي قال الحسن
اقبل بظلامه وقال اخرون ادبر تقول العرب عسعس
الليل وسعسع اذا ادبر ولم يبق منه الا القليل
والصبح اذا تنفس اى امتد حتى يصير نهارا
بينا يقال للنهار اذا زاد تنفس ومعنى
التنفس خروج النسيم من الجوف وفي كيفية
المجاز قولان الاول انه اذا اقبل الصبح اقبل
باقباله روح ونسيم فجعل ذلك تنفسا له على

Copyright © King Saud University

على المجاز فقيل تنفس الصبح الثالث انه شبه الليل
المظلم بالمكروب المحزون الذي جلس بحيث
لا يتحرك فاذا تنفس وجد راحة فههنا لما طلع
الصبح فكانه تخلص من ذلك الحزن فعبر عنه بالتنفس
وقوله تعالى انه اي القران لقول رسول كريم
هو المقسم عليه والمعنى انه لقول رسول عن الله
تعالى كريم على الله تعالى اي انتفت عنه وجوه المذام
كلها وهو جبريل عليه السلام واضاف الكلام اليه
لانه قاله عن الله عز وجل ذي قوة اي شديد
القوي روى الضحاك عن ابن عباس انه قال من
قوته قلعه مداين قوم لوط بقوادم جناحه
فرفعها الى السماء ثم قلبها وابصر ابليس يكلم عيسى
عليه السلام على بعض عقاب الارض المقدسة
فنفخه بجناحه نفخة القاه اي اقصى جبل
بالهند وصاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين
ويهبط من السماء الى الارض ويصعد في اسرع
من الطرف عند ذي العرش اي الملك الاعلى
المحيط عرشه بجميع الاكوان الذي له عند في الحقيقة
الاله وهو الله سبحانه وتعالى مكين اي ذي مكانه متعلق به عند اي ذي صح
منزلة ومكانة ليس عنديته جهة بل عندية اكرام
وتقريب كقوله تعالى انا عند المنكسرة قلوبهم

وقيل

وقيل قوي في اداء طاعة الله تعالى وترك الاخلال
بها مطاع ثم اي في السموات قال الحسن فرض الله
تعالى على اهل السموات طاعة جبريل عليه السلام كما
فرض على اهل الارض طاعة محمد صلى الله عليه
وسلم قال ابن عباس من طاعة جبريل عليه السلام
الملائكة انه لما اسري بالنبي صلى الله عليه وسلم
قال جبريل لرضوان خازن الجنان افتح له ففتح فدخلها
فراي ما فيها امين اي بليغ الامانة على الوحي الذي
يوحى به وقيل الرسول هو محمد صلى الله عليه وسلم
فالمعنى حينئذ ذي قوة على تبليغ الوحي مطاع اي
يطيعه من اطاعه الله تعالى وما صاحبكم اي الذي
طالت صحبته لكم وانتم تعلمون انه في غاية الكمال
حتى انه ليس له وصف عندكم الا الامين وهو محمد
صلى الله عليه وسلم وهذا عطف جمل انه الى اخر
المقسم عليه واغرق في النفي فقال تعالى بمجنون
اي كما زعمتم في قوله بل جا بالحق وصدق
المرسلين فالقران الذي يتلوه عليكم قول مجنون
ولا قول متوسط في العقل بل قول اعقل العقلا
واكمل الكمل تنبيه استدل بذلك بعضهم على
فضل جبريل عليه السلام على محمد صلى الله عليه
وسلم حيث عد فضائل جبريل عليه السلام واقتصر

على نفي الجنون عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو كما
قال البيضاوي ضعنوا اذ المقصود منه نفي قولهم
انما يعلمه بشر وقولهم افترى على الله كذبا وقولهم
ام به جنة لا تعداد فضله والموازنة بينهما **ولقد**
رآه اي راى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه
السلام على صورته التي خلق عليها وله ستمائة جناح
بالافق المبين اي البين وهو الافق الاعلى الذي على
سدرة المنتهى حيث لا يكون لبس اصلا ولا يكون
للشيطان على ذلك المكان سبيل فعرفه حق المعرفة
وقال مجاهد وقتادة بالافق الاعلى من ناحية
المشرق وعن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال لجبريل عليه السلام اني احب ان اراك
على صورتك التي تكون فيها في السماء قال لن تقوى
على ذلك قال بلى قال فاين تشاء ان اتخيل لك قال
بالابطح قال لا يسعني قال فبمنى قال لا يسعني قال
فبعرفات قال ذلك بالحري ان تسعني فواعده
فخرج النبي صلى الله عليه وسلم للوقت فاذا
هو بجبريل قد اقبل من جبال عرفات بخشخشة
وكلكلة قد ملا ما بين المشرق والمغرب وراسه
في السماء ورجلاه في الارض فلما راه النبي صلى
الله عليه وسلم خر مغشيا عليه قال فتحول جبريل
في

في صورته فضمه الى صدره وقال يا محمد لا تخف فكيف
لو رايت اسرافيل وراسه تحت العرش ورجلاه في التخوم
السابعة وان العرش لعلى كاهله وانه ليتضاءل احيانا
من مخافة الله تعالى حتى يصير مثل الوصع يعني
العصفور حتى ما يحمل عرش ربك الا عظمته وقيل
ان محمدا صلى الله عليه وسلم راى ربه عز وجل
بالافق المبين وهو قول ابن مسعود وقد مر ذلك
في سورة النجم **وما** اي وسمعه وراه والحال انه ما **هو**
اي محمد صلى الله عليه وسلم **على الغيب** اي ما غاب
من الوحي وخبر السماء ورؤية جبريل وغير
ذلك مما اخبر به وقرا **بظنين** ابن كثير وابو عمرو
والكسائي بالظاء المشالة من الظنة وهي التهمة
اي فليس بمتهم والباقون بالضاد موافقة للمرسوم
من الضن وهو البخل اي فليس ببخيل بالوحي
فيزوي بعضه او يسال تعليمه فلا يعلمه كما
يكتم الكاهن ما عنده حتى ياخذ عليه حلوانا
وهو في مصحف عبد الله بالظاء وفي مصحف ابي
بالضاد وكان صلى الله عليه وسلم يقرا بهما
قال الزمخشري واتقان الفصل بين الضاد والظاء
واجب ومعرفة مخرجيهما مما لا بد منه للقاري
فان اكثر اهل العجم لا يفرقون بين الحرفين وان فرقوا

Copyright © King Saud University

فرقا غير صواب وبينهما بون بعيد فان مخرج الضاد
من اصل حافة اللسان وما يليها من الاضراس
من يمين اللسان او يساره وكان عمر ابن الخطاب
اضبط يعمل بكلتا يديه وكان يخرج الضاد من جانبي
لسانه وهي احد الاحرف الشجرية اخت الجيم
والشين واما الظا فمخرجها من طرف اللسان واصول
الثنايا العليا وهي احدى الاحرف الذولقية اخت
الذال والثا ولو استوى الحرفان لما ثبتت في
هذه الكلمة قراتان اثنتان واختلاف بين
جبلين من جبال العلم والقراة ولما اختلف
المعنى والاشتقاق والتركيب فان قلت
فان وضع المصلي احد الحرفين مكان صاحبه
قلت هو كواضع الذال مكان الجيم والثاء
مكان الشين لان التفاوت بين الضاد والظاء
كالتفاوت بين اخواتهما انتهى كلامه بحروفه
وما هو اي القران الذي من جملة معجزاته الاخبار
بالمغيبات واعرق في النفي بالتاكيد بالبا فقال
تعالى بقول شيطان اي مسترق السمع فيوحيه
اليه كما يوحيه الى بعض الكهنة رجيم اي مرجوم
مطرود بعيد من الرحمة وذلك ان قريشا كانوا
يقولون ان هذا القران يجي به شيطان فيلقيه

على لسانه يريد بالشيطان الابيض الذي كان ياتي النبي
صلى الله عليه وسلم في صورة جبريل يريد
ان يفتنه فنفى الله تعالى ذلك وقوله تعالى فاين
منصوب بقوله تعالى تذهبون لانه ظرف مبهم وقال
ابو البقاء اي الى اين فحذف الجار اي فاي طريق تسلكون
في انكاركم القران واعراضكم عنه وفي هذا استضلال
لهم فيما يسلكون من امر النبي صلى الله عليه وسلم
والقران كقولك لتارك الجادة اين تذهب ان اي
ما هو اي القران الذي اتاكم به الا ذكر اي
عظة وشرف للعالمين من انس وجن وملك
وقوله تعالى لمن شاء منكم بدل من العالمين
باعادة الجار ان يستقيم باتباع الحق قال ابو جهل
الامر الينا ان شئنا استقمنا وان شئنا لم نستقم
وهذا هو القدر وهو راس القدرية فنزل وما
تشاؤن الاستقامة على الحق الا ان يشاء الله اي
الا وقت ان يشاء الملك الاعظم الذي بيده كل شي
مشيتكم الاستقامة عليه رب العالمين اي
مالك الخلق وفي هذا اعلام ان احدا لا يعمل خيرا
الا بتوفيق الله تعالى ولا شرا الا بخذلانه ونقل
البغوي في اول السورة باسناده الى ابن عمر
رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم قال

من احب ان ينظر في يوما فليقرا اذا الشمس كورت
واما قول البيضاوي تبعا للزمخشري من انه
صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة التكوير
اعاذه الله ان يفضحه حين تنشر صحيفته فحديث
موضوع

سورة الانفطار مكية

وهي تسع عشرة اية وثمانون كلمة وثلثمائة وسبعة
وعشرون حرفا بسم الله الذي خلق كل شيء
فقدره تقديرا الرحمن الذي دبر الكائنات تدبيرا
الرحيم الذي ارسل رسوله للخلق نذيرا اذا
السماء اي على شدة احكامها واتقانها وارتفا
عها انفطرت اي انشقت لنزول الملائكة كقوله
تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام واذا الكواكب
اي النجوم الصغار والكبار كلها الغرا الزاهرة
المتوقدة توقد النار المرصعة ترصيع المسا
مر انتثرت اي تساقطت متفرقة لان عند
انتقاض تركيب السما تنتثر النجوم على الارض
واذا البحار المتفرقة في الارض وهي ضابطة لها
انم ضبط لنفع العباد على كثرتها فجرت اي فتح
بعضها في بعض فاختلط العذب بالملح وزال
البرزخ الذي بينها فصارت البحار بحرا واحدا
وروي ان الارض تنشف الماء بعد امتلاء البحار

فتصير

فتصير ممتوية وهو معنى التسجير عند الحسن في قوله
تعالى واذا البحار سجرت وقال هنا فجرت نفت واذا
القبور اي مع ذلك كله بعثرت اي قلبت يقال بعثره
وبحثره بالعين والحاء قال الزمخشري وهما مركبان
من البحث والبعث مع راء مضمومة اليهما اي
فهما بمعنى والمعنى قلب اعلاها اسفلها وقلب
باطنها ظاهرها وخروج ما فيها من الموتى احيا
وقيل البعثرة اخراج ما في بطنها من الذهب
والفضة ثم يخرج الموتى بعد ذلك وجواب
اذا اول السورة وما عطف عليه علمت نفس اي
كل وقت هذه المذكورات وهو يوم القيامة ما
قدمت من عمل واخرت اي جميع ما عملت من
خير او شر او غيرهما فان قيل اي وقت من
القيامة يحصل هذا العلم قال الرازي اما
العلم الاجمالي فيحصل في اول زمان الحشر لان
المطيع يرى اثار السعادة والعاصي يرى اثار
الشقاوة في اول الامر واما العلم التفصيلي
فانما يحصل عند قراءة الكتب والمحاسبة
وقوله تعالى يا ايها الانسان اي البشر الانس
تنبيه الناسي لما نسيه خطاب لمنكري البعث
وروي عطاء عن ابن عباس انها نزلت في الوليد

Copyright © King Saud University

بن المغيرة وقال الكلبي ومقاتل نزلت في ابي الشريق
ضرب النبي صلى الله عليه وسلم فلم يعاقبه الله
تعالى في اول امره وقيل يتناول جميع العصاة لان
الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب **ما غرك**
بربك اي ما خدعك وسول لك الباطل حتى تركت
ما وجب عليك لمحسن اليك واتيت بالمحرمات
الكريم اي الذي له الكمال كله المقتضي لان
لا يهمل الظالم ولا يسوي بين المحسن والمسيء
هذا اذا حملنا الانسان على جميع العصاة فان حملناه
على الكافر وهو ظاهر فالمعنى الاية ما الذي
دعاك الى الكفر وانكار الحشر والنشر فان قيل
كونه كريما يقتضي ان يغتر الانسان بكرمه لانه
جواد مطلق والجواد الكريم يستوي عنده طاعة
المطيع وعصيان المذنب وهذا يوجب الاغترار
كما يروى عن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه
انه صيح لغلام له مرات فلم يلبه فنظر فاذا
هو بالباب فقال له لم لا تجيبني فقال لثقتي
بحلمك وامني عقوبتك فاستحسن جوابه
واعتقه وقالوا ايضا من كرم ساء ادب غلمانه
واذا ثبت ان كرمه يقتضي الاغترار به فكيف
جعله هاهنا مانعا من الاغترار اجيب

بان

بان حق الانسان ان لا يغتر بتكرم الله تعالى عليه بعاجل
حيث خلقه حيا وتفضل عليه فهو من كرمه لا
بالعقوبة بسطا في مدة التوبة وتاخيرا للجزاء
الى ان يجمع الناس للجزا فالحاصل ان تاخير العقوبة
لاجل الكرم وذلك لا يقتضي الاغترار بهذا التفضيل
فانه منكر خارج عن حد الحكمة ولهذا التفضيل
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تلاها
غره جهله وقال عمر غره حمقه وجهله وقال
الحسن غره والله شيطانه الخبيث اي زين
له المعاصي وقال له افعل ما شئت فربك الكريم
الذي تفضل عليك بما تفضل به اولا وهو
متفضل عليك اخراحتي ورطه وقيل للفضيل
بن عياض ان اقامك الله يوم القيامة وقال
ما غرك بربك الكريم ماذا تقول له قال اقول
غرني ستورك المرخاة وهذا على سبيل الاعتراف
بالخطأ في الاغترار بالستر وليس باعتذار كما يظنه
الطماع ويظن به قصاص الحشوية ويروون
عن ائمتهم انما قال بربك الكريم دون سائر
صفاته ليلقن عبده الجواب حتى يقول غرني
كرم الكريم وقال مقاتل غره عفو الله حين لم يعاجله
بالعقوبة اول مرة وقال ابن مسعود ما منكم من احد

الا ستحلوا الله تعالى به يوم القيامة فيقول ما غرك
لك يا ابن ادم ما اذا اجبت المرسلين الذي
خلقك اي اوجدك من العدم مهيا بتقدير الاعضا
فسواك عقب تلك الاطوار بتصوير الاعضا والمنا
فع بالفعل فعدلك اي جعل كل شي من ذلك سليما
مودعا فيه قوة المنافع التي خلقه الله تعالى لها
تنبيه قوله تعالى الذي يحتمل الاتباع
على البدل والبيان والنعت والقطع الى الرفع والنصب
واعلم انه سبحانه وتعالى لما وصف نفسه بالكرم
ذكر الكريم هذه الامور الثلاثة كالدلالة على تحقيق
ذلك الكرم فقال سبحانه الذي خلقك اي بعد
ان لم تكن لا شك انه كرم لانه وجود والوجود
خير من العدم والحياة خير من الموت كما قال تعالى
كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم
وقوله تعالى فسواك اي جعلك مستوي الخلقة
سالم الاعضا غاية في الكرم كما قال تعالى اكفرت
بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك
رجلا اي معتدل الخلق والاعضا وقال ذو النون
المصري اي سخر لك المكونات اجمع وما جعلك
مسخرا لشي منها ثم انطلق لسانك بالذكر
وقلبك بالعقل وروحك بالمعرفة ومدرك

بالايمان

بالايمان وشرفك بالامر والنهي وفضلك على
كثير ممن خلق تفضيلا وقرا عاصم وحمزة
والكسائي بتخفيف الدال والباقون بالتشديد بمعنى
جعلك متناسب الاطراف فلم يجعل احدى
يديك او رجليك اطول ولا احدى عينيك اوسع
فهو من التعديل وهو كقوله تعالى بلى قادرين
على ان نسوي بنانه وقال عطا عن ابن عباس
جعلك قائما معتدلا حسن الصورة لا كالبهيمة
المنحنية وقال ابو علي الفارسي عدلك خلقك
في احسن تقويم مستويا على جميع الحيوان والنبات
ووصلك في الكمال الى ما لم يصل اليه شي من
اجسام هذا العالم واما قراة التخفيف فيحتمل
هذا اي عدل بعض اعضايك ببعض ويحتمل
ان يكون من العدول اي صرفك الى ما شا من
الهيئات والاشكال ونقل القفال عن بعضهم انهما
لغتان بمعنى واحد في اي صورة اي من الصور
التي تعرفها والتي لا تعرفها من الدواب والطيور
وغير ذلك من الحيوان وغيره وما في قوله
تعالى ما مزيدة شاء متعلق بركبك في قوله
تعالى ركبك اي ركبك في اي صورة اقتضتها
مشيته وحكمته من الصور المختلفة في الحسن

Copyright © King Saud University

والقبح والطول والقصر والذكورة والانوثة والشبه ببعض الاقارب وخلاف الشبه فان قيل هلا عطفت هذه الجملة كما عطف ما قبلها اجيب بانها بيان لعدلك ويجوز ان تتعلق بمحذوف اي ركبك حاصلا في بعض الصور ومحله النصب على الحال ان علق بمحذوف ويكون ان يتعلق بعدلك ويكون في اي معنى التعجب اي فعدلك في صورة عجيبة ثم قال ما شاء ركبك من التراكيب يعني تركيبا حسنا وقوله تعالى كلا ردع عن الاغترار بكرم الله تعالى والتلوث به وهو موجب الشكر والطاعة الى عكسهما الذي هو الكفر والمعصية وقوله تعالى بل تكذبون اي يا كفار مكة بالدين اضراب الى ما هو السبب الاصلي في اغترارهم والمراد بالدين الجزاء على الاعمال والاسلام وان اي والحال ان عليكم اي ممن اقمناهم من جندنا لحافظين اي على اعمالكم بحيث لا يخفى عليكم منها جليل ولا حقير كراما اي على الله تعالى كاتبين اي لهذه الاعمال في الصحف كما كتبت الشهود منكم العهود ليقع الجزاء على غاية التحرير تنبيه هذا الخطاب وان كان خطاب مشافهة الا ان

الامة

حافظين
بكتبة

الامة اجمعت على عموم هذا الخطاب في حق المكلفين وقوله تعالى حافظين جمع يحتمل ان يكونوا حافظين لجميع بني آدم من غير ان يختص واحد من الملائكة بواحد واحد منهم غير الموكل بالآخر ويحتمل ان يكون الموكل بكل واحد منهم جمعا من الملائكة كما قيل اثنان بالليل واثنان بالنهار او كما قيل انهم خمسة واختلفوا في بعض الكفار هل عليهم حفظة فقيل لا لان امرهم ظاهر وعملهم واحد قال يعرف المجرمون بسيماهم وقيل عليهم حفظة وهو ظاهر قوله تعالى تكذبون بالدين وان عليكم لحافظين وقوله تعالى واما من اوتي كتابه بشماله وقوله تعالى واما من اوتي كتابه وراء ظهره فاخبر ان لهم كتابا وان عليهم حفظة فان قيل فاي شيء يكتب الذي عن يمينه ولا حسنة له اجيب بان الذي عن شماله يكتب باذن صاحبه ويكون صاحبه شاهدا على ذلك الشاهد لانه لا بد له من العلم لوصف الملائكة بكونهم حافظين كراما كاتبين يعلمون اي على التجدد والاستمرار ما تفعلون فدل على انهم يكونون عالمين بها حتى انهم يكتبونها فاذا كتبوها يكونوا

Copyright © King Saud University

عاملين عند اداء الشهادة وفي تعظيم الكتبة
لامر الجزا فانه عند الله من جلايل الامور ولولا
ذلك لما وكل بضبط ما يحاسب عليه وفيه انذار
وتهويل للعصاة لطف للمومنين وعن الفضيل
انه كان اذا قراها قال ما اشدها من اية على
الغافلين ولما وصف تعالى الكرام الكاتبين لاعمال
العباد ذكر احوال العاملين وقسمهم قسمين
وبدا بقسم اهل السعادة فقال تعالى ان الابرار
اي المومنين الصادقين في ايمانهم باداء فرايض
الله تعالى واجتناب معاصيه لفي نعيم اي
محيط نعيم ابد الابدين وهو نعيم الجنة الذي
لا نهاية له ثم ذكر قسم اهل الشقاوة بقوله
تعالى وان الفجار الذين من شانهم الخروج
عما ينبغي الاستقرار فيه من رضي الله تعالى
الى سخطه وهم الكفار لفي جحيم اي نار
محرقة تتوقد غاية التوقد فيهم فيها ابد الابدين
يصلونها اي يدخلونها ويقاسون حرها يوم
الدين اي يوم الجزا وهو يوم القيامة وما
هم عنها اي الجحيم بغايبين اي بخارجين
ويجوز ان يراد يصلون النار يوم الدين وما
يغيبون عنها قبل ذلك في قبورهم وقيل

اخبر

اخبر الله تعالى في هذه السورة ان لابن ادم ثلاث
حالات حالة الحياة التي يحفظ فيها عمله وحالة
الاخرة التي يجازى فيها وحالة البرزخ وهو
قوله تعالى وما هم عنها بغايبين وروي ان
سليمان بن عبد الملك قال لابي حازم المدني
ليت شعري ما لنا عند الله قال اعرض عملك على
كتاب الله تعالى فانك تعلم ما لك عند الله
تعالى قال فاين اجد ذلك في كتاب الله قال عند
قوله تعالى ان الابرار لفي نعيم الاية قال سليمان
فاين رحمة الله قال قريب من المحسنين ثم عظم سبحانه
وتعالى ذلك اليوم فقال وما ادراك اي واي شي
اعلمك وان اجتهدت في تطلب الدراية به
ما يوم الدين اي اي شي هو في طوله وهوله
وفظاعته وزلزاله ثم كرره تعظيما لشانه
فقال تعالى ثم ما ادراك اي كذلك ما يوم الدين
اي ان يوم الدين الذي بحيث لا تدركه دراية
دار كنهه في الهول والشدة وكيف ما تصورته
فهو فوق ذلك وعلى اضعافه والتكرير لزيادة
التهويل ثم اجمل تعالى القول في وصفه فقال
سبحانه يوم لا تملك اي توجد من الوجوه
في وقت ما نفس اي اي نفس كانت لنفس

Copyright © King Saud University

شيئا اي قليلا او جليلا وقرا ابن كثير وابو عمرو برفع
يوم على انه خبر مبتدا مضمر اي هو يوم وجوز
الزمخشري ان يكون بدلا مما قبله يعني يوم الدين
والباقون اي اذ كان البعث للجزاء لله اي ملك
الملوك لا امر لغيره فيه فلا يملك الله تعالى في
ذلك اليوم احدا شيئا كما ملكهم في الدنيا وقول
البيضاوي تبعا للزمخشري ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال من قرا سورة انفطرت
كتب الله له بعدد كل قطرة من السماء وبعدد
كل قبر حسنة حديث موضوع

سورة المطففين مدنية

في قول الحسن وعكرمة ومقاتل قال مقاتل
وهي اول سورة نزلت بالمدينة وقال ابن عباس
مدنية الا ثمان ايات وهي قوله تعالى ان
الذين اجرموا الى اخرها فهو مكي وقال الكلبي
وجابر بن زيد نزلت بين مكة والمدينة
ونقل هذا هو سبب الاختلاف وقال ابن مسعود
والضحاك مكية وهي ست وثلاثون اية ومائة
وتسع وستون كلمة وسبعمائة وثمانون حرفا
بسم الله الذي من توكل عليه كفاه الرحمن الذي
عم جوده الابرار والفجار الرحيم الذي

خص

الذي خص اهل طاعته بهداه ويل مبتدا وسوغ
الابتداء به كونه دعاء وهو اما كلمة عذاب او
هلاك او انه عظيم في كل حال من احوال الدنيا
والاخرة او واد في جهنم وقوله تعالى للمطففين
خبره والتطفيف البخس في الكيل والوزن
لان ما يبخس شيء طفيف حقير قال الزجاج وانما
قيل للذي ينقص المكيال والميزان الا الشيء
الطفيف اليسير وروى ابن عباس ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة وكانوا
من اخبث الناس كيلا فنزلت فاحسنوا الكيل
فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقراها
عليهم وقال خمس بخمس قيل يا رسول الله
ما خمس قال ما نقض قوم العهد الا سلط الله تعالى
عليهم عدوهم ولا حكموا بغير ما انزل الله
الا فشى فيهم الفقر ولا ظهر فيهم الفاحشة الا فشى
فيهم الموت ولا طففوا المكيال الا منعوا النبات
ولا منعوا الزكاة الا حبس عنهم المطر وقال
السدي قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
المدينة وبها رجل يعرف بابي جهينة ومعه
صاعان يكيل باحدهما ويكتال بالاخر فنزلت
وقيل كان اهل المدينة تجارا يطففون وكانت

Copyright King Saud University

بياعاتهم المنابذة والملامسة والمخاطرة فنزلت
وعن علي انه مر برجل يزن الزعفران وقد
ارجح فقال له اقم الوزن بالقسط ثم ارجح بعد
ذلك ما شئت كانه امر بالتسوية اولا ليعتادها
ويفصل الواجب من النفل وعن ابن عباس انكم
معشر الاعاجم وليتم امرين بهما هلك من
كان قبلكم المكيال والميزان وخص الاعاجم
لانهم يجمعون الكيل والوزن جميعا وكانا مفرقين
في الحرمين كان اهل مكة يزنون واهل المدينة
يكيلون وعن ابن عمر انه كان يمر بالبائع
فيقول اتق الله واوف الكيل فان المطففين
يوقفون يوم القيامة لعظمة الرحمن حتى
ان العرق ليلجمهم الى انصاف اذانهم وعن
عكرمة اشهد ان كل كيال ووزان في النار
فقيل له ان ابنك كيال او وزان فقال اشهد
انه في النار وعن ابي لا تلتمس الحوائج ممن رزقه
في رؤوس المكاييل والسن الموازين ثم بين
تعالى المطففين منهم بقوله تعالى الذين اذا
اكتالوا اي عاملوا الكيل على الناس اي
كائنين من كانوا لا يخافون ربا ولا يراعون
احدا بل صارت الخيانة والوقاحة لهم ديدنا

يستوفون

يستوفون اي اذا كالوا منهم وابدل على مكان من
للدلالة على ان اكتيالهم من الناس اكتيال
يضرهم ويتحامل فيه عليهم ويجوز ان يتعلق
على بيستوفون ويقدم المفعول على الفعل لافادة
الخصوصية اي يستوفون على الناس خاصة
واما انفسهم فيستوفون لها وقال الفراء من
وعلى يتعاقبان في هذا الموضع لانه حق عليه فاذا
قال اكتلت عليك فكانه قال اخذت ما عليك
واذا قال اكتلت منك فكقوله استوفيت منك
واذا كالوهم اي كالوا للناس اي حقهم اي
ما لهم من الحق او وزنوهم اي وزنوا لهم
فحذف الجار واوصل الفعل كما قال القائل

ولقد جنيتك اكموا وعساقلا
ولقد نهيتك عن بنات الاوبر

وقال اخر

والحريص يصيدك لا الجواد

بمعنى جنيت لك ويصيد لك ويقال وزنتك
وكلتك طعامك اي وزنت لك وكلت لك ونصحتك
ونصحت لك وكسبتك وكسبت لك والاكمؤ كماة
والعساقل ضرب منها واصله عساقيل لان
واحدها عسقول كعصفور فحذف الياء للضرورة

Copyright © King Saud University

وبنات اوبرضرب من الكماة ردي يخسرون جواب
اذا وهو يتعدى بالهمزة يقال خسر الرجل واخسره
انا المفعول له محذوف اي يخسرون الناس متاعهم
وقيل يخسرون اي ينقصون بلغة فارس اي
ينقصون الكيل او الوزن وقوله تعالى الا يظن
اولئك اى الاخسا البعد الاراذل انهم
مبعوثون ليوم اي لاجله وفيه وزاد التهويل
بقوله تعالى عظيم انكار وتعجيب من حالهم
في الاجترا على التطفيف كانهم لا يخطرون ببالهم
ولا يخمنون تخمينا انهم مبعوثون ومحاسبون
على مقدار الذرة والخردلة وقيل الظن بمعنى
اليقين وقوله تعالى يوم يجوز نصبه بمبعوثون
او باضمار اعني او بدل من محل ليبعثون يقوم
الناس اى من قبورهم لرب العالمين اى
الخلائق لاجل امره وجزائه وحسابه وعن
ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم
يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب احدهم
في رشحه الى انصاف اذنيه وعن المقداد
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول اذا كان يوم القيامة ادنيت الشمس من
العباد حتى تكون قيد ميل او اثنين قال سليم

لا ادري اى الميلين يعني مسافة الارض او الميل
الذي يكتحل به العين قال فتصهرهم الشمس
فيكونون في العرق بقدر اعمالهم فمنهم من ياخذه
الى عقبيه ومنهم من ياخذه الى ركبتيه ومنهم
من ياخذه الى حقويه ومنهم من يلجمه الجاما
فرايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو يشير بيده الى فيه يقول الجمه الجاما وعن
قتادة اى يا ابن ادم كما تحب ان يوفى لك واعدل
كما تحب ان يعدل لك وعن الفضيل بخس الميزان
سواد الوجوه يوم القيامة وعن عبد الملك
بن مروان ان اعرابيا قال له سمعت ما قال
الله في المطففين اراد بذلك ان المطفف قد
توجه عليه الوعيد العظيم الذي سمعت به
ما ظنك بنفسك وانت تاخذ اموال المسلمين
بلا كيل ولا وزن وفي هذا الانكار والتعجب
وكلمة الظن ووصف اليوم بالعظم وقيام
الناس فيه لله تعالى خاضعين ووصفه
ذاته برب العالمين بيان بليغ لعظم الذنب
وتفاقم الاثم في التطفيف وفيما كان في مثل
حاله من الحيف وترك القيام بالقسط والعمل
على السوية والعدل في كل اخذ واعطاء بل في

Copyright © King Saud University

كل قول وعمل وعن ابن عمر انه قرأ هذه السورة
فلما بلغ قوله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين
بكى نحيبا وامتنع من قراءة ما بعده وعن بعض
المفسرين ان لفظ التطفيف يتناول التطفيف
في الوزن والكيل وفي اظهار العيب واخفائه
وفي طلب الانصاف والانتصاف ويقال من لم
يرض لاخيه المسلم ما يرضاه لنفسه فليس
بمنصف والمعاشرة والصحبة في هذه المادة
والذي يرى عيب الناس ولا يرى عيب نفسه
من هذه الجملة ومن طلب حق نفسه من
الناس ولا يعطيهم حقوقهم كما يطلبه وقوله
تعالى **كلا** ردع اي ليس الامر على ما هم عليه
فليرتدعوا وههنا تم الكلام وقال الحسن
كلا ابتداء متصل بما بعده على معنى حقا وجرى
الجلال المحلي واكثر المفسرين على الاول **ان**
كتاب الفجار اي كتب اعمال الكفار واظهر موضع
الاضمار تعميما وتعليقا للحكم بالوصف واختلف
في معنى قوله تعالى **لفي سجين** فقيل هو كتاب
جامع هو ديوان الشر دونه الله تعالى فيه
اعمال الشياطين واعمال الكفرة والفسقة من
الجن والانس وقيل هو مكان تحت الارض

السابعة

السابعة وهو محل ابليس وجنوده وقال عبد
الله بن عمر سجين في الارض السابعة السفلى
فيها ارواح الكفار وعن البرا قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم سجين اسفل سبع ارضين
وعليون في السماء السابعة تحت العرش وقال
الكلبي هو صخرة تحت الارض السابعة خضراء
اخضرت السموات منها يجعل كتاب الفجار فيها
قال وهب هي اخر سلطان ابليس وعن كعب الا حبار
ان روح الفاجر يعني الكافر يصعد بها الى السماء
فتابى السماء ان تقبلها ثم يهبط بها الى الارض
فتابى الارض ان تقبلها فتدخل تحت سبع ار
ضين حتى ينتهي بها الى سجين وهو موضع
جند ابليس وذلك استهانة بهم وليشهد ها
الشياطين المدحورين كما يشهد ديوان الخير
الملائكة المقربون وقال عكرمة لفي سجين
اي في خسار وضلال **وما ادراك** اي جعلك
داريا وان اجتهدت في ذلك **ما سجين** وقال
الزجاج اي ليس ذلك مما كنت تعلمه انت ولا
قومك وقوله تعالى **كتاب مرقوم** ليس تفسير
السجين بل هو بيان للكتاب المذكور في قوله
تعالى ان كتاب الفجار اي هو كتاب مرقوم اي

Copyright King Saud University

مسطور بين الكتابة مكتوب فيه اعمالهم مثبت
عليهم كالرقم في الثوب لاينسى ولايمحى حتى
يجازون به او معلم يعلم من رآه انه لاخير فيه
وقيل الرقم الختم بلغة حمير واقتصر عليه الجلال
المحلي وقال قتادة رقم عليه بشر كانه اعلم بعلا
مة يعرف بها انه كافر والمعنى ان ماكتب من اعمال
الكفار مثبت في ذلك الديوان وسمي سجينا فعيلا
من السجن وهو الحبس والتضييق في جهنم
اولانه مطروح تحت الارض كما مر فانه قيل
سجين نقل هو اسم او صفة اجيب
بانه اسم علم منقول من وصف كحاتم وهو
منصرف لانه ليس فيه الا سبب واحد وهو
التعريف ويل اي اعظم الهلاك يومئذ اي اذ
تقوم الناس لما تقدم للمكذبين اي بذلك
او بالحق وقوله تعالى الذين يكذبون بيوم
اي بسبب الاخبار بيوم الدين اي الجزا الذي
هو سر الوجود بدل او بيان للمكذبين ثم
اخبر عن صفة من يكذب بيوم الدين بثلاث
صفات ذكر اولها بقوله تعالى وما اي والحال
انه ما يكذب به اي بذلك اليوم الا كل معتد
اي متجاوز عن النظر غال في التقليد حتى

استقصر

استقصر قدرة الله تعالى وعلمه فاستحال منه
الاعادة ثم ذكر الصفة الثانية بقوله تعالى اثيم
اي منهمك في الشهوات المخرجة بحيث اشتغل عما
وراها وحملته الانكار لما عداها ثم ذكر الصفة
الثالثة بقوله تعالى اذا تتلى عليه اياتنا اي القرآن
قال اساطير الاولين اي الحكايات سطرت قديما
جمع اسطور بالضم وذلك لفرط جهله واعراضه
عن الحق فلا تنفعه شواهد النقل كما لا تنفعه
دلائل العقل وهذا عام في كل موصوف بذلك
وقال الكلبي هو الوليد بن المغيرة وقيل هو النضر
بن الحارث وقوله تعالى كلا ردع وزجر اي
ليس هو اساطير الاولين وقال الحسن معناها
حقا كما مر بل ران اي غلب واحاط وغطا تغطية
الغيم السماء على قلوبهم اي كل من قال هذا القول
ما كانوا يكسبون كما يركب الصدا من اصرارهم
على الكبائر وتسويف التوبة حتى طبع على قلوبهم
فلا تقبل الخير فلا تقبل الخير ولا تميل اليه
روى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ان المومن اذا اذنب كانت نكتة
سود في قلبه فان تاب ونزع واستغفر صقل
قلبه منها واذا زاد زادت حتى تعلو قلبه

Copyright © King Saud University

فذلكم النار ذكره الله تعالى في كتابه المبين وقال
ابو معاذ الرين ان يسود القلب من الذنوب والطبع
ان يطبع على القلب وهو اشد من الرين والاقفال
اشد من الطبع وهو ان يقفل على القلب قال
تعالى ام على قلوب اقفالها وقال الحسن هو الذنب
على الذنب حتى تحيط الذنوب بالقلب وتغشى
فيموت القلب قال صلى الله عليه وسلم اياكم
والمحقرات من الذنوب فان الذنب على الذنب
يوقد على صاحبه جحيما ضخمة وعن الحسن الذنب
بعد الذنب سود القلب يقال ران عليه الذنب
وغان غلبه رينا وغينا والغين الغيم ويقال
ران فيه النوم رسخ فيه ورانت به الخمرة
ذهبت به وقرأ حمزة وشعبة والكسائي
بالامالة محضة والباقون بالفتح وسكت حفص
على اللام وقفة لطيفة من غير قطع والباقون
بغير سكت وقوله تعالى كلا ردع عن الكسب
الراين على قلوبهم وقيل بمعنى حقا كالامر انهم
عن ربهم اي المحسن اليهم يومئذ لمحجوبون
اي فلا يرونه بخلاف المؤمنين فانهم يرونه
كما ثبت ذلك في الاحاديث الصحيحة وقال
الحسن لو علم الزاهدون والعابدون انهم

لا يرون

١٣٨

لا يرون ربهم في المعاد لزهقت انفسهم في الدنيا
وسئل مالك عن هذه الاية فقال لما حجب اعداءه
فلم يروه تجلى لاوليائه حتى راوه وفي قوله تعالى
كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون دلالة على ان
اولياء الله تعالى يرون الله تعالى ومن نفى الرؤية
كالزمخشري جعله تمثيلا للاستخفاف بهم واهانتهم
لئلا يؤذن على الملوك الا للوجهاء والمكرمين لديهم
ولا يحجب عنهم الا الاذناب المهانون عندهم وعن
ابن عباس وقتادة محجوبون عن رحمته وعن ابن
كيسان عن كرامته ثم انهم اي بعد ما شاء الله
تعالى من امهالهم لصالوا الجحيم اي لداخلوا
النار المحرقة ثم يقال اي تقوله لهم الخزنة
هذا اي العذاب الذي كنتم به تكذبون اي
في دار الدنيا وقوله تعالى كلا ردع عن التكذيب
وقيل معناه حقا كالامر وقال البيضاوي و
تكرير للاول ليعقب بوعد الابرار كما عقب
بوعيد الفجار اشعارا بان التطفيف فجور والايفاء
بر وردع عن التكذيب ان كتاب الابرار اي
كتب اعمال المؤمنين الصادقين في ايمانهم
لفي عليين وعليون علم لديوان الخير الذي
دون فيه كما عمله صلحاء الثقلين منقول من

Copyright © King Saud University

جمع فعيل من العلو كسجين من السجن سمي بذلك
اما لانه سبب الارتفاع الى اعالي الدرجات في الجنة
واما لانه مرفوع في السماء السابعة حيث تسكن
الكروبيون تكرمة له وتعظيما وروي ان الملائكة
لتصعد بعمل العبد فيستقلبونه فاذا انتهوا به
الى ما شاء الله من سلطانه اوحى اليهم انتم الحفظة
على عبدي وانا الرقيب على ما في قلبه وانه
اخلص عمله فاجعلوه في عليين وقد غفرت
له وانها لتصعد بعمل العبد فيزكونه فاذا
انتهى به الى ما شاء الله اوحى اليهم انتم الحفظة
على عبدي وانا الرقيب على قلبه وانه لم يخلص
لي عمله فاجعلوه في سجين وعن البراء مرفوعا
عليين في السماء السابعة تحت العرش وقال ابن
عباس هو لوح من زبرجدة خضرا معلق تحت
العرش اعمالهم مكتوبة فيها وقال كعب وقتادة
هو قائمة العرش اليمنى وقال عطاء عن ابن
عباس هو الجنة وقال الضحاك سدرة المنتهى
وقال بعض اهل المعاني علو بعد علو وشرف
بعد شرف ولذلك جمعت بالكاف والنون قال
الفرا هو اسم موضوع على صيغة الجمع لا واحد له
من لفظه مثل عشرين وثلاثين وما ادراك اي

جعلك

جعلك داريا وان بالغت في الفحص ما عليون اي
ما كتاب عليين هو كتاب اي عظيم مرقوم اي فيه
ان فلانا امن من النار رقما بالـه من رقمه تماما
بهاه واجمله يشهده المقربون يحضرونه فيشهد
على ما فيه يوم القيامة او يحفظونه ولما عظم كتا
بهم عظم منزلتهم بقوله تعالى ان الابرار لفي نعيم
اي في الجنة ثم بين ذلك النعيم بامور ثلاثة
اولها قوله تعالى على الارائك اي الاسرة في
الحجال ولا تسمى اريكة الا اذا كان كذلك والحجال
بكسر الحاء جمع حجلة وهي بيت يزين بالثياب والستور
والاسرة قاله الجوهري ينظرون اي الى ما شا
وامدا عينهم اليه من مناظر الجنة والى ما
اولاهم الله تعالى من النعمة والكرامة والى اعدائهم
يعذبون في النار وما تحجب الحجال ابصارهم عن
الادراك قال الرازي ينظرون الى زهرتها بدليل
قوله تعرف اي ايها الناظر اليهم في وجوههم
عند رؤيتهم نضرة النعيم اي بهجته وحسنه
ورونقه كما ترى في وجوه الاغنيا واهل الترفه
والخطاب اما للنبي صلى الله عليه وسلم او لكل
ناظر وقال الحسن النضرة في الوجوه والسرور
في القلب وهذا هو الامر الثاني واما الثالث

Copyright © King Saud University

فهو قوله تعالى يسقون من رحيق اي خمر صافية
طيبة وقال مقاتل الخمر البيضاء وقال الرازي لعله
الخمر الموصوف بقوله تعالى لا فيها غول مختوم
اي ختم ومنع من ان تمسه يد الى ان يفك ختمه
الابرار وقال القفال يحتمل ان يكون ختم عليه
تكريما له بالصيانة على ما جرت به العادة من ختم
ما يكرم ويصان وهناك خمر اخر تجري انهارا
كقوله تعالى وانهار من خمر لذة للشاربين الا ان
هذا المختوم اشرف من الجاري ختامه مسك
اي اخر شربه يفوح منه مسك فالمختوم الذي
له ختام اي اخر وختم كل شيء الفراغ منه
وقال قتادة يمزج لهم بالكافور ويختم بالمسك
وقال ابن زيد ختامه عند الله مسك وقيل
طينه مسك وقيل تختم اوانيه من الاكواب
والاباريق بمسك مكان الطينة وفي ذلك اي
الامر العظيم البعيد التناول وهو البعث والنعيم
والشراب الذي هذا وصفه فليتنافس اي
فليرغب غاية الرغبة بجميع الجهد والاختيار
المتنافسون اي الذين من شانهم المنافسة
وهو ان يطلب كل منهم ان يكون ذلك المتنافس
فيه لنفسه خاصة دون غيره لانه نفيس

جدا والنفيس هو الذي تحرص عليه نفوس الناس
وتتغالى فيه والمنافسة في مثل هذا بكثرة الاعمال
الصالحة والنيات الخالصة وقال مجاهد فليعمل
العاملون وقال مقاتل ابن سليمان فليسارع المتسارعون
وقال عطاء فليستبق المستبقون وقال الزمخشري
فليرتقب المرتقبون والمعنى في الجميع واحد
واصله من الشيء النفيس الذي تحرص عليه نفوس
الناس ويريده كل احد لنفسه وينفس فيه على
غيره اي يضن ومزاجه اي ما يمزج به ذلك
الرحيق من تسنيم وهو علم لعين بعينها
سميت بالتسنيم الذي هو مصدر سنمه اذا
رفعه لانها تاتيهم من فوق على ما روي انها
تجري في الهواء مسنمة فتصب في اواني اهل
الجنة على مقدار الحاجة فاذا امتلات امسكت
وقوله تعالى عينا نصب على المدح وقال الزجاج
نصب على الحال يشرب بها اي يشربها على
طريقة المزج منها المقربون وضمن يشرب
معنى يلتذ فهم يشربونها صرفا وتمزج لسائر
اهل الجنة ان الذين اجرموا اي قطعوا ما امر
الله به ان يوصل وهم رؤساء قريش كانوا
من الذين امنوا وهم فقراء الصحابة عمار وصهيب

وخباب وبلال وغيرهم من فقراء المومنين يضحكون
اي استهزاء بهم واذا مروا اي المومنون بهم اي
بالذين اجرموا يتغامزون اي يشير المجرمون الى
المومنين بالجفن والحاجب استهزاء بهم وقيل
يغمز بعضهم بعضا ويشيرون باعينهم قيل جاء علي
بن ابي طالب رضي الله عنه في نفر من المسلمين
فسخر منهم المنافقون وضحكوا وتغامزوا ثم
رجعوا الى اصحابهم فقالوا راينا اليوم الاصلع
وضحكوا منه فنزلت قبل ان يصل علي الى
النبي صلى الله عليه وسلم واذا انقلبوا اي
رجع الذين اجرموا برغبتهم في الرجوع واقبالهم
عليه من غير تكبر الى اهلهم اي منازلهم
التي هي عامرة بجماعتهم وقرا حمزة والكسائي
في الوصل بضم الهاء والميم وابو عمرو
بكسر الهاء والباقون بكسر الهاء وضم الميم
انقلبوا حالة كونهم فكهين اي متلذذين
لما كان من مكنتهم ورفعتهم التي اوصلتهم
الى الاستهزاء بغيرهم قال ابن برجان روي عنه
عليه الصلاة والسلام ان الاسلام بدا غريبا وسيعود
غريبا كما بدا ليكون القابض على دينه كالقابض
على الجمر وفي اخر الحديث العالم فيهم انتن من جيفة

حمار

حمار والله المستعان وقرا حفص بغير الف بعد
الفاء والكاف والباقون بالالف قيل هما بمعنى وقيل
فكهين فرحين وفاكهين ناعمين وقيل فاكهين ذوي
اصحاب فاكهة ومزاح واذا راوهم اي راي المجرمون
المومنين قالوا اي المجرمون ان هولاء اي المومنين
لضالون اي لايمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم
يرون انهم على شيء وهم على ضلال في تركهم
التنعم الحاضر بسبب شيء لا يدرى هل له
وجود ام لا قال الله تعالى وما اي والحال انهم
ما ارسلوا اي الكفار عليهم اي على المومنين حافظين
اي موكلين بهم يحفظون عليهم احوالهم وكتبهم
ويهيمنون على اعمالهم ويشهدون برشدهم وضلا
لهم وهذا تهكم بهم وقيل هو من جملة قول
الكفار وانهم اذا راوا المسلمين قالوا ان هولاء
لضالون وانهم لم يرسلوا عليهم حافظين
انكارا لصدهم اياهم عن الشرك ودعائهم الى
الاسلام وجدهم في ذلك وقوله تعالى فاليوم
منصوب بيضحكون ولا ينصر تقديمه على المبتدا
لانه لو تقدم العامل هنا لجاز اذ لا لبس نحو
زيد قام في الدار لا يجوز في الدار زيد قام
ومعنى فاليوم اي في الاخرة الذين امنوا

Copyright © King Saud University

ولو كانوا في ادنى درجات الايمان من الكفار يضحكون
وفي سبب هذا الضحك وجوه منها ان الكفار
كانوا يضحكون على المومنين في الدنيا بسبب ما هم
فيه من الضر والبوس وفي الاخرة يضحك المومنون
على الكافرين بسبب ما هم فيه من الهوان والصغار
بعد العزة والكبر ومن الوان العذاب بعد النعيم
والترفه ومنها انهم علموا انهم كانوا في الدنيا
على غير شي وانهم باعوا الباقي بالفاني ومنها
انهم يرون انفسهم قد فازوا بالنعيم المقيم
ونالوا بالتعب اليسير راحة الابد ومنها قال ابو
صالح يقال لاهل النار وهم فيها اخرجوا وتفتح
لهم ابوابها فاذا راوها وقد فتحت ابوابها اقبلوا
اليها يريدون الخروج والمومنون ينظرون اليهم
فاذا انتهوا الى ابوابها غلقت دونهم يفعل
ذلك بهم مرارا فذلك سبب الضحك ومنها
انهم اذا دخلوا الجنة واجلسوا على الارائك
ينظرون الى الكفار كما قال تعالى على الارائك
اي الاسرة العالية ينظرون اليهم كيف يعذبون
في النار ويرفعون اصواتهم بالويل والثبور
ويلعن بعضهم بعضا ينظرون حال من يضحكون
اي يضحكون ناظرين اليهم والى ما هم فيه

من الهوان وقال كعب بين الجنة والنار كوى اذا اراد
المومن ان ينظر الى عدو له كان في الدنيا اطلع
عليه من تلك الكوى كما قال تعالى فاطلع فراه في سواء
الجحيم فاذا اطلعوا من الجنة على اعدائهم وهم
يعذبون في النار ضحكوا قال الله تعالى هل ثوب
الكفار اي هل جوزوا ما كانوا يفعلون اي جزاء
استهزائهم بالمومنين ومعنى الاستفهام هاهنا
التقرير وثوبه واثابه بمعنى واحد اذا جازاه
قال اوس ، سا حزنك او يحزنك عنى مثوب
، وحسبك ان يثنى عليك وتحمدي وقرأ
الكساي وهشام بادغام اللام في التاء والبا
قون بالاظهار وقول البيضاوي تبعا للزمخشري
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرا
سورة المطففين سقاه الله تعالى من الرحيق
المختوم يوم القيامة حديث موضوع

سورة الانشقاق مكية

وهي ثلاث او خمس وعشرون اية ومائة وسبع
كلمات واربعمائة وثلاثون حرفا بسم الله الذي
شقق الارض بالنبات الرحمن الذي عم جوده
اهل الارض والسموات الرحيم الذي خص اهل
طاعته بالجنات وقوله تعالى اذا السماء اي على

Copyright © King Saud University

مالها من الاحكام والعظمة **انشقت** كقوله تعالى
اذا الشمس كورت فى اضمار الفعل وعدمه وفى
اذا هذه احتمالان احدهما ان تكون شرطية
والثاني ان تكون غير شرطية فعلى الاول فى جوا
بها اوجه احدها انه محذوف ليذهب المقدر
كل مذهب واكتفا بما علم فى مثلها من سورتى
التكوير والانفطار وهو قوله تعالى علمت نفس
الثاني جوابها مادل عليه فلاقيه الثالث انه يايها
الانسان على حذف الفا وعلى كونها غير شرطية
فهى مبتدا وخبرها اذ الثانية والواو مزيدة
تقديره وقت انشقاق السماء وقت مد الارض
اى يقع الامران فى وقت قاله الاخفش وقيل
انه منصوب مفعول لها باضمار اذكر وانشقاقها
بالغمام وهو من علامات القيامة كقوله تعالى
ويوم تشقق السماء بالغمام وعن على تنشق
من المجرة قال ابن الاثير المجرة هى البياض المعترض
فى السما والتراب من جانبيها **واذنت** اى سمعت
واطاعت فى الانشقاق **لربها** اى لتاثير قدرته
حتى اراد انشقاقها انقياد المطواع الذى
ورد عليه الامر من جهة المطاع فانصتت
له واذعن ولم تاب ولم تمتنع كقوله اتينا

طايعين

طايعين **وحقت** اى حق لها ان تسمع وتطيع بان
تنقاد ولا تمتنع تعالى حق تكذا فهو محقوق وحقيق
واذا الارض اى على مالها من الصلابة **مدت**
اى زيد فى سعتها كمد الاديم ولم يبق عليها
ولا جبل كما قال تعالى قاعا صفصفا لا ترى فيها
عوجا ولا امتا وعن ابن عباس مدت مد الاديم
العكاظى لان الاديم اذا مد زال كل انثناء فيه
وامتد واستوى **والقت** اى اخرجت **ما فيها** من
الكنوز والموتى كقوله تعالى واخرجت الارض
اثقالها **وتخلت** اى خلت منها حتى لم يبق فى
بطنها شى وذلك يوذن بعظم الامر كما تلقى
الحامل ما فى بطنها عند الشدة ووصفت الارض
بذلك توسعا والا فالتحقيق ان الله تعالى هو المخرج
لذلك الاشيا من الارض وقوله تعالى **واذنت
لربها وحقت** تقدم تفسيره وهذا ليس بتكرار
لان الاول فى السماء وهذا فى الارض وتقدم
جواب اذا ومن جملة ما قيل فيه وما عطف
عليه انه محذوف دل عليه ما بعده تقديره
لقى الانسان عمله وذلك كله يوم القيامة واختلف
فى الانسان فى قوله تعالى **يايها الانسان** اى الانس
تنبيه الناسى لامر ربه **انك كادح** فقيل

Copyright © King Saud University

المراد جنس الانسان كقولك يا ايها الرجل
فكانه خطاب خص به احد من الناس قال القفال
وهو ابلغ من العموم لانه قائم مقام التنصيص
على مخاطبة كل واحد منهم على التعيين بخلاف اللفظ
العام وقيل المراد منه رجل بعينه فقيل هو محمد
صلى الله عليه وسلم فالمعنى انك تكدح في ابلاغ
رسالات الله تعالى وارشاد عباده وتحمل الضرر
من الكفار فابشر فانك تلقى الله تعالى بهذا العمل
وقال ابن عباس هو ابي بن خلف وكدحه هو
جده واجتهاده في طلب الدنيا وايذاء النبي
صلى الله عليه وسلم والاصرار على الكفر
والكدح جهد النفس في العمل والكد فيه حتى
يوثر فيها من كدح جلده اذا خدشه ومعنى
كادح **الى ربك** اي جاهد الى لقائه وهو الموت
اي هذا الكدح يستمر الى هذا الزمن وقال
القفال تقديره انك كادح في دنياك **فملاقيه**
يجوز ان يكون عطفا على كادح والسبب فيه ظاهر
وان يكون خبر مبتدا مضمر اي فانت ملاقيه
وقيل جواب اذا والضمير في ملاقيه اما للرب
اي ملاق حكمه لا مفر لك منه واما للكدح الا
ان الكدح عمل وهو عرض لا يبقى فملاقاته ممتنعة

فالمراد

فالمراد جزاء كدحك من خير او شر وقال الرازي
المراد ملاقاة الكتاب الذي فيه بيان تلك الاعمال
ويوكد هذا قوله تعالى بعده **فاما من اوتي كتابه**
اي كتاب عمله الذي كتبته الملائكة **بيمينه** اي
من امامه وهو المومن المطيع **فسوف يحاسب**
اي يقع حسابه بوعد لا خلف فيه وان طال الامد
لاظهار الجبروت والكبريا والقهر **حسابا يسيرا**
هو عرض عمله عليه كما فسر من حديث الصحيحين
وفيه من نوقش الحساب هلك وفي رواية من
حوسب عذب قالت عائشة اليس يقول الله
تعالى فسوف يحاسب حسابا يسيرا فقال انما ذلك
العرض ولكن من نوقش العذاب عذب وانما حسابا
سهلا لانه كان يحاسب نفسه فلا يقع له المخالفة
الا ذهولا فلاجل ذلك تعرض اعماله فيقبل
حسنها ويعفى عن سيئها **وينقلب** اي يرجع بنفسه
من غير مزعج برغبته وقبول **الى اهله** اي
الذين اهله منهم في الجنة من الحور العين والا
دميات والذريات اذا كانوا مومنين **مسرورا**
اي قد اوتي جنة وحريرا فانه كان في الدنيا
في اهله مشفقا من العرض على الله يحاسب
نفسه حسابا عسيرا مع ما هو فيه من نكد الاهل

Copyright © King Saud University

وضيق العيش واما من اوتي كتابه وراء ظهره
وهو الكافر تغل يمناه الي عنقه وتجعل يسراه
وراء ظهره فياخذ بها كتابه فسوف يدعوا
اي يوعد لاخلق فيه ثبورا يقول يا ثبوراه
والثبور الهلاك كقوله تعالى دعوا هنالك ثبورا
ويصلى سعيرا اي يدخل النار الشديدة وقرا
ابو عمرو وعاصم بفتح الياء وسكون الصاد
وتخفيف اللام والباقون بضم الياء وفتح الصاد
وتشديد اللام وقرا حمزة والكسائي بالامالة
محضة وقرا ورش بالفتح وبين اللفظين واذا
فتح ورش غلظ اللام واذا امال رقق والباقون
بالفتح انه كان اي بما له كالجملة في اهله اي
عشيرته في الدنيا مسرورا قال القفال اي
منعما مستريحا من التعب باداء العبادات
واحتمال مشقة الفرايض من الصلاة والجهاد
مقدما على المعاصي امنا من الحساب والثواب
والعقاب لايخاف الله تعالى ولا يرجوه فابدله
الله تعالى بذلك السرور غما باقيا لا ينقطع
وقيل ان قوله تعالى انه كان في اهله مسرورا
كقوله تعالى واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا
فاكهين اي متنعمين في الدنيا معجبين بما هم

عليه

عليه من الكفر بالله تعالى والتكذيب بالبعث فيضحكون
ممن امن بالله تعالى وصدق بالحساب كما قال
صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المومن وجنة
الكافر انه ظن اي لضعف نظره ان مخففة من
الثقيلة واسمها محذوف اي انه لن يحور اي
لن يرجع الي الله تعالى تكذيبا بالمعاد يقال اي لن
يرجع الي الله تعالى تكذيبا بالمعاد يقال لا يحور اي
ولا يحور اي لا يرجع ولا يتغير قال لبيد وما المرء
الا كالشهاب وضوءه يحور رمادا بعد ان هو ساطع
وعن ابن عباس ما كنت ادري ما معنى يحور حتى
سمعت اعرابية تقول لبنية لها حوري اي
ارجعي وقوله تعالى بلى ايجاب لما بعد النفي في لن
يحور اي بلى ليحورن ان ربه اي الذي ابتدا
انشاه ورباه كان اي ازلا وابدا به بصيرا
اي من يوم خلقه الي يوم بعثه او باعماله لا ينسا
وقال عطا بصيرا بما سبق عليه في ام الكتاب
من الشقاوة واختلف في الشفق في قوله تعالى
فلا اقسم بالشفق فقال مجاهد هو النهار كله
وقال عكرمة ما بقي من النهار وقال ابن عباس
واكثر المفسرين هو الحمرة التي تبقى في الافق بعد
غروب الشمس وقال قوم هو البياض الذي يعقب

ها

تلك الحمرة تنبيه سمي بذلك لرقته ومنه
الشفقة على الانسان رقة القلب عليه واللام في لا
اقسم مزيدة للتأكيد والليل اي الذي يغلبه
ويذهبه وما وسق اي ما جمع وضم يقال وسقه
فاتسق واستوسق قال الشاعر مستوسقات لو
يجدن سائقا ونظيره في وقوع افتعل واستفعل
مطاوعين اتسع واستوسع ومعناه وما جمعه
وستره وآوى اليه من الدواب وغيرها والقمر
اي الذي هو آيته اذا اتسق اي اذا اجتمع واستوى
ليلة اربع عشرة وقال قتادة استدار وهو
افتعل من الوسق تنبيه قد اختلف العلماء
في القسم بهذه الاشياء فقيل هو قسم بها او بخالقها
فذهب المتكلمون الى ان القسم واقع
بربها وان كان محذوفا وقالوا ان ذلك معلوم من
حيث ورود الحظر بان يقسم بغير الله تعالى او
بصفة من صفاته وقد مر ان ذلك يكره في حق
الانسان فان الله تعالى يقسم بما شاء من خلقه
وجواب القسم لتركبن اي ايها الناس اصله
تركبونن حذفت نون الرفع لتوالي الامثال والواو
لالتقاء الساكنين وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي
بفتح الباء الموحدة على خطاب الانسان والباقون

بضمها

٣٦٩

بضمها على خطاب الجمع وهو معنى الانسان اذ المراد
به الجنس اي لتركبن ايها الانسان طبقا مجاوزا
عن طبق اي حالا بعد حال قال عكرمة رضيع ثم
فطيم ثم غلام ثم شاب ثم شيخ وعن ابن عباس
الموت ثم البعث ثم العرض وعن عطاء مرة فقيرا ومرة
غنيا وقال ابو عبيدة لتركبن سنن من كان
قبلكم واحوالهم لما روي انه صلى الله عليه
وسلم قال لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر
وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم
قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن وقوله
تعالى فما لهم اي الكفار لا يؤمنون استفهام
انكار اي اي مانع لهم من الايمان او اي حجة
لهم في تركه بعد وجود براهينه وما لهم اذا
قرئ اي من اي قارئ قراءة مشروعة عليهم
القرآن اي الجامع لكل ما ينفعهم في دنياهم
واخراهم الفارق بين كل ملتبس لا يسجدون
اي لا يخضعون بان يؤمنوا به لاعجازه او لا يصلون
قاله مقاتل او لا يسجدون لتلاوته لما روي
انه صلى الله عليه وسلم قرأ واسجد واقترب
فسجد ومن معه من المؤمنين وقريش تصفق
رؤوسهم فنزلت وعن ابي هريرة انه قال سجدنا

Copyright © King Saud University

مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في اقرا باسم
واذا السما انشقت وعن نافع قال صليت مع ابي
هريرة العتمة فقرا اذا السما انشقت فسجد
فقلت ما هذه قال سجدت بها خلف ابي القاسم
صلى الله عليه وسلم فلا ازال اسجد فيها
حتى القاه وليس في ذلك دلالة على وجوبها فهي
مندوبة وعن الحسن هي واجبة واحتج ابو حنيفة
على وجوب السجود بانه تعالى ذم من سمعه ولم
يسجد وعن ابن عباس ليس في المفصل سجدة
وما روي عن ابي هريرة تخالفه وعن انس صليت
خلف ابي بكر وعمر وعثمان فسجدوا بل الذين
كفروا يكذبون اي بالقران والبعث والله
اعلم بما يوعون اي بما يجمعون في صدورهم
ويضمرونه من الكفر والحسد والبغي والبغضا
او بما يجمعون في صحفهم من الكفر والتكذيب
واعمال السوء ويدخرون لانفسهم من انواع
العذاب وقوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم
اي مولما استهزا بهم فان البشارة بمعنى الاخبار
اي اخبرهم وقوله تعالى الا استثنا منقطع
اي لكن الذين امنوا وعملوا الصالحات تحقيق
لانما لهم اجر غير ممنون اي غير مقطوع

ولا

ولا منقوص ولا ممنون به عليهم وقول البيضاوي
تبعا للزمخشري ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال من قرا اذا السماء انشقت اعاذه الله تعالى
ان يعطيه كتابه وراء ظهره حديث موضوع

سورة البروج مكية

وهي اثنان وعشرون اية ومائة وتسع كلمات
واربعمائة وثمانية وخمسون حرفا بسم الله الذي
احاط علمه بالكائنات الرحمن الذي عم جوده
سائر المخلوقات الرحيم الذي خص اهل السعادة
بالجنات وقوله تعالى والسما اي العالية غاية
العلو والمحكمة غاية الاحكام ذات البروج قسم
اقسم الله تعالى به وتقدم الكلام على ذلك
مرارا وفي البروج اقوال فقال مجاهد هي البروج
الاثني عشر شبهت بالقصور لانها تنزل لها
السيارات وقال الحسن هي النجوم وقيل هي منازل
القمر وقال عكرمة هي قصور في السماء وقيل
عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها وقيل
ابواب السماء وقوله تعالى واليوم الموعود قسم
اخر وهو يوم القيامة قال ابن عباس وعد اهل
السماء واهل الارض ان يجتمعوا فيه واختلفوا
في قوله تعالى وشاهد ومشهود فقال ابو هريرة

وابن عباس الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة
وروي مرفوعا اليوم الموعود يوم القيامة واليوم
المشهود يوم عرفة والشاهد يوم الجمعة خرجه
الترمذي في جامعه قال القشيري فيوم الجمعة
شهد على عامله بما عمل فيه قال القرطبي وكذا
سائر الايام والليالي لما روى ابو نعيم الحافظ
عن معاوية ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال ليس من يوم ياتي على العبد الا ينادي فيه
يا ابن ادم انا خلق جديد وانا فيما تعمل عليك
شاهد فاعمل في خيرا اشهد لك به غدا فاني
اذا مضيت لم ترني ابدا ويقول الليل مثل
ذلك حديث غريب وحكى القشيري عن عمر
ان الشاهد يوم الاضحى وقال ابن المسيب الشاهد
يوم التروية والمشهود يوم عرفة وروي
عن علي الشاهد يوم عرفة والمشهود يوم النحر
وقال مقاتل اعضاء الانسان هو الشاهد لقوله
تعالى يوم تشهد عليهم السنتهم الاية وقال
الحسين بن الفضل الشاهد هذه الامة والمشهود
سائر الامم لقوله تعالى وكذلك جعلناكم
امة وسطا الاية وقيل الشاهد محمد صلى الله
عليه وسلم لقوله تعالى انا ارسلناك شاهدا

وقيل

وقيل ادم وقيل الحفظة الشاهد والمشهود اولاد
ادم وقيل غير ذلك وقيل غير ذلك وكل ذلك صحيح
واختلف في جواب القسم فقال الجلال المحلي جواب
القسم محذوف صدره اي لقد قتل اي لعن
اصحاب الاخدود وقال الزمخشري محذوف ويدل
عليه قوله قتل اصحاب الاخدود وكانه قيل
اقسم بهذه الاشيا انهم ملعونون يعني كفار
قريش كما لعن اصحاب الاخدود فان السورة وردت
لتثبيت المومنين على اذاهم وتذكيرهم بما
جرى على من قبلهم واستظهر هذا البيضاوي
والاخدود هو الشق المستطيل في الارض
كالنهر وجمعه اخاديد واختلف فيهم ففي
صهيب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر فلما
كبر قال للملك اني قد كبرت فابعث الي غلاما اعلمه
السحر فبعث اليه غلاما وكان في طريقه اذا سلك
اليه راهب فقعد اليه وسمع كلامه فاعجبه
فكان اذا اتى الساحر مر بالراهب فقعد اليه
فاذا اتى الساحر ضربه واذا رجع من عند الساحر
قعد الى الراهب وسمع كلامه فاذا اتى اهله ضربوه
فشكى الى الراهب فقال اذا خشيت اهلك فقل

Copyright © King Saud University

حبسني اهلي واذا خشيت اهلك فقل حبسني الساحر
فبينما هو كذلك اذ اتى على دابة عظيمة قد حبست
الناس فقال اليوم اعلم الراهب افضل ام
الساحر فاخذ حجرا ثم قال اللهم ان كان امر الراهب
احب اليك من امر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى
تمضي الناس فرماها فقتلها فمضى الناس فاتى
الراهب فاخبره فقال له الراهب اي بني انت اليوم
افضل مني قد بلغ من امرك ما ارى وانك
ستبتلى فان ابتليت فلا تدل علي فكان الغلام
يبرئ الاكمه والابرص ويداوي الناس بسائر
الادواء فسمع جليس الملك وكان قد عمي فاتاه
بهدايا كثيرة فقال هذا لك اجمع ان انت شفيتني
فقال اني لا اشفي احدا انما يشفي الله فان امنت
بالله دعوت الله تعالى فشفاك فامن بالله فشفاه
الله فاتى الملك فجلس اليه كما كان يجلس فقال
له الملك من رد عليك بصرك قال ربي رب
غيري قال ربي وربك الله فاخذه فلم يزل
يعذبه حتى دل على الغلام فجيء بالغلام فقال له
الملك اي بني قد بلغ من سحرك ما تبرئ الاكمه
والابرص وتفعل قال اني لا اشفي احدا انما
يشفي الله فاخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على

الراهب

الراهب فجيء بالراهب فقال ارجع عن دينك فابى فدعى
بالمنشار فوضع المنشار في مفرق راسه فشقه حتى
وقع شقاه ثم جيء بجليس الملك فقال له ارجع عن
دينك فابى ففعل به كالراهب ثم جيء بالغلام فقيل
له ارجع عن دينك فابى فدفعه الى نفر من اصحابه
وقال اذهبوا به الى جبل كذا فاصعدوا به فاذا
بلغتم ذروته فان رجع عن دينه والا فاطرحوه
فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال اللهم اكفنيهم
بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشي
الى الملك فقال له الملك ما فعل اصحابك فقال
اذهبوا به فاحملوه في قرقور وتوسطوا به البحر
فان رجع الى دينه والا فاقذفوه فذهبوا به
فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت السفينة
بهم فغرقوا وجاء يمشي الى الملك فقال له الملك
ما فعل اصحابك فقال كفانيهم الله تعالى فقال
للملك انك لست بقاتلي حتى تفعل ما امرك
قال وما هو قال تجمع الناس في صعيد واحد
وتصلبني على جذع ثم خذ سهما من كنانتي ثم ضع
السهم في كبد القوس وقل بسم الله رب الغلام ثم
ارمني فانك اذا فعلت ذلك قتلتني فجمع الناس في
صعيد واحد وصلبه على جذع ثم اخذ سهما

Copyright © King Saud University

من كنانته ووضع السهم في كبد قوسه ثم
قال بسم الله رب الغلام ثم رماه فوقع السهم
في صدغه فوضع يده على صدغه موضع السهم
فمات فقال الناس آمنا برب الغلام آمنا برب
الغلام ثلاثا فأتي الملك فقيل له أرأيت ما كنت
تحذر قد والله نزل بك حذرك قد آمن الناس
فأمر بالأخدود بأفواه السكك فخدوا وأضرم
النيران وقال من لم يرجع عن دينه فأقحموه
فيها وقيل له اقتحم قال ففعلوا حتى جاءت امرأة
معها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها فقال
الصبي يا أماه اصبري فإنك على الحق فاقتحمت
قال البغوي هذا حديث صحيح وقيل إن الصبي
قال لها قعي ولا تنافقي وقيل ما هي إلا غميضة
فصبرت وذكر محمد بن إسحاق عن وهب
بن منبه أن رجلا قد بقي على دين عيسى فوقع على كان
نجران فأجابوه فسار إليه ذو نواس اليهودي
بجنود من حمير وخيرهم بين النار واليهودية
فأبوا عليه فخد الأخاديد وأحرق اثني عشر
ألفا في الأخاديد وقيل سبعين ألفا ثم غلب
أرياط على اليمن فخرج ذو نواس هاربا واقتحم
البحر بفرسه فغرق قال الكلبي ذو نواس قتل

عبد

عبد الله بن التامر وقال محمد بن إسحاق عن عبد
الله بن أبي بكر أن خربة احترقت في زمن عمر
فوجدوا عبد الله بن التامر واضعا يده على
ضربة في رأسه إذا أميطت يده عنها انبعثت دما
وإذا تركت ارتدت مكانها وفي يده خاتم من حديد
فيه ربي الله فبلغ ذلك عمر فكتب أن أعيدوا
عليه الذي وجدتم عليه وعن ابن عباس قال
كان بنجران ملك من ملوك حمير يقال له يوسف
ذو نواس بن شرحبيل في الفترة قبل أن يولد
النبي صلى الله عليه وسلم بسبعين سنة وكان
في بلاده غلام يقال له عبد الله بن تامر وكان
أبوه سلمه إلى معلم يعلمه السحر فكره ذلك
الغلام ولم يجد بدا من طاعة أبيه فجعل يختلف
إلى المعلم وكان في طريقه راهب حسن الصوت
فأعجبه ذلك وذكر قريبا من معنى حديث
صهيب إلى أن قال الغلام للملك إنك لا تقدر
على قتلي إلا أن تفعل ما أقول قال فكيف أقتلك
قال تجمع أهل مملكتك وأنت على سريرك فترميني
بسهم على اسم إلهي ففعل الملك فقتله فقال
الناس لا إله إلا إله عبد الله بن التامر لا دين
إلا دينه فغضب الملك وأغلق باب المدينة وأخذ

Copyright © King Saud University

افواه السكك واخذ اخدودا ملاه نارا ثم عرضهم
رجلا رجلا فمن رجع عن الاسلام تركه ومن قال
ديني دين عبد الله بن تامر القاه في الاخدود
واحرقه وكان في مملكته امراة فاسلمت فيمن اسلم
ولها اولاد ثلاثة احدهم رضيع فقال لها الملك
ارجعي عن دينك والا القيتك واولادك في النار
فابت فاخذ ابنها الاكبر فالقاه في النار ثم قال لها
ارجعي فابت فاخذ والثاني منها ليلقوه في النار
فهمت المراة بالرجوع فقال لها الصبي يا اماه
لا ترجعي عن الاسلام فانك على الحق ولا باس
عليك فالقي الصبي في النار والقيت امه على
اثره وعن علي انهم حين اختلفوا في احكام
المجوس قال هم اهل الكتاب وكانوا متمسكين
بكتابهم وكانت الخمر قد احلت لهم فتناولها
بعض ملوكهم فسكر فوقع على اخته فلما صحي
ندم وطلب المخرج فقالت له المخرج ان تخطب
الناس فتقول يا ايها الناس ان الله تعالى احل
لكم نكاح الاخوات ثم تخطبهم بعد ذلك ان الله
حرمه فخطب فلم يقبلوا منه فقالت ابسط فيهم
السوط فلم يقبلوا فامرت بالاخاديد وايقاد
النيران وطرح من ابى فيها فهم الذين ارادهم

الله

الله تعالى بقوله قتل اصحاب الاخدود وعن
مقاتل كانت الاخدود ثلاثة واحدة بنجران
باليمن واخرى بالشام واخرى بفارس حرقوا بالنار
اما التي بالشام فهو انطاموس الرومي واما التي
بفارس فبختنصر واما التي بارض العرب فهو يوسف
ذو نواس فاما التي بفارس والشام فلم ينزل الله
تعالى فيهما قرانا وانزل في التي كانت بنجران وذلك
ان رجلا مسلما ممن يقرا الانجيل اجر نفسه في عمل
وجعل يقرا الانجيل فرات بنت المستاجر النور
يضي من قراة الانجيل فذكرت ذلك لابيها
فرمقه فساله فلم يخبره فلم يزل به حتى اخبره
بالدين والاسلام فتابعه هو وسبعة وثمانون
انسانا ما بين رجل وامراة وهذا بعد ما رفع
عيسى عليه السلام الى السماء فسمع ذلك يوسف
ذو نواس فخد لهم في الارض واوقد فيها
فعرضهم على الكفر فمن ابى ان يكفر قذف في
النار ومن رجع عن دين عيسى لم يقذف فيه
وان امراة جاءت ومعها ولد صغير لا يتكلم
فلما جاءت على شفير الخندق نظرت الى ابنها فرجعت
عن النار فضربت حتى تقدمت فلم تزل كذلك
ثلاث مرات فلما كانت في الثالثة ذهبت

Copyright © King Saud University

ترجع فقال لها ابنها يا اماه اني ارى امامك نارا لا تطفى
فلما سمعت ذلك قذفا جميعا انفسهما في النار
فجعلها الله وابنها في الجنة فقذف في النار في يوم واحد
سبعة وسبعون انسانا فذلك قوله تعالى قتل
اصحاب الاخدود وقوله تعالى النار بدل اشتمال
من الاخدود وقوله تعالى ذات الوقود وصف
لها بانها نار عظيمة لها ما ترتفع به لهبها من
الحطب الكثير وابدان الناس واللام في الوقود
للجنس وقوله تعالى اذ هم عليها قعود ظرف
لقتل اي لعنوا حين احدقوا بالنار قاعدين
حولها ومعنى عليها على ما يدنوا منها من حافة
الاخدود لقوله وبات على النار الندى والمحلق
وكما تقول مررت عليه تريد مستعليا
المكان يدنوا منه وكانوا يقعدون حولها على الكراسي
وقال القرطبي عليها وهم على ما يفعلون بالمؤمنين
بالله من تعذيبهم بالالقاء في النار ان لم
يرجعوا عن ايمانهم شهود اي يشهد بعضهم
لبعض عند الملك بانه لم يقصر فيما امر به
او شهود بمعنى حضور اذ روي ان الله تعالى
انجى المؤمنين الملقين في النار بقبض ارواحهم
قبل وقوعهم فيها وخرجت النار الى القاعدين

فاحرقتهم

فاحرقتهم قال الرازي يمكن ان يكون المراد باصحاب
الاخدود القاتلين ويمكن ان يكون المراد بهم
المقتولين والمشهور ان المقتولين هم المؤمنون
وروي ان المقتولين هم الجبابرة انهم روي
لما القوا المؤمنين في النار عادت النار على الكفرة
فاحرقتهم ونجى الله المؤمنين منها سالمين والى هذا
القول ذهب الربيع بن انس والواحدي وتاولوا
قوله تعالى ولهم عذاب جهنم اي في الاخرة
ولهم عذاب الحريق في الدنيا فان فسر اصحاب
الاخدود بالقاتلين فيكون قوله تعالى قتل
اصحاب الاخدود دعا عليهم كقوله تعالى قتل
الانسان ما اكفره وان فسر بالمقتولين كان
المعنى ان المؤمنين قتلوا بالنار فيكون ذلك خبرا
لا دعا والمقصود من هذه الاية تثبيت قلوب
المؤمنين واخبارهم بما كان يلقاه من قبلهم
من الشدائد وذكر لهم النبي صلى الله عليه
وسلم قصة الغلام ليصبروا على ما يلقون من
اذى الكفار ليتاسوا بهذا الغلام في صبره على
الاذى والصلب وبذل نفسه في اظهار دعوته
ودخول الناس في الدين مع صغر سنه وكذلك
صبر الراهب على التمسك بالحق حتى نشر بالمنشار

Copyright © King Saud University

وكذلك اكثر الناس لما امنوا بالله تعالى وما نقموا
اى وما انكروا وكرهوا منهم من الحالات وكان
ذنبا ونقصا الا ان يومنوا اى يجددوا الايمان
مستمرين عليه بالله اى الذى له الكمال كله
العزيز فى ملكه الذى يغلب من اراد ولا يغلبه
شى الحميد اى المحيط بجميع صفات الكمال فهو يثيب
من اطاعه اعظم ثواب وينتقم ممن عصاه باشد
العذاب وهذا استثناء على طريقة قول القايل ،
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم ، بهن فلول اى
كسر من قراع الكتايب ، اى من كتايبها والكتايب
بالتاء جمع كتيبة وهى الجيش وقال ابن الرقيات
، ما نقموا من بنى امية الا انهم يحلمون ان
غضبوا ، ونظيره قوله تعالى قل تنقمون منا
الا ان امنا بالله ولما ذكر تعالى الاوصاف التى
يستحق بها ان يومن به ويعبد وهو كونه
عزيزا غالبا قادرا يخشى عقابه حميدا منعما يجب
الحمد على نعمه ويرجى ثوابه قرر ذلك بقوله
تعالى الذى له اى خاصة ملك السموات والارض
اى على جهة العموم مطلقا فكل من فيهما يحق عليه
عبادته والخضوع له لتقرير الان ما نقموا منهم هو
الحق الذى لا ينقمه الا مبطل منهمك فى الغى وان

الناقمين

٢٩٧

الناقمين اهل لانتقام الله تعالى منهم بعذاب لا يعدله
عذاب والله الملك الاعظم الذى له الاحاطة الكا ملة
على كل شى شهيد فلا يغيب عنه شى وهذا لان
الله علم ما فعلوا وهو يجازيهم عليه ولما ذكر
قصة اصحاب الاخدود اتبعها ما يتفرع من احكام
الثواب والعقاب فقال تعالى ان الذين فتنوا المومنين
والمومنات اى حرقوهم بالنار يقال فتنت الشى
اذا حرقته والعرب تقول فتن فلان الدرهم
والدينار اذا ادخله الكور لينظر جودته ونظيره
يوم هم على النار يفتنون قال الرازى ويحتمل ان
تكون المراد كل من فعل ذلك بحال وهذا اولى
لان اللفظ عام والحكم عام والتخصيص ترك
الظاهر من غير دليل ولما كانت التوبة مقبولة
قبل الغرغرة ولو طال الزمان عبر سبحانه باداة
التراخى فقال تعالى ثم لم يتوبوا اى عن كفرهم
وعما فعلوا فلهم عذاب جهنم اى بكفرهم
ولهم عذاب الحريق اى عذاب احراقهم المومنين قدم
فى الاخرة وقيل فى الدنيا بان خرجت النار فاحر
قتهم كما تقدم ومفهوم الاية لو تابوا لخرجوا من هذا
الوعيد وذلك يدل على ان الله تعالى يقبل التوبة
من القاتل المتعمد خلاف ما يروى عن ابن عباس

Copyright © King Saud University

ولما ذكر سبحانه وعيد المجرمين ذكر ما اعد للمومنين
بقوله تعالى ان الذين امنوا اي اقروا بالايمان من
المعتدين في النار وغيرهم من كل طائفة في كل
زمان وعملوا الصلحات تحقيقا لما ايدهم لهم جنات
اي بساتين تفضلا منه تعالى تجري من تحتها
اي تحت غرفها واسرتها وجميع اماكنها الانهار
تتلذذ دون بردها في نظير ذلك الحر الذي صبروا
عليه في الدنيا ويزول عنهم برؤية ذلك مع
خضرة الجنان جميع المضار والاحزان ذلك اي
الامر العالي الدرجة العظيم البركة الفوز اي
الظفر بجميع المطالب الكبير وهو رضى الله تعالى
لا دخول الجنة وقال تعالى ذلك الفوز ولم
يقل تلك لان ذلك اشارة الى اخبار الله تعالى
بحصول الجنات وتلك اشارة الى الجنة الواحدة
واخبار الله تعالى عن ذلك يدل على كونه راضيا
ان بطش ربك اي اخذ المحسن اليك المدبر
لامرك الجبابرة والظلمة لشديد كقوله تعالى
وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة
ان اخذه اليم شديد قال المبرد ان بطش
ربك جواب القسم والبطش هو الاخذ بعنف فاذا
وصف بالشدة فقد تضاعف ولما كان هذا البطش

لا يتأتى

صح

لا يتأتى الا لكامل القدرة دل على كمال قدرته واختصاصه
بذلك بقوله تعالى موكدا لما له من الانكار انه هو
اي وحده يبدئ اي يوجد ابتداء اي خلق اراد الى
اي هيئة اراد ويعيد اي ذلك المخلوق عند البعث
وروى عكرمة قال تعجب الكفار من احيا الله تعالى
الاموات اي فنزلت وقال ابن عباس يبدئ لهم
عذاب الحريق في الدنيا ثم يعيده عليهم في الآخرة
وهذا اختيار الطبري وقيل يبدئ البطش ويعيده
فيبطش بهم في الدنيا والاخرة او دل باقتداره
على الابتداء والاعادة على شدة بطشه او اوعد
الكفرة بان يعيدهم كما ابداهم ليبطش بهم
اذ لم يشكروا نعمة الابداء وكذبوا بالاعادة وهو
اي وحده الغفور اي الستور لعباده المومنين
وقرأه قالون وابو عمرو والكسائي بسكون الهاء
والباقون بضمها وقوله تعالى الودود مبالغة
في الواد قال ابن عباس هو المتودد لعباده بالمغفرة
وعن المبرد هو الذي لا ولد له وانشد واركب
في الروع عريانة ذلول الجماع لقاحا ودودا
اي لا ولد لها تحن اليه وقيل هو فعول بمعنى
مفعول كالركوب والحلوب بمعنى المركوب والمحلوب
وقيل يغفر وتود ان يغفر ذو العرش اي

Copyright © King Saud University

خالقه ومالكه اي ذو الملك والسلطان كما يقال
فلان على سرير ملكه وان لم يكن على سرير ويقال
ثل عرشه اي ذهب سلطانه او السرير الدال
على اختصاص الملك بالملك وانفراده بالتدبير
والسيادة والسياسة الذي به قوام الامور
وقرا **المجيد** حمزة والكسائي بجر الدال على انه
نعت للعرش او لربك في قوله تعالى ان بطش
ربك قال مكي وقيل لا يجوز ان يكون نعتا
للعرش لانه من صفات الله تعالى انتهى وهذا ممنوع
لان مجد العرش علوه وعظمه كما قاله الزمخشري
وقد وصف العرش بالكريم في اخر المؤمنين وقرا
الباقون برفع الدال على انه خبر بعد خبر وقيل
هو نعت لذو واستدل بعضهم على تعدد الخبر بهذه
الاية ومن منع قال لانها في معنى خبر واحد
اي جامع بين هذه الاوصاف الشريفة او كل منها
خبر لمبتدا مضمر والمجد هو النهاية في الكمال
والفضل والله سبحانه موصوف بذلك وتقدم
وصف عرشه بذلك **فعال** اي على سبيل التكرار
والمبالغة **لما يريد** قال البقاعي اي يفعل ما يريد
على ما يراه لا يعترض عليه احد ولا يغلبه
غالب فيدخل اولياءه الجنة لا يمنعه مانع

ويدخل

ويدخل اعداءه النار لا ينصرهم منه ناصر ويمهل
العصاة على ما يشاء الى ان يجازيهم ويعاجل بعضهم
بالعقوبة اذا شاء فهو يفعل ما يريد وعن ابي السفر
دخل ناس من الصحابة على ابي بكر الصديق يعودونه
فقالوا الا ناتيك بطبيب قال قد راني قالوا فماذا
قال لك قال اني فعال لما اريد وقال الزمخشري
فعال خبر مبتدا محذوف وانما قال فعال لان
ما يريد ويفعل في غاية الكثرة وقال الطبري رفع
فعال وهو نكرة محضة على وجه الاتباع لاعراب
الغفور الودود تنبيه دلت هذه الاية ان
جميع افعال العباد مخلوقة لله تعالى قال بعضهم
ودلت على ان الله تعالى لا يجب عليه شيء لانها دالة
على انه يفعل ما يريد **هل** اي قد **اتاك** اي يا اشرف
الرسل **حديث** اي خبر **الجنود** اي الجموع الكافرة
المكذبة لانبيائهم وقوله تعالى **فرعون وثمود**
يجوز ان يكون بدلا من الجنود واستشكل كونه
بدلا لانه لم يكن مطابقا للمبدل منه في الجمعية
واجيب بانه على حذف مضاف اي جنود
فرعون وان المراد فرعون وقومه واستغنى
بذكره عن ذكرهم لانهم اتباعه ويجوز ان يكون
منصوبا باضمار اعني لانه لما لم يطابق ما قبله

Copyright © King Saud University

وجب قطعه والمعنى انك قد عرفت ما فعل الله تعالى
بهم حين كذبوا رسلهم حتى هلكوا بكفرهم فقومك
ان لم يومنوا بك فعل بهم كما فعل بهولاء فاصبر
كما صبر الانبيا قبلك على اممهم بل الذين كفروا اي
من هولاء الذين لا يومنون بك في تكذيب لك
لا يرعوون عنه ومعنى الاضراب ان حالهم اعجب
من حال هولاء فانهم سمعوا قصتهم وراوا
اثار هلاكهم وكذبوا اشد من تكذيبهم وانما
خص فرعون وثمود لان ثمود في بلاد العرب
وقصتهم عندهم مشهورة وان كانوا من المتقد
مين وامر فرعون كان مشهورا عند اهل
الكتاب وغيرهم وكان من المتاخرين في الهلاك
فدل بهما على امثالهما وقوله تعالى والله اي
والحال من ورائهم محيط وفيه وجوه احدها
ان المراد وصف اقتداره عليهم وانهم في
قبضته وحصره كالمحاط اذا احيط به من
ورائه ينسد عليه مسلكه فلا يجد مهربا يقول
الله تعالى فهم كذا في قبضتي وانا قادر على
اهلاكهم ومعاجلتهم بالعذاب على تكذيبهم
اياك فلا تجزع من تكذيبهم اياك فليسوا
يفوتونني اذا اردت الانتقام منهم ثانيها ان يكون

المراد

المراد من هذه الاحاطة قرب اهلاكهم كقوله
تعالى وظنوا انهم احيط بهم فهو عبارة عن مشا [رفة]
الهلاك ثالثها انه تعالى محيط باعمالهم اي عالم
بها فيجازيهم عليها بل هو اي هذا القران الذي
كذبوا به وهولاء يايته الباطل من بين يديه ولا
من خلفه قران جامع لكل منفعة متكفلة بالغ
الذروة العليا في كل شرف مجيد اي شريف وحيد
في اللفظ والمعنى وليس كما زعم المشركون
انه شعر وكهانة في لوح هو في الهوا فوق السماء
السابعة وعن ابن عباس انه قال ان في صدر
اللوح لا اله الا الله وحده دينه الاسلام ومحمد
عبده ورسوله فمن امن بالله عز وجل وصدق
بوعده واتبع رسله ادخله الجنة قال واللوح لوح
من درة بيضا طوله ما بين السماء والارض
وعرضه ما بين المشرق والمغرب وحافتاه الدر
والياقوت ودفتاه ياقوتة حمرا وقلمه نور وكلامه
نور معقود بالعرش واصله في حجر ملك وقراءة
محفوظ بالرفع نافع على انه نعت لقران والباقون
بالجر على انه نعت للوح وقال مقاتل اللوح المحفوظ
عن يمين العرش وقال البغوي وهو ام الكتاب ومنه
نسخ الكتب محفوظ من الشياطين ومن الزيادة

Copyright © King Saud University

فيه والنقصان وقول البيضاوي تبعا للزمخشري
انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة
البروج اعطاه الله تعالى بعدد كل يوم جمعة وكل يوم
عرفة عشر حسنات حديث موضوع

سورة الطارق مكية

وهي سبع عشرة اية واثنان وسبعون كلمة ومائتان
واحدى وسبعون حرفا بسم الله مالك الخلق
اجمعين الرحمن الذي عم جوده المومنين والكافرين
الرحيم الذي خص رحمته بعباده المومنين وقوله
تعالى والسماء والطارق قسم اقسم الله تعالى
به وقد اكثر الله تعالى في كتابه العزيز ذكر السما
والشمس والقمر لان احوالها في اشكالها وسيرها
ومطالعها ومغاربها عجيبة ولما كان الطارق
يطلق على غير النجم ابهمه اولا ثم عظم القسم به
بقوله تعالى وما ادراك اي اعلمك يا اشرف
خلقنا وان حاولت معرفة ذلك وبالغت في
الفحص عنه ما الطارق وهو مبتدا وخبر في محل
المفعول الثاني لادرى وما بعد ما الاولى خبرها
وفيه تعظيم لشان الطارق واصله كل ات ليلا
ومنه النجوم لطلوعها ليلا وقرأ ابو عمرو
وحمزة والكسائي وشعبة وابن ذكوان بخلف

عند

عند بالامالة محضة وقرأ ورش بين اللفظين
والباقون بالفتح ثم فسر الطارق بقوله تعالى النجم
الثاقب اي المضي لثقبه الظلام بضوئه فينفذ
فيه كما قيل دري لانه يدروه اي يدفعه والمراد
جنس النجوم او جنس الشهب التي ترجم بها
وقال محمد بن الحسن هو زحل وقال ابن زيد
وقال مجاهد هو الثريا وقال ابن عباس هو الجدي
وقال علي هو نجم في السماء السابعة لا يسكنها غيره
من النجوم فاذا اخذت النجوم امكنتها من السماء
هبط فكان معها ثم يرجع الى مكانه من السماء
السابعة فهو طارق حين ينزل وحين يرجع وفي
الصحاح الطارق النجم الذي يقال له كوكب الصبح
قال الماوردي واصل الطرق الدق ومنه
سميت المطرقة وسمي النجم طارقا لانه يطرق الجني
اي يقتله روي ان ابا طالب اتى النبي صلى
الله عليه وسلم بخبز ولبن فبينما هو جالس
يأكل اذ انحط نجم فامتلات الارض نورا ففزع
ابو طالب وقال اي شيء هذا فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم هذا نجم رمي به وانه
اية من ايات الله تعالى فعجب ابو طالب فنزلت
السورة وقال مجاهد الثاقب المتوهج وجواب

Copyright © King Saud University

القسم ان كل نفس اى من الانفس مطلقا لاسيما
نفوس الناس لما عليها اي بخصوصها حافظ وقراءة
ابن عامر وعاصم بتشديد الميم والباقون
بتخفيفها فعلى تخفيفها تكون مزيدة وان مخففة
من الثقيلة واسمها محذوف اي انه واللام
فارقة وعلى تشديدها فان نافية ولما بمعنى
الا والحافظ هو المهيمن الرقيب وهو الله تعالى
وكان الله على كل شيء رقيبا وكان الله على كل شيء
مقيتا او ملك يحفظ عملها ويحصي عليها
ما تكسب من خير وشر وروى الزمخشري عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال وكل بالمومن
مائة وستون ملكا يذبون عنه كما يذب عن
قصعة العسل الذباب ولو وكل العبد الى
نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين ولما
ذكر تعالى ان على كل نفس حافظا اتبعه بوصية
الانسان بالنظر في حاله فقال تعالى فلينظر
الانسان اى الانسان بنفسه الناظر في عطفه
نظر اعتبار في امره ونشاته الاولى حتى يعلم
ان من انشاه قادر على اعادته فيعمل ليوم الاعادة
والجزا ولا يملي على حافظه الا ما يسره في
عاقبته وقوله تعالى مم خلق اي من اي شيء

وجوابه

وجوابه خلق اي الانسان على الروجه واستهله
بعد خلق ابيه ادم عليه السلام من تراب وامه حواء
رضي الله عنهما من ضلعه من ماء دافق اي مدفوق
فاعل بمعنى مفعول كقوله تعالى عيشة راضية
اي دافق على النسب اي ذي دفق وانه فاق وقال
ابن عطية يصح ان يكون الماء دافقا لان بعضه
يدفق بعضا اي يدفعه فمنه دافق ومنه مدفوق
والدفق الصب اي مصبوب في الرحم ولم يقل ثم
من ماءين فانه من ماء الرجل وماء المراة لان
الولد مخلوق منهما لامتزاجهما في الرحم فصارا
كالماء الواحد واتحادهما حين ابتدي في خلقه يخرج
من بين الصلب اي للرجل وهو عظام الظهر
والترائب اي للمراة جمع التريبة وهي عظام الصدر
حيث تكون القلادة وعن عكرمة الترائب ما بين
ثدييها وقيل الترائب التراقي وقيل اضلاع
الرجل التي اسفل الصلب وحكى الزجاج ان
الترائب اربعة اضلاع من يمنة الصدر واربعة
اضلاع من يسرة الصدر وقال ابن عادل جاء
في الحديث ان الولد يخلق من ماء الرجل يخرج
من صلبه العظم والعصب ومن ماء المراة
يخرج من ترائبها اللحم والدم وحكى القرطبي ان

Copyright © King Saud University

ثم الرجل ينزل من الدماغ ثم يجتمع في الانثيين
وهذا لا يعارضه قوله تعالى من بين الصلب لانه
يجتمع في الانثيين قال المهدوي ومن جعل يخرج
من بين صلب الرجل وترائب المراة فالضمير
للانسان والضمير في قوله تعالى انه للخالق المدلول
عليه تعالى بخلق لانه معلوم انه لا خالق سواه سبحانه
وتعالى وفي الضمير في قوله تعالى على رجعه وجهان
احدهما انه ضمير الانسان اي بعثه بعد موته
لقادر وهذا قول ابن عباس والثاني انه ضمير
الماء اي يرجع المني في الاحليل او الصلب وهذا
قول مجاهد وعن الضحاك وان المعنى انه على رد
الانسان من الكبر الى الشباب ومن الشباب الى
الكبر وقال ابن زيد انه على حبس ذلك الماء حتى
لا يخرج لقادر وقال الماوردي ويحتمل انه قادر
على ان يعيده الى الدنيا بعد بعثه الى الاخرة
لان الكفار يسالون فيها الرجعة وقوله تعالى
يوم منصوب برجعه ومن جعل الضمير في
رجعه للماء وفسره برجعه اي بمرجعه من الصلب
والترائب او الاحليل وجعله الاولى نصب
الظرف بمضمر اي واذكر يوم تبلى اي تختبر
وتكشف السرائر اي ما استتر في القلوب من العقائد

والنيات

والنيات وغيرها وما اخفي من الاعمال وذلك يوم
القيامة وبلاؤها تعرفها وتصفحها والتمييز بين
ما طاب منها وما خبث وعن الحسن انه سمع رجلا
ينشد بيتا في مضمر القلب والحشا
سريرة ود يوم تبلى السرائر
فقال ما اغفله عما في والسماء والطارق اي السرائر
فرائض الاعمال كالصوم والصلاة والوضوء والغسل
من الجنابة فانها سرائر بين الله تعالى وبين العبد
ولو شاء العبد لقال صمت ولم يصم وصليت
ولم يصل واغتسلت ولم يغتسل فيختبر حتى
يظهر من اداها ممن ضيعها وقال ابن عمر يبدي
الله تعالى كل سر فيكون زينا في وجوه وشينا
في وجوه يعني من اداها كان وجهه مشرقا ومن
لم يؤدها كان وجهه اغبر فما له اي لهذا
الانسان المنكر للبعث الذي اخرجت سرائره
واغرق في النفي والتعميم فقال تعالى من قوة اي
منعة في نفسه يمتنع بها ولا ناصر اي ينصره من
عذاب الله تعالى فيدفعه عنه ثم ذكر تعالى قسما
اخر فقال تعالى والسماء اي التي تقدم الاقسام
بها وصفها بما تركه العلم للبعث فقال تعالى ذات
الرجع اي التي ترجع بالدوران الى الموضع الذي

Copyright @ King Saud University

تتحرك عنه فترجع الاحوال التي كانت وتصرمت من
الليل والنهار والشمس والقمر والكواكب والفصول
من الشتا وما فيه من برد ومطر والصيف وما فيه
من حر وصفا وسكون وغير ذلك وقيل ذات
النفع وقيل ذات الملائكة لرجوعهم فيها باعمال
العباد وقيل ذات المطر لعوده كل حين اولما قيل
من ان السحاب تحمل اما من البحار ثم ترجعه
الى الارض وعلى هذا يجوز ان يراد بالسما السحاب
والارض اي مسكنكم الذي انتم ملابسوه ومفا
ينوه كل وقت ذات الصدع اي تتصدع عن
النبات والشجر والثمار والانهار والعيون نظيره
قوله تعالى ثم شققنا الارض شقا الاية والصدع
بمعنى الشق لانه يصدع الارض فتنصدع به
فكان قال تعالى والارض ذات النبات وقال
مجاهد ذات الطرق التي تصدعها المشاة وقيل
ذات الحرث لانه يصدعها وقيل ذات الاموات
لاصداعهم عنها للنشور قال الرازي واعلم
انه تعالى كما جعل كيفية خلقة الحيوان دليلا
على معرفة المبتدا والمعاد ذكر في هذا القسم
كيفية خلقة النبات فقوله تعالى والارض ذات
الصدع كالام وكلاهما من النعم العظام لان نفع

والسما ذات الرجع كالاب وقوله تعالى

الدنيا

الدنيا موقوفة على ما ينزل من السماء مكررا وعلى ما ينبت
من الارض كذلك ثم اردف هذا القسم بالمقسم
عليه وهو قوله تعالى انه لقول فصل وفي هذا
الضمير قولان احدهما ما قاله القفال وهو ان المعنى
ان ما اخبرتكم به من قدرتي على احيائكم يوم تبلى
السرائر قول فصل وحق والثاني انه عائد على
القران اي القران فاصل بين الحق والباطل كما قيل
له فرقان قال الرازي والاول اولى لان عود
الضمير الى المذكور السابق اولى انتهى واكثر المفسرين
على الثاني والفصل الحكم الذي ينفصل به الحق
عن الباطل ومنه فصل الخصومات وهو
قطعها بالحكم الجزم ويقال هذا قول فصل قاطع
للشر والنزاع معناه جد لقوله تعالى وما هو اي
في باطنه ولا ظاهره بالهزل اي باللعب والبا
طل هو جد كله لا هوادة فيه ومن حقه وقد
وصف الله تعالى به لذلك ان يكون مهيبا في الصدور
معظما في القلوب يترفع به قاريه وسامعه
ان يلم بهزل او تتفكه بمزاح وان يلقي ذهنه
الى ان جبار السموات والارض يخاطبه فيامره
وينهاه ويعده ويوعده حتى ان لم يستفرق
الخوف ولم تتتابع منه الخشية فادنى امره ان

طل

يكون جادا غيرهازل فقد نفى الله تعالى عن المشركين
ذلك في قوله تعالى وتضحكون ولا تبكون وانتم
سامدون والغوا فيه هذا على عود الضمير للقران
وعلى جعله للاول فيكون التخصيص خائفا وجلا
من ذلك الذي يبلى فيه السرائر انهم اي الكفار
اعدا الله تعالى يكيدون كيدا اي يمكرون لمحمد
صلى الله عليه وسلم واصحابه مكرا واختلفوا في
ذلك الكيد فقيل القا الشبهات كقولهم ان هي
الا حياتنا الدنيا من يحيي العظام وهي رميم اجعل
الالهة الها واحدا وما اشبه ذلك وقيل
قصدهم قتله لقوله تعالى واذ يمكر بك الذين
كفروا الاية واما قوله تعالى واكيد اي انا (انتقم)
اقتدر كيدا واختلفوا فيه ايضا فقيل معناه
اجازيهم جزا كيدهم وقيل هو ما اوقع الله
تعالى يوم بدر من القتل والاسر وقيل استدرا
جهم من حيث لا يعلمون وقيل كيد الله
تعالى لهم نصره واعلا درجته تسمية لاحد
المتقابلين باسم الاخر كقوله تعالى وجزا
سيئة سيئة مثلها وقول الشاعر

الا لا يجهلن احد علينا
فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وقوله

٤٠٤

وقوله تعالى نسوا الله فنسيهم يخادعون الله
وهو خادعهم ولما كان هذا معلما بانهم عدم
لاعتبارهم قال تعالى مسببا عنه تهديدا لهم
فمهل الكافرين اي فمهل يا اشرف الخلق هولا السعدا
ولا تستعجل بالانتقام منهم ولا بالدعا عليهم
باهلاكهم فانا لا نعجل لان العجلة وهي ايقاع الشي
في غير وقته الاليق به نقص وقوله تعالى امهلهم
تاكيد حسنه مخالفة اللفظ اي انظرهم رويدا
اي قليلا وهو مصدر موكد بمعنى العامل مصغر
رودا او رود على الترخيم وقد اخذهم الله
تعالى ببدر ونسخ الامهال بالامر بالجهاد
والقتال وقول البيضاوي تبعا للزمخشري ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة
الطارق اعطاه الله تعالى بعدد كل نجم في السماء
عشر حسنات حديث موضوع

سورة الاعلى مكية

في قول الجمهور وقال الضحاك مدنية قال الملك
وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحبها لكثرة
ما اشتملت عليه من العلوم والخيرات وهي تسع
عشرة اية واثنان وسبعون كلمة ومائتان واربعة
وثمانون حرفا بسم الله عالم الغيب فلا يخفى عليه

خافية الرحمن الذي عم جوده كل انس وجن وملك
ودالة الرحيم الذي خص اولياءه بمعرفتهم احسا
نه واختلفوا في قوله تعالى سبح اسم ربك فالاكثرون
على ان المعنى نزه ربك المحسن اليك ايها الذاكر على
صفة الكمال عما لا يليق به فاسم زائد كقول
لبيد الى الحول ثم اسم السلام عليكما وقيل
عظم ربك الاعلى والاسم زائد كالاول وقصد
به تعظيم المسمى وذكر الطبري ان المعنى نزه
اسم ربك الاعلى عن ان تسمي به احدا سواه
وقيل نزه تسمية ربك وذكرك ربك اياه لان
تذكره الا وانت خاشع معظم لذكره وقال الرازي
معنى سبح اسم ربك الاعلى اي نزه عن كل ما لا
يليق به في ذاته وصفاته وفي اسمائه وافعاله
واحكامه اما في ذاته فان تعتقد انها ليست من
الجواهر والاعراض واما في صفاته فان تعتقد
انها ليست محدثة ولا متناهية ولا ناقصة
واما في افعاله فان تعتقد انه سبحانه مالك مطلق
لا اعتراض لاحد عليه في امر من الامور واما في
اسمائه فان لا تذكره سبحانه الا بالاسماء التي
لا توهم نقصا بوجه من الوجوه سواء ورد الاذن
فيها ام لم يرد واما في احكامه سبحانه فهي ان

تعلم

تعلم ان ما كلفنا لنفع يعود اليه بل لمحض المالكية قال
الشوكاني ويحتج بهذا من يجعل الاسم والمسمى واحدا
لان احدا لا يقول سبحان اسم الله وسبحان اسم ربنا
انما يقول سبحان الله وسبحان ربنا فكان معنى
سبح اسم ربك سبح ربك انتهى وكون الاسم
عين المسمى او غيره قد ذكرتها في مقدمتي على
البسملة والحمدلة وعن ابن عباس سبح اي صل
بامر ربك وذهب جماعة من الصحابة والتابعين
على ان المراد قل سبحان ربي الاعلى وعن ابن
عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا سبح
اسم ربك الاعلى فقال سبحان ربي الاعلى وعن
عقبة بن عامر لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم
قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوها
في ركوعكم ولما نزل سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها
في سجودكم وروي انه صلى الله عليه وسلم
كان يقول ذلك وروي ان اول من قال سبحان الا
ميكائيل ولما امر ملائكته بالتسبيح فكان سائلا قال
الاشتغال بالتسبيح انما يكون بعد المعرفة كما الدليل
على وجود الرب فقال تعالى الذي خلق اي اوجد
من العدم وله صفة الايجاد لكل ما اراده لا يتعذر
عليه شيء فسوى اي مخلوقه وقال الرازي يحتمل

علي

ان يريد الناس خاصة ويحتمل ان يريد الحيوان
ويحتمل ان يريد كل شي خلقه الله تعالى نعني حمله
على الانسان ذكر للتسوية وجوها احدها اعتدال
قامته وحسن خلقته كما قال تعالى لقد خلقنا الانسان
في احسن تقويم واثنى على نفسه بسبب خلقه اياه
بقوله تعالى فتبارك الله احسن الخالقين ثانيها
كل حيوان مستعد لنوع واحد من الاعمال فقط واما
الانسان فانه خلق بحيث يمكنه ان ياتي بجميع الاعمال
بواسطة الالات ثالثها انه تعالى هياه للتكليف
والقيام باداء العبادات وقال بعضهم خلق في
اصلاب الاباء وسوى في ارحام الامهات
ومن حمله على جميع الحيوانات فمعناه انه اعطى
كل حيوان ما يحتاج اليه من الات واعضاء ومن حمله
على جميع المخلوقات كان المراد من التسوية هو انه
تعالى قادر على كل الممكنات عالم بجميع المعلومات
يخلق ما اراد على وفق ارادته موصوفا بالاتقان
والاحكام مبرءا عن النقص والاضطراب وقرأ
والذي قدر الكسائي بتخفيف الدال والباقون
بالتشديد قال البغوي وهما بمعنى واحد اي اوقع
تقديره في اجناس الاشياء وانواعها واشخاصها
ومقاديرها وصفاتها وافعالها واجالها وغير

ذلك

ذلك من احوالها فجعل البطش لليد والمشي للرجل
والسمع للاذن والبصر للعين ونحو ذلك فهدى قال
مجاهد هدى الانسان لسبيل الخير والشر والسعادة
والشقاوة وهدى الانعام لمراعيها وقال مقاتل
والكلبي في قوله تعالى فهدى عرف خلقه كيف ياتي
الذكر الانثى كما قال تعالى في سورة طه اعطى كل
شي خلقه ثم هدى اي الذكر للانثى وقال عطا
جعل لكل دابة ما يصلحها وهداها له وقيل
قدر اقواتهم وارزاقهم وهداهم لمعاشهم ان كانوا
اناسا ولمراعيهم ان كانوا وحوشا وقال السدي قدر
مدة الجنين في الرحم ثم هداه الى الخروج من
الرحم ومن ذلك هداية الانسان الى مصالحه
من اغذيته وادويته وامور دنياه ودينه
والهامات البهائم والطيور وهوام الارض الى
معاشها ومصالحها يقال ان الافعى اذا اتت عليها
الف سنة عميت وقد الهمها الله تعالى ان تمسح
عينها بورق الرازيانج الغض فيرد اليها بصرها
فربما كانت في برية بينها وبين الريف مسيرة ايام
فتطوي تلك المسافة على طولها وعماها حتى تهجم
في بعض البساتين على شجرة الرازيانج لا تخطئها
فتحك بها عينها فترجع باصرة باذن الله تعالى

Copyright © King Saud University

وقيل فهدى اى دلهم بافعاله علي توحيده وكونه
عالما قادرا والاستدلال بالخلق وبالهداية
معتمد قال ابراهيم عليه السلام الذي خلقني
فهو يهدين وقال موسى لفرعون ربنا الذي اعطى
كل شي خلقه ثم هدى ولما ذكر سبحانه ما يختص
بالناس اتبعه ما يختص بالحيوان فقال تعالى
والذي اخرج المرعى اى انبت ما ترعاه الدواب
وقال ابن عباس المرعى الكلا الاخضر فجعله
اى بعد اطوار من زمن اخراجه بعد خضرته
غثاء اى جافا فانهما احوى اى اسود يابسا
قال الزمخشري ويجوز ان يكون احوى حالا
من المرعى اى اخرجه احوى اى اسود من
شدة الخضرة والري فجعله غثاء بعد حويه
وقال ابن زيد هذا مثل ضرب الله تعالى للكفار
لذهاب الدنيا بعد نضارتها وقوله تعالى سنقرئك
فلا تنسى بشارة من الله لنبيه صلى الله عليه
وسلم باعطا اية بينه وهى ان يقرا عليه جبريل
عليه السلام ما يقرا عليه من الوحي وهو امي لا يقرا
ولا يكتب فيحفظه ولا ينساه فهو نفي اخبر الله
تعالى ان نبيه لا ينسى صلى الله عليه وسلم
وقيل نهي والالف مزيدة للفاصلة كقوله

تقيه

تعالى السبيلا اي فلا تغفله كرامة وتكريره لئلا ينساه
ومنعه مكي لانه لا نهي عما ليس باختياره واجيب
بان هذا غير لازم اذ المعنى النهي عن تعاطي اسباب
النسيان وهو شايع قال الرازي وهذه الاية
تدل على المعجزة من وجهين الاول انه كان
رجلا اميا فحفظه لهذا الكتاب المطول من غير
دراسة ولا تكرار خارق للعادة فيكون معجزا
الثاني ان هذه السورة من اول ما نزل بمكة
فهذا اخبار عن امر عجيب مخالف للعادة سيقع
في المستقبل وقد وقع فكان هذا اخبارا فيكون
معجزا وفي الثنية في قوله تعالى الا ما شاء الله
اي الذي له الامر كله وجوه احدها التبرك بهذه
الكلمة كقوله تعالى ولا تقولن لشي اني فاعل ذلك
غدا الا ان يشاء الله فكانه تعالى يقول انى عالم
بجميع المعلومات وعالم بعواقب الامور على التفصيل
ومع ذلك لا اخبر بوقوع شي في المستقبل الا مع
هذه الكلمة فانت وامتك يا اشرف الخلق اولى بها
ثانيها قال الفرا انه تعالى ما شاء ان ينسى محمد صلى
الله عليه وسلم شيا الا ان المقصود من ذكر هذا
الاستثنا بيان انه تعالى لو اراد ان يصير
ناسيا لذلك لقدر عليه كقوله تعالى ولئن شينا

Copyright © King Saud University

لنذهبن بالذي أوحينا إليك ثم يقطع الله تعالى
ما شاء ذلك ونظيره قوله تعالى لئن أشركت ليحبطن
عملك مع أنه صلى الله عليه وسلم ما أشرك
البتة ففائدة هذا الاستثناء أن الله تعالى يعرفه
قدرته حتى يعلم أن عدم النسيان من فضل
الله تعالى وإحسانه لا من قوته ثانيها أن الله
تعالى لما ذكر هذا الاستثناء جوز صلى الله عليه
وسلم في كل ما ينزل عليه من الوحي أن يكون
ذلك هو المستثنى فلا جرم بالغ في التثبت
والتحفظ في جميع المواضع فكان المقصود من ذكر
الاستثناء بقاؤه صلى الله عليه وسلم على
التيقظ في جميع الأحوال رابعها أن ننساه بنسخ
تلاوته وحكمه وكان صلى الله عليه وسلم
يجهر بالقراءة مع قراءة جبريل عليه السلام خوف
النسيان فكأنه قيل له لا تعجل بها إنك لا تنسى
ولا تتعب نفسك بها بالجهر بها إنه أي الذي
مهما شاء كان يعلم الجهر أي القول والفعل وما
يخفى أي منهما وعن ابن عباس ما في قلبك ونفسك
وقال محمد بن حاتم يعلم إعلان الصدقة
وإخفاءها وقيل الجهر ما حفظته من القرآن
في صدرك وما يخفى ما نسخ من صدرك وقوله

تعالى

تعالى ونيسرك لليسرى عطف على سنقرئك فهو
داخل في خبر التنفيس وما بينهما من الجملة اعتراض
قال الضحاك واليسرى هي الشريعة اليسرى وهي
الحنيفية السهلة وقال ابن مسعود اليسرى الجنة
أي نيسرك إلى العمل المؤدي للجنة وقيل اليسرى
الطريقة اليسرى وهي أعمال الخير والأمر في قوله
تعالى فذكر للنبي صلى الله عليه وسلم أي فذكر
بالقرآن إن نفعت الذكرى أي الموعظة وإن
شرطية ومعناها استبعاد لتذكيرهم ومنه قول
القائل

لقد أسمعت لو ناديت حيا
ولكن لا حياة لمن تنادي

ولأنه صلى الله عليه وسلم قد استفرغ مجهوده
في تذكيرهم وما كانوا يزيدون على زيادة الذكرى
إلا عتوا وطغيانا وكان صلى الله عليه وسلم
يتلظى حسرة وتلهفا ويزداد جهدا في تذكيرهم
وحرصا عليه فقيل إن نفعت الذكرى وذلك
بعد إلزام الحجة بتكرير التذكير وقيل إن بمعنى
إذ كقوله تعالى وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين
وقيل بعده شيء محذوف تقديره إن نفعت الذكرى
وإن لم تنفع كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر أي

Copyright © King Saud University

والمبرد قال الفرا والنحاس وقيل ان بمعنى ما الا بمعنى
الشرط لان الذكرى باقية بكل حال ثم بين تعالى
من ينتفع الذكرى بقوله سبحانه سيذكر اي
يوعظ لاخلو فيه من يخشى اي يخاف الله تعالى
فهي كاية فذكر بالقرآن من يخاف وعيد وان
كان النبي صلى الله عليه وسلم يجب عليه تذكرهم
نفعتهم الذكرى ام لم تنفعهم وقال ابن عباس
نزلت في ابن ام مكتوم وقيل في عثمان بن
عفان قال الماوردي وقد تذكر من ترجوه الا
ان تذكر الخاشع ابلغ فلذلك علقها بالخشية
دون الرجا وقال القشيري المعنى عمهم انت
التذكير والوعظ وان كان الوعظ انما ينفع من
يخشى ولكن يحصل لك ثواب الدعا فان قيل
التذكير انما يكون لشي قد علم فذهل وهولا لم يزالوا
كفارا معاندين اجيب بان ذلك لظهوره
وقوة دليله كانه معلوم لكنه يزول بسبب
التقليد والعناد تنبيه السين في قوله
تعالى سيذكر يحتمل ان تكون بمعنى سوف وسوف من
الله تعالى واجب كقوله تعالى سنقرؤك فلا تنسى
ويحتمل ان تكون المعنى ان من خشي فانه تذكر
ان كان بعد حين بما تستعمل من التدبر والنظر

وما

وما بين تعالى من ينتفع بالذكرى بين من لا ينتفع بها
بقوله تعالى ويتجنبها اي الذكرى اي يتركها
جانبا لا يلتفت اليها الاشقى الذي يصلى النار
وهو الكافر فان قيل الاشقى يستدعي وجود شقي
فكيف قال هذا القسم اجيب بان لفظ الاشقى
من غير مشاركة كقوله تعالى اصحاب الجنة يومئذ
خير مستقرا واحسن مقيلا وقوله تعالى وهو
اهون عليه وقال الرازي الفرق ثلاث العارف
والمتوقف والمعاند فالسعيد هو العارف والمتوقف
له بعض الشقا والاشقى هو المعاند وقال الزمخشري
الاشقى الكافر لانه اشقى من الفاسق او والذي
هو اشقى الكفرة لتوغله في معاداة النبي صلى
الله عليه وسلم وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة
وعقبة بن ربيعة واختلف في قوله تعالى
الكبرى اي العظمى على وجوه احدها قال الحسن
هي نار جهنم والصغرى نار الدنيا ثانيها ان في
الاخرة نيرانا ودركات متفاضلة فكما ان
الكفار اشقى العصاة فكذلك يصلى اعظم النيران
ثالثها ان النار الكبرى هي النار السفلى فهي
نصيب الكفار كما قال تعالى ان المنافقين في
الدرك الاسفل من النار فان قيل قوله

Copyright © King Saud University

تعالى ثم لا يموت فيها ولا يحيى يقتضي ان ثم حالة
غير الحياة والموت وذلك غير المعقول اجيب
عن ذلك بوجهين احدهما لا يموت فيستريح ولا
يحيى حياة تنفعه كما قال تعالى لا يقضى عليهم
فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها وهذا جار
على مذهب العرب يقولون بالمبتلى البلا
الشديد لا هو حي ولا هو ميت ثانيهما ان نفس
احدهم في النار في حلقة لا تخرج فيموت ولا
ترجع الى موضعها فتحيى تنبيه قوله تعالى
ثم للتراخي بين الرتب في الشدة ولما ذكر تعالى
وعيد من اعرض عن النظر في دلائل الله
تعالى اتبعه بالوعد لضده فقال تعالى
قد افلح اي فاز بكل مراد من تزكى اي تطهر
من الكفر بالايمان لما روي عن ابن عباس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قد
افلح من تزكى اي شهد ان لا اله الا الله وخلع
الانداد وشهد اني رسول الله وقيل تطهر
للصلاة او ادى الزكاة وذكر اسم ربه اي
بقلبه ولسانه مكبرا فصلى اي الصلوات
الخمس قال الزمخشري وبه يحتج على وجوب
تكبيرة الافتتاح وعلى انها ليست من

الصلواة

الصلاة لان الصلاة معطوفة عليها وقال قتادة
تزكى عمل صالحا وعن عطا نزلت في صدقة الفطر
قال ابن سيرين قد افلح من تزكى قال خرج فصلى
بعد ما ادى زكاة الفطر وصلى صلاة العيد
قال بعضهم لا ادري ما وجه هذا التاويل فان
هذه السورة مكية ولم يكن بمكة عيد ولا زكاة
فطر واجاب البغوي بانه يجوز ان يكون
النزول سابقا على الحكم كقوله تعالى وانت حل
بهذا البلد والسورة مكية وظهر اثر الحل يوم
الفتح قال صلى الله عليه وسلم احلت لي ساعة
من نهار وقيل المراد زكاة الاعمال لا زكاة
الاموال اي زكى اعماله من الريا والتقصير
وروي عن عطا انه قال ان هذه الاية
نزلت في عثمان وذلك انه كان بالمدينة منافق
له نخلة مايلة الى دار رجل من الانصار اذا هبت
الريح تساقط منها بسر ورطب في دار الانصاري
فياكل هو وعياله من ذلك فخاصمه المنافق
فذكر الانصاري ذلك للنبي صلى الله عليه
وسلم فارسل خلف المنافق وهو لا يعلم نفاقه
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ان اخاك
الانصاري ذكر ان بسرك ورطبك يقع في

Copyright © King Saud University

في منزله فاكل هو وعياله منه فهل لك ان
اعطيك نخلة في الجنة بدلها قال ابيع عاجلا باجل
لا افعل فذكروا ان عثمان قد اعطاه حائطا
من نخل بدل نخلته يقول فيه قد افلح من
تزكى وفي المنافق ويتجنبها الاشقى وقال
الضحاك نزلت في ابي بكر وقرأ بل تؤثرون
الحياة الدنيا ابو عمرو بيا الغيبة والباقون
بتا الخطاب ومعناه على القراة الاولى بل تؤثرون
الاشقون وعلى القراة الثانية بل تؤثرون
ايها المسلمون الاستكثار من الدنيا اي الدنية
بالعز الحاضر مع انها شر وفانية استغفالا لانها
لاجل حضورها كالحيوانات التي هي مقيدة
بالمحسوسات على الاستكثار من الثواب والاخرة
اي والحال ان الدار التي هي غاية القصد
المبراة عن العيب المنزهة عن الخروج عن
الحكمة خير اي من الدنيا وابقى لانها تشتمل
على السعادة الجسمانية والروحانية والدنيا
ليست كذلك فالاخرة خير من الدنيا ولان
الدنيا لذاتها مخلوطة بالالام والاخرة ليست
كذلك ولان الدنيا فانية والاخرة باقية والباقي
خير من الفاني وعن عمر ما الدنيا في الاخرة

الا

الا كنفحة ارنب وعن ابن مسعود انه قرأ هذه
الاية فقال اتدرون لم اثرنا الحياة الدنيا على
الاخرة قلنا لا قال لان الدنيا احضرت وعجلت لنا
طعامها وشرابها وهناها ولذاتها وبهجتها وان
الاخرة نعتت لنا وزويت عنا فاحببنا العاجل
وتركنا الاجل والاشارة في قوله تعالى ان هذا
لفي الصحف الاولى الى قوله قد افلح من تزكى الى قوله
خير وابقى اي هذا الكلام وارد في تلك الصحف
وقيل الى ما في السورة كلها وهو رواية عكرمة
عن ابن عباس وقال الضحاك ان هذا القران لفي
الصحف الاولى ولم يرد ان هذه الالفاظ
بعينها في تلك الصحف ثم بين تلك الصحف وهي
المنزلة قبل القران بقوله تعالى صحف ابراهيم
وقدمه لان صحفه اقرب الى الوعظ كما نطق به
حديث ابي ذر وموسى وختم به لان الغالب على
كتابه الاحكام والمواعظ فيه قليلة ومنها
الزواجر البليغة كاللعن لمن خالف اوامر
التوراة التي اعظمها البشارة بمحمد صلى الله عليه
وسلم كم انزل الله من كتاب فقال مائة واربعة
كتب منها على ادم عشر صحف وعلى شيث خمسون
صحيفة وعلى اخنوخ وهو ادريس ثلاثون صحيفة

Copyright © King Saud University

وعلى ابراهيم عشر صحائف والتوراة والانجيل والزبور
والفرقان وقيل في صحف ابراهيم ينبغي للعاقل ان
يكون حافظا للسانه عارفا بزمانه مقبلا على شانه
وعن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقرا في الركعتين اللتين يوتر بعدهما بسبح
اسم ربك الاعلى وقل يا ايها الكافرون وفي الوتر
بقل هو الله احد وقل اعوذ برب الفلق وقل
اعوذ برب الناس وقرا الاعلى فسوى فهدى
المرعى احوى فلا تنسى وما يخفى من يخشى
الاشقى ولا يحيى من تزكى فصلى الدنيا وابقى
الاولى وموسى حمزة والكسائي بالامالة محضة
وقراة ورش وابو عمرو بين بين والفتح عن ورش
قليل اما الاعلى الذي والاشقى الذي اذا وقف
عليهما فالامالة وان وصلا فلا امالة
والباقون بالفتح وقول البيضاوي تبعا للزمخشري
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرا
سورة الاعلى اعطاه الله عشر حسنات بعدد
كل حرف انزله الله تعالى على ابراهيم وموسى
ومحمد عليهم السلام حديثه موضوع

سورة الغاشية مكية

بالاجماع وهي ست وعشرون اية واثنان وسبعون

كلمة

يد

كلمة وثلثمائة واحدى وثمانون حرفا بسم الله علام
الغيوب الرحمن كاشف الكروب الرحيم الذي خص اوليا
بالعفو عن الذنوب وقوله سبحانه وتعالى هل اتاك
حديث الغاشية فيه وجهان احدهما ان هل بمعنى قد
اي جاءك يا اشرف الخلق حديث الغاشية كقوله
تعالى هل اتى على الانسان حين من الدهر قاله قطرب
والثاني انه استفهام على حاله وتسميه اهل البيان
التشويق والمعنى ان لم يكن اتاك حديث الغاشية
فقد اتاك وهو معنى قول الكلبي والغاشية الداهية
التي تغشى الناس شدائدها وتلبسهم اهوالها
وهي القيامة من قوله يوم يغشاهم العذاب وقيل
هي النار من قوله تعالى وتغشى وجوههم النار
ومن فوقهم غواش وقيل المراد النفخة الثانية
للبعث لانها تغشى الخلق وقيل الغاشية اهل
النار يغشونها ويقتحمون فيها وجوه اي كثيرة جدا
كائنة يومئذ اي يوم اذ غشيت خاشعة اي ذليلة
من الخجل والفضيحة والخوف من العذاب والمراد
بالوجوه في الموضعين اصحابها عاملة ناصبة
اي ذات نصب وتعب قال سعيد بن جبير عن قتادة
تكبرت في الدنيا عن طاعة الله تعالى فاعملها الله
تعالى وانصبها في النار بجر السلاسل الثقال

Copyright © King Saud University

وحمل الاغلال والوقوف حفاة عراة في العرصات في يوم
كان مقداره الف سنة وقال ابن مسعود تخوض في
النار كما تخوض الابل في الوحل وقال الحسن لم
تعمل لله في الدنيا فلم تنصب له فاعملها وانصبها
في جهنم وقال ابن عباس هم الذين انصبوا انفسهم
في الدنيا على معصية الله تعالى على الكفر مثل عبدة
الاوثان والرهبان وغيرهم لا يقبل الله تعالى
منهم الا ما كان خالصا له وعن علي انهم الخوارج
التي ذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وصيامكم مع
صيامهم واعمالكم مع اعمالهم يمرقون من الدين
كما يمرق السهم من الرمية الحديث وقرأ تصلى
ابو عمرو وشعبة بضم التاء الفوقية على ما لم
يسم فاعله والباقون بفتحها على تسمية الفا
عل والضمير على كلتا القراءتين للوجوه والمعنى
تدخل نارا حامية اي شديدة الحر قد حميت واوقدت
مدة طويلة ومنه حمي النهار بالكسر اي اشتد
حره وحكى الكسائي اشتد حمي الشمس وحموها
بمعنى قال صلى الله عليه وسلم اوقد عليها الف سنة
حتى احمرت ثم اوقد عليها الف سنة حتى ابيضت
ثم اوقد عليها الف سنة حتى اسودت فهي سوداء

مظلمة

مظلمة وقيل المصلي عند العرب ان يحفر حفيرا
فيجمعون فيه جمرا كثيرا ثم يعمدوا الى شاة فيدسونها
وسطه فاما ما شوي فوق الجمر او على المقلى او في
التنور فلا يسمى مصليا ولما بين تعالى مكانهم ذكر
ة شرابهم فقال تعالى تسقى من عين آنية اي شديدة
الحرارة كقوله تعالى من حميم آن اي متناهية في
الحرارة روي انه لو وقعت منها قطرة على جبال
الدنيا لاذابتها ولما ذكر تعالى شرابهم اتبعه بذكر
طعامهم فقال تعالى ليس لهم طعام الا من ضريع
قال مجاهد هو نبت ذو شوك لاطئ بالارض
تسميه قريش الشبرق فاذا هاج سموها الضريع
وهو اخبث طعام واشنعه قال الكلبي لا تقربه
دابة اذا يبس وقال ابن زيد اما في الدنيا فان
الضريع الشوك اليابس الذي له ورق وهو في
الآخرة شوك من نار وجاء في الحديث عن
ابن عباس يرفعه الضريع شيء في النار يشبه الشوك
امر من الصبر وانتن من الجيفة واشد حرا من
النار قال ابو الدرداء والحسن ان الله تعالى يرسل
على اهل النار الجوع حتى يعدل عندهم ما هم فيه
من العذاب فيستغيثون فيغاثون بالضريع
ذي غصة فيذكرون انهم كانوا يجيزون الغصص

Copyright © King Saud University

في الدنيا بالما فيستسقون فيعطيهم الوسنة ثم
يسقون من عين انية لا هنيئة ولا مريئة فلما
ادنوه من وجوههم سلخ وجوه جلودهم وشواها
فاذا وصل بطونهم اقطعها فذلك قوله تعالى وسقوا
ماء حميما فقطع امعاهم قال بعض المفسرين فلما
نزلت هذه الاية قال المشركون ان ابلنا لتسمن
على الضريع وكذبوا في ذلك فان الابل انما ترعاه
مادام رطبا ويسمى شبرقا فاذا يبس لا ياكله
شي قال ذويب يصف حمارا
عن الشبرق الريان حتى اذا ذوي
وصار ضريعا بان عنه النحايص والنحوص من
الاتن التي لا لبن لها فلما قالوا ذلك انزل
الله تعالى تكذيبا لهم لا يسمن ولا يغني اي يكفي
كفاية مبتدأة من جوع فلا يحفظ الصحة
ولا يمنع الهزال فنفى السمن والشبع عنه وعلى
تقدير ان يصدق قولهم فيكون المعنى ان طعامكم
من ضريع ليس من جنس ضريعكم انما هو
ضريع غير مسمن ولا مغني من جوع فان قيل
كيف قيل ليس لهم طعام الا من ضريع وفي
الحاقة ولا طعام الا من غسلين اجيب
بان العذاب الوان والمعذبون طبقات فمنهم

اكلة

اكلة الضريع لكل باب منهم جزء مقسوم ولما ذكر تعـ
وعيد الكفار اتبعه بشرح احوال المؤمنين فقال
تعالى وجوه يومئذ اي يوم تغشى الناس ووصفها
بصفات الاولى قوله تعالى ناعمة اي ذات بهجة
وحسن كقوله تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم
او متنعمة قال مقاتل في نعمة وكرامة الصفة
الثانية قوله تعالى لسعيها اي في الاخرة لثواب
سعيها حين رات ما اداهم الله من الكرامة الصفة
الثالثة قوله تعالى في جنة ثم وصف الجنة
بصفات الاولى قوله تعالى عالية اي علية
المحل والقدر الصفة الثانية قوله تعالى لا تسمع
فيها لاغية قرا بالتا الفوقية نافع مضمومة لاغية
بالرفع لقيامها مقام الفاعل والباقون بالتاء
الفوقية مفتوحة لاغية بالنصب فيجوز ان
تكون التا للخطاب اي لا تسمع انت وان تكون
للتانيث اي لا تسمع الوجوه واللغو قال ابن عباس
الكذب والبهتان والكفر بالله تعالى وقال قتادة
لا باطل ولا اثم وقال الحسن هو الشتم وقال الفرا
الحلف الكاذب والاولى ما قيل لا يسمع في كلامهم
كلمة ذات لغو لانما يتكلمون بالحكمة وحمد الله
تعالى على ما رزقهم من النعيم الدائم وهذا

الدنيا بالاعمال الصالحة
راضية اي في صـ

Copyright © King Saud University

احسن الاقوال قاله القفال وقال الكلبي لا يرمى في
الجنة بحلف بيمين لا برة ولا فاجرة الصفة الثالثة
قوله تعالى فيها اي الجنة عين جارية قال
الزمخشري يريد عيونا في غاية الكثرة كقوله
تعالى علمت نفس وقال القفال فيها عين شراب جارية
على وجه الارض من غير اخدود وتجري لهم
كما ارادوا الصفة الرابعة قوله تعالى فيها سرر
مرفوعة اي عالية في الهوا قال ابن عباس الواحها
من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت
مرتفعة في السماء ما لم يجي اهلها فاذا ارادوا
ان يجلسوا عليها تواضعت ثم ترتفع الى موا
ضعها الصفة الخامسة قوله تعالى واكواب
موضوعة جمع كوب وهي الكيزان التي لا عرى
لها قال قتادة فهي دون الابريق وفي قوله
تعالى موضوعة وجوه احدها انها معدة
لاهلها كالرجل يلتمس من الرجل شيا فيقول
هو هاهنا موضوع بمعنى معد ثانيها موضوعة
على حافات العين الجارية كلما ارادوا الشرب وجدوها
مملوة من الشراب ثالثها موضوعة بين ايديهم
لاستحسانهم اياها بسبب كونها من ذهب او
فضة او من جواهر وتلذذهم بالشراب فيها

رابعها

رابعها ان يكون المراد موضوعة عن حد الكبر اي هي
اوساط بين الكبر والصغر كقوله قدروها تقديرا
الصفة السادسة قوله تعالى ونمارق هي الوسائد
واحدها نمرقة بضم النون والراء وكسرهما لغتان
اشهرهما الاولى وهي وسادة صغيرة قالت
نحن بنات طارق نمشي على النمارق ، مصفوفة
اي واحدة الى جنب واحدة قال الشاعر ،
كهولا وشبانا حسانا وجوههم ،
لهم سرر مصفوفة ونمارق ،
الصفة السابعة قوله تعالى وزرابي جمع زربية
بفتح الزاي وكسرها لغتان مشهورتان وهي بسط
عراض فاخرة وقال ابن عباس هي الطنافس
التي لها خمل اي وبر رقيق واختلف في قوله
تعالى مبثوثة قال قتادة مبسوطة وقال عكرمة
بعضها فوق بعض وقال الفرا كثيرة وقال القتيبي
مفرقة في المجالس قال القرطبي وهذا اصح فهي
كثيرة متفرقة ومنه قوله تعالى وبث فيهما من
كل دابة ولما ذكر تعالى امر الدارين تعجب الكفار
من ذلك فكذبوه وانكروه فذكرهم الله تعالى
صنعه وقدرته بقوله تعالى افلا ينظرون اي
المنكرون لقدرته سبحانه وتعالى على الجنة وما

وما ذكر فيها والنار وما ذكر فيها اي نظرا اعتبار الى
الابل وتنبيه على انه عجيب خلقتها مما ينبغي ان
تتوخر الدعاوي على الاستفهام والسوال عنه
باداة الاستفهام فقال تعالى كيف خلقت اي
خلقا عجيبا دالا على كمال قدرته وحسن تدبيره
حيث خلقتها للنهوض بالاثقال وجرها الى
البلاد النائية فجعلها تبرك حتى تحمل عن قرب
ويسر ثم تنهض بما حملت وسخرها منقادة
لكل من اقتادها بازمتها لا تعارض ضعيفا ولا
تنازع صغيرا وبرانها طوال الاعناق لتنوء
بالاوقار عن بعض الحكما انه حدث عن البعير
وبديع خلقته وقد نشا في بلاد لا ابل بها فتفكر
ثم قال يوشك ان تكون طوال الاعناق
وحين ارادتها ان تكون سفاين البر صبرها
على احتمال العطش حتى ان ظماها ليصير
على عشر فصاعدا ليتاتى لها قطع البراري والمفاوز
مع ما لها من منافع اخر ولذلك خصت بالذكر
لبيان الايات المنبثة في الحيوانات التي هي
اشرف المركبات واكثرها صنعا ولانها اعجب
ما عند العرب من هذا النوع لانها ترعى كل شي
نابت في البراري والمفاوز مما لا ترعاه سائر

البهايم

البهايم وعن سعيد بن جبير قال لقيت شريحا القاضي
فقلت له اين تريد قال اريد الكناسة قلت
وما تصنع بها قال انظر الى الابل كيف خلقت تنبيه
الابل اسم جمع واحده بعير وناقة وجمل ولا واحد
لها من لفظها وقال المبرد الابل هنا القطع
العظيمة من السحاب قال الثعلبي ولم اجد
لذلك اصلا في كتب الايمة وقال الماوردي وفي
الابل وجهان اظهرهما انها الابل والثاني انها
السحاب فان كان المراد بها السحاب فلما فيها
رفع من الايات والدلالات الدالة على قدرته والمنافع
العامة لجميع خلقه وان كان المراد بها الابل فلان
الابل اجمع للمنافع من ساير الحيوانات لان ضروب
الحيوان اربعة حلوبة وركوبة واكولة وحمولة
والابل تجمع هذه الخلال الاربع فكانت النعمة
بها اعم وظهور القدرة فيها اعم وقيل للحسن
الفيل اعظم في الاعجوبة فقال العرب بعيدة
العهد بالفيل ثم هو لا يوكل لحمه ولا يركب
ظهره ولا يحلب دره والى السماء التي هي من جملة
مخلوقاتنا كيف رفعت اي رفعا بعيدا بلا امساك
وبغير عمد على ما لها من السعة والكبر والثقل
يب والاحكام وما فيها من الكواكب والغرايب والعجا

والي الجبال اي الشامخة وهي اوتاد الارض كيف نصبت نصبا ثابتا فهي راسخة لا تميل ولا تزول كما قال تعالى وجعلنا في الارض رواسي ان تميد بكم والي الارض اي على سعتها كيف سطحت سطحا بتمهيد وتوطية فهي مهاد للتقلب عليها واستدل بعضهم بذلك على ان الارض ليست بكرة قال الرازي وهو ضعيف لان الكرة اذا كانت في غاية العظمة تكون كل قطعة منها كالسطح فان قيل كيف حسن ذكر الابل مع السماء والجبال والارض ولا مناسبة اجيب بان من فسرها بالسحاب فالمناسبة ظاهرة وذلك على سبيل التشبيه والمجاز ومن فسرها بالابل فالمناسبة بينها وبين السماء والارض والجبال من وجهين احدهما ان القران نزل على العرب وكانوا يسافرون كثيرا ويسيرون عليها في اوديتهم وبواديهم مستوحشين ومنفردين عن الناس والانسان اذا انفرد اقبل على التفكر في الاشيا لانه ليس معه من يحادثه وليس هناك من يشغل به سمعه وبصره فلا بد من ان يشغل داته التفكر فاذا تفكر في تلك الحال فاول ما يقع بصره على

البعير

البعير الذي هو راكبه فيرى منظرا عجيبا وان نظر الى فوق لم ير غير السماء وان نظر يمينا وشمالا لم ير غير الجبال وان نظر الى تحت لم ير غير الارض فكانه تعالى امره بالنظر وقت الخلود والانفراد حتى لا تحمله داعية الكبر والحسد على ترك النظر ثانيهما ان جميع المخلوقات دالة على الصانع جلت قدرته الا انها قسمان منها ما للشهوة فيه حظ كالوجه الحسن والبساتين النزهة والذهب والفضة فهذه مع دلالتها على الصانع قد يمنع استحسانها عن كمال النظر ومنها ما لا حظ فيه للشهوة كهذه الاشيا فامر بالنظر فيها اذ لا مانع من اكمال النظر فيها وقال عطا عن ابن عباس كان الله تعالى يقول هل يقدر واحد ان يخلق مثل الابل او يرفع مثل السماء او ينصب مثل الجبال او يسطح مثل الارض غيري ولما بين تعالى الدلايل على صحة التوحيد والمعاد قال سبحانه لرسوله صلى الله عليه وسلم فذكر اي بنعم الله تعالى ودلايل توحيده وعظهم بذلك وخوفهم باشرف الخلق انما انت مذكر فلا عليك ان لم ينظروا ولم يذكروا وما عليك الا البلاغ كما قال تعالى ان عليك الا البلاغ لست عليهم بمصيطر اي بمسلط فتقتلهم وتكرههم

على الايمان كقوله تعالى وما انت عليهم بجبار وهذا
قبل الامر بالجهاد وقراءة هشام بالسين وقراءة
حمزة بخلاف عن خلق باشمام الصاد كالزاي والبا
قون بالصاد الخالصة وقوله تعالى الا من تولى
استثناء منقطع اي لكن من تولى عن الايمان
وكفر اي بالقران فيعذبه الله اي الذي له
الكمال كله بسبب تكبره على الحق ومخالفته لامره
العذاب الاكبر اي عذاب الاخرة لانهم عذبوا
في الدنيا بالجوع والقحط والقتل والاسر وقيل
استثناء متصل فان جهاد الكفار وقتلهم
تسلط فكانه اوعدهم بالجهاد في الدنيا وعذاب
النار في الاخرة وقيل هو استثناء من قوله
تعالى فذكر الا من انقطع طمعك من ايمانه وتولى
فاستحق العذاب الاكبر وما بينهما اعتراض ان
الينا اي خاصة بما لنا من العظمة ايابهم اي
رجوعهم بعد البعث ثم ان علينا اي خاصة
بما لنا من القدرة والتنزه عن نقص العيب
والجور وكل نقص لا على غيرنا حسابهم اي
جزاءهم فلا نتركه ابدا وفي هذه تسلية للنبي
صلى الله عليه وسلم فانه كان يشق عليه
تكذيبهم فان قيل ما معنى تقديم الظرف اجيب

بان معناه التشديد في الوعيد وان ايابهم ليس الا الى
الجبار المقتدر على الانتقام وان حسابهم ليس الا
عليه وهو الذي يحاسب على النقير والقطمير وقول
البيضاوي تبعا للزمخشري ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال من قرا الغاشية حاسبه الله
حسابا يسيرا حديث موضوع

سورة الفجر مكية

وقيل مدنية وهي تسع وعشرون اية وقيل ثلاثون
اية ومائة وتسع وثلاثون كلمة وخمسمائة وسبعة
وتسعون حرفا بسم الله الملك المعبود الرحمن
الذي عم خلقه بالكرم والجود الرحيم الذي سدد
اهل عنايته بفضله فهو الحليم الودود وقوله
تعالى والفجر اي فجر كل يوم قسم كما اقسم بالصبح
في قوله تعالى والصبح اذا اسفر والصبح اذا تنفس
وقال قتادة هو فجر اول يوم من المحرم تنفجر
منه السنة وقال الضحاك فجر ذي الحجة وقيل ذلك
على مضاف محذوف اي وصلاة الفجر وقيل ورب
الفجر وتعقب بان الله تعالى يقسم بما شاء من مخلوقاته
واختلف في قوله تعالى وليال عشر فقال مجاهد
وقتادة هو عشر ذي الحجة وقال الضحاك هو
العشر الاول من رمضان وعن ابن عباس انه

العشر الاخير من رمضان وعن يمان بن رباب
هو العشر الاول من المحرم التي عاشورها يوم
عاشوراء ولصومه فضل عظيم فان قيل لم
نكر الليالي من بين ما اقسم به اجيب
بان ذلك للتعظيم والشفع اي الزوج والوتر اي
الفرد وقيل الشفع الخلق كلهم قال الله تعالى
وخلقناكم ازواجا والوتر هو الله تعالى قاله
ابو سعيد الخدري وقال مجاهد ومسروق الشفع
الخلق كله قال الله تعالى ومن كل شيء خلقنا
زوجين الكفر والايمان والهدى والضلال
والسعادة والشقاوة والليل والنهار والسما
والارض والبر والبحر والشمس والقمر والجن والانس
والوتر هو الله تعالى قل هو الله احد وقال
قتادة هذه الصلوات منها شفع ومنها وتر
روى ذلك عن عمران بن حصين مرفوعا
وعن ابن عباس الشفع صلاة الغداة والوتر
صلاة المغرب وقال الحسين بن الفضل الشفع
درجات الجنة لانها ثمان والوتر دركات النار
لانها سبع وقيل ابو بكر الوراق عن الشفع
والوتر فقال الشفع تضاد اوصاف المخلوقين
العز والذل والقدرة والعجز والقوة والضعف

والعلم

والعلم والجهل والبصر والعمى والوتر انفراد صفات
الله تعالى عز بلا ذل وقدرة بلا عجز وقوة بلا
ضعف وعلم بلا جهل وحياة بلا موت وعن
عكرمة الوتر يوم عرفة والشفع يوم النحر واختاره
النحاس وقال هو الذي صح عن النبي صلى الله
عليه وسلم فيوم عرفة وتر لانه تاسعها ويوم
النحر شفع لانه عاشرها وقال ابن الزبير الشفع
الحادي عشر والثاني عشر من ايام منى والوتر
الثالث عشر وقال الضحاك الشفع عشر ذي
الحجة والوتر ايام منى الثلاثة وقيل الشفع
والوتر ادم عليه السلام كان وترا فشفع بزوجته
حوا حكاه القشيري عن ابن عباس وقرا حمزة
والكسائي بكسر الواو والباقون بفتحها وهما
لغتان الفتح لغة قريش ومن والاها والكسر لغة
تميم وقوله تعالى والليل اذا يسر قسم خامس
بعد ما اقسم بالليالي العشر الخصوص اقسم به
على العموم ومعنى يسر سار وذهب كما قال
تعالى والليل اذ ادبر وقال قتادة اذا جاء واقبل
وقيل معنى يسر اي يسرى فيه كما يقال ليل نائم
ونهار صائم ومنه قوله تعالى بل مكر الليل
والنهار وقرا نافع وابو عمرو باثبات الياء بعد

Copyright © King Saud University

الراكد وصلا لا وقفا واثبتها ابن كثير في الحالين وحذ
فها الباقون في الحالين لسقوطها في خط المصحف
الكريم واثباتها هو الاصل لانها لام مضارع مرفوع
ومن فرق بين حالتي الوقف والاصل فلان
الوقف محل استراحة وسئل الاخفش عن
العلة في سقوط اليا فقال الليل لا يسري ولكن
يسرى فيه فهو مصروف فلما صرفه بخسه
حظه من الاعراب كقوله تعالى وما كانت امك
بغيا ولم يقل بغية لانه صرفه عن باغية وهذه
الاسما كلها مجرورة بالقسم والجواب محذوف
تقديره لتعذبن يا كفار مكة بدليل قوله تعالى
الم تر كيف فعل ربك بعاد الى قوله فصب
عليهم ربك سوط عذاب ان ربك لبالمرصاد
وما بينهما اعتراض وقوله تعالى هل في ذلك اي
القسم والمقسم به قسم اي حلف او محلوف
لذي حجر استفهام معناه التقرير كقولك الم
انعم عليك اذا كنت قد انعمت او المراد منه
التاكيد لما اقسم به واقسم عليه كمن ذكر حجة
باهرة ثم قال هل فيما ذكرته حجة والمعنى
ان من كان ذا لب علم ان ما اقسم الله تعالى
به من هذه الاشيا فيه عجايب ودلايل على

التوحيد

التوحيد والربوبية فهو حقيق بان يقسم به لدلالته
على خالقه والحجر العقل لانه يحجر عن التهافت فيما
لا ينبغي كما سمي عقلا ونهية لانه يعقل وينهى وحصيها ه
من الاحصا وهو الضبط وقال الفرا يقال انه
لذو حجر اذا كان قاهرا لنفسه ضابطا لها وقوله
تعالى الم تر خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
ولكن المراد به العموم والمراد بالروية العلم اي
الم تر يا اشرف رسلنا كيف فعل ربك اي المحسن
اليك بانواع النعم بعاد ارم وهو ابن عوص ابن
ارم بن سام بن نوح عليه السلام ثم انهم جعلوا
لفظ عاد اسما للقبيلة كما يقال لبني هاشم
هاشم ولبني تميم تميم ثم قيل للاولين منهم
عاد الاولى وارم تسمية لهم باسم جدهم
ولمن بعدهم عاد الاخيرة فارم في قوله تعالى
عاد ارم عطف بيان لعاد وايذان بانهم عاد
الاولى القديمة وقيل ارم بلدتهم وارضهم
التي كانوا فيها وقوله تعالى ذات اي صاحبة
العماد ننظر فيه ان كان صفة للقبيلة فالمعنى
انهم كانوا بدويين اهل عمد وطوال الاجسام
على تشبيه قدودهم بالاعمدة وقيل ذات
البنا الرفيع وان كانت صفة للبلدة فالمعنى

Copyright © King Saud University

ذات اساطين وروي انه كان لعاد ابنان شداد
وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد وخلص
الامر لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها فسمع
بذكر الجنة فقال ابني مثلها فبنى ارم في بعض
صحاري عدن في ثلثماية سنة وكان عمره تسعماية
سنة وهي مدينة عظيمة قصورها من الذهب
والفضة واساطينها من الزبرجد والياقوت
وفيها اصناف الاشجار والانهار المطردة ولما
تم بناؤها سار اليها باهل مملكته فلما كان منها
على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة
من السماء فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة
انه خرج في طلب ابل له فوقع عليها فحمل ما قدر
عليه مما ثم وبلغ خبره معاوية فاستحضره
فقص عليه فبعث الى كعب فسأله فقال هي ارم
ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين في
زمانك احمر اشقر قصير على حاجبه خال
وعلى عقبه خال يخرج في طلب ابل له ثم
التفت فابصر ابن قلابة فقال هذا والله ذلك
الرجل وقوله تعالى **التي لم يخلق مثلها في**
البلاد صفة اخرى لارم فان كانت للقبيلة
فلم يخلق مثل عاد في البلاد عظم اجرام وقوة

قال

قال الزمخشري وكان ياتي الصخرة العظيمة فيحملها
فيلقيها على الحي فيهلكهم وروي عن مالك انه
كان ليعمر بهم ماية سنة لا يرون فيها جنازة وان
كانت للبلدة فلم يخلق مثل مدينة شداد في
جميع بلاد الدنيا والمقصود من هذه الحكاية
زجر الكفار فان الله تعالى بين انه اهلكهم
بما كفروا وكذبوا الرسل مع الذي اختصوا به
من هذه الوجوه فلان تكونوا مثل ذلك ايها
الكفار اذا اقمتم على كفركم مع ضعفكم اولى وقد
ذكر لكم الله تعالى ثلاث قصص هذه القصة
الاولى واما الثانية فهي في قوله تعالى **وثمود**
الذين جابوا اي قطعوا **الصخر** جمع صخرة وهو
الحجر واتخذوها بيوتا كقوله تعالى وتنحتون من
الجبال بيوتا **بالواد** اي وادي القرى قيل
اول من نحت الجبال والصخور والرخام ثمود
وبنوا الفا وسبعماية مدينة كلها من الحجارة
وقيل سبعماية الاف مدينة كلها من الحجارة
تنبيه اثبت الياء ورش وابن كثير وصلا
واثبتها وقفا ابن كثير بخلاف عن قنبل واما
القصة الثالثة فهي في قوله تعالى **وفرعون**
اي وفعل بفرعون **ذي الاوتاد** اختلفوا في تسميته

Copyright © King Saud University

بذلك على وجهين احدهما انه سمي بذلك على كثرة
جنوده ومضارعهم التي كانوا يضربونها اذا نزلوا
والثاني انه كان يتد اربعة اوتاد يشد اليها يدي
ورجلي من يعذبه وعن عطا عن ابن عباس ان
فرعون انما سمي ذا الاوتاد انه كانت امراة وهي
امراة خازنه حزبيل وكان مومنا كتم ايمانه
مائة سنة وكانت امراته ماشطة بنت فرعون
فبينما هي ذات يوم تمشط راس بنت فرعون اذ
سقط المشط من يدها فقالت تعس من كفر
بالله فقالت بنت فرعون وهل لك اله غير
ابي فقالت الهي واله ابيك واله السموات والارض
واحد لا شريك له فقامت قد خلت على
ابيها وهي تبكي قال ما يبكيك فقالت الماشطة
امراة خازنك تزعم ان الهك والهها واله
السموات والارض واحد لا شريك له فارسل
اليها فسالها عن ذلك فقالت صدقت فقال لها
ويحك اكفري بالهك واقري باني الهك قالت
لا افعل فمدها بين اربعة اوتاد ثم ارسل عليها
الحيات والعقارب وقال لها اكفري بالله والا
عذبتك بهذا العذاب شهرين فقالت له لو
عذبتني سبعين شهرا ما كفرت بالله وكان لها

ابنتان

ابنتان فجا بابنتها الكبرى فذبحها على فمها وقال
لها اكفري بالله والا ذبحت الصغرى على فمك
وكانت رضيعا فقالت لو ذبحت من في الارض
على في ما كفرت بالله عز وجل فاتي بابنتها فلما
اضجعت على صدرها واراد ذبحها جزعت المراة
فانطق الله تعالى لسان ابنتها فتكلمت وهي من
الاربعة الذين تكلموا اطفالا وقالت يا اماه
لا تجزعي فان الله تعالى قد بنا لك بيتا في الجنة
فاصبري فانك تفضين الى رحمة الله تعالى
وكرامته فذبحت فلم تلبث ان ماتت فاسكنها
الله تعالى الجنة قال وبعث في طلب زوجها
حزبيل فلم يقدروا عليه فقيل لفرعون
انه قد روي في موضع كذا في جبل كذا فبعث
رجلين في طلبه فاتيها اليه وهو يصلي ويليه
صفوف من الوحوش خلفه يصلون فلما رايا
ذلك انصرفا فقال حزبيل اللهم انك تعلم
اني كتمت ايماني مائة سنة ولم يظهر علي احد
فايما هذين الرجلين اظهر علي عقوبته في الدنيا
واجعل مصيره في الاخرة الى النار فانصرف الرجلان
الى فرعون فاما احدهما فاعتبر وامن واما الاخر
فاخبر فرعون بالقصة على روس الملا فقال

حلان

Copyright © King Saud University

لہ فرعون وهل معك غيرك قال نعم فلان فدعا
به فقال حق ما يقول هذا قال لا ما رايت الا قال
شيا فاعطاه فرعون فاجزل واما الاخر فقتله
ثم صلبه قال وكان فرعون قد تزوج امراة
من اجمل نساء اسرائيل يقال لها اسية امراة
من اجمل نساء اسرائيل يقال لها اسية بنت
مزاحم فرات ما صنع فرعون بالماشطة فقالت
وكيف يسعني ان اصبر على ما ياتي فرعون وانا
مسلمة وهو كافر فبينما هي كذلك تؤامر نفسها
اذ دخل عليها فرعون فجلس قريبا منها فقالت
يا فرعون انت اشر الخلق واخبثه عمدت الى الما
شطة فقتلتها قال فلعل بك الجنون الذي
كان بها قالت ما بي من جنون وان الهي والهها
والهك واله السموات والارض واحد لا شريك
له فمزق ما عليها وضربها وارسل الى ابويها
فدعاهما فقال لهما الا تريان ان الجنون التي
كان بالماشطة اصابها قالت اعوذ بالله من
ذلك اني اشهد ان ربي وربك ورب السموات
والارض واحد لا شريك له فقال ابوها يا اسية
الست من خير نساء العماليق وزوجك اله
العماليق قالت اعوذ بالله من ذلك ان كان

مايقول

ما يقول حقا فقولا له ان يتوجني تاجا تكون الشمس
امامه والقمر خلفه والكواكب حوله فقال لهما فرعون
اخرجا بها عني فمدها بين اربعة اوتاد يعذبها ففتح
الله لها بابا الى الجنة ليهون عليها ما يصنع بها
فرعون فعند ذلك قالت رب ابن لي عندك بيتا
في الجنة ونجني من فرعون وعمله فقبض الله
روحها وادخلها الجنة وروي عن ابي هريرة
ان فرعون وتد لامراته اربعة اوتاد وجعل
على صدرها رحى واستقبل بها عين الشمس
فرفعت راسها الى السماء وقالت رب ابن لي
عندك بيتا في الجنة ففرج الله تعالى عن بيتها
في الجنة فرات وقوله تعالى **الذين طغوا** اي تمردوا
في البلاد في محل نصب على الذم ويجوز ان يكون
مرفوعا على هم الذين طغوا في البلاد او مجرورا
على وصف المذكورين عاد وثمود وفرعون فالضمير
يرجع لعاد وثمود وفرعون وقيل يرجع الى
فرعون خاصة **فاكثروا** اي بطغيانهم **فيها
الفساد** اي بالقتل والكفر والمعاصي قال القفال
وبالجملة فالفساد ضد الصلاح فكما ان الصلاح
يتناول جميع اقسام البر فالفساد يتناول جميع
اقسام الاثم فمن عمل بغير امر الله تعالى وحكم

Copyright © King Saud University

في عبادة بالظلم فهو مفسد **فصب** اي انزل انزالا
قويا في غاية القوة **عليهم** اي في الدنيا **ربك** اي
المحسن اليك بكل جميل **سوط** اي نوع **عذاب** وقال
قتادة يعني الوانا من العذاب صبه عليهم وقال
اهل المعاني هذا على الاستعارة لان السوط عند
هم غاية العذاب وقال الفراء هي كلمة تقولها
العرب لكل نوع من انواع العذاب واصل ذلك
ان السوط هو عذابهم الذي يعذبون به فجرى
لكل عذاب اذا كان فيه غاية العذاب وقال
الزجاج جعل سوطهم الذي ضربهم به
العذاب وعن الحسن انه كان اذا اتى على هذه
الاية قال ان الله عنده اسواط كثيرة فاخذ
هم بسوط منها وقال قتادة كل شي عذب الله
تعالى به فهو سوط عذاب وشبه بصب العذاب
الذي يتواتر على المضروب فيهلكه **ان ربك** اي
المحسن اليك بالرسالة **لبالمرصاد** اي يرصد
اعمال العباد لا يفوته منها شي ليجازيهم عليها
والمرصاد المكان الذي يترتب فيه الرصد
مفعال من رصده كالميقات من وقته وهذا مثل
لارصاد العصاة بالعقاب وانهم لا يفوتونه وعن
بعض العرب انه قيل له اين ربك فقال بالمرصاد

وعن

وعن عمرو بن عبيد انه قرا هذه السورة عند
المنصور حتى بلغ هذه فقال ان ربك لبالمرصاد
يا ابا جعفر عرض له في هذا النداء بانه بعض من
توعد بذلك من الجبابرة قال الزمخشري فلله دره
اي سد فراس كان يدق ثوبيه بدق الظلمة بانكاره
ويقصعوا انف اهل الاهواء والبدع باحتجاجه وقوله
تعالى **فاما الانسان** متصل بقوله تعالى ان ربك
لبالمرصاد فكانه قيل ان الله تعالى يريد من
الانسان الطاعة والسعي للعاقبة وهو لا يهمه
الا العاجلة وما يلذه وينعمه فيها **اذا ما ابتلاه**
اي اختبره بالنعمة **ربه** اي الذي ابتدا احسن
اليه بما حفظ وجوده ليظهر شكره او كفره **فاكرمه**
اي جعله عزيزا بين الناس واعطاه ما يكرمونه
به من الجاه والمال **ونعمه** اي جعله متلذذا
مترفها بما وسع الله عليه وقوله تعالى **فيقول**
اي سرورا بذلك وافتخارا **ربي اكرمني** اي فضلني
لما اعطاني خبر المبتدا الذي هو الانسان ودخول
الفا لما في اما من معنى الشرط والظرف للتوسط
بين المبتدا والخبر في تقدير التاخير كانه قيل
فاما الانسان فقائل ربي اكرمني وقت الابتلاء
بالانعام فيظن ان ذلك عن استحقاق فيرتفع

Copyright © King Saud University

به وكذا قوله وأما إذا ما ابتلاه فقدر أي ضيق عليه
رزقه أن التقدير وأما الإنسان أي أما ابتلاه ربه
أي بالفقر ليوازي قسيمه فيقول أي الإنسان لسبب
الضيق ربي أهانني فيهتم لذلك ويضيق به ذرعا
ويكون أكبر همه وهذا في حق الكافر لقصور نظره
وسوء فكره فيرى الكرامة والهوان بكثرة الحظ
في الدنيا وقلته وقال الكلبي ومقاتل نزلت في
أمية بن خلف الجمحي الكافر وقال ابن عباس في عتبة
بن ربيعة وقيل في أبي بن خلف فإن قيل كيف سمى
كلا الأمرين من بسط الرزق وتقتيره ابتلاء
أجيب بأن كل واحد منهما اختبار للعبد
فإذا بسط له فقد اختبر حاله أيشكر أم يكفر
وإذا قدر عليه فقد اختبر حاله أيصبر أم يجزع
فالحكمة فيهما واحدة ونحوه قوله تعالى ونبلوكم
بالشر والخير فتنة فإن قيل هلا قال فأهانه
وقدر عليه رزقه كما قال فأكرمه ونعمه أجيب
بأن البسط إكرام من الله تعالى لعبده بإنعامه عليه
متفضلا من غير سابقة وأما التقدير فليس بإهانة
له لأن الإخلال بالتفضل لا يكون إهانة ولكن
تركا للكرامة وقد يكون المولى مكرما ومهينا
وغير ذلك لا مكرم ولا مهين وإذا أهدى لك زيد

هدية

هدية قلت أكرمني بالهدية ولا تقول أهانني
ولا أكرمني إذا لم تهد إليك فإن قيل قد قال تعالى
فأكرمه فصحح إكرامه وأثبته ثم أنكر قوله ربي أكرمني
وذمه عليه كما أنكر قوله أهانني وذمه عليه أجيب
بوجهين أحدهما أنه إنما أنكر قوله ربي أكرمني وذمه
عليه لأنه قال على قصد خلاف ما صححه الله عليه
وأثبته وهو قصده أي أن الله تعالى أعطاه ما أعطاه ه
إكراما له مستحقا ومستوجبا على عادة افتخارهم
وجلالة أقدارهم عنده كقوله تعالى إنما أوتيته
على علم عندي وإنما أعطاه الله تعالى على وجه
التفضل من غير استيجاب منه له ولا سابقة
مما لا يعتد الله تعالى إلا به وهو التقوى دون
الأنساب والأحساب التي كانوا يفتخرون بها ويرون
استحقاق الكرامة من أجلها ثانيهما أن ينساق الإنكار
والذم إلى قوله ربي أهانني يعني أنه إذا تفضل عليه
بالخير وأكرم به اعترف بتفضل الله وإكرامه وإذا
لم يتفضل عليه سمى ترك التفضل هوانا وليس
بهوان قال الزمخشري ويعضد هذا الوجه ذكر
الإكرام في قوله تعالى فأكرمه وقرأ ابتلاه في
الموضعين حمزة بالإمالة محضة وقرأ ورش
بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح وقرأ ربي

Copyright © King Saud University

اكرمني زين الهاني نافع باثبات اليا في هما وصلا لا
لا وقفا وقرأ البزي باثباتهما فيهما وقفا ووصلا
وعن ابي عمرو فيهما في الوصل الاثبات والحذف
والحذف عنه في الوصل اعدل والباقون
بالحذف وصلا و وقفا وقرأ ابن عامر فقدر
عليه رزقه بتشديد الدال والباقون بتخفيفها
وهما لغتان معناهما ضيق وقيل قدر بمعنى قتر
وقدر اعطاه ما يكفيه ثم رد الله تعالى على من
ظن ان سعة الرزق اكرام وان الفقر اهانة
بقوله تعالى **كلا** اي ليس الاكرام بالغنى والاهانة
بالفقر انما هما بالطاعة والمعصية وكفار
مكة لا ينتبهون لذلك **بل** لهم فعل اشرف
من هذا القول وهو انهم **لا يكرمون اليتيم**
اي لا يحسنون اليه مع غناهم او لا يعطونه حقه
من الميراث قال مقاتل كان قدامة يتيما في
حجر امية ابن خلف فكان يدفعه عن حقه
فنزلت **ولا تحضون** اي يحثون حثا عظيما **على**
طعام اي اطعام **المسكين** فيكون اسم مصدر
بمعنى الاطعام ويجوز ان يكون على حذف مضاف
اي على بذل او على عطاء في اضافته اليه
اشارة الى انه شريك للغني في ماله بقدر

الزكاة **ويأكلون** على سبيل التجدد والاستمرار **التراث**
اي الميراث والتاء في التراث بدل من واو لانه من
الوراثة **اكلا لما** اي ذا لم وهو اللم الجمع الشديد يقال
لممت الشيء لما اي جمعته جمعا قال الحطيئة ؛ اذا
كان لما يتبع الذم ربه ؛ فلا قدس الرحمن تلك الطواحنا
؛ والجمع بين الحلال والحرام فانهم كانوا يورثون
النساء والصبيان ويأكلون انصباءهم ويأكلون
ما جمعه المورث من حلال وحرام عالمين بذلك
فيلمون في الاكل بين حلاله وحرامه ويجوز ان
يذم الوارث الذي ظفر بالمال سهلا مهلا
من غير ان يعرق فيه جبينه فيسرف في انفاقه
ويأكلوا كلا واسعا جامعا بين الوان المشتهيات
من الاطعمة والاشربة والفواكه كما يفعل الوارث
البطالون ولما دل على حب الدنيا بامر خارجي دل
عليه في الانسان فقال تعالى **ويحبون** اي على الاستمرار
المال اي هذا النوع من اي شيء كان واكد بالمصدر
والوصف فقال تعالى **حبا جما** اي كثيرا شديدا مع
الحرص والشره ومنع الحقوق وقوله تعالى **كلا** ردع
لهم عن ذلك وانكار لفعلهم ثم اخبر تعالى عن
تلهفهم على ما فرطوا منهم حين لا ينفعهم فقال
عز من قائل **اذا دكت الارض** اي حصل لها دكها

ورجها وزلزلتها التسوية فتكون كالاديم الممدود
بذة الملط لا عوج فيها بوجه **دكا دكا** اي مرة
بعد مرة وكسر كل شيء على ظهرها من جبل وبناء
وشجر فلم يبق على ظهرها شيء وينعدم **وجاء**
ربك قال الحسن امره وقضاؤه **والملك** اي
الملائكة وقوله تعالى **صفا صفا** حال اي مصطفين
اي ذوي صفوف كثيرة فينزل ملائكة كل سماء
فيصطفون صفا بعد صف محدقين بالجن والانس
وجيء اي يا سهل امر **يومئذ** اي اذ وقع ما ذكر
بجهنم اي النار التي يتجهم من يصلاها كقوله
تعالى وبرزت الجحيم وروي انها لما نزلت تغير
وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرف
في وجهه حتى اشتد على اصحابه فاخبروا عليا
فجاء فاحتضنه من خلفه وقبل بين عاتقيه
ثم قال يا نبي الله بابي انت وامي ما الذي حدث
اليوم وما الذي غيرك فتلا عليه الاية فقال
له علي كيف يجاء بها قال يجيء بها سبعون الف ملك
يقودونها بسبعين الف زمام فتشرد شردة لو
تركت لاحرقت اهل الجمع ثم تعرض لي جهنم
فتقول ما لك ولي يا محمد ان الله تعالى قد حرم
لحمك علي فلا يبقى احد الا قال نفسي الا محمد

صلى

صلى الله عليه وسلم فيقول امتي امتي وقال عبد
الله ابن مسعود تقاد جهنم بسبعين الف زمام بيد
الف ملك لها تغيظ وزفير حتى تنصب على سائر
العرش وقوله تعالى **يومئذ** اي يوم يجاء بجهنم
بدل من اذا وجوابها **يتذكر الانسان** اي يتذكر
الكافر ما فرط او يتعظ لانه يعلم قبح معاصيه
فيندم عليها **وانى له الذكرى** اي ومن اين له
منفعة الذكرى قال الزمخشري لا بد من حذف
مضاف والا فبين اتتذكر وبين وانى له الذكرى
تناف وتناقض **تنبيه** انى خبر مقدم
والذكرى مبتدا مؤخر وله متعلق بما تعلق به
الظرف وقراءة حمزة والكسائي بالامالة محضة
وقراءة ورش بالفتح وبين اللفظين وقراءة الدوري
عن ابي عمرو بالامالة بين بين والباقون بالفتح
يقول اي يقول مع تذكره **يا** للتنبيه **ليتني**
قدمت لحياتي اي في حياتي فاللام بمعنى في او
قدمت الايمان والخير لحياة لا موت فيها او وقت
حياتي في الدنيا **فيومئذ** اي يوم يقول الانسان
ذلك وقراءة **لا يعذب عذابه احد ولا يوثق**
وثاقه احد الكسائي بفتح الذال والثاء على
البناء للمفعول والباقون بكسرها على البناء للفاعل

Copyright © King Saud University

فاما قراة الكساى فضمير عذابه ووثاقه للكافر
والمعنى لايعذب احد مثل تعذيبه ولا يوثق
مثل ايثاقه واما على قراة الاولى فالضمير فيهما لله
تعالى اى لايكل عذابه الى غيره اذ الزبانية المتولون
العذاب بامر الله تعالى ولما وصف تعالى حال من
اطمان الى الدنيا وصف حال من اطمان الى معرفته
وعبوديته وسلم امره اليه فقال تعالى يايتها
النفس المطمينة قال الحسن اى المومنة المو
قنة وقال مجاهد الراضية بقضا الله تعالى وقال
ابن عباس بثواب الله تعالى وقال ابن كيسان
المخلصة وقال ابن زيد التى بشرت بالجنة
عند الموت وعند البعث ويوم الجمع ويقال
لها عند الموت ارجعى الى ربك اى الى امره
وارادته وقال ابن عباس الى صاحبك وجسدك
وقال الحسن الى ثواب ربك راضية اى بما
اوتيت مرضية اى عند الله تعالى بعملك اى
جامعة بين الوصفين لانه لايلزم من احدهما
الاخر وهما حالان قال القفال هذا وان
كان امرا فى الظاهر فهو خبر فى المعنى والتقدير
ان النفس اذا كانت مطمينة رجعت الى
الله تعالى فى القيامة بسبب هذا الامر فادخلي

في

فى اى فى جملة عبادى اى الصالحين والوافدين على
الذين هم اهل الاضافة الى او فى اجساد عبادى
التى خرجت فى الدنيا منها وادخلى جنتى اى
معهم فى جنة تحدث وهى اعاد الجنان وبحى
الامر بمعنى الخبر كثير فى كلامهم كقوله اذا لم
تستح فاصنع ما شئت وقال سعيد بن زيد
قراها رجل عند النبى صلى الله عليه وسلم هذه
الاية فقال ابو بكر ما احسن هذا يا رسول
الله فقال له ان الملك سيقوله لك يا ابا وقال
سعيد ابن جبير مات ابن عباس بالطايف فجا
طاير لم ير مثله على خلقته طاير قط فدخل نعشه
ثم لم ير خارجا منه فلما دفن تليت هذه
الاية وروى الضحاك انها نزلت فى عثمان حين
وقف بير رومة وقيل فى خبيب بن عدى
الذى صلبه اهل مكة وجعلوا وجهه الى المدينة
فقال اللهم ان كان لى عندك خير فحول وجهى
نحو قبلتك فحول الله تعالى وجهه نحوها فلم
يستطع احد ان يحولها وقيل نزلت فى حمزة ابن
عبد المطلب قال الزمخشرى والظاهر
العموم وقول البيضاوى تبعا للزمخشرى ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قراة

Copyright © King Saud University

سورة الفجر في الليالي العشر غفر له ومن قراها في
سائر الايام كانت له نورا يوم القيامة حديث
موضوع

سورة البلد مكية

وهي عشرون اية واثنان وثمانون كلمة وثلثماية
وعشرون حرفا بسم الله الملك الذي
لا راد لامره الرحمن الذي عم ساير خلقه
بفضله الرحيم الذي خص اهل طاعته بجنته
واختلف في لا في قوله تعالى لا اقسم فقال الاخفش
انها مزيدة اي اقسم كما تقدم في قوله تعالى
لا اقسم بيوم القيامة وقد اقسم به سبحانه
وتعالى قال الشاعر

تذكرت ليلى فاعترتني صبابة
وكاد صميم القلب لا يتقطع

اي يتقطع ودخل حرف لا صلة وكقوله
تعالى ما منعك ان لا تسجد وقد قال تعالى في
ص وما منعك ان تسجد واجاز الاخفش
ايضا ان تكون بمعنى الا وقيل هي نفي صحيح
والمعنى لا اقسم بهذا البلد اذا لم تكن فيه
بعد خروجك منه حكاه مكي واجمعوا على
ان المراد بالبلد في قوله تعالى بهذا البلد
اي الحرام وهو مكة وفضلها معروف فانه

تعالى

تعالى جعلها حرما امنا وقال تعالى ومن دخله
كان امنا وجعل مسجده قبلة لاهل المشرق
والمغرب فقال تعالى وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم
شطره وامر الناس بحج البيت فقال تعالى ولله
على الناس حج البيت من استطاع وقال تعالى
واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا وقال تعالى
واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا وقال تعالى
واذ بوانا لابراهيم مكان البيت وقال تعالى
وعلى كل ضامر ياتين من كل فج عميق وشرف مقام
ابراهيم عليه السلام بقوله تعالى واتخذوا من مقام
ابراهيم مصلى وحرم صيده وجعل البيت
من تحته فهذه الفضائل واكثر منها انما اجتمعت
في مكة لاجرم اقسم الله تعالى بها وانت اي
يا اشرف الخلق حل اي حلال لك ما لم يحل لغيرك
من قتل من تريد ممن يدعي انه لا قدرة لاحد
عليه بهذا البلد بان يحل لك فتقاتل فيه
وقد انجز الله له هذا الوعد يوم الفتح واحلها
له وما فتحت على احد قبله ولا احلت له فاحل
ما شاء وحرم ما شاء قتل ابن اخطل وهو متعلق
باستار الكعبة ومقيس بن ضبابة وغيرهما وحرم
دار ابي سفيان ثم قال ان الله حرم مكة يوم

Copyright © King Saud University

خلق السموات والارض فهي حرام الى ان تقوم
الساعة لم تحل لاحد قبلي ولن تحل لاحد
بعدي تحل لي الا ساعة من نهار فلا يعضد شجرها
ولا يختلي خلاها ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها
الا لمنشدها فقال العباس يا رسول الله الا الاذخر
فانه لقيوننا وقبورنا وبيوتنا فقال صلى الله
عليه وسلم الا الاذخر ونظير وانت حل في
معنى الاستقبال قوله تعالى انك ميت وانهم
ميتون ومثله واسع في كلام العرب تقول لمن
تعده الاكرام والحباء لانت مكرم محبو وهو في
كلام الله تعالى واسع لان الاحوال المستقبلة
عنده كالحاضرة المشاهدة وكفاك دليلا
قاطعا على انه للاستقبال وان تفسيره بالحال
محال لان السورة بالاتفاق مكية واين الهجرة
من وقت نزولها فما بال الفتح والجملة اعتراض
بين المقسم به وما عطف عليه واختلف في قوله
تعالى **ووالد وما ولد** فقال الزمخشري هو
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ولده
اقسم ببلده الذي هو مسقط راسه وحرم ابيه
ابراهيم ومنشأ ابيه اسماعيل وعن ولده
وبه وقال البغوي هما ادم وذريته وقيل كل

والد

والد وولده فان قيل هلا قيل ومن ولد اجيب
بان فيه ما في قوله تعالى والله اعلم بما وضعت
اي باي شيء وضعت يعني موضوعا عجيب
الشان او ان ما بمعنى من والذي عليه اكثر المفسرين
هما ادم وذريته لانهم اعجب ما خلق الله تعالى على
وجه الارض لما فيهم من البيان والنطق والتدبير
واستخراج العلوم وفيهم الانبياء والدعاة الى الله
تعالى والانصار لدينه وامر الملائكة بالسجود
لادم وعلمه الاسماء كلها ولقد قال الله تعالى
ولقد كرمنا بني ادم وقيل هما ادم والصالحون
من ذريته واما الصالحون فكانهم بهائم كما قال
تعالى ان هم الا كالانعام بل هم اضل صم بكم عمي
فهم لا يرجعون والمقسم عليه قوله تعالى **لقد
خلقنا الانسان** اي الجنس **في كبد** قال ابن عباس
اي شدة ونصب وعنه ايضا في شدة من حمله
وولادته ورضاعه ونبت اسنانه وسائر
احواله وعن عكرمة منتصبا في بطن امه والكبد
الاستواء والاستقامة فهذا امتنان عليه في
الخلقة ولم يخلق الله تعالى دابة في بطن امها
الا منكبة على وجهها الا ابن ادم فانه منتصب
انتصابا فقال ابن كيسان منتصبا في بطن امه

Copyright © King Saud University

واذا اراد الله تعالى ان يخرجه من بطن امه قلب
راسه الى رجل امه وقال الحسن يكابد مصايب
الدنيا وشدايد الاخرة وقال يمان لم يخلق الله
تعالى خلقا يكابد مايكابد ابن ادم وهو مع ذلك
اضعف الخلق قال بعض العلما اول ما يكابد قطع
سرته ثم اذا قمط قماطا وشد رباطا يكابد
الضيق والتعب ثم يكابد الارتضاع ولو فاته
ضاع ثم يكابد نبت اسنانه ثم يكابد الفطام
الذى اشد هو من اللطام ثم يكابد الختان
والاوجاع ثم العلم وصولته والمودب وسيا
سته والاستاذ وهيبته ثم يكابد شغل
التزويج وشغل الاولاد والخدم وشغل المسكن
ثم الكبر والهرم وضعف الركب والهرم فى
مصايب يكثر تعدادها من صداع الراس
ووجع الاضراس ورمد العين وهم
الدين ووجع السن والم الاذن ويكابد محنا
فى المال والنفس من الضرب والحبس ولايمضى
عليه يوم الا يقاسى فيه شدة ثم يكابد بعد
ذلك مشقة الموت ثم بعده سوال الملك وضغطة
القبر وظلمته ثم البعث والعرض على الله تعالى الى
ان يستقر به القرار اما فى الجنة واما فى النار

فدل

فدل هذا على ان له خالقا دبره وقضى عليه بهذه
الاحوال ولو كان الامر اليه ما اختار هذه الشدايد
فليمتثل امر خالقه وقال ابن زيد المراد بالانسان
هنا ادم عليه السلام وقوله تعالى فى كبد اى فى
قوة نزلت فى ابى الاشدين واسمه اسيد بن كلدة
ابن جمح وكان شديدا قويا يضع الاديم العكاظى
تحت قدميه فيقول من ازالنى عنه فله كذا
وكذا فيجذبه عشرة فيتمزق الاديم من تحت قدميه
ولا تزول قدماه ويبقى موضع قدميه وكان من اعداء
النبى صلى الله عليه وسلم وفيه نزل ايحسب اى
يظن الانسان قوى قريش وهو ابو الاشدين بقوله
ان مخففة من الثقيلة واسمها محذوف اى
انه لن يقدر عليه اى مخاصمة احد اى من
اهل الارض او السماء فينتقم منه حتى انه يعاند
خالقه والله تعالى قادر عليه فى كل وقت وقيل
نزلت فى المغيرة بن الوليد المخزومى يقول اى
يفتخر بقوته وشدته اهلكت اى على عداوة
محمد صلى الله عليه وسلم مالا لبدا اى كثيرا
بعضه على بعض ايحسب اى هذا الانسان القليل
قلة عقله ان اى انه لم يره احد قال سعيد
ابن جبير اى اظن ان الله تعالى لم يره ولا يساله

ميد

Copyright © King Saud University

عن ماله من ابن جمعه وفيما انفقه وقال الكلبي انه
كان كاذبا في قوله انه انفقه ولم ينفق جميع ما قال
والمعنى اتظن ان الله تعالى لم ير ذلك منه فيعلم
مقدار نفقته وقراة لبحب في الموضعين ابن
عامر وعاصم وحمزة بفتح السين والباقون
بكسرها ثم ذكره نعمه عليه ليستبين بقوله تعالى
الم نجعل اي مالنا من القدرة العظيمة له عينين
يبصر بهما المرئيات والا لتعطل عليه اكثر ما يريد
تقفنا بهما وهو في الرحم في ظلمات ثلاث على
مقدار مناسب لا تزيد احداهما على الاخرى شيئا
وقدرنا البياض والسواد والشهلة والزرقة
وغير ذلك على ما ترون واودعنا هما البصر
على كيفية تعجز الخلق عن ادراكها ولسانا يترجم
به عن ضمائره وشفتين يستر بهما فاه ويستعين
بهما على النطق والاكل والشرب والنفخ وغير ذلك
قال قتادة نعم الله تعالى عليه متظاهرة
فيقرره بها كي يشكره قال البغوي وجاء في الحديث
ان الله تعالى يقول يا ابن ادم ان نازعك لسا
نك فيما حرمت عليك فقد اعنتك عليه
بطبقتين فاطبق وان نازعك فرجك الى

ماحرمت

ماحرمت فقد اعنتك عليه بطبقتين فاطبق
وهديناه اي اتيناه من العقل النجدين قال اكثر
المفسرين بينا له طريق الخير والشر والهدى والضلال
والحق والباطل كقوله تعالى انا هديناه السبيل اما
شاكرا واما كفورا وصار ثم جعلناه له سميعا بصيرا
عالما فصار موضعا للتكليف روى الطبراني انه
صلى الله عليه وسلم قال يا ايها الناس هلموا الى
ربكم فان ما قل وكفى خير مما كثر والهى يا ايها
الناس انما هما نجدان نجد خير ونجد شر فلم تجعل
نجد الشر احب اليكم من نجد الخير قال المنذري
النجد هنا الطريق وقال ابن عباس بينا له الثديين
وهو قول سعيد بن المسيب والضحاك واصله
المكان المرتفع فلا اقتحم العقبة اي فهلا انفق ماله
فيما يجوز به العقبة من فك الرقاب واطعام
المساكين والايتام بل غمط النعم النعم وكفر بالمنعم
والمعنى ان الانفاق على هذا الوجه
هو الانفاق المرضي النافع عند الله تعالى لا ان
يهلك ماله لبدا في الربا والفخار وعداوة
النبي صلى الله عليه وسلم فيكون على هذا
الوجه كمثل ريح فيها صر اصابت حرث
قوم الاية وقيل معناه لم يقتحمها ولا جاوز

ها

والاقتحام الدخول في الامر الشديد وذكر العقبة
مثل ضربه الله تعالى لمجاهدة النفس والشيطان
والهوى في اعمال البر فجعله كالذي يتكلف صعود
العقبة يقول الله تعالى لم يحمل على نفسه المشقة
بعتق الرقبة والاطعام وهذا معنى قول قتادة
وقيل انه شبه ثقل الذنوب على مرتكبها بعقبة
فاذا اعتق رقبة واطعم المساكين كان كمن
اقتحم العقبة وجاوزها وروي عن ابن
عمر ان هذه العقبة جبل في جهنم وقال
الحسن هي عقبة شديدة في النار دون الجسر
فاقتحموها بطاعة الله تعالى ومجاهدة النفس
وقال مجاهد هي الصراط يضرب على متن جهنم
كحد السيف مسيرة ثلاثة الاف سنة صعودا
وهبوطا وان بجنبتيه كلاليب وخطاطيف
كانها شوك السعدان فناج مسلم وناج مخدوش
ومكردس في النار منكوس وفي الناس من يمر
كالبرق الخاطف ومنهم من يمر كالريح ومنهم
من يمر كالرجل يعدو ومنهم من يمر كالرجل
يسير ومنهم من يزحف زحفا ومنهم الزالون
ومنهم من يكردس في النار وقال ابن زيد

فهلا

فهلا سلك النجاة قوله تعالى وما ادراك اي اعلمك
ايها المكلف ايها الراغب فيما عندنا ما العقبة تعظيم
لشانها والجملة اعتراض قال سفيان ابن عيينة
كل شيء قال فيه وما ادراك فانه اخبر به وما كان
قال وما يدريك فانه لم يخبر به ثم بين سبب جوازها
بقوله تعالى فك اي الانسان رقبة اي خلصها
من الرق وذلك بان يعتق في ملكه او يعطي مكاتبا
ما يصرفه في فك رقبته روي انه صلى الله
عليه وسلم قال من اعتق رقبة مؤمنة اعتق
الله بكل عضو منه عضوا من النار حتى فرجه
بفرجه وقال الزمخشري وفي الحديث ان رجلا
قال لرسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة قال
تعتق النسمة وتفك الرقبة قال اوليسا سواء قال
لا اعتاقها ان تنفرد بعتقها وفكها ان تعين
في تخليصها من قود او غرم والعتق والصدقة
من افضل الاعمال وعن ابي حنيفة ان العتق
افضل قال الزمخشري والاية ادل على قول ابي
حنيفة لتقديم العتق على الصدقة وقال عكرمة
يعني فك رقبته من الذنوب وقال الماوردي
ويحتمل انه اراد فك رقبته وخلاص نفسه باجتناب
المعاصي وفعل الطاعات ولا يمنع الخبر من هذا

التاويل وهو اعلم بالصواب او اطعام اي دفع الـ
طعام لشيء له قابلية ذلك في يوم ذي مسغبة
اي مجاعة والسغب الجوع يتيما اي انسانا صغيرا
لا اب له ذا مقربة اي ذا قرابة لك بان كان
بينك وبينه قرابة يقال فلان ذو قرابتي وذو
مقربتي او مسكينا وهو من له مال او كسب يقع
موقعا من كفايته ولا يكفيه ذا متربة اي
لصوق بالتراب واما اترب فاستغنى اي صار
ذا مال كالتراب في الكثرة كما قيل الثري وعنه
صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ذا متربة
الذي ماواه المزابل قال ابن عباس هو المطروح
على الطرق الذي لا بيت له وقال مجاهد هو
الذي لا يقيه من التراب لباس ولا غيره وقال
قتادة انه ذو العيال واحتج بهذه الاية على
ان المسكين يملك شيئا لا لكان تقييده بقوله تعالى
ذا متربة تكريرا وقرا نافع وابن عامر وعاصم
وحمزة برفع الكاف وجر رقبة وكسر همزة
اطعام وفتح العين وبعدها الف ورفع الميم
منونة والباقون فك بنصب الكاف رقبة بالنصب
اطعم بفتح العين والميم فان قيل قوله تعالى فلا
اقتحم العقبة لم ذكر لا مرة واحدة قال الفراء

والزجاج

والزجاج والعرب لا تكاد تفرد لا مع الفعل الماضي حتى
تعيد لا كقوله تعالى فلا صدق ولا صلى اجيبت
بانه انما افردها لدلالة اول اخر الكلام على معناه
فيجوز ان يكون قوله تعالى ثم كان من الذين امنوا
قائما مقام التكرير فكانه قال فلا اقتحم العقبة ولا
امن وقال الزمخشري هي متكررة في المعنى لان
معنى فلا اقتحم العقبة فلا فك رقبة ولا اطعم مسكينا
الا ترى انه فسر اقتحام العقبة بذلك قال الزجاج
ولا يتم له هذا الا على قراءة فك فعلا ماضيا وعن
مجاهد ان قوله تعالى ثم كان من الذين امنوا
يدل على ان لا بمعنى لم ولا يلزم التكرير مع لم
فان كررت لا كقوله تعالى فلا صدق ولا صلى
فهو كقوله تعالى لم يسرفوا ولم يقتروا تنبيه
ثم كان معطوف على اقتحم وثم للترتيب الذكري
والمعنى كان وقت الاقتحام من الذين امنوا وقال
الزمخشري جاء بثم لتراخي الايمان وتباعده
في الرتبة والفضيلة عن العتق والصدقة
لا في الوقت لان الايمان هو السابق المقدم على
غيره ولا يثبت عمل صالح الا به وتواصوا اي
وصى واوصى بعضهم بعضا بالصبر اي على
الطاعة وعن المعصية والمحن التي يبتلي

Copyright © King Saud University

بها المومن وتواصوا بالمرحمة اى بالرحمة على عباده بان
تكونوا متراحمين متعاطفين اى بما يودى الى رحمة
الله تعالى اوليك اى الموصوفون بهذه الصفات
اصحاب الميمنة اى الجانب الذى فيه اليمن والبركة
والنجاة من كل هلكة قال محمد بن كعب اى الذين
يوتون كتبهم بايمانهم وقال يحيى بن سلام لانهم
ميامين على انفسهم قال ابن زيد لانهم اخذوا
من شق ادم الايمن عليه السلام وقال ميمون
بن مهران لان منزلتهم عن اليمين وقال الزمخشرى
الميمنة اليمين او اليمن والذين كفروا اى ستروا
ماتظهر لهم من اى تصايرهم من العلم باياتنا
اى على ما لها من العظمة بالاضافة الينا
والظهور الذى لا يمكن خفاوه من القران
وغيره هم اصحاب المشيمة اى الخصلة المنكرة
للشوم والحرمان وقال محمد بن كعب اى الذى
يوتون كتبهم بشمالهم وقال يحيى بن سلام
لانهم مشايم على انفسهم وقال ابن زيد
لانهم اخذوا من شق ادم الايسر عليه
السلام وقال ميمون لان منزلتهم عن اليسار
وقال الزمخشرى المشامة الشمال او الشوم قال
القرطبى ويجمع هذه الاقوال اصحاب الميمنة

هم

هم اصحاب الجنة واصحاب المشامة هم اصحاب النار
عليهم اى خاصة نار موصدة اى مطبقة وقرا
ابو عمرو وحفص وحمزة بالهمزة والباقون بغير
همز اى بواو ساكنة وهما لغتان يقال اصدت الباب
واوصدته اذا اغلقته واطبقته وقيل معنى
الهمز المطبقة وغير الهمز المغلقة واذا وقف حمزة
ابدل على اصله وقول البيضاوى تبعا للزمخشرى
ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من قرا
لا اقسم بهذا البلد اعطاه الله الامان من غضبه
يوم القيامة حديث موضوع

سورة والشمس مكية

وهى خمس عشرة اية واربع وخمسون كلمة ومايتان
وسبعة واربعون حرفا بسم الله الذى له الاسما
الحسنى الرحمن الذى يعلم السر واخفى الرحيم الذى
خص خواصه بالفردوس الاعلا وقوله تعالى
والشمس اى الجامعة بين النفع والضر بالبرد والحر
وضحاها قسم وقد تقدم الكلام على ان الله تعالى
يقسم بما شاء من مخلوقاته وقيل التقدير ورب
الشمس الى تمام القسم واختلف فى قوله تعالى
وضحاها فقال مجاهد والكلبى ضوءها وقال
قتادة هو النهار كله وقال مقاتل هو حرها

وقال لقوله في طه ولا تضحى اي لا يوذيك الحر وقال
المبرد انبساطها قال الرازي انما اقسم بالشمس
لكثرة ما يتعلق بها من المصالح فان اهل العالم
كانوا كالاموات في الليل فلما ظهر الصبح في المشرق
صار ذلك الضوء كالروح الذي ينفخ فيه الحياة
فصارت الاموات احيا ولا تزال تلك الحياة في
القوة والزيادة الى غاية كمالها وقت الضحوة
وذلك يشبه استقرار اهل الجنة **والقمر**
اي المكتسب من نورها كما ان انوار النفوس من
انوار العقول **اذا تلاها** اي تبعها وذلك اذا سقطت
روي الهلال قال الليث يقال تلوت فلانا اذا
اتبعته وقال ابن زيد اذا غربت الشمس في
النصف الاول من الشهر تلاها القمر بالطلوع
وفي اخر الشهر يتلوها بالغروب وقال الفرا
تلاها اخذ منها يعني ان القمر ياخذ من
ضوء الشمس وقال الزجاج تلاها اي حين استوى
ودار وكان مثلها في الضيا والنور وذلك في
الليالي البيض **والنهار** اي الذي هو محل الانتشار
فيما قدرت به الاقدار **اذا جلاها** اي الشمس
بارتفاعه لان الشمس تنجلي في ذلك الوقت
تمام الانجلا وقيل الضمير للظلمة او للدنيا

او

او للارض وان لم يجر لها ذكر كقولهم اصبحت باردة
يريدون الغداة وارسلت يريدون السما **والليل**
اي الذي هو ضد النهار فهو محل السكون
والانقباض **اذا يغشاها** اي يغطيها بظلمته فتغيب
وتظلم الافاق وقيل الكناية للارض اي يغشى
الدنيا بالظلمة فتظلم الافاق فالكناية ترجع الى
غير مذكور وجي بها مضارعا دون ما قبله
وما بعده مراعاة للفواصل اذ لو اتي به ماضيا
لكان التركيب اذا غشيها فتفوت المناسبة اللفظية
بين الفواصل والمقاطع تنبيه اذا في الثلاثة
لمجرد الظرفية والعامل فيها فعل القسم **والسما وما**
اي ومن **بناها** اي خلقها على هذا السقف المحكم
واقسم تعالى بنفسه وباعظم مخلوقاته وقوله
تعالى **والارض** اي التي هي فراشكم **وما** اي ومن
طحاها اي بسطها وسطحها على الما كذلك
وكذا قوله تعالى **ونفس** اي اي نفس جمع فيها سبحانه
العالم باسره **وما** اي ومن **سواها** اي عدلها
على هذا القانون الاحكم في اعضائها وما فيها
من الجواهر والاعراض والمعاني وغير ذلك فان
قيل لم نكرت النفس اجيب بوجهين
احدهما انه يريد نفسا خاصة من بين النفوس وهي

Copyright © King Saud University

نفس ادم عليه السلام كانه قال تعالى وواحدة من
النفوس ثانيها انه يريد كل نفس وتنكر للتكثير على
الطريقة المذكورة في قوله تعالى علمت نفس واما
اوثرت ما على من فيما ذكر لارادة الوصفية ما ضمنا
وان لم توصف بلفظها اذ المراد انها تقع على نوع
من يعقل وعلى صفته ولذلك مثلوا بقوله تعالى
فانكحوا ما طاب لكم وقدروها بانكحوا الطيب وهذا
تفرد به ما دون من وهذه وهذه الاسما كلها
مجرورة على القسم اقسم سبحانه وتعالى بانواع
مخلوقاته المتضمنة للمنافع العظيمة حتى يتامل
المكلف فيها ويشكر عليها لان الذي تعظم الله
تعالى به روح في القلب فتكون الدواعي الى تامله
اقرب فالهمها اي النفس فجورها وتقواها قال
ابن عباس بين لها الخير والشر وعنه علمها
الطاعة والمعصية وعن ابن عباس صالح عرفها
ما تاتي وما تتقي وقال سعيد من سهل سعيد بن
جبير الزمها فجورها وتقواها قال ابن زيد
جعل فيها ذلك بتوفيقه اياها للتقوى وخذلانه
اياها للفجور واختار الزجاج هذا وحمل الالهام
على التوفيق وهذا بين ان الله تعالى خلق في المومن
التقوى وفي الكافر الفجور وعن ابي الاسود الديلي

قال

لي

قال قال لعمران بن حصين ارايت ما يعمل الناس اليوم
ويكدحون فيه اشي قضي عليهم ومضى عليهم
من قدر سبق او فيما يستقبلون مما اتاهم به
نبيهم صلى الله عليه وسلم وثبتت الحجة عليهم
قلت بل شي قضي عليهم ومضى عليهم
فقال افلا يكون ظلما قال ففزعت منه فزعا شديدا
وقلت انه ليس شي الا وهو خلقه وملك يده
لا يسال عما يفعل وهم يسالون فقال لي سدد
الله انما سالتك لاختبر عقلك ان رجلا من
جهينة او مزينة الى النبي صلى الله عليه
وسلم فقال يا رسول الله ارايت ما يعمل الناس
ويكدحون فيه اشي قضى الله عليهم من
قدر سبق او فيما يستقبلون مما اتاهم به نبيهم
واكدت به الحجة فقال في شي قد مضى عليهم قال
فقلت ففيم العمل الان قال من كان خلقه لاحد
المنزلتين يهيئه الله لها وتصديق ذلك في كتاب
الله ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها
وعن جابر قال جاء سراقة بن مالك بن جعشم
فقال يا رسول الله بين لنا ديننا كان خلقنا الان
فيم العمل اليوم فيما جفت به الاقلام وجرت
به المقادير او فيما يستقبل قال بل فيما جفت

ها

Copyright © King Saud University

به الاقلام وجرت به المقادير اوفيما يستقبل قال
بل فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير قال
ففيم العمل قال اعملوا وكل ميسر لما خلق له
واختلف في جواب القسم فقال المفسرين على انه **قد**
افلح اي ظفر بجميع المرادات والاصل لقد وانما
حذفت لطول الكلام وقيل انه ليس بجواب وانما
جي به تابعا لقوله تعالى فالهمها فجورها وتقواها
على سبيل الاستطراد وليس من جواب القسم
في شي والجواب محذوف تقديره ليدمدمن الله
الله عليهم كما دمدم على ثمود لانهم قد كذبوا
صالحا او لتبعثن وقيل هو على التقديم والتا
خير من غير حذف والمعنى قد افلح **من زكاها**
اي طهرها من الذنوب ونماها واكملها وصفا
ها تصفية عظيمة بما يسره الله تعالى له من
العلوم النافعة والاعمال الصالحة **وقد**
خاب اي خسر **من دساها** اي اغواها اغواء
عظيما وافسدها واهلكها بخبائث الاعتقادات
ومساوي الاعمال وقبائح النيات والشر ومحاها
وفاعل زكاها ودساها ضمير من وقيل ضمير
الباري سبحانه اي قد افلح من زكاها بالطاعة
وقد خاب من دساها اي حقرت نفس دساها

الله

الله تعالى بالمعصية وانكر الزمخشري على صاحب
هذا القول لمنافرته مذهبه ولكن قال بعض
المفسرين الحق انه خلاف الظاهر لا كما قاله الزمخشري
وقال ابن عباس فابت نفس اضلها الله تعالى
واغواها واصل الزكاة النمو والزيادة ومنه زكي
الزرع اذا كثر ريعه ومنه تزكية القاضي الشاهد
لانه يرفعه بالتعديل واصل دساها دسسها
من التدسيس وهو اخفاء الشي فابدل من السين
الثالثة ياء والمعنى اخملتها واخفى محلتها
بالكفر والمعصية وعن زيد بن ارقم قال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
اللهم اني اعوذ بك من العجز والكسل والبخل
والجبن والهم وفي رواية والهرم وعذاب القبر
اللهم ات نفسي تقواها خيرا انت خير من زكاها
انت وليها ومولاها اللهم اني اعوذ بك من علم
لا ينفع ومن نفس لا تشبع ومن قلب لا يخشع
ومن دعوة لا يستجاب لها **كذبت ثمود** وهم
قوم صالح كذبوا رسولهم صالحا عليه السلام وانث
فعلهم لضعف التكذيب بهم لان كل سامع له
يعرف ظلمهم فيه لوضوح انتهم **بطغواها** اي اوقعت
التكذيب لرسولها بكل ما يأتي به عن الله تعالى اي

طغيانها وقيل ان البا للاستعانة قال الزمخشري
مثلها في كتبت بالعلم والطغوى من الطغيان
فصلوا بين الاسم والصفة في فعلى من بنات اليا
فقلبوا اليا واوا في الاسم وتركوا القلب في الصفة
فقالوا امراة خزيا وصديا يعني فعلت التكذيب
بطغيانها كما تقول ظلمني بجرائته على الله تعالى وقيل
كذبت بما اوعدت به من عذابها ذي الطغوى
كقوله تعالى فاهلكوا بالطاغية **اذ** اي
حين تكذيبهم اي طغيانهم بالفعل **انبعث**
اشقاها اي قام واسرع وذلك انهم لما
كذبوا بالعذاب وكذبوا صالحا عليه السلام انبعث
اشقى القوم وهو قدار بن سالف وكان رجلا
اشقر ازرق قصيرا فعقر الناقة وعن عبد
الله بن زمعة انه سمع النبي صلى الله
عليه وسلم يخطب فذكر الناقة والذي عقرها
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
انبعث اشقاها انبعث لها رجل عزيز عارم
منيع في اهله مثل ابي زمعة وقوله عارم اي
شديد ممتنع قال الزمخشري ويجوز ان يكون
جماعة والتوحيد لتسويتك في افعل التفضيل
اذا اضفته بين الواحد والجمع والمذكر والمؤنث

تنبيه

تنبيه اذ منصوب بكذبت او بطغواها **فقال**
لهم اي بسبب الانبعاث او التكذيب الذي دل على
قصدهم لها بالاذى **رسول الله** اي صالح عليه
السلام وكذا الناقة وعبر بالرسول لان وظيفته
الابلاغ والتحذير الذي ذكر هنا ولذلك قال تعالى
منبها بحذف العامل اي ضيق الحال عن ذكره
لعظم الهول وسرعة التقذيب عند مسها
بالاذى وزاد في التعظيم باعادة الجلالة **ناقة**
الله اي الملك الاعظم الذي له الامر كله
وهي منصوبة على التحذير كقولك الاسد الاسد
الاسد والصبي الصبي باضمار ذروا واحذروا
ناقة الله **وسقياها** اي وشربها في يومها
وكان لها يوم ولهم يوم لانهم لما اقترحوا
الناقة فاخرجها لهم من الصخرة جعل لهم
شرب يوم من بيرهم ولها شرب يوم
فشق عليهم واضافة الناقة الى الله تعالى
اضافة تشريف كبيت الله **فكذبوه** اي صالحا
عليه السلام بطغيانهم في وعيدهم بالعذاب
فعقروها اي عقرها الاشقى بسبب ذلك التكذيب
واضيف الى الكل لانهم رضوا بفعله وان كان
العاقر جماعة جماعة فواضح وقال قتادة بلغنا

روا

Copyright © King Saud University

انه لم يعقرها حتى تابعه صغيرهم وكبيرهم
وذكرهم وانثاهم وقال الفرا عقرها اثنان
والعرب تقول هذان افضل الناس وهذان
خير الناس وهذه المراة اشقى القوم ولهذا
لم يقل اشقياها **فدمدم** اى فاطبق **عليهم
ربهم** اى الذى احسن اليهم فغمرهم احسانه
فقطعه عنهم بسبب تكذيبهم فاهلكهم
واطبق عليهم عذابه يقال دمدمت
عليه القبر اطبقته عليه **بذنبهم** اى
بسبب كفرهم وتكذيبهم وعقرهم الناقة
وروى عن ابن عباس دمدم عليهم ربهم
بذنبهم اى بجرمهم وقال القشيرى وقيل
دمدمت على الميت التراب اى سويته
عليه فالمعنى على هذا فجعلهم تحت التراب
فسواها اى فسوى عليهم الارض فجعلهم
تحت التراب وعلى الاول فسوى الدمدمة
عليهم اى عمهم بها فلم يفلت منهم احد
وقرا **ولا يخاف** نافع وابن عامر بالفاء
والباقون بالواو فالفا تقتضى التعقيب
والواو يجوز ان تكون للحال وان تكون للا
ستئناف الاخبارى وضمير الفاعل فى يخاف

الاظهر

الاظهر عوده على الله تعالى لانه اقرب مذكور وهو
قول ابن عباس ويويده قراة الفا المحسنة عن
الدمدمة والتسوية والهاء فى قوله تعالى **عقباها**
ترجع الى الفعلة وذلك لانه تعالى يفعل ذلك
بحق وكل من فعل فعلا بحق فانه لا يخاف عاقبة
فعله وقيل المراد تحقيق ذلك الفعل اى لا يخاف
ان يوصف بذلك وقيل المعنى انه تعالى بالغ
فى الايذا اليهم مبالغة من لا يخاف عاقبة عذا**بهم**
وقيل يرجع ذلك الى رسولهم صالح عليه
السلام اى لا يخاف عقبى هذه العقوبة لانه اره
اياهم ونجاه الله واهلكهم وقال السدى يرجع
الضمير الى اشقاها اى انبعث لعقرها والحال
انه غير خائف عاقبة هذه الفعلة الشنيعة
وقرا الكسائى جميع روس اى هذه السورة بالا **مالة**
محضة وقراها ابو عمرو بين بين وقرا ورش
بالفتح وبين اللفظين واما حمزة مثل الكسائى
الا تلاها وضحاها فتحهما والباقون بالفتح
واتفقوا على فتح فعقروها وقول البيضاوى تبعا
للزمخشرى انه صلى الله عليه وسلم قال من قرا
سورة والشمس فكانما تصدق بكل شى طلعت
عليه الشمس والقمر حديث موضوع

Copyright King Saud University

سورة والليل مكية

وهي احدى وعشرون اية واحدى وسبعون كلمة
وثلثماية وعشرة احرف بسم الله الملك
الحق المبين الرحمن الذى عم رزقه العالمين
الرحيم الذى خص بجنته المومنين وقوله
تعالى والليل اى الذى هو الة الظلام اذا يغشى
قسم وقد مر الكلام على ذلك ولم يذكر تعالى
مفعوله للعلم به فقيل يغشى بظلمته
كل ما بين السماء والارض وقيل يغشى
بظلمته كل ما بين السما والارض وقيل يغشى النهار
وقيل الارض وقيل الخلايق قال قتادة اول
ما خلق الله النور والظلمة ثم ميز بينهما فجعل الظلمة
ليلا اسود مظلما والنور نهارا مضيئا منصرا وقوله
تعالى والنهار اى الذى هو سبب انكشاف الامور
اذا تجلى اى تكشف وظهر قسم اخر قال الرازى
اقسم بالليل الذى ياوى فيه كل حيوان الى
ماواه وتسكن الخلق عن الاضطراب ويغشاهم
النوم الذى جعله الله تعالى راحة لابدانهم
وغذا الارواحهم ثم اقسم بالنهار اذا تجلى
لان النهار اذا جاء انكشف بضوئه ما كان

في

الدنيا من الظلمة وجاء الوقت الذى يتحرك فيه الناس
لمعاشهم ويتحرك الطير من اوكارها والهوام من
مكانها فلو كان كله نهارا لبطلت الراحة لكن المصلحة
فى تعاقبهما كما قال تعالى وهو الذى جعل الليل والنهار
خلفة وقال تعالى وسخر لكم الليل والنهار وما بمعنى
من اى ومن خلق الذكر والانثى اى فيكون قد
اقسم بنفسه او مصدرية اى وخلق الله الذكر
والانثى وجاز اضمار اسم الله تعالى لانه معلوم
لانفراده بالخلق اذ لا خالق سواه والذكر والانثى
ادم وحوى عليهما السلام او كل ذكر وانثى من ساير
الحيوانات والخنثى وان اشكل امره عندنا فهو عند
الله تعالى غير مشكل معلوم بالذكورة او الانوثة
فلو حلف بالطلاق انه لم يلق فى يومه ذكرا ولا انثى
وقد لقى خنثى مشكلا كان حانثا لانه فى الحقيقة
ذكرا وانثى وان كان مشكلا عندنا وقيل كل ذكر
وانثى من الادميين فقط لاختصاصهم بولاية
الله تعالى وطاعته وقوله تعالى ان سعيكم اى عملكم
لشتى جواب القسم والمعنى ان اعمالكم لمختلف فعامل
للجنة بالطاعة وعامل للنار بالمعصية ويجوز
ان يكون محذوفا كما قيل فى نظايره المتقدمة وشتى
واحدة شتيت مثل مريض ومرضى وانما قيل

للمختلف شتى لتباعده ما بين بعضه وبعضه اي ان
عملكم المتباعد بعضه من بعض لان بعضه ضلال
وبعضه هدى اي فيكم مومن وبر وكافر وفاجر
ومطيع وعاص وقيل لشتى اي لمختلف الجزا فمنكم
مثاب بالجنة ومعاقب بالنار وقيل لمختلف
الاخلاق فمنكم راحم وقاس وحليم وطائش
وجواد وبخيل قال بعض المفسرين نزلت هذه
الاية في ابي بكر وابي سفيان بن حرب وروى
ابو مالك الاشعري ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال كل الناس يغدوا فبايع نفسه
فمعتقها او موبقها اي مهلكها وقوله تعالى
فاما من اعطى اي وقع منه اعطا على ما حددناه
له وامرناه به واتقى اي ووقعت منه التقوى
وهي ايجاد الوقايات من الطاعات واجتناب
المعاصي خوفا من سطواتنا وصدق بالحسنى
تفصيل مبني لتشتت المساعي واختلف في
الحسنى فقال ابن عباس اي بلا اله الا الله وقال
مجاهد بالجنة لقوله تعالى للذين احسنوا الحسنى
وقال زيد بن اسلم الصلاة والزكاة والصوم
فسنيسره اي نهيئه بما لنا من عظمة بوعد
لا خلف فيه لليسرى اي لاسباب الخير والصلاح

حتى

حتى يسهل عليه فعلها وقال زيد بن اسلم لليسرى
اي للجنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما من نفس منفوسة الا كتب الله تعالى مدخلها
فقال القوم يا رسول الله افلا نتكل على كتابنا فقال
صلى الله عليه وسلم بل اعملوا فكل ميسر لما خلق
له اما من كان من اهل السعادة فانه ميسر
لعمل اهل السعادة واما من كان من اهل الشقاوة
فانه ميسر لعمل اهل الشقاوة ثم قرا فاما من
اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى
واما من بخل اوجد هذه الحقيقة الخبيثة
فمنع ما امر به وندب اليه واستغنى اي طلب
الغنا عن الناس وعما وعد به من الثواب
واوجده بما زعمت له نفسه الخائنة وظنونه
الكاذبة فلم يحسن الى الناس ولا عمل للعقبى
وكذب ايدا اوقع التكذيب لمن يستحق التصديق
بالحسنى اي فانكرها وكان جامدا مع المحسوسات
كالبهائم فسنيسره اي نهيئه للعسرى اي
للخلة المودية اي العسرة والشدة كدخول النار
وعن ابن عباس قال نزلت في امية بن خلف وعنه
فسنيسره للعسرى اي سنحول بينه وبين الايما
بالله تعالى ورسوله وعنه ايضا واما من بخل اي

Copyright © King Saud University

بماله واستغنى عن ربه وكذب بالحسنى اي بالخلف
الذي وعده الله تعالى في قوله سبحانه وما انفقتم
من شيء فهو يخلفه وقال مجاهد وكذب بالحسنى
اي بالجنة وعنه بلا اله الا الله ويجوز في ما في
قوله تعالى وما يغني عنه ماله ان تكون نافية
اي لا يغني عنه ماله شيئا وان تكون استفهاما
انكاريا اي اي شيء يغني عنه ماله اذا تردى
قال ابو صالح اذا سقط في جهنم وقيل هو كناية
عن الموت كما قال القائل

نصيبك مما تجمع الدهر كله
رداءان تلوى فيهما وحنوط

ولما عرفهم سبحانه ان سعيهم شتى وبين ما للمحسنين
من اليسرى وما للمسيئين من العسرى اخبرهم
بان عليه بيان الهدى من الضلال بقوله تعالى
ان علينا اي بما لنا من القدرة والعظمة للهدى
اي للارشاد الى الحق بموجب قضائنا او بمقتضى
حكمتنا فنبين طريق الهدى من طريق الضلال
ليمتثل امرنا بسلوك الاول وينهنا عن
ارتكاب الثاني وقال الفراء معنى ان علينا للهدى
والاضلال فحذف المعطوف كقوله تعالى سرابيل
تقيكم الحر وهو معنى قول ابن عباس يريد ارشد

اولياي

اولياي للعمل بطاعتي واحول بين اعداي ان يعملوا
بطاعتي وهو معنى الاضلال وقيل معناه من سلك
سبيل الهدى فعلى الله تعالى سبيله كقوله تعالى
وعلى الله قصد السبيل وان لنا للاخرة والاولى
اي لنا ما في الدنيا والاخرة فنعطي في الدارين
ما نشاء لمن نشاء فمن طلبها من غيرنا فقد اخطأ
الطريق وعن ابن عباس قال ثواب الدنيا والاخرة
وهو كقوله تعالى من كان يريد ثواب الدنيا فعند
الله ثواب الدنيا والاخرة فانذرتكم اي حذرتكم
وانذرتكم ايها المخالفون للطريق الذي
بينته نارا تلظى بحذف احدى التاءين من
الاصل اي تتلهب وتتوقد وتتوهج يقال
تلظت النار تلظيا ومنه سميت جهنم لظى
وقرأ البزي في الوصل تشديد التاء وهو
عسر لالتقاء الساكنين على غير حدهما وهو
نظير قوله تعالى اذ تلقونه والباقون بغير
تشديد لا يصلاها اي لا يقاسي شدتها على
طريق اللزوم والانغماس الا الاشقى اي الذي
هو في الذروة من الشقاوة وهو الكافر فان
الفاسق وان دخلها لم يلزمها ولذلك
سماه اشقى ووصفه بقوله تعالى الذي

Copyright © King Saud University

كذب النبي صلى الله عليه وسلم **وتولى** اي عن
الايمان أو كذب الحق واعرض عن الطاعة او
الاشقى بمعنى الاشقى بمعنى الشقي كقوله
لست فيها باوحد اي بواحد والحصر مؤول لقوله
تعالى ويغفر مادون ذلك لمن يشا فيكون المراد
المصلي المؤبد **وسيجنبها** اي النار الموصوفة
بوعد لا يخلق فيه **الاتقى** اي الذي اتقى الشرك
والمعاصي فانه لا يدخلها فضلا ان يدخلها
ويصلاها ومفهوم ذلك على التفسير الاولى
ان من اتقى الشرك دون المعصية لا يتجنبها
ولا يلزم ذلك صليها ولا يخالف الحصر
السابق او الاتقى بمعنى التقي على وزان ما مر **الاتقى**
الذي يؤتي ماله اي يصرفه في وجوه الخير كقوله
تعالى **يتزكى** فانه بدل من يؤتي او حال
من فاعله فعلى الاول لا محل له لانه داخل
في حكم الصلة والصلة لا محل لها وعلى
الثاني محل نصب قال البغوي يعني ابا بكر الصد
يق رضي الله عنه في قول الجميع قال ابن الزبير
كان يبتاع الضعفة فيعتقهم فقال له ابوه اي
بني لو كنت تبتاع من يمنع ظهرك فقال منع ظهري
اريد فانزل الله تعالى وسيجنبها الاتقى الى اخر

السورة

السورة وذكر محمد بن اسحاق قال كان بلال لبعض
بني جمح وهو بلال بن رباح واسم امه حمامة وكان
صادق الاسلام طاهر القلب وكان امية بن
خلف يخرجه اذا حميت الشمس فيطرحه على ظهره
ببطحاء مكة ثم يامر بالصخرة العظيمة فتوضع على
صدره ثم يقول لا تزال هكذا حتى تموت او تكفر
بمحمد فيقول وهو في ذلك احد احد قال محمد بن
اسحاق عن هشام بن عروة عن ابيه قال مر
به ابو بكر يوما وهم يصنعون به ذلك وكان
دار ابي بكر في بني جمح فقال لامية الا تتقي الله
تعالى في هذا المسكين قال انت افسدته فانقذه مما
ترى قال ابو بكر افعل عندي غلام اسود
اجلد منه واقوى على دينك اعطيكه به
قال قد فعلت فاعطاه ابو بكر غلامه واخذه
فاعتقه وكان قد اعتق ست رقاب على الاسلام
قبل ان يهاجر بلال سابعهم وهم عامر
بن هيرة شهد بدرا واحدا وقتل يوم بدر
معونة شهيدا واعتق ام عميس فاصيب بصرها
حتى اعتقها فقالت قريش ما اذهب بصرها
حتى اعتقها فقالت قريش ما اذهب بصرها
الا اللات والعزى فقالت كذبوا وبيت الله

Copyright © King Saud University

ماتضر اللات والعزى فقالت كذبوا وبيت الله
ماتضر اللات والعزى ولا ينفعان فرد الله تعالى
بصرها واعتق ولا ينبتا النهدية وابنتها وكا
نت لامراة لبني عبد الدار فمر بهما وقد بعثتهما
سيدتهما بطحين لها وهي تقول لهما والله
لا اعتقكما ابدا فقال ابو بكر حلا انا ام فلان
قالت حلا انت افسدتهما فاعتقهما قال بكم
قالت بكذا وكذا قال قد اخذتهما وهما حرتان
ومر بجارية من بني المومل وهي تعذب فابتا
عها فاعتقها وقال سعيد بن المسيب بلغني
ان امية بن خلف قال لابي بكر في بلال اتبيعه
قال نعم ابيعه بقسطاس عبد لابي بكر صاحب
عشرة الاف دينار وغلمان وجوار ومواشي
وكان مشركا حمله ابو بكر على الاسلام
على ان يكون ماله له فابى فابغضه ابو بكر فلما
قال له امية ابيعه بغلامك قسطاس اغتنمه
ابو بكر وباعه به وروى الضحاك عن ابن عباس
قال عذب المشركون بلالا وبلال يقول احد احد
فمر النبي صلى الله عليه وسلم فقال احد يعني
الله تعالى ينجيك ثم قال النبي صلى الله
عليه وسلم لابي بكر يا ابا بكر ان بلالا يعذب

في

في الله فعرف ابو بكر الذي يريد رسول الله صلى
الله عليه وسلم فانصرف الى منزله فاخذ رطلا
من ذهب ومضى به الى امية بن خلف فقال له
اتبيعني بلالا اي امية بن خلف فقال له اتبيعني
بلالا قال نعم فاشتراه فاعتقه فقال المشركون
ما فعل ذلك ابو بكر ببلال الا ليد كانت لبلال عنده
فانزل الله تعالى وما لاحد عنده اي ابي بكر
من نعمة تجزى اي يد يكافئه عليها وقوله تعالى
الا ابتغاء استثناء منقطع اي لم يفعل ذلك
مجازاة لاحد بيد كانت له عنده لكن فعله
ابتغاء وجه ربه اي المحسن اليه الاعلى وطلب
رضاه ويجوز ان يكون متصلا عن محذوف مثل
لا يؤتى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى لا لمكافئة نعمة
ولسوف يرضى اي بما يعطى من الثواب في الجنة
وروي عن علي قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم رحم الله ابا بكر زوجني ابنته
وحملني الى دار الهجرة واعتق بلالا والاية
تعم من فعل مثل فعله فيبعد عن النار ويثاب
وقرا حمزة والكسائي بنى تجلى والانثى لشتى
من اعطى واتقى وصدق بالحسنى واستغنى
بالحسنى تردى للهدى وان ودى تلظى الاشقى

Copyright © King Saud University

وتولى الاتقى يتزكى تجزى الاعلى يرضى بالامالة
محضة فى جميع ذلك واما ورش جميع ذلك بين بين
والفتح عنه قليل ولدٰ فيمن اعطى الفتح وبين اللفظين
سوا وامال ابوبكر وبين بين الازرق اعطى لانه
ليس براس اية والباقون بالفتح وقرا ابوبكر
وحمزة والكسائي لليسرى للعسرى بالامالة
محضة وورش بين اللفظين والباقون بالفتح
واما حمزة والكسائى يصلاها محضة ولورش
الفتح وبين اللفظين واذا فتح غلظ اللام واذا امال
رققه واما الاشقى والاتقى الذى فلا يميلا
لان الاتى الوقف دون الوصل وقول البيضا
وى تبعا للزمخشرى ان النبى صلى الله
عليه وسلم قال من قرا سورة الليل اعطاه
الله تعالى حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر
له اليسر حديث موضوع

سورة الضحى مكية

وهى احدى عشرة اية واربعون كلمة ومايتان
ثلثة وسبعون حرفا ولما نزلت كبر النبى صلى الله
عليه وسلم فسن التكبير اخرها وروى لامر به
خاتمها وخاتمة كل سورة بعدها وهو الله
اكبر او لا اله الا الله والله اكبر بسم الله الملك

ذى

ذى الجلال والاكرام الرحمن الذى عم برحمته
الخاص والعام الرحيم الذى خص اهل وده باتمام
الانعام وقوله تعالى والضحى قسم وقدم الكلام
على ذلك وخصه بالقسم لانها الساعة التى
كلم الله تعالى فيها موسى عليه السلام والقى فيها
السحرة سجدا وهو صدر النهار حتى
ترتفع الشمس ويلقى شعاعها لقوله تعالى وان
يحشر الناس ضحى وقال البغوى اراد النهار
كله بدليل انه قابله بالليل فى قوله تعالى
والليل اى الذى به تمام الصلاح اذا سجى
اى سكن وركد ظلامه يقال ليلة ساجية
ساكنة الريح وقيل معناه سكون الناس
والاصوات فيه وسجى البحر سكنت امواجه
وطرف ساجى فاتر وقال قتادة اقسم بالضحى
الذى كلم الله تعالى فيه موسى وبليلة المعراج
التى عرج فيها النبى صلى الله عليه وسلم
فان قيل ما الحكمة فى انه تعالى قدم هنا الضحى
وفى السورة التى قبلها الليل اجيب بان
لكل منهما اثرا عظيما فى صلاح العالم وللليل فضيلة
السبق لقوله تعالى وجعل الظلمات والنور
وللنهار فضيلة النور فقدم سبحانه هذا تارة

وهذا اخرى كالركوع والسجود فى قوله تعالى اركعوا
واسجدوا وقوله تعالى واسجدى واركعى مع
الراكعين او انه قدم الليل فى سورة ابى بكر
سبقة كفر وقدم الضحى فى سورة محمد صلى
الله عليه وسلم لانه نور محض ولم يتقدمه ذنب
او ان سورة والليل سورة ابى بكر وسورة والضحى
سورة محمد صلى الله عليه وسلم ولم يجعل بينهما
واسطة لتعلم انه لا واسطة بين محمد صلى الله
عليه وسلم وابى بكر رضى الله عنه فان قيل
ما الحكمة فى كونه تعالى ذكر الضحى وهو ساعة
وذكر الليل بجملته اجيب بان فى ذلك
اشارة الى ان ساعة من النهار توازن جميع
الليل كما ان محمدا صلى الله عليه وسلم يوازن
جميع الانبيا عليهم السلام وايضا الضحى وقت
السرور والليل وقت الوحشة ففيه اشارة الى
ان سرور الدنيا اقل من شرورها وان هموم
الدنيا ادوم من سرورها فان الضحى ساعة
والليل ساعات وروى ان الله تعالى
لما خلق العرش اظلت غمامة سودا فنادت
ماذا امطر فاجيبت ان امطرى السرور
ساعة فلهذا ترى الهموم والاحزان دائمة

السرور

السرور قليلا ونادرا وقدم ذكر الضحى واخر
الليل لانه يشبه الموت وقوله تعالى ما ودعك
اى تركك يا اشرف الرسل تركا يحصل به فرقة
كفرقة المودع وهو على احسن الوجوه الذى هو
مراد المودع ربك اى المحسن اليك جواب القسم
وما قلى اى وما ابغضك بغضا ما وتركت الكاف
لانه راس آية كقوله تعالى والذاكرين الله
كثيرا والذاكرات اى الله تنبيه اختلفوا فى نزول
هذه الآية على ثلاثة اقوال احدها ما روى البخارى
عن جندب بن سفيان قال اشتكى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليلتين او ثلاثا فجاءت
ام جميل امراة ابى لهب فقالت يا محمد انى لارجوا
ان يكون شيطانك قد تركك لم اره قربك منذ
ليلتين او ثلاث فنزلت ثانيها ما روى ابو عمر
وقال قال ابطا جبريل عليه السلام على النبى
صلى الله عليه وسلم حتى شق عليه فجاء
وهو واضع جبهته على الكعبة يدعو وانزل
عليه الآية ثالثها ما روى ان خولة كانت
تخدم النبى صلى الله عليه وسلم فقالت ان جرو
ادخل البيت فدخل تحت السرير فمات الى
جرو ادخل البيت فدخل تحت السرير فمات فمكث

النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ان جرو ادخل
البيت انا ما لا نزل عليه الوحي فقال صلى الله
عليه وسلم يا خولة ما حدث في بيتي ان جبريل
عليه السلام لا ياتيني قالت خولة فكنست
فاهويت بالمكنسة تحت السرير فاذا جرو ميت
فاخذته فالقيته خلف الجدار فجاء نبي الله صلى
الله عليه وسلم ترعد لحياه وكان اذا نزل عليه
الوحي استقبلته الرعدة فقال يا خولة
دثريني فانزل الله تعالى هذه السورة ولما
نزل جبريل عليه السلام ساله النبي صلى الله
عليه وسلم عن التاخر فقال اما علمت انا
لا ندخل بيتا فيه كلب ولا صورة رابعها
ما روي ان اليهود سالوا النبي صلى الله
عليه وسلم عن الروح وذي القرنين واصحاب
الكهف فقال صلى الله عليه وسلم ما خبركم
غدا ولم يقل ان شا الله فاحتبس عنه الوحي
الى ان نزل جبريل عليه السلام بقوله تعالى
ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان
يشا الله فاخبره بما سال عنه وفي هذه
القصة نزلت ما ودعك ربك واختلفوا في
مدة احتباس الوحي عنه فقال ابن جريج اثني

عشر

اثني عشر يوما وقال ابن عباس خمسة عشر يوما وقال
مقاتل اربعون يوما قالوا وقال المشركون ان
محمدا ودعه ربه وقلاه فانزل الله تعالى هذه
السورة فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا جبريل
ما جيت حتى اشتقت اليك فقال جبريل عليه
السلام اني كنت اليك اشد شوقا ولكني عبد
مامور وانزل وما نتنزل الا بامر ربك **وللا** خرة
التي هي المقصودة من الوجود بالذات لانها
باقية خالصة عن شوائب الكدر **خير لك** لما
فيها من الكرامات لك **من الاولى** اي الدنيا الفانية
التي لا سرور فيها خالص وقيد تعالى بقوله
سبحانه لك لانها ليست خيرا لكل احد قال
الشافعي ان الناس على اربعة اقسام منهم من
له الخير في الدارين وهم اهل الطاعة الاغنيا
ومنهم من له الشر فيهما وهم الكفرة الفقرا
ومنهم من له صورة شر في الدنيا وخير في
الاخرة وهم الفقرا المومنون وروى البغوي
بسنده عن ابن مسعود قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انا اهل البيت اختار
الله لنا الاخرة على الاولى **ولسوف يعطيك**
اي بوعد له مخلوق فيه وان تاخر وقته بما فيه

Copyright © King Saud University

الاذاة ربك اي المحسن اليك بسائر النعم في الاخرة
من الخيرات عطاء جزيلا فترضى اي به فقال صلى
الله عليه وسلم اذا لا ارضى وواحد من امتي
في النار وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبي
صلى الله عليه وسلم رفع يديه وقال اللهم
امتي امتي وبكى فقال الله تعالى يا جبريل اذهب
الى محمد فقل له انا سنرضيك في امتك ولا
نسوءك وعن ابي هريرة انه صلى الله عليه
وسلم قال لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي
دعوته واني اختبأت دعوتي شفاعة لامتي
يوم القيامة فهي نائلة من مات لا يشرك بالله
شيئا وعن عوف بن مالك ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال اتاني ات من عند ربي فخيرني
بين ان يدخل نصف امتي الجنة وبين الشفاعة
فاخترت الشفاعة فهي نائلة من مات ولم
يشرك بالله شيئا وعن شريح قال سمعت ابا جعفر
محمد بن علي يقول انكم معشر اهل العراق تقولون
ارجى اية في القران قل يا عبادي الذين اسرفوا
على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله وانا
اهل البيت نقول ارجى اية في كتاب الله تعالى
ولسوف يعطيك ربك فترضى وفي هذا توعد

لما

لما اعطاه الله تعالى في الدنيا من الفتح والظفر باعدايه
يوم بدر ويوم فتح مكة ودخول الناس في الدين
افواجا والغلبة على قريظة والنضير واجلايهم
وبث عساكره وسراياه في بلاد العرب وما فتح على
خلفايه الراشدين في اقطار الارض من المداين وهد
بايديهم من ممالك الجبابرة وانهبهم من
كنوز الاكاسرة وما قذف في قلوب اهل الشرق
والغرب من الرعب وتهيب الاسلام وفشو
الدعوة واستيلاء المسلمين ولما اعطاه في الاخرة
من الثواب الذي لا يعلم كنهه الا الله تعالى
قال ابن عباس له في الجنة الف قصر من لولو
ابيض ترابه المسك فان قيل ما هذه اللام
الداخلة على سوف اجيب بانها لام الابتدا
المؤكدة لمضمون الجملة والمبتدا محذوف تقديره
ولانت سوف يعطيك وذلك انها لا تخلوا من
ان تكون لام قسم او ابتدا فلام القسم لا تدخل
على المضارع الا مع نون التوكيد فبقي ان تكون لام
ابتدا والخبر فلا بد من تقدير مبتدا وخبر وان
تكون اصله ولانت سوف يعطيك فان قيل
ما معنى الجمع بين حرفي التوكيد والتاخير اجيب
بان معناه ان العطا كاين لا محالة وان تاخر

لما في التاخير من المصلحة على انه تعالى اخبر نبيه
صلى الله عليه وسلم بالحال الذي كان عليها فقال
جل ذكره الم يجدك وهو استفهام تقرير اي
وجدك يتيما وذلك ان اباه مات وهو جنين قد ا
نت عليه ستة اشهر وقيل مات ولادته وماتت قبل
امه وهو ابن ثمان سنين فاوى اي بان ضمك
الى عمك ابي طالب فاحسن تربيتك وعن مجاهد
هو من قول العرب درة يتيمة اذا لم يكن لها
نظير فالمعنى الم يجدك يتيما واحدا في شرفك
لا نظير لك فاواك الله تعالى باصحاب يحفظونك
ويحوطونك وهذا خلاف الظاهر من الاية
ولهذا قال الزمخشري ومن بدع التفاسير انه
من قولهم درة يتيمة وان المعنى الم يجدك
واحدا في قريش عديم النظير فاواك فان
قيل كيف ان الله تعالى يمن بنعمه والمن بها
لا يليق ولهذا ذم فرعون في قوله لموسى
الم نربك فينا وليدا اجيب بان ذلك
حسن اذا قصد به تقوية قلبه ووعده بدوام
النعمة فامتنان الله تعالى زيادة نعمه بخلاف
امتنان الادمي واختلفوا في قوله تعالى
ووجدك ضالا فهدى فاكثر المفسرين على انه

ضلال

ضالا عما هو عليه الآن من الشريعة فهداه الله تعالى
اليها وقيل الضلال بمعنى الغفلة كقوله
تعالى لا يضل ربي ولا ينسى اي لا يغفل وقال تعالى
في حق نبيه صلى الله عليه وسلم وان كنت من
قبله لمن الغافلين وقال الضحاك المعنى لم تكن
تدر القران وشرائع الاسلام وقال السدي وجدك
ضالا اي في قوم ضلال فهداهم الله تعالى بك
او فهداك الى ارشادهم وقيل وجدك ضالا
عن الهجرة فهداك اليها وقيل ناسيا شان
الاستثنا حين سئلت عن اصحاب الكهف
وذي القرنين والروح فذكرك كقوله تعالى ان
تضل احداهما وقيل ووجدك طالبا للقبلة
فهداك اليها كقوله تعالى قد نرى تقلب وجهك
في السماء الاية ويكون الضلال بمعنى الطلب
لان الضال طالب وقيل ووجدك ضايعا في
قومك فهداك اليهم ويكون الضلال بمعنى
المحبة كما قال تعالى قالوا تالله انك لفي ضلالك
القديم اي في محبتك قال الشاعر
هذا الضلال اشاب مني المفرقا
والعارضين ولم اكن متحققا
عجبا لعزة في اختيار قطيعتي

Copyright © King Saud University

بعد الضلال فخلها قد اخلقا
وروى الضحاك عن ابن عباس ان النبي صلى الله
عليه وسلم ضل في شعاب مكة وهو صبي صغير
فراه ابو جهل منصرفا عن اغنامه فرده الى
عبد المطلب وقال سعيد بن المسيب فخرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم مع عمه ابي طالب في
قافلة ميسرة عبد خديجة فبينما هو راكب ذات
ليلة مظلمة ناقة جاء ابليس فاخذ بزمام الناقة
فعدل بها عن الطريق فجاء جبريل عليه السلام
فنفخ ابليس نفخة وقع منها الى ارض الحبشة ورده
الى القافلة فمن الله تعالى عليه بذلك وقيل
ضالا نفسك لا تدري من انت فعرفك نفسك
وحالك وقال كعب ان حليمة لما قضت حق
الرضاع جاءت برسول الله صلى الله عليه وسلم
لترده على عبد المطلب فسمعت عند باب مكة
هنيئا لك يا بطحاء مكة اليوم يرد اليك النور
والبهاء والجمال قالت فوضعته لاصلح ثيابي فسمعت
هدة شديدة فالتفت فلم اره فقلت معشر
الناس اين الصبي فقالوا لم نر شيئا فصحت
وا محمداه فاذا شيخ فان يتوكا على عصا فقال اذهبي
الى الصنم الاعظم فان شاء ان يرده اليك فعل

ثم

ثم طاف الشيخ بالصنم وقبل راسه وقال يا رب
لم تزل منتك على قريش وهذه السعدية
تزعم ان ابنها قد ضل فرده ان شئت فانكب
على وجهه وتساقطت الاصنام وقالت اليك
عنا ايها الشيخ فهلاكنا على يد محمد فالقى الشيخ
عصاه وارتعد وقال ان لابنك ربا لا يضيعه
فاطلبه على مهل فانحشرت قريش الى عبد
المطلب وطلبوه في جميع مكة فلم يجدوه
فطاف عبد المطلب بالكعبة سبعا وتضرع الى
الله تعالى ان يرده وقال
يا رب رد ولدي محمدا
رده ربي واصطنع عندي يدا
فسمعوا مناديا ينادي من السماء معاشر الناس
لا تضجوا فان لمحمد ربا لا يخذله ولا يضيعه
وان محمدا بوادي تهامة عند شجرة السمر فسار
عبد المطلب هو وورقة ابن نوفل فاذا النبي
صلى الله عليه وسلم قائم تحت شجرة يلعب
بالاغصان وبالورق وفي رواية ما زال
عبد المطلب يردد البيت حتى اتاه ابو جهل
على ناقة ومحمد صلى الله عليه وسلم بين يديه
وهو يقول لا تدري ماذا جرى من ابنك

Copyright © King Saud University

فقال عبد المطلب ولم فقال اني انخت الناقة واركبته
خلفي فابت الناقة ان تقوم فلما اركبته امامي
قامت الناقة قال ابن عباس رده الله تعالى الى
جده بيد عدوه كما فعل بموسى عليه السلام رد
حين حفظه عند فرعون وقيل وجدك ضالا
ليلة المعراج حين انصرف عنك جبريل وانت
لا تعرف الطريق فهداك الى ساق العرش وقال
بعض المتكلمين اذا وجدت العرب شجرة منفردة
من الارض لا شجرة معها سموها ضالة
فيهتدى بها الى الطريق فقال الله تعالى لنبيه
صلى الله عليه وسلم ووجدك ضالا اى
لا احد على دينك بل انت وحيد ليس معك
احد فهديت بك الخلق الي وقيل الخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره
فقوله تعالى ووجدك ضالا فهدى اى
وجد قومك ضلالا فهداهم بك وقيل
غير ذلك قال الزمخشري ومن كان على امر
قومه اربعين سنة فان اراد انه كان على
خلوهم من العلوم السمعية فنعم وان اراد
انه كان على كفرهم ودينهم فمعاذ النبوة وبعدها
من الكبائر والصغائر الشائنة فما بال الكفر

والجهل

والجهل بالصانع ما كان عند الكفار ان يبق له
كفر ووجدك عائلا اى فقيرا فاغنى قال مقاتل
فرضاك بما اعطاك من الرزق واختاره الفرا
وقال لم يكن غنى عن كثرة المال ولكن الله
تعالى ارضاه بما اعطاه وذلك حقيقة الغنا قال
صلى الله عليه وسلم ليس الغنا عن كثرة العرض
ولكن الغنا غنى النفس وقال صلى الله عليه
وسلم قد افلح من اسلم قد افلح من اسلم ورزق
كفافا وقنعه الله بما اتاه وقيل اغناك بمال
خديجة وتربية ابي طالب ولما اختل ذلك
اغناه بمال ابي بكر ولما اختل ذلك امره بالهجرة
واغناه بالغنائم روى الزمخشري انه صلى
الله عليه وسلم قال جعل رزقي تحت ظل رمحي
وقال الرازي العائل ذو العيلة ثم اطلق على
الفقير ويجوز ان يراد ووجدك ذا عيال
لا تقدر على التوسعة عليهم فاغناك بما
حصل لك من ربح التجارة ثم من كسب الغنائم
وروى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عباس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
سألت ربي مسالة وددت اني لم اكن سألته
قلت يا رب انك اتيت سليمان بن داود ملكا

Copyright @ King Saud University

عظيما وانت فلانا كذا او فلانا كذا قال يا محمد
الم اجدك ضالا فهديتك قلت بلى
يا رب قال الم اجدك عائلا فاغنيتك قلت
بلى يا رب وفي رواية الم اشرح لك صدرك
ووضعت عنك وزرك قلت بلى يا رب ثم
اوصاه باليتامى والمساكين والفقراء فقال
تعالى **فاما اليتيم** اي هذا النوع **فلا تقهر**
قال مجاهد لا تحتقر اليتيم فقد كنت يتيما وقال
الفراء لا تقهر على ماله فتذهب بحقه لضعفه
كذا كانت تفعل في احوال اليتامى تاخذ
اموالهم وتظلمهم حقوقهم وروي انه
صلى الله عليه وسلم قال خير بيت بيت فيه
يتيم يحسن اليه وشر بيت في المسلمين بيت
فيه يتيم يساء اليه ثم قال باصبعيه انا
وكافل اليتيم في الجنة هكذا وهو يشير
باصبعيه تنبيه اليتيم منصوب
بتقهر وبه استدل ابن مالك على انه لا يلزم
من تقديم المعمول تقديم العامل الا ترى ان
اليتيم منصوب بالمجزوم وقد تقدم على
الجازم ولو تقدم على لا لامتنع لان المجزوم
لا يتقدم على جازمه كالمجرور لا يتقدم على

جاره

٤٥٣

جاره وفي الاية دلالة على اللطف باليتيم وبره
والاحسان اليه وقال صلى الله عليه وسلم
من ضم يتيما وكان في نفقته وكفاه مؤنته
كان له حجابا من النار يوم القيامة وقال من
مسح براس يتيم كان له بكل شعرة حسنة وقال
قتادة كن لليتيم كالاب الرحيم فان قيل
ما الحكمة في ان الله تعالى اختار لنبيه اليتم
اجيب بوجوه احدها ان يعرف حرارة
اليتم فيترفق باليتيم ثانيها مشاركته في الاسم
فيكرمه لاجل ذلك لقوله صلى الله عليه وسلم
اذا سميتم الولد محمدا فاكرموه ووسعوا له
في المجلس ثالثها ليعتمد من اول عمره على
الله تعالى فيشبه ابراهيم عليه السلام في
قوله حسبي من سؤالي علمه بحالي رابعها
ان اليتيم تظهر عيوبه فلما لم يجدوا عيبا
لم يجدوا فيه مطعنا خامسها جعله يتيما
ليعلم كل احد ان فضيلته ابتداء من الله
تعالى لا من تعليم لان من له اب فانه يؤدبه
ويعلمه سادسها اليتم والفقر نقص في العادة
فكونه صلى الله عليه وسلم مع هذين الوصفين
من اكرم الخلق كان ذلك قلبا للعادة فيكون

Copyright © King Saud University

معجزة واما السايل اي الذي احوجته العيلة
اوغيرها الى السوال فلا تنهر فلا تزجر يقال
نهره وانتهره اذا زجره واغلظ عليه القول
ولكن رده ردا جميلا قال ابراهيم ابن ادهم نعم
القوم السوال يحملون زادنا الى الاخرة وقال
ابراهيم النخعي السايل بريدنا الى الاخرة
يجي الى باب احدكم فيقول هل تبعثون
الى اهليكم شي وقيل المراد بالسايل
هنا الذي يسال عن الدين وروى الزمخشري
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا رددت
السايل ثلاثا فلم يرجع فلا عليك ان تزبره
وقيل اما انه ليس السايل المستجدي ولكن
طالب العلم اذا جاءك فلا تنهره واما بنعمة
ربك اي المحسن اليك بالنبوة وغيرها
فحدث بها فان التحدث بها شكرها واما
يجوز لغيره صلى الله عليه وسلم مثل هذا
اذا قصد به اللطف وان تقتدي به غيره
وامن على نفسه الفتنة والستر افضل
ولو لم يكن في الذكر الا التشبه باهل الريا
والسمعة لكفى والمعنى انك كنت يتيما وضالا
وعايلا فاواك الله وهداك واغناك فمهما

يكن

يكن من شي فلا تنس نعمة الله عليك في هذه
الثلاث واقتد بالله فتعطف على اليتيم واوه
فقد ذقت اليتم وهوانه ورايت كيف فعل الله
تعالى بك وترحم على السايل وتفقده بمعروفك
ولا تزجره عن بابك كما رحمك ربك فاغناك
بعد الفقر وحدث بنعمة الله كلها ويدخل تحت
هداية الضلال وتعليم الشرايع والقران
مقتديا بالله تعالى في ان هداه من الضلالة
وقال مجاهد تلك النعمة هي القران والحديث
فيه ان تقرا وتقري غيرك وعنه ايضا تلك النعمة
هي النبوة اي بلغ ما انزل اليك من ربك وقيل
تلك النعمة هي ان وفقك الله سبحانه وتعالى فرا عيت
حق اليتيم والسايل فحدث بها ليقتدي بك غيرك
وعن الحسن بن علي قال اذا عملت خيرا فحدث
به اخوانك ليقتدوا بك الا ان هذا لا يحسن
الا اذا لم يتضمن ريا وظن ان غيره يقتدي
به كما علم مما مر وروي ان شخصا كان
جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فراه
رث الثياب فقال صلى الله عليه وسلم الك
مال فلير اثره عليك وروي انه صلى الله عليه
وسلم قال ان الله جميل يحب الجمال ويحب ان

Copyright © King Saud University

ترى اثر النعمة على عبده فان قيل ما الحكمة في ان
الله تعالى اخر حق نفسه عن حق اليتيم والسائل
اجيب بانه يقول انا اغنى الاغنياء وهما
محتاجان وحق المحتاج اولى بالتقديم واختار
قوله تعالى فحدث قوله تعالى فاخبر ليكون
ذلك حديثا عنه لا ينساه ويعيده مرة بعد
اخرى وقرأ والضحى سجى قلى الاولى فترضى
فاوى فهدى فاغنى حمزة والكسائي بامالة
محضة لكن حمزة لم يمل سجى وامال ورش
وابو عمرو بين بين والفتح عن ورش قليل
والباقون بالفتح وروى ابي بن كعب ان
النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا بلغ الضحى
كبر بين كل سورتين الى ان يختم القران
ولا يصل بينهما بتكبيرة وكان المعنى في
ذلك ان الوحي تاخر عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم اياما فقال ناس من المشركين
قد ودعه صاحبه وقلاه فنزلت هذه السورة
فقال صلى الله عليه وسلم الله اكبر قال مجاهد
قرأت على ابن عباس فامرني به واخبره انه صلى
الله عليه وسلم امره به وبعض القراء لا يكبر
لان ذلك ذريعة الى الزيادة في القران وقال

القرطبي

القرطبي القران ثبت نقله بالتواتر سوره واياته
وحروفه بغير زيادة ولا نقصان فالتكبير ليس
بقران وقول البيضاوي تبعا للزمخشري ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة
والضحى جعله الله ممن يرضى لمحمد ان يشفع له
وعشر حسنات يكتبها الله له بعدد كل يتيم وسائل
حديث موضوع

سورة الم نشرح مكية

وهي ثمان ايات وسبع وعشرون كلمة ومائة
وثلاثة احرف بسم الله الظاهر الباطن الملك
العلام الرحمن الذي عم المخلوقين بالانعام
الرحيم الذي اولياه بدار السلام وقوله تعالى
الم نشرح استفهام بمعنى تقرير اي شرحنا لما نلقي
بعظمتنا لك يا اشرف الخلق صدرك بالنبوة
وغيرها حتى يسمع مناجاتنا ودعوة الخلق او
فتحناه بما اودعنا فيه من الحكم والعلوم
وازلنا عنه الضيق والحرج الذي كان يكون
معه العمى والجهل وعن الحسن ملئ حكمة وعلما
وقيل انه اشارة الى ما روي ان جبريل
عليه السلام اتى النبي صلى الله عليه وسلم
في صباه او يوم الميثاق فاستخرج قلبه

فملأه الله إيمانا وعلما فإن قيل لم قال
تعالى صدرك ولم يقل قلبك اجيب بأن
محل الوسوسة هو الصدر كما قال تعالى يوسوس
في صدور الناس فإزالة تلك الوسوسة وابدالها
بدواعي الخير فلذلك خص الشرح بالصدر دون
القلب وقال محمد بن علي الترمذي القلب محل
العقل والمعرفة وان الشيطان يجيء الى الصدر
الذي هو حصن القلب فاذا وجد مسلكا
اغار فيه وبث جنده فيه وبث الهموم والغموم
والحرص فيضيق القلب حينئذ ولا يجد
للطاعة لذة ولا للاسلام حلاوة فاذا طرد
العدو في الابتداء حصل الامن وانشرح
الصدر فان قيل لم قال تعالى الم نشرح لك
صدرك ولم يقل الم نشرح صدرك اجيب
بوجهين احدهما كأنه تعالى يقول لام بلام فأنت
انما تفعل جميع الطاعات لأجلي وانا افعل جميع
ما افعله لأجلك ثانيهما ان فيه تنبيها على ان
منافع الرسالة عائدة اليك لأجلك لا لأجلنا
واختلف في قوله تعالى ووضعنا اي بما لنا من
العظمة عنك وزرك فقال الحسن ومجاهد
حططنا عنك الذي سلف منك في الجاهلية

وهو قوله تعالى ليغفر لك ما تقدم من ذنبك
وما تأخر وقال الحسين بن الفضل يعني الخطأ
والسهو وقيل ذنوب امتك واضافتها اليه
لاشتغال قلبه بها الذي انقض اي اثقل ظهرك
قال ابو عبيدة خففنا عنك اعباء النبوة والقيام
بها حتى لا تثقل عليك وقيل كان في الابتداء
يثقل عليه الوحي حتى كاد يرمي نفسه من شاهق
الى ان جاءه جبريل عليه السلام وازال عنه
ما كان يخاف من تغير العقل وقيل عصمناك
من احتمال الوزر وحفظنا قبل النبوة في
الاربعين من الادناس حتى نزل عليك الوحي
وانت مطهر ورفعنا اي بما لنا من القدرة التامة
لك ذكرك روى الضحاك عن ابن عباس قال
يقول الله عز وجل لا ذكرت معي في الاذان والاقا مة
والتشهد ويوم الجمعة على المنابر ويوم الفطر
ويوم الاضحى ويوم عرفة وايام التشريق وعند
الجمار وعند الصفا والمروة وفي خطبة النكاح
وفي مشارق الارض ومغاربها ولو ان رجلا
عبد الله تعالى وصدق بالجنة والنار وكل
شيء ولم يشهد ان محمدا رسول الله لم ينتفع
بشيء وكان كافرا وقيل اعلنا ذكرك فذكر

Copyright © King Saud University

نذكرناك في الكتب المنزلة على الانبيا قبلك وامرنا
هم بالبشارة بك ولا دين الا ودينك يظهر عليه
وقيل رفعنا ذكرك عند الملائكة في السماء
وفي الارض عند المومنين ونرفع في الاخرة
ذكرك بما نعطيك من المقام المحمود وكرايم الدرجات
وقال الضحاك لا تقبل صلاة الا به ولا تجوز خطبة الا به وفيه
يقول حسان بن ثابت
اغر عليه للنبوة خاتم
من الله مشهود يلوح ويشهد
وضم الاله اسم النبي مع اسمه
اذا قال في الخمس المودن اشهد
وشق له من اسمه ليجله
فذو العرش محمود وهذا محمد
وقيل نرفع ذكره باخذ ميثاقه على النبيين
والزامهم الايمان به والاقرار بفضله وقيل
عام في كل ما ذكر وهذا اولى وكم من موضع
في القرآن يذكر فيه النبي صلى الله عليه
وسلم من ذلك قوله تعالى والله ورسوله احق ان
يرضوه وقوله تعالى ومن يطع الله ورسوله
فقد فاز فوزا عظيما وقوله تعالى واطيعوا
الله واطيعوا الرسول ولما كان المشركون يعيرونه

صلى

صلى الله عليه وسلم والمومنين بالفقر والضايقة
حتى سبق الى وهمه انهم رغبوا عن الاسلام
لافتقار اهله واحتقارهم فذكره ما انعم الله
به عليه من جلايل النعم ثم وعده اليسر والرخا
بعد الشدة فقال تعالى فان مع العسر اي ضيق
الصدر والوزر المنقض للظهر وضلال القوم
وايذايهم يسرا اي كالشرح والوضع والتوفيق
للاهتدا والطاعة فلا تياس من روح الله
اذا عراك ما يغمك فان مع العسر الذي انتم فيه
يسرا فان قيل ان مع للصحبة فما معنى اصطحاب
العسر واليسر اجيب بان الله تعالى اراد
ان يصيبهم بيسر بعد العسر الذي كانوا فيه بزمان
قريب فقرب اليسر المترقب حتى جعله كالمقارن
للعسر زيادة في التسلية وتقوية القلوب
وقوله تعالى ان مع العسر يسرا استيناف وعده
الله تعالى بان العسر متبوع بيسر اخر كثواب
الاخرة كقولك للصايم ان له فرحتين فرحة
اي فرحة عند الافطار وفرحة عند لقاء الرب
ويجوز ان يراد باليسرين ما تيسر من الفتوح في
ايام رسول الله صلى الله عليه وسلم وما
تيسر لهم ايام الخلفا وقيل تكرير فان قيل

ما معنى قول ابن عباس وابن مسعود لن يغلب عسر
يسرين وقد روي مرفوعا انه صلى الله عليه
وسلم خرج ذات يوم وهو يضحك ويقول لن
يغلب عسر يسرين اجيب بان هذا احمل
على الظاهر وبنا على قوة الرجا وان موعد الله
لا يحمل الا على اوفى ما يحتمل اللفظ وابلغه والقول
عنه انه يحتمل ان تكون الجملة الثانية تكريرا
للاولى كما كرر في قوله تعالى ويل يومئذ للمكذبين
لتقرير معناها في النفوس وتمكينها في القلوب
وكما تكرر المفرد في قولك زيد زيد وان تكون
الاولى عدة بان العسر مردف بيسر لا محالة
والثانية عدة مستانفة بان العسر متبوع
بيسر فهما يسران على تقدير الاستيناف وانما
كان العسر واحدا لانه لا يخلو اما ان يكون
تعريفه للعهد وهو العسر الذي كانوا فيه فهو
هو لان حكمه حكم زيد في قولك ان مع زيد
مالا ان مع زيد مالا واما ان يكون للجنس
الذي يعلمه كل احد فهو هو واما اليسر
فمنكر متناول لبعض الجنس فاذا كان الكلام
الثاني مستانفا غير مكرر فقد تناول بعضا
غيرا لبعض الاول بغير اشكال او بانه كن

يغلب

يغلب عسر الدنيا اليسر الذي وعد الله المؤمنين
واليسر الذي وعدهم في الاخرة انما يغلب احدهما
وهو يسر الدنيا فاما يسر الاخرة فدائم غير زائل
لا يجتمعان في الغلبة كقوله صلى الله عليه وسلم
شهرا عيد لا ينقصان اي لا يجتمعان في النقصان
فان قيل فما معنى هذه التنكير اجيب
بانه للتفخيم كانه قيل ان مع العسر يسرا عظيما واي
يسر روي عن ابن مسعود انه قال لو كان العسر
في جحر ضب لتبعه اليسر حتى يخرجه وللطبراني
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لو كان العسر في جحر لدخل اليسر حتى يخرجه
ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم الاية
ولما عدد تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم
نعمه السابقة ووعده الآنفة حثه على الشكر
والاجتهاد في العبادة بقوله تعالى فاذا فرغت
فانصب اي انصب في الدعا وقال ابن مسعود
فاذا فرغت من الفرائض فانصب في قيام الليل
وقال الشعبي اذا فرغت من التشهد فادع لدنيا ك
واخرتك وقال الحسن وزيد بن اسلم اذا فر غت
من جهاد عدوك فانصب في عبادة ربك وصل
قال حيان عن الكلبي اذا فرغت من تبليغ الرسا لة

فانصب استغفر لذنبك وللمؤمنين قال عمر
بن الخطاب اني اكره ان ارى احدكم فارغا لا في
عمل الدنيا ولا في عمل الآخرة **والى ربك** اي المحسن
اليك بفضائل النعم خصوصا بما ذكر في هاتين
السورتين **فارغب** اي اجعل رغبتك اليه
خصوصا ولا تسال الا فضله متوكلا عليه
وقيل تضرع اليه راغبا في الجنة راهبا من
النار عصمنا الله واحبابنا منها بمحمد صلى الله
عليه وسلم واله وقوله البيضاوي تبعا للزمخشري
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرا الم
نشرح فكانما جاءني وانا مغتم ففرج عني
حديث موضوع

سورة والتين والزيتون مكية

وقال ابن عباس وقتادة مدنية وهي ثمان
آيات واربع وثلاثون كلمة ومائة وخمسون
حرفا **الحمد لله** الذي له الملك كله **الرحمن**
الذي وسع الخلائق عدله **الرحيم** الذي خص
اولياءه بتوفيقه فظهر عليهم جوده وفضله
وقوله تعالى **والتين والزيتون** قسم وتقدم
نظائر ذلك اقسم بهما لانهما عجيبتان من بين
اصناف الاشجار المثمرة روي انه اهدي

للنبي

للنبي صلى الله عليه وسلم طبق من تين فاكل
منه وقال لاصحابه كلوا فلو قلت ان فاكهة
نزلت من الجنة لقلت هذه لان فاكهة الجنة
بلا عجم فكلوها فانها تقطع البواسير وتنفع من
النقرس ومر معاذ ابن جبل بشجرة الزيتون
فاخذ منها قضيبا واستاك به وقال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة
يطيب الفم ويذهب بالحفرة فسمعته يقول
هي سواكي وسواك الانبياء من قبلي وعن ابن
عباس هو تينكم هذا الذي تاكلون وزيتونكم
هذا الذي تعصرون منه الزيت وقال عكرمة
هما جبلان من الارض المقدسة يقال لهما
بالسريانية طور سينا وطور زيتا لانهما
منبتا التين والزيتون وقيل التين جبال
ما بين حلوان وهمدان والزيتون جبال الشام
لانهما منابتهما كانه قيل ومنابت التين والزيتون
وقال محمد بن كعب التين مسجد اصحاب
الكهف والزيتون مسجد ايليا وقال الضحاك
مسجدان بالشام وقال ابن زيد التين مسجد
دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس ومن

م

Copyright © King Saud University

القسم بهما لانهما موضع الطاعة وقيل التين
مسجد نوح عليه السلام الذي بناه على الجودي
والزيتون مسجد بيت المقدس وطور سينين
اي الجبل الذي ناجى موسى عليه ربه عز
وجل وسينين وسيناء اسمان للموضع
الذي هو فيه فاضيف الجبل الى المكان الذي
هو فيه وقال مقاتل والكلبي سينين كل جبل
فيه شجر مثمر فهو سينين كما لا ينصرف سينا
لانه جعل اسما للبقعة او الارض ولو جعل
اسما للمكان او للمنزل او اسم مذكر لانصرف
لانك سميت مذكرا بمذكر وانما اقسم بهذا
الجبل لانه بالشام وهي الارض المقدسة
وقد بارك فيها قال الله تعالى الى المسجد
الاقصى الذي باركنا حوله ولا يجوز ان
يكون سينين نعتا للطور لاضافته اليه
وهذا البلد الامين اي الامن من امن
الرجل امانة فهو امين وهي مكة حرسها
الله تعالى لانها الحرم الذي يامن الناس
فيه في الجاهلية والاسلام لا ينفر صيده
ولا يعضد ورقه اي شجره ولا تلتقط لقطته
الا لمنشد او المامون فيه يامن فيه من دخله

قال

قال الزمخشري ومعنى القسم بهذه الاشياء الا
بانة عن شرف البقاع المباركة وما ظهر
منها من الخير والبركة بسكنى الانبياء والصا لحين
فمنبت التين والزيتون مهاجر ابراهيم عليه
السلام ومولد عيسى عليه السلام ومنشاؤه
والطور المكان الذي نودي منه موسى عليه
السلام ومكة البيت الذي هو هدى للعالمين
ومولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومبعثه
انتهى وقوله تعالى لقد خلقنا اي قدرنا واوجدنا
بما لنا من العظمة والقدرة التامة الانسان
جواب القسم والمراد بالانسان الجنس الذي
جمع فيه الشهوة والعقل وفيه من الانس
بنفسه ما بينه اكثر منهم اي الكامل لادم
عليه السلام وذريته وقيل نزلت في منكري
البعث وقيل في الوليد بن المغيرة وقيل
كلدة بن اسيد وقوله تعالى في احسن تقويم
صفة لمحذوف اي في تقويم احسن تقويم
وقال ابو البقاء احسن تقويم في موضع الحال
من الانسان واراد بالتقويم القوام لان التقو يم
فعل وذاك وصف للخالق لا للمخلوق ويجوز
ان يكون التقدير في احسن قوام التقويم

Copyright © King Saud University

بحذف المضاف ويجوز ان تكون في زايدة اي قومناه
احسن تقويم انتهى واحسن التقويم اعدله
لانه تعالى خلق كل شي منكبا على وجهه
وخلق الانسان مستويا وله لسان ذلق ويد
واصابع يقبض بها قال ابن عباس العربي ليس
لله تعالى خلق احسن من الانسان فان
الله تعالى خلقه حيا عالما قادرا مريدا متكلما
سميعا بصيرا مدبرا حكيما وهذه صفات
الله تعالى وعبر عنها بعض العلما ووقع البيان
بقوله ان الله تعالى خلق ادم على صورته يعني
على صفاته المتقدم ذكرها وفي رواية على
صورة الرحمن ومن اين تكون للرحمن صورة
مشخصة فلم يكن الا معاني روي ان
عيسى بن موسى الهاشمي كان يحب زوجته
حبا شديدا فقال لها يوما انت طالق ثلاثا
ان لم تكوني احسن من القمر فنهضت واحتجبت
منه وقالت طلقتني فبات بليلة عظيمة فلما
اصبح غدا الى دار المنصور فاخبره الخبر
فاستحضر الفقها واستشارهم فقال جميع
من حضر قد طلقت الا رجلا واحدا من
اصحاب ابي حنيفة فانه كان ساكتا فقال له

المنصور

٣٦١

المنصور ما لك لا تتكلم فقال الرجل بسم الله
الرحمن الرحيم والتين والزيتون الى قوله تعالى
خلقنا الانسان في احسن تقويم يا امير المومنين
فالانسان احسن الاشيا ولا شي احسن منه
فقال المنصور لعيسى الامر كما قال الرجل فاقبل
على زوجتك فارسل المنصور اليها ان اطيعي
زوجك فما طلقك وهذا يدل على ان الانسان
احسن خلق الله تعالى ولذلك قيل انه العالم
الاصغر اذ كل ما في المخلوقات اجتمع فيه **ثم**
رددناه اي بعض افراده مما له من القدرة
الكاملة **اسفل سافلين** اي الى الهرم وارذل
العمر فيضعف بدنه وينقص عقله والسافلون
هم الضعفا والزمنا والاطفال والشيخ الكبير
اسفل من هولا جميعا لانه لا يستطيع حيلة
ولا يهتدي سبيلا تقوس ظهره بعد اعتداله
وابيض شعره بعد اسوداده وكل بصره وسمعه
وكان احد بدنه وتغير كل شي منه فمشيه
دليف وصوته خفات وقوته ضعف وشهامته
خرف وقيل ثم رددناه الى النار لانها دركات
بعضها اسفل من بعض فقوله تعالى **الا الذين**
امنوا وعملوا اي تصديقا لدعواهم الايمان

Copyright © King Saud University

الصالحات اي الطاعات استثنا متصل على الثاني
على ان المعنى رددناه اسفل من اسفل خلقا
وتركيبا يعني اقبح من قبح صورة واشوههم
خلقة وهم اهل النار واسفل من سفل من
اهل الدركات فالاتصال على هذا واضح وعلى
الاول منقطع اي لكن الذين كانوا صالحين
من الهرمى فلهم اي فثبت عن ذلك ان
كان لهم اجر غير ممنون اي ثواب دائم غير منقطع
على طاعتهم وصبرهم على ابتلاء الله تعالى لهم
بالشيخوخة والهرم وعلى مقاساة المشاق
والقيام بالعبادة على تخاذل نهوضهم وفي
الحديث اذا بلغ المؤمن من الكبر ما يعجزه عن
العمل كتب له ما كان يعمل وروي
عن ابن عباس قال الا الذين قرؤا القران لم
يردوا الى ارذل العمر ثم قال تعالى الزاما للحجة
فما يكذبك اي ايها الانسان الكافر بعد
اي بعد ما ذكر من خلق الانسان من نطفة
وتقويمه بشرا سويا وتدريجه في مراتب
الزيادة الى ان يستوي ويكمل وتصير في
احسن تقويم ثم نرده الى ارذل العمر الدال
على القدرة على البعث فيقول ان الذي فعل ذلك

فلا

قادر على ان يبعثني ويحاسبني فما سبب تكذيبك
ايها الانسان بالدين اي الجزا بعد هذا الدليل
القاطع وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه
وسلم وعلى هذا تكون المعنى فما الذي
يكذبك فيما تخبر به من الجزا او البعث بعد هذه
العبر التي توجب النظر فيها صحة ما قلت وقوله
تعالى اليس الله باحكم الحاكمين اي باقضى القا ضين
وعيد للكفار وانه يحكم عليهم بما هم اهله
وفي الحديث من قرا والتين الى اخرها فليقل
بلى وانا على ذلك من الشاهدين وقول البيضاو ي
تبعا للزمخشري عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرا سورة والتين اعطاه الله
تعالى خصلتين العافية واليقين ما دام في دار
الدنيا واذا مات اعطاه الله من الاجر بعدد
من قرا هذه السورة حديث موضوع

سورة العلق مكية

وهي عشرون اية واثنان وسبعون كلمة
ومائتان وسبعون حرفا بسم الله الذي
له صفات الكمال المستحق للالهية الرحمن الذي
عم جوده سائر البرية الرحيم الذي خص
اهل طاعته بالطاعة السنية وعن ابن

Copyright © King Saud University

عبس ومجاهد ان اول سورة نزلت من القران
اقرا باسم ربك واول ما نزل خمس ايات من
اولها اي قوله تعالى ما لم يعلم وعن عائشة
ام المومنين رضي الله تعالى عنها انها قالت
اول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه
وسلم من الوحي الرويا الصالحة ولمسلم
الصادقة في النوم فكان لا يرى رويا الا جاءت
مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلا وكان
يخلو بغار حرا يتحنث فيه وهو التعبد الليالي
ذوات العدد قبل ان ينزع الى اهله ويتزود
لذلك ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها
حتى فجاه الحق وفي رواية حتى جاءه الحق
وهو في غار حرا فجاه الملك فقال له
اقرا قال ما انا بقارئ قال فاخذني فغطني
حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرا
قلت ما انا بقارئ قال فاخذني فغطني
اقرا قلت ما انا بقارئ قال فاخذني
فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني
فقال اقرا قلت ما انا بقارئ قال فا
خذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد
ثم ارسلني فقال اقرا باسم ربك حتى بلغ

ما لم

ما لم يعلم فرجع بها رسول الله صلى الله عليه
وسلم يرجف فواده فدخل على خديجة بنت
خويلد فقال زملوني زملوني فزملوه حتى
ذهب عنه الروع فقال لخديجة واخبرها
الخبر لقد خشيت على نفسي فقالت له خديجة
كلا ابشر فوالله لا يخزيك الله ابدا انك لتصل
الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتكسب
المعدوم وتقري وتعين على نوايب الحق فانطلقت
به خديجة حتى اتت به ورقة ابن نوفل
بن اسد بن عبد العزى ابن عم خديجة
وكان امرا تنصر في الجاهلية وكان يكتب
الكتاب العبراني فيكتب من الانجيل بالعبرانية
ما شاء الله تعالى ان يكتب وكان شيخا كبيرا
قد عمي فقالت له خديجة يا ابن عم اسمع
من ابن اخيك فقال له ورقة يا ابن اخي
ماذا ترى فاخبره رسول الله صلى الله
عليه وسلم خبر ما راى فقال له ورقة
هذا الناموس الذي نزل على موسى يا ليتني
اكون فيها جذعا ليتني اكون حيا اذ يخرجك
قومك فقال له رسول الله صلى الله عليه
وسلم او مخرجي هم فقال نعم لم يات رجل

Copyright © King Saud University

قط مثل ما جئت به الا عودي وان يدركني
يومك انصرك نصرا موزرا ثم لم يلبث
ورقة ان توفي وفتر الوحي فترة زاد البخاري
قال وفتر الوحي حتى حزن النبي صلى الله
عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا
حتى يتردى من رؤس شواهق الجبال فكلما
اوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه منه تبدى
له جبريل عليه السلام فقال له يا محمد انك
لرسول الله حقا فيسكن لذلك جاشه
وتقر نفسه فيرجع فاذا طالت عليه فترة
الوحي غدا لمثل ذلك فاذا اوفى بذروة
جبل تبدى له جبريل فقال له مثل
ذلك ففي هذا الحديث دليل صحيح صريح
على ان سورة اقرا اول ما نزل من القران
وفيه رد على من قال ان المدثر اول ما نزل
من القران وعلى من قال ان الفاتحة اول
ما نزل ثم سورة القلم وهذا الحديث من
مراسيل الصحابة ومرسل الصحابي حجة
عند جميع العلما الا ما تفرد به الاستاذ ابو
اسحاق الاسفرايني وانما ابتدى صلى
الله عليه وسلم بالرويا لئلا يفجاه الملك

فيانه

فانه بصريح النبوة بغتة فلا تحملها القوى
البشرية فبدى باوائل علامة النبوة توطية
للوحي تنبيه محل باسم ربك النصب
على الحال اي اقرا مفتتحا باسم او متبركا
به قل بسم الله ثم اقرا وقال ابو عبيدة معنا
اقرا باسم ربك يعني ان الباء زائدة والمعنى
اذكر اسمه امران تبتدي القراة باسم الله
تعالى تادبا وقيل انها بمعنى على اي اقرا
على اسم ربك كما في قوله تعالى وقال اركبوا
فيها بسم الله مجراها قاله الاخفش فان قيل
كيف قدم هذا الفعل على الجار وقدم موخرا
في بسم الله الرحمن الرحيم اي على سبيل
الاولوية كما في اياك نعبد واياك نستعين
ولانه تعالى مقدم ذاتا لانه قديم واجب
الوجود لذاته فيقدم ذكرا اجيب بانه
هنا في ابتدا القراة وتعليمها لما مر انها
اول سورة نزلت فكان الامر بالقراة اهم
باعتبار هذا العارض وان كان ذكر الله
تعالى اهم في نفسه وذكرت اجوبة غير
هذا في مقدمتي على الحمدلة والبسملة وقوله
تعالى الذي خلق يجوز ان يقدر له مفعول ويراد

انه الذي جبل منه الخلق واستاثر به لا خالق
سواه وان يقدر له مفعول ويراد خلق كل شي
فيتناول كل مخلوق لانه مطلق فليس بعض
المخلوقات اولى بتقديره من بعض وقوله تعالى
خلق الانسان اي هذا الجنس الذي من شانه
الانس بنفسه وما زاي من اخلاقه وجنسه
وما الفه من ابنا جنسه تخصيص بالذكر
من بين ما يتناوله الخلق لان التنزيل اليه
وهو اشرف ما على الارض ويجوز ان يراد
الذي خلق الانسان كما قال تعالى الرحمن علم
القران خلق الانسان كما قال فقيل الذي خلق
مبهما ثم فسره بقوله تعالى خلق الانسان
تفخيما لانسان ودلالة على عجيب فطرته
وقوله تعالى من علق جمع علقة وهي الدم
الجامد فاذا جرى فهو المسفوح ولما كان
الانسان اسم جنس في معنى الجمع جمع العلق
ومثله لمطر وكالانس الاي انهم وقوله
تعالى اقرا تكرير للمبالغة او الاول مطلق وان
والثاني للتبليغ او في الصلاة قال السفها
ولعله لما قيل له اقرا باسم ربك قال
ما انا بقارئ فقيل له اقرا وربك الاكرم

اي

اي الزائد في الكرم على كل كريم فانه ينعم على
عبادة النعم التي لا تحصى ويحلم
عنهم ولا يعاجلهم بالعقوبة مع كفرهم وجحود
لنعمه وركوبهم المناهي في اطراحهم الاوامر
ويقبل توبتهم ويتجاوز عنهم بعد اقتراف
العظائم فما لكرمه غاية ولا امد وكانه
وراى التكرير بافادة الفوائد العظيمة تكرم
حيث قال الاكرم الذي علم اي بقد الحلم
عن معاجلتهم بالعقاب جودا منه من غير
مانع من خوف عاقبة ولا رجا منفعة بالقلم
اي الخط بالعلم علم الانسان ما لم يعلم
فدل على كمال كرمه بانه علم عباده ما لم
يعلمون ونقلهم من ظلمة الجهل الى نور
العلم ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه
من المنافع العظيمة التي لا يحيط بها الا هو
وما دونت العلوم ولا قيدت الحكم ولا
ضبطت اخبار الاولين ومقالاتهم ولا كتب
الله المنزلة الا بالكتابة ولولاهي ما استقامت
امور الدين والدنيا ولو لم يكن على دقيق حكمة
الله تعالى ولطيف تدبيره دليل الا امر القلم
والخط لكفى به ولبعضهم في صفة القلم

هم

Copyright © King Saud University

ورواقمد رقش لمتل اراقم
قطف الخطانبالة اقصي المدا
سود القوايم مايجد مسيرها
الا اذا لعبت بها بيض المدا

وقال قتادة القلم نعمة من الله تعالى ولولا ذلك
لم يقم دين ولم يصلح عيش فدل علي كمال
كرمه تعالى وروى عبد الله بن عمر قال
قلت يا رسول الله اكتب ما اسمع منك
من الحديث قال نعم فاكتب فان الله تعالى
علم بالقلم ويروى ان سليمان عليه السلام
سال عفريتا عن الكلام فقال ريح لا تبقي قال
فما قيده قال الكتابة وعن عمر قال خلق
الله تعالى اربعة اشيا بيده ثم قال الله
تعالى لساير الحيوان كن فكان القلم والعرش
وجنة عدن وادم عليه السلام وفيمن
علم بالقلم ثلاثة اقوال احدها قال كعب
اول من كتب بالقلم ادم عليه السلام ثانيها
قال الضحاك ادريس عليه السلام ثالثها
انه جميع من كتب بالقلم لانه ما علم الا
بتعليم الله تعالى وقال القرطبي الاقلام ثلاثة
في الاصل القلم الاول الذي خلقه الله

تعالى

تعالى بيده وامره ان يكتب والثاني قلم الملايكة
الذي يكتبون به المقادير والكوائن والثالث
اقلام الناس يكتبون بها كلامهم ويصلون
به الى ماربهم وعن ابن مسعود قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسكنوا
نسائكم الغرف ولا تعلموهن الكتابة قال بعض
العلما وانما حذرهم صلى الله عليه وسلم
عن ذلك لان في اسكانهن الغرف تطلعا الى
الرجال وليس في ذلك تحصين لهن ولا ستر
وذلك انهن لا يملكن انفسهن حتى
يشرفن على الرجال فتحدث الفتنة فحذر
من ذلك وكذلك تعليم الكتابة ربما كان
سببا للفتنة لانها قد تكتب عن تهوى
والكتابة عين من العيون بها يبصر الشاهد
الغايب والخط اثار يد وفيها تعبير عن الضمير
بما لا ينطق به اللسان فهي ابلغ من اللسان
فاحب صلى الله عليه وسلم ان يقطع
عن المراة اسباب الفتنة تحصينا لهن
وقوله تعالى كلا ردع لمن كفر نعمة الله تعالى
بطغيانه وان لم يذكره لدلالة الكلام
عليه فانه تعالى قد عد مبدا امر الانسان

Copyright © King Saud University

ومنتهاه اظهارا لما انعم عليه من ان نقله من
احسن المراتب اى اعلاها بتقرير الربوبية
وتحقيقا للاكرمية ان الانسان اى هذا النوع
الذى من شانه الانس بنفسه والنظر فى عطفه
ليطغى اى من شانه الا من عصمه الله تعالى
ان يزيد على الحد الذى لا ينبغى له مجاوزته
ان رآه اى راى نفسه استغنى اى وجد
له الغنا بالمال وقيل ان يرتفع عن منزلته
فى اللباس والطعام وغير ذلك نزلت فى ابى
جهل كان اذا زاد ماله زاد فى ثيابه ومركبه
ومطعمه فذلك طغيانه وعن ابن عباس
لما نزلت هذه الاية وسمع بها المشركون
اتاه ابو جهل فقال يا محمد تزعم ان من
استغنى طغى فاجعل لنا جبال مكة ذهبا
لعلنا نأخذ منها فنطغى فندع ديننا
ونتبع دينك قال فاتاه جبريل عليه السلام
فقال يا محمد خيرهم فى ذلك فان شاؤوا
فعلنا بهم ما ارادوا فان لم يفعلوا فعلنا
بهم كما فعلنا باصحاب المائدة فكف عنهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدعاء
ابقاء لهم وقال ان رآه استغنى بالعشيرة والانصار

والاعوان

والاعوان وحذف اللام من قوله تعالى ان رآه
كما يقال انكم لتطغون ان رأيتم غناكم فراى
علمية واستغنى مفعول ثان وان راى مفعول
له ان الى ربك اى المحسن اليك بالرسالة
التى رفع بها ذكرك لا الى غيره الرجعى مصدر
كالبشرى بمعنى الرجوع ففى ذلك تخويف للانسان
فانه يجازى العاصى بما يستحقه وقوله تعالى
ارأيت فى مواضعها الثلاثة للتعجب الذى ينهى
اى على سبيل التجدد والاستمرار وهو ابو جهل
عبدا اى من العبيد وهو النبى صلى الله
عليه وسلم اذا صلى اى خدم سيده
الذى لا يقدر احد ان يذكر سيادته بايقاع
الصلاة التى هى اعظم العبادات نزلت
فى ابى جهل وذلك انه نهى النبى صلى الله
عليه وسلم عن الصلاة وعن ابى هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ابو جهل يعفر محمد وجهه بين اظهركم فقالوا
نعم فقال واللات والعزى لئن رأيته
يفعل ذلك لاطأن على رقبته او لاعفرن
وجهه فى التراب قال فاتى رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو يصلى ليطأ على رقبته

Copyright © King Saud University

فنكص على عقبيه وهو يتقي بيده فقيل له
مالك فقال ان بيني وبينه خندقا من
النار وهولا واجنحة فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لو دنى لاختطفته الملائكة
عضوا فانزل الله تعالى هذه الاية وفي رواية
لو فعله لاخذته الملائكة زاد الترمذي
عيانا وعن الحسن انه امية بن خلف كان
نهى سلمان عن الصلاة وفائدة التنكير
في قوله تعالى عبدا الدلالة على انه كامل
العبودية كانه قيل ينهى اشد الخلق عبودية
عن العبادة وهذا عين الجهل وقيل ان
هذا الوعيد يلزم كل من نهى عن الصلاة
وعن طاعة الله تعالى ولا يدخل في ذلك
المنع من الصلاة في الدار المغصوبة وفي الا
وقات المكروهة لانه قد ورد النهي عن
ذلك في الاحاديث الصحيحة ولا يدخل
منع السيد عبده والرجل زوجته عن صوم
التطوع وقيام الليل والاعتكاف لان ذلك
مصلحة الا ان ياذن فيه السيد والزوج
ارايت ان كان اي المنهي وهو النبي صلى
الله عليه وسلم على الهدى وقرا نافع بتسهيل

الهمزة

الهمزة بعد الراء وعن ورش ابدالها الفا واسقطها
الكسائي والباقون بالتحقيق وقوله تعالى او امر
بالتقوى اي الاخلاص والتوحيد للتقديم
تنبيه قوله تعالى ارايت تكرير للاول وكذا
الذي في قوله ارايت ان كذب و هو ابو جهل
وتولى عن الايمان الم يعلم اي يقع له علم
يوما من الايمان بان الله الذي له صفات الكمال
ويطلع على احواله من هداه وضلاله
فيجازيه على حسب ذلك اي اعجب منه يا مخا طب
نهيه عن الصلاة ومن حيث ان المنهي على
الهدى امر بالتقوى وفي وجه التعجب وجوه
احدها انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم
اعز الاسلام اما بابي جهل واما بعمر ابن الخطاب
وهو نهى عبدا اذا صلى الثاني انه يلقب بابي
الحكم فقيل الملقب بهذا اخسئ ان الناهي
مكذب متولي عن الايمان الثالث انه كان
يامر وينهى ويعتقد وجوب طاعته ثم انه
نهى عن طاعة الله تعالى وقوله تعالى كلا ردع
للناهي لئن لم ينته اي عما هو فيه واللام
لام قسم لنسفعا بالناصية اي لناخذن
بناصيته ولنسحبنه بها الى النار والسفع

Copyright © King Saud University

القبض على الثنى وجذبه بشدة قال عمرو بن
معدى كرب

قوم اذا نقع الصريخ رأيتهم
ما بين ملجم مهره وسافع

والنقع الصوت ولما علم انها ناصية المذكور
اكتفى باللام عن الاضافة والاية وان كانت
فى ابى جهل فهى عظة للناس وتهديد
لمن يمنع غيره من طاعة الله تعالى وقوله
تعالى ناصية بدل من الناصية قال
الزمخشرى وجاز بدلها عن المعرفة
وهى نكرة لانها وصفت اى بكاذبة
خاطئة واستقلت بفائدة واعترض عليه
بان هذا مذهب الكوفيين فانهم لا يجيزون
ابدال نكرة من معرفة الا بشرط وصفها
او كونها بلفظ الاول ومذهب البصريين
لا يشترط شى والمعنى لنأخذن بناصية
اى جهل الكاذبة فى قولها الخاطئة فى
فعلها والخاطئ معاقب ماخوذ والمخطئ غير
ماخوذ ووصفت الناصية بالكاذبة
الخاطئة كوصف الوجوه بالنظر فى قوله
تعالى الى ربها ناظرة وانما وصفت الناصية

بالكاذبة

بالكاذبة لانه كان يكذب على الله فى انه لم يرسل
محمدا صلى الله عليه وسلم وعلى رسوله فى انه
ساحر او ليس بنبى ووصفت بانها خاطئة
لان صاحبها تمرد على الله تعالى كما قال تعالى
لا ياكله الا الخاطئون فهما فى الحقيقة لصاحبها
وفيه من الحسن والجزالة ما ليس فى قولك
ناصية كاذبة خاطئ وروى ان ابا جهل
مر برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
يصلى فقال الم انهك فاغلظ عليه رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال اتنهرنى
وانا اكثر اهل الوادى ناديا من الله لاملان
عليك هذا الوادى ان شئت خيلا جردا ورجالا
مردا فانزل الله تعالى فليدع اى دعا استغاثة
ناديه اى اهل ناديه لينصروه فهو على حذف
مضاف لان النادى هو المجلس الذى ينتدى
فيه القوم قال تعالى وتاتون فى ناديكم المنكر
اى تتحدثون فيه او على التجوز لانه مشكل
على الناس كقوله واسال القرية ولا يسمى
المكان ناديا حتى يكون فيه اهله والمعنى
فليدع عشيرته فلينصرونهم سندع اى
بوعده خلق فيه الزبانية قال ابن عباس

Copyright © King Saud University

يريد زبانية جهنم سموا بها لانهم يدفعون
اهل النار اليها واحدها زبني ماخوذ من
الزبن وهو الدفع وقال الزمخشري الزبانية
في كلام العرب الشرط الواحد زبنية وقال
الزجاج هم الملائكة الغلاظ الشداد قال
ابن عباس لو دعا ناديه لاخذته زبانية
الله تعالى وروي ان النبي صلى الله
عليه وسلم لما قرا هذه السورة وبلغ الى
قوله تعالى لنسفعا بالناصية قال ابو جهل
انا ادعو قومي حتى يمنعوا عني ربك قال الله
تعالى فليدع ناديه سندع الزبانية فلما
ذكر الزبانية رجع فزعا فقيل له اخشيت منه
قال لا ولكن رايت عنده فارسا وهددني
بالزبانية فلا ادري الزبانية ومال الي
الفارس فخشيت منه ان ياكلني قال ابن عباس
والله لو دعا ناديه لاخذته ملائكة العذاب
من ساعته وقوله تعالى **كلا** ردع لابي
جهل اي ليس الامر على ما ظنه ابو جهل
لا تطعه اي فيما دعاك اليه من ترك الصلاة
كقوله تعالى ولا تطع المكذبين وقوله تعالى
واسجد يحتمل ان يكون بمعنى السجود في

الصلاة

الصلاة وان يكون سجود التلاوة في هذه
السورة ويدل لهذا ما ثبت في صحيح مسلم عن
ابي هريرة انه قال سجدت مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم في اذا السماء انشقت وفي اقرا
باسم ربك الذي خلق سجدتين وتقدم
نص ان المراد سجود التلاوة ويدل للاول
قوله تعالى كلا لا تطعه واسجد اي ودم على
سجودك قال الزمخشري يريد الصلاة لانه
لا يرى سجود التلاوة في المفصل والحديث
عليه **واقترب** اي وتقرب الى ربك بطاعته
وبالدعا اليه قال صلى الله عليه وسلم اما
الركوع فعظموا فيه الرب واما السجود فاجتهدوا
في الدعا فقمن اي حقيق ان يستجاب لكم وكان
صلى الله عليه وسلم يكثر في سجوده من البكا
والتضرع حتى قالت عائشة قد غفر الله لك
ما تقدم من ذنبك وما تاخر فما هذا البكا
في السجود وما هذا الجهد الشديد قال افلا
اكون عبدا شكورا وفي رواية اقرب ما يكون
العبد من ربه وهو ساجد فاكثروا الدعا
وقرا ليطغى استغنى اذا صلى على الهدى
بالتقوى وتولى حمزة والكسائي جميع ذلك بالامالة

Copyright © King Saud University

مخففة وورش وابو عمرو بين بين والفتح عن ورش
قليل والباقون بالفتح وقول البيضاوى تبعا
للزمخشرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة العلق اعطى من الاجر كانما
قرا المفصل كله حديث موضوع

سورة القدر مكية

فى قول اكثر المفسرين وحكى الماوردى عكسه
وذكر الواحدى انها اول سورة نزلت بالمدينة
وهى خمس ايات وثلاثون كلمة ومائة واثنى
عشر حرفا **بسم الله** الملك الاعظم الذى
لا يعبد الا اياه **الرحمن** الذى عم بجوده جميع
خلقه اقصاه وادناه **الرحيم** الذى قرب
اهل طاعته وابعد من عاداهم واشقاه وقوله
تعالى **انا انزلناه** اى بما لنا من العظمة اى
القران فيه تعظيم له من ثلاثة اوجه احدها
انه اسند انزاله اليه وجعله مختصا به دون
غيره والثانى انه جاء بضميره دون اسمه
الظاهر شهادة له بالنباهة والاستغنا
عن التنبيه عليه والثالث الرفع من
مقدار الوقت الذى انزل فيه وهو قوله تعالى
فى ليلة القدر وما ادراك اى اعلمك يا اشرف

الخلق

الخلق **ما ليلة القدر** فان فى ذلك تعظيما لها روى
انه نزل جملة واحدة فى ليلة القدر من اللوح
المحفوظ الى السما الدنيا واملاه جبريل على السفرة
ثم كان ينزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم
نجوما فى ثلاث وعشرين سنة بحسب الوقايع والحا
[جة] وحكى الماوردى عن ابن عباس انه نزل
فى شهر رمضان وفى ليلة القدر وفى ليلة
مباركة جملة واحدة من اللوح المحفوظ الى
السفرة الكرام الكاتبين فى السما الدنيا فنجمته
السفرة على جبريل عشرين سنة قال ابن
العربى وهذا وهذا باطل ليس بين جبريل
وبين الله تعالى واسطة ولا بين جبريل ومحمد
صلى الله عليه وسلم واسطة وعن الشعبى
انا ابتدا انزاله فى ليلة القدر وقيل المعنى
انزل فى فضلها وشانها فليست ظرفا وانما
هو كقول عمر خشيت ان ينزل فى قران وقول
عائشة لانا احقر فى شانى ان ينزل فى قران
وسميت ليلة القدر لان الله تعالى يقدر فيها
ما شاء من امره الى السنة القابلة من امر الموت
والاجل والرزق وغيره ويسلمه الى مدبرات
الامور من الملايكة وهم اسرافيل وميكائيل

Copyright © King Saud University

وعزرائيل وجبريل عليهم السلام كقوله
تعالى فيها يفرق كل امر حكيم وعن ابن عباس ان
الله تعالى يقضي الاقضية في ليلة نصف شعبان
ويسلمها الى اربابها في ليلة القدر وهذا يصلح
ان يكون جمعا بين القولين في قوله تعالى فيها
يفرق كل امر حكيم فانه قيل انه ليلة نصف
شعبان وقيل ليلة القدر وحينئذ لا خلاف
وقيل سميت بذلك لتضييقها بالملائكة قال
الخليل لان الارض تضيق فيها بالملائكة كقوله
تعالى ومن قدر عليه رزقه وقيل سميت
بذلك لعظمها وشرفها وقدرها من قولهم
لفلان قدر اي شرف ومنزلة قاله الازهري
وغيره وقيل سميت بذلك لان الطاعة قدرا
عظيما وثوابا جزيلا وقيل لانه انزل فيها
كتابا ذا قدر على رسول ذي قدر على امة
ذات قدر ومعنى ان الله تعالى يقدر الارزاق
والاجال انه يظهر ذلك للملائكة ويامرهم
بفعل ما هو من وظيفتهم وصنعهم بان يكتب
لهم ما قدره في تلك السنة ويعرفهم اياه
وليس المراد انه يحدثه في تلك الليلة لان
الله تعالى قدر المقادير قبل ان يخلق السموات

والارض

والارض في الازل قيل للحسين بن الفضل اليس
قد قدر الله تعالى المقادير قبل ان يخلق السموات
والارض قال نعم قيل له فما معنى ليلة القدر قال
سوق المقادير الى المواقيت وتنفيذ القضا
المقدر واختلفوا هل هي باقية ام لا فقيل انها
كانت مرة ثم انقطعت وقيل انها رفعت بعد
النبي صلى الله عليه وسلم والصحيح انها باقية
الى يوم القيامة وروي عن عبد الله بن يحنس
مولى معاوية قال قلت لابي بكر زعموا
ان ليلة القدر قد رفعت قال كذب من قال
ذلك قلت هي في كل شهر رمضان استقبله
قال نعم وعن سعيد بن المسيب انه سئل عن
ليلة القدر اهي شيء كان فذهب ام هي
في كل عام فقال بل هي لامة محمد صلى الله
عليه وسلم ما بقي منهم اثنان واستدل من قال
برفعها بقوله صلى الله عليه وسلم حين تلاحا
الرجلان اني خرجت لاخبركم بليلة القدر
فتلاحا فلان وفلان فرفعت وعسى ان يكون
خيرا لكم وهذا غفلة من هذا القائل بل في اخر
الحديث فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة
فلو كان المراد رفع وجودها لم يامر بالتماسها

واختلفوا في وقتها فاكثر اهل العلم انها مختصة
برمضان واحتجوا بقوله تعالى شهر رمضان
الذي انزل فيه القران وقال تعالى انا انزلناه في
ليلة القدر فوجب ان لا تكون ليلة القدر الا في
رمضان لئلا يلزم التناقض وروي عن ابي بن
كعب انه قال والله الذي لا اله الا هو انها لفي
رمضان حلف بذلك ثلاث مرات وعن ابن
عمر قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم
وانا اسمع عن ليلة القدر فقال هي في كل رمضان
وقيل هي دائرة في جميع السنة لا تختص برمضان
حتى لو علق طلاق امراته او عتق عبده
بليلة القدر لا يقع ما لم تنقض سنة من حين
حلف يروى ذلك عن ابي حنيفة وعن ابن
مسعود انه قال من يقم الحول يصبها وذكر
عن ابي الحسن الشاذلي انه قال من اراد ان
يعرف ليلة القدر فلينظر الى غرة رمضان
اي الى اوله فان كان يوم الاحد فليلة
القدر ليلة تسع وعشرين وان كان يوم الا
ثنين فليلة القدر احدى وعشرين وان
كانت يوم الثلاثا فليلة سبع وعشرين وان
كانت يوم الاربعا فليلة تسعة عشر وان كانت

يوم

يوم الخميس فليلة خمس وعشرين وان كانت ليلة
الجمعة فليلة سبعة عشر وان كانت يوم السبت
فليلة ثلاث وعشرين وعلى القول الاول هل هي
في كل رمضان او في العشر الاخير قولان احدهما
انها في كل شهر واختلفوا في اي ليلة منه فقال
ابن رزين هي الليلة الاولى من رمضان وقال
الحسن البصري السابعة عشر وقال انس التاسعة
عشر وقال محمد بن اسحاق الحادية والعشرون
وقال ابن عباس الثالثة والعشرون وقال ابي بن
كعب السابعة والعشرون وقيل التاسعة والعشر
وقيل الثلاثين وكل استدل على قوله بما يطول
الكلام عليه والقول الثاني وهو ما عليه الاكثر
انها مختصة بالعشر الاخير منه واستدل لذلك
باشيا منها ما روي عن عبادة ابن الصامت
انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
ليلة القدر فقال في رمضان فالتمسوها في
العشر الاواخر ومنها ما روي عن ابي سعيد
الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال التمسوها في العشر الاواخر من رمضان
وعن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يجتهد في العشر الاواخر ما لا يجتهد

سعة
ون
ون

Copyright © King Saud University

في غيرها وعنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا دخل العشر شد مئزره واحيى ليله
وايقظ اهله واختلفوا في انها اي ليلة من العشر
هل في ليلة من ليالي العشر كله او في اوتاره
فقط وهل تلزم ليلة بعينها او تنتقل في جميعه
اقوال والذي عليه الاكثر انها في جميعه ولكن في
ارجاها اوتاره وارجى الاوتار عند امامنا الشافعي
رضي الله عنه ليلة الحادي والعشرين او
الثالث والعشرين يدل للاول خبر الصحيحين
والثاني خبر مسلم وانها تلزم عنده ليلة
بعينها وقال المزني صاحب الشافعي وابن
خزيمة انها منتقلة في ليالي العشر جمعا بين
الاحاديث وقال النووي وهو قوي وقال
في مجموعه انه الظاهر المختار وخصها بعض العلما
باوتار العشر الاواخر وبعضهم باشفاعه وقال
ابن عباس وابي هي ليلة سبع وعشرين وهو
مذهب اكثر اهل العلم واستنبط ذلك بعضهم
من ان ليلة القدر ذكرت ثلاث مرات وهي تسعة
احرف واذا ضربت تسعة في ثلاثة تكن سبعة وعشرين
وبعضهم استنبط ذلك من عدد كلمات السورة
وقال انها ثلاثون كلمة وفاقا وقوله تعالى هي

السابع

السابع والعشرين وهي كناية عن هذه الليلة فبان
انها ليلة السابع والعشرين وهو استنباط
لطيف وليس بدليل كما قيل وفيها نحو الثلاثين
قولا وبضع وعشرون حديثا وافردت بالتصنيف
وفيما ذكرناه كفاية وذكروا للسبب في اخفائها
عن الناس وجوها احدها ان الله تعالى اخفاها ليعظموا
جميع السنة على القول بانها فيها وجميع رمضان على
القول به او جميع العشر الاخير على القول به كما اخفى
رضاه في الطاعات ليرغبوا في كلها واخفى وليه
في المسلمين ليعظموهم كلهم واخفى الاجابة في
الدعا ليبالغوا في الدعوات واخفى ساعة الاجابة
في يوم الجمعة ليجتهدوا في العبادة في جميع اوقاتها
في غير الاوقات المنهي عنها طمعا في ادراكها
واخفى الاسم الاعظم ليعظموا كل اسمائه تعالى
واخفى الصلاة الوسطى ليحافظوا على الكل واخفى
التوبة ليواظب الساعة ليكونوا على وجل من
قيامها بغتة ثانيها ان العبد اذا لم يتيقن
ليلة القدر يجتهد في الطاعة رجاء ان يدركها
فيباهي الله تعالى به ملائكته ويقول تقولون
فيهم يفسدون ويسفكون الدما فهذا جده
واجتهاده في الليلة المظنونة فكيف لو

Copyright © King Saud University

جعلتها معلومة له فجتهد نظرا اى اعلم ما لا تعلمون
بالتها ليجتهدوا فى طلبها والتماسها فينالوا
بذلك اجر المجتهدين فى العبادة بخلاف ما لو عينت
فى ليلة بعينها لحصل الاقتصار عليها ففاتت
العبادة فى غيرها ثم ذكر الله تعالى فضلها من
ثلاثة اوجه احدها ما ذكره بقوله سبحانه ليلة
القدر اى التى خصصناها بانزالنا له فيها خير
من الف شهر ليس فيها ليلة القدر فالعمل الصالح
فيها خير منه فى الف شهر ليست فيها ليلة قدر
وعن ابن عباس ذكر لرسول الله صلى الله عليه
وسلم رجل من بنى اسرائيل حمل السلاح على
عاتقه فى سبيل الله الف شهر فعجب رسول الله
صلى الله عليه وسلم لذلك وتمنى ذلك
لامته فقال يا رب جعلت امتى اقصر
الامم اعمارا واقلها اعمالا فاعطاه الله تعالى
ليلة القدر فقال تعالى ليلة القدر خير من الف
شهر التى حمل فيها الاسرائيلى السلاح فى سبيل
لك ولامتك الى يوم القيامة اى فهى من خصائص
هذه الامة وعن مالك انه سمع من يثق به من
اهل العلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اري اعمار الناس قبله فكانه تقاصر اعمار امته

ان

ان لا يبلغوا من العمل مثل الذي بلغ غيرهم فاعطاه
الله تعالى ليلة القدر التى العمل فيها خير من
العمل فى الف شهر ليس فيها ليلة القدر وقيل
ان الرجل فيما مضى ما كان يقال له عابد حتى
يعبد الله تعالى الف شهر فاعطوا ليلة ان احيوها
كانوا احق بان يسموا عابدين من اولئك العباد
وهى افضل ليالى السنة ويدخل فى ذلك ليلة الاسرا
فهى افضل منها ان لم تكن ليلة الاسرا ليلة
القدر كما قيل ان الاسرا كان فى رمضان وانما
كان كذلك لما يريد الله تعالى فيها من المنافع
فيكتب فيها جميع خير السنة وشرها ورزقها
واجلها وبلاها ورخاها ومعاشها اى مثلها
من السنة ولا يشكل ذلك لما قيل ان الاجال
تقطع من شعبان الى شعبان حتى ان الرجل لينكح
ويولد له وقد خرج اسمه فى الموتى لما ورد
ان الله تعالى يامر بنسخ ما يكون فى السنة من
الاجال والامراض والارزاق ونحوها
فى ليلة النصف من شعبان فاذا كان ليلة القدر
فتسلمها الى اربابها وقيل يقدر فى ليلة
النصف من شعبان الاجال والامراض وفى
ليلة القدر الامور التى فيها الخير والسلامة

Copyright © King Saud University

الوجه الثاني من فضائلها ما ذكره الله تعالى في قوله
جل ذكره **تنزل** اي تتنزل مندرجا متواصلا
على غاية ما يكون من الخفة والسرعة كما اشار
اليه حذف التا **الملائكة** اي الى الارض وروي
انه اذا كان ليلة القدر تنزل الملائكة وهم
سكان سدرة المنتهى **والروح** اي جبريل عليه
السلام **فيها** اي في الليلة ومعه اربعة الوية
فينصب لوا على قبر النبي صلى الله عليه وسلم
ولواء على ظهر بيت المقدس ولوا على ظهر المسجد
الحرام ولوا على ظهر طور سيناء ولا يدع بيتا
فيه مومن ومومنة الا دخله وسلم عليهم
تقول يا مومن ويا مومنة السلام يقريك
السلام الا على مدمن خمر وقاطع رحم واكل
لحم خنزير وعن انس ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اذا كان ليلة القدر نزل
جبريل في كبكبة من الملائكة يصلون ويسلمون
على كل عبد قائما او قاعدا يذكر الله تعالى وهذا
تدل على ان الملائكة كلهم لا ينزلون فظاهر
الاية نزول الجميع وجمع بين ذلك بما روي انهم
ينزلون فوجا فوجا كما ان اهل الحج يدخلون
الكعبة يدخلون فوجا بعد فوج فانه كانت

لاتسعهم

لا تسعهم دفعة واحدة ولذلك ذكر بلفظ تنزل
الذي يقتضي المرة بعد المرة اي ينزل فوج
ويصعد فوج والله اعلم بذلك وعن ابي هريرة
ان الملائكة في تلك الليلة اكثر من عدد الحصى
وقال بعضهم الروح ملك تحت العرش ورجلاه في
تخوم الارض السابعة وله الف راس كل راس اعظم
من الدنيا وفي كل راس الف وجه وفي كل وجه
الف فم وفي كل فم الف لسان يسبح الله تعالى بكل
لسان الف نوع من التسبيح والتحميد والتمجيد ولكل
لسان لغة لا تشبه لغة اخرى فاذا فتح افواهه
بالتسبيح خرت ملائكة السموات السبع سجدا
مخافة ان يحرقهم انوار افواهه وانما يسبح الله
تعالى غدوة وعشية فينزل في ليلة القدر
لشرفها وعلو شانها فيستغفر للصائمين
والصائمات من امة محمد صلى الله عليه وسلم
بتلك الافواه كلها الى طلوع الفجر وعن علي انه
صلى الله عليه وسلم قال رايت ليلة اسري
ه ملكا رجلاه جاوزتا من الارض السابعة
السفلى وراسه من السما السابعة العليا ومن
لدن راسه الى قدمه وجوه واجنحة في كل وجه
فم ولسان يسبح الرحمن الرحيم لا يشبه تسبيحا

Copyright © King Saud University

العصو الاخر ولو امره الله تعالى ان يلتقم السموات
السبع والارضين السبع لقمة واحدة لما يتقم
احدكم اللقمة لاطاق ذلك ثم لو يمكن ذلك في
فيه الا كلمة احدكم في فيه ولو سمع اهل الدنيا
صوته بالتسبيح لصعقوا ما بين شحمة اذنه
الى منكبه خفقان الطير السريع سبعة الاف
سنة وهو راس الملائكة وقيل الروح طائفة
من الملائكة لا تراهم الملائكة الا في تلك
الليلة ينزلون من لدن غروب الشمس الى
غروب الفجر باذن ربهم اي بامره الحق الهم
المنزلين لهم من كل امر اي قضاه الله تعالى
فيها لتلك السنة اي قابل وتقدم الجمع بينها وبين
ليلة النصف من شعبان ومن يستقرئ بمعنى
الى الوجه الثالث من فضايلها ما ذكره الله
تعالى بقوله سبحانه سلام اي عظيم جدا وهو
خبر مقدم والمبتدا هي جعلت سلاما لكثرة
السلام فيها من الملائكة لا يمرون بمومن ولا
مومنة الا سلمت عليهم ويستمرون على ذلك من
غروب الشمس حتى اي الى مطلع الفجر اي وقت
مطلعه اي طلوعه وقرأ الكسائي بكسر اللام
على انه كالمرجع او اسم زمان على غير قياس

كالمرق

كالمرق والياقوت لنفيستها ومن فضايلها ان
من قامها غفرت ذنوبه ففي الصحيحين من
قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم
من ذنبه قال النووي في شرح مسلم ولا ينال فضلها
الا من اطلعه الله تعالى عليها فلو قامها انسان
ولم يشعر بها لم ينل فضلها قال الاذرعي وكلام
المتولي ينازعه حيث قال يستحب التعبد في كل
ليالي العشر حتى يحوز الفضيلة على اليقين انتهى
وهذا اولى بغير حال من الطلع لكل اذا قام بها
وعن ابي هريرة مرفوعا من صلى العشاء الاخيرة
في جماعة من رمضان فقد ادرك ليلة القدر
اي اخذ حظا منها ويسن لمن راها ان يكتمها
٥ ويسن ان يكثر من الدعا والتعبد في ليالي رمضان
وان يكون من دعايه اللهم انك عفو تحب العفو
فاعف عني ومن علاماتها ان الشمس تطلع
صبيحتها لا شعاع لها رواه مسلم عن ابي بن
كعب وعن ابن مسعود قال ان الشمس تطلع كل
يوم بين قرني شيطان الا صبيحة ليلة القدر
فانها تطلع يومئذ بيضاء ليس لها شعاع فان
قيل لا فايدة في هذه العلامة فانها قد
انقضت اجيب بانه يستحب ان يجتهد

طابقها

Copyright © King Saud University

في ليلتها ويقع بعدها كما مر عن الشافعي انها
تلزم ليلة واحدة وقول البيضاوي تبعا للزمخشري
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
القدر اعطي من الاجر كمن صام رمضان واحيى
ليلة القدر حديث موضوع سورة لم يكن
وتسمى القيامة وتسمى المنفكين مكية
في قول يحيى بن سلام ومدنية في قول
الجمهور وهي ثمان ايات واربع وتسعون كلمة
وثلثمائة وتسعون حرفا بسم الله الذي
لا يخرج شيء عن مراده الرحمن الذي عمت
نعمته جميع عباده الرحيم الذي خص اولياءه
بسعادة ولما كان الكفار صنفين اهل كتاب
ومشركين ذكرهم الله تعالى في قوله سبحانه
لم يكن الذين كفروا اي في مطلق الزمان
الماضي والحال والاستقبال من اهل الكتاب
اي من اليهود والنصارى الذين كان اصل
دينهم حقا فالحدوا فيه بالتبديل والتحريف
والاعوجاج في صفات الله تعالى ثم نسخه
الله تعالى بما شرع من مخالفته في الفروع
وموافقته في الاصول فكذبوا والمشركين
اي بعبادة الاصنام والنار والشمس ونحو ذلك
من

من هم عريقون في دين لم يكن له اصل في الحق
بان لم يكن لهم كتاب تثبته من الثبات
وقوله تعالى منفكين خبر يكن اي منفصلين
زائلين عما كانوا عليه من دينهم انفكاكا لا يزال لهم
عنه بالكلية بحيث لا يبقى لهم به علقة ويثبتون
على ذلك الانفكاك واصل الفك الفتح والانفصال
لما كان ملتحما من فك الكتاب والختم والعظم
اذا زال ما كان ملتصقا او متصلا لانه او
عن الموعد باتباع الحق اذا جاءهم الرسول
المبشر به فان اهل الكتاب كانوا يستفتحون
به والمشركين كانوا يقسمون بالله جهد
ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من
احدى الامم فان قيل لم قال تعالى كفروا
بلفظ الفعل وذكر المشركين باسم الفاعل اجيب
بان اهل الكتاب ما كانوا كافرين من اول الامر
لانهم كانوا مصدقين بالتوراة والانجيل
وبمبعث محمد صلى الله عليه وسلم بخلاف
المشركين فانهم ولدوا على عبادة الاوثان
وذلك يدل على الثبات على الكفر وقوله تعالى
حتى اي الى ان تأتيهم البينة متعلق بيكن
او بمنفكين والبينة الاية التي هي في البيان

Copyright © King Saud University

كالبحر المنير الذى لا يزداد بالتمادى الا ظهورا وضيا
ونورا وذلك هو الرسول صلى الله عليه وسلم
وما معه من الايات التى اعظمها الكتاب وهو
القران وقوله تعالى **رسول** اى عظيم جدا
بدل من البينة بنفسه او بتقدير مضاف اى
بينة رسول او مبتدا وزاد عظمته بقوله
تعالى واصفا له **من الله** اى الذى له الجلال
والاكرام وهو محمد صلى الله عليه وسلم
لانه فى نفسه بينة وحجة ولذلك سماه
الله تعالى سراجا منيرا ولان اللام فى البينة
للتعريف اى هو الذى سبق ذكره فى التورية
والانجيل على لسان موسى وعيسى عليهم
السلام وقد يكون التعريف للتفخيم اذ هو
البينة التى لا مزيد عليها والبينة كل البينة
وكذا التنكير وقد جمعهما الله تعالى ههنا فى حق
الرسول صلى الله عليه وسلم ونظيره قوله
تعالى حين اثنى على نفسه ذو العرش المجيد فعال
لما يريد فتنكير بعد التعريف وقال ابو مسلم
المراد من البينة مطلق الرسول وما معه من
الايات التى اعظمها الكتاب من التورية او
الزبور او الانجيل او القران وعبر بالمضارع لتجدد

البيان

البيان فى كل وقت بتجدد الرسالة والتلاوة وقال
البغوى لفظه مستقبل ومعناه الماضى اى حتى
اتتهم البينة وتبعه على ذلك الجلال المحلى وقوله
تعالى **يتلوا صحفا** صفة الرسول او خبره والرسول
صلى الله عليه وسلم وان كان اميا لكنه
لما تلى مثل ما فى الصحف كان كالتالى لها وقيل
المراد جبريل عليه السلام وهو التالى للصحف
المنتسخة من اللوح التى ذكرت فى سورة عبس
ولا بد من مضاف محذوف وهو الوحى والصحف
جمع صحيفة وهى القرطاس والمراد ما فيها عبر بها
رة عنه لشدة المواصلة **مطهرة** اى فى غاية الطهارة
والنزاهة من كل قذر مما جعلنا لها من البعد
عن الادناس من باب الباطل من الشرك بالاوثان
وغيرها من كل زيغ لا ياتيها من بين يديها
ولا من خلفها وانها لا يمسها الا المطهرون
فيها اى تلك الصحف **كتب** اى احكام مكتوبة
مكتوبة **قيمة** اى مستقيمة ناطقة بالحق والعدل
الذى لا مرية فيه ليس فيه شرك ولا اعوجاج
بنوع من الانواع **وما تفرق الذين اوتوا الكتاب**
اى عما كانوا عليه وخص اهل الكتاب بالتعريف
دون غيرهم وان كانوا مجموعين مع الكافرين

Copyright © King Saud University

لانهم يظنون بهم علما فاذا تفرقوا كان غيرهم
ممن لا كتاب له ادخل في هذا الوصف **الا من**
بعد ما جاءتهم البينة اي الحجة البينة
الواضحة والمبينة هي محمد صلى الله
عليه وسلم اتى بالقران موافقا للذي في ايديهم
من الكتاب بنعته وصفته وذلك انهم
كانوا مجتمعين على نبوته فلما بعث صلى الله
عليه وسلم جحدوا نبوته وتفرقوا فمنهم من كفر
بغيا وحسدا ومنهم من امن كقوله تعالى
وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا
بينهم وقال تعالى وكانوا من قبل يستفتحون
على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به
وقد كان مجيء البينة يقتضي اجتماعهم على الحق
لا تفرقهم فيه وقرا حمزة وابن ذكوان بامالة
الالف بعد الجيم محضة والباقون بالفتح
ولما كان حال من اضل على علم اشنع
زاد في فضيحتهم فقال تعالى **وما امروا** اي
هولاء الكفار في التوراة والانجيل **الا ليعبدوا**
الله اي يوحدوا الاله الذي له الامر كله
ولا امر لاحد غيره واللام بمعنى ان كقوله
تعالى يريد الله ليبين لكم وقوله تعالى
مخلصين له الدين فيه دليل على وجوب النية

في

في العبادات لان الاخلاص من عمل القلب وهو ان
يراد به وجه الله تعالى لا غيره ومن ذلك قوله
اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين **حنفاء**
اي مائلين عن الاديان كلها الى دين الاسلام
واصل الحنف في اللغة الميل الى اثر الحاد ثم
والحنيف المطلق الذي يكون متبريا عن اصول
الملل الخمسة اليهود والنصارى والصابيين
والمجوس والمشركين وعن فروعها من جميع
النحل الى الاعتقادات وعن توابعها من الخطا
والنسيان الى العمل الصالح وهو مقام التقي وعن
المكروهات الى المستحبات وهو المقام الاول
من الورع وعن الفضول وهو مقام الزهد
فالاية محا معة لمقامي الاخلاص الناظر احدهما
الى الحق والثاني الى الخلق ولما ذكر اصل الدين
اتبعه الفروع وبدا باعظمها الذي هو مجمع الدين
وموضع التجرد عن العوايق فقال عز من قايل
ويقيموا اي يعدلوا من غير اعوجاج ما يجمع
الشرايط والاركان والحدود **الصلاة** ليصير
بذلك اهلا بان تقوم بنفسها وهي من التقطع
لامر الله تعالى ولما ذكر تعالى **ويوتوا الزكاة** اي
يدفعوها لمستحقيها شفقة على خلق الله تعالى

اعانة على الدين اي ولكنهم حرفوا ذلك وبدلوه
بطبائعهم المعوجة وتدخل الزكاة عند اهل
الله تعالى في كل ما رزق الله من عقل وسمع
وبصر ولسان ويد ورجل وجاه وغير ذلك
كما هو واضح من قوله تعالى ومما رزقناهم
ينفقون وذلك اي والحال ان هذا الموصوف
من العبادة على الوجه المذكور **دين القيمة**
اي الملة المستقيمة واضاف الدين الي القيامة
وهي نعته لاختلاف اللفظين وانث القيامة
ردا بها الى الملة وقيل الهاء للمبالغة فيه
وقيل القيامة هي الكتب التي جرى ذكرها
اي وذلك دين الكتب القيمة فيما تدعو اليه
وتامر به كما قال تعالى وانزل معهم الكتاب
بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه
وقال النضر بن اسماعيل سالت الخليل
بن احمد عن قوله تعالى وذلك دين القيمة
فقال القيمة جمع القيم والقيم والقائم واحد
قال النووي ومجاز الاية وذلك دين القائمين
لله تعالى بالتوحيد ثم ذكر تعالى ما للفريقين
فقال سبحانه **ان الذين كفروا** اي وقع منهم
الستر لما اي عقولهم بعد صرفها للنظر

الصحيح

يقين

الصحيح فضلوا واستمروا على ذلك وان لم يكونوا غير
من اهل الكتاب اي اليهود والنصارى
والمشركين اي الفريقين في الشرك **في نار جهنم**
اي النار التي تلقاهم بالجهمة و العبوسة
خالدين فيها اي يوم القيامة او في الحال لسعيهم
لموجباتها واشتراك الفريقين في جنس العذاب
لا يوجب التساوي في النوع بل يختلف بحسب
اشتداد الكفر وخفته **اولئك** اي هولاء في
الصفة البعيد البغضاء **هم** اي خاصة مما لغيرهم
من الخبث **شر البرية** اي الخليقة الذين اهملوا
اصلاح انفسهم وفرطوا في جوانحهم وما زينهم
وهذا يحتمل ان يكون على التمييز وان يكون
بالنسبة لعصر النبي صلى الله عليه وسلم
لقوله تعالى واني فضلتكم على العالمين اي عالمي
زمانهم ولا يبعد ان يكون في كفار الامم قبل
من هو شر منهم مثل فرعون وعاقر ناقة
صالح ولما ذكر تعالى الاعدا وبدا بهم لان
ذلك اردع لهم اتبعه الاوليا فقال تعالى موكدا
ما للكفار من الانكار **ان الذين امنوا** اي اقروا
بالايمان **وعملوا** تصديقا لايمانهم **الصا** لحات
اي بهذا النوع **اولئك** اي هولاء في العالوا

Copyright © King Saud University

الدرجات هم اي خاصة خير البرية اي على
التعميم او برية عصرهم باي فئة ما مر
وقرا نافع وابن ذكوان بالهمزة في الحرفين
لانه من قولهم برا الله الخلق والباقون
بالياء المشددة بعد الراء كالذرية ترك همزة
في الاستعمال ثم ذكر توابعهم بقوله تعالى جزا
هم اي على طاعاتهم وعظمه بقوله تعالى عند
ربهم اي المربي لهم والمحسن اليهم جنات عدن
اي اقامة لا يحولون عنها تجري اي جريا دائما
لا انقطاع له من تحتها اي تحت اشجارها
وغرفها الانهار خالدين فيها اي دوام الثبا
مة او في الحال لسعيهم في موجباتها واكد
معنى الخلود تعظيما لجزائهم بقوله تعالى ابدا
رضي الله اي بما له من نعوت الجلال والجمال
عنهم اي بما كان سبق لهم من العناية والتو
فيق ورضوا عنه لانهم لم يبق لهم امنية
الا اعطاهموها مع علمهم انه تفضل في جميع
ذلك لا يجب عليه لاحد شي ولا يقدر احد
حق قدره فلو اخذ الخلق بما يستحقونه لاهلكهم
كما قال تعالى ولو يواخذ الله الناس بما كسبوا
ما ترك على ظهرها من دابة وقال ابن عباس

ورضوا

ورضوا عنه بثواب الله عز وجل ذلك اي الامر
العالي الذي حوز وابه لمن خشي ربه اي خاف
المحسن اليه خوفا يليق به فلم يركن الى التواني
والتكاسل فان الخشية ملاك الامر والباعث
على كل خير وهي للعارفين فان الانسان اذا استشعر
عند اساءته حقيقته حالة يقال لها الخوف
وهي انخلاع القلب عن طمانينته فان اشتد
سمي وجلا لخز لانه في نفسه فان اشتد
سمي رهبا لادائه الى الهرب وهي حالة
المومنين الفائزين الى الله تعالى ومن غلب
عليه الحب لاستغراقه في شهود الجماليات
لحقته حالة تسمى مهابة ووراء هذا الخشية
انما يخشى الله من عباده العلماء فمن خاف ربه
هذا الخوف انفك عن جميع ما عنده لاهمال يليق
بجنابه تعالى وما فارق الخوف قلبا الا خربت
روي انس ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لابي بن كعب ان الله امرني ان اقرا عليك
لم يكن قال الي وسماني لك قال النبي صلى
الله عليه وسلم نعم فبكى ابي قال النقاشي
سبب تخصيصه بذلك انه وحد انتزع
من الصحابة قد خالفاه في القراءة فبر فيهما

عت

الى النبي صلى الله عليه وسلم فامرهما فعرض
عليه نخرن لهما قال فسقط في نفسي من التكذ
يب اشد ما كان في الجاهلية فضرب رسول الله
صلى الله عليه وسلم في صدري ففضت عرقا
وكانما انظر الى الله تعالى فرقا اي خوفا ثم قص
على خبر التخفيف بالسبعة الاحرف وكانت
السورة التي وقع فيها الخلاف النحل وفيها انه
تعالى يبعث رسوله يوم البعث شهيدا صلى
الله عليه وسلم وانه نزل عليه الكتاب تبيانا
لكل شي وهدى ورحمة وانه نزل عليه روح
القدس بالحق ليثبت الذين امنوا وان اليهود
اختلفوا في السبت وسورة لم يكن على قصرها
حاوية اجمالا لكل ما في النحل على طولها فزيادة
وفيها التحذير من الشك بعد البيان وتقبيح
حال من فعل ذلك وان حالة يكون كحال
الكفرة من اهل الكتاب في العناد فيكون شر
البرية فقراها صلى الله عليه وسلم عليه
تذكيرا له بذلك كله على وجه ابلغ واخصر
ليكون اسرع له تصورا فيكون ارسخ في
النفس واثبت في القلب واعشق للطبع فاحفظه
الله بالتثبيت واراد له الثبات فكان من

المريد

المريدين المرادين لما وصل الى قلبه بركة ضربة
النبي صلى الله عليه وسلم لصدره وصار
كلما قرا هذه السورة الجامعة غائبا عن تلاوة
نفسه مصغيا باذن قلبه الى روح النبوة يتلوا
عليه ذلك فيدوم له حال الشهود الذي
وصل اليه سر تلك الضربة والتبوية في هذا
المقام قال صلى الله عليه وسلم اقرا وكذا الى
قال القرطبي وفيه من الفقه قراة العالم على
المتعلم وقال بعضهم انما قرا النبي صلى الله
عليه وسلم على ابي ليعلم الناس التواضع لئلا
يانف احد من التعلم والقراة على من دونه
في المنزلة وقيل ان ابيا كان اسرع اخذ الالفا
ظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاراد بقراته
عليه ان ياخذ الفاظه ويقرا كما سمع رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقرا عليه وسلم غيره
وفيه فضيلة عظيمة لانه اذا امر الله تعالى رسوله
صلى الله عليه وسلم يقرا عليه وسلم غيره
وفيه فضيلة عظيمة لانه اذا امر الله تعالى
رسوله صلى الله عليه وسلم ان يقرا عليه وقول
البيضاوي تبعا للزمخشري عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم من قرا سورة لم يكن كان يوم

Copyright © King Saud University

القيامة مع خير البرية مسا ومقيلا حديث موضوع

سورة الزلزلة مدنية

في قول ابن عباس وقتادة ومكية في قول ابن مسعود
وعطا وجابر وهي ثمان ايات وخمس وثلاثون
كلمة ومائة وتسع واربعون حرفا بسم الله المحيط
بكل شي قدرة وعلما الرحمن الذي عم الخلق
برحمته قسما الرحيم الذي اتم النعمة على خواصه
حقيقة عينا واسما ولما قال تعالى للمؤمنين
جزاؤهم عند ربهم جنات عدن كان المكلف
قال متى يكون ذلك فقيل له اذا زلزلت
الارض اي تحركت واضطربت لقيام الساعة
فالعاملون كلهم يكونون في الخوف وانت في ذلك
الوقت تنال جزاءك وتكون امنا كقوله تعالى
وهم من فزع يومئذ امنون زلزالها اي تحركها
الشديد المناسب لعظمة جرم الارض وعظمة
ذلك وذلك كما تقول اكرم التقي اكرامه واهن
الفاسق اهانته تريد ما تعرف وجبانه من
الاكرام والاهانة ولما كان الاضطراب العظيم
يكشف عن الخفي في المضطرب قال تعالى واخرجت
الارض اي كلها ولم يضمر تحقيقا للعموم اثقالها
اي مما هو مدفون فيها من الكنوز والاموات

قال

قال ابو عبيدة والاخفش اذا كان الميت في بطن
الارض فهو ثقل لها واذا كان فوقها فهو ثقل
عليها وقال ابن عباس ومجاهد اثقالها امواتها
تخرجهم في النفخة الثانية ومنه قيل للجن والانس
الثقلان وقيل اثقالها كنوزها ومنه الحديث
تقيء الارض افلاذ كبدها امثال الاسطوان من
الذهب والفضة فيجي القاتل فيقول في هذا
قتلت ويجي القاطع فيقول في هذا قطعت رحمي
ويجي السارق فيقول في هذا قطعت يدي
ثم يدعونه فلا ياخذون منه شيا فيعطيها الله
تعالى قوة اخراج ذلك كله كما كان يعطيها قوة
ان تخرج النبت الصغير اللطيف الطري
الذي انعم من الحرير فتشق الارض الصلبة التي
تكل عنها المعاول وتشق النواة مع ما لها
من الصلابة التي استعصي بها على الحديد
فتنفلق نصفين ويثبت منها ما يريده سبحانه
وتعالى فالذي قدر على ذلك قادر على تكوين
الموتى في بطن الارض واعادتهم على ما كانوا
عليه كما تكون الجنين في البطن وتنقى جميع
منافذه من السمع والبصر والفم وغير ذلك
من غير ان يدخل هناك بيكار ولا منشار ثم

يخرج من البطن هكذا اخرج الموتى من عنز فرق كل
ذلك عليه هين سبحانه ما اعظم شانه واعز
سلطانه وقال الانسان اى هذا النوع الصادق
بالقليل والكثير لماله من النسيان لما اكد عنه
من امر البعث بماله من الانس بنفسه والنظر
فى عطفه على سبيل التعجب او الدهش والحيرة
او الكافر كما تقول من بعثنا من مرقدنا فيقول
له المومن هذا ما وعد الرحمن وصدق
المرسلين مالها اى اى شىء للارض فى هذه
الزلزلة الشديدة التى لم يعهد مثلها
ولفظت ما فى بطنها يومئذ اى اذ كان
ما ذكر من الزلزال وما لزم عنه وقوله
تعالى تحدث اخبارها جوابه اذا وهو الناصب
لها عند الجمهور ومعنى تحدث اى تخبر الارض
بما عمل عليها من خير او شر يومئذ ثم قيل هو
من قول الله تعالى وقيل من قول الانسان
اى يقول الانسان مالها تحدث اخبارها متعجبا
روى الترمذى عن ابى هريرة انه قال قرا
رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية
يومئذ تحدث اخبارها قال اتدرون ما اخبار
ها قالوا الله ورسوله اعلم قال فان اخبارها

ان

ان تشهد على كل عبد وامة بما عمل على ظهرها تقول
عمل يوم كذا وكذا وكذا قال فهذه اخبار ها
تنبيه فى حديثها باخبارها ثلاثة اقوال
احدها ان الله تعالى يقلبها حيوانا ناطقا فتتكلم
بذلك ثانيها ان الله تعالى يحدث فيها الكلام ثالثها
ان يكون فيها بيان يقوم مقام الكلام وقيل فى
الاية تقديم وتاخير تقديره يومئذ تحدث اخبارها
فيقول الانسان مالها اى تخبر الارض بما عمل
عليها بان ربك متعلق بتحدث ويجوز ان
تتعلق بنفس اخبارها والباء سببية اى تحدث
بسبب ان ربك المحسن اليك بانواع النعم اوحى
لها اى اذن لها ان تتكلم بذلك المذكور
بالمقال او بالحال على ما مر قال البقاعى وعدل
عن قوله اليها الى قوله تعالى لها ايذانا
بالاسراع فى الايحاء وقال البغوى اوحى لها
واوحى اليها واحد وقرا حمزة والكسائى
بالامالة محضة وقرا ورش بالفتح
وبين اللفظين والباقون بالفتح وقوله تعالى
يومئذ بدل من يومئذ قبله او منصوب
بقوله تعالى يصدر او باذكر مقدرا اى
واذكر يوم اذ كان ما تقدم فهو حين يقوم

Copyright © King Saud University

الناس من القبور يصدر الناس اى يرجعون
من قبورهم الى ربهم الذى كان لهم بالمرصاد
ليفصل بينهم وقرا حمزة والكسائى باشمام
الصاد بين الصاد والزاى والباقون بالصاد
الخالصة اشتاتا اى متفرقين بحسب مراتبهم
فى الذوات والاحوال من مومن وكافر وامن
وخائف ومطيع وعاص وعن ابن عباس متفر
قين على قدر اعمالهم اهل الايمان على حدة او
متفرقين فاخذ ذات اليمين الى الجنة وذات
الشمال الى النار ليروا اى ليرى الله تعالى
المحسن منهم والمسى بواسطة من يشا من
جنوده او بغير واسطة حين يكلم سبحانه
كل احد من غير ترجمان ولا واسطة كما اخبر
بذلك رسوله صلى الله عليه وسلم اعمالهم
فيعلموا اجزاها او صادرين عن الموقف كل الى
داره ليرى جزا عمله ثم سبب عن ذلك قوله
تعالى منفصلا الجملة التى قبله فمن يعمل من محسن
او مسى مسلما او كافر مثقال ذرة خيرا اى
من جهة الخير يره اى يرى ثوابه حاضرا لا يغيب
عنه شى منه لان المحاسب له الاحاطة علما
وقدرة فالمومن يراه ليشتد سروره به

والكافر

والكافر يوقف على عمله انه احبط لبنايه على غير
اساس من الايمان او على انه جوزى فى الدنيا فهو
صورة بلا معنى ليشتد ندمه وتتغى حسرته وعن
ابن عباس من يعمل من الكفار خيرا يره فى الدنيا
ولا يثاب عليه فى الاخرة ومن يعمل مثقال ذرة
من شر عوقب عليه فى الاخرة مع عقاب الشرك
ومن يعمل مثقال ذرة من شر من المومنين
يره فى الدنيا ولا يعاقب عليه فى الاخرة اذا
تاب وتجاوز عنه وان عمل مثقال ذرة من خير
تقبل منه وتضاعف فى الاخرة وفى بعض الحد
ان الذرة لا زنة لها فهذا مثل ضربه الله
تعالى ليبين انه لا يغفل عن عمل ابن ادم
صغيرا ولا كبيرا وهو كقوله تعالى ان الله
لا يظلم مثقال ذرة وذكر بعض اهل اللغة
ان الذرات يضرب الرجل بيده على الارض
فما علق من التراب فهو الذر وقال ابن عباس
اذا وضعت يدك على الارض ورفعتها فكل
واحدة مما لزق من التراب ذرة وفسرها
بعضهم بالهباة التى ترى طائرة فى الشعاع
الداخل من الكوة وقال محمد بن كعب القرظى
فمن يعمل مثقال ذرة من خير من كافر يرى ثوابه

Copyright © King Saud University

في الدنيا وفي نفسه وماله واهله وولده حتى
يخرج من الدنيا وليس له عند الله تعالى خير
ومن يعمل مثقال ذرة من شر من مومن يري
عقوبته في الدنيا في نفسه وماله واهله وولده
حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله تعالى
شر ودليله ما روي انس ان هذه الاية
نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر
ياكل فامسك وقال يا رسول الله وانا لنرى
ما عملنا من خير وشر فقال صلى الله عليه
وسلم يا ابا بكر ما رايت في الدنيا مما تكره فبمثا
قيل ذر الشر ويدخر لكم مثاقيل ذر الخير
حتى تعطوه يوم القيامة قال ابو ادريس
ان مصداقه من كتاب الله عز وجل وما
اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم وقال
مقاتل نزلت في رجلين احدهما كان ياتيه
السائل فيستقل ان يعطيه التمرة والكسرة
والجوزة وكان الاخر يتهاون بالذنب اليسير
كالكذبة والغيبة والنظرة ويقول انما وعد الله
النار على الكبائر فنزلت هذه الاية لترغبهم
في القليل من الخير يعطوه ولهذا قال صلى
الله عليه وسلم اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن

لم

فمن لم يجد فكلمة طيبة وتحذرهم من اليسير من
الذنب ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لعا ئشة
اياك ومحقرات الذنوب فان لهما من الله طالبا
وقال ابن مسعود هذه الاية احكم اية في القران
واصدق وقد اتفق العلما على عموم هذه الاية
وقال كعب الاحبار لقد انزل على محمد صلى الله
عليه وسلم ايتين احصتا ما في التوراة وال نجيل
والزبور والصحف فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره
ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وكان صلى
الله عليه وسلم يسمي هذه الجامعة الفاذة حتى
سئل عن زكاة الحمير فقال ما نزل فيها شي عن
هذه الاية الجامعة الفاذة فمن يعمل مثقال ذرة
خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وروى
مالك عن الموطا ان مسكينا استطعم عائشة
وبين يديها عنب فقالت لانسان خذ حبة
فاعطه اياها فجعل ينظر اليها ويتعجب فقالت
كم ترى في هذه الحبة من مثقال ذرة وكذا
تصدق عمر وانما فعلا ذلك لتعليم الغير والا فهما
من كرما الصحابة قال الربيع بن خثيم مر رجل
بالحسن وهو يقرا هذه الاية فلما بلغ اخرها
قال حسبي قد انتهت الموعظة تنبيه

Copyright © King Saud University

قوله تعالى يره جواب الشرط في الموضعين وقرأ
هشام يره بسكون الهاء وصلا في الحرفين والبا
قون بضمها وصلا وساكنة وقفا كسائر ها الكناية
وقول البيضاوي تبعا للزمخشري عن النبي صلى
الله عليه وسلم من قرأ اذا زلزلت اربع مرات
كان كمن قرأ القران كله رواه الثعلبي بسند
ضعيف لكن يشهد له ما رواه ابن ابي شيبة
مرفوعا اذا زلزلت تعدل ربع القران

سورة والعاديات مكية

في قول ابن مسعود وجابر والحسن وعكرمة
وعطا ومدنية في قول ابن عباس وانس بن
مالك وقتادة وهي احدى عشرة اية واربعون
كلمة ومائة وثلاثة وستون حرفا بسم الله
الذي له الامر كله فلا يسئل عما يفعل الرحمن
الذي بمنه اتم نعمته واشمل الرحيم الذي خص
اولياءه بتوفيقه واتم نعمته عليهم واكمل وقوله
تعالى والعاديات ضبحا اقسم سبحانه
بخيل الغزاة تعدو فتضبح والضبح صوت انفا
سها اذا عدون عن ابن عباس انه حكاه بقوله
اح اح قال عنترة
والخيل تكدح حين تضبح

في

في حياض الموت ضبحا
وانتصاب ضبحا على يضبحن او بالعاديات كانه قيل
والضابحات ضبحا لان الضبح يكون مع العدو
او على الحال اي ضابحات والعاديات جمع عادية
وهي الجارية بسرعة من العدو وهو المشي
بسرعة وعن ابن عباس كنت جالسا في الحجر فجاء رجل
فسالني عن العاديات ضبحا ففسرتها بالخيل
فذهب الى علي رضي الله عنه وهو بسقاية
زمزم فساله وذكر له ما قلت فقال ادعه
الي فلما وقفت على راسه قال تفتي الناس بما
لا علم لك به والله ان كانت لاول غزوة
في الاسلام بدر وما كان معنا الا فرسان فرس
للزبير وفرس للمقداد العاديات ضبحا الابل من
عرفة الى المزدلفة ومن المزدلفة الى منى قال
الزمخشري فان صحت الرواية فقد استعير الضبح
للابل كما استعير المشافر والحافر للانسان
والشفتان للمهر وما اشبه ذلك قال ابن عباس
وليس شيء من الحيوان يضبح غير الفرس والكلب
والثعلب ونقل غيره ان الضبح يكون في الابل
والاسود والفرس ثم اتبع عدوها ما ينشا
عنه فقال تعالى عاطفا باداة التعقيب فالمو

فالموريات

قدحا قال عكرمة والضحاك هي الخيل تورى النار
بحوافرها اذا سارت في الحجارة لاسيما عند سلوك
الاوعار وقدحا منصوب بما انتصب به ضبحا
قال الزمخشري فيه الثلاثة اوجه المتقدمة
وعن ابن عباس اورد بحوافرها غبارا وهذا
انما يناسب من فسر العاديات بالابل وقال
ابن مسعود هي الابل تطا الحصا فتخرج منه
النار واصل القدح الاستخراج ومنه قدحت
العين اذا خرجت منها الما الفاسد وعن
قتادة وابن عباس ايضا ان الموريات قدحا
مكر الرجال في الحرب والعرب تقول اذا ارادوا
ان الرجل يمكر بصاحبه والله لامكرن بك
ثم لاورين لك وعن ابن عباس ايضا هم
الذين يغزون فيورون نيرانهم بالليل
لحاجتهم وطعامهم وعنه ايضا انهم نيران
المجاهدين اذا كثرت نارها ليظنهم
العدو كثيرا قال القرطبي وهذه الا قوال
مجاز كقولهم فلان يوري زناد الضلالة
والاول الحقيقة وان الخيل من شدة عدوها
تقدح النار بحوافرها قال مقاتل تسمى تلك النار
نار ابي حباب وابو حباب كان شيخا من مضر

في

في الجاهلية من ابخل الناس وكان لا يوقد نار
الخبز ولا غيره حتى تنام العيون فيوقد نويرة
تقد مرة وتخمد اخرى فان استيقظ لها
احد طفاها كراهية ان ينتفع بها احد فشبهت
العرب هذه النار بناره لانه لا ينتفع بها
ولما ذكر العدو وما يتاثر عنه ذكر نتيجته وغا
بقوله تعالى فالمغيرات اي باغارة اهلها عليها
وقوله تعالى صبحا ظرف اي التي تغير وقت
الصبح يقال اغار يغير اغارة اذا باغت عدوه
لنهب او قتل او اسر قال الشاعر
فليت لي بهم قوما اذا ركبوا
شنوا الاغارة فرسانا وركبانا
وغار لغية فاثرن اي فهيجن به اي بفعل
الاغارة ومكانها وزمانها من شدة العدو
نقعا اي غبارا شدة حركتهن والنقع الغبار
تنبيه عطف الفعل وهو فاثرن على الاسم
لانه في تاويل الفعل لوقوعه صلة لال
قال الزمخشري معطوف على الفعل الذي وضع
اسم الفاعل موضعه لان المعنى واللاتي عدون
فاورين فاغرن فاثرن فوسطن به اي بذلك
النقع او العدو او الوقت جمعا من العدو اي

Copyright © King Saud University

صرن وسط العدو وهو الكتيبة يقال وسط
القوم بالتخفيف ووسطهم بالتشديد وتو
سطتهم بمعنى واحد وقال القرطبي يعني جمع
منى وهو من دلفة فوجه القسم على هذا
ان الله تعالى اقسم بالابل لما فيها من المنافع
الكثيرة وتعريضه بابل الحج للترغيب فيه
وفيه تعريض على من لم يحج بعد القدرة
عليه كما في قوله تعالى ومن كفر اي من لم
يحج فان الله غني عن العالمين وجواب القسم
قوله تعالى ان الانسان اي هذا النوع
بماله من الانس بنفسه والنسيان لما ينفعه
لربه المحسن اليه بابداعه ثم بابقائه
وتدبيره وتربيته لكنود قال ابن عباس
لكنود جحود لنعم الله تعالى وقال الكلبي
هو بلسان ربيعة ومضر الكفور وبلسان
كندة وحضرموت العاصي وقال الحسن
هو الذي يعد المصايب وينسى النعم وقال
ابو عبيدة هو قليل الخير والارض الكنود
التي لا تنبت شيئا وفي الحديث عن ابي
امامة هو الذي ياكل وحده ويمنع رفده
ويضرب عبده وقال الفضيل ابن عياض

الكنود

الكنود الذي انسته الخصلة الواحدة من الاسا
الخصال الكثيرة من الاساءة وانه اي الانسان
على ذلك اي الكنود العظيم حيث اقدم على
مخالفة الملك الاعظم المحسن مع الكفر لاحسانه
لشهيد اي شهد على نفسه ولا يقدر ان يجحده
لظهور اثره عليه او ان الله على كنوده لشاهد
على سبيل الوعيد وانه اي الانسان من حيث
هو لحب اي لاجل حب الخير اي المال الذي
لا يعد غيره لجهله خيرا لشديد اي بخيل
بالمال ضابط له ممسك عليه او بليغ القوة
في حبه لان منفعته في الدنيا وهو متقيد
بالعاجل الحاضر المحسوس مع علمه بان اقل
ما فيه ان يشغله عن حسن الخدمة لربه
ومع ذلك فهو لحب المال وايثار الدنيا وطلبها
قوي مطيق وهو لحب عبادة ربه وشكر
نعمته ضعيف متقاعس ثم سبب عن ذلك
قوله تعالى افلا يعلم اي هذا الانسان الذي
اناه الله بنفسه اذا بعثر اي انتثر
بغاية السهولة واخرج ما في القبور اي
من الموتى قال ابو عبيدة بعثرت المتاع
جعلت اسفله اعلاه قال محمد بن كعب ذلك

Copyright © King Saud University

حين يبعثون فان قيل لم قال ما في القبور ولم
يقل من ثم قال بعد ذلك ان ربهم بهم
اجيب عن الاول بان ما في الارض
غير المكلفين اكثر فاخرج الكلام على الاغلب
او انهم حال ما يبعثون لا يكونون احيا عقلا
بل يصيرون كذلك بعد البعث فلذلك كان
الضمير الاول ضمير غير العقلا والضمير الثاني
ضمير العقلا وحصل اي اخرج وجمع بغاية
السهولة ما في الصدور من خير وشر مما
يظن مضمره انه لا يعلمه احد اصلا وظهر
مكتوبا في صحائف الاعمال وهذا يدل على ان
النيات يحاسب بها كما يحاسب على ما يظهر
من اثارها وتخصيص الصدر بذلك لانه
محل القلب ان ربهم اي المحسن اليهم بخلقهم
وخلقهم وتربيتهم بهم يومئذ اي اذا
كانت هذه الامور وهو يوم القيامة لخبير
اي محيط بهم من جميع الجهات عالم غاية
العلم ببواطن امورهم فكيف بظواهرها ومعنى
علمه بهم يوم القيامة مجازاته لهم والا فهو
خبير بهم في ذلك اليوم وفي غيره فكيف ينبغي
للعاقل ان يعلق امالــه بالمال فضلا عن ان

يؤثره

يؤثره على الباقي وقول البيضاوي تبعا للزمخشري
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا
سورة والعاديات اعطي من الاجر عشر حسنات
بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعا حديث
موضوع

سورة القارعة مكية

وهي احدى عشرة اية وست وثلاثون كلمة
ومائة واثنان وخمسون حرفا بسم الله الملك
الاعلى الرحمن الذي نعمة ايجاده جميع الورى
الرحيم الذي خص اولياءه بالتوفيق لما يحب
ويرضى ولما ختم العاديات بالبعث ذكر صيحته
بقوله تعالى القارعة اي الصيحة او القيامة
التي تقرع القلوب باهوالها او الاجرام
الكثيفة بالتشقق والانفطار والاشيا النا
بالانتثار وقوله تعالى ما القارعة تهويل
لشانها وهما مبتدا وخبر خبر القارعة واكد
تعظيمها اعلاما بانه مهما خطر في بالك من — بتة
عظمها فهي اعظم منه فقال تعالى وما ادراك
اي اعلمك ما القارعة اي انك لا تعرفها لانك
لم تعهد مثلها واما الاول فهي مبتدا وما
بعدها خبره واما الثاني وخبرها في محل المفعول
الثاني لادرى والمتعلق في ناصب يوم على

Copyright © King Saud University

وجهين احدهما انه بمضمر دل عليه القارعة
اي تقرعهم يوم وقيل تقديره تاتي القارعة
يوم يكون الناس والثاني انه اذكر مقدرا فهو
مفعول به لا ظرف وقوله تعالى كالفراش المبثوث
يجوز ان يكون خبر الناقصة وان يكون حالا
من فاعل التامة اي يوجدون ويحشرون
شبه الفراش شبههم في الكثرة والانتشار
والضعف والذلة والتطاير الى الداعي من كل
جانب كما يتطاير الفراش الى النار والفراش
طاير معروف قال قتادة الفراش الطير الذي
يتساقط في النار والسراج الواحدة فراشة
وقال الفرا هو الهمج من البعوض والجراد
وغيرها وبه يضرب المثل في الطيش والهوج
يقال اطيش من فراشة وانشدوا
فراشة الحلم فرعون العذاب وان
تطلب نداه فكلب دونه كلب
وفي امثالهم اضعف من فراشة واذل واجهل
وسمي فراشا لتفرشه وانتشاره وروى مسلم
عن جابر قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم مثلي ومثلكم كمثل رجل اوقد
نارا فجعل الجنادب والفراش يقعن فيها وهو

يذهبن

يذبهن عنها وانا اخذ بحجزكم عن النار وانتم
تفلتون من يدي وفي تشبيه الناس بالفراش
مبالغات شتى منها الطيش الذي يلحقهم
وانتشارهم في الارض وركوب بعضهم بعضا
والكثرة والضعف والذلة والمجي من غير
ذهاب والقصد الى الداعي من كل جهة والتطاير
الى النار قال جرير
ان الفرزدق ما علمت وقومه
مثل الفراش غشين نار المصطلي
والمبثوث المتفرق وقال تعالى في موضع اخر
كانهم جراد منتشر فان قيل كيف يشبه
الشي الواحد بالصغير والكبير معا لانه
شبههم بالجراد المنتشر والفراش المبثوث
اجيب باما التشبيه بالفراش فذهاب
كل واحد الى غير جهة الاخر واما التشبيه
بالجراد فبالكثرة والتتابع وتكون الجبال على
ما في عليه من الشدة والصلابة وانها صخور
راسخة كالعهن اي الصوف المصبغ الوانا
لانها ملونة قال تعالى ومن الجبال جدد
بيض وحمر اي وغير ذلك المنفوش اي المندف
المفرق الاجزا فتراها لذلك متطايرة في الجو

Copyright © King Saud University

كالعهن المنفوش كما قال تعالى في موضع اخر هبا
منبثا حتى تستوي الارض كلها لا عوج فيها ولا
امتا ثم تسبب عن ذلك قوله تعالى منفصلا
لهم **فاما من ثقلت موازينه** اى ترجحت
الحسنات وفي الموازين قولان احدهما انه
جمع موزون وهو العمل الذي له وزن وخطر
عند الله تعالى وهذا قول الفراء والثاني قال
ابن عباس انه جمع ميزان له لسان وكفتان
لا يوزن فيها الا الاعمال فتوزن فيه الصحف
المكتوب فيها الحسنات والسيئات او الاعمال
اى ايقنها فيؤتى بحسنات المؤمن في احسن
صورة فتوضع في كفة الميزان فاذا رجحت
فالجنة له ويؤتى بسيئات الكافر في اقبح صورة
فيخف ميزانه فيدخل النار وقيل انما
توزن اعمال المؤمنين فمن ثقلت حسناته
على سيئاته دخل الجنة ومن ثقلت سيئاته
على حسناته دخل النار فيقتص منه على
قدرها ثم يخرج منها فيدخل الجنة او يعفو
الله عنه فيدخل الجنة بفضله ورحمته
واما الكافر فقد قال تعالى في حقه فلا نقيم
لهم يوم القيامة وزنا ثم قيل انه ميزان

واحد

واحد بيد جبريل عليه السلام يزن به اعمال
بني ادم فعبر عنه بلفظ الجمع وقيل موازين
لكل حادثة ميزان وقيل الموازين الحجج والدلائل بل
قاله عبد العزيز بن يحيى واستشهد بقول
الشاعر

قد كنت قبل لقائكم ذا مرة
عندي لكل مخاصم ميزانه

فهو اى بسبب رجحان حسناته **في عيشة** اى
حياة تتقلب فيها على البقاء ولعله الحقها
بالهاء الدالة على الوحدة والمراد العيش
ليفهم انها على حالة واحدة في الصفا واللذة
وليست ذات الوان كحياة الدنيا **راضية** اى
ذات رضى او مرضية لانها جنة عالية
واما من خفت اى طاشت **موازينه** اى غلبت
سيئاته او لم يكن له حسنة لاتباعه الباطل
وخفته عليه في الدنيا **فامه** اى التي تؤويه
وتضمه اليها كما يقال للارض ام لانها تقصده
لذلك وتسكن اليها كما يسكن الى الام وكذا
المسكن **هاوية** اى نار نازلة سافلة جدا
فهو بحيث لا يزال يهوي فيها نازلا فهو في عيشة
ساخطة فالاية من الاحتباك ذكر العيشة

Copyright © King Saud University

اولا دليل على حذفها اولا والهاوية اسم من
اسماء جهنم وهي المهواة لا يدرك قعرها
وقال قتادة هي كلمة عربية كان الرجل
اذا وقع في امر شديد يقال هوت امه وقيل
اراد ام راسه يعني انهم يهوون في
النار على روسهم والى هذا التاويل ذهب
قتادة وابو صالح وروي عن ابي بكر انه قال
وانما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم
يوم القيامة باتباع الحق وثقله في الدنيا
وحق لميزان لا يوضع فيه الا الحسنات ان
يثقل وانما خفت موازين من خفت موازينهم
باتباعهم الباطل وخفته في الدنيا وحق
لميزان لا يوضع فيه الا السيئات ان يخف وما
ادراك اي واي شي اعلمك وان اشتد
تكلفك ما هيه اي الهاوية والاصل ما هي
فدخلت الها للسكت وقرا حمزة في الوصل
بغير هاء بعد الياء التحتية ووقف بها والبا
قون باتباعها وقفا ووصلا فان قيل
قال هنا وما ادراك ما هيه وقال اول السورة
وما ادراك ما القارعة ولم يقل وما ادراك
ما الهاوية اجيب بان كونها قارعة

امر

امر محسوس وكونها هاوية ليس كذلك فظهر
الفرق وقوله تعالى نار حامية خبر مبتدا مضمر
اي هي اي الهاوية نار شديدة الحرارة روى
مسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
ناركم هذه التي توقد جزء من سبعين جزا
من حر جهنم قالوا انها الكافية يا رسول الله
قال فانها فضلت عليها بتسعة وستين
جزا كلها مثل حرها وقول البيضاوي تبعا
للزمخشري عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة القارعة ثقل الله بها ميزانه
يوم القيامة حديث موضوع

سورة التكاثر مكية

وهي ثمان ايات وثمانية وعشرون كلمة ومائة
وعشرون حرفا بسم الله ذي الجلال
والاكرام الرحمن الذي عم بالايجاد بعد الاعدام
الرحيم الذي خص اولياءه بتمام الانعام ولما
ختم القارعة بالتي افتتح هذه بفعل الشقا
ومقصد المحشر ليتزجر السامع فقال تعالى
الهاكم التكاثر اي شغلكم المباهاة والمفاخرة
والمكاثرة بكثرة المال والعدد عن طاعة
ربكم وما ينجيكم من سخطه حتى زرتم المقابر

Copyright © King Saud University

اى الهاكم التكاثر بالاموال والاولاد الى ان
متم وقبرتم منفقين اعمالكم فى طلب الدنيا
والاستباق اليها والتهالك عليها الى ان اتاكم
الموت لاهم لكم غيرها عما هو اولى بكم من السعى
لعاقبتكم والعمل لاخرتكم وزيارة القبر عبارة
عن الموت قال الاخطل

لن يخلص العام خليل عشرا
ذاق الضماد او يزور القبرا

تنبيه حتى غاية لقوله تعالى الهاكم
وهو عطف عليه والمعنى حتى اتاكم الموت فصر
تم فى المقابر زوارا ترجعون منها كرجوع
الزائر الى منزله من جنة او نار يقال لمن
مات قد زار قبره فان قيل شان الزائر
ان ينصرف قريبا والاموات ملازمون للقبور
فكيف يقال انه زائر القبر وايضا حتى زرتم
اخبار عن الماضى فكيف يحمل على المستقبل
اجيب عن الاول بانهم سكان القبور
لابد ان ينصرفوا عنها فان كل ات قريب
وعن الثانى لتحققه عبر عنه بالماضى كقوله
تعالى اتى الله وقال ابو مسلم ان الله تعالى
تكلم بهذه السورة يوم القيامة تعييرا

للكفار

للكفار وهم فى ذلك الوقت قد تقدمت منهم
زيارة القبور وقال مقاتل والكلبى نزلت فى حيين
من قريش بنى عبد مناف وبنى سهم تفاخروا
ايهم اكثر عددا فكثرهم بنوا عبد مناف
وقالت بنوا سهم ان البغى اهلكنا فى الجاهلية
فعادون بالاحيا والاموات فكثرهم بنوا سهم
بثلاثة ابيات لانهم كانوا فى الجاهلية اكثر
عددا والمعنى انكم تكاثرتم بالاحيا حتى اذا
استوعبتم عددهم صرتم الى المقابر
فتكاثرتم بالاموات عبر عن بلوغهم ذكر
الموتى بزيارة القبور تهكما بهم واما حذف
الملهى عنه وهو ما يعنيهم من امر الدين
للتعظيم والمبالغة وقال قتادة فى اليهود
قالوا نحن اكثر من بنى فلان وبنوا فلان اكثر
من بنى فلان شغلهم ذلك حتى ماتوا ضلالا
او انهم كانوا يزورون المقابر فيقول هذا
قبر فلان وهذا قبر فلان عند تفاخرهم
والمعنى الهاكم ذلك وهو مما لا يعنيكم عن
امر الدين الذى هو اهم واعنى من كل مهم
من المقابر والمقابر جمع مقبرة بفتح البا وضمها
وسمى سعيد المقبرى لانه كان يسكن المقابر

لا

Copyright © King Saud University

قال القرطبي لم يات في التنزيل ذكر المقابر الا في
هذه السورة واعترضه ابن عادل بان الله تعالى
قال في سورة اخرى ثم اماته فاقبره وهذا
ممنوع فانه قال المقابر فلفظ هذه الاية غير
لفظ تلك وزيارة القبور من اعظم الادوية
للقلب القاسي لانها تذكر الموت والاخرة وذلك
يحمل على قصر الامل والزهد في الدنيا وترك
الرغبة فيها قال صلى الله عليه وسلم كنت
نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها
تزهد في الدنيا وتذكر الاخرة وروى ابو
هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لعن زوارات القبور فيكره لهن لقلة صبر
هن وكثرة جزعهن نعم زيارة النبي
صلى الله عليه وسلم سنة لهن ويلحق
به قبور الانبيا والاوليا والعلما وينبغي لمن
زار القبور ان يتادب بادابها ويحضر
قلبه في اتيانها ولا يكون حظه منها الطواف
عليها فقط فان هذه حالة تشاركه فيها
البهايم بل يقصد بزيارته وجه الله تعالى
واصلاح فساد قلبه ونفع الميت بما يتلوه
عنده من القران والدعا ويجتنب الجلوس عليها وبلم ص وسلم اذا دخل المقابر

فيقول

فيقول السلام عليكم دار قوم مومنين وانا ان شا
الله بكم لاحقون واذا وصل الى قبر ميت الذي
يعرفه سلم عليه ايضا واتاه من قبل وجهه لانه
في زيارته كمخاطبته حيا ثم يعتبر بمن صار تحت
التراب وانقطع عن الاهل والاحباب ويتامل
حال من مضى من اخوانه كيف انقطعت امالهم
ولم تغن عنهم اموالهم ومحى التراب على محا ستهد
وجوههم وافترقت في التراب اجزاوهم
وجوههم وافترقت في التراب اجزاوهم
وترمل من بعدهم نساوهم وشمل ذل
اليتم اولادهم وانه لابد صاير الى مصيرهم
وان حاله كحالهم وماله كمالهم وعن
مطرف ابن عبد الله بن الشخير عن ابيه قال
انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو يقرا هذه الاية قال تقول ابن ادم مالي
مالي وهل لك من مالك الا ما تصدقت
فامضيت او اكلت فافنيت او لبست فابليت
وعن مالك قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان
ويبقى واحد يتبعه اهله وماله وعمله
فيرجع اهله وماله ويبقى عمله وقراءة الهاكم

Copyright © King Saud University

حمزة والكسائي بالامالة محضة وقراءة ورش
بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح وقوله
تعالى **كلا** ردع وتنبيه على انه لا ينبغي للناظر
لنفسه ان تكون الدنيا جميع همه ولا يهتم بدينه
وقوله تعالى **سوف تعلمون** انذار ليخافوا فينتبهوا
عن غفلتهم وقوله تعالى **ثم كلا سوف**
تعلمون تكرير للتاكيد وثم للدلالة على ان
الثاني ابلغ من الاول وانشد كما تقول للمنصوح
اقول لك ثم اقول لك لا تفعل والمعنى سوف تعلمون الخطا
فيما انتم عليه اذا عاينتم ما قدامكم من هول
لقاء الله تعالى وان هذا التنبيه نصيحة
لكم ورحمة عليكم وعن علي كرم الله وجهه
كلا سوف تعلمون في الدنيا ثم كلا سوف تعلمون
في الاخرة فعلى هذا يكون غير مكرر لحصول
التغاير بينهما لاجل تغاير المتعلقين وثم على
بابها من المهملة وعن ابن عباس كلا سوف
تعلمون في الاخرة اذا حل بكم العذاب فالتكرار
للحالتين وروى زر بن حبيش عن علي كنا نشك
في عذاب القبر حتى نزلت هذه السورة فاشار
الى ان قوله تعالى كلا سوف تعلمون في القبور
وقيل سوف تعلمون اذا نزل بكم الموت وجاءكم

رسل

رسل ربكم بنزع ارواحكم ثم كلا سوف تعلمون في
القيامة انكم معذبون وعلى هذا تضمنت احوال
القيامة من بعث وحشر وعرض وسوال الى غير
ذلك من اهوال القيامة وقال الضحاك كلا سوف
تعلمون يعني الكفار ثم كلا سوف تعلمون ايها
المومنون فالاول وعيد والثاني وعد
ولما كان هذا امرا صادعا اشار تعالى الى
انه يكفي هذه الامة المرحومة التاكيد مرة
فقال سبحانه مرددا الامر بين تاكيد الردع
ثالثا بالاداة الصالحة له وان يكون بمعنى
حقا كما يقوله ائمة القراء اي يشتد ارتداعكم
عن التكاثر فانه اساس كل بلاء فانكم **لو**
تعلمون اي ايها الكافرون **علم اليقين** اي لو
تعلمون علما على وجه اليقين مرة من الدهر
لعلمتم ما بين ايديكم فلم يلهكم التكاثر
ولضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولخرجتم
الى الصعدات تجأرون فحذف الجواب
افخم ليذهب الوهم معه كل مذهب ولا يجوز
ان يكون **لترون الجحيم** جوابها لان هذا
مثبت وجواب لو يكون منفيا ولانه تعالى
عطف عليه ثم لتسألن وهو مستقبل لابد

Copyright © King Saud University

من وقوعه وحذف جواب لو كثير قال الاخفش
التقدير لو تعلمون علم اليقين لالهاكم بل هو
جواب قسم محذوف أكد به الوعيد واوضح
به ما انذرهم منه بعد ابهامه تفخيما وقوله
تعالى ثم لترونها تكرير للتاكيد والاولى اذا
رأتهم من مكان بعيد والثانية اذا وردوها
والمراد بالاولى المعرفة والثانية الابصار
عين اليقين اي الرؤية التي هي نفس اليقين
فان علم المشاهدة اعلى مراتب اليقين
قال الرازي واليقين مركب الاخلاص في
هذا الطريق وهو غاية درجات العامة
واول خطوة الخاصة قال صلى الله عليه
وسلم خير ما ألقي في القلب اليقين وعلمه
قبول ما ظهر من الحق وقبول ما غاب للحق
والوقوف على ما قام بالحق وقال قتادة اليقين
هنا الموت وعنه ايضا البعث اي لو تعلمون
علم الموت او البعث فعبر عن الموت باليقين
والعلم من اشد البواعث على العمل وقيل
لو تعلمون اليوم في الدنيا علم اليقين بما
امامكم مما وصفت لترون الجحيم بعيون
قلوبكم فان علم اليقين يريك الجحيم

يعني

يعني مرادك وقرأ لترون ابن عامر والكسائي
بضم التاء والباقون بالفتح ثم لتسألن حذف
منه نون الرفع لتوالي النونات وواو لالتقاء
الساكنين يومئذ اي يوم رؤيتها عن النعيم
وهو ما يلتذ به في الدنيا من الصحة والفراغ
والامن والمقعد المطعم والمشرب وغير ذلك
والمراد بذلك ما يشغله عن الطاعة للقرينة
والنصوص الكثيرة كقوله تعالى قل من حرم
زينة الله التي اخرج لعباده وقوله تعالى
كلوا من الطيبات وقال الحسن لا يسأل عن
النعيم الا اهل النار لان ابا بكر لما نزلت هذه
الاية قال يا رسول الله أرأيت أكلة أكلتها
معك في بيت ابي الهيثم من خبز شعير ولحم
وبسر وماء عذب أنكون من النعيم الذي
نسأل عنه فقال صلى الله عليه وسلم انما
ذلك للكفار ثم قرأ صلى الله عليه وسلم
وهل نجازي الا الكفور وان ظاهر الاية
يدل على ذلك لان الكفار الهاهم التكاثر
بالدنيا والتفاخر بلذاتها عن طاعة الله
تعالى والاشتغال بذكره فالله تعالى يسألهم
عنها يوم القيامة حتى يظهر لهم ان الذي

Copyright © King Saud University

ظنوه لسعادتهم كان من اعظم الاسباب ..
لشقاوتهم كان من اعظم الاسباب وقيل السوال
عام من اعظم الاسباب اي في حق المومن والكافر
لقوله صلى الله عليه وسلم اول ما يسال العبد
يوم القيامة عن النعيم فيقال له الم نصحح
جسدك الم نروك من الما البارد وقيل
الزايد على ما لابد منه وقيل غير ذلك قال
الرازي والاولى على جمع النعم لان الالف واللام
مفيد الاستغراق وليس صرف اللفظ الى
البعض اولى من صرفه الى الباقي فيسال
عنها هل شكرتها ام كفرت واذا قيل ان
هذا السوال للكافر فقيل هو في موقف
الحساب وقيل بعد دخول النار يقال
لهم انما حل لكم هذا العذاب لاشتغالكم
في الدنيا بالنعيم عن العمل الذي ينجيكم من
هذه النار ولو صرفتم عمركم الى طاعة
ربكم لكنتم اليوم من اهل النجاة وقول
البيضاوي تبعا للزمخشري عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرا سورة الهاكم لم يحاسبه
الله بالنعيم الذي انعم به عليه في دار
الدنيا واعطي من الاجر كانما قرا الف اية

حديث

حديث موضوع الى اخره فرواه الحاكم بلفظ
الا يستطيع احدكم ان يقرا الف اية في كل يوم
قالوا ومن يستطيع ان يقرا الف اية قال او
ما يستطيع احدكم ان يقرا الهاكم التكاثر

سورة العصر مكية

وروي عن ابن عباس وعبادة انها مدنية وهي
ثلاث ايات واربع عشر كلمة وثمانية وستون
حرفا الحمد الله الذي كل شي هالك الا وجهه
الرحمن الذي عم الوجود بانعامه فليس شي
يشبهه الرحيم الذي عز اولياءه فكانوا
للدهر غرة و لاهله جبهة وقوله تعالى
والعصر قسم واختلفوا في المراد به فقال ابن
عباس والدهر اقسم به لان فيه عبرة للناظر
بتصرف الاحوال وتبدلها وما فيها من الدليل
على الصانع وقيل معناه ورب العصر ومر
الكلام في امثاله وقال ابن كيسان اراد بالعصر
الليل والنهار يقال لهما العصران وقال الحسن
بعد زوال الشمس الى غروبها وقال قتادة
اخر ساعة من ساعات النهار وقال مقاتل
اقسم بصلاة العصر وهي الصلاة الوسطى
وهذا اشبه قال صلى الله عليه وسلم من

Copyright © King Saud University

فاتته الصلاة الوسطى فكانما وتر اهله وماله
ولان التكليف في ادائها اشق لتهافت الناس
في تجاراتهم ومكاسبهم اخر النهار واشتغا
لهم بمعاشاتهم ونقل ابن عادل عن مالك
ان من حلف ان لا يكلم الرجل عصر الم يكلمه
سنة قال ابن العربي انما حمل مالك يمين الحالف
على السنة لانه اكثر ما قيل فيه ونقل عن
ان فتي يبر بساعة الا ان تكون له نية وجواب
القسم ان الانسان اي الجنس لفي خسر اي
نقص بسبب مساعيهم في اهوائهم وصرف
اعمارهم في اغراضهم لما انهم بالطبع من
الميل الى الحاضر والاعراض عن الغائب
والاغترار بالفاني تنبيه تنكير خسر
يحتمل التهويل والتحقير فان حمل على الاول
وهو الظاهر كان المعنى ان الانسان لفي خسر
عظيم لا يعلم كنهه الا الله تعالى لان الذنب
يعظم اما لعظم من في حقه الذنب او لانه
وقع في مقابلة النعم العظيمة فلذلك كان
الذنب في غاية العظم وان حمل على الثاني
كان المعنى ان خسر الانسان دون خسر
الشيطان وما كان الحكم على الجنس حكما

على الكل لانهم ليس لهم من ذواتهم الا ذلك
وكان فيهم من خلصه الله تعالى مما طبع
عليه الانسان وحفظه عن الميل استثناهم
بقوله عز من قائل الا الذين امنوا اي اوجدوا
الايمان وهو التصديق بما علم بالضرورة
مجيء النبي صلى الله عليه وسلم به من توحيده
سبحانه والتصديق بملائكته وكتبه ورسله
واليوم الاخر وعملوا اي تصديقا لما اقروا به
من الايمان الصالحات اي هذا الجنس من
ايقاع الاوامر واجتناب النواهي فاشتروا
الاخرة بالدنيا فلم يلههم التكاثر ففازوا
بالحياة الابدية والسعادة السرمدية فلم
يلحقهم شيء من الخسران وقال ابن عباس
في رواية ابي صالح المراد بالانسان الكافر
وقال في رواية الضحاك يريد به جماعة
من المشركين الوليد بن المغيرة والعاصي
بن وائل والاسود بن عبد المطلب وقيل
لفي خسر غبن وقال الاخفش لفي هلكة وقال
الفراء لفي عقوبة وقال ابن زيد لفي شر وروى
ابن زيد لغي وروى ابن عوف عن ابراهيم قال
اراد الانسان اذا عمر في الدنيا وهرم لفي

Copyright © King Saud University

ضعف ونقص وتراجع الى المومنين فانه يكتب
لهم اجورهم التي كانوا يعملونها في حال شبابهم
ونظيره قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان في
احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين الا
الذين امنوا ولما كان الانسان بعد كماله في
نفسه بالاعمال لا ينتفي عنه مطلق الخسران
بتكميل غيره وحينئذ كان وارثا لان الانبيا
عليهم الصلاة والسلام بعثوا للتكميل قال
تعالى مخصصا لما دخل في الاعمال الصالحة
تنبيها على عظمه **وتواصوا** اى اوصى بعضهم
بعضا بلسان الحال والمقال **بالحق** اى
الامر الثابت وهو كلما حكم الشرع بصحته
ولا يسوغ انكاره وهو الخير كله من توحيد
الله تعالى وطاعته واتباع كتبه ورسله
والزهد في الدنيا والرغبة في الاخرة
وتواصوا ايضا **بالصبر** عن المعاصي وعلى
الطاعات وعلى ما يبتلى به عباده من الامراض
وغيرها ويروى عن ابي بن كعب انه قال
قرات على النبي صلى الله عليه وسلم والعصر
ثم قلت ما تفسيرها يا رسول الله فقال
صلى الله عليه وسلم والعصر قسم من الله

اقم

اقسم ربكم باخر النهار ان الانسان لفي خسر ابو جهل
الا الذين امنوا ابو بكر وعملوا الصالحات عمر
وتواصوا بالحق عثمان وتواصوا بالصبر علي وهكذا
خطب ابن عباس على المنبر موقوفا عليه وقال
قتادة بالحق اي بالقران وقال السدي الحق
هنا الله عز وجل وقول البيضاوي تبعا
للزمخشري عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة والعصر غفر الله له وكان
ممن تواصى بالحق وتواصى بالصبر حديث
موضوع

سورة الهمزة مكية

وهي تسع ايات وثلاثون كلمة ومائة وثلاثون
حرفا **بسم الله** الحكيم العدل **الرحمن** الذي
عم جوده اهل البخل واولي العدل **الرحيم** الذي
خص اولياءه بزيادة الفضل وقوله تعالى
ويل فيه قولان احدهما انه كلمة عذاب
والثاني انه واد في جهنم **لكل همزة لمزة**
قال ابن عباس هم المشاؤون بالنميمة المفر قون
بين الاحبة الباغون للبرآء العيب فعلى هذا
هما بمعنى وقال صلى الله عليه وسلم شر
عباد الله المشاؤون بالنميمة المفسدون

Copyright © King Saud University

بين الاحبة الباغون المبراء العيب وقال مقاتل
الهمزة الذي يعيبك في الغيب واللمزة الذي
يعيبك في الوجه وقال ابو العالية والحسن
الهمزة الذي يغتاب ويطعن في وجه الرجل
واللمزة الذي يغتابه من خلفه وهو اختيار
النحاس ومنه قوله تعالى ومنهم من يلمزك في
الصدقات وقال سعيد بن جبير الهمزة
الذي ياكل لحوم الناس ويغتابهم واللمزة
الطعان عليهم وقال ابن زيد الهمزة الذي
يهمز الناس بيده ويضربهم واللمزة الذي
يلمزهم بلسانه ويعيبهم وقال سفيان بن
الثوري يهمز بلسانه ويلمز بعينه وقال ابن
كيسان الهمزة الذي يوذي جليسه بسوء
اللفظ واللمزة الذي يكسر عينه ويشير براسه
ويرمز بحاجبه وحاصل هذه الاقاويل
يرجع الى اصل واحد وهو الطعن واظهار
العيب ويدخل في ذلك من يحاكي الناس
باقوالهم وافعالهم واصواتهم ليضحكوا منهم
واصل الهمز الكسر واللمز الطعن ثم خص
بالكسر من اعراض الناس والطعن فيهم
حتى صار ذلك عادة لانه خلق ثابت

في

في جبلتهم والذي دل على الاعتياد صيغة
فعلة وفتح كما يقال ضحكة للذي يفعل الضحك
كثيرا حتى صار عادة له وضرى به واختلفوا
فيمن نزلت فيه هذه الاية فقال الكلبي نزلت
في الاخنس بن شريق الثقفي كان يقع في الناس
ويغتابهم وقال محمد بن اسحاق ما زلنا
نسمع ان سورة الهمزة نزلت في امية ابن خلف
الجمحي وقال مقاتل نزلت في الوليد ابن المغيرة
كان يغتاب النبي صلى الله عليه وسلم من
ورائه ويطعن عليه في وجهه وقال مجاهد
هي عامة في حق من هذه صفته وقوله
تعالى **الذي جمع مالا** بدل من كل او ذم منصوب
او مرفوع وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي
بتشديد الميم على المبالغة والتكثير ولانه
موافق قوله تعالى **وعدده** والباقون بتخفيفها
وهي محتملة للتكثير وعدمه ومعنى عدده
احصاه وجعله عدة لحوادث الدهر وقال
الضحاك اعد ماله لمن يرثه من اولاده
وقيل فاخر بعدده وكثرته والمقصود الذم
على امساك المال على سبيل الطاعة كقوله
تعالى مناع للخير وقوله تعالى جمع فاوعى **يحسب**

Copyright © King Saud University

اى نظن بجهله ان ماله اخلده اى اوصله
الى رتبة الخلد فى الدنيا فيصير خالدا فيها
لا يموت او يعمر من تشديد البنيان الموثق
بالصخر والاجر وغرس الاشجار وعمارة الارض
عمل من ان له ماله ابقاه حيا او هو تعريض
بالعمل الصالح وانه هو الذى اخلد صاحبه
فى النعيم فاما المال فما اخلد احدا فيه
وروى انه كان للاخنس اربعة الاف دينار
وقيل عشرة الاف دينار وعن الحسن انه
عاد موسرا فقال ما تقول فى الوف لم افتد
بها من لسم ولا تفضلت بها على كريم
قال لماذا قال لنبوة الزمان وجفوة السلطان
ونوايب الدهر ومخافة الفقر قال اذن
تدعه لمن لا يحمدك وترد على من لا يعذرك
وقرا ابن عامر وعاصم وحمزة بفتح السين
والباقون بكسرها وقوله تعالى كلا ردع له
عن حسبانه وقيل معناه حقا وقوله
تعالى لينبذن جواب قسم محذوف اى ليطرحن
بعد موته فى الحطمة الذى اى الطبقة
من جهنم التى من شانها ان تحطم اى تكسر
شدة وعتو كلما طرح فيها فيكون اخسر

الخاسرين

الخاسرين ويقال للرجل الاكول انه لحطمة
وما ادراك اى واى شىء اعلمك ولو بمحاولة
منك للتعلم واجتهاد فى التعرف مع كونك اعلم
الحطمة ما الحطمة اى الدركة النارية التى
سميت هذا الاسم بهذه الخاصة وانه ليس
فى الوجود الذى شاهدتموه ما تقاربها لتكون
مثالا لها ثم فسرها بقوله تعالى نار الله
اى الملك الاعظم الذى له الملك كله الموقدة
التى وجد وتحتم ايقادها ومن الذى يطيق
بمحاولة ما اوقده فهى لا تزال لها هذا الاسم
ثابتا روى ابو هريرة انه صلى الله عليه
وسلم قال اوقد على النار الف سنة حتى
احمرت ثم اوقد عليها الف سنة حتى ابيضت
ثم اوقد عليها الف سنة حتى اسودت فهى
سوداء مظلمة التى تطلع اى اطلاعا شديدا
على الافئدة جمع فؤاد وهو القلب الذى
يكاد يحترق من شدة ذكائه فكان ينبغى
ان يجعل ذكاه فى اسباب الخلاص واطلاعها
عليه بان تعلو وسطه وتشتمل عليه اشتمالا
بليغا سمى بذلك لشدة توقده وخص
لانه الطف ما فى البدن واشد تالما بادنى

Copyright © King Saud University

شئ من الاذى ولانه منشا العقايد الفاسدة
ومعدن حب المال الذى هو منشا حب
الفساد والضلال وعنه تصدر الافعال
القبيحة وقيل معنى تطلع على الافيدة اى
تعلم ما يستحقه كل احد منهم من العذاب
يقال اطلع على كذا اى علمه ثم اكد ان الحكم
بخلودهم فيها بقوله تعالى موكد الانهم
يكذبون بوقت **انها عليهم موصدة** قال
الحسن مطبقة اى بغاية الضيق وقال
مجاهد مغلقة بلغة قريش يقول اصدت
الباب اى اغلقته ومنه قول عبد الله
بن قيس اى في القطر لود خلنا غزاله
معننا موصدا عليه الحجاب ثم بين حال
عذابهم بقوله تعالى **في** اى في حال
كونهم موثقين في **عمد** قرا حمزة
والكسائى وشعبة بضم العين والميم جمع
عمود نحو رسول ورسل وقيل جمع عماد ككتاب
وكتب والباقون بفتحهما فقيل هو اسم
جمع لعمود وقيل بل هو جمع له قال الفرا
كاديم وادم وقال ابو عبيدة هو جمع
عماد **ممددة** اى معترضة كانها موضوعة

على

على الارض فهي في غاية المكنة فلا يستطيع الموثوق
بها على نوع حيلة في امرها قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان الله يبعث عليهم ملائكة
باطباق من نار ومسامير من نار وعمد من
نار فتطبق عليهم بتلك الاطباق وتشد بتلك
المسامير وتمد بتلك العمد ولا يبقى فيها خلل
يدخل منه روح ولا يخرج منه غم فيكون
كلا منهم فيها زفير وشهيق وقال قتادة
عمد يعذبون بها واختاره الطبري وقال
ابن عباس ان العمد الممددة اغلال في اعناقهم
وقال ابو صالح قيود في ارجلهم وقال القتيبي
العمد اوتاد الاطباق وقيل المعنى في دهور
ممدودة لا انقطاع لها وقول البيضاوي
تبعا للزمخشري عن النبي صلى الله عليه
وسلم من قرا سورة الهمزة اعطاه الله
عشر حسنات بعدد من استهزا بمحمد صلى
الله عليه وسلم واصحابه حديث موضوع

سورة الفيل مكية

وهي خمس ايات وعشرون كلمة وست وتسعون
وهي خمس ايات حرفا **بسم الله** الذي قدرته
في كل شئ عامة **الرحمن** الذي له النعمة الكاملة

الرحيم الذي خص اهل الاصطفا بالنعمة الكاملة
وقوله تعالى الم تر استفهام تعجب اي اعجب
كيف فعل ربك اي المحسن اليك باصحاب الفيل
فهو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وهو
وان لم يشهد تلك الواقعة لكن شاهد اثارها
وسمع بالتواتر اخبارها فكانه راها وانما قال
تعالى كيف دون ما لانه المراد تذكر ما فيها
من وجوه الدلالة على كمال علم الله وقدرته
وعزة بيته وشرف رسوله صلى الله
عليه وسلم وكانت قصة الفيل ما روي
ان ابرهة بن الصباح الاشرم ملك اليمن
من قبل اصحمة النجاشي بنا كنيسة في
صنعا وسماها القليس واراد ان يصرف
اليها الحاج وكتب الى النجاشي اني قد
بنيت كنيسة لم يبن لملك مثلها ولست
منتهيا حتى اصرف اليها العرب فسمع بذلك ج
رجل من بني مالك بن كنانة فخرج اليها
فدخلها ليلا فقعد فيها ولطخ بالعذرة
قبلتها فبلغ ذلك ابرهة فقال من اجترى
على فقيل صنع ذلك رجل من العرب من اهل
ذلك البيت سمع الذي قلت فحلف ابرهة

عند ذلك ليسيرن الى الكعبة حتى يهدمها
فكتب الى النجاشي يخبره بذلك وساله ان
يبعث اليه بفيله وكان له فيل يقال له محمود
وكان فيلا لم ير مثله عظما وجسما وقوة فبعث
به اليه فخرج ابرهة في الحبشة سائرا الى مكة
وخرج معه بالفيل واثني عشر فيلا غيره
وقيل ثمانية عشر وقيل كان معه الف فيل
وقيل كان وحده فسمعت العرب بذلك
فاعظموه وراوا جهاده حقا عليهم فخرج ملك
من ملوك اليمن يقال له ذو نفر بمن اطاعه
من قومه فقاتله فهزمه ابرهة واخذ ذو
نفر فقال ايها الملك استبقني فان استبقاي
خير لك من قتلي فاستبقاه فاوثقه وكان
ابرهة رجلا حليما ثم سار حتى اذا دنا من
بلاد خثعم خرج له نفيل بن حبيب الخثعمي
في خثعم ومن اجتمع اليه من قبائل اليمن
فقاتلوه فهزمهم واخذ النفيل فقال له
نفيل ايها الملك اني دليل بارض العرب وها تاه
يدي على قومي بالسمع والطاعة فاستبقاه
وخرج معه يدله حتى اذا مر بالطائف
خرج معه مسعود بن معتب في رجال من

Copyright © King Saud University

نفنى فقال ايها الملك نحن عبيدك ليس عندنا
لك خلاف انما تريد البيت الذي بمكة نحن
نبعث معك من يدلك عليه فبعثوا ابا رغال
مولى لهم فخرج حتى اذا كان بالمغمس مات
ابو رغال وهو الذي يرجم قبره وبعث
ابرهة من المغمس رجلا من الحبشة يقال
له الاسود بن مقصود على مقدمة خيله
وامره بالغارة على نعم الناس فجمع الاسود
اليه اموال الحرم واصاب لعبد المطلب
مائتي بعير ثم ان ابرهة بعث حناطة
الحميري الى اهل مكة فقال سل عن شر
يفها ثم ابلغه ما ارسلك اليه اخبره اني
لم آت لقتال انما جيت لاهدم هذا
البيت فانطلق حتى دخل مكة فلقي عبد
المطلب بن هاشم فقال ان الملك ارسلني
اليك لاخبرك انه لم يات لقتال انما جيت
لاهدم هذا البيت ثم الانصراف عنكم
فقال عبد المطلب ما له عندنا قتال ولا لنا
به يد انا سنخلي بينه وبين ما جا اليه فان
هذا بيت الله الحرام وبيت خليله ابراهيم
عليه السلام فان يمنعه فهو بيته وحرمه

وان

وان يخل بينه وبين ذلك فوالله ما لنا به قوة
قال فانطلق معي الى الملك قال بعض العلما انه
اردفه على بغلة كان عليها وركب معه بعض
بنيه حتى قدم العسكر وكان ذو نفر صديقا
لعبد المطلب فاتاه فقال يا ذا نفر هل عندك
من غنا فيما نزل بنا فقال ما غنا رجل اسير
لا يامن ان يقتل بكرة او عشيا ولكن سا
بعث لك انيس سايس الفيل فانه لي صديق
فاساله ان يصنع لك عند الملك ما استطاع
من خير ويعظم خطرك ومنزلتك عنده
فارسل الى انيس فاتاه فقال له ان هذا
سيد قريش صاحب عير مكة يطعم الناس
في السهل والوحوش في روس الجبال وقد
اصاب الملك له مائتي بعير فان استطعت
ان تنفعه عنده فانفعه فانه صديق لي احب
ما وصل اليه من الخير فدخل انيس على
ابرهة فقال مكة يطعم الناس في السهل
والوحوش في روس الجبال يستاذن عليك
وانا احب ان تاذن له فيكلمك وقد جا
غير ناصب لك ولا مخالف عليك فاذن له
وكان عبد المطلب رجلا جسيما وسيما فلما

Copyright © King Saud University

فلما راه ابرهة اعظمه واكرمه وكره ان يجلس
معه على السرير وان يجلس تحته فهبط الى البساط
فجلس عليه ثم دعاه فاجلسه معه ثم قال
لترجمانه قل لترجمانه قل له ما حاجتك الى
الملك فقال الترجمان ذلك فقال عبد المطلب
حاجتي الى الملك ان يرده الى مائتي بعير اصابها
لي فقال ابرهة لترجمانه قل له قد كنت
اعجبتني حين رايتك ولقد زهدت فيك
قال لم قال جئت الى بيت هو دينك ودين
ابائك وهو شرفكم وعصمتكم لاهدمه
لم تكلمني فيه وتكلمني في مائتي بعير اصبتها
قال عبد المطلب انا رب هذه الابل وللبيت
رب سيمنعه قال ما كان ليمنعه مني قال
فانت وذاك فامر بابله فردت عليه وقيل
اعرض عليه عبد المطلب خرج فاخبر
قريش الخبر وامرهم ان يتفرقوا في الشعاب
ويتحرزوا في روس الجبال تخوفا عليهم
من معرة الجيش ففعلوا واتى عبد المطلب
الكعبة فاخذ بحلقة الباب وجعل يقول
يا رب لا ارجو لهم سواكا ، يا رب فامنع منهم حماكا
، ان عدو البيت من عاداكا ، المنعهم

ان يخربوا قراكا ، وقال ايضا ، لاهم ان المرء يمنع
رحله ، وحلاله فامنع حلالك ، لا يغلبن
صليبهم ومحالهم ، عدوا محالك ، جروا
جموع بلادهم ، والفيل كي يسبوا عيالك ، عمدوا
حماك بكيدهم ، جهلا وما رقبوا جلالك
، ان كنت تاركهم وكعبتنا ، فامر ما بدا
لك ثم ترك عبد المطلب الحلقة وتوجه في
بعض تلك الوجوه مع قومه فاصبح ابرهة
بالمغمس قد تهيا للدخول وهيا جيشه وهيا
فيله فاقبل نفيل الى الفيل الاعظم ثم
اخذ باذنه ابرك محمود وارجع راشدا من
حيث جئت فانك في بلد الله الحرام فبرك
الفيل فبعثوه فابى فضربوه بالمعول في
راسه فابى فوجهوه راجعا الى اليمن فقام
مهرولا الى الشام ففعل مثل ذلك الى الحرم
فبرك وابى ان يقوم وخرج عبد المطلب
نفيل حتى صعد الجبل فارسل الله تعالى
عليهم ما قصه في قوله سبحانه الم يجعل اي
يجعل لما له من الايجاب الى العرب لا سيما
قريش كيدهم اي في هدم الكعبة في
تضليل اي خسارة وهلاك وارسل عليهم

Copyright © King Saud University

اي خاصة من بين من هناك من كفار العرب
طيرا اي طيرا سودا وقيل خضرا وقيل
بيضا ابابيل اي جماعات بكثرة متفرقة يتبع
بعضها بعضا من نواحي شتى فوجا فوجا
وزمرة زمرة امام كل فرقة منها طاير يقودها
احمر المنقار اسود الراس طويل العنق وروي
اقاطيل كابل المؤبلة قال الفراء واحد
لها من لفظها وقيل واحدها ابالة وقال
الكسائي كنت اسمع النحويين يقولون واحد
ها ابول كعجول وعجاجيل وقال ابن عباس
كانت طير لها خراطيم كخراطيم الطير واكف
كاكف الكلاب وقال عكرمة لها رؤس كرؤس
السباع وقال سعيد بن جبير طير خضر لها
مناقير صفر وقال قتادة طير سود ترميهم
اي الطير بحجارة اي عظيمة في الكثرة والفعل
صغيرة في المقدار والحجم مع كل طاير حجر
في منقاره وحجران في رجليه اكبر من العدسة
واصغر من الحمصة وعن ابن عباس انه راي
منها عند ام هاني نحو قفيز مخططة بالحمرة
كالجزع الظفاري فكان الحجر يقع على راس الرجل
فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه

فغروا

فغروا فهلكوا في كل طريق ومنهل واما ابرهة
فتساقطت انامله كلها كلما سقطت انملة
اتبعها مدة وقيح ودم فانتهى الى صنعاء وهو
مثل فرخ الطير وما مات حتى انصدع صدره
من قلبه وانفلت وزيره ابو يكسوم وطاير يحلق
فوقه حتى بلغ النجاشي فقص عليه القصة
فلما اتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه
لان تلك الحجارة كانت من سجيل اي طين
متحجر مصنوع للعذاب في موضع هو في غاية
الغلو ولما كشف عن هذا الراي هلاكهم بر
وكان ذلك بفعل الله تعالى لانه الذي خلق
الاثر قطعا لان مثله لا يتاتى عنه ما تاتى من
الهلاك قال الله تعالى فجعلهم اي ربك
المحسن اليك باحسانه الى قومك لاجلك
بذلك كعصف ماكول اي كورق زرع اكلته
دوابه فيبس وتفرقت اجزاؤه شبه تقطع
اوصالهم بتفرق اجزا الروث قال مجاهد
العصف ورق الحنطة وقال مقاتل قتادة
هو التبن وقال عكرمة كالحب اذا اكل وصار
اجوف لان الحجر كان ياتي في الراس فيحرق
بما له من الحرارة وشدة الوقع كلما مر به

Copyright © King Saud University

حتى يخرج من الدبر ويصير موضع تجويفه اسود
لماله من النار به وقال ابن عباس هو القر
لخارج الذى يكون على حب الحنطة كهيئة
النفلات له وروى ان الحجر كان يقع على احدهم
فيخرج كلما فى جوفه فيبقى كقشر الحنطة اذا
خرجت من الحبة وعن عكرمة من اصابه
جدرة وهو اول جدرى ظهر وعن ابى سعيد
الخدرى انه سئل عن الطير فقال حمام مكة
منها وقيل جاءت عشية ثم صبحتهم واختلف
فى تاريخ عام الفيل فقيل كان قبل مولد
النبى صلى الله عليه وسلم باربعين سنة
وقيل بثلاث وعشرين سنة والاكثرون
على انه كان فى العام الذى ولد فيه النبى
صلى الله عليه وسلم وعن عائشة قالت رايت
سائس الفيل وقائده اعميين مقعدين
يستطعمان الناس وقال عبد الملك بن
مروان لعتاب ابن اسيد انت اكبر ام النبى
صلى الله عليه وسلم اكبر منى وانا اسن
منه ولد صلى الله عليه وسلم عام الفيل
مقعدين يستطعمان الناس بل قيل لم يكن
بمكة احد الا راى قائد الفيل وسائسه

اعميين

اعميين يتكففان الناس لان عائشة مع صغر سنها
رأتهما وقال ابن اسحاق لما رد الله تعالى الحبشة
عن مكة المشرفة عظمت العرب قريشا وقالوا اهل
الله قاتل عنهم وكفاهم مؤنة عدوهم فكان
ذلك نعمة من الله عليهم وقال بعض العلماء كانت
قصة الفيل مما تعد من معجزاته صلى
الله عليه وسلم وان كانت قبله لانها كانت
وبا توكيدا لامره وتمهيدا لشانه وقول البيضاوى
تبعا للزمخشرى عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة الفيل اعفاه
الله ايام حياته من الخسف والمسخ حديث
موضوع

سورة قريش مكية

فى قول الجمهور ومدنية فى قول الضحاك
والكلبى وهى اربع ايات وسبع عشرة كلمة
وثلاثة وسبعون حرفا بسم الله الذى
له جميع الكمال الرحمن ذو النعم والافضال
الرحيم الذى خص اولياءه بالقرب والاجلال
وقوله تعالى لايلاف قريش متعلقة باوجه
احدها انه بما فى السورة قبلها من قوله
تعالى فجعلهم كعصف ماكول قال الزمخشرى

وهذا بمنزلة التضمين في الشعر وهو ان تتعلق
معنى البيت بالذي قبله تعلقا لا يصح الا به
وهما في مصحف ابي سورة واحدة بلا فصل
وعن عمر انه قرأهما في الثانية من صلاة
المغرب وقرأ في الاولى والتين انتهى والى
هذا ذهب الاخفش وقال الرازي المشهور
انهما سورتان ولا يلزم من التعلق الاتحاد
لان القرآن كسورة واحدة ثانيها انه مضمر
تقديره فعلنا ذلك وهو اتقاعهم لايلاف
وهو الفهم لبلدهم الذي تنشأ عنه
طمانينتهم وهيبة الناس لهم وقيل
تقديره اعجبوا لايلاف قريش رحلة الشتاء
ثالثها انه متعلق بقوله تعالى فليعبدوا
امرهم ان يعبدوه لاجل ايلافهم الرحلتين
لانهما اظهر نعمة عليهم وهذا هو الذي
صدر به الزمخشري كلامه وفي هذا اشارة
الى تمام قدرته سبحانه وانه اذا اراد شيا
يسر سببه لان التدبير كله له يخفض من
يشا وان عز ويرفع من يشا وان ذل وقريش
هم ولد النضر بن كنانة من ولده النضر
فهو قرشي ومن لم يلده النضر فليس بقرشي

قال

قال صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى كنانة
من بني اسماعيل واصطفى من بني كنانة قريشا
واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني
من بني هاشم واخرج الحاكم وصححه البيهقي
عن ام هاني بنت ابي طالب ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال فضل الله قريشا بسبع
خلال اني منهم وان النبوة فيهم وان الله نصر
على الفيل وانهم عبدوا الله عشر سنين لا
يعبده غيرهم وان الله انزل فيهم سورة
من القرآن وسموا قريشا من القرش وهو
التكسب والجمع يقال فلان يقرش لعياله ويقترش
اي يكتسب وهم كانوا تجارا حراصا على جمع
المال وقال ابو ريحانة سال معاوية عبد
الله بن عباس لم سميت قريش قريشا قال
لدابة تكون في البحر من اعظم دوابه تعيث
بالسفن ولا تطاق الا بالنار يقال لها
القرش لا تمر بشي من الغث والسمين الا
اكلته وهي تاكل ولا توكل وتعلو ولا تعلى
قال وهل تعرف العرب ذلك في اشعارها
قال نعم فانشد شعر الجمحي
وقريش هي التي تسكن البحر

هم

ش

Copyright © King Saud University

بها سميت قريش قريشا
تأكل الغث والسمين فلا تترك … فيه لذي الجناحين ريشا
هكذا في الكتاب حي قريش … يأكلون البلاد أكلا كميشا
ولهم آخر الزمان نبي … يكثر القتل فيهم والخموشا

وقيل هو من تقرش الرجل إذا تنزه عن مدانس الأمور ومن تقارشت الرماح في الحرب إذا دخل بعضها في بعض وقوله تعالى **إيلافهم** بدل من الإيلاف الأول وقرأ ابن عامر لإلاف بغير ياء بعد الهمزة والباقون لإيلاف بياء قبلها وأجمع الكل على إثبات الياء في الثاني وهو إيلافهم بالياء بعد الهمزة قال ابن عادل ومن غريب ما اتفق في هذين الحرفين أن القراء اختلفوا في سقوط الياء وثبوتها في الأول مع اتفاق المصاحف على إثباتها خطا واتفقوا على إثبات الياء في الثاني مع اتفاق المصاحف على سقوطها فيه خطا وهذا أدل دليل على أن القراء متبعون الأثر والرواية لا مجرد الخط وقوله تعالى

رحلة

رحلة الشتاء منصوب بإيلافهم مفعول به كما نصبت يتيما بإطعام وهي التي يرحلونها في زمنه إلى اليمن لأنها بلاد حارة يتناولون منها متاجر الجنوب **والصيف** التي يرحلونها إلى الشام في زمنه لأنها بلاد باردة يتناولون فيها الشمال وهم آمنون من سائر العرب لأجل عزهم بالحرم المعظم بيت الله والناس يتخطفون من حولهم ولا يجترئ أحد عليهم والإيلاف من قولك ألفت المكان أولفه إيلافا إذا ألفته فأنا مولف والأصل رحلتي الشتاء والصيف ولكنه أفرد ليشمل كل رحلة كما هو شأن المصادر وأسماء الأجناس وفي ذلك إشارة إلى أنهم يتمكنون من الرحلة أي رحلة أرادوا والشمول الأمن لهم قال مالك الشتاء نصف السنة والصيف نصفها وقال قوم الزمان أربعة أقسام شتاء وربيع وصيف وخريف وقيل شتاء وصيف وقيظ وخريف قال القرطبي والذي قاله مالك أصح لأن الله تعالى قسم الزمان قسمين ولم يجعل لهما ثالثا وروى عكرمة عن ابن عباس أنهم كانوا يشتون بمكة ويصيفون بالطائف وقال

Copyright © King Saud University

اخرون كانت لهم رحلتان في كل عام للتجارة احد
هما في الشتا الى اليمن لانها ادفى والاخرى في
الصيف الى الشام وكان الحرم واديا جدبا لا زرع
فيه ولا ضرع وكانت قريش تعيش بتجارتهم
ورحلتهم ولولا الرحلتان لم يكن لهم مقام
بمكة ولولا الامن بجوار البيت لم يقدروا
على التصرف واول من سن لهم الرحلة هاشم
بن عبد مناف وكانوا يقسمون ربحهم بين الغنى
والفقير حتى كان فقيرهم كغنيهم وفي ذلك يقول
الشاعر

قل للذي طلب السماحة والندا
هلا مررت بال عبد مناف
هلا مررت بهم تريد قراهم
منعوك من ضر ومن اتلاف
الرايشين وليس يوجد رايش
والقايلين هلم للاضياف
والخالطين فقيرهم بغنيهم
حتى يكون فقيرهم كالكافي
والقايلين بكل وعد صادق
والراحلين برحلة الايلاف
عمرو العلا هشم الثريد لقومه

ورحال مكة مسنتون عجاف
سفرين سنهما له ولقومه
سفر الشتا ورحلة الاصياف

وتبع هاشما على ذلك اخوته فكان هاشم يوالف
الى الشام وعبد شمس الى الحبشة والمطلب
الى اليمن ونوفل الى فارس وكان تجار قريش
يختلفون الى هذه الامصار بحبا هذه الاخوة
اي بعهودهم التي اخذوها بالامان لهم
من ملك كل ناحية من هذه النواحي ولما
كان هذا التدبير لهم من الله تعالى كافيا
لهمومهم الظاهرة بالغنى والباطنة بالامن
وكان شكر المنعم واجبا قال تعالى **فليعبدوا**
اي قريش على سبيل الوجوب شكرا على هذه
النعمة خاصة ان لم يشكروه على جميع نعمه
التي لا تحصى لانهم يدعون انهم اشكر
الناس للاحسان وابعدهم عن الكفران
رب هذا البيت اي الموحد له والمحسن الى
اهله بحفظه من كل طاغ وباذلال الجبابرة
له باكمال اعزازه لهم في الدنيا والاخرة والمراد
به الكعبة عبر بالاشارة لتعظيمها لانها شهد
وصف نفسه الاقدس بما هو ثمرة الرحلتين

ومظهر لزيادة شرف البيت بقوله **الذي**
اطعمهم اي قريشا بحمل الميرة الى مكة بالرحلتين
طعاما مستمدا **من جوع** اي عظيم فيه غيرهم
من العرب او كانوا هم فيه قبل ذلك لان
بلدهم ليس بذي زرع فهم عرضة للفقر الذي
نشأ عنه الجوع فكفاهم ذلك وحده ولم
يشركه احد في كفايتهم فليس من الشكر
اشراكهم معه في عبادته ولا من البر بابيهم
ابراهيم عليه السلام الذي دعا لهم بالرزق
بقوله عليه السلام وارزقهم من الثمرات
ونهى اشد النهي عن عبادة الاصنام ولم
يقل اشبعهم لانه ليس كلهم كان يشبع ولان
من كان يشبع منهم طالب لاكثر مما هو عنده ولا
يملا جوف ابن ادم الا التراب **وامنهم** اي خصصا
لهم **من خوف** اي شديد جدا من اصحاب
الفيل الذين ارادوا اخراب البيت الذي به
نظامهم وما ينال من حولهم من التخطف
بالقتل والنهب والغارات ومن الامن
من الجذام بدعوة ابيهم ابراهيم عليه السلام
ومن الطاعون والدجال بتأمين النبي
صلى الله عليه وسلم وعن ابن زيد كانت العرب

يغير

٥١٧

يغير بعضها على بعض ويسبي بعضهم بعضا فامنت
قريش ذلك المكان الحرم وقيل شق عليهم السفر
في الشتاء والصيف فالقى الله تعالى في قلوب الحبشة
ان يحملوا اليهم طعاما في السفن فحملوا فخافت
قريش منهم وظنوا انهم قدموا لحربهم فخرجوا
اليهم متحرزين فاذا هم قد جلبوا اليهم الطعام
واعانوهم بالاقوات فكان اهل مكة يخرجون
الى جدة بالابل والحمر فيشترون الطعام على
مسيرة ليلتين وقيل ان قريشا لما كذبوا النبي
صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم
اجعلها عليهم سنين كسني يوسف فاشتد
القحط فقالوا يا محمد ادع الله لنا فانا مؤمنون
فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فا
خصبت
تبالة وجرش من بلاد اليمن فحملوا الطعام الى
مكة واخصب اهلها وقال الضحاك والربيع
في قوله تعالى وامنهم من خوف ان تكون الخلا
فة
الا فيهم قال الزمخشري ومن بدع التفاسير
وامنهم من خوف ان تكون الخلافة في غيرهم
انتهى لكن ان ثبت ذلك عن علي كرم الله
وجهه فليس كما قال وقيل كفاهم اخذ
الايلاف من الملوك وقول البيضاوي تبعا

Copyright © King Saud University

للزمخشري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة لإيلاف قريش أعطاه الله عشر
حسنات بعدد من طاف بالكعبة وطاف بها
حديث موضوع

سورة الدين وتسمى سورة الماعون مكية

في قول عطاء وجابر وأحد قولي ابن عباس
ومدنية في قول له آخر وهو قول قتادة
وغيره وهي سبع آيات وخمس وعشرون كلمة
ومائة وثلاثة وعشرون حرفا **بسم**
الله الذي له كل كمال **الرحمن** الذي عم
جميع عباده بالنوال **الرحيم** الذي خص
أولياءه بنعمة الافضال وقوله تعالى
أرأيت استفهام معناه التعجب وقرأ نافع
بتسهيل الهمزة بعد الراء ولورش أيضا
إبدالها ألفا وأسقطها الكسائي قال
الزمخشري وليس بالاختيار لأن حذفها
مختص بالمضارع ولم يصح عن العرب
ريت ولكن سهل الذي من أمرها وقوع
حرف الاستفهام في أول الكلام ونحوه
صاح هل ريت أو سمعت براع
رد في الضرع ما قرى في العلاب

وخففها

وخففها الباقون والمعنى أرأيت **الذي يكذب**
أي بوقوع التكذيب ممن يخبره كائنا من كان
بالدين أي بالجزاء والحساب أي هل عرفته
إن لم تعرفه **فذلك** بتقدير هو بعد الفاء
أي البغيض المبعد من كل خير **الذي يدع** أي
يدفع دفعا عظيما بغاية القسوة **اليتيم** ولا
يحث على إكرامه لأن الله تعالى نزع الرحمة
من قلبه ولا ينزعها إلا من شقي لأنه لا حامل
على الإحسان إليه إلا الخوف من الله تعالى
فكان التكذيب بجزائه مسببا للغلظة
عليه وقال قتادة يقهره ويظلمه فإنهم
كانوا لا يورثون النساء ولا الصغار ويقولون
إنما يحوز المال من يطعن بالسنان ويضرب
بالحسام وقال صلى الله عليه وسلم
من ضم يتيما من المسلمين حتى يستغني فقد
وجبت له الجنة واختلف فيمن نزل فيه
ذلك فقال مقاتل في العاصي بن وائل السهمي
وقال السدي في الوليد بن المغيرة وقال
الضحاك في عمرو بن عائذ المخزومي وقال
عطاء عن ابن عباس في رجل من المنافقين
وقال في أبي جهل **ولا يحض** أي يحث نفسه

مل

Copyright © King Saud University

ولا غيره على طعام المسكين اى بذله له واطعامه
اياه بل يمقته ولا يكرمه ولا يرحمه وقد
تضمن هذا ان علامة التكذيب بالبعث
ايذا الضعيف و التهاون بالمعروف ولما
كان هذا حاله مع الخلايق اتبعه حاله من
الخالق بقوله تعالى فويل اي عذاب او واد
في جهنم للمصلين الذين هم اى بضمايرهم
وخالص سرايرهم عن صلاتهم التي هي جديرة
بان تضاف اليهم لوجوبها عليهم وايجابها
لاجل مصالحهم ومنافعهم بالتزكية
وغيرها ساهون اي غريقون في الغفلة
عنها وتضييعها وعدم المبالات بها
وقلة الالتفات اليها وروى البغوي بسنده
ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل
عن الآية فقال هو اضاعة الوقت وعن
ابن عباس انه قال هم المنافقون يتركون
الصلاة اذا غابوا عن الناس ويصلونها
في العلانية اذا حضروا مع الناس لقوله
تعالى الذين هم اى بجملة سرايرهم يراؤن
اي بصلاتهم وغيرها الناس لانهم
يفعلون الخير ليراهم الناس لا لرجا الثواب

وله

ولا لخوف العقاب من الله تعالى ولذلك يتركون
الصلاة اذا غابوا عن الناس وقال ابراهيم
هو الذي يلتفت في صلاته وقال قطرب هو
الذي لا يقرا ولا يذكر الله تعالى وقال ابن عباس
لو قال في صلاتهم ساهون لكانت في المومنين
وقال عطا الحمد لله الذي قال تعالى عن صلاتهم
ساهون ولم يقل في صلاتهم فدل على
ان الآية في المنافقين وقال قتادة ساه
عنها لا يبالي صلى ام لم يصل وقال
مجاهد غافلون عنها متهاونون بها
وقال الحسن هو الذي ان صلاها صلاها
ريا وان فاتته لم يندم وقيل هم الذين
يسهون عنها قلة مبالات بها حتى تفوت
او يخرج وقتها او لا يصلونها كما صلاها
رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلف
ولكن ينقرونها نقرا من غير خشوع ولا
اخبات لما يكره فيها من العبث باللحية
والثياب وكثرة التثاوب والالتفات لا يدري
الواحد منهم عن كم انصرف ولا ما قرا من
السورة وكم نرى في صلاة الاكثر من نرى من
الذين عادتهم الريا باعمالهم ومنع حقوق

تقم
تعم
ي

Copyright © King Saud University

اموالهم والمعنى ان هؤلاء احق ان يكون سهوهم
عن الصلاة التي هي عماد الدين والفارق بين
الايمان والكفر والريا الذي هو شعبة من
الشرك ومنع الزكاة التي هي شقيقة الصلاة
وقنطرة الاسلام علما على انهم مكذبون
بالدين وكم ترى من المسلمين بالاسلام بل
بالعلم من هو منهم على هذه الصفة فيا
مصيبتاه فان قيل كيف جعل المصلين
قايما مقام الضمير الذي يكذب وهو واحد
اجيب بان معناه الجمع لان
المراد به الجنس فان قيل اي فرق بين
قوله تعالى عن صلاتهم وقوله تعالى في
صلاتهم اجيب بان معنى عن
انهم ساهون عنها سهو ترك وقلة
التفات اليها وذلك فعل المنافقين او
الفسقة الشاطين من المسلمين ومعنى في
ان السهو يعتريهم فيها بوسوسة شيطان
او حديث نفس وذلك لا يكاد يخلو منه
مسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقع له السهو في صلاته فضلا عن غيره
ومن ثم اثبت الفقها باب سجود السهو

في

في كتبهم وعن انس الحمد لله على ان لم يقل في
صلاتهم وقد مرت الاشارة الى بعض ذلك
فان قيل ما معنى المراآت اجيب بان معنا
من الاراة لان المرائي يري الناس عمله وهم علة
يرونه الثنا عليه والاعجاب به ولا يكون
الرجل مرائيا باظهار العمل الصالح ان كان
فريضة فمن حق الفرايض الاعلان بها وتشهير
لقوله صلى الله عليه وسلم ولا غمة في فرايض ها
الله لانها اعلام الاسلام وشعاير الدين
ولان تاركها يستحق الذم والمقت فوجب ان
التهمة بالاظهار وان كان تطوعا فحقه ان يخفي طة
لانه مما لا يلام بتركه ولا تهمة فيه فان اظهره
قاصدا للاقتدا به كان جميلا وانما الريا ان
يقصد بالاظهار ان تراه الاعين فتثني عليه
بالصلاح وعن بعضهم انه راى رجلا في المسجد
قد سجد سجدة الشكر واطالها فقال
ما احسن هذا لو كان في بيتك وانما قال
هذا لانه توسم فيه الريا والسمعة على
ان اجتناب الريا صعب الا على المرتاضين
بالاخلاص ومن ثم قال صلى الله
عليه وسلم الريا اخفى من دبيب النملة السودا

Copyright © King Saud University

في الليلة المظلمة على المسح الاسود ثم بين انه
من هو بهذه الصفة تغلب عليه الشح
بقوله تعالى ويمنعون اي على تجدد الاوقات
الماعون اي حقوق الاموال والتي اليسر
من المنافع وقال عبد الله بن مسعود رضي
الماعون الفاس والدلو والقدر واشباه
ذلك وهي رواية عن سعيد بن جبير عن ابن
عباس وقال مجاهد الماعون اعلاها الزكاة
المفروضة وادناها عارية المتاع وعن
علي انها الزكاة وقال محمد ابن كعب والكلبي
الماعون المعروف كله الذي يتعاطاه الناس
فيما بينهم وقال قطرب اصل الماعون من
القلة تقول العرب ماله سعنة ولا معنة
اي شي قليل فسمي الزكاة والصدقة
والمعروف ماعونا لانه قليل من كثير
وقيل الماعون ما لا يحل منعه الا انه مثل
الماء والملح والنار وقول البيضاوي تبعا
للزمخشري عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قرا سورة ارايت الذي غفر
له ان كان للزكاة مودبا حديث موضوع

سورة الكوثر وتسمى النحر مكية

في قول ابن عباس والكلبي ومقاتل ومدنية
في قول الحسن وعكرمة ومجاهد وقتادة وهي
ثلاث ايات وعشر كلمات واثنان واربعون حرفا
بسم الله الذي لا احد لغايتي فضله الرحمن
الذي شمل الخلايق بجوده فلا راد لامره الرحيم
الذي خص حزبه بالاعتصام بحبله وقوله
تعالى انا اي بما لنا من العظمة اعطيناك اي
خولناك مع التمكين العظيم يا اشرف الخلق الكوثر
اي نهر في الجنة هو حوضه صلى الله عليه
وسلم ترد عليه امته لما روي عن انس
انه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذات يوم بين اظهرنا اذ غفا اغفاة ثم رفع
راسه متبسما فقلنا ما اضحكك يا رسول
الله قال انزل علي انفا سورة فقرا بسم الله
الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر الى اخرها
ثم قال اتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله
اعلم قال فانه نهر وعدنيه ربي خير كثير
هو حوض ترد عليه امتي يوم القيامة انيته
عدد النجوم فيختلج العبد منهم فاقول رب انه
من امتي فيقول ما تدري ما احدث بعدك
وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب
ومجراه علي الدر والياقوت تربته اطيب من
المسك وماؤه احلى من العسل وابيض من
الثلج وعن انس قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم دخلت الجنة فاذا انا بنهر
يجري بياضه بياض اللبن واحلى من العسل
وحافتاه خيام الدر فضربت بيدي فاذا
الثرا مسك اذفر فقلت لجبريل ما هذا
قال الكوثر اعطاكه الله تعالى وعن عبد
الله ابن عمرو بن العاص قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم حوضي مسيرة شهر
ماؤه ابيض من اللبن وريحه اطيب
من المسك وكيزانه كنجوم السماء من شرب
منها لا يظما ابدا وعن ابن مسعود قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انا
فرطكم علي الحوض وليرفعن الي رجال منكم
حتى اذا هويت اليهم لاناولهم اختلجوا
دوني فاقول اي رب اصحابي فيقال انك
لا تدري ما احدثوا بعدك وعن ثوبان ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن
عرضه فقال من مقامي الى عمان وسئل

عن

عن شرابه فقال اشد بياضا من اللبن واحلى من
العسل فيه ميزابان يمدانه من الجنة احدهما
من ذهب والاخر من ورق وعن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يرد
علي يوم القيامة رهطان من اصحابي او قال
من امتي فيحلون عن الحوض فاقول اي رب
اصحابي فيقول انك لا علم لك بما احدثوا
بعدك انهم ارتدوا علي ادبارهم القهقرى
ولمسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال يرد علي امتي الحوض وانا اذود الناس
عنه كما يذود الرجل ابل الرجل عن ابله
قالوا يا نبي الله تعرفنا قال نعم لكم سيما
ليست لاحد غيركم تردون غرا محجلين
من اثار الوضوء وليصدن علي طائفة منكم
فلا يصلون فاقول يا رب هولاء من اصحابي
فيجيبني فيقول وهل تدري ما احدثوا
بعدك واحاديث الحوض كثيرة وفيما ذكرناه
كفاية لاولي الالباب فنسال الله تعالى ان يرو بنا
منه نحن واحبابنا ويدخلنا واياهم الجنة
بغير حساب قال القاضي عياض احاديث
الحوض صحيحة والايمان به فرض والتصديق

والتصديق به من الايمان وقال ابن عادل وهو
على ظاهره عند اهل السنة والجماعة لا يتاول ولا
يختلف فيه وحديثه متواتر النقل رواه خلايق
من الصحابة انتهى وقيل الكوثر القران العظيم
وقيل هو النبوة والكتاب والحكمة وقيل
هو كثرة الاتباع وقيل الكوثر الخير الكثير
الذي اعطاه الله تعالى اياه وعن سعيد ابن
جبير عن ابن عباس الكوثر الخير الكثير قال
ابو بشر قلت لسعيد بن جبير ان ناسا
يزعمون ان الكوثر نهر في الجنة فقال سعيد
النهر الذي في الجنة من الخير الكثير الذي
اعطاه الله تعالى إياه واصل الكوثر فوعل
من الكثرة والعرب تسمى كل شي كثير في
العدد او كثير القدر والخطر كوثرا قيل
لاعرابية رجع ابنها من السفر اب ابنك قالت
اب بكوثر وقال الشاعر
وانت كثير يا ابن مروان طيب
وكان ابوك ابن العقايل كوثرا
وقيل الكوثر الفضايل التي فضلته بها على جميع
الخلايق تنبيه لا منافاة بين هذه
الاقوال كلها فقد اعطيها النبي صلى الله

عليه

عليه وسلم اعطى صلى الله عليه وسلم النبوة
والحكمة والعلم والشفاعة والحوض المورود
والمقام المحمود وكثرة الاتباع واظهار الاديان
كلها والنصر على الاعدا وكثرة الفتوح في زمنه
وبعده الى يوم القيامة واولى الاقاويل في الكوثر
وهو الذي عليه جمهور العلما انه نهر في الجنة
ولما امتن سبحانه من النعم ماله يأتي عليه
حصر عما الدنيا بما سبا ادنانه نفسير الدنيا
بحذافيرها سبب عنه قوله تعالى امرا بما تقوم
جامع لمجامع الشكر **فصل** اي بقطع العلايق
عن الخلايق بالوقوف بين يدي الله في حضرة
المراقبة شكرا لاحسانه المتقدم خلاف الساهي
عنها والمراي فيها **لربك** اى المحسن اليك
بانواع النعم مراغما من شيت فلا تصل لاحد
غيرك **وانحر** اى انفق له الكوثر من المال
على المحاويج خلافا لمن يدعهم ويمنعهم الماعون
والنحر افضل نفقات العرب لان الجزور
الواحد يغني مائة مسكين واذا اطلق العرب
المال انصرف الى الابل وقال محمد ابن كعب
انا سا كانوا يصلون لغير الله تعالى وينحرون
لغير الله فامر الله تعالى نبيه محمدا صلى

Copyright © King Saud University

الله عليه وسلم ان يصلي وينحر لله عز وجل
وقال عكرمة وعطا وقتادة فصل لربك صلاة
العيد يوم النحر وانحر نسكك واقتصر على هذا
الجلال المحلي وقال سعيد بن جبير ومجاهد
فصل الصلاة المفروضة بجمع اي مزدلفة
وانحر البدن بمنى وعن ابن عباس وضع اليمنى
على الشمال في الصلاة عند النحر وعن
علي ان معناه ان يرفع يديه في التكبير
الى نحره وقال الكلبي استقبل القبلة بنحرك
وعن عطا امره ان يستوي بين السجدتين
جالسا حتى يبدو نحره **ان شانئك**
اي مبغضك والشاني المبغض يقال شناه
شناوة اي ابغضه **هو الابتر** اي المنقطع
عن كل خير واما انت فقد اعطيت ما لا غاية
لكثرته من خير الدارين الذي لم يعطه
احد غيرك فمعطي ذلك كله هو الله رب
العالمين فاجتمعت لك العطيتان السنيتان
اصابة اشرف عطا واوفر اقسام الكرم مقط
واعظم منعم المنقطع العقب لا انت لان
كل من يولد الى يوم القيامة من المومنين
فهو اعقابك واولادك وذكرك مرفوع على

المنابر

المنابر والمنابر وعلى لسان كل عالم وذاكر الى
اخر الدهر يبدا بذكر الله ويثنى بذكرك
ولك في الاخرة ما لا يدخل تحت الوصف فمثلك
لا يقال له ابتر انما الابتر هو شانئك المنسي
في الدنيا والاخرة وقال الرازي هذه السورة
كالمقابلة للتي قبلها فانه ذكر في الاولى
البخل وترك الصلاة والريا ومنع الماعون
وذكرها هنا في مقابلة البخل انا اعطيناك
الكوثر وفي مقابلة الصلاة فصل اي دم
على الصلاة وفي مقابلة الريا لربك اي
لرضاه خالصا وفي مقابلة منع الماعون
وانحر اي تصدق بلحم الاضاحي ثم ختم
السورة بقوله تعالى ان شانئك هو الابتر اي
المنافق الذي اتى بتلك الافعال القبيحة
سيموت ولا يبقى له اثر واما انت فيبقى لك في
الدنيا الذكر الجميل وفي الاخرة الثواب
الجزيل واختلف المفسرون في الشاني فقيل
هو العاصي بن وايل وكانت العرب تسمي
من كان له بنون وبنات ثم ماتت
البنون وبقي البنات ابتر فقيل ان العاصي
وقف مع النبي صلى الله عليه وسلم يكلمه

Copyright © King Saud University

فقال له جمع من صناديد قريش مع من كنت
واقفا فقال مع ذلك الابتر وكان قد توفي قبل
ذلك عبد الله ابن النبي صلى الله عليه وسلم
فنزلت الاية وعن ابن عباس قال كان اهل الجاهلية
اذا مات الرجل قالوا ابتر فلان فلما توفي ابراهيم
ابن النبي صلى الله عليه وسلم خرج ابو جهل
الى اصحابه فقال بتر محمد فنزلت وقال السدي
ان قريشا كانوا يقولون لمن مات ذكور ولده
قد بتر فلان فلما مات لرسول الله صلى الله
عليه وسلم القاسم بمكة وابراهيم بالمدينة
قالوا بتر محمد فليس له من يقوم بامره من
بعده فنزلت وقيل لما اوحى الله تعالى
الى النبي صلى الله عليه وسلم دعا
قريشا الى الايمان قالوا انبتر منا محمد اي
خالفنا وانقطع عنا فنزلت تنبيه
قال اهل العلم قد احتوت هذه السورة
على قصرها على معان بليغة واساليب بديعة
منها دلالة استهلال السورة على انه تعالى
اعطاه كثيرا من كثير ومنها اسناد الفعل الى
المتكلم المعظم نفسه ومنها ايراده بصيغة
الماضي تحقيقا لوقوعه كما في قوله تعالى اتى

امر

امر الله ومنها تاكيد الجملة بان ومنها بناء الفعل
على الاسم ليفيد الاسناد مرتين ومنها الاتيان ﻫ
بصيغة تدل على مبالغة الكثرة ومنها حذف
الموصوف بالكوثر لان في حذفه من فرط الشياع
والابهام الدالة على الاستغراق ومنها فاء التعقيب
الدالة على السبب فان الانعام سبب للشكر والعبادة رة
ومنها التعريض بمن كانت صلاته ونحره
لغير الله تعالى ومنها ان الامر بالصلاة اشارة رة
الى الاعمال الدينية التي الصلاة قوامها
وافضلها والامر بالنحر اشارة الى الاعمال
البدنية التي النحر اسنادها ومنها حذف
متعلق انحر اذ التقدير فصل لربك وانحر له
ومنها مراعاة السجع فانه من صناعة
البديع العاري عن التكلف ومنها قوله تعالى
لربك في الاتيان بهذه الصفة دون سائر
صفاته الحسنى دلالة على ان المربي له والمصلح
بنعمه فلا يلتمس كل خير الا منه ومنها الالتفات
من ضمير المتكلم الى الغائب في قوله تعالى
لربك ومنها الامر بترك الاهتمام بشانئه
للاستئناف وجعله خاتمة للاعراض عن
الشاني ولنهر بسمه ليشمل كل من اتصف بهذه

Copyright © King Saud University

الصفة القبيحة ولو كان المراد شخصا معينا
لعينه الله تعالى ومنها التنبيه بذكر هذه
الصفة القبيحة على انه لم يتصف الا بمجرد قيام
الصفة به من غير ان يؤثر فيمن يشنؤه شيئا
البتة لان من يشنؤها قد يؤثر فيه
شناه شيئا ومنها تأكيد الجملة بان المؤذنة
بتأكيد الخبر ولذلك يتلقى بها القسم وتقدير
القسم يصلح هنا ومنها الاتيان بضمير الفصل
المؤذن بالاختصاص والتاكيد ان جعلنا
هو فصلا وان جعلناه مبتدأ فكذلك يفيد
التاكيد اذ يصير الاسناد مرتين ومنها
تعريف الابتر بال المؤذنة بالخصوصية
بهذه الصفة كانه قيل الكامل في هذه
الصفة ومنها اقباله تعالى على رسوله
صلى الله عليه وسلم بالخطاب من اول
السورة الى اخرها وقول البيضاوي تبعا
للزمخشري عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الكوثر سقاه الله من كل نهر
في الجنة ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان
قربه العباد في يوم النحر حديث موضوع

سورة الكافرون مكية

في

في قول ابن مسعود والحسن وعكرمة ومدنية
في احد قولي ابن عباس وقتادة والضحاك وتسمى
ايضا سورة المنابذة والاخلاص لانها في اخلاص
العبادة والدين كما ان قل هو الله احد في اخلا
التوحيد واجتماع النفاق فيهما محال لمن اعتقد
وعمل بهما ويقال لهما ولسورة الاخلاص
المقشقشتان اي المبرئتان من النفاق
قال الشاعر

اعيذك بالمقشقشتين مما
احاذره ومن نظر السوء

وهي ست ايات وستة وعشرون كلمة واربعة
وتسعون حرفا بسم الله الذي لا يستطيع
احد ان يقدر حق قدره الرحمن الذي عم
برحمته من اوجب عليهم شكره الرحيم الذي
وفق اهل وده فالتزموا نهيه وامره وقوله
تعالى قل اي يا اشرف الخلق يا ايها الكافرون
الى اخر السورة نزل في رهط من قريش منهم
الحارث بن قيس السهمي والعاصي ابن وائل
والوليد بن المغيرة والاسود بن عبد يغوث والاسود
بن المطلب ابن اسد وامية بن خلف قالوا
يا محمد هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك

ص مما

Copyright © King Saud University

ونشركك في امرنا كله نعبد الهتنا سنة ونعبد
الهك سنة فان كان الذي جيت به خيرا كنا قد
شركناك فيه واخذنا بحظنا منه وان كان
الذي بايدينا خيرا كنت قد شركتنا في امرك
واخذت بحظك به فقال معاذ الله ان اشرك
به غيره قالوا فاستلم بعض الهتنا نصدقك
ونعبد الهك قال حتى انظر ما ياتي الي من
ربي فانزل الله هذه السورة فغدا رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى المسجد وفيه
الملا من قريش فقام على رؤسهم ثم قراها
على روسهم حتى فرغ من السورة فايسوا منه
عند ذلك واذوه اصحابه وفي مناداتهم
بهذا الوصف الذي يسترذلونه في بلدهم
ومحل عزهم وحميتهم الذان بانه محروس
منهم علم من اعلام النبوة فان قيل
ما الحكمة في قوله تعالى في التحريم يا ايها
الذين كفروا وهنا قال يا ايها الكافرون اجيب
بانه في سورة التحريم انما تقال لهم يوم القيامة
وثم لا يكون رسول اليهم فازال الواسطة
ويكونون في ذلك الوقت مطيعين لا كافرين
فلذلك ذكره الله تعالى بلفظ الماضي واما

الرسول

ن الرسول رسوله اليهم فقال تعالى قل يا ايها الكافرون
اي الذين قد حكم بتماديهم على الكفر فلا انفكاك
د لهم عنه فستروا ما دل عليه عقولهم من الاعتقاد
الحق لو جردوها من ادناس الحظ وهم كفرة
مخصوصون وهم من حكم بموته على الكفر لما
طابقه من الواقع ودل عليه التعبير بالوصف
دون الفعل واستغرق اللام كل من كان على
هذا الوصف في كل مكان وكل زمان والتعبير
بالجمع الذي هو اصل في القلة وقد يستعار
للكثرة اشارة الى البشارة بقلة المطبوع على
قلبه من العرب المخاطبين بهذا في حياته صلى
الله عليه وسلم وقال الله تعالى له قل يا ايها
الكافرون لانه صلى الله عليه وسلم كان
مامورا بالرفق واللين في جميع الامور كما قال
تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا
من حولك وقال تعالى فبما رحمة من الله
لنت لهم وقال تعالى بالمؤمنين رؤف رحيم
ثم كان مامورا بان يدعوهم الى الله تعالى
بالوجه الاحسن فلما خاطبهم بما ذكر فكانوا
يقولون كيف يليق هذا التغليظ بذلك
الرفق فاجاب بانى مامور بهذا الكلام لا انى

Copyright © King Saud University

ذكرته من عند نفسي ولما كان القصد اعلامهم
بالبراءة منهم من كل وجه وانه لا يبالي بهم
بوجه لانه محفوظ منهم قال لا اعبد اي الان
ما تعبدون من دون الله من المعبودات الظا
هرة والباطنة بوجه من وجوه العبادات
في سر ولا علن لانه لا يصلح للعبادة بوجه
ولا انتم عابدون اي الان ما اعبد وهو الله
وحده ولا انا عابد اي في الاستقبال ما عبدتم
من دون الله سبحانه وتعالى ولا انتم عابدون
اي في الاستقبال ما اعبد وهو الله وحده
لا شريك له وهذا خطاب لمن علم الله تعالى
منهم انهم لا يؤمنون واطلاق ما على الله
تعالى على جهة المقابلة وبهذا زال التكرار
كما قال اكثر اهل المعاني هو ان القران نزل
بلسان العرب وعلى مجاري خطابهم ومن
مذاهبهم التكرار ارادة التكرار التاكيد
والافهام كما ان من مذاهبهم الاختصار ارادة
التخفيف والايجاز فالقائل بالتاكيد يقول
قوله تعالى ولا انا عابد ما عبدتم تاكيد
لقوله تعالى لا اعبد ما تعبدون وقوله تعالى
ولا انتم عابدون ما اعبد ثانيا توكيد لقوله

تعالى

تعالى ولا انتم عابدون ما اعبد ومثله فباي
الاء ربكما تكذبان وويل يومئذ للمكذبين في
سورتيهما وكلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون
وفي الحديث فلا اذن ثم لا اذن انما فاطمة بضعة
مني وفائدة التاكيد هنا قطع اطماع الكفار وتحقيق
الاخبار وهو اقامتهم على الكفر وانهم لا يسلمون
ابدا وعلى الاول قد تقيدت كل جملة بزمان
غير الزمان الاخر قال ابن عادل وفيه نظر
كيف تقيد رسول الله صلى الله عليه وسلم
نفي عبادته لما يعبدون بزمان وهذا انما
انتفى وقد يرد هذا بانه صلى الله عليه وسلم
نفى في الجملة الاولى الحال وفي الثانية الاستقبال
وقول البيضاوي فان لا لا تدخل على مضارع
بمعنى الاستقبال كما ان ما لا تدخل الا على
المضارع بمعنى الحال جرى على الغالب فيهما
ولما ايس منهم صلى الله عليه وسلم قال
لكم دينكم اي الذي انتم عليه من الشرك ولي
دين اي الذي انا عليه من التوحيد وهو دين
الاسلام وفي هذا معنى التهديد كقوله
تعالى لنا اعمالنا ولكم اعمالكم اي ان رضيتم
بدينكم فقد رضينا بديننا فهذا كما قال

يعني

Copyright © King Saud University

الجلال المحلي قبل ان يومر بالحرب وقيل السورة
كلها منسوخة وقيل ما نسخ منها شيء الا انها
خبر ومعنى لكم دينكم اى جزاء دينكم ولي دين
اى جزاء ديني وسمى دينهم دينا لانهم
اعتقدوه وقيل المعنى لكم جزاؤكم ولي
جزاءى الدين الجزاء وحذفت يا الاضافة
من دين للتبعية وصلا ووقفا وقراءة نافع
وهشام وحفص والبزي بخلاف عنه بفتح اليا
والباقون باسكانها فائدة قال الرازي
جرت العادة بان الناس يتمثلون بهذه الآية
عند المتاركة وذلك غير جائز لانه تعالى
ما انزل القران ليتمثل به بل لتتدبر فيه
فيعمل بموجبه وقول البيضاوي تبعا للزمخشري
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قراءة
سورة الكافرون فكانما قرا ربع القران وتباعدت
عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك
وتعافى من الفزع الاكبر حديث موضوع الا
الجملة الاولى منه فرواها الترمذي

سورة النصر مكية

بالاجماع وتسمى سورة التوديع وهي ثلاث ايات
وست عشرة كلمة وتسعة وسبعون حرفا

بسم

بسم الله الذي له الامر كله فهو العليم الحكيم الرحمن
الذي ارسلك رحمة من الله العلي الحكيم الرحيم
الذي خص اهل وده بفضله العميم وقوله
تعالى اذا منصوب بسبح جاء نصر الله اي
الملك الاعظم الذي لا مثل له ولا امر لاحد
معه باظهاره اياك على اعدائك ومعنى جاء
استقر وثبت في المستقبل لمجي وقته المقدر
له في الازل وزاد في تعظيمه بالاضافة
ثم بكونها الى اسم الذات وقراءة حمزة وابن
ذكوان بامالة الالف بعد الجيم محضة والبا
بالفتح والاعلام به قبل كونه من اعلام
النبوة روي انها نزلت في ايام التشريق
بمنى في حجة الوداع والفتح اي فتح مكة وهو
الفتح الذي يقال له فتح الفتوح وقصته مشهورة
في البغوي وغيره فلا نطيل بذكرها وكان فتح
مكة لعشر مضين من رمضان سنة ثمان
ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة
الاف من المهاجرين والانصار وطوائف العرب
واقام بها خمس عشرة ليلة ثم خرج الى هوازن
وحين دخلها وقف على باب الكعبة ثم قال
لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده

ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال
يا اهل مكة ماترون اني فاعل لكم قالوا خيرا
اخ كريم وابن اخ كريم ثم قال اذهبوا فانتم
الطلقا فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم وكان الله تعالى قد امكنه من رقابهم
عنوة وكانوا له فيا فلذلك سمي اهل مكة
الطلقا ثم بايعوه على الاسلام في دين الله في
ملة الاسلام التي لا دين له تضاف اليه غيرها
ومن يتبع غير الاسلام دينا فلن يقبل منه
وقيل المراد نصر الله المومنين وفتح بلاد
الشرك عليهم فان قيل ما الفرق بين النصر
والفتح حتى عطف عليه اجيب
بان النصر الاعانة والاظهار على العدو
ومنه نصر الله تعالى الارض غاثها قال الشاعر

اذا انسلخ الشهر الحرام فودعي
بلاد تميم وانصري ال عامري ويروى
اذا انسلخ الشهر الحرام تجاوزي
بلاد تميم وانصري ارض عامري

والفتح فتح البلاد قال الرازي الفرق بين الفتح
والنصر ان الفتح هو الاعانة على تحصيل المطلوب
الذي كان متعلقا بها والنصر كالسبب للفتح

بلاد تميم وانصري العامري

فلهذا

فلهذا بدا بذكر النصر وعطف الفتح عليه فان قيل
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان دائما
منصورا بالدلائل والمعجزات فما المعنى في تخصيص
لفظ النصر بفتح مكة اجيب بان المراد
من هذا النصر هو النصر الموافق للطبع فان
قيل النصر لا يكون الا من الله تعالى قال الله تعالى
وما النصر الا من عند الله فما فائدة التقييد
بنصر الله اجيب بان معناه نصر لا يليق
الا بالله كما يقال هذا صنعة زيد اذا كان مشهورا
باحكام الصنعة والمقصود منه تعظيم حال
تلك الصنعة فكذا ههنا فان قيل الذين
اعانوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على فتح
مكة هم اصحابه من المهاجرين والانصار
ثم انه تعالى سمى لرسول الله صلى الله عليه
وسلم بنصر الله فما السبب في ذلك اجيب
بان النصر وان كان على يد الصحابة لكن لا بد
له من داع وباعث وهو من الله تعالى فان
قيل فعلى هذا الجواب يكون فعل العبد
مقدما على فعل الله تعالى وهذا بخلاف النصر
لان الله تعالى قال ان تنصروا الله ينصركم
فجعل نصرة مقدما على نصرة لنا اجيب

Copyright © King Saud University

بانه لا امتناع في ان يكون فعل العبد سببا لفعل
اخر يصدر عن الله تعالى فان اسباب الحوادث ومسببا
تها على ترتيب عجيب تعجز عن ادراكه العقول
البشرية وما عبر عن المعنى بالمجي عبر عن امر في
بالرؤية فقال تعالى ورايت اي بصرك الناس
اي العرب الذين كانوا حقيرين عند جميع الامم
فصاروا ابدا هم الناس كما دلت عليه
لام الكمال وصار سائر اهل الارض لهم اتباعا
وبالنسبة اليهم رعاعا حال كونهم يدخلون شيئا
فشيئا متجددا دخولهم مستمرا في دين الله
اي شرع من لم يزل كلمته هي العليا افواجا
اي جماعات كثيفة كانت تدخل منه القبيلة
باسرها بعد ما كانوا يدخلون فيه واحدا واحدا
واثنين اثنين وعن جابر بن عبد الله انه
بكى ذات يوم فقيل له في ذلك فقال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول دخل
الناس في دين الله افواجا وسيخرجون منه
افواجا وقال عكرمة ومقاتل اراد بالناس
اهل اليمن وذلك انه ورد من اليمن سبعمائة
انسان مؤمنين طائعين بعضهم يؤذنون وبعضهم
يقرؤن القران وبعضهم يهللون فسر النبي صلى

الله

الله عليه وسلم بذلك قال ابو هريرة لما نزلت
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اكبر جاء
نصر الله والفتح وجاء اهل اليمن قوم رقيقة
قلوبهم الايمان يمان والفقه يمان والحكمة
يمانية وقال اجد نفس ربكم من قبل اليمن
وفي هذا تاويلات احدها انه الفرج لتتابع
اسلامهم افواجا الثاني ان الله تعالى نفس
الكرب عن نبيه صلى الله عليه وسلم باهل
اليمن وهم الانصار وعن الحسن لما فتح رسول
الله صلى الله عليه وسلم مكة اقبلت العرب
بعضها على بعض فقالوا اما اذا ظفر باهل الحرم
فليس به يدان وقد كان الله اجارهم من
اصحاب الفيل وعن كل من ارادهم فكانوا
يدخلون في الاسلام افواجا من غير قتال امة
بعد امة قال الضحاك والامة اربعون رجلا
تنبيه دين الله تعالى هو الاسلام وقال
لقوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام وقال
تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل
منه واضافة الدين الى الاسم الدال على
الالهية اشارة الى انه يجب ان يعبد لكونه الها
وللدين اسماء اخر منها الصراط قال تعالى صراط

Copyright King Saud University

الله ومنها النور يريدون ليطفيوا نور الله ومنها
الهدى قال تعالى هدى الله يهدي به من يشا
ومنها العروة الوثقى ومنها الحبل المتين قال
تعالى واعتصموا بحبل الله ومنها صبغة الله
ومنها فطرة الله تنبيه جمهور الفقها واكثر
المتكلمين ان ايمان المقلد صحيح واحتجوا بهذه
الاية قالوا ان الله تعالى حكم بصحة ايمان
اوليك الافواج وجعله من اعظم المنن على
نبيه صلى الله عليه وسلم فلو لم يكن
ايمانهم صحيحا لما ذكره في هذا المعرض ثم
انا نعلم قطعا انهم ما كانوا يعرفون حدوث
الاجسام بالدليل ولا اثبات كونه تعالى
عالما بجميع المعلومات التى لا نهاية لها
ولا اثبات الصفات والتنزيهات بالدليل
والعلم بان اوليك الاعراب ما كانوا عالمين
بهذه الدقايق ضروري فعلمنا ان ايمان
المقلد صحيح فان قيل انهم كانوا عالمين باصول
دلايل هذه المسايل لان اصول هذه الدلايل
ظاهرة بل كانوا جاهلين بالتفاصيل اجيب
بان الدليل لا يقبل الزيادة والنقصان فان
الدليل اذا كان مركبا من عشر مقدمات فمن

علم

٥٢٨

فمن علم تسعة منها وكان في المقدمة العاشرة
مقلدا كان في النتيجة مقلدا لا محالة ولما
كمل الدين امر الله تعالى نبيه صلى الله عليه
وسلم بان يشتغل بنفسه فقال عز من قايل
فسبح اى نزه بقولك وفعلك بالصلاة وغيرها
تسبيحا ملتبسا بحمد ربك اى الذى انجز لك الوعد
باكمال الدين وفتح المقدس المحسن اليك بجميع
ذلك لان هذه كلها لكرامتك والا فهو عزيز
حميد على كل حال تعجبا لتيسير الله تعالى لهذا
الفتح الذي لم يخطر ببال احد حامدا الله
عليه او فصل لحامدا على نعمه قاله ابن
عباس روى انه صلى الله عليه وسلم لما
دخل مكة بدا بالمسجد فدخل الكعبة وصلى
ثمان ركعات واستغفره اطلب غفرانه لتقتدى
بك امتك في المواظبة على الامان التالى فان
الامان الاول الذي هو وجودك بين اظهرهم
قد دنا رجوعه الى معدنه في الرفيق الاعلى
والمحل الاقدس وفي ذلك اشارة الى انه
لا يقدر احد ان يقدر الله حق قدره كما اشار
الى ذلك الاستغفار عقب الصلاة التي هي
اعظم العبادات وفي الصحيحين عن عايشة انها

Copyright © King Saud University

قالت ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
صلاة بعد ان نزلت عليه اذا جاء نصر الله
والفتح الا يقول استغفر الله واتوب اليه قال فاني
امرت بها ثم قرا اذا جاء نصر الله والفتح
الى اخرها وقال عكرمة لم يكن النبي صلى
الله عليه وسلم قط اشد اجتهادا في امور
الاخرة ما كان عند نزولها وقال مقاتل
لما نزلت قراها النبي صلى الله عليه وسلم
على اصحابه وفيهم ابو بكر وعمر وسعد بن ابي
وقاص والعباس ففرحوا واستبشروا وبكى
العباس فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
ما يبكيك يا عم قال نعيت اليك نفسك
قال انه كما قلت فعاش بعدها ستين
يوما ما رئي فيها ضاحكا مستبشرا وقيل
نزلت في منى بعد ايام التشريق في حجة
الوداع فبكى والعباس فقيل لهما هذا يوم
فرح فقال لا بل فيه نعي للنبي صلى الله
عليه وسلم وعن ابن عمر نزلت هذه السورة
بمنى في حجة الوداع ثم نزل اليوم اكملت لكم
دينكم واتممت عليكم نعمتي فعاش صلى الله
عليه وسلم بعدها ثمانين يوما ثم نزلت اية

الكلالة فعاش بعدها خمسين يوما ثم نزلت لقد
جاءكم رسول من انفسكم عزيز فعاش بعدها
خمسة وثلاثين يوما ثم نزل واتقوا يوما ترجعون
فيه الى الله فعاش احد بعدها وعشرين يوما
وقيل سبعة ايام وقيل غير ذلك وقال الرازي
اتفق الصحابة على ان هذه السورة دلت
على نعي رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك
لوجوه احدها انهم عرفوا ذلك لما خطب
صلى الله عليه وسلم عقب السورة وذكر
التخيير وهو قوله صلى الله عليه وسلم في
خطبته لما نزلت هذه السورة ان عبدا
خيره الله تعالى بين الدنيا وبين لقائه فاختار
لقاء الله تعالى فقال ابو بكر فديناك بانفسنا
واموالنا واباءنا واولادنا ثانيها انه لما
ذكر حصول النصر والفتح ودخول الناس في
الدين افواجا دل ذلك على حصول الكمال
والتمام وذلك يستعقبه الزوال كما قيل
اذا تم امر بدا نقصه ، توقع زوالا اذا قيل
تم ، ثالثها انه تعالى امره بالتسبيح والحمد
والاستغفار مطلقا واشتغاله بذلك يمنعه
من اشتغاله بامر الامة فكان هذا كالتنبيه

Copyright © King Saud University

على ان امر التبليغ قد تم وكمل وذلك يقتضي
انقضا الاجل اذ لو بقي صلى الله عليه وسلم
بعد ذلك لكان كالمعزول من الرسالة وذلك
غير جائز وعن ابن عباس ان عمر كان يدنيه
ويأذن له مع اهل بدر فقال عبد الرحمن أتأذن
لهذا الفتى معنا وفي ابنائنا من هو مثله فقال
انه ممن قد علمتم قال ابن عباس فاذن لهم
ذات يوم واذن لي معهم فسالهم عن قول
الله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح ولا اراه
سالهم الا من اجلي فقال بعضهم امر الله
تعالى نبيه اذا فتح عليه ان يستغفره
ويتوب اليه فقلت ليس كذلك ولكن
نعيت اليه نفسه فقال عمر ما اعلم منها الا
مثل ما تعلم ثم قال كيف تلوموني عليه
بعد ما ترون وروى انه صلى الله عليه وسلم
دعا فاطمة فقال يا بنتاه انه نعيت الي نفسي
فبكت فقال لا تبكي فانك اول اهلي لحوقا بي
وعن عائشة كان صلى الله عليه وسلم
يكثر قبل موته ان يقول سبحانك اللهم
وبحمدك استغفرك واتوب اليك وعنها
انه ما صلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم

وسلم صلاة بعد ان نزلت اذا جاء نصر الله
والفتح الا يقول فيها سبحانك اللهم وبحمدك
اللهم اغفر لي وقالت ام سلمة كان النبي صلى
الله عليه وسلم اخر امره لا يقوم ولا يقعد ولا
يجي ولا يذهب الا قال سبحان الله وبحمده استغفر
الله واتوب اليه قال فاني امرت بها ثم قرا اذا
جاء نصر الله والفتح الى اخرها وقيل استغفر
هضما لنفسك واستقصارا لعملك واستدراكا
لما فرط منك بالالتفات الى غيره وعنه عليه
الصلاة والسلام اني استغفر الله في اليوم
والليلة مائة مرة وقيل استغفر لامتك
وتقديم التسبيح ثم الحمد على الاستغفار على
طريق النزول من الخالق الى الخلق كما قيل
ما رايت شيئا الا ورايت الله قبله ولما امره
الله تعالى بالتسبيح والاستغفار ارشده
الى التوبة بقوله تعالى انه اي المحسن
اليك بالنصر والفتح وغير ذلك مما لا يدخل
تحت الحصر كان اي لم يزل توابا اي
رجاعا لمن ذهب به الشيطان من اهل
رحمته فهو الذي رجع بانصارك عما كانوا
عليه من الاجتماع على الكفر والاختلاف

بالعداوات فاذلك الله بدخولهم في الدين
شيافتنا الان دخلت مكة بعشرة الاف
وهوانيه يرجع بك الى الحالة التي يزداد بها
ظهور رفعتك في الرفيق الاعلى قال الله تعالى
وللآخرة خير لك من الاولى فتفوز بتلك
السعادات العالية وعن ابن مسعود ان
هذه السورة تسمى سورة التوديع قال
قتادة ومقاتل عاش صلى الله عليه وسلم
بعد نزول هذه السورة سنتين وهذا بني
على انها نزلت قبل فتح مكة وهو قول الاكثر
فان الفتح كان في سنة ثمان واما من عاش
دون ذلك كما مر فبناء على انها نزلت بمنى في
حجة الوداع كما مر آنفا تنبيه وفي الاية
سؤالات احدها ان قوله تعالى كان توابا
يدل على الماضي وحاجتنا الى قبوله في
المستقبل وثانيها هلا قال غفارا كما قال
في سورة نوح عليه السلام وثالثها انه
قال تعالى نصر الله وقال تعالى في دين
الله وقال تعالى بحمد ربك ولم يقل بحمد الله
واجيب عن الاول بوجوه احدها ان
هذا ابلغ كانه يقول الى ثبت على من هو اقبح

فقلا

فقلا منهم كاليهود فانهم بعد ظهور المعجزات العظيمة
كفلق البحر ونتق الجبل ونزول المن والسلوى
عصوا ربهم واتوا بالقبائح ولما تابوا قبلت
توبتهم فاذا كنت قابلا لتوبة اولئك وهم
دون بكم افلا اقبل توبتكم وانتم خير امة اخرجت
للناس وثانيها اني شرعت في توبة العصاة
والشروع ملزم على قول النعمان فكيف في كرم
الرحمن وثالثها كنت توابا قبل امركم بالاستغفار
افلا اقبل وقد امرتكم بالاستغفار ورابعها
كانه اشار الى تخفيف جنايتهم اي لستم اول
من جنى وتاب والمصيبة اذا عمت خفت
خامسها كانه نظير ما يقال لقد احسن الله
اليك فيما مضى كذلك يحسن اليك فيما بقي
واجيب عن الثاني بوجهين احدهما
لعله خص هذه الامة بزيادة الشرف لانه
لا يقال في صفات العبد غفار ويقال تواب
اذا كان آتيا بالتوبة فيقول تعالى كنت لي
سميا من اول الامر انت مؤمن وانا مؤمن
وان كان المعنى مختلفا فتب حتى تصير
سميا في آخر الامر وانت تواب ثم التواب في
حق الله تعالى انه يقبل التوبة كثيرا فيجب

بحث

Copyright © King Saud University

على العبد ان يكون اتيانه بالتوبة كثيرا تانيها
انه تعالى انما قال توابا لان القائل قد يقول
استغفر الله وليس بتايب كقوله عليه الصلاة
والسلام المستغفر بلسانه المصر بقلبه
كالمستهزي بربه فان قيل قد يقول اتوب وليس
بتايب اجيب بان ذا يكون كاذبا لان
التوبة اسم للرجوع او الندم بخلاف الاستغفار
فانه لا يكون كاذبا فيه فصار تقدير الكلام
فاستغفره بالتوبة وفيه تنبيه على ان
خواتيم الاعمال يجب ان تكون بالتوبة والاستغفار
فكذا خواتيم الاعمال واجيب عن الثالث
بانه تعالى راعى العدل فذكر اسم الذات
مرتين وذكر اسم الفعل مرتين احدهما
الرب والثاني التواب ولما كانت التربية
تحصل اولا والتوبة اخرا لاجرم ذكر
اسم الرب اولا واسم التوبة اخرا فنسال
الله تعالى من فضله وكرمه ان يمن علينا
بتوبة نصوح لا ننكث فانه كريم رحيم وقول
البيضاوي نقلا للزمخشري عن النبي صلى
الله عليه وسلم من قرا سورة اذا جاء
نصر الله اعطي من الاجر كمن شهد مع محمد

صلى

ع صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة حديث موضوع

سورة تبت مكية

وهي خمس ايات وثلاثة وعشرون كلمة وسبعة
وسبعون حرفا بسم الله المتكبر الجبار
المضل الهادي الرحمن الذي عم خلقه بنعمه
فيقعد بعد الاكرام بالايجاد الرحيم الذي خص بنو
اهل الوداع وقوله تعالى تبت يدا ابي لهب
دعا عليه وسبب نزول ذلك ما روي عن
ابن عباس انه قال لما نزل قوله تعالى وانذر
عشيرتك الاقربين صعد صلى الله عليه
وسلم الصفا وجعل ينادي يا بني فهر يا بني
عدي لبطون قريش حتى اجتمعوا عنده
فجعل الرجل اذا لم يستطع ارسل رسوله لينظر
ما هو فجا ابو لهب وقريش فقال ارايتم لو اخبرتكم
قولي ان العدو مصبحكم او ممسيكم اما كنتم تصدقوني
قالوا بلى قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب
تبا شديد فقال ابو لهب تبا لك الهذا دعوتنا
جميعا فنزلت وفي رواية انه صلى الله عليه
وسلم خرج البطحا فصعد الجبل ونادى
يا صباحاه فاجتمعت اليه قريش وذكر نحوه
وفي رواية فصعد الصفا فهتف يا صباحاه

Copyright © King Saud University

فقالوا من هذا الهاتف فقالوا محمد فاجتمعوا اليه
فقال صلى الله عليه وسلم ارايتم لو اخبرتكم
ان خيلا تخرج من سفح هذا الجبل كنتم مصدقي
قالوا ما جربنا عليك كذبا قال فاني نذير لكم
بين يدي عذاب شديد فقال ابو لهب
تبا لك اما جمعتنا الا لهذا فنزلت وعن ابن
زيد ان ابا لهب اتى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال ماذا اعطى ان امنت بك فقال صلى
الله عليه وسلم كما يعطى المسلمون فقال
ما لي عليهم فضل فقال صلى الله عليه وسلم
واي شي تبتغي قال تبا لهذا من دين ان اكون
وهولاء سوا فنزلت ومعنى تبت قال ابن
عباس خابت وقال قتادة خسرت وقال عطا
ضلت وقال ابن جبير هلكت والتباب
الهلاك ومنه قولهم اشابة ام تابة اي
هالكة من الهرم والتعجيز والمعنى هلكت
يداه لانه فيما يروى انه اخذ حجرا ليرمي
به النبي صلى الله عليه وسلم وقيل رماه
به فادمى عقبه فلهذا ذكر اليد وان كان
المراد جملة البدن فهو كقولهم خسرت يداه
وكسبت يداه فاضيف الافعال الى اليد وذلك

علي

على عادة العرب في التعبير ببعض الشي عن كله
وجميعه او عبر باليدين لان الغالب ان الاعمال
تزاول بهما وقال يمان بن رباب صفرت من
كل خير حكى الاصمعي عن ابي عمرو بن العلا انه
لما قتل عثمان سمع الناس هاتفا يقول لقد
خلوك وانصرفوا فما ابوا ولا رجعوا ولم يوافوا
نذورهم فتبا للذي صنعوا وقيل المراد
باليدين دينه ودنياه واولاده وعقباه
او المراد باحدهما جر المنفعة وبالاخرى دفع
المضرة او لان اليمنى سلاح واليسرى جنة
وابو لهب هو ابن عبد المطلب عم النبي صلى
الله عليه وسلم واسمه عبد العزى فان
قيل لما ذاكنى بذلك ولم يكن له ولد اسمه
لهب وايضا فالتكنية من باب التعظيم اجيب
عن الاول بان الكنية قد تكون اسما كما سمي
ابو سفيان وابو طالب ونحو ذلك فان هولاء اسما
وهم كناهم ولا التباب وحينئذ وكان
مشرق الوجه احمره واجيب عن الثاني
بوجوه احدها انه لما كان اسما خرج عن افادة
التعظيم ثانيها ان اسمه كان عبد العزى كما مر
فعدل عنه الى كنيته لقبح اسمه لان الله تعالى

لم يضف العبودية في كتابه الى صنم ثانيها
انه لما كان من اهل النار ومآله الى نار ذات
لهب وافقت حاله كنيته فكان جديرا بان
يذكر بها كقولهم ابو الخير وابو الشر لصدورهما
منه اولان الكنية كانت اغلب من الاسم او
لانها انقص منه ولذلك ذكر الانبيا عليهم
الصلاة والسلام باسمائهم دون كناهم
وقال الزمخشري فان قلت لم كناه والكنية
تكرمة ثم ذكر ثلاثة اما لشهرته بكنيته
واما لقبح اسمه كما تقدم واما لانه لما كان من
اهل النار ومآله الى نار ذات لهب وافقت
حالته كنيته انتهى وهذا يقتضي ان الكنية
اشرف من اللقب لا انقص وهو عكس قول من
تقدم وقرا ابن كثير باسكان الهاء والباقون
بفتحها وهما لغتان بمعنى نحو النهر
والنهر وقوله تعالى وتب خبر كما يقال اهلكه
الله وقد هلك فالاول اخرج مخرج الدعا
عليه والثاني اخرج مخرج الخبر تحقق به
ما اريد من الاسناد الى اليدين من الكناية
عن الهلاك الذي لا بقا بعده وقيل المراد من
الاول ماله وملكه كما يقال فلان قليل ذات

اليد

اليد يعنون به المال وبالثاني نفسه ولما دعا
صلى الله عليه وسلم اقربيه الى الله تعالى
وخوفهم النار قال ابو لهب ان كان ما يقول
ابن اخي حقا فاني افتدي نفسي بمالي وولدي
فانزل الله تعالى ما اغنى عنه اي عن ابي لهب
ماله اي الكثير فانه كان صاحب مواشي
كثيرة الذي جرت العادة بان يحمي من الهلاك
وما كسب اي من الولد والاصحاب والعز
بعشيرته التي كان يوذي بها النبي صلى الله
عليه وسلم وكان ابنه عتبة شديد الاذى
للنبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى
الله عليه وسلم اللهم سلط عليه كلبا من
كلابك فكان ابو لهب يعرف ان هذه الدعوة
لا بد ان تدركه فسافر الى الشام فاوصى به
الرفاق لينجوه من هذه الدعوة فكانوا
يجعلونه اذا نام ليكون وسطهم والحمول
محيطة بهم فلم ينفعه ذلك بل جا الاسد
فتشمم القافلة حتى وصل اليه فاقتلع
راسه وانما كان الولد من الكسب لقوله صلى
الله عليه وسلم اطيب ما ياكل احدكم من
كسبه وان ولده من كسبه تنبيه ما في

Copyright © King Saud University

ما في ما اغنى يجوز فيها النفي والاستفهام فعلى
الاستفهام تكون منصوب المحل بما بعدها
التقدير اي شي اغنى المال وقدم لكونه له صدر
الكلام ويجوز في ما كسب في قوله تعالى وما كسب
ان تكون بمعنى الذي فالعائد محذوف وان
تكون مصدرية اي وكسبه واغنى بمعنى يغني
لما اوعده سبحانه بالنار فقال تعالى **سيصلى**
اي عن قرب بوعد لاخلف فيه **نارا** يندس
فيها وتنعطف عليه وتحيط به **ذات لهب**
اي لا تسكن ولا تخمد ابدا لان ذلك مدلول
الصحبة المعبر عنها بذات وذلك بعد موته
ولما اخبر تعالى عنه بكمال التباب الذي هو
غاية الخسار زاده تحقيرا بذكر من يصونها
بازرى صورة واشنعها بقوله تعالى
وامراته وهو عطف على ضمير يصلى سوغه
الفصل بالمفعول وصفته وهي ام جميل
وهي اخت ابي سفيان بن حرب بن امية بن عبد
شمس بن عبد مناف بن قصي مثل زوجها
في التباب والصلي من غير ان تغني عنها شي
من مال ولا حسب ولا شي نسب وعدل
عن ذكرها بكنيتها لان صفتها القباحة وهي

ضد

ضد كنيتها قال البقاعي ومن هنا يؤخذ كراهة
التلقيب كناصر الدين ونحوها لمن ليس متصفا
بما دل عليه لقبه انتهى وقوله تعالى **حمالة الحطب**
فيه وجهان احدهما هو حقيقة قال قتادة
وكانت تعير النبي صلى الله عليه وسلم بالفقر
ثم كانت مع كثرة مالها تحمل الحطب على ظهرها
لشدة بخلها فعيرت بالبخل وقال ابن زيد
كانت تحمل العضاه والشوك تلقيه في الليل
في طريق النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه
فكان النبي صلى الله عليه وسلم يطاوها
كما يطا الحرير وقال مرة الهمداني كانت ام جميل
تاتي في كل يوم باباله من الحسك فتطرحها
في طريق المسلمين فبينما هي ذات ليلة حاملة
حزمة عييت فقعدت على حجر تستريح فجذ بها
الملك من خلفها فاهلكها الوجه الثاني
ان ذلك مجاز عن المشي بالنميمة ورمي الفتن
بين الناس ويقال للمشاء بين الناس بالنما به
المفسد بين الناس يحمل الحطب بينهم اي يوقد
بينهم النائرة ويورث الشر قال الشاعر
من البيض لم تصطد على ظهر لامة
ولم تمش بين الناس بالحطب الرطب

٥٣٦

حملة رطبا ليدل على التدخين الذي يهون زيادة
في الشر وقال سعيد بن جبير حمالة الخطايا والذ
نوب من قولهم فلان يحتطب على ظهره قال
تعالى يحملون اوزارهم على ظهورهم وقرائة
عاصم بنصب التاء من حمالة على الشتم قال
الزمخشري وانا استحب هذه القراءة وقد
توسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
من احب شتم ام جميل انتهى والباقون برفعها
على انها صفة امرأته فانها مرفوعة
باتفاق اما بالعطف على الضمير في سيصلى كما
مر ويكون في قوله تعالى في جيدها حبل
حالا من امرأته وعلى الابتدا ففي جيدها حبل
هو الخبر وحبل فاعل به ويجوز ان يكون
في جيدها خبر مقدم وحبل مبتدا موخر
والجملة حالية او خبر ثان والجيد العنق
ويجمع على اجياد وقوله تعالى من مسد صفة
لحبل والمسد ليف المقل وقيل الليف مطلقا
وقال ابو عبيدة هو حبل يكون من صوف
وقال الحسن هي حبال من شجر نبت باليمن
يسمى المسد وكانت تفتل وقال الضحاك
وغيره هذا في الدنيا وكانت تعير النبي صلى

الله

الله عليه وسلم بالفقر وهي تحتطب في حبل تجعله
في جيدها من ليف فخنقها الله عز وجل به
فاهلكها وهو في الآخرة حبل من نار فان
قيل ان كان ذلك حبلها فكيف يبقى في النار
اجيب بان الله تعالى قادر على تجدده
كلما احترق كما يبقى الجلد والعظم والجلد ابدا
في النار وعن ابن عباس قال هو سلسلة ذرعها
سبعون ذراعا تدخل فيها وتخرج من اسفلها
ويلوى سائرها على عنقها وقال قتادة هو
قلادة من ودع وقال الحسن انما كان خرزا
في عنقها وقال سعيد بن المسيب كانت لها
قلادة فاخرة من جوهر وقالت واللات
والعزى لانفقتها في عداوة محمد ويكون
ذلك عذابا في جيدها يوم القيامة وقيل
ان ذلك اشارة الى الخذلان يعني انها
مربوطة عن الايمان لما سبق لها من الشقا
كالمربوط في جيدها من مسد والمسد الفتل
يقال مسد حبله يمسده مسدا اي اجاد
فتله والجمع امساد وروي انها لما سمعت
ما نزل فيها وفي زوجها من القرآن اتت
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس

Copyright © King Saud University

في المسجد عند الكعبة ومعه ابو بكر وفي يدها
فهر من حجارة تريد ان ترميه به فلما وقفت
عليه اخذ الله تعالى بصرها عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلا ترى الا ابا بكر فقا
لت يا ابا بكر ان صاحبك قد بلغني انه
يهجوني والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر
فاه والله اني لشاعرة مذمما عصينا وامره
ابينا ودينه قلينا ثم انصرفت فقال ابو بكر
يا رسول الله ما رأتك قال صلى الله عليه
وسلم ما رأتني لقد اخذ الله بصرها عني
وكانت قريش انما تسمي محمدا صلى الله عليه
وسلم مذمما ثم يسبونه وكان صلى الله
عليه وسلم يقول لا تعجبوا لما صرف الله تعالى
عني من اذى قريش يسبون مذمما وانا
محمد انظر كيف كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يحمل هذا الاذى ويحلم عليهم فينبغي
لغيره ان تكون له به اسوة قال الله تعالى
لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة تنبيه
احتج اهل السنة على تكليف ما لا يطاق بانه تعالى
كلف ابا لهب بالايمان وتصديق الله تعالى
فقد صار مكلفا بانه يؤمن بانه لا يؤمن وهذا

تكليف

تكليف بالجمع بين النقيضين وهو محال وذلك
مذكور في اصول الفقه وقد تضمنت هذه الايات
الاخبار عن الغيب بثلاثة اوجه احدها الاخبار
عنه بالتباب والخسران وقد كان ذلك ثانيها
الاخبار عنه بعدم الانتفاع بماله وولده وقد
كان ذلك ثالثها الاخبار بانه من اهل النار
وقد كان ذلك لانه مات على الكفر هو وامراته
ففي ذلك معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم
فامراته خنقها الله تعالى بحبلها كما مر وابو
لهب رماه الله تعالى بالعدسة بعد وقعة
بدر بثلاث ليال واقام ثلاثة ايام لم يدفن
حتى انتن ثم ان ولده غسلوه بالماء قذفا
من بعيد مخافة عدوى العدسة وكانت قريش
تتقيها كما تتقي الطاعون ثم احتملوه الى اعلا مكة
واسندوه الى جدار ثم رضموا عليه الحجارة
وقيل ان الله تعالى يدخل امراته جهنم على
الصورة التي كانت عليها حتى كانت تحمل
حزمة الحطب ولا تزال على ظهرها حزمة من
حطب النار من شجرة الزقوم او من الضريع
وفي جيدها حبل مما مسد من سلاسل
النار كما يعذب كل مجرم بما يجانس حاله في جرمه

وقول البيضاوي تبعا للزمخشري عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة تبت
رجوت ان لا يجمع الله بينه وبين ابي لهب في
دار واحدة حديث موضوع

سورة الاخلاص مكية

في قول ابن مسعود وعطاء وعكرمة ومدنية
في احد قولي ابن عباس وقتادة والضحاك
والسدي وهي اربع ايات وخمس عشرة كلمة
وسبعة واربعون حرفا بسم الله الذي له
جميع الكمال ذي الجلال والجمال الرحمن الذي
افاض على جميع خلقه عموم الافضال الرحيم
الذي خص اهل وداده من نور الانعام
بالتمام والاكمال واختلفوا في سبب نزول
سورة قل هو الله احد روى ابو العالية
عن ابي بن كعب ان المشركين قالوا لرسول
الله صلى الله عليه وسلم انسب لنا ربك
فنزلت وعن ابن عباس ان عامر بن الطفيل
واربد بن ربيعة اتيا النبي صلى الله عليه
وسلم فقال عامر الى من تدعونا يا محمد
فقال الى الله تعالى قال صفه لنا امن ذهب
هو ام من فضة ام من حديد ام من خشب

فنزلت

فنزلت واهلك الله تعالى اربد بالصاعقة وعامر
بالطاعون وقال الضحاك وقتادة ومقاتل جاء
ناس من احبار اليهود الى النبي صلى الله عليه
وسلم فقالوا صف لنا ربك لعلنا نؤمن بك
فان الله تعالى انزل نعته في التوراة فاخبرنا
من اي شيء هو وهل يأكل ويشرب وممن
ورث ومن يورثه فنزلت تنبيه هو ضمير
الشان وهو مبتدأ وخبره الله واحد بدل او
خبر ثان يدل على مجامع صفات الجلال كما دل
الله على جميع صفات الكمال اذ الواحد الحقيقي
ما يكون منزه الذات عن التركيب والتعدد
وما يستلزم احدهما كالجسمية والتحيز والمشاركة
في الحقيقة وخواصها كوجوب الوجود والقدرة
الذاتية التامة المقتضية للالوهية فائدة
جاء في الواحد عن العرب لغات كثيرة يقال
واحد واحد ووحد ووحيد ووحاد
واحاد وموحد واوحد وهذا كله راجع الى
معنى الواحد وان كان في ذلك معان لطيفة
ولم يجئ في صفة الله تعالى الا الواحد والا
حد وقوله تعالى الله اي الذي ثبتت
الالهية واحد تنبيه لا غيره مبتدأ خبره الصمد

Copyright © King Saud University

ولخلا هذه الجملة عن العاطف لانها كالنتيجة للاولى
اوالدليل عليها والصمد السيد المقصود اليه في
الحوائج والمعنى هو الله الذي تعرفونه وتقرون
انه خالق السموات والارض وخالقكم وهو واحد
متوحد بالالوهية لا تشاركه فيها وهو الذي
يصمد اليه كل مخلوق لا يستغنون عنه وهو الغني
عنهم وعن ابن عباس الصمد هو الذي لا جوف له
وقال الشعبي هو الذي لا ياكل ولا يشرب وقال الربيع
هو الذي لا تعتريه الآفات وقال مقاتل بن حيان
هو الذي لا عيب فيه وقال قتادة هو الباقي
بعد فناء خلقه وقال سعيد بن جبير هو الكامل
في جميع صفاته وافعاله وقال السدي هو المقصود
اليه في الرغائب المستغاث به عند المصائب
تقول العرب صمدت صمده بسكون الميم اذا قصدته
وعن ابي بن كعب هو الذي **لم يلد** لان من يولد
سيموت ومن يرث يورث منه فسر الصمد بما
بعده وينبغي ان يحمل هذه التفاسير
كلها تفسيرا واحدا فانه متصف بجميعها فكونه
لم يلد لانه لم يجانس ولم يفتقر الى من يعينه
او يخلف عنه لامتناع الحاجة والفناء عنه بدوامه
في ابديته والاقتصار على الماضي لوروده ردا
علي

علي من قال الملائكة بنات الله وعزير والمسيح او غيره
ولما بين انه لا افضل له ظهر انه لا جنس له فدل
عليه بقوله تعالى **ولم يولد** لانه لو تولد عنه
غيره تولد هو عن غيره كما هو المعهود والمعقول
فهو قديم لا اول له بل هو الاول الذي لم يسبقه
عدم لان الولادة تكون ولا تتحصل الا
بواسطة المادة وعلاقتها وكلما كان موجودا او كان
له علاقة بالمادة كان متولدا عن غيره والله
سبحانه وتعالى منزه عن جميع ذلك **ولم يكن**
اي لم يتحقق ولم يوجد بوجه من الوجوه وله
تقدير من التقادير **له** اي خاصة **كفوا**
اي مثلا ومساويا **احد** على الاطلاق اي يساو يد
في وقوع الوجود لانه لو ساواه في ذلك لكانت
مساواته باعتبار الجنس والفصل فيكون وجود ه
متولدا عن الازدواج الحاصل من الجنس
الذي يكون كالام والفصل الذي يكون كالاب ب
وقد ثبت انه لا يصح بوجدان يكون في شيء من
الولادة لان وجوب وجوده لذاته فانتفى ان
يساويه شيء وكان ان يوخر الظرف لانه
صلة لكن لما كان المقصود نفي المكافاة عن
ذاته تعالى قدم تقديما للاهم ويجوز ان يكون

حالا من المستكن في كفوا او خبرا او يكون كفوا
حالا من احدا او عطف هاتين على الجملة التي
قبلها لان الثلاث في الصمدية النافية لاقسام
الامثال فهي كالجملة الواحدة روى ابو هريرة
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
يقول الله تعالى كذبني ادم ولم يكن له ذلك
وشتمني ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه اياي
فقوله لن يعيدني كما بداني وليس اول الخلق
باهون علي من اعادته واما شتمه اياي فقوله
اتخذ الله ولدا وانا الاحد الصمد لم الد
ولم اولد ولم يكن لي كفوا احد وقرا حمزة
بسكون الفاء والباقون بضمها وقرا
حفص كفوا بالواو وقفا ووصلا واذا وقف
حمزة وقف بالواو وروي في فضلها قل هو
الله احد احاديث كثيرة منها ما روى البخاري
عن ابي سعيد الخدري ان رجلا سمع رجلا
يقرا قل هو الله احد يرددها فلما اصبح اتى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك
له وكان الرجل يتقللها فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده
انها لتعدل ثلث القران وان قيل لم

كانت

كانت تعدل ثلث القران اجيب بان القران
انزل اثلاثا ثلثا احكام وثلثا وعد ووعيد وثلثا
اسماء وصفات فجمعت هذه السورة احد الاثلاث
وهو الاسماء والصفات وقيل انها تعدل القران
كله مع قصر متنها وتقارب طرفيها وما ذاك الا
لاحتوائها على صفة الله تعالى وعدله وتوحيده
وكفى بذلك دليلا لمن اعترف بفضلها ومنها
ما روى مسلم عن عائشة ان النبي صلى الله
عليه وسلم بعث رجلا في سرية فكان يقرا
في صلاتهم فيختم بقل هو الله احد فلما رجعوا
ذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال سلوه لاي شيء يصنع ذلك فسالوه فقال
لانها صفة الرحمن فانا احب ان اقرا بها
فقال صلى الله عليه وسلم اخبروه ان الله تعالى
يحبه ومنها ما روى الترمذي عن انس ابن
مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع
رجلا يقرا قل هو الله احد فقال صلى الله عليه
وسلم وجبت قلت ما وجبت قال الجنة ومنها
ما روى انس ايضا ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال من قرا قل هو الله احد خمسين
مرة غفرت ذنوبه ومنها ما روى سعيد ابن المسيب

Copyright © King Saud University

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرا قل
هو الله احد عشر مرات بنى الله له قصرا في الجنة
ومن قراها عشرين مرة بنى الله له قصرين في
الجنة ومن قراها ثلاثين مرة بنى الله له ثلاث
قصور في الجنة فقال عمر اذن تكثر قصورنا فقال
صلى الله عليه وسلم الله اوسع من ذلك ومنها
ما رواه الطبراني عن ابي هريرة انه صلى الله
عليه وسلم قال من قرا قل هو الله احد
بعد صلاة الصبح اثني عشر مرة فكانما قرا
القران اربع مرات وكان افضل اهل الارض
يومئذ اذا اتقى وروي انه صلى الله عليه
وسلم قال من قرا قل هو الله احد في مرضه
الذي يموت فيه لم يفتن في قبره وامن من
ضغطة القبر وحملته الملائكة باكفها
حتى تجيزه من الصراط الى الجنة وقد افردت
احاديثها بالتاليف وفي هذا القدر كفاية
لاولي الالباب ولها اسما كثيرة وزيادة
الاسما تدل على شرف المسمى احدها انها سورة
التفريد ثانيها سورة التجريد ثالثها سورة
التوحيد رابعها سورة الاخلاص خامسها
سورة النجاة سادسها سورة الولاية سابعها

سورة

سورة النسبة لقولهم انسب لنا ربك ثامنها سورة
المعرفة تاسعها سورة الجمال عاشرها سورة
المقشقشة حادي عشرها سورة المعوذة ثاني
عشرها سورة الصمد ثالث عشرها سورة الاساس
قال اسست السموات السبع والارضين على قل
هو الله احد رابع عشرها المانعة لانها تمنع فتنة
القبر ونفحات النار خامس عشرها سورة المحضر
لان الملائكة تحضر لاستماعها اذا قرات سادس
عشرها المنفرة لان الشياطين تنفر عند قراتها
سابع عشرها سورة البراة لانها براة من
الشرك ثامن عشرها المذكرة لانها تذكر العبد
خالص التوحيد تاسع عشرها النور لانها
تنور القلب عشرون سورة الامان قال صلى
الله عليه وسلم اذا قال العبد الله قال الله
دخل حصني ومن دخل حصني امن من عذابي
فنسال الله تعالى ان يجيرنا من عذابه ويدخلنا
الجنة برحمته نحن وجميع الاحباب بغير حساب
فانه كريم حليم وهاب ومارواه البيضاوي
من انها تعدل ثلث القران فرواه البخاري
ومن انه صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقروها
الى اخره فرواه الترمذي والنسائي وغيرهما

نس

لي

Copyright © King Saud University

سورة الفلق مكية

في قول الحسن وعطاء وعكرمة وجابر ومدنية
في قول ابن عباس وقتادة وهي خمس آيات وثلاث
وعشرون كلمة واربعة وسبعون حرفا بسم الله
الذي له جميع الحول الرحمن الذي استحكم كمال الطول
الرحيم الذي انعم على اهل وده اجمل واختلف
في سبب نزول سورة قل اعوذ برب الفلق فقال
ابن عباس وعائشة كان غلام من اليهود يخدم
النبي صلى الله عليه وسلم فدنت اليه اليهود
فلم يزالوا به حتى اخذ مشاطة راس النبي
صلى الله عليه وسلم وعدة اسنان من
مشطه واعطاها اليهود فسحروه فيها وتولى
ذلك لبيد بن الاعصم رجل من اليهود فنزلت
هذه وقل اعوذ برب الناس فيه وعن عائشة
ان النبي صلى الله عليه وسلم طب اي
سحر حتى كانه يخيل اليه انه صنع شيئا وما
صنعه وانه دعا ربه ثم قال اشعرت ان
الله قد افتاني فيما استفتيته فيه فقالت
عائشة وما ذاك يا رسول الله قال جاءني
رجلان فجلس احدهما عند راسي والاخر
عند رجلي فقال احدهما لصاحبه ما وجع

الرجل

الرجل قال الاخر مطبوب قال من طبه قال لبيد
بن الاعصم قال فيماذا قال في مشط ومشاطة
وجف طلعة ذكر قال فاين هو قال في ذروان وذروان
بئر في بني زريق قالت عائشة فاتاها رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم رجع الى عائشة
فقال والله لكان ماءها نقاعة الحناء ولكان نخلها
رؤوس الشياطين قالت فقلت يا رسول الله
فهلا اخرجته قال اما انا فقد شفاني الله وكرهت
ان اثير على الناس منه شرا وعن زيد بن ارقم
قال سحر النبي صلى الله عليه وسلم رجل
من اليهود فاشتكى ذلك اياما واتاه جبريل
عليه السلام فقال ان رجلا من اليهود سحرك
وعقد لك عقدا في بئر كذا وكذا فارسل
رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا فاستخر جها
فجاء بها فجعل كلما حل عقدة وجد لذلك
خفة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
كانما نشط من عقال فما ذكر ذلك لليهود ولا راى
وجهه قط وروي انه كان تحت صخرة في البئر
فرفعوا الصخرة واخرجوا جف الطلعة واذا فيها
مشاطة من راسه صلى الله عليه وسلم
واسنان مشطه وعن مقاتل والكلبي كان ذلك

في وتر عقد عليه احد عشر عقدة وقيل كانت مغر
وزة بالابرة فانزل الله هاتين السورتين وهما
احدى عشرة اية سورة الفلق خمس ايات وسورة
الناس ست ايات فكلما قرا اية انحلت عقدة
حتى انحلت العقد كلها فقام صلى الله عليه
وسلم كانما نشط من عقال وروي انه يخيل
له انه يطا ازواجه وليس يواطي قال سفيان
وهذا اشد ما يكون من السحر وعن ابي
سعيد الخدري ان جبريل عليه السلام اتى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد
شكيت قال نعم قال بسم الله ارقيك من
كل شي يوذيك ومن كل نفس او عين حاسد
والله يشفيك بسم الله ارقيك فان قيل
المستعاذ منه هل هو بقضاء الله وقدره اولا
فان كان بقضاء الله وقدره فكيف يومر
بالاستعاذة مع ان ما قدر لابد واقع
وان لم يكن بقضاء الله وقدره فذلك قدح
في القدرة اجيب بان كل ما وقع في
الوجود فهو بقضاء الله وقدره والاستشفا
بالتعوذ والرضا من قضاء الله يدل على ذلك
ما روى الترمذي عن ابي خزامة عن ابيه قال

سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت
يا رسول الله ارايت رقيا نسترقي بها ودوا
نتداوى به وتقاة نتقيها هل ترد من قضاء
الله شيا قال هو من قدر الله قال الترمذي هذا
حديث حسن وعن عمر نفر من قدر الله الى قدر
الله ومعنى اعوذ استجير والتجي واعتصم
واحترز والفلق الصبح في قول الاكثرين ومنه
قوله تعالى فالق الاصباح لانه ظاهر في تغير
الحال ومحاكاة يوم القيامة الذي هو اعظم
فلق يشق ظلمة الفنا والهلاك بالتبعث والا حيا
وقال الملوي الفلق بالسكون والحركة كل شي
انشق عنه ظلمة العدم واوجد من الكائنات
جميعا وروى عن ابن عباس انه سجن في جهنم
وقال الكلبي واد في جهنم وقال الضحاك يعني
الخلق وقيل المطمين من الارض وجمعه فلقان
مثل خلق وخلقان وقيل الفلق الجبال والصخور
تنفلق بالمياه اي تنشق وقيل هو التفليق
بين الجبال لانها تنشق من خوف الله تعالى
ولفظ الرب هنا اوقع من ساير اسمايه تعالى
لان الاعاذة من المضار تربية ولما كانت الاشيا
تتضمن عالم الخلق وعالم الامر وكان عالم الامر

Copyright © King Saud University

خيرا كله فكان الشر منحصرا في عالم الخلق خصه
بالاستعاذة فقال تعالى معمما فيها **من شر ما خلق**
فخص عالم الخلق بالاستعاذة منه لانحصار الشر فيه
والشر يكون اختيارا من العاقل الداخل تحت
مدلول ما وغيره من سائر الحيوانات كالكفر
والظلم ونهش السباع ولدغ ذوات السموم
وتارة طبيعيا كاحراق النار واهلاك السموم
وقيل المراد به ابليس خاصة لانه لم يخلق الله تعالى
خلقا شرا منه ولان السحر لا يتم الا به وباعوانه
وجنوده وقيل من شر كل ذي شر وقوله تعالى
ومن شر غاسق اذا وقب فيه وجهان احدهما
ما روي عن عائشة قالت ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم نظر الى القمر فقال يا عائشة
استعيذي بالله من شر هذا فان هذا هو
الغاسق اذا وقب اخرجه الترمذي وقال
حديث صحيح حسن فعلى هذا المراد به القمر
اذا خسف واسود وذهب ضوؤه او اذا
دخل في المحاق وهو اخر الشهر وفي ذلك
الوقت يتم السحر المؤثر للتمريض وهذا
مناسب لسبب نزول هذه السورة ثانيهما
ما روي عن ابن عباس ان الغاسق الليل اذا

وقب

وقب اذا اقبل بظلمته من المشرق وسمي الليل
غاسقا لانه ابرد من النهار والغسق البرد وانما
امرنا بالتعوذ من الليل لان فيه تنتشر الافات
ويقل الغوث ومنه قولهم الليل اخفى للويل
وقولهم اعذر الليل لانه اذا اظلم كثر فيه
العدو وفيه يتم السحر واسند الشر اليه
لملابسته له من حدوثه فيه ثالثها انه الثريا
اذا سقطت وغابت ويقال ان الاسقام تكثر
عند وقوعها وترتفع عند طلوعها فلهذا
امرنا بالتعوذ من الثريا عند سقوطها رابعها
انه الاسود من الحيات ووقبه ضربه ونقبه
والوقب النقب ومنه وقبة الثريد ولما كان
السحر اعظم ما يكون لما فيه من تفريق المرء
من زوجه وابيه وابنه ونحو ذلك عقب ذلك
بقوله تعالى **ومن شر النفاثات في العقد**
اي النسا او النفوس او الجماعات السواحر
اللواتي يعقدن عقدا في خيوط وينفثن عليها
ويرقين والنفث النفخ مع ريق وقال ابو عبيدة
النفاثات من بنات لبيد بن اعصم اليهودي
سحرن النبي صلى الله عليه وسلم فان قيل
ما معنى الاستعاذة من شر هو اجيب

Copyright © King Saud University

ثلاثة اوجه احدها ان يستعاذ من عملهن الذي
هو صنعة السحر ومن اثمهن في ذلك ثانيها ان
يستعاذ من فتنتهن الناس بسحرهن وما يخدعنهم
به من باطلهن ثالثها ان يستعاذ مما يصيب الله
به من الشر عند نفثهن قال الزمخشري ويجوز
ان يراد بهن النساء الكيادات من قوله تعالى ان
كيدكن عظيم تشبيها لكيدهن بالسحر والنفث
في العقد او اللاتي يفتن الرجال بتعرضهن لهم
وعرضهن محاسنهن كانهن يسحرنهم بذلك
تنبيه اختلف في النفث في الرقى فجوزه الجمهور
من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ويدل لـ
عليه حديث عائشة قالت كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا مرض احد من
اهله نفث عليهن بالمعوذتين وروى محمد بن
حاطب ان يده احترقت فاتى النبي صلى الله
عليه وسلم فجعل ينفث عليها ويتكلم بكلام
زعم انه لم يحفظ وروي ان قوما لدغ
رجل منهم فاتوا اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالوا هل فيكم من راق قالوا لا حتى
تجعلوا لنا شيئا فجعلوا لهم قطيعا من الغنم
فجعل رجل منهم يقرأ فاتحة الكتاب ويرقي ويتفل

حتى

حتى برئ فاخذوه فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي صلى
الله عليه وسلم فقال وما يدريكم انها رقية خذوا
واضربوا لي معكم بسهم وانكر جماعة النفث
والتفل في الرقى واجازوا النفخ بلا ريق قال عكرمة
لا ينبغي للراقي ان ينفث ولا يمسح ولا يعقد وقيل
ان النفث في العقد انما يكون مذموما اذا كان
سحرا مضرا بالارواح والابدان واذا كان النفث
لاصلاح الارواح والابدان فلا يكون مذموما ولا
مكروها بل هو مندوب اليه ولما كان اعظم
حامل على السحر وغيره من اذى الناس الحسد
وهو تمني زوال نعمة المحسود للحاسد او غيره
قال تعالى **ومن شر حاسد** اي ثابت الاتصاف بالحسد
معروف فيه واعظم الحساد الشيطان الذي ليس
له دأب الا السعي في ازالة نعم العبادات عن
الانسان بالغفلات ثم قيد ذلك بقوله تعالى **اذا
حسد** اي اذا ظهر حسده وعمل بمقتضاه من بغي
الغوائل للمحسود لانه اذا لم يظهر اثر ما اضمره
فلا ضرر يعود منه على من حسده بل هو الضار
لنفسه لاغتمامه بسرور غيره وعن عمر بن عبد
العزيز رضي الله عنه لم ار ظالما اشبه بالمظلوم
من حاسد وفي اشعار الاية ادعانا بخصيصه عليه

Copyright © King Saud University

من نعم الدارين لان خير الناس من عاش محمودا
ومات محسودا فان قيل لم عرف بعض المستعاذ
منه ونكر بعضه اجيب بان النفاثات
عرفت لان كل نفاثة شريرة ونكر غاسق لان كل
غاسق لا يكون فيه الشر انما يكون في بعض دون
بعض وكذلك كل حاسد لا يضر ورب حسد محمود
وهو الحسد في الخيرات ومنه قوله صلى الله
عليه وسلم لا حسد الا في اثنتين الحديث وقال ابن
تمام ، وما حاسد في المكرمات بحاسد ،
وقال اخر ، ان العلا حسن في مثلها الحسد ،
فائدة قال بعض الحكما الحاسد بارز ربه
من خمسة اوجه اولها انه ابغض كل نعمة ظهرت
على غيره ثانيها انه ساخط لقسمة ربه كانه
يقول لم قسمت هذه القسمة ثالثها انه ضاد
فعل الله تعالى ان فضل بيده من يشا وهو يبخل
بفضل الله رابعها انه خذل اوليا الله تعالى
او يريد خذلانهم وزوال النعمة عليهم خامسها
انه اعان عدو الله ابليس والحاسد لا ينال
في المجالس الا ندامة ولا ينال عند الملائكة
الا لعنة ولا ينال في الاخرة الا جزعا وغما ولا
ينال في الاخرة الا حزنا واحتراقا ولا ينال من الله

الا

الا بعدا ومقتا روي عنه صلى الله عليه وسلم
انه قال ثلاثة لا يستجاب دعاهم اكل الحرام ومكثر
الغيبة ومن كان في قلبه غل او حسد للمسلمين
وقيل المراد بالحاسد في الاية اليهود فانهم
كانوا يحسدون النبي صلى الله عليه وسلم فان
قيل قوله تعالى من شر ما خلق يعم كل ما يستعاذ
منه فما معنى الاستعاذة بعده من الغاسق
والنفاثات والحاسد اجيب بانه قد خص
هولاء من كل شر لخفاء امرهم وانه يلحق الانسان
من حيث لا يعلم كانما يغتال به وقالوا شر العداة
المداجي يكيدك من حيث لا تعلم واخرج الامام
احمد عن الزبير بن العوام انه صلى الله عليه
وسلم قال دب اليكم دا الامم قبلكم الحسد
والبغضا هي الحالقة فنسال الله تعالى ان يحفظنا
ويجنبنا منه انه كريم جواد وروى مسلم انه
صلى الله عليه وسلم قال لقد انزلت علي سورتان
ما انزل مثلهما وروى ابن ماجه انه صلى الله
عليه وسلم قال انك لن تقرا سورتين لا احب
ولا ارضى عند الله منهما يعني المعوذتين وعن
عقبة بن عامر ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال الا اخبرك بافضل ما تعوذ به

Copyright © King Saud University

المتعوذون قلت بلي يا رسول الله قال قل اعوذ
برب الفلق وقل اعوذ برب الناس وما رواه الزمخشري
ولم ينقله البيضاوي وهنالك قال في اخر السورة
الاتية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من
قرا المعوذتين فكانما قرا الكتب الذي انزلها
الله تعالى حديث موضوع

سورة الناس مكية

وهي ست ايات وعشرون كلمة وتسعة وتسعون حرفا
بسم الله المحيط بكل شي باطن كاحاطته بكل
ظاهر الرحمن الذي عمت نعمته كل باد وحاضر
الرحيم الذي خص اهل وده باتمام النعمة في
جميع الاول والاثنا والاخر ولما امر الله تعالى
نبيه بالاستعاذة بما تقدم امره ان يستعيذ
من شر الوسواس بقوله تعالى قل اي يا اشرف
المرسلين اعوذ اي اعتصم والتجي برب اي
مالك وخالق الناس وخصهم بالذكر وان
كان رب جميع المحدثات لامرين احدهما ان
الناس يعظمون فاعلم بذكرهم انه رب لهم
وان عظموا الثاني انه امر بالاستعاذة من شرهم
فاعلم بذكرهم انه هو الذي يعيذ منهم قال الملوي
والرب من له ملك الرق وجلب الخيرات من

التمار

السماء والارض وانفاذها ودفع الشرور ورفعها والنقل
من النقص الي الكمال والتدبير العام العايد بالحفظ
والتتميم علي المربوب وقوله تعالى ملك الناس
اشارة الى ان له كمال التصرف ونفوذ القدرة وتمام
السلطان فاليه المفزع وهو المستغاث والملجا
والمنجا والمعاذ وقوله تعالى اله الناس اشارة الى
انه تعالى كما انفرد بربوبيتهم وملكهم لم يشركه
في ذلك احد فكذلك هو وحده الههم لا شركه
في الوهيته احد وقد اشتملت هذه الاضافات
الثلاث علي جميع قواعد الايمان وتضمنت معاني اسما
الحسني فان الرب هو القادر الخالق الي غير ذلك
مما يتوقف الاصلاح والرحمة والقدرة الذي هو
بمعنى الربوبية عليه من اوصاف الجمال والملك
هو الامر الناهي المعز المذل الي غير ذلك من
الاسما العايدة الى العظمة والجلال واما الاله
فهو الجامع لجميع صفات الكمال ونعوت الجلال
فيدخل فيه جميع الاسما الحسني ولتضمنها جميع
معاني الاسما كان المستعيذ جديرا بان يعاذ
وقد وقع ترتيبها علي الوجه الاكمل الدال علي
الوحدانية لان من راى ما عليه من النعم
الظاهرة والباطنة علم ان له مربيا فاذا درج

يد

Copyright © King Saud University

٥٢٨

في العروج في درج معارفه سبحانه علم انه غني عن
الكل والكل اليه وعن امره تجري امورهم فيعلم انه
ملكهم ثم يعلم بانفراده بتدبيرهم بعد ابداعهم
انه المستحق للالهية بلا مشاركة له فيها فائدة
قد اجمع جميع القراء في هذه السورة على اسقاط الالف
من مالك بخلاف الفاتحة كما مضى لان المالك اذا
اضيف الى اليوم افهم اختصاصه بجميع ما فيه من
جوهر وعرض وانه لا امر لاحد معه ولا مشاركة
في شيء من ذلك وهو الملك بالضم واما اضافة
المالك الى الناس فانها لا تستلزم ان يكون ملكهم
فلو قرئ به هنا لنقص المعنى واتفقوا في آل
عمران على اثبات الالف في المضاف وحذفها
من المضاف اليه لان المقصود من السياق انه
سبحانه يعطي الملك من يشاء ويمنعه من يشاء والملك
يكثر اليه التفات بهذا المعنى واسرار كلام الله
تعالى اعظم من ان تحيط بها العقول وانما
غاية اولي العلم الاستدلال بما ظهر منها تنبيه
لا يجوز في ملك الناس واله الناس ان يكونا
وصفين لرب الناس وان يكونا بدلين وان يكونا
عطف بيان واقتصر عليه الزمخشري قال كقوله
سيرة ابي حفص عمر الفاروق بين ملك الناس

ثم

ثم زيد بيانا باله الناس لانه قد يقال لغيره رب الناس
كقوله تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا
من دون الله وقد يقال ملك الناس واما اله الناس
فخاص لا شركة فيه فجعل غاية للبيان فان قيل هلا
اكتفي باظهار المضاف اليه الذي هو الناس مرة واحدة
اجيب بان عطف البيان للبيان فكان مظنة للاظهار
دون الاضمار **من شر الوسواس** وهو اسم بمعنى
الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة واما المصدر
فوسواس بالكسر كزلزال والمراد به شيطان سمي
بالمصدر كانه وسوسة في نفسه لانها صنعته
وشغله الذي هو عاكف عليه او اريد ذو الوسواس
والوسوسة الصوت الخفي ويقال لحس الصائد
والكلاب واصوات الحلي وسواس والشيطان يجري
من ابن ادم مجرى الدم كما في الصحيح فهو يوسوس
بالذنب سرا ليكون احلى ولا يزال يزينه
ويثير الشهوة الداعية حتى يوقع الانسان
فاذا اوقعه وسوس لغيره ان فلانا فعل كذا حتى
يفضحه بذلك فاذا افتضح زاد جراءة على امثال
ذلك لانه يقول قد وقع ما كنت احذر من
التقاعد فلا يكون شيء غير الذي كان لم ينزل
ذا الانزال لذلك واغترار الناس وهو الموت وكان

Copyright © King Saud University

فجعل دوا الوسوسة ذكره تعالى فانه يطرد الشيطان وينير
القلب ويصفيه وصف سبحانه الموسوس عند استعمال
الدوا بقوله تعالى الخناس اي الذي عادته ان يخنس
اي يتوارى ويتأخر ويختفي بعد ظهوره مرة بعد مرة
كلما كان الذكر خنس وكلما بطل عاد الى وسواسه
فالذكر له كالمقامع التي تقمع المفسد فهو شديد النفور
منه ولهذا كان شيطان المومن هزيلا كما حكي
عن بعض السلف ان المومن ينضي شيطا
نه كما ينضي الرجل بعيره في السفر قال قتادة الخناس
له خرطوم كخرطوم الكلب وقيل كخرطوم الخنزير
في صدر الانسان فاذا ذكر العبد ربه خنس
ويقال راسه كراس الحية واضع راسه على ثمرة
القلب يمنيه ويحدثه فاذا ذكر الله خنس ورجع
ووضع راسه فذلك قوله تعالى الذي يوسوس
اي يلقي المعاني الضارة على وجه الخفي والتكرير في
صدور المضطربين اذا غفلوا عن ذكر ربهم من
غير سماع فقال مقاتل ان الشيطان في صورة
خنزير يجري من ابن ادم مجرى الدم في عروقه
سلطه الله تعالى على ذلك وقال القرطبي وسوسته
هو الدعا الى طاعته بكلام خفي يصل مفهومه الى
القلب من غير سماع صوت تنبيه يجوز في

محل الذي يوسوس الحركات الثلاث فالجر على الصفة والنصب
على الشتم ويمكن ان يقف القاري على الخناس ويبتدي
الذي يوسوس على احد هذين الوجهين وقوله تعالى
من الجنة اي الجن الذين هم في غاية الشر والتمرد
والخفاء والناس اي اهل الاضطراب والذبذبة
بيان الذي يوسوس على ان الشيطان ضربان جني
وانسي كما قال تعالى شياطين الانس والجن ويجوز
ان يكون بدلا من ذي الموسوس من الجن والانس
ويجوز ان يكون حالا من الضمير في يوسوس حال
كونه من هذين الجنسين وقيل غير ذلك قال الحسن
هما شيطانان لنا من اما شيطان الجن فيوسوس
في صدور الناس واما شيطان الانس فياتي علانية
وقال قتادة ان من الجن شياطين وان من الانس
شياطين فنعوذ بالله من شياطين الانس والجن
وعن ابي ذر قال لرجل هل تعوذت بالله من
شيطان الانس فقال او من الانس شياطين قال
نعم لقوله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا
شياطين الانس والجن الاية وذهب قوم الى ان
المراد بالناس هنا الجن سموا بذلك ناسا كما سموا
رجالا في قوله تعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون
برجال من الجن وكما سموا نفرا في قوله تعالى قل اوحي

Copyright of King Saud University

الى انه استمع نفر من الجن وكما سموا قوما نقل الفرا عن
بعض العرب انه قال وهو يحدث جا قوم من الجن فوقفوا
فقيل من انتم فقالوا ناس من الجن فعلى هذا يكون
والناس عطفا على الجنة ويكون التكرير لاختلاف
اللفظين والجنة جمع جني كما يقال انسي وانس والهاء
لتانيث الجماعة وقيل ان ابليس يوسوس في صدور الجن
كما يوسوس في صدور الناس فعلى هذا يكون في صدور
الناس عاما في الجميع ومن الجنة والناس بيان
لما يوسوس في صدوره وقيل معنى من شر الوسواس
ان الوسوسة التي تكون من الجنة والناس
وهو حديث النفس قال صلى الله عليه وسلم
ان الله تعالى تجاوز لامتي عما حدثت به انفسها
ما لم تعمل او تتكلم به وعن عقبة ابن عامر قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الم تر
ايات نزلت الليلة لم ير مثلهن قط اعوذ
برب الفلق واعوذ برب الناس وعنه انه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا اخبرك
بافضل ما تعوذ المتعوذ قلت بلى قال قل
اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس وعن
عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا اوى الى فراشه كل ليلة جمع كفيه فنفث

فيهما

فيهما وقرا قل هو الله احد وقل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ
برب الناس ثم مسح بهما ما استطاع من جسده يبدا
بهما راسه ووجهه ما اقبل من جسده يصنع ذلك
ثلاث مرات وعنها انه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان اذا اشتكى يقرا على نفسه بالمعوذات وينفث
فلما اشتد وجعه كنت اقرا عليه وامسح عنه بيده
رجاء بركتها وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا حسد الا في اثنين رجل اتاه الله القران
فهو يقوم به اناء الليل واناء النهار وعن ابن عباس قال
قال رجل يا رسول الله اي الاعمال احب الى الله تعالى
قال الحال المرتحل قال وما الحال المرتحل قال الذي
يضرب من اول القران الى اخره كلما حل ارتحل وعن
ابي هريرة انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول
ما اذن الله لنبي ما اذن لنبي حسن الصوت بالقران
يجهر به لطيفة نختم بها كما ختم بها الفخر الرازي رحمه
الله تعالى تفسيره وهي ان المستعاذ به في السورة
الاولى مذكور بصفة واحدة وهي انه رب الفلق
والمستعاذ منه ثلاثة انواع من الافات وهي الغاسق
والنفاثات والحاسد واما في السورة فالمستعاذ
به مذكور بصفات ثلاث وهي الرب والملك والاله
والمستعاذ منه افة واحدة وهي الوسوسة والفرق

Copyright © King Saud University

بين الوصفين ان الثنا يجب ان يتقدر بقدر المطلوب فالمطلوب
في السورة الثانية سلامة الدين وهذا تنبيه على ان
مضرة الدين وان قلت اعظم من مضار الدنيا وان
عظمت وهذا اخر ما يسره الله تعالى من السراج المنير
في الاعانة على بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير
فدونك تفسيرا كانه سبيكة عسجد، او در منضد
جمع لي من التفاسير معظمها، ومن القراات متواترها
ومن الاقاويل اظهرها ومن الاحاديث صحيحها
وحسنها، بحور الدلايل في هذا الفن، مظهر
الدقايق استعملنا الفكر فيها الفكر اذا الليل جن،
فان ظفرت بفايدة شاذة، فادع لي بالتجاوز
والمغفرة، او بزلة قلم او لسان، فافتح لها
باب التجاوز والمعذرة، فلابد من عيب فان
تجد فسامح وكن بالستر اعظم مفضل فمن
الذي ما سا قط ومن له، المحاسن قد تمت سوى
غير مرسل، وانا اعوذ بكلمات الله الكاملة التامة،
واتوسل بكنوز رحمته الشاملة العامة، من كل
ما يثلم الدين، ويثلم اليقين، او يعود في
العاقبة بالندم، او يقدح في الايمان المنوط بالنجم
والذمم، واساله بخضوع العنق، وخضوع
البصر، ووضع الخد بجلاله الاعظم الاكبر متشفعا

اليه

Copyright © King Saud University